

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

(٥٢٤هـ - ٥٣١هـ)

تحقيق

الدكتور عبد بن عبد المحسن التركي

بالتعاون مع

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

الدكتور عبد السند حسن يمامة

الجزء الخامس

هجو

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

القاهرة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

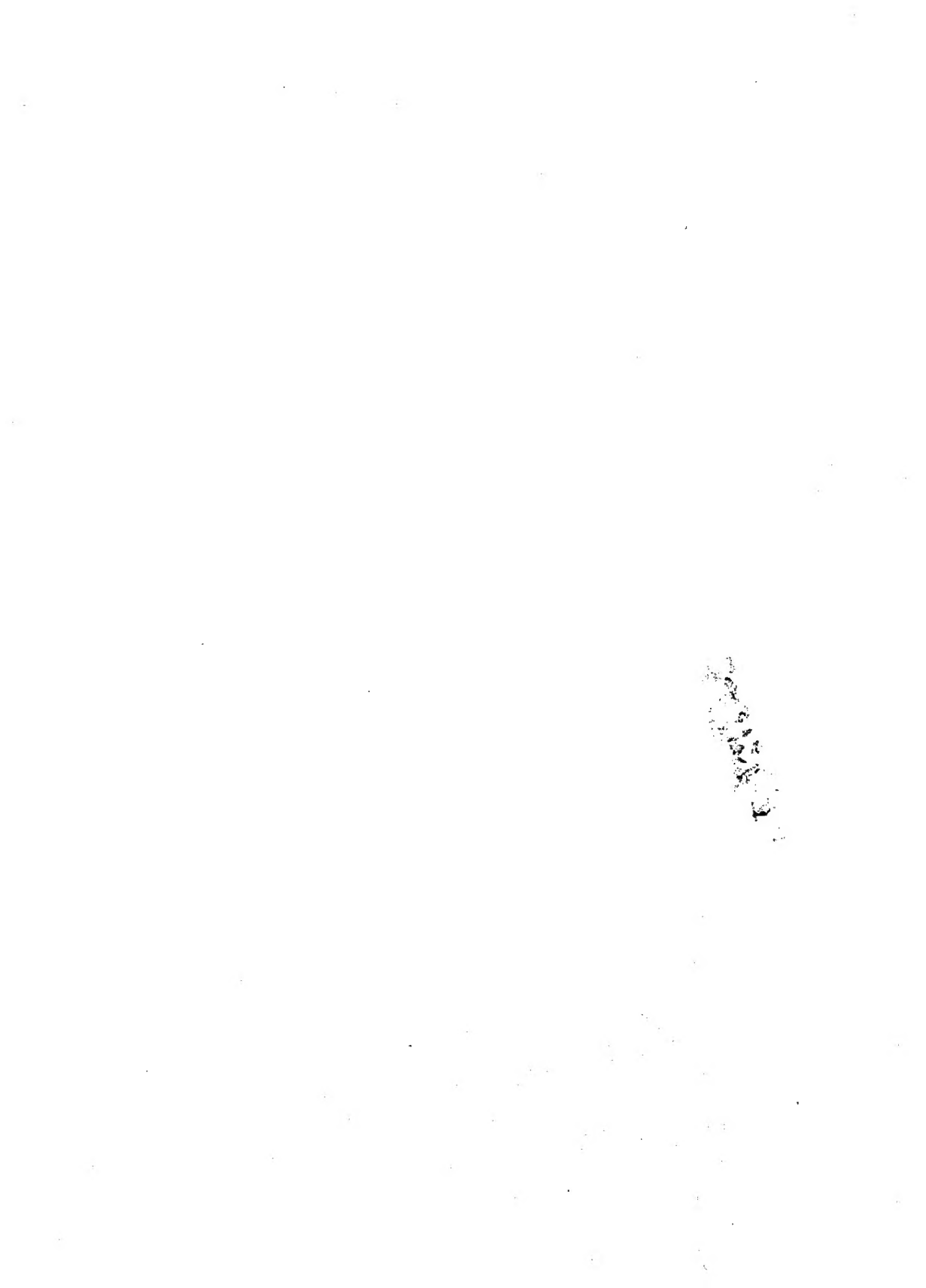
الدكتور عبد السند حسن يمامة

مكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

ت : ٣٢٥١٠٢٧

مطبعة : ٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس : ٣٢٥١٧٥٦

تَفْسِيرُ الطَّبْرِیِّ
جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿[٥١/٨] الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره: الشيطان يعدكم أيها الناس بالصدقة وأدائكم الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم، أن تفتقروا، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ . يعنى: ويأمركم بمعاصي الله، وترك الصلاة، و^(١) طاعته، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ . يعنى أن الله تبارك وتعالى يعدكم أيها المؤمنون أن يستر عليكم فحشاءكم، بصفحه لكم عن / عقوبتكم عليها، فيغفر لكم ذنوبكم بالصدقة التي تتصدقون، ٨٨/٣ ﴿وَفَضْلًا﴾ . يعنى: ويعدكم أن يخلف عليكم من صدقاتكم، فيفضّل عليكم من عطايه، ويسبغ عليكم في أرزاقكم .

كما حدثنا محمد بن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: اثنان من الله، واثنان من الشيطان، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ . يقول: لا تنفق مالك وأمسكه عليك؛ فإنك تحتاج إليه، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ على هذه المعاصي، ﴿وَفَضْلًا﴾ في الرزق^(٢) .

(١ - ١) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٠/٢، ٥٣١ (٢٨١١، ٢٨١٦، ٢٨١٩) من طريق الحسين بن واقد

به، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى ابن المنذر .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾. يَقُولُ: مَغْفِرَةً لِفَحْشَائِكُمْ، وَفَضْلًا لِفَقْرِكُمْ^(١).

حَدَّثَنَا هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ، قَالَ: ثنا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ مَرْثَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَةً مِنْ ابْنِ آدَمَ، وَلِلْمَلِكِ لَمَةً، فَأَمَّا لَمَةُ الشَّيْطَانِ، فإِعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَةُ الْمَلِكِ فإِعَادٌ^(٢) بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ^(٣)، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، وَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾^(٤).

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا الْحَكَمُ بْنُ بَشِيرٍ بْنِ سَلْمَانَ، قَالَ: ثنا عَمْرُو، عَنْ عَطَاءِ ابْنِ السَّائِبِ، عَنْ مَرْثَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِنَّ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْمَلِكِ لَمَةً، وَمِنْ الشَّيْطَانِ لَمَةً، [٥١/٨ ط] فَاللَّمَةُ مِنَ الْمَلِكِ إِعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ، وَاللَّمَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ. وَتَلَا عَبْدُ اللَّهِ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾. قَالَ عَمْرُو: وَسَمِعْنَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ كَانَ يَقَالُ: إِذَا أَحْسَسَ أَحَدُكُمْ مِنْ لَمَةِ الْمَلِكِ شَيْئًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَلْيَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِذَا أَحْسَسَ مِنْ لَمَةِ الشَّيْطَانِ شَيْئًا، فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَلْيَتَعَوَّذْ^(٥) مِنَ الشَّيْطَانِ.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٠/٢ (٢٨١٧) من طريق سعيد به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٤٨ إلى عبد بن حميد.

(٢) (٢ - ٢) في الأصل، ت ١، ت ٢، ت ٣: «بالحق وتصديق بالخير».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)، والنسائي في الكبرى (١١٠٥١)، وأبو يعلى (٤٩٩٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٢٩/٢ (٢٨١٠)، وابن حبان (٩٩٧) من طريق هناد بن السري به، وأخرجه البيهقي في الشعب (٤٥٠٦) من طريق أبي الأحوص به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٤٨ إلى ابن المنذر.

(٤) في الأصل: «يتعوذ».

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْمٍ ، قَالَ : ثنا عطاءُ بْنُ السائبِ ، عن أبي الأحوصِ ، أو عن مرّةٍ ، قَالَ : قال عبدُ اللَّهِ بْنُ مسعودٍ : أَلَا إِنَّ لِلْمَلِكِ لَمَةً ، وللشَّيْطَانِ لَمَةً ، فَلَمَّةُ الْمَلِكِ إِيعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالْحَقِّ ، وَلَمَةُ الشَّيْطَانِ إِيعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ ، ذَلِكُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ . فإذا وَجَدْتُمْ مِنْ هَذِهِ شَيْئًا فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَجَدْتُمْ مِنْ هَذِهِ شَيْئًا فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن الزهريِّ ، عن عبيدِ اللَّهِ بْنِ عبيدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بْنِ مسعودٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ . قَالَ : إِنَّ لِلْمَلِكِ لَمَةً ، وللشَّيْطَانِ لَمَةً ، فَلَمَّةُ الْمَلِكِ إِيعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالْحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَهَا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَلَمَةُ الشَّيْطَانِ إِيعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَهَا فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ ^(١) .

/ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ ، قَالَ : ثنا حمادُ بْنُ سَلَمَةَ ، قَالَ : ٨٩/٣ أَخْبَرَنَا عطاءُ بْنُ السائبِ ، عن مرّةٍ الهَمْدَانِيَّ ، أن ابْنَ مسعودٍ قَالَ : إِنَّ لِلْمَلِكِ لَمَةً ، وللشَّيْطَانِ لَمَةً ، فَلَمَّةُ الْمَلِكِ إِيعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالْحَقِّ ، وَلَمَةُ الشَّيْطَانِ إِيعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ ، فَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ لَمَةِ الْمَلِكِ شَيْئًا ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ لَمَةِ الشَّيْطَانِ شَيْئًا ^(٢) ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ . ثم تلا هذه الآية : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا سويدُ بْنُ نصيرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عن فطيرٍ ، عن

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٠٩ ، وأخرجه ابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير ٤/ ٧٥ من طريق الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن مسعود مرفوعاً نحوه .

(٢) سقط من : الأصل .

المسيب بن رافع ، عن عامر بن عبدة ، عن عبد الله بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جريز ، عن عطاء ، عن مرة بن شراحيل ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إن للشيطان لمة ، وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فتكذيب بالحق وإيعاذ بالشر ، وأما لمة الملك فإيعاذ بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، وليحمد الله عليه ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان [٥٢/٨] الرجيم . ثم قرأ : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بذلك : والله واسع الفضل ^(١) الذى يعدكم أن يعطيكموه من فضله وسعة خزائنه ، عليم بنفقاتكم وصدقاتكم التى تُنفقون وتصدقون بها ، يُخصيها لكم حتى يجازيكم بها عند مقدّمكم عليه فى آخرتكم .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : يُؤْتى الله الإصابتة فى القول والفعل من يشاء من عباده ، ومن يُؤْتى الإصابتة فى ذلك منهم فقد أُوتى خيراً كثيراً .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : الحكمة التى ذكرها الله تبارك وتعالى فى هذا الموضع هى القرآن والفقه به .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن

(١) فى الأصل : « للفضل » .

ابن عباس في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: يعنى المعرفة بالقرآن؛ ناسخه ومنسوخه، ومُحكّمه ومتشابهه، ومُقدّمه ومؤخّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله^(١).

حدّثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾. قال: الحكمة القرآن والفقه في القرآن^(٢).

/حدّثنا بشر بن معاذ، [٥٢/٨] قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن ٩٠/٣ قتادة قوله: ﴿يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: والحكمة الفقه في القرآن^(٣).

حدّثني محمد بن عبد الله الهلالى، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا مهدي بن ميمون، قال: ثنا شعيب بن الحبحاب، عن أبي العالية: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. قال: الكتاب والفهم به^(٤).

حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد قوله: ﴿يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ الآية. قال: ليست بالنبوة، ولكنه القرآن والعلم والفقه^(٥).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣١/٢ (٢٨٢٢) والنحاس في ناسخه ص ٥٠ من طريق عبد الله بن صالح به. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى ابن المنذر.

(٢) تفسير عبد الرزاق ١٠٩/١.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى عبد بن حميد.

(٤) فى م: «فيه».

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤٧٦/١، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى المصنف.

(٥) أخرجه ابن أبى شعبة ٢٣١/٧، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣١/٢ (٢٨٢٣)، والخطيب فى الفقيه والمتفقه (١٠٦) من طريق جرير به، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ٢٩٢/٣، والخطيب (١٠٥، ١٠٧) من طريق ليث به.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسين ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قَالَ : قَالَ :
ابن عباس : الفقه في القرآن ^(١) .

وقال آخرون : معنى الحكمة الإصابة في القول والفعل .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنَا ابْنُ بشار ، قَالَ : ثنا عبد الرحمن ، قَالَ : ثنا سفيان ، عن ابن أبي
نجيح ، قَالَ : سَمِعْتُ مجاهدًا قَالَ : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾ . قَالَ :
الإصابة ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عمرو ، قَالَ : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ،
عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . قَالَ : يُؤْتَى
إصابته من يشاء ^(٣) .

وَحَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أبو حذيفة ، قَالَ : ثنا شبلى ، عن ابن أبي نجيح ، عن
مجاهد : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . قَالَ : الكتاب ، يُؤْتَى إصابته ^(٤) مِنْ
يشاء ^(٥) .

وقال آخرون : هي العلم بالدين .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : الْحِكْمَةُ الْعَقْلُ فِي

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٢/٢ (٢٨٢٥) من طريق سفيان به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٥ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٤ - ٤) سقط من : م .

الدين . وقرأ : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ^(١) .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قلت لمالك : ما الحكمة ؟ قال : المعرفة بالدين ، والفقه فيه ، والاتباع له .
وقال آخرون : الحكمة الفهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، قال : ^(٢) هو الفهم . يعني ^(٣) الحكمة .
وقال آخرون : هي الخشية .

ذكر من قال ذلك [٥٣/٨]

/حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ٩١/٣ في قوله : ﴿ يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾ الآية . قال : الحكمة الخشية ؛ لأن رأس كل شيء خشية الله . وقرأ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(٤) [فاطر : ٢٨] .

وقال آخرون : هي النبوة .

(١) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ٣ : « حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الحكمة العقل » .
وتقدم هذا الأثر والأثر بعده في ٥٧٦/٢ .
(٢ - ٢) في م : « الحكمة هي الفهم » .
(٣) في ص ، ت ١ : « بمعنى » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٢/٢ (٢٨٢٦) من طريق سفيان به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣١/٢ (٢٨٢٤) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤٧٦/١ عن أبي العالية ، وذكره القرطبي في تفسيره ٣٣٠/٣ عن الربيع مختصراً بلفظ : الحكمة الخشية .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي قوله : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾ الآية . قال : الحكمة هي النبوة ^(١) .

وقد بينا فيما مضى معنى « الحكمة » ، وأنها مأخوذة من الحكم وفصل القضاء ، وأنها الإصابة ، بما دلّ على صحّته ، فأغنى ذلك عن تكريره في هذا الموضع ^(٢) .

وإذا كان ذلك ^(٣) معناه ، كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك ، داخلا فيما قلنا من ذلك ؛ لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة ، وإذا كان ذلك كذلك ، كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره ، فهما خاشيا لله ، فقيها عالما ، وكانت النبوة من أقسامه ؛ لأن الأنبياء مُسَدَّدُونَ مُفَهَّمُونَ مُوَفَّقُونَ لإصابة الصواب في الأمور ، فالنبوة بعض معاني الحكمة .

فتأويل الكلام : يُؤْتِي اللَّهُ إصَابَةَ الصَّوَابِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ ذَلِكَ فَقَدْ آتَاهُ خَيْرًا كَثِيرًا .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بذلك : وما يتعظّ بما وعظه به ربّه في هذه الآيات التي وعظ فيها المُتَنَفِّقِينَ أَمْوَالَهُمْ ، بما ^(٤) وعظّهم به وغيرهم ^(٥) فيها وفي غيرها من أي كتابه ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٢/٢ (٢٨٢٨) من طريق عمرو به .

(٢) ينظر ما تقدم في ٥٧٧/٢ .

(٣) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « كذلك » .

(٤ - ٥) في م « وعظ به غيرهم » .

فَيَذَكِّرْهُ وَعِدَهُ وَوَعِيدَهُ فِيهَا ، فَيَنْزِجُ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ رَبُّهُ ، وَيُطِيعُهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ ﴿٢٦٩﴾ إِلَّا
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ . يَعْنِي : [٥٣/٨ ظ] إِلَّا أُولَ الْعُقُولِ الَّذِينَ عَقَلُوا عَنْ اللَّهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ .
فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الْمَوَاعِظَ غَيْرُ نَافِعَةٍ إِلَّا أُولَى الْحِجَابِ وَالْحُلُومِ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ غَيْرُ
نَافِعٍ إِلَّا أَهْلَ التَّهَيُّ وَالْعُقُولِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ
نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٢٧٠) .

يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ : وَأَيُّ نَفَقَةٍ أَنْفَقْتُمْ . يَعْنِي : أَيُّ صَدَقَةٍ تَصَدَّقْتُمْ ، أَوْ أَيُّ
نَذْرٍ نَذَرْتُمْ . يَعْنِي بِالنَّذْرِ مَا أَوْجَبَهُ الْمَرْءُ عَلَى نَفْسِهِ ، تَبَرُّرًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَتَقَرُّبًا بِهِ إِلَيْهِ
مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَمَلٍ خَيْرٍ ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ أَيُّ : إِنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ يَعْلَمُ اللَّهُ ، لَا يُعْزُبُ
عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّهُ يُخَصِّصُهُ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ ،
حَتَّى يُجَازِيَ^(١) جَمِيعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ ، فَمَنْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ مِنْكُمْ وَصَدَقَتُهُ وَنَذْرُهُ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيَّتًا مِنْ نَفْسِهِ ، جَازَاهُ بِالذِّى وَعَدَهُ مِنَ التَّضْعِيفِ ، وَمَنْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ
وَصَدَقَتُهُ رِيَاءَ النَّاسِ ، وَنَذْرُهُ لِلشَّيْطَانِ ، جَازَاهُ بِالذِّى أَوْعَدَهُ مِنَ الْعِقَابِ وَالْإِلِيمِ الْعَذَابِ .

/ كَالَّذِي حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ ٩٢/٣
أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ
مِنْ نَذْرٍ﴾ . قَالَ^(٢) : فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَيُخَصِّصُهَا^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُتَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حَذِيفَةَ ، قَالَ : ثنا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

(١) فِي ص . م . ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ « يُجَازِيكُمْ » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : م .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٣٥/٢ (٢٨٤١) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي

الدَّر المنثور ٣٥٠/١ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

ثم أُوْعِدَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ من كانت نفقته رياءً ، ونذوره طاعةً للشيطان ، فقال : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ . يعنى : وما لمن أنفق ماله رياءً الناس وفى معصية الله ، وكانت نذوره للشيطان وفى طاعته ، ﴿ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ وهم جمع نصير ، كما الأشراف جمع شريف .

ويعنى بقوله : ﴿ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ : مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فيدفع عنهم عقابه يومئذ بقوة وشدة بطش ، ولا بفدية^(١) ولا حيلة^(٢) .

وقد دللنا على أن الظالم هو الواضع الشيء فى غير موضعه^(٣) ، وإنما سُمى الله المنفق ماله رياءً الناس ، والناذر فى غير طاعته ظالماً ؛ لوضعه إنفاق ماله فى غير موضعه ، ونذره فى غير ما له وضعه فيه ، فكان ذلك ظلمه .

فإن قال قائل : فكيف قال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُكُمْ ﴾ . ولم يقل : يعلمهما . وقد ذكر النذر والنفقة ؟

قيل : إنما قال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُكُمْ ﴾ لأنه أراد : فإن الله يعلم ما أنفقتم [٥٤/٨] أو نذرتم . فلذلك وُحِدَ الكناية .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٧٧) .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ ﴾ : إِنْ تُغْلَتْ الصَّدَقَاتِ ، فتعطوها من تصدقتم بها عليه ، ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ . يقول : فنعمة الشيء هى ، ﴿ وَإِنْ تُخْفُوهَا ﴾ . يقول : وإن تشتروها فلم تغلونها ، ﴿ وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ ﴾ . يعنى :

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٥٥٩/١ ، ٥٦٠ .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فلن » .

وتعطوها الفقراء في السر، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ . يقول : فإخفاؤكم إيّاها خير لكم من إعلانها ، وذلك في صدقة التطوع .

كما حدّثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة قوله : ﴿إِنْ بُدُّوا أَلَصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ : كلّ مقبول إذا كانت النية صادقة ، وصدقة السرّ أفضل ، وذكر لنا أنّ الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار^(١) .

حدّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿إِنْ بُدُّوا أَلَصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ . قال : كلّ مقبول إذا كانت النية صادقة ، والصدقة في السرّ أفضل . وكان يقول : إنّ الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار^(٢) .

حدّثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿إِنْ بُدُّوا أَلَصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ : فجعل الله صدقة السرّ في التطوع تفضل علانيّتها بسبعين ضعفاً ، وجعل صدقة الفريضة علانيّتها أفضل من سرّها . يقال : بخمسة وعشرين ضعفاً ، وكذلك جميع الفرائض والنوافل و^(٣) الأشياء كلّها^(٤) .

/حدّثني عبد الله بن محمد الحنفى ، قال : ثنا عبد الله بن عثمان ، قال : أخبرنا ٩٣/٣

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٥٣ إلى المصنف وعبد بن حميد . وقوله : الصدقة تطفئ الخطيئة ... أخرجه الترمذى (٦١٤) مرفوعاً من حديث كعب بن عجرة ، وينظر ما أخرجه أحمد (٣٣٢/٢٢) (١٤٤١) من حديث جابر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٣٧ (٢٨٤٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) فى الأصل ، م : « فى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٣٦ (٢٨٤٧) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٥٣ إلى ابن المنذر .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَفِيَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ . قَالَ : يَقُولُ : هُوَ سَوَى الزَّكَاةِ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّمَا عَنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ : ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ : إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِينَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَنِعِمَّا هِيَ ، وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا فَقَرَاءَهُمْ ، فَهُوَ خَيْرٌ [٥٤/٨ ظ] لَكُمْ . قَالُوا : وَأَمَّا مَا أُعْطِيَ فَقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ زَكَاةٍ وَصَدَقَةٍ تَطَوُّعٍ ، فَاخْفَاؤُهُ أَفْضَلُ مِنْ إِعْلَانِهِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي حَبِيبٍ يَقُولُ : إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فِي الصَّدَقَةِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ^(٢) .

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَثْمَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهِيْعَةَ ، قَالَ : كَانَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ يَأْمُرُ بِقَسْمِ الزَّكَاةِ فِي السَّرِّ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَحَبُّ أَنْ تُعْطَى فِي الْعِلَانِيَةِ . يَعْنِي الزَّكَاةَ .

وَلَمْ يَخْصُصِ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ . ^(٣) "صَدَقَةٌ دُونَ صَدَقَةٍ" ، فَذَلِكَ عَلَى الْعُمُومِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ زَكَاةٍ وَاجِبَةٍ ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٦/٢ (٢٨٤٥) من طريق ابن المبارك به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٩/٢ (٢٨٦٣) عن يونس بن عبد الأعلى به .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

فَإِنَّ الْوَاجِبَ مِنَ الْفَرَائِضِ قَدْ أَجْمَعَ الْجَمِيعُ عَلَى أَنَّ الْفَضْلَ فِي إِعْلَانِهِ وَإِظْهَارِهِ ،
سوى الزكاة التي ذكرنا اختلافَ المختلفينَ فيها ، مع إجماعِ جميعهم على أنها
واجبة ، فحكمها في أن الفضلَ في أدائها علانيةً حكم سائرِ الفرائضِ غيرها .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ .

اختلفت القراءةُ في قراءة ذلك ؛ فزوى عن ابن عباس أنه كان يقرؤه : (وَتُكْفِّرُ
عنكم) بالتاء ^(١) . ومن قرأه كذلك ، فإنه يعنى به : وَتُكْفِّرُ الصَّدَقَاتُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ .

وقرأ آخرون : ﴿ وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ ﴾ . بالياء ^(٢) . بمعنى : وَيُكْفِّرُ اللَّهُ عَنْكُمْ
بصدقاتكم ، على ما ذكر في الآية من سيئاتكم .

وقرأ ذلك بعدُ عامةُ قراءِ أهلِ المدينة والكوفة والبصرة : (وَتُكْفِّرُ عَنْكُمْ) . بالنون
وجزَمَ الحرف ^(٣) ، بمعنى : وَإِنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوها الْفُقَرَاءَ ، نَكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ .
بمعنى مجازاة الله عز وجلَّ مُخْفِي الصَّدَقَةِ بِتَكْفِيرِ بَعْضِ سَيِّئَاتِهِ بِصَدَقَتِهِ الَّتِي أَخْفَاهَا .

وأولى القراءاتِ في ذلك عندنا بالصوابِ قراءةٌ من قرأ : (وَتُكْفِّرُ عَنْكُمْ) .
بالنون وجزَمَ الحرف ، على معنى الخبرِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يُجَازِي الْمَخْفِي
صَدَقَتَهُ التَطَوُّعَ ؛ ابتغاءً [٥٥/٨] وجهه من صدقته ، بتكفيرِ سيئاته . وإذا قرئ كذلك
فهو مجزومٌ على ^(٤) التَّنْقِي على موضعِ الفاءِ في قوله : ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . لأن
الفاءَ هنالك حَلَّتْ محلَّ جوابِ الجزاءِ .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف اخترتَ الجزمَ على التَّنْقِي على موضعِ الفاءِ ، وتركتَ

(١) ينظر البحر المحيط ٣٢٥/٢ ، وهي قراءة شاذة ، لم يقرأ بها أحد من العشرة .

(٢) وهي قراءة ابن عامر وحفص . حجة القراءات ص ١٤٨ .

(٣) وهي قراءة نافع وحزمة والكسائي ، ولم يذكر المصنف قراءة من قرأ بالنون ورفع الراء ، وهي قراءة ابن كثير
وأبي عمرو وأبي بكر . المصدر السابق ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ . (تفسير الطبري ٢/٥)

اختيارَ نَسَقِهِ على ما بعدَ الفاءِ ، وقد علمتُ أن الأَفْصَحَ من الكلامِ فى النَسَقِ على جوابِ الجزاءِ الرَفْعُ وإنما الجزمُ تجويزٌ ؟

قيل : اخترنا ذلك لِيُؤْذَنَ بجزمه أن التكفيرَ - أعنى تكفيرَ اللَّهِ مِنْ سيئاتِ الْمُتَصَدِّقِ - لا محالةً داخلٌ فيما وَعَدَ اللَّهُ / الْمُتَصَدِّقُ أن يُجَازِيَه به على صَدَقَتِهِ ؛ لأن ذلك إذا جزم مُؤْذَنٌ بما قلنا لا محالةً ، ولو رُفِعَ كان قد يَحْتَمَلُ أن يكونَ داخلاً فيما وَعَدَهُ اللَّهُ أن يُجَازِيَه به ، وأن يكونَ خبراً مستأنفاً ، أنه يكفِّرُ من سيئاتِ عبادِهِ المؤمنين ، على غيرِ المجازاةِ لهم بذلك على صدقاتِهِمْ ؛ لأن ما بعدَ الفاءِ فى جوابِ الجزاءِ استئنافٌ ، فالمعطوفُ على الخبرِ المستأنفِ فى حكمِ المعطوفِ عليه ، فى أنه مُستأنفٌ ^(١) غيرُ داخلٍ فى الجزاءِ ، ولذلك من العِلَّةِ اخترنا جزمَ (نُكْفَرُ) عطفًا به على موضعِ الفاءِ من قوله : ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ . وقراءته بالنون .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ دخولِ (مِنْ) فى قوله : (وَنُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ) ؟ قيل : وجهُ دخولها فى ذلك بمعنى : وَنُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ما نشاءُ تكفيره منها دونَ جميعِها ؛ ليكونَ العبادُ على وَجَلٍ من اللَّهِ فلا يَتَكَلَّبُوا على وعده ما وَعَدَ على الصدقاتِ التى يُخْفِيها المُتَصَدِّقُ ، فيَجْتَرِئُوا على حدودِهِ ومعاصِيهِ .

وقد قال بعضُ نحوِيِّى البصرة : معنى ﴿ مِّن ﴾ الإسقاطُ فى هذا الموضعِ . وتأوَّلَ معنى ذلك : وَنُكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ .

القولُ فى تأويلِ قوله جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

يعنى بذلك جَلَّ ثَنَاهُ : وَاللَّهُ بما تعملون فى صدقاتِكُمْ ، من إخفايها وإعلانِ وإسرارِ بها وجهارٍ ، وفى غيرِ ذلك من أَعْمَالِكُمْ ، ﴿ خَبِيرٌ ﴾ يعنى بذلك : ذو خبرَةٍ وعِلْمٍ ، [٥٥/٨] لا يَخْفَى عليه شَيْءٌ مِنْ ذلك ، فهو بجمعيهِ محيطٌ ، ولكلِّهِ محصٍ

على أهلِهِ ، حتى يوفِّيهم ثوابَ جميعِهِ ، وجزاءَ قليلِهِ وكثيرِهِ .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِن خَيْرٍ فَلَا يُنْفِقُكُمْ وَلَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِن خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٧٢) .

يعنى تعالى ذكره بذلك : ليس عليك يا محمد هدى المشركين إلى الإسلام ، فتمنعهم الصدقة التطوع ، ولا تعطيتهم منها ؛ ليدخلوا في الإسلام حاجةً منهم إليها ، ولكنَّ الله هو يَهْدِي مَن يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ إلى الإسلام فيوفِّقهم له ، فلا تمنعهم الصدقة .

كما حدَّثنا أبو كُريب ، قال : ثنا ابنُ يَمَانٍ ، عن أَشْعَثَ ، عن جعفرٍ ، عن سعيد^(١) ، قال : كان النبي ﷺ لا يتصدَّقُ على المشركين ، فنزلت : ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ . فتصدَّق عليهم^(٢) .

حدَّثنا أبو كُريب ، قال : ثنا أبو داود ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابنِ عباس ، قال : كانوا لا يَرْضَحُونَ^(٣) لقربائهم من المشركين ، فنزلت : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾^(٤) .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجلٍ ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : كانوا يَتَّقُونَ أن يَرْضَحُوا لقربائهم من المشركين حتى نزلت : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ .

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « شعبة » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) الرضخ : العطية القليلة . اللسان (ر ض خ) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٧/٢ (٢٨٥٢) من طريق أبي داود به ، وأخرجه النسائي في الكبرى

(١١٠٥٢) ، والطبراني (١٢٤٥٣) ، والحاكم ٢/٢٨٥ ، والبيهقي ٤/١٩١ ، من طريق سفيان به ، وعزاه

السيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والضياء .

/حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَأَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَا : ثنا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : ثنا
سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ،
قال : كانوا لا يَرْضَخُونَ لِأَنْسِبَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فنزلت : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ
وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ الآية . فرخص لهم ^(١) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا سُويْدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عن سفيان ، عن
الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان أناسٌ
من الأنصارِ لهم أنسابٌ وقراةٌ من قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ ، وكانوا يَتَّقُونَ أَنْ يَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِمْ ،
وَيُرِيدُونَهُمْ أَنْ يُسْلِمُوا ، فنزلت : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ الآية ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ
أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا : أَنْتَصِدِّقْ عَلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينِنَا ؟ [٥٦/٨] فَأَنْزَلَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن
الربيع في قوله : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ .
قال : كان الرجلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَرَابَةٌ وَهُوَ
مُحْتَاجٌ ، فَلَا يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ ، يَقُولُ : لَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينِي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَيْسَ
عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ الآية ^(٤) .

حَدَّثَنِي ^(٥) مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عن

(١) أخرجه البزار (٢١٩٣ - كشف) ، والحاكم ١٥٦/٤ من طريق أبي أحمد الزيري به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى المصنف .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤ - ٥) في ص ، م : « محمد » .

السُّدِّيُّ قَوْلَهُ : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِن خَيْرٍ فَلَأَنفُسِكُمْ﴾ : أَمَّا ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ فيغني المشركون ، وأما النفقة فبين أهلها ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحِمَّانِيُّ ، قَالَ : ثنا يَعْقُوبُ الْقُمِّيُّ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمَغِيرَةِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، قَالَ : كَانُوا يَتَصَدَّقُونَ ^(٢) عَلَى فَقَرَاءِ أَهْلِ الذَّمِّ ، فَلَمَّا كَثُرَ فَقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ ، قَالُوا : لَا نُعْطِيهَا إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ، فَنَزَلَتْ : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ . قَالَ : فَكَانُوا بَعْدُ يُعْطُونَهُمْ ^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ . قَالَ : يَقُولُ : إِنَّمَا لَهَا ثَوَابُ نَفَقَتِهَا ، وَلَيْسَ لَهَا مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ ، لَوْ كَانَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ ، إِنَّمَا لَهَا أَجْرُ نَفَقَتِهَا ، وَلَا تُسْأَلُ عَمَّنْ تَرِيدُ تَضَعُ نَفَقَتَهَا فِيهِ ، فَلَيْسَ لَهَا مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ ، إِنَّمَا لَهَا ثَوَابُ نَفَقَتِهَا ، ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، عَنْ أَشْعَثَ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمَغِيرَةِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَصَدَّقُوا إِلَّا عَلَى أَهْلِ دِينِكُمْ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ الآية إلى قوله : ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٨/٢ (٢٨٥٦) من طريق عمرو به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى ابن المنذر .

(٢ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى ابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ١٧٧/٣ عن جرير به .

^{١)} وأما قوله : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنفُسِكُمْ ﴾ . فإنه يعنى جل ثناؤه : وما تصدقون به من مال - والمال هو الخير الذى ذكره الله جل ثناؤه فى هذه الآية . وقوله : ﴿ فَلَأَنفُسِكُمْ ﴾ تنفقون ؛ ليكون لكم ذخراً عند الحاجة إليه فى معادكم . وأما قوله : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ فإنه يعنى جل جلاله : وما تصدقوا به من مال فإنكم تُوفونّه ، فيرجع إليكم جزاؤه تاماً وافياً ، فلا تمثنوا على أحد بما تصدقتم به عليه ، ولا تمتنعوا من إعطائها من امتنعتم من إعطائه إياها من مشركى أهل الكتاب وغيرهم من أهل الإسلام ، فإنكم لا تظلمون أجرها فتُبَحِّشوه ، ولا تُثَقِّصونه ، بل على الله أن [٥٦/٨ ظ] يوفّيكم أجوركم وجزاءكم عليها ^{١)} .

كما حدّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زبيد فى قوله : ﴿ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ . قال : هو مردود عليك ، فما لك ولهذا تؤذيه وتمنّ عليه ؟ إنما نفقتك لنفسك ، وابتغاء وجه الله ، والله يجزيك ^(٢) .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

٩٦/٣ /أما قوله : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . فبيان من الله تعالى ذكره عن سبيل النفقة ووجهها . ومعنى الكلام : وما تُنْفِقُوا من خير فلا أنفسكم ، تُنْفِقُونَ للفقراء الذين أُحْصِرُوا فى سبيلِ الله .

واللام التى فى « الفقراء » مردودة على موضع اللام من قوله : ﴿ فَلَأَنفُسِكُمْ ﴾ . كأنه قال : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ ﴾ يعنى به : وما تصدقوا به من مال للفقراء الذين أُحْصِرُوا فى سبيلِ الله . فلما اعترض فى الكلام بقوله : ﴿ فَلَأَنفُسِكُمْ ﴾ . فأدخل الفاء التى هى جواب الجزاء فيه ، تُركت إعادتها فى قوله :

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٥٧ ، ٣٥٨ إلى المصنف .

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ . إذ كان الكلام مفهوماً معناه .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله :
﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَلَا تُنْسِكُمْ﴾ : أمّا ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ . فيعني المشركين ، وأمّا النفقة فيبين
أهلها ، فقال : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١) .

وقيل : إنّ هؤلاء الفقراء الذين ذكرهم الله في هذه الآية هم فقراء المهاجرين
خاصّة^(٢) دون غيرهم من الفقراء .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ،
عن مجاهد في قوله : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ :
مهاجري قريش بالمدينة مع النبي ﷺ ، أمر بالصدقة عليهم^(٣) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قوله :
﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية . قال : هم فقراء
المهاجرين بالمدينة^(٤) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿لِلْفُقَرَاءِ
الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . قال : فقراء المهاجرين^(٥) .

(١) تقدم تخريجه في ص ٢١ .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عامة » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٥ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤٠/٢ (٢٨٦٥) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٨/١ إلى المصنف من قول الربيع .

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٢/٢٦١ ، وتفسير القرطبي ٣/٣٩٩ .

[٥٧/٨] القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : الذين جعلهم جهادهم عدوهم يُحْصِرُونَ أنفسهم ، فيحسبونها عن التصرف ، فلا يستطيعون تصرفاً .

وقد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى الإحصارِ تصييرُ الرجلِ المُحصَرِ مرضه أو فاقته أو جهاده عدوه ، وغير ذلك من علله ، إلى حالةٍ يحبس فيها نفسه عن التصرف في أسبابه ، بما فيه الكفاية فيما مضى قبل^(١) .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . قال : حصروا أنفسهم في سبيل الله للغزو^(٢) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . قال : كانت الأرض كلها كفراً ، لا يستطيع أحد أن يخرج يتبعي من فضل الله ، فإذا خرج / خرج في كفر . وقيل : كانت الأرض كلها حرباً على أهل هذا البلد ، وكانوا لا يتوجهون جهة إلا لهم فيها عدو ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي

٩٧/٣

(١) ينظر ما تقدم في ٣٤٢/٣ وما بعدها .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٠٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤٠/٢ (٢٨٦٧) عن الحسن بن يحيى به .

سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١﴾ . الآية . كانوا ههنا فى سبيلِ اللَّهِ ^(١) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذين حَصَرَهُمُ المشركون فمَنَعُوهم التصرف .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ : حَصَرَهُمُ المشركون فى المدينة ^(٢) .

ولو كان تأويلُ الآية على ما تأوله السُّدِّى ، لكان الكلامُ : للفقراءِ الذين حُصِرُوا فى سبيلِ اللَّهِ . ولكنه ﴿أُحْصِرُوا﴾ . فدلَّ ذلك على أن خوفَهُمُ من العدوِّ الذى صيَّرَهُمْ لاءِ الفقراءِ إلى الحالِ التى حَبَسُوا - وهم فى سبيلِ اللَّهِ - [٥٧/٨ ظ] أنفسهم ، لا أن العدوَّ هم كانوا الحائِسينَهم ، وإنما يقالُ لمن حَبَسَهُ العدوُّ : حَصَرَهُ العدوُّ . وإذا كان الرجلُ المُحْبَسُ من خوفِ العدوِّ ، قيل : أُحْصِرَهُ خوفُ العدوِّ . القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ . يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : لا يستطيعون تَقَلُّبًا فى الأرضِ ، وسفراً فى البلادِ ؛ ابتغاءَ المعاشِ ، وطلبَ المكاسبِ ، فيستغنوا به ^(٣) عن الصدقاتِ ، رهبةَ العدوِّ ، وخوفاً على أنفسهم منهم .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٨/١ إلى المصنف إلى قوله : خرج فى كفر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٠/٢ (٢٨٦٨) من طريق عمرو به .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ : حصروا^(١) أنفسهم في سبيل الله للغزو^(٢) ، فلا يستطيعون تجارة^(٣) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني : التجارة^(٤) .

وحدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ : كان أحدهم لا يستطيع أن يخرج بيتي من فضل الله^(٥) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ .

يعنى بذلك : يحسبهم الجاهل بأمرهم وحالهم أغنياء من تعففهم عن المسألة ، وتركهم التعرض لما في أيدي الناس ؛ صبرا منهم على البأساء والضراء .

كما حدثنا^(٦) بشر بن معاذ ، قال : حدثنا^(٧) يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ ﴾ . يقول : يحسبهم الجاهل بأمرهم أغنياء من التعفف .

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت : « حبسوا » .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت : « للعدو » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١ / ١٠٩ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١ / ٣٥٨ إلى المصنف .

(٥) تقدم في ص ٢٤ .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت .

ويعنى بقوله : ﴿ مِنْ التَّعَفُّفِ ﴾ : من ترك مسألة الناس ، وهو « التفعُّل » من العفة عن الشيء ، والعفة عن الشيء تركه ، كما قال زُوبَةُ^(١) :
فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ الْعَسَقِ^(٢)

يعنى : ترك^(٣) وتجنَّب .

[٥٨/٨] القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : تعرفهم يا محمد ﴿ بِسِيمَاهُمْ ﴾ ، يعنى : بعلامتهم وآثارهم ، من قول الله عز وجل : / ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [٩٨/٣ الفتح : ٢٩] . وهذه لغة قريش ، ومن العرب من يقول : بسيمائهم . فيمدها ، وأما ثقيف وبعض أسد فإنهم يقولون : بسيمائهم ، ومن ذلك قول الشاعر^(٤) .

غُلامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعًا لَهُ سِيمَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ
وقد اختلف أهل التأويل فى السِّمَا التى أخبر الله جل ثناؤه أنها لهؤلاء الفقراء الذين وصف^(٥) صفتهم ، وأنهم يُعرفون بها ؛ فقال بعضهم : هو التخشُّع والتواضع .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ،

(١) تقدم البيت فى ٢٧٩/٤ .

(٢) فى ص ، م : « الغسق » ، وفى ت ٢ : « العشق » .

(٣) فى ص ، م ، ت ٢ ، « برئ » ، وفى ت ١ : « يروى » .

(٤) هو ابن عطاء الفزارى ، والبيت فى الكامل ٢٢/١ ، وأمالى القالى ٢٣٧/١ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى

ص ٢٣٨ ، والأغانى ٢٠٨/١٩ .

(٥) فى ص ، م ، ت ٢ : « وصفت » .

عن مجاهد في قوله : ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ . قال : التَّخَشُّعُ ^(١) .
وَحَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن
مجاهد مثله .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، ^(٢) قال : حدثنا إسحاق ^(٣) ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
ليث ، قال : كان مجاهد يقول : هو التَّخَشُّعُ .
وقال آخرون : يعنى بذلك : تعرفهم بسيما الفقر وجهد الحاجة في
وجوههم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدِّي : [٥٨/٨ ط]
﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ : بسيما الفقر عليهم ^(٣) .
حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع
في قوله : ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ . يقول : تعرف في وجوههم الجهد من
الحاجة ^(٤) .

وقال آخرون : يعنى بذلك : تعرفهم بثرثثة ثيابهم . وقالوا : الجوع خفي .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٥ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤١/٢ (٢٨٧٢) ، وأخرجه عبد الرزاق
في تفسيره ١٠٩/١ عن معمر ، عن مجاهد .

(٢-٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، وفي الأصل : « قال : حدثنا أبو إسحاق » . وهو إسناد
دائر ، وتقدم على الصواب في ص ٢٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤١/٢ (٢٨٧٣) من طريق عمرو به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤١/٢ (٢٨٧٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

ذَكُرْ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ ﴾ . قَالَ : السِّيمَا : رِثَاةُ ثِيَابِهِمْ ، وَالْجَوْعُ خَفِيُّ عَلَى النَّاسِ ، وَلَمْ تَسْتَطِعِ الثِّيَابُ الَّتِي يَخْرُجُونَ فِيهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ ^(١) .

وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّهُ يَعْرِفُهُمْ بَعَلَامَاتِهِمْ وَأَثَارِ الْحَاجَةِ فِيهِمْ ، وَإِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُدْرِكُ تِلْكَ الْعَلَامَاتِ وَالْآثَارَ مِنْهُمْ عِنْدَ الْمَشَاهِدَةِ بِالْعِيَانِ ، فَيَعْرِفُهُمْ وَأَصْحَابُهُ بِهَا ، كَمَا يُدْرِكُ الْمَرِيضُ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مَرِيضٌ بِالْمَعَايِنَةِ .

وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ السِّيمَا كَانَتْ تَخْشَعًا مِنْهُمْ ، وَأَنْ تَكُونَ كَانَتْ أَثَرِ الْحَاجَةِ وَالضَّرِّ ، وَأَنْ تَكُونَ كَانَتْ رِثَاةَ الثِّيَابِ ، وَأَنْ تَكُونَ كَانَتْ جَمِيعَ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا تُدْرِكُ عِلَامَاتُ الْحَاجَةِ وَأَثَارُ الضَّرِّ فِي الْإِنْسَانِ ، وَيُعْلَمُ / أَنَّهَا مِنَ الْحَاجَةِ وَالضَّرِّ ، ٩٩/٣ بِالْمَعَايِنَةِ دُونَ الْوَصْفِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَرِيضَ قَدْ يَصِيرُ بِهِ فِي بَعْضِ أَحْوَالِ مَرَضِهِ مِنَ الْمَرَضِ ، نَظِيرُ أَثَارِ الْمَجْهُودِ مِنَ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ ، وَقَدْ يَلْبَسُ الْغَنِيُّ ذُو الْمَالِ الْكَثِيرِ الثِّيَابَ الرَّثَّةَ ، فَيَتَرَيَّا بَزْيَ أَهْلِ الْحَاجَةِ ، فَلَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ دَلَالَةٌ بِالْصِفَةِ عَلَى أَنَّ الْمَوْصُوفَ بِهِ مَخْتَلٌ ذُو فَاقَةٍ ، وَإِنَّمَا يُدْرِكُ ^(٢) ذَلِكَ عِنْدَ الْمَعَايِنَةِ بِسِيمَاهُ ، ^(٣) كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، نَظِيرُ مَا يُعْرِفُ الْمَرِيضُ بِأَنَّهُ مَرِيضٌ ^(٤) عِنْدَ الْمَعَايِنَةِ ، دُونَ وَصْفِهِ بِصِفَتِهِ .

[٩٩/٨] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا ﴾ .

^(٤) يَعْنِي جَلَّ ثَنَاهُ بِذَلِكَ : لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا . يَقَالُ : قَدْ أَلْحَفَ السَّائِلُ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٨/١ إلى المصنف .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يدرى » .

(٣ - ٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « كما وصفهم الله نظير ما يعرف أنه مريض » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

فى مسأليته ، إذا ألح ، فهو يلحِف فيها إلحافًا .

فإن قال قائل : أفكان هؤلاء القوم يسألون الناس غير إلحاف ؟

قيل : غير جائز أن يكونوا كانوا يسألون الناس شيئًا على وجه الصدقة إلحافًا " وغير إلحاف " ، وذلك أن الله عز وجل وصفهم بأنهم كانوا أهل تعقّف ، وأنهم إنما كانوا يعرفون بسيماهم ، فلو كانت المسألة من شأنهم لم تكن صفتهم التعقّف ، ولم ^(٢) تكن بالنبي ﷺ إلى معرفتهم بالأدلة والعلامات حاجة ، إذ كانت ^(٣) المسألة الظاهرة تُثبّي على حالهم وأمرهم .

وفى الخبر الذى حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ابن أبى غروبة ، عن قتادة ، عن هلال بن حصن ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : أعوذنا مرة ، فقيل لى : لو أتيت رسول الله ﷺ فسألت . فانطلقت إليه مُعِنًا ^(٤) ، فكان أول ما واجهنى به . « من استعفّ أعفّه الله ، ومن استغنى أغناه الله ، ومن سألنا لم نُدخِرْ عنه شيئًا نجده » . قال : فرجعت إلى نفسى ، فقلت : ألا أستعِفُّ فيُعَفَّنى الله ! فرجعت ، فما سألت رسول الله ﷺ شيئًا بعد ذلك من أمر حاجة ، حتى مالت علينا الدنيا ففرقتنا ، إلا من عصم الله ^(٥) . - الدلالة الواضحة على أن التعقّف معنى ينفى معنى المسألة من الشخص الواحد ، وأن من كان موصوفًا بالتعقّف ، فغير موصوفٍ بالمسألة إلحافًا " وغير إلحاف " .

(١ - ١) كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : « ولا غير إلحاف » . ينظر معانى القرآن للقرآن ١ / ١٨١ ، وما سيأتى فى الصفحة التالية .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ولم يكن بالنبي ﷺ إلى علم معرفتهم بالأدلة » ، وكذا فى م ، وزاد : « والعلامة حاجة وكانت » .

(٣) أى : مسرعا . النهاية ٣ / ٣١٠ .

(٤) أخرجه الطحاوى فى شرح معانى الآثار ١٦ / ٢ من طريق يزيد به ، وأخرجه أبو يعلى (١١٢٩ ، ١٢٦٧) من طريق قتادة به ، وأخرجه أحمد ٤٨٨ / ١٧ (١١٤٠١) من طريق هلال به .

فإن قال قائلٌ : فإن كان الأمرُ على ما وصفتَ ، فما وجهُ قوله : ﴿ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ الْحَقَّاءُ ﴾ . وهم لا يسألون الناسَ إلحافًا ولا^(١) غيرَ إلحافٍ ؟ قيل له : وجهُ ذلك أن الله تعالى ذكره لما وصفهم بالتعففِ ، وعرفَ عباده أنهم ليسوا أهلَ مسألةٍ بحالٍ ، بقوله : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ . وأنهم إنما يُعرفون بالسيما ، زاد عباده إبانةً لأمرهم ، وحسنَ ثناءٍ عليهم ، بنفيِ الشرِّه والضَّرَاعَةِ التي تكونُ في الملَّحِينَ من السُّؤالِ عنهم ،^(٢) وقد كان بعضُ القائلين يقولُ في ذلك : هو نظيرُ قولِ القائلِ^(٣) : قلَّما رأيتُ مثلَ فلانٍ . ولعله [٥٩/٨ ظ] لم يرَ مثله أحدًا ولا له^(١) نظيرًا .

وبنحوِ الذي قلنا في معنى « الإلحافِ » قال أهلُ التأويلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ الْحَقَّاءُ ﴾ . قال : لا يُلْحِفُونَ في المسألةِ .

/ وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ الْحَقَّاءُ ﴾ : هو الذي يُلْحِفُ في المسألةِ^(٣) .

وحدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ الْحَقَّاءُ ﴾ : ذُكِرَ لنا أن نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقولُ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَلِيمَ

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢ - ٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وقال كاد بعض القائلين يقول في ذلك نظير قول القائل » . وفي م : « وقال كان بعض القائلين يقول في ذلك نظير قول القائل » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٩/١ إلى المصنف .

الْحَيِّ^(١) الْغَنِيِّ الْمَتَّعِفِ ، وَيُبَغِّضُ الْغَنَى الْفَاحِشَ الْبَذَى السَّائِلَ الْمُلْحِفَ^(٢) .
 قال : وَذِكْرُ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا ؛ ^(٣) قِيلَ وَقَالَ^(٤) ،
 وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ^(٥) . فَإِذَا شِئْتَ رَأَيْتَهُ فِي قِيلَ وَقَالَ يَوْمَهُ أَجْمَعَ وَصَدَرَ
 لَيْلَتِهِ ، حَتَّى يُلْقَى جِيفَةً عَلَى فِرَاشِهِ ، لَا يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ مِنْ نَهَارِهِ وَلَا لَيْلَتِهِ نَصِيبًا ،
 وَإِذَا شِئْتَ رَأَيْتَهُ ذَا مَالٍ يُنْفِقُهُ^(٦) فِي شَهْوَتِهِ وَلَذَّاتِهِ وَمَلَاعِيهِ ، وَيَعْدِلُهُ عَنْ حَقِّ
 اللَّهِ ، ^(٧) وَكَثُرَتْ بَتْلُكَ^(٨) إِضَاعَةُ الْمَالِ ، وَإِذَا شِئْتَ رَأَيْتَهُ بَاسِطًا ذِرَاعِيهِ ، يَسْأَلُ النَّاسَ
 فِي كَفِّهِ ، فَإِنْ أُعْطِيَ أَفْرَطَ فِي حَمْدِهِمْ^(٩) ، وَإِنْ مُنِعَ أَفْرَطَ فِي ذَمِّهِمْ .

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ أَيْمَنَ بْنِ نَابِلٍ* ،
 قَالَ : حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ سُؤَيْدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : « لَيْسَ الْمَسْكِينُ بِالطَّوَّافِ الَّذِي
 تَرُدُّهُ الْأَكْلَةُ وَالْأَكْلَتَانِ ، وَلَكِنَّ الْمَسْكِينِ الْمَتَّعِفُ فِي بَيْتِهِ ، لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا ، تُصِيبُهُ
 الْحَاجَةُ » . اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾^(١٠) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ
 عَلِيمٌ ﴾^(١١) .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٥٩ ، ٣٦٣ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣ - ٣) في الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قِيلَا وَقَالَا » .

(٤) وأصل الحديث عند البخاري (١٤٧٧) ، ومسلم (١٧١٥) من حديث المغيرة ابن شعبة .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٦ - ٦) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وَكَثُرَتْ بِذَلِكَ » ، وفي م : « فَذَلِكَ » .

(٧) في م : « مدحهم » .

* من هنا خرم في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ إلى ص ٣٥ .

(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٤٨٠ عن المصنف ، وفيه : الحسن بن ماتك . مكان : أَيْمَنَ بْنِ نَابِلٍ . وأصل

الحديث في البخاري (٤٥٣٩) ، ومسلم (١٠٣٩) .

يعنى بذلك جلّ ثناءؤه : وما تُنْفِقُوا أيها الناس من مالٍ ، فَتَصَدَّقُوا على أهلِ ذِمَّتِكُمْ تطوعاً منكم ، أو تُعْطُوهُ مَنْ أَمَرَكم رَبُّكُمْ بِإِعْطَائِهِ مِنَ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فى سَبِيلِ [٦٠/٨] اللَّهُ مِمَّا فَرَضَهُ اللَّهُ لَهُمْ فى أَمْوَالِكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ ذَلِكَ عَلِيمٌ ، يُخَصِّصُهُ لَكُمْ ، وَيُدْخِرُ ثَوَابَهُ عِنْدَهُ لَكُمْ ، حَتَّى يُؤْفِقَكُمْ على جَمِيعِ ذَلِكَ أَجُورَكُمْ ، وَيُعْظِمَ لَكُمْ عَلَيْهِ فى الْمَعَادِ جَزَاءَكُمْ .

القول فى تأويل قوله جلّ ثناءؤه : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٧٣) .

يعنى جلّ ثناءؤه بذلك : مَنْ يُنْفِقُ مَالَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فى السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَيَتَصَدَّقُ بِهِ ابْتِغَاءً لِلَّهِ وَطَلَبَ ثَوَابِهِ ، فَلَهُ أَجْرٌ صَدَقَتِهِ مَذْخُورًا لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ حَتَّى يُؤْفِقَهُ إِيَّاهُ فى مَعَادِهِ يَوْمَ بَعْثِهِ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِهِ وَعَذَابِهِ ، وَلَا فى أَهْوَالِ قِيَامَتِهِ ، وَلَا هُوَ يَحْزَنُ عِنْدَ مَقْدَمِهِ عَلَيْهِ بِمُعَايَنَتِهِ مِنْ عَظِيمِ كَرَامَةِ اللَّهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُ عَلَى مَا خَلَّفَ وَرَاءَهُ فى الدُّنْيَا .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أنزل فيه هذه الآية ؛ فقال بعضهم : أنزلت فى عليّ بن أبى طالبٍ رحمه الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ قال : نزلت فى عليّ ؛ كانت معه أربعة دراهم ، فأنفق بالليل درهماً ، وبالنهار درهماً ، وسراً درهماً ، وعَلَانِيَةً درهماً ^(١) .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٠٨ ، ومن طريقه الطبرانى فى الكبير (١١١٦٤) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٦٤ ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠٦/١٢ (مخطوط) ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٣/٢ =

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْثَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ قَالَ : كَانَ لِرَجُلٍ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ ، فَأَنْفَقَ دَرَاهِمًا بِاللَّيْلِ ، وَدَرَاهِمًا بِالنَّهَارِ ، وَدَرَاهِمًا سِرًّا ، وَدَرَاهِمًا عَلَانِيَةً ^(١) .
وَقَالَ آخَرُونَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي التَّقَفَةِ عَلَى الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

[٦٠/٨] ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي رَجَالٌ ^(٢) مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ ، عَنْ قَيْسِ بْنِ الْحَجَّاجِ ، عَنْ حَنْشِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْثَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ الْآيَةُ : إِنَّهَا فِي غُلْفِ الْخَيْلِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ - يَعْنِي ابْنَ شُرَيْحٍ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشِيرٍ الْغَافِقِيِّ ، أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى بَعْضِ خَيْلٍ كَانَتْ فِي الْجَبَانَةِ ، فَأَشَارَ إِلَى عِتَاقِ تِلْكَ الْخَيْلِ ، فَقَالَ : أَصْحَابُ هَؤُلَاءِ ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْثَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ .

قَالَ - يَعْنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ - : وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عَمْرِو الْمُعَاوِرِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ بِنَحْوِ ذَلِكَ ^(٤) .

وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ بْنُ رَيْعَةَ ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ،

= (٢٨٨٣) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٦٤ ، وابن عساكر فى الموضوع السابق من طريق عبد الوهاب عن مجاهد قوله ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٦٣ إلى عبد ابن حميد وابن المنذر .

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره ٣/٣٤٧ .

(٢) فى الأصل : « رجل » . ولعل المثلث هو الصواب .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٤٣ (٢٨٨١) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٦٣ من طريق عبد الرحمن بن شريح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٦٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/٢٦٨ ، والقرطبى فى تفسيره ٣/٣٤٦ .

عن العجلان بن شهيل ، عن أبي أمامة في تفسير هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ . قال : نزلت في أصحاب الخيل في من لم يَرْبِطْهَا خِيْلَاءَ وَلَا مِضْمَارٍ ^(١) .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمَيْ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ الْحَسَنِ ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ . قال : هم الذين يَرْبِطُونَ الْخَيْلَ خَاصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يُنْفِقُونَ عَلَيْهَا بِاللَّيْلِ وَالتَّهَارِ ^(٢) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو شُرَيْحٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ شُرَيْحٍ الْمَعْفَرِيُّ ، عَنْ قَيْسِ بْنِ الْحَجَّاجِ ، عَنْ حَنْشِ الصَّنَعَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ : حَدَّثَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالتَّهَارِ ﴾ قَالَ : فِي عَلْفِ الْخَيْلِ ^(٣) .

* وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُوَيْدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارِكِ ، عَنْ رِشْدِينَ بْنِ سَعِيدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ غَافِقٍ ^(٤) ، أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْخَيْلِ مَرْبُوطَةً بَيْنَ

(١) المِضْمَار : المكان تَضْمُرُ فِيهِ الْخَيْلُ أَوْ تَتَسَابَقُ .

والأثر أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٥٦/١١ - مخطوط من طريق ضمرة بن ربيعة به ، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٦٤ ، وابن عساكر ٤٥٧/١١ - مخطوط من طريق زيد بن الحباب عن رجاء بن أبي سلمة عن سليمان بن موسى عن عجلان به .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٣٤٠ / ١ ، والقرطبي في تفسيره ٣٤٦ / ٣ .

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٦٣ من طريق عبد الله بن صالح به .

* هنا نهاية الحرم المشار إليه في ص ٣٢ .

(٤) غافق بن الشاهد : بطن من عك من الأزد ، من القحطانية ، وهم بنو غافق بن الشاهد بن عك بن عدنان ابن عبد الله بن الأزد . واليهم تنسب الحصن ولهم خطة بمصر ، وكان منهم في الإسلام رؤساء وأمرء . معجم قبائل العرب ٨٧٥ / ٣ ، تاج العروس (غ ف ق) .

البراذين والهجين، فيقول: أهل هذه - يعنى الخيل - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالْتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

وقال آخرون: عنى بذلك قوماً أنفقوا فى سبيل الله، فى غير إسرافٍ ولا تقتير.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿الَّذِينَ
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: هؤلاء أهل الجنة^(٢).
ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «المكثرون هم الأسفلون». قالوا: يا نبي
الله، إلا من؟ قال: «المكثرون هم الأسفلون». قالوا: يا نبي الله، إلا من؟
قال: «المكثرون هم الأسفلون». قالوا: يا نبي الله، إلا من؟ حتى خشوا أن
تكون قد مضت فليس لها رد، حتى قال: «إلا من قال بالمال هكذا وهكذا،
عن يمينه وعن شماله، وهكذا بين يديه، وهكذا خلفه، وقليل ما هم»^(٣). هؤلاء
قوم أنفقوا فى سبيل الله التى افترض واترضى، فى غير سرف ولا إنلاق، ولا
تبذير ولا فساد^(٤).

وقد قيل: إن هذه الآيات من قوله: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾.
إلى قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. كان مما يعمل به قبل

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٣/١ إلى المصنف.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٣/٢ (٢٨٨٥) من طريق يزيد.

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٢/١٥ (٩٥٢٦)، وابن ماجه (٤١٣١) من حديث أبى هريرة مرفوعاً.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٣/١ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر.

نزول ما في سورة « براءة » من تفصيل الزكوات^(١) ، فلما نزلت « براءة »
قَصَرُوا عليها .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِّي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، ١٠١/٣
عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ إِنَّ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ : فَكَانَ هَذَا يُعْمَلُ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ « بَرَاءة » ،
فَلَمَّا نَزَلَتْ « بَرَاءة » بِفَرَائِضِ الصَّدَقَاتِ وَتَفْصِيلِهَا انْتَهَتْ الصَّدَقَاتُ إِلَيْهَا^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا
يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ .
يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : الَّذِينَ يُرْبُونَ .

وَالْإِزْبَاءُ : الزِّيَادَةُ عَلَى الشَّيْءِ ، يُقَالُ مِنْهُ : أَرْبَى فَلَانٌ عَلَى فَلَانٍ ، إِذَا زَادَ عَلَيْهِ ،
يُرْبَى إِزْبَاءً ، وَالزِّيَادَةُ هِيَ الرِّبَا . وَرَبَا الشَّيْءُ ، إِذَا زَادَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فَعَظُمَ ، فَهُوَ
يَرْبُو رَبْوًا . وَإِنَّمَا قِيلَ لِلرَّابِيَةِ : رَابِيَةٌ^(٣) ؛ لِزِيَادَتِهَا فِي الْعِظَمِ وَالْإِشْرَافِ عَلَى مَا اسْتَوَى
مِنَ الْأَرْضِ مِمَّا حَوْلَهَا ، مِنْ قَوْلِهِمْ : رَبَا يَرْبُو . وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ : فَلَانٌ فِي رِبَا قَوْمِهِ . يُرَادُ
بِهِ أَنَّهُ فِي رِفْعَةٍ وَشَرَفٍ مِنْهُمْ ، فَأَصْلُ الرِّبَا الْإِنَافَةُ وَالزِّيَادَةُ ، ثُمَّ يُقَالُ : أَرْبَى فَلَانٌ .
أَيْ : أَنَافَ^(٤) غَيْرَهُ وَ^(٥) صَبَّرَهُ زَائِدًا . وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْمُرْبِي مُرْبِيًا ؛ لِتَضْعِيفِهِ [٦١/٨ ط] الْمَالِ

(١) يشير إلى الآية ٦٠ من سورة التوبة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٥/٢ (٢٨٤٣) عن محمد بن سعد به .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

(٤ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

الذى كان له على عَرْمِهِ حَلَالًا^(١) ، أو لزيادته عليه فيه بسَبَبِ الأَجَلِ الذى يُؤَخِّرُهُ إليه ، فيزيده إلى أَجَلِهِ الذى كان له قَبْلَ حَلِّ دَيْنِهِ عليه . ولذلك قال جلُّ ثناؤه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ [آل عمران : ١٣١] .
وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ فى الرِّبَا الذى نَهَى اللَّهُ عَنْهُ : كَانُوا فى الجَاهِلِيَّةِ يَكُونُ للرجلِ على الرجلِ الدَّيْنُ ، فيقول : لَكَ كَذَا وكَذَا ، وَتُؤَخَّرُ عَنِّي . فيؤَخَّرُ عَنْهُ^(٢) .

وَحَدَّثَنِى الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مثله .

وَحَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ رِبَا أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ ؛ يَبِيعُ الرجلُ البَيْعَ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فإذا حَلَّ الأَجَلُ ولم يكنْ عندَ صاحبه قِضَاءً زَادَ وَأَخَّرَ عَنْهُ .

فَقَالَ جُلُّ ثَنَاؤُهُ : الَّذِينَ يُزْبُونَ الرِّبَا الذى وَصَفْنَا صِفَتَهُ ، فى الدُّنْيَا ، ﴿ لَا يَقُومُونَ ﴾ فى الآخِرَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ ﴿ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . يَعْنِى بِذَلِكَ : يَتَخَبَّلُهُ الشَّيْطَانُ فى الدُّنْيَا ، وهو الذى يَتَخَنَّنُهُ^(٤)

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حالا » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٥ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٨/٢ (٢٩١٢) ، والبيهقى ٥/٢٧٥ .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « يتخبطه » .

فَيَضْرَعُهُ ، ﴿ مِنْ أَلْمَسِ ﴾ يَعْنِي : مِنَ الْجَنُونِ .

وَبِمَثَلِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي ١٠٢/٣
نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا
كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فِي أَكْلِ الرِّبَا فِي
الدُّنْيَا ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، عَنْ شَبْلِ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ
مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ ، قَالَ : ثنا رِبْعَةُ بْنُ كَلْثُومٍ ، قَالَ : ثَنَى
أَبِي ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا
كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . قَالَ : ذَلِكَ حِينَ يُبْعَثُ مِنْ
قَبْرِهِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا رِبْعَةُ بْنُ كَلْثُومٍ ، قَالَ : ثَنَى
أَبِي ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأَكْلِ الرِّبَا : خُذْ
سِلَاحَكَ لِلْحَرْبِ . وَقَرَأَ : ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ ﴾ . قَالَ : ذَلِكَ حِينَ يُبْعَثُ مِنْ قَبْرِهِ ^(٣) .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٥ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٦٤ إلى ابن المنذر وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٠/٢ (٢٩٢٠) من طريق ربيعة به ، دون آخره .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريزٌ ، عن أشعثٍ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ الآية . قال : [٦٢/٨] يُعْثُ أَكْلُ الرِّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يُخَنَّقُ ^(١) .

حدثنا بشرٌ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ : وتلك علامةُ أهلِ الرِّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يُعْثُوا وبهم خَبَلٌ مِنَ الشَّيْطَانِ . حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقٍ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قوله : ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . قال : هو التَّخْبِيلُ الَّذِي يَتَخَبَّلُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْجَنُونِ ^(٢) .

حدثت عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قوله : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . قال : يُعْثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وبهم خَبَلٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وهى فى بعضِ القراءة : (لَا يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ^(٣) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاقٌ ، قال : ثنا أبو زهيرٍ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاكِ فى قوله : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . قال : مَنْ مات وهو يأكلُ الرِّبَا ، بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُتَخَبِّطًا ، كالذى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ .

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ٥٦٢/٦ عن جريز به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١١٠/١ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٤/١ إلى المصنف . وهذه القراءة ذكرها ابن عطية فى المحرر الوجيز

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي :
﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ﴾ ^(١) 'يَوْمَ الْقِيَامَةِ' ﴿ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . يعنى : من الجنون ^(٢) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله :
﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ ﴾ . قال : هذا مثلهم يوم القيامة ، / لا يقومون يوم القيامة مع الناس ، إلا ١٠٣/٣
كما يقوم الذى يُخنق مع الناس ، يقوم ^(٤) يوم القيامة كأنه خنق ، كأنه مجنون .

ومعنى قوله : ﴿ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ : يَتَخَبَّطُهُ مِنْ مَسِّهِ إِثَاه . يقال
منه : قد مُسَّ الرجل ^(٥) 'وَأَلْسَ' 'وَأَلَقَ' ، فهو ممسوس ^(٦) 'وَمَأْلُوسٌ' 'وَمَأْلُوقٌ' . كل ذلك
إذا أَلَمَ به اللَّمَمُ فجَنَّ . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ
طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ﴾ [الأعراف : ٢٠١] ، ومنه قول الأعشى ^(٧) :

وَتُصْبِحُ عَنْ ^(٨) غِبِّ الشَّرِّى وَكأَمَّا أَلَمَ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجَنِّ أُولُقَ
فإن قال لنا قائل : أفرأيت من عَمِلَ ما نَهَى الله عنه مِنَ الرِّبَا فى تجارته ولم
يَأْكُلْهُ ، أَيْسَحِقُ هذا الوعيد مِنَ اللَّهِ ؟

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٤/٢ عقب الأثر (٢٨٨٩) من طريق عمرو به .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧) ديوانه ص ٢٢١ .

(٨) فى الديوان : « من » .

قيل : نعم ، وليس المقصودُ من الرِّبَا فى هذه الآية ^(١) النهى عن أكله خاصة ، دون النهي عن العمل به ، وإنما خصَّ الله وصف العاملين به فى هذه الآية ^(٢) بالأكل ^(٣) ؛ لأن ^(٤) الذين نزلت [٦٢/٨ ط] فيهم هذه الآيات يوم نزلت ، كانت طُعْمَتُهُمْ ومأكُلُهُم من الربا ، فذَكَرَهُمْ بصفَتِهِمْ ، مُعْظِماً بذلك عليهم أمر الربا ، ومُقَبِّحاً إليهم الحال التى هم عليها فى مطاعِمِهِمْ . وفى قوله جل ثناؤه : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الآية . ما يُنبِئُ ^(٦) عن صحة ما قلنا فى ذلك ، وأن التحريم من الله فى ذلك كان لكلِّ معانى الربا ، وأن سواء العمل به وأكله وأخذه وإعطاؤه ، كالذى تظاهرت به الأخبارُ عن رسول الله ﷺ من قوله : « لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا ، ومُؤْكِلَهُ ، وكَاتِبَهُ ، وشَاهِدِيهِ إِذَا عَلِمُوا ^(٧) بِهِ » ^(٨) .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ .

يَعْنَى بِقَوْلِهِ ^(٩) : ﴿ ذَلِكَ ﴾ : الذى وصفهم الله به من قيامهم يوم القيامة من قبورهم ، كقيام الذى يتخبَّله ^(١٠) الشيطان ^(١١) من الجنون ، فقال : هذا الذى ذَكَرْنَا أَنَّهُ

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) فى م : « الأكل » .

(٣) فى م : « إلا أن » .

(٤) فى الأصل ، ص ، ت ، ١ : « بين » .

(٥) فى ص : « عملوا » .

(٦) أخرجه البخارى (٢٠٨٦) من حديث أبى جحيفة ، ومسلم (١٥٩٧) ، وأبو داود (٣٣٣٣) ، والترمذى

(١٢٠٦) ، وابن ماجه (٢٧٧٧) ، وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود .

(٧) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بذلك جل ثناؤه » .

(٨) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يتخبَّطه » .

(٩) بعده فى م : « من المس » .

يُصِيبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قُبِحَ حَالُهُمْ ، وَوَحْشَةُ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ ، وَسُوءِ مَا حَلَّ بِهِمْ ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَكْذِبُونَ فَيَقْتَرُونَ وَيَقُولُونَ : ﴿ إِنَّمَا أَلْبَيْعُ ﴾ الذى أَحَلَّهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ ﴿ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ . وذلك أَنَّ الذين كانوا يأكلون الرِّبَا مِنْ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ ، كَانَ إِذَا حَلَّ مَالٌ أَحَدِهِمْ عَلَى غَرِيمِهِ يَقُولُ الْغَرِيمُ لِصَاحِبِ ^(١) الْحَقِّ : زِدْنِي فِي الْأَجْلِ وَأَزِيدَكَ فِي مَالِكَ . فَكَانَ يُقَالُ لَهُمَا إِذَا فَعَلَا ذَلِكَ : هَذَا رَبًّا لَا يَحِلُّ . فَإِذَا قِيلَ لَهُمَا ذَلِكَ قَالَا : سَوَاءٌ عَلَيْنَا زِدْنَا فِي أَوَّلِ الْبَيْعِ أَوْ عِنْدَ مَحَلِّ الْمَالِ . فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ فِي قِيْلِهِمْ ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٧٥) .

يعنى ^(٢) بقوله : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ : وأحلَّ ^(٢) الأرباحَ فى التجارة والشراء والبيع ، ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ، يعنى الزيادة التى يُزادها ربُّ المالِ بسببِ زيادته غريمه فى الأجلِ وتأخيرِهِ دَيْنَهُ عليه . يقولُ تعالى ذكره : فليست الزيادةُتان اللتان / إحداهما ١٠٤/٣ من وَجْهِ البيعِ والأخرى من وَجْهِ تأخيرِ المالِ والزيادةُ فى الأجلِ ، سواءً ، وذلكَ أننى حرَّمْتُ إحدَى الزيادةَينِ - وهى التى من وَجْهِ تأخيرِ المالِ والزيادةُ فى الأجلِ - وأحلَلْتُ الأخرى منهما - وهى التى من وَجْهِ الزيادةِ على رأسِ المالِ الذى ابتاع به البائعُ سِلْعَتَهُ التى يبيِعُها فيستَفْضِلُ فضلَها - فقالَ اللهُ جلَّ ثناؤه لهم ^(٣) : ليست الزيادةُ من وَجْهِ البيعِ نظيرَ الزيادةِ من وَجْهِ الرِّبَا ؛ لأننى أحلَلْتُ البيعَ وحرَّمْتُ الرِّبَا ،

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لغريم » .

(٢ - ٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جل ثناؤه وأحل الله » .

(٣) زيادة من : الأصل .

والأمر أمري، والخلق خلقى، أقضى فيهم ما أشاء، وأستعبدهم بما أريد، ليس لأحد منهم أن يعترض فى حُكْمِي، ولا أن يُخالف أمرى، وإنما عليهم طاعتى والتسليم لحكمى.

ثم قال جل ثناؤه: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾. يعنى بالموعظة التذكير والتخويف الذى ذكرهم وخوفهم به فى آي القرآن، وأوعدهم على أكلهم الربا من العقاب. يقول جل ثناؤه: فمن جاءه ذلك، ﴿فَانْتَهَى﴾ عن أكل الربا، وارتدع عن العمل به، وانزجر عنه، ﴿فَلَمْ يَسْلَفْ﴾، يعنى: ما أكل وأخذ، فمضى قبل مجيء الموعظة والتحريم من ربه فى ذلك، ﴿وَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ﴾، يعنى: وأمره أكله "إلى الله" بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم، وبعد انتهاء أكله عن أكله، ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ فى عِصْمَتِهِ وتوفيقه، إن شاء عصمه عن أكله، وثبته فى انتهائه عنه، وإن شاء خذله عن ذلك، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾، يقول: ومن عاد لأكل الربا بعد التحريم، وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من الله بالتحريم من قوله: ﴿إِنَّمَا أَلْبَسْتُكُمْ مِثْلَ الْإِبْرَةِ﴾، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: يعنى ففاعلو ذلك وقائلوه هم أهل النار، يعنى نار جهنم، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، "يعنى: دائمو البقاء فيها، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها".

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ مَا قُلْنَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾.

[٦٣/٨] حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: ثنا

أسباط ، عن السدي : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ : أما الموعظة فالقرآن ، وأما ﴿ مَا سَلَفَ ﴾ : فله ما أكل من الربا ^(١) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ : يَنْقُصُ اللَّهُ الرِّبَا فَيُذْهِبُهُ .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ﴿ يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ . قال : يَنْقُصُ ^(٢) .

وهذا تَطْيِيرُ الخبر الذي روى عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ أنه قال : « الرِّبَا وإنْ كَثُرَ فإِلَى قُلٍّ » ^(٣) .

وأما قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيُرِي الصَّدَقَتِ ﴾ . فإنه تعالى ذكره يعنى : أنه يُضَاعِفُ أَجْرَهَا لِرَبِّهَا ، وَيُنْمِيهَا لَهُ .

وقد بينا معنى الرِّبَا قَبْلُ ، والإرباء ، وما أصله ، بما فيه الكفاية من إعادته .

فإن قال قائل : وكيف إرباء الله الصدقات ؟

قيل : إضاعافه الأجر لربها ، كما قال : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ﴾ ١٠٥/٣

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤٥/٢ ، ٥٤٦ ، (٢٨٩٤) ، عقب الأثر (٢٨٩٨) من طريق عمرو بن حماد به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦٥/١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) القل : القلة ، كالثقل والذلة ، أى أنه وإن كان زيادة في المال عاجلا فإنه يؤول إلى نقص . ينظر النهاية ٤ / ١٠٤ .

والحديث أخرجه أحمد ٢٩٧/٦ ، ١٢٦/٧ ، (٣٧٥٤) ، (٤٠٢٦) ، وابن ماجه (٢٢٧٩) ، والحاكم

٣٧/٢ ، ٣١٧/٤ ، والطبراني (١٠٥٣٨) ، (١٠٥٣٩) .

[البقرة: ٢٦١] ، وكما قال : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ .

وكما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن القاسم ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ ، فَيُزِيئُهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرِيي أَحَدُكُمْ مَهْرَهُ ، حَتَّى إِنْ اللَّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحَدٍ »^(١) .^(٢) وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ :^(٣) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ^(٤) ، ﴿يَمْحُو اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِي الْأَصْدَقَاتِ﴾^(٥) .

حدثني سليمان بن عُمر بن خالد بن^(٦) الأقطع الرقي ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن عباد بن منصور ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي هريرة ، ولا أراه إلا قد رفعه ، قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا^(٧) إِلَّا الطَّيِّبَ^(٨) » .

(١) أخرجه الترمذي (٦٦٢) عن أبي كريب به . وأخرجه ابن أبي شيبة ١١١/٣ ، وأحمد ١٥/١٦ ، (١٠٠٨٨) ، وابن خزيمة (٢٤٢٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤٧/٢ (٢٩٠٨) ، ١٨٧٧/٦ من طريق وكيع به . وأخرجه أبو عبيد في الأموال ص ٤٣٧ (٨٩٦) ، وأحمد ١٣٨/١٥ (٩٢٤٥) ، ١٥/١٦ ، (١٠٠٨٨) ، وابن زنجويه في الأموال ٧٥٩/٢ (١٣٠٢) - ومن طريقه البغوي في شرح السنة (١٦٣٠) - وابن خزيمة (٢٤٢٧) من طريق عباد بن منصور به .

(٢ - ٢) لعل هذه الزيادة إدراج في متن هذا الحديث . وقد أدرجت هذه الزيادة أيضًا - دون لفظ آية التوبة - في الحديث الذي رواه القاسم عن عائشة .

(٣ - ٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ : « أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ » ، واضطرب فيها ناسخ النسخة ٢ ، والمثبت من الأصل ، وهو موافق لرواية المسند والترمذي كما في تحفة الأحوذى ، وهو خلط بين الآية ١٠٤ من سورة التوبة وبين الآية ٢٥ من سورة الشورى ، وليست هذه الآية موضع استشهاد في الحديث ههنا . وهذا الخطأ الذي ثبت في الأصل هنا وفي هذه المصادر خطأ قديم ، فقد ثبت هذا الخطأ في جامع المسانيد ٣٢٠/٧ (نقلا عن الشيخ شاكر) ، وقال عنه العراقي - كما في تحفة الأحوذى ٢٣/٢ - : في هذا تخليط من بعض الرواة ، والصواب ... وقد رويناه في كتاب الزكاة ليويسف القاضي على الصواب .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

(٥) زيادة من : ت ، ٢ ، ٣ .

(٦) جزء من الحديث السابق ، وسيأتي بالإسناد نفسه في سورة التوبة الآية (١٠٤) .

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ^(١) بْنِ عَلِيٍّ الْمَقْدَمِيُّ ، قَالَ : ثنا رِئْحَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا عبادٌ ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : قال رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ [٨/ ٦٤] الصَّدَقَاتِ^(٢) ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا إِلَّا الطَّيِّبَ ، وَيُزِيهَهَا لِصَاحِبِهَا^(٣) » كَمَا يُزِيئِي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ أَوْ فَصِيلَهُ ، حَتَّى إِنْ اللَّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحْدٍ^(٤) ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيئُ الصَّدَقَتِ^(٥) 》 .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَصَدَّقَ مِنْ طَيِّبٍ ، تَقَبَّلَهَا^(٦) اللَّهُ مِنْهُ ، وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ ، وَيُزِيئُهَا كَمَا يُزِيئِي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ أَوْ فَصِيلَهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَصَدَّقُ بِاللَّقْمَةِ فَتَرْبُو فِي يَدِ اللَّهِ - أَوْ قَالَ : فِي كَفِّ اللَّهِ - حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحْدٍ ، فَتَصَدَّقُوا^(٧) » .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ يُونُسَ ، عَنْ صَاحِبٍ لَهُ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ بِيَمِينِهِ ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا إِلَّا مَا كَانَ طَيِّبًا ، وَاللَّهُ يُزِيئِي لِأَحَدِكُمْ لُقْمَتَهُ ، كَمَا يُزِيئِي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ وَفَصِيلَهُ ، حَتَّى يُوَافِيَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ - وَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ أُحْدٍ » .

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عمرو » .

(٢) في الأصل : « قال نا » . وفي الحاشية : « في الأم : قال : عمر بن علي المقدمة » . وينظر : تهذيب الكمال ١٧٤ / ٢٦ .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الصدقة » .

(٤) في الأصل : « لصاحبه » .

(٥) أخرجه أحمد ٢٥١ / ٦ (الميمنية) من طريق القاسم به .

(٦) في الأصل ، ت ١ : « يقبلها » .

(٧) أخرجه معمر في جامعه (٢٠٠٥٠) عن أيوب به ، وأخرجه أحمد ٧٣ / ١٣ (٧٦٣٤) ، وابن خزيمة (٢٤٢٦) من طريق عبد الرزاق به .

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ . فإنه يعنى به : والله لا يحبُّ كُلَّ مُصِرٍّ على كُفْرٍ^(١) ، مُقيمٍ عليه ، مُستحلُّ أكل الرِّبَا وإطعامه ، ﴿أَثِيمٍ﴾ : مُتَمَادٍ فى الإثْمِ بِرَبِّهِ^(٢) فيما نهاه عنه من أكل الرِّبَا والحرام وغير ذلك من معاصيه ، لا يزجرُ عن ذلك ، ولا يزعمُى عنه ، ولا يتعظُّ بموعظة ربِّه التى وعظه بها فى تنزيله وآي كتابه .

١٠٦/٣ / القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٦﴾ .

وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه بأنَّ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، يعنى : الذين صدَّقُوا بالله وبرسوله ، وبما جاء به من عند ربِّه^(٣) ، من تحريم الرِّبَا وأكله وغير ذلك من سائر شرائع دينه ، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ التى أمرهم الله بها ، والتى ندبهم إليها ، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة بحدودها ، وأدوها بسُنَّتها^(٤) ، ﴿وَأَتَوْا الزَّكَاةَ﴾ المفروضة عليهم فى أموالهم ، بعد الذى سلف منهم من أكل [٦٤/٨] الرِّبَا ، قبل مجيء الموعظة فيه من عند ربِّهم ، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ، يعنى ثواب ذلك من أعمالهم وإيمانهم وصدقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يوم حاجتهم إليه فى معادهم ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يومئذٍ من عقابه على ما كان سلف منهم فى جاهليتهم وكُفْرِهِمْ ، قبل مجيئهم موعظة ربِّهم ، من أكل ما كانوا أكلوا من الرِّبَا ، بما كان من إنائيتهم ، وتوبيخهم إلى الله من ذلك عند مجيئهم الموعظة من ربِّهم ، وتصديقهم بوعد الله ووعيده ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على تركهم ما كانوا تركوا^(٥) فى الدنيا ، من أكل

(١) بعده فى م : « بربه » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « ربهم » .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « بسننها » .

(٥) بعده فى ت ٢ : « من ذلك » .

الرِّبَا وَالْعَمَلِ بِهِ ، إِذْ عَايَنُوا جَزِيلَ ثَوَابِ اللَّهِ لَهُمْ ^(١) عَلَى تَرْكِهِمْ مَا تَرَكَوا مِنْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا ، ابْتِغَاءَ رِضْوَانِهِ فِي الْآخِرَةِ ، فَوَصَّلُوا إِلَى مَا وَعَدُوا عَلَى تَرْكِهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

يَعْنَى جَلَّ ثَنَاهُ ^(٢) : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ^(٣) صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ . يَقُولُ : خَافُوا اللَّهَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَاتَّقُوا بَطَاعَتَهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَالْإِتِّهَاءَ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، ﴿ وَذَرُوا ﴾ . يَعْنَى : وَدَعُوا ﴿ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ . يَقُولُ : اتَّزَكُوا طَلَبَ مَا بَقِيَ لَكُمْ مِنْ فَضْلِ عَلَى رِعْوِ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي كَانَتْ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُزَبُّوا عَلَيْهَا ، ﴿ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ : إِن كُنْتُمْ مُحَقِّقِينَ إِيْمَانَكُمْ قَوْلًا ، وَتَصْدِيقَكُمْ بِالْسِّنَةِ بِأَفْعَالِكُمْ .

وَذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ أَسْلَمُوا ، وَلَهُمْ عَلَى قَوْمٍ أَمْوَالٌ مِنْ رَبِّا كَانُوا أَرْبَوْهُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانُوا قَدْ اقْتَضَوْا ^(٤) بَعْضَهُ مِنْهُمْ ، وَبَقِيَ بَعْضٌ ، فَعَفَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ عَمَّا كَانُوا قَدْ اقْتَضَوْهُ قَبْلَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ اقْتِضَاءَ مَا بَقِيَ مِنْهُ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السُّدِّيِّ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ إِلَى ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ . قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ وَرَجُلٍ مِنْ بَنِي الْمَغِيرَةِ ، كَانَا شَرِيكَيْنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، يُشْلِفَانِ ^(٥) [٦٥/٨] فِي الرِّبَا إِلَى نَاسٍ مِنْ

(١) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « وَهُمْ » .

(٢) بَعْدَهُ فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « بِذَلِكَ » .

(٣) بَعْدَهُ فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « آمَنُوا » .

(٤) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « قَبَضُوا » .

(٥) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « سَلَفَا » .

١٠٧/٣ ثقيف ، من / بنى غيرة^(١) ، وهم بنو عمرو بن عُمر ، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا ، فأنزل الله: ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ ﴾ من فضلي كان في الجاهلية ﴿ مِنَ الرِّبَا ﴾^(٢) .

وحدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . قال : كانت ثقيف قد صالحت النبي ﷺ على أن ما لهم من ربا على الناس^(٣) فهو لهم^(٤) ، وما كان للناس عليهم من ربا فهو موضوع ، فلما كان الفتح ، استعمل عتاب بن أسيد على مكة ، وكانت بنو عمرو بن عُمر بن عوف يأخذون الربا من بنى المغيرة ، وكانت بنو المغيرة يؤثرون لهم في الجاهلية ، فجاء الإسلام ولهم عليهم مال كثير ، فأتاهم بنو عمرو يطلبون رباهم ، فأبى بنو المغيرة أن يعطوهم في الإسلام ، ورفعوا ذلك إلى عتاب بن أسيد ، فكتب عتاب إلى رسول الله ﷺ ، فنزلت : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ، إلى ﴿ وَلَا تَقْلُمُوهَا ﴾ ، فكتب بها رسول الله ﷺ إلى عتاب ، وقال : « إِنْ رَضُوا وَإِلَّا فَاذْنَهُمْ بِحَرْبٍ » . قال ابن جريج ، عن عكرمة قوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾^(٥) . يقول : لبنى عمرو بن عمير^(٦) . قال : كانوا يأخذون الربا على بنى المغيرة ، يزعمون أنهم مسعود وعبد ياليل وحيب وربيعة ؛ بنو عمرو بن عُمر ، فهم الذين كان لهم الربا على بنى المغيرة ، فأسلم عبد ياليل وحيب وربيعة وهلال ومسعود^(٧) .

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س : « غيرة » ، وفي م : « عمرو » . وينظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٤٨/٢ (٢٩١٣) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ومكانه بياض في ت ٢ .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٥) ذكره الحافظ في الإصابة ٥٥١ / ٦ ، ٥٥٢ ، والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٦ / ١ ، وعزاه إلى المصنف .

وقال الحافظ : وفي ذكر مصالحة ثقيف قبل قوله : فلما كان الفتح . نظر ، ذكرت توجيهه في أسباب النزول .

وَحَدَّثَنِي يَحْيَى^(١) بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرٌ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . قَالَ : كَانَ رَبًّا يَتَّبِعُونَ بِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا أَمَرُوا أَنْ يَأْخُذُوا رُءُوسَ أَمْوَالِهِمْ^(٢) .
الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

[٦٥/٨] يَعْنِي جَلَّ ثَنَاهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ : فَإِنْ لَمْ تَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا .

وَاخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ : ﴿ فَأْذَنُوا ﴾ ؛ فَقَرَأَهُ عَامَّةُ قَرَاءَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : ﴿ فَأْذَنُوا ﴾ بِقَصْرِ أَلِفٍ^(٣) ، وَفَتْحِ ذَالِهَا ، بِمَعْنَى : كُونُوا عَلَى عِلْمٍ وَإِذْنٍ . وَقَرَأَهُ آخَرُونَ - وَهِيَ قِرَاءَةُ عَامَّةِ قَرَاءَةِ الْكُوفِيِّينَ - : (فَأَذِنُوا) بِمَدِّ الْأَلِفِ مِنْ قَوْلِهِ : (فَأَذِنُوا) وَكسِرِ ذَالِهَا ، بِمَعْنَى : فَأَذِنُوا غَيْرَ كَم : أَعْلِمُوهُمْ وَأَخْبِرُوهُمْ بِأَنْكُمْ عَلَى حَزَبِهِمْ^(٤) .

وَأَوَّلَى الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ : ﴿ فَأْذَنُوا ﴾ بِقَصْرِ أَلِفِهَا وَفَتْحِ ذَالِهَا ، بِمَعْنَى : اْعْلَمُوا ذَلِكَ وَاسْتَقْبَلُوهُ ، وَكُونُوا عَلَى إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ لَكُمْ بِذَلِكَ .
وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ إِنَّمَا أَمَرَ نَبِيَّهِ ﷺ أَنْ يَنْبِذَ إِلَى مَنْ أَقَامَ عَلَى

(١) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « عَلَى » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ٥٥١/٢ (٢٩٢٩) مِنْ طَرِيقِ جُوَيْرٍ بِهِ بَنَحُوهُ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٣٦٦/١ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٣) فِي الْأَصْلِ ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الْأَلِف » ، وَفِي م ، ت ٣ : « الْأَلْف مِنْ » .

(٤) بِقَصْرِ الْأَلِفِ وَفَتْحِ الذَّالِ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ وَابْنُ عَامِرٍ ، وَكَذَا رَوَى حَنْفَسٌ وَالْمُفَضَّلُ عَنْ عَاصِمٍ ، وَبِمَدِّ الْأَلِفِ وَكسِرِ الذَّالِ قَرَأَ عَاصِمٌ فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وَحَمْزَةً ، وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي يُونُسَ الْأَعَشَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ بِالْوَجْهِينَ . السَّبْعَةُ لِابْنِ مَجَاهِدٍ ص ١٩٢ .

١٠٨/٣ شركه ، الذى لا يُقَرُّ على المقام عليه ، وأن يُقتل المرتد عن / الإسلام منهم بكل حال ، إلا أن يُراجع الإسلام ، أدنه المشركون بأنهم على حربيه أو لم يؤذئوه ، فإذا كان المأمور بذلك لن يخلو من أحد أمرين ؛ إما أن يكون كان مشركاً مقيماً على شركه الذى لا يُقَرُّ عليه ، أو يكون كان مسلماً فازتد^(١) عن إسلامه^(٢) فأذن بحرب ، فأى الأمرين كان ، فإتما بُد إليه بحرب ، لا أنه أمر بالإيدان^(٣) بها إن عزم على ذلك ؛ لأن الأمر إن كان إليه ، فأقام على أكمل الربا مستجلاً له ، ولم يؤذن المسلمين^(٤) بالحرب ، لم يلزمهم حربيه ، وليس ذلك حكمه فى واحدة من الحالتين ، فقد علم أنه المأذون بالحرب لا الآذن بها . وعلى هذا التأويل تأوله أهل التأويل .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ إلى : ﴿ فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ : فمن كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه ، فحق على إمام المسلمين أن يستتبيه ، فإن نزع ، وإلا ضرب عنقه^(٥) .

وحدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : ثنى أبى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : يقال يوم القيامة لا كيل الربا : خذ سلاحك للحرب^(٥) .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، س : « بالإنذار » .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « المسلمون » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٠/٢ (٢٩١٩) من طريق أبى صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر

المشور ٣٦٦/١ إلى ابن المنذر .

(٥) تقدم تخريجه فى ص ٣٩ .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا ربيعة بن كُثُوم ، قال : ثنا أبي ،
عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس مثله .

وحدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله :
﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [٢٧٨/١] تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ
مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ أَوْ عَذَّابُهُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالْقَتْلِ كَمَا تَسْمَعُونَ ، فجعلهم بهرجاء^(١) أينما
تُفْقُوا^(٢) .

وحدَّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُليَّة ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن
قتادة مثله .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : حدَّثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
الربيع : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ قال : أُوْعِدَ^(٣) أَكَلَ الرِّبَا بِالْقَتْلِ^(٤) .

وحدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال :
قال ابن عباس قوله : ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : فَاسْتَيْقِنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٥) .

وهذه الأخبار كلها تُنبئ عن أنَّ قوله : ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ إِيذَانٌ مِنَ اللَّهِ
لَهُم بِالْحَرْبِ وَالْقَتْلِ ، لَا أَمْرٌ لَهُمْ بِإِيذَانٍ غَيْرِهِمْ بِذَلِكَ^(٦) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِن تَبَيَّنَ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ .

(١) البهرج : الشيء المباح ، يقال : بهرج دمه : أهدره . التاج (بهرج) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٥٠/٢ (٢٩٢٢) من طريق شيان عن قتادة به .

(٣) بعدها إحالة غير واضحة في الأصل .

(٤) عزاه ابن كثير في تفسيره ٤٩٠/١ إلى المصنف .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦٦/١ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وذكره ابن أبي حاتم في

تفسيره ٥٥٠/٢ عقب الأثر (٢٩٢٢) معلقاً عن ابن جريج ، عن ابن عباس .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

يَعْنَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ : ﴿وَإِنْ تُبْتَغُوا فَتَرْتَكُمُ الْوَيْلُ﴾ وَأَنْتُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ . يَعْنَى ^(١) : مِنَ الدِّيُونِ الَّتِي لَكُمْ عَلَى النَّاسِ دُونَ الزِّيَادَةِ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا ^(٢) عَلَى ذَلِكَ رَبًّا مِنْكُمْ .

كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ١٠٩/٣ ﴿وَإِنْ تُبْتَغُوا فَلََكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ : «وَالْمَالُ» ^(٣) الَّذِي لَهُمْ عَلَى ظُهُورِ الرِّجَالِ ، جَعَلَ لَهُمْ رُءُوسَ أَمْوَالِهِمْ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، فَأَمَّا الرِّبْحُ وَالْفَضْلُ فَلَيْسَ لَهُمْ ، لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ^(٤) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : ثَنَا هُشَيْمٌ ^(٥) ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، قَالَ : وَضَعَ اللَّهُ الرَّبَا ، وَجَعَلَ لَهُمْ رُءُوسَ أَمْوَالِهِمْ ^(٦) .

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَإِنْ تُبْتَغُوا فَلََكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ . قَالَ : مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دَيْنٍ ، فَجَعَلَ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا رُءُوسَ أَمْوَالِهِمْ ، لَا يَزِدَادُوا عَلَيْهِ شَيْئًا .

وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : ثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيدِ : ﴿وَإِنْ تُبْتَغُوا فَلََكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ : الَّتِي ^(٧) أَسْلَفْتُمْ ، وَسَقَطَ الرَّبَا .

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

(٢) فِي س : «أَخَذْتُمُوهَا» .

(٣ - ٣) فِي م : «الْمَالُ» .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ٥٥١/٢ (٢٩٢٦) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بِهِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : «هَشَامٌ» .

(٦) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٥٠/٢ (٢٩٢٣) مِنْ طَرِيقِ جُوَيْرٍ بِهِ بِنَحْوِهِ .

(٧) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : «الَّذِي» .

اللَّهُ ﷻ [٦٦/٨ ط] قال في خطبته يوم الفتح : « أَلَا إِنَّ رَبَّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، وَأَوَّلُ رَبِّا أُنْتَدِي بِهِ رَبَّا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » ^(١) .

وحدَّثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال في خطبته بمنى ^(٢) : « إِنَّ كُلَّ رَبِّا ^(٣) فِي الْجَاهِلِيَّةِ ^(٤) مَوْضُوعٌ ، وَأَوَّلُ رَبِّا يُوضَعُ رَبِّا ^(٥) الْعَبَّاسِ » .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٧٩﴾ .

يعنى بذلك ^(٦) : ﴿ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ بأخذكم رءوس أموالكم التي كانت لكم قبل الإزباء على غرمائكم منهم ، دون أرباحها التي زدتموها رباً على ^(٧) من أخذتم ذلك منه من غرمائكم ، فتأخذوا منهم ما ليس لكم أخذه ، أو لم يكن لكم قبل ، ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ يقول : ولا الغريم الذي يُعطِيكم ذلك دون الربح ^(٨) الذي كنتم ألزمتهم من أجل الزيادة في الأجل ، يَخْشُكم حقاً لكم عليه ، فيمنعكموه ؛ لأنَّ ما زاد على رءوس أموالكم لم يكن حقاً لكم عليه ، فيكون بمنعه إيتاكم ذلك ظالماً لكم .
وينحو الذي قلنا في ذلك كان ابنُ عباسٍ يقول فيه وغيره من أهل التأويل .

(١) لم نقف عليه بهذا الإسناد ، وأصل الحديث عند مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رضى الله عنه ، وغيره .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س .

(٤) في ت ٢ : « ما » .

(٥) في ص ، م ، ت ٢ ، س : « بقوله » ، وفي ت ١ : « قوله » .

(٦) زيادة من : م .

(٧) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « الربا » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثنى معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عن عليِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِنْ تَبَيَّنَ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ : فَتَرْبُونَ ، ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قال ابنُ زَيْدٍ في قوله : ﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ . قال : لا تُنْقَضُونَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ، ولا تأخذونَ باطلاً لا يحِلُّ لكم .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : [٦٧/٨] ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ .

١١٠/٣ / يعني جل ثناؤه بذلك : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ﴾ ممن تَقْبِضُونَ منه مِنْ غُرْمَائِكُمْ رُءُوسَ أَمْوَالِكُمْ ﴿ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ ، يعني مُعْسِرًا برؤوسِ أَمْوَالِكُمْ التي كانت لكم عليهم قَبْلَ الْإِزْبَاءِ ، فَأَنْظِرُوهُمْ إِلَى مَيْسَرَتِهِمْ .

وقوله : ﴿ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ مرفوعٌ بـ ﴿ كَانَتْ ﴾ ، والخبرُ متروكٌ ، وهو ما ذَكَرْنَا . وإنما صلح ترك خبرها من أجلِ أَنَّ النكراتِ تُضمِرُ لها العربُ أخبارَها . وَلَوْ وَجَّهَتْ ﴿ كَانَتْ ﴾ في هذا الموضعِ إلى أنها بمعنى الفعلِ المُكْتَفَى بنفسِه التامُ ، لكان وجهُها صحيحًا ، ولم تكن بها حاجةٌ حينئذٍ إلى خبرٍ ، فيكونُ تأويلُ الكلامِ عندَ ذلك : وَإِنْ وُجِدَ ذُو عُسْرَةٍ مِنْ غُرْمَائِكُمْ برؤوسِ أَمْوَالِكُمْ ، فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ .

وقد ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ في قراءةِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ : (وَإِنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ) ^(٢) بمعنى : وَإِنْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٥١/٢ (٢٩٣٠) من طريق أبي صالح به .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ١٨٦ ، وذكر أنها قراءة ابن مسعود أيضا .

كان الغريمُ ذَا عُسْرَةٍ ، فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ . وذلك وإن كان في العربية جائزًا ، فغير جائزة القراءة به عندنا ؛ لخلافه خطوط مصاحف المسلمين .

وأما قوله : ﴿ فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . فإنه يعنى : فعليكم أن تنظروه إلى ميسرته ، كما قال : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ ﴾ . وقد ذكرنا وجه رفع ما كان من نظائر هذا فيما مضى قبل^(١) ، فأعنى ذلك عن تكريره .

والميسرة : المفعلة من اليسر ، مثل المرحمة والمشامة .

ومعنى الكلام : وإن كان من غرمائكم ذو عُسْرَةٍ ، فعليكم أن تنظروه حتى يُوسِرَ بما^(٢) لكم ، فيصير من أهل اليسر به .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى واصلُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ فضيلٍ ، عن يزيدِ بنِ أبى زيادٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قوله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : نزلت فى الربا^(٣) .

[٦٧/٨ ظ] وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرنا هشامٌ ، عن ابنِ سيرينَ ، أنَّ رجلاً خاصمَ رجلاً إلى شريحَ ، فقضى عليه وأمر بحبسِهِ ، قال :

(١) ينظر ما تقدم فى ٣/٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س : « ليس » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٢/٢ (٢٩٣٤) من طريق محمد بن فضيل به ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (تفسير - ٤٥٤) من طريق يزيد بن أبى زياد به .

فقال رجلٌ عند شُريح : إنه مُعَسِّرٌ ، والله يقولُ في كتابه : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : فقال شُريح : إنما ذلك في الرِّبَا ، وإن الله قال في كتابه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء : ٥٨] . وَلَا يَأْمُرْنَا اللَّهُ بِشَيْءٍ ثُمَّ يُعَذِّبُنَا عَلَيْهِ ^(١) .

وحدثني يعقوب ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا مُغِيرَةُ ، عن إبراهيم في قوله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : ذلك في الرِّبَا ^(٢) .

وحدثني يعقوب ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا مُغِيرَةُ ، عن الحسن ^(٣) ، أنَّ الربيعَ بنَ خُثَيْمٍ ^(٤) كان له على رجلٍ حقٌّ ، فكان يأتيه ، فيقومُ على بابِه ، ويقولُ : أَأَنْتُمْ ^(٥) فلانٌ ؟ إِنْ كُنْتُمْ مُوسِرًا فَأَدِّ ، وَإِنْ كُنْتُمْ مُعَسِّرًا فإِلَى مَيْسَرَةٍ ^(٦) .

١١١/٣ / وحدثني يعقوب ، قال : ثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن أيوبَ ، عن محمدٍ ، قال : جاء رجلٌ إلى شُريح ، فكلَّمه ، فجعل يقولُ : إنه مُعَسِّرٌ ^(٧) ، قال : فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُكَلِّمُهُ فِي مَحْبُوسٍ ، فقال شُريح : إِنْ الرِّبَا كَانَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . وقال الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٥٣ - تفسير) من طريق هشيم عن هشام وعن يونس معًا ، دون قوله بعد الآية .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٥٢ - تفسير) عن هشيم به .

(٣) كذا في الأصل ، م ، وفي ص ، ت ٢ ، س : « الحسى » ، وفي ت ١ : « الخشنى » ، ورجع الشيخ شاكر أنها الشعبي ، وذكر محقق تفسير سعيد بن منصور أن رسمها عنده : الحجبي ، واستشكلها ثم قال : ولم أجد الحديث عند غيرهما حتى أتمكن من حل هذا الإشكال .

(٤) في الأصل : « جبير » ، وفي م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « خيثم » .

(٥) في م : « أى » .

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٥٢ - تفسير) عن هشيم به ، وفيه الإشكال المتقدم في الراوى عن الربيع .

(٧) بعده في ص ، م ، ت ١ ، س : « إنه معسر » .

الْأَمْنَتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴿١﴾ . فما كان الله ليأمرنا بأمرٍ ثم يُعَذِّبنا عليه ، أدوا الأماناتِ إلى أهلها ^(١) .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن سعيد ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : فنظرة إلى ميسرة برأس ماله ^(٢) .

وحدثني محمد بنُ سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباس : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ : إنما أمر في الربا أن يُنظرَ المعسرُ ، وليست النظرة في الأمانة ، ولكن تؤدى ^(٣) الأمانة إلى أهلها ^(٤) .

حدثني موسى بنُ هارون ، قال : ثنا عمرو بنُ حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن الشَّدي : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ ﴾ برأس المالِ ﴿ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . يقول : إلى غنى ^(٥) .

وحدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابنِ جريج ، قال : قال ابنُ عباس : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ : هذا في شأنِ الربا ^(٦) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعتُ أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بنُ سليمان ، قال : سمعتُ الضحَّاك في قوله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ : هذا في شأنِ الربا ، وكان أهلُ الجاهلية [٦٨/٨] بها يتبايعون ، فلما أسلم من أسلم

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٠٥/٨ (١٥٣٠٩) ، ووکیع في أخبار القضاة ٣٦٠/٢ ، والنحاس في ناسخه ص ٢٦٣ من طريق أيوب به بنحوه .

(٢) تقدم بمعناه في ص ٥٤ .

(٣) في ص ، ت ٢ : « مؤدى » ، وفي م ، ت ١ ، س : « يؤدى » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٢/٢ (٢٩٣٥) عن محمد بن سعد به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ (٢٩٤٠) من طريق عمرو بن حماد به .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦٨/١ إلى ابن المنذر .

منهم ، أَمِروا أَنْ يَأْخُذُوا رِعْوَسَ أَمْوَالِهِمْ ^(١) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ : يَغْنَى الْمَطْلُوبُ ^(٢) .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . قَالَ : الْمَوْتُ ^(٣) .

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : ثَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ مِثْلَهُ ^(٤) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عَقَبَةَ ، قَالَ : ثَنَا سَفِيَّانُ ، عَنْ الْمَغِيرَةِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . قَالَ : هَذَا فِي الرِّبَا .

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : ثَنَا شَرِيكٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي الرَّجُلِ يَتَزَوَّجُ إِلَى مَيْسَرَةٍ ، قَالَ : إِلَى الْمَوْتِ أَوْ إِلَى فُرْقَةٍ .

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : ثَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . قَالَ : ذَلِكَ فِي الرِّبَا ^(٥) .

/ وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : ثَنَا مِثْدَلٌ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ١١٢/٣

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٦٨ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٢/٢ (٢٩٣٢) من طريق أبي صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ (٢٩٣٩) من طريق وكيع به .

(٤ - ٥) في الأصل : « بن محمد عن » .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٥٢ - تفسير) عن هشيم به .

﴿فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ . قال : يُؤَخِّرُهُ وَلَا يَزِدُّ عَلَيْهِ ، وَكَانَ إِذَا حَلَّ ذَيْنَ بَعْضِهِمْ فَلَمْ يَجِدْ مَا يُعْطِيهِ ، زَادَ عَلَيْهِ وَأَخَّرَهُ .

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نَعِيمٍ ، قَالَ : ثنا مَيْدَلٌ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ . قال : يُؤَخِّرُهُ وَلَا يَزِدُّ عَلَيْهِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ هَذِهِ الْآيَةُ عَامٌّ^(١) فِي كُلِّ مَنْ كَانَ لَهُ قَيْلَ رَجُلٍ مُعْسِرٍ حَقٌّ ، مِنْ أَيْ وَجِهٍ كَانَ ذَلِكَ الْحَقُّ ، مِنْ ذَيْنَ حَلَالٍ أَوْ رَبًّا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

^(٢) حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ، قَالَ : قَالَ لِي عَطَاءٌ : ذَلِكَ فِي الرِّبَا وَالذَّيْنِ ، فِي كُلِّ ذَلِكَ^(٣) .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُؤَيْيَرٌ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، قَالَ : مَنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ ﴿فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ . قَالَ : وَكَذَلِكَ كُلُّ ذَيْنَ عَلَى مُسْلِمٍ ، فَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ لَهُ ذَيْنَ عَلَى أَخِيهِ يَعْلَمُ مِنْهُ عُسْرَةٌ أَنْ يَشْجُنَهُ ، وَلَا يَطْلُبَهُ مِنْهُ حَتَّى يُيسِّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا جَعَلَ النَّظْرَةَ فِي الْحَلَالِ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتِ الدِّيُونُ عَلَى ذَلِكَ^(٣) .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ فَضِيلٍ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ

(١) فِي م : «عامة» .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، س .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٥٢/٢ (٢٩٣٧) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ جَرِيرٍ بِهِ .

(٣) عَزَاهُ السَّيَوْتِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٣٦٨/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُشْرٍ فَنُظْرَةٌ إِلَى مِيسِرَةٍ ﴾ . قال :
نزلت في الدين^(١) .

والصواب من القول في قوله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُشْرٍ فَنُظْرَةٌ إِلَى مِيسِرَةٍ ﴾ .
أنه يعنى به غُرماء الذين كانوا أسلموا على عهد رسول الله ﷺ ، ولهم عليهم ديونٌ
قد أربوا فيها [٦٨/٨ ظ] في الجاهلية ، فأدركهم الإسلام قبل أن يقبضوها منهم ، فأمر
الله بوضع ما بقى من الربا بعد ما أسلموا ، واقتضاء^(٢) رءوس أموالهم من كان منهم
من غُرمائهم مُوسِراً ، وإنظار من كان منهم مُعسِراً برءوس أموالهم إلى ميسرتهم ،
فذلك حكم كل من أسلم وله ربا قد أَرَبَى على غريم له ، فإن إسلامه يُبْطِلُ عن غريمه
ما كان له عليه من قبل الربا - ويُلزِمُه أداء رأس مالِه الذي كان أخذ منه ، أو لزمه من
قبل الإرباء - إليه إن كان مُوسِراً ، وإن كان معسِراً كان مُنْظَرًا برأس مالٍ صاحبه إلى
ميسرته ، وكان الفضل على رأس المال مُبْطَلًا عنه ، غير أن الآية وإن كانت نزلت في
من ذكّرنا ، وإيّاهم عنى بها ، فإن الحكم الذي حكم الله به في إنظار المعسر برأس مالٍ
المُرَبَّى بعد بُطُولِ الربا عنه حكم واجب لكل من كان عليه دينٌ لرجلٍ قد حلَّ عليه ،
وهو بقضائه معسرٌ ، في أنه به مُنْظَرٌ إلى ميسرته ؛ ولأن دين كل ذي دين في مالٍ
غريمه ، وعلى غريمه قضاؤه منه ، لا في رقبته ، فإذا عُذِمَ ماله ، فلا سبيلَ على رقبته
بحبس ولا بيع ، وذلك أن مالَ ربِّ الدين لن يَخْلُوَ من أحدٍ وجوه ثلاثة ؛ إمّا أن يكونَ
في رقبته غريمه ، أو في ذمته يَقْبِضُهُ^(٣) من ماله ، أو في مالٍ له بعينه ؛ فإن يكن في مالٍ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٢/٢ (٢٩٣٤) من طريق ابن فضيل به ، وأخرجه سعيد بن منصور
(٤٥٤ - تفسير) من طريق يزيد بن أبي زياد به وعندهما بلفظ : الربا . وينظر الدر المنثور ٣٦٨/١ فقد عزاه إلى
ثلاثتهم بلفظ : الربا .

(٢) في م : « يقبض » .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « يقبضه » .

له بعينه ، فمتى بطل ذلك المَالُ وعُدم ، فقد بطلَ دينُ ربِّ المالِ ، وذلك ما لا يقوله أحدٌ ، أو يكونُ في رقبته فإن يكنْ ذلك كذلك فمتى عُدِمَت نفسه فقد بطلَ دينُ ربِّ الدِّينِ وإن خَلَفَ الغريمُ وفاءً بحقه وأضعافَ ذلك ، وذلك أيضًا ما لا يقوله أحدٌ ، فقد تبَيَّنَ إذا إذ كان ذلك كذلك ، أن دَيْنَ ربِّ المالِ في ذمَّةِ غريمِهِ ، يقضيه من ماله ، فإذا عُدِمَ ماله فلا سبيلَ له على رقبته ؛ لأنه قد عُدِمَ ما كان له عليه أن يُؤدِّيَ منه حقَّ صاحبه لو كان موجودًا ، وإذا لم يكنْ على رقبته سبيلٌ ، لم يكنْ إلى حسيه وهو ١١٣/٣ مُعَدِّمٌ^(١) بحقه سبيلٌ ؛ لأنه غيرُ مانعه حقًا له إلى قضائه سبيلٌ ، فيعاقَبَ بظلمه إيَّاه بالحبس .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بذلك : وَأَنْ تَصَدَّقُوا برءوسِ أموالكم على هذا المعسرِ ، ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أيُّها القومُ من أن تُنْظِرُوهُ إلى ميسرته لتَقْبِضُوا رءوسَ أموالكم منه إذا أيسرَ ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٥٦٩/٨] موضعُ الفضلِ في الصدقة ، وما أَوْجَبَ اللَّهُ من الثوابِ لِمَنْ وَضَعَ عن غريمِهِ المعسرِ دينَهُ .

واختلفَ أهلُ التأويلِ في تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : وَأَنْ تَصَدَّقُوا برءوسِ أموالكم على الغنيِّ والفقيرِ منهم خيرٌ لكم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثَنَا بشرُ بْنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بْنُ زُرَّيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَإِنْ تَبَيَّنْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ : والمالُ الذي لهم على ظهورِ الرجالِ ،

جَعَلَ لَهُمْ رَعُوسَ أَمْوَالِهِمْ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، فَأَمَّا الرِّبْحُ وَالْفَضْلُ فَلَيْسَ لَهُمْ ، لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ، ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . يَقُولُ : وَأَنْ تَصَدَّقُوا بِأَصْلِ الْمَالِ خَيْرٌ لَّكُمْ ^(١) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْمٍ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا ﴾ أَيْ : بِرَأْسِ الْمَالِ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانُ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ : ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . قَالَ : مِنْ رَعُوسِ أَمْوَالِكُمْ .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بِمِثْلِهِ .
وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانُ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ : ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ : قَالَ : ^(٢) «رَعُوسِ الْأَمْوَالِ» ^(٣) .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ : ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . قَالَ ^(٤) : أَنْ تَصَدَّقُوا بِرَعُوسِ أَمْوَالِكُمْ .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : وَأَنْ تَصَدَّقُوا بِهِ عَلَى الْمَعْسِرِ خَيْرٌ لَّكُمْ . نَحْوَمَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّذِيِّ :

(١) تقدم تخريجه في ص ٥٤ دون آخره ، وعلقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ عقب الأثر (٢٩٤١) .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ (٢٩٤١) من طريق سفيان به .

﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ . قال : وَأَنْ تَصَدَّقُوا بِرُءُوسِ أَمْوَالِكُمْ عَلَى الْفَقِيرِ ، فهو خيرٌ لكم . فتصدق به العباس ^(١) .

وحدثني المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿وَلِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ . يقول : وَإِنْ تَصَدَّقْتَ [٦٩/٨ ط] عليه برأس مالِك فهو خيرٌ لك ^(٢) .

وحدثني عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعتُ أبا معاذ ، قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال : سمعتُ الضحَّاك في قوله : ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ : يعنى ١١٤/٣ على المعسر ، فأما الميسر فلا ، ولكن يؤخذ منه رأس المال ، والمعسر الأخذ منه حلالٌ ، والصدقة عليه أفضل .

وحدثني المشنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هُشَيْمٌ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحَّاك : ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ ^(٣) من رُءُوسِ أَمْوَالِكُمْ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من نظرة إلى ميسرة ، فاختار الله عز وجل الصدقة على النظرة .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿وَلِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال : من النظرة ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

وحدثني يحيى بن أبى طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جُوَيْرٍ ، عن الضحَّاك : ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ : والنظرة واجبة ،

(١) أخرجه بنحوه ابن أبى حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ عقب الأثر (٢٩٤١) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ عقب الأثر (٢٩٤١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣ - ٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « برعوس » .

وخيّر^(١) الله الصدقة على النظرة ، والصدقة لكل معسر ، فأما الموسر فلا .

وأولى التأويلين بالصواب تأويل من قال : معناه : وأن تصدّقوا على المعسر برعوس أموالكم خير لكم . لأنه يلي ذكر حكمه في المفسر^(٢) ، وإلحاقه بالذي يليه أولى^(٣) من إلحاقه بالذي بعد منه .

وقد قيل : إن هذه الآيات في أحكام الربا هنّ آخر آيات نزلت من القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، وحدثني يعقوب ابن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علقمة ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، أن عمر بن الخطاب قال : كان آخر ما أنزل الله من القرآن آية الربا ، وإن نبي الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها ، فدعوا الربا والرّيبة^(٤) .

وحدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن عامر ، أن عمر رضي الله عنه قام ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنه والله ما أدرى ، لعلنا نأمركم بأمر لا يصلح لكم ، وما أدرى لعلنا ننهاكم عن^(٥) أمور تصلح لكم ، وإنه كان من آخر القرآن تنزيلاً آيات الربا ، فتوفّي رسول الله ﷺ قبل أن يبيّن لنا ، فدعوا ما يريثكم إلى ما لا يريثكم^(٦) .

(١) خير : فضل . ينظر النهاية ٢ / ٩١ .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « المعنين » .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « أحب إلى » .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٢٧٦) من طريق سعيد به .

(٥ - ٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « أمر يصلح » .

(٦) عزاه الحافظ في الفتح ٢٠٥ / ٨ إلى المصنف .

حدَّثني أبو زيدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ ، قال : ثنا قَيْصَةُ ، قال : ثنا سفيانُ الثوريُّ ، عن عاصمِ الأحولِ ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : آخرُ ما أُنزلَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ آيةُ الرِّبا ، وإنَّا لنأْمُرُ بالشَّيءِ لا نَدْرِي لعلَّ به بأسًا ، ونَنْهَى عن الشَّيءِ لعلَّه ليس به بأسٌ ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله عز وجل : [٧٠/٨] ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ .

وقيل أيضًا : إنَّ هذه الآيةَ آخرُ آيةٍ نزلت من القرآن .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا أبو ثُمَيْلَةَ ، قال : ثنا الحسينُ بْنُ وَاقِدٍ ، عن يزيدِ النحويِّ ، عن عكرمةَ ، / عن ابنِ عباسٍ ، قال : آخرُ آيةٍ أُنزلت على النبي ﷺ : ١١٥/٣ ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ ^(٢) .

وحدَّثني محمدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عَمِي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية : فهي آخرُ آيةٍ من الكتابِ أُنزلت ^(٣) .

(١) أخرجه أبو عبيد في الفضائل ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، والبخارى (٤٥٤٤) ، والبيهقي في الدلائل ١٣٨/٧ من طريق قبيصة به ، وعند البخارى إلى قوله : آية الرِّبا . وقال الحافظ في الفتح ٨/ ٢٠٥ : المراد بالآخرة في الرِّبا تأخر نزول الآيات المتعلقة به من سورة البقرة ، وأما حكم تحريم الرِّبا فنزوله سابق لذلك بمدة طويلة ، على ما يدل عليه قوله تعالى في آل عمران في أثناء قصة أحد : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الرِّبا أضعافا مضاعفة﴾ . الآية .

(٢) أخرجه النسائي (١١٠٥٧ ، ١١٠٥٨ - كبرى) ، والطبراني (١٢٠٤٠) ، والبيهقي في دلائل النبوة ١٣٧/٧ من طريق الحسين به .

(٣) أخرجه الطبراني (١٢٣٥٧) بسند آخر إلى ابن عباس .

وحدثني محمد بن عُمارة، قال: ثنا^(١) سهل بن عامر، قال: ثنا مالك بن مِغْوَل، عن عطية، قال: آخرُ آية أنزلت: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢).

وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشَّدِيِّ، قال: آخرُ آية نزلت: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية^(٣).

وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو ثُمَيْلَةَ، عن عُبيد بن سليمان، عن الضَّحَّاك، عن ابن عباس، وحجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: آخرُ آية نزلت من القرآن: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قال ابن جريج: يقولون: إن النبي ﷺ مكث بعدها تسع ليالٍ، وبُدئ^(٤) يوم السبت، ومات يوم الاثنين^(٥).

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: ثنى سعيد بن المسيَّب، أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين^(٦).

يعنى بذلك جل ثناؤه: واخذوا أيها الناس يوماً ترجعون فيه إلى الله، فتلقونه

(١) بعده في ص، م، ت، ١، ت ٢، س: «إسماعيل بن».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/٥٤١، ١٤/١٠٥ من طريق مالك به.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/٥٤٠، ١٤/١٠٤ من طريق وكيع به.

(٤) في النسخ: «بدا». والمثبت من فضائل القرآن، وتفسير ابن كثير ١/٤٩٤. ويُدعى فلان: مرض. النهاية ١/١٠٤.

(٥) أخرجه الواحدى في تفسيره ١/٣٩٩ من طريق الضحاك به، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص

٢٢٤ عن حجاج به.

(٦) ذكره ابن كثير ١/٤٩٥ عن المصنف بسنده، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٧٠ إلى المصنف،

وأخرجه أبو عبيد فى الفضائل ص ٢٢٤ من طريق عقيل عن ابن شهاب قوله.

وقال الحافظ فى الفتح ٨/٢٠٥: وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هى ختام الآيات المنزلة فى

الربا، إذ هى معطوفة عليهن.

فيه، أى ^(١) تردوا عليه بسيئات تَهْلِكُكُمْ، أو بمخزيات تُخْزِيكُمْ، أو بفاضحات ^(٢) تَفْضَحُكُمْ، فَتَهْتِكُ أَسْتَارَكُمْ، أو بموبات تُوبِقُكُمْ، فتوجب لكم من عقاب الله ربكم ما لا قبيل لكم به، فإنه يوم مجازاة بالأعمال، لا يوم استعتاب، ولا يوم استقالة وتوبة وإنابة، ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة، تُوفى فيه ^(٣) كل نفس أجرها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح، لا يُغَادَرُ فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر إلا أُحْضِرَتْ فُوقِيَتْ ^(٤) جزاءها بالعدل من ربها، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، كيف يُظْلَمُ مَنْ جُوزِيَ بالإساءة مثلها، وبالحسنة عشر أمثالها؟ كلا بل عدل عليك أيها الميسء، وتكرم عليك، فأفضل وأسنغ أيها المحسن، فاتقَى امرؤ ربّه، [٧٠/٨ ظ] وأخذ منه جذره، وراقبه قبل ^(٥) أن يهجم عليه يومه، وهو من الأوزار ظهره ثقيل، ومن صالحات الأعمال خفيف، فإنه تعالى ذكره قد حذر فأعذر ^(٦)، ووعظ فأبلغ.

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنَتْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

/يعنى بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿إِذَا تَدَايَنَتْ﴾ ١١٦/٣
يعنى: إذا تبايعتم بدَيْنٍ أو اشترتكم به، أو تعاطيتم، أو أخذتم به، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. يقول: إلى وقت معلوم وقسموه بينكم، وقد يدخل فى ذلك القرض

(١) فى ص، م، ت، ١، ت، ٢، س: «أن».

(٢) فى م: «بفضيحات».

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى ص، ت، ١، ت، ٢، س: «فوقيت»، وفى م: «فتوفى».

(٥) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، س.

(٦) فى س: «فأندر».

وَالسَّلَامُ فِي كُلِّ مَا جازَ السَّلَامُ^(١) فِيهِ ؛ لِأَنَّ السَّلَامَ^(٢) شَرَاءُ أَجَلٍ بِنَقْدٍ^(٣) يَصِيرُ ذَيْنَا عَلَى بَائِعٍ مَا أَسْلَمَ إِلَيْهِ فِيهِ . وَيَحْتَمِلُ بَيْعَ الْحَاضِرِ الْجَائِزِ بَيْعُهُ مِنَ الْأَمْلاِكِ بِالْأَثْمَانِ الْمُؤَجَّلَةِ ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الدِّيُونِ الْمُؤَجَّلَةِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، إِذَا كَانَتْ أَجَالُهَا مَعْلُومَةً بِحَدِّ مَوْقُوفٍ عَلَيْهِ . وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي السَّلَامِ خَاصَّةً .

ذَكَرُ الرِّوَايَةِ عَنْهُ بِذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ عِيسَى الرَّمْلِيُّ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ . قَالَ : السَّلَامُ فِي الْخِطَّةِ ، فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُخَرَّمِيُّ^(٤) ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ الصَّامِتِ^(٥) ، قَالَ : ثنا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ ﴾ قَالَ : نَزَلَتْ فِي السَّلَامِ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ^(٦) .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : ثنا زَيْدُ^(٧) بْنُ أَبِي الزَّرْقَاءِ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ أَبِي

(١ - ١) سقط من ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بَيْعُهُ » ، وَفِي س : « مَعَهُ » .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٩٥/١ عَنْ سَفْيَانَ بِهِ . وَأَصْلُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ رِوَايَةِ سَفْيَانَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي الْمُهَالِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . الْبُخَارِيُّ (٢٢٣٩ ، ٢٢٥٣) ، وَمُسْلِمٌ (١٦٠٤) .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْمُخَرَّمِيُّ » .

(٥) فِي م : « الصَّامِح » .

(٦) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرَجَاتِ ٣٧٠/١ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَالْمُصَنِّفِ .

(٧) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يَزِيدٌ » . يَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٧٠ / ١٠ .

حَيَّانَ ، عن رجلٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نزلت هذه الآية : ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتَبُوهُ ﴾ في السَّلَفِ ^(١) في الحِنْطَةِ في كيلٍ معلومٍ إلى أجلٍ معلومٍ ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا محمدُ بْنُ مُحَبِّبٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبي حيانَ التَّمِيمِيِّ ، عن رجلٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نزلت هذه الآية : [٧١/٨] ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ في السَّلَفِ في الحِنْطَةِ في كيلٍ معلومٍ إلى أجلٍ معلومٍ ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ ، قال : ثنى أبى ، عن قتادة ، عن أبى حَسَّانَ ^(٣) ، عن ابنِ / عباسٍ ، قال : أشهدُ أن السَّلَفَ المضمونَ إلى أجلٍ مُّسَمًّى ، أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد أحله ، وأذن فيه . ويتلو هذه الآية : ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ^(٤) .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ قوله : ﴿ بِدِينٍ ﴾ وقد دلَّ بقوله : ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ ﴾ عليه ، وهل تكونُ مُداينةٌ بغيرِ دينٍ فاحتيج إلى أن يقال : ﴿ بِدِينٍ ﴾ ؟

قيل : إن العربَ لما كان مقولاً عندها « تدايْنَا » ، بمعنى : تجارَئنا . وبمعنى : تعاطينا الأخذَ والإعطاءَ بدَّينٍ - أبانَ اللهُ جلَّ ثناؤه بقوله : ﴿ بِدِينٍ ﴾ المعنى الذى قصدَ « تعريفَ عبادِهِ » من قوله : ﴿ تَدَايَنْتُمْ ﴾ حُكْمَهُ ، وأعلمهم أنه « عنى به »

(١) فى ص ، م ، س : « السلم » .

(٢) أخرجه البيهقى ١٨/٦ من طريق سفيان به .

(٣) فى م : « حيان » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٤/٢ (٢٩٤٨) من طريق هشام الدستوائى به .

(٥ - ٥) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « تعريفه » .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، س .

حُكْمُ الدِّينِ دُونَ حُكْمِ الْمَجَازَةِ .

وقد زعم بعضهم أن ذلك تأكيدٌ ، كقوله : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتْمَعُونَ ﴾ [الحجر : ٣٠ ، ص : ٧٣] ، ولا معنى لما قال من ذلك في هذا الموضع .
القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَاصْكُتُوا ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ فَاصْكُتُوا ﴾ : فاصْكُتُوا الَّذِينَ الَّذِينَ تَدَايَنْتُمُوهُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، من بيع كان ذلك أو قرض .

واختلف أهل العلم في اكتتاب الكتاب بذلك على من هو عليه ^(١) ، هل هو واجب أو هو نذبة ؟ فقال بعضهم : هو حق واجب ، وفرض لازم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحَّاك في قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاصْكُتُوا ﴾ قال : من باع إلى أجلٍ مُّسَمًّى أمره الله أن يكتب ، صغيراً كان أو كبيراً ، إلى أجل [٧١/٨ ظ] مُّسَمًّى ^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاصْكُتُوا ﴾ قال : فمن اذَّان ديناً فليكتب ، ومن باع فليشهد ^(٣) .

(١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٥٥/٢ (٢٩٥٢) من طريق جوير به نحوه .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٩٦/١ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ : فَكَانَ هَذَا وَاجِبًا ^(١) .

وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بِمِثْلِهِ ، وَزَادَ فِيهِ : قَالَ : ثُمَّ جَاءَتِ الرُّخْصَةُ وَالسَّعَةُ ، قَالَ : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ أَبَا سَلِيمَانَ الْمَرْعَشِيَّ ^(٣) كَانَ رَجُلًا صَحْبَ كَعْبَا ، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ تَعْلَمُونَ مَظْلُومًا دَعَا رَبَّهُ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ ؟ قَالُوا : وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ بَاعَ ^(٤) بَيْعًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ^(٥) ، فَلَمْ يَكْتُبْ وَلَمْ يُشْهِدْ ، فَلَمَّا حَلَّ مَالُهُ جَحَدَهُ صَاحِبُهُ ، فَدَعَا رَبَّهُ ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ عَصَى رَبَّهُ ^(٥) .

/وَقَالَ آخَرُونَ : كَانَ اكْتِتَابُ الْكِتَابِ بِالَّذِينَ فَرَضَا ، فَنَسَخَهُ قَوْلُهُ : ﴿ فَإِنْ آمَنَ ١١٨/٣ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ ﴾ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ ^(٦) وَمَعْمَرٌ ^(٦) ، عَنْ ابْنِ شُبْرُمَةَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : لَا بَأْسَ إِذَا أَمِنْتَهُ أَلَّا تَكْتُبَ وَلَا تُشْهِدَ ، لِقَوْلِهِ : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ ، عَنْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٥/٢ (٢٩٥٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٢٨٦ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٢/٣٤٣ .

(٣) في الأصل : « المرعش » ، وفي ص : « المدعس » ، وفي ت ١ ، س : « المرعس » .

(٤ - ٥) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « شيئا » .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٩٦/١ عن قتادة به .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

الشَّعْبِيُّ : إلى هذا انتهى ^(١) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر في هذه الآية : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ حتى بلغ هذا المكان : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ ﴾ قال : رخص في ذلك ، فمن شاء أن يَأْتِمَنَ صاحبه فَلْيَأْتِمَنَّهُ ^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : إن أئتمنه فلا يُشْهَدُ عليه ولا يَكُتُب .

حدثت عن عمارة ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : فكانوا يَرَوْنَ أن هذه الآية : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ نسخت ما قبلها من الكتابة والشهود ، رخصةً ورحمةً من الله ^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال غير عطاء : نسخت الكتاب والشهادة : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ ^(٤) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : نسخ ذلك قوله : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ ﴾ [٧٢/٨] قال : فلولا هذا الحرف لم ينبغ ^(٥) لأحد أن يَدَّانَ بدينٍ إلا بكتاب وشهداء ، أو برهن ، فلما جاءت هذه

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٠/٢ (٣٠٤٢) عن الحسن به .

(٢) أخرجه البيهقي ١٠/ ١٤٥ من طريق داود به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٧٣ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه بنحوه الثوري في تفسيره ص ٧٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧١/٢ (٣٠٤٦) ، وابن الجوزي

في النواسخ ص ٢٢١ من طريق إسماعيل بن أبي خالد به .

(٤) ينظر النواسخ ص ٢٢٢ .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يبع » .

نسخت هذا كله ، وصار إلى الأمانة^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن سليمان التيمي ، قال : سألت الحسن قلت : كل من باع بيعاً يتبغى له أن يشهد ؟ فقال : ألم تر أن الله عز وجل يقول : ﴿ فليؤد الذي أوثقن أمنتته ﴾^(٢) .

^(٣) حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر في هذه الآية : ﴿ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ حتى بلغ هذا المكان : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤدِّ الَّذِي أَوْثَقِنَ أَمْنَتَهُ ﴾ قال : رخص في ذلك ، فمن شاء أن يآتمن صاحبه فليأتمنه^(٤) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي في قوله : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ قال : إن أشهدت فحزمت ، وإن لم تشهد ففى حل وسعة^(٥) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : قلت للشعبي : رأيت الرجل / يستدين^(٦) من الرجل الشيء ، أحتم عليه أن ١١٩/٣ يشهد ؟ فقال : ^(٧) ألا ترى إلى قوله : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ ؟ قد نسخ ما كان قبله .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا محمد بن مروان العقيلي ، قال : ثنا عبد الملك

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٤٩٦/١ .

(٢) أخرجه ابن الجوزي في النواسخ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ من طريق سليمان التيمي به .

(٣ - ٣) تقدم هذا الأثر في الصفحة السابقة ، وشيخ المصنف هناك المثنى وهنا محمد بن المثنى .

(٤) أخرجه البيهقي ١٤٥/١٠ من طريق داود به .

(٥) في الأصل : « يشترى » .

(٦ - ٦) في م ، ت ٢ : « فقرأ » ومكانها بياض في ص ، ت ١ ، ت ٣ ، س .

ابن^(١) أبى نَضْرَةَ ، ^(٢) عن أبيه ^(٣) ، عن أبى سعيد الخُدْرِي أنه قرأ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ قال : فقرأ إلى : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ قال : هذه نسخت ما قبلها^(٤) .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَيَكْتُبَنَّكُمْ كَاتِبٌ بِالْمَكْدَلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وليكتب كتاب الدين إلى الأجل المسمى بين الدائن والمدين ﴿ كَاتِبٌ بِالْمَكْدَلِ ﴾ يعنى : بالحق والإنصاف فى كتابه الذى يكتبه بينهما ، بما لا يتحيف ذا الحق حقه ، ولا يتخسسه ، ولا يوجب له حجة على من عليه دينه فيه بباطل ، ولا يلزمه ما ليس عليه .

كما حدثنا بشر بن معاذ قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : ﴿ وَلَيَكْتُبَنَّكُمْ كَاتِبٌ بِالْمَكْدَلِ ﴾ قال : اتقى الله كاتب فى كتابه ، فلا يدع عن منه حقاً ، ولا يريدن فيه باطلاً^(٥) .

وأما قوله : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ فإنه يعنى : ولا يأتين كاتب استكتب ذلك أن يكتب بينهم كتاب الدين ، كما علمه الله كتابته فخصه بعلم ذلك ، وحرمه كثيراً من خلقه .

[٧٢/٨ ظ] وقد اختلف أهل العلم فى وجوب الكتابة^(٥) على الكاتب إذا

(١) بعده فى ت ١ ، س : « فضالة » .

(٢ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، وينظر الجرح والتعديل ٣٧٠ / ٥ .

(٣) أخرجه ابن الجوزى فى التواضع ص ٢٢٢ من طريق عمرو بن على به . وأخرجه البخارى فى التاريخ ٢٣٢ / ١ ، وابن ماجه (٢٣٦٥) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧٠ / ٢ (٣٠٤١) ، والنحاس فى ناسخه ص ٢٦٧ ، والطبرانى فى الأوسط (١٥٥٨) ، وابن عدى ٢٢٦٧ / ٦ ، والبيهقى ١٤٥ / ١ ، والمزى ٤٢٨ / ١٨ من طريق محمد بن مروان العقيلي به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٣ / ١ إلى أبى نعيم .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٨ / ٢ (٢٩٦٩) من طريق يزيد بن زريع به .

(٥) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الكتاب » .

اسْتُكْتِبَ ذَلِكَ ، نظير اختلافهم في وجوب الكتابة^(١) على الذى له الحق .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ ﴾ قَالَ : واجِبٌ على الكاتبِ أَنْ يَكْتُبَ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَطَاءٍ : قَوْلُهُ : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ ﴾ أَوَاجِبٌ أَلَا يَأْتِي أَنْ يَكْتُبَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : وَقَالَ مُجَاهِدٌ : واجِبٌ على الكاتبِ أَنْ يَكْتُبَ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عن ابنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ بِمِثْلِهِ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن إسرائيلَ ، عن جَابِرٍ ، عن عامِرٍ وَعَطَاءٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ قَالَا : إِذَا لَمْ يَجِدُوا كَاتِبًا فَدُعِيَتْ ، فَلَا تَأْبَ أَنْ تَكْتُبَ لَهُمْ^(٥) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ : هِيَ مَنْسُوخَةٌ

قد ذكرنا جماعةً من قال : كلُّ ما فى هذه الآية من الأمرِ بالكتابة والإشهاد والرهن

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الكتاب » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٥٥٦/٢ (٢٩٥٩) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٠/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٥٥٦٠) عن ابن جريج به .

(٤) سقط من : الأصل ، ص ، س .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم فى تفسيره ٥٥٦/٢ عقب الأثر (٢٩٦٠) معلقا .

منسوخ بالآية التي في آخرها . وأذكر قول من تركنا ذكره هنالك لبعض^(١) المعاني .

١٢٠/٣ /حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ ﴾ قال : كانت عزيمة فنسختها : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾^(٢) .

حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ وَلَيَكْتُبَنَّكُمْ ﴾ [٧٣/٨] كَاتِبٌ بِالْمَدِّ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ : فكان هذا واجبا على الكاتب^(٣) .

وقال آخرون : هو على الوجوب ، ولكنه واجب على الكاتب في حال فراغه .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله : ﴿ وَلَيَكْتُبَنَّكُمْ ﴾ كَاتِبٌ بِالْمَدِّ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ يقول : لا يأب كاتب أن يكتب إن كان فارغا^(٤) .

والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تبارك وتعالى أمر المتدائنين إلى أجل مسمى باكتتاب كتب الدين بينهم ، وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل ، وأمر الله فرض لازم ، إلا أن تقوم حجة بأنه إرشاد ونذبة ، ولا دلالة تدل على أن أمره جل ثناؤه باكتتاب الكتب في ذلك ، وأن تقدمه إلى الكاتب ألا يأتي كتابة ذلك -

(١) في ص ، م : « بعض » ، وفي س : « بعض » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٠/١ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٥٧/٢ (٢٩٦٥) من طريق ابن أبي جعفر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور

٣٧٠/١ إلى ابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٧/٢ (٢٩٦٢) من طريق عمرو بن حماد به .

ندب وإرشاد ، فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه ، ومن ضييعه منهم كان حرجا بتضييعه .

ولا وجه لاعتلال من اعتل بأن الأمر بذلك منسوخ بقوله : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ ﴾ ؛ لأن ذلك إنما أذن الله تعالى ذكره به حيث لا سبيل إلى الكتاب أو إلى الكاتب ، فأما الكتاب والكاتب موجودان ، فالفرض - إذا كان الدين إلى أجل مُسمى - ما أمر الله تعالى ذكره به في قوله : ﴿ فَاصْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ وإنما يكون الناسخ ما لم يَجْزُ اجتماع حكمه وحكم المنسوخ في حال واحدة ، على السبيل التي قد بيناها ، فأما ما كان أحدهما غير نافٍ حكم الآخر ، فليس من الناسخ والمنسوخ في شيء .

ولو وجب أن يكون قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ ﴾ ناسخا قوله : ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاصْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ . لوجب أن يكون قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [المائدة : ٦] ناسخا الوضوء بالماء في الحضر عند وجود الماء فيه ، وفي السفر الذي فرضه الله عز وجل بقوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ . وأن يكون قوله في كفارة الظهار : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَحْذَ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ [المجادلة : ٤] ناسخا قوله : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ﴾ [المجادلة : ٣] . فيسأل القائل : إن قول الله عز وجل : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ ﴾ ناسخ قوله :

١٢١/٣ ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ - الفرق^(١) بينه وبين قائل في التيميم وما ذكرنا قوله فرغم أن كل ما أبيض في حال الضرورة لعل الضرورة، [٧٣/٨ ظ] ناسخ حكمه في حال الضرورة حكمه في^(٢) كل أحواله ، نظير قوله في أن الأمر باكتتاب كتب الديون والحقوق منسوخ بقوله : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنُمْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ﴾ .

فإن قال : الفرق بيني وبينه أن قوله : ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ كلام منقطع عن قوله : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنُمْ مَقْبُوضَةً﴾ وقد انتهى الحكم في السفر إذا عديم فيه الكاتب بقوله : ﴿فَرِهْنُمْ مَقْبُوضَةً﴾ وإنما عني بقوله : ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ : إذا تداينتم بدین إلى أجل مسمى فأمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته .

قيل له : وما البرهان على ذلك من أصل أو قياس ، وقد انقضى الحكم في الدين الذي فيه إلى الكاتب^(٣) والكتاب سبيل بقوله : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ؟

وأما الذين زعموا أن قوله : ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ وقوله : ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ . على وجه التذنب والإرشاد ، فإنهم يسألون البرهان على دعواهم في ذلك ، ثم يعارضون بسائر أمر الله عز وجل الذي أمر في كتابه ، ويسألون الفرق بين ما ادَّعَوْا في ذلك ، وأنكروه في غيره ، فلن يقولوا في شيء من ذلك قولاً إلا ألزموا في الآخر مثله .

(١) في م : « ما الفرق » ، وفي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « والفرق » .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « و » .

(٣) في الأصل : « الكتاب » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ : الْعَدْلُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ : الْحَقُّ^(١)
 حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
 أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ قَوْلَهُ : ﴿ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ يَقُولُ :
 بِالْحَقِّ^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ
 اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ .

يعنى بذلك : فَلْيَكْتُبِ الْكَاتِبُ ، وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ، وَهُوَ الْغَرِيمُ الْمَدِينُ ،
 يَقُولُ : لِيَتَوَلَّ الْمَدِينُ إِمْلَالَ كِتَابٍ مَا عَلَيْهِ مِنْ دَيْنٍ رَبِّ الْمَالِ عَلَى الْكَاتِبِ ، وَلِيَتَّقِ رَبَّهُ
 الْمُتَمَلَّى الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ، [٧٤/٨] فَلْيَحْذَرْ عِقَابَهُ فِي بَخْسِ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ مِنْ حَقِّهِ
 شَيْئًا ، أَنْ يَنْقُصَهُ مِنْهُ ظُلْمًا ، أَوْ يَذْهَبَ بِهِ مِنْهُ تَعَدُّيًا ، فَيُؤْخَذَ بِهِ حَيْثُ لَا يَقْدِرُ عَلَى
 قَضَائِهِ إِلَّا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، أَوْ أَنْ يَتَحَمَّلَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ .

كَمَا حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ :
 ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ : فَكَانَ هَذَا وَاجِبًا ﴿ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾
 وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا ﴿ يَقُولُ : لَا يَظْلِمُ مِنْهُ شَيْئًا^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا
 يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ . قَالَ : لَا يَنْقُصُ مِنْ حَقِّ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا إِذَا أَمَلَ^(٤) .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٦/٢ (٥٩٥٨) من طريق عمرو به .

(٢) تقدم تخريج أوله في ص ٧٣ ، وأخرج آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٨/٢ عقب الأثر (٢٩٧١) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «أملى» .

(تفسير الطبري ٦/٥)

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾ : فإن كان المدين الذى عليه المال ﴿سَفِيهًا﴾ . يعنى جاهلاً بالصواب فى الذى عليه أن يُمِلَّه على الكاتب .

١٢٢/٣ / كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد : ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ . قال : أمّا السفیه فالجاهل بالإملاء والأمور^(١) .

وقال آخرون : بل السفیه فى هذا الموضع الذى عناه الله : الطفل الصغير .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّى ، قال : ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ : أمّا السفیه فهو الصغير^(٢) .

حدثنى يحيى بن أبى طالب ، قال : أخبرنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا جُوَيْرٍ ، عن الضحاك فى قوله : ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾ قال : هو الصبى الصغير ، فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ^(٣) .

وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال : السفیه فى هذا الموضع الجاهل بالإملاء وموضع صواب ذلك من خطئه . لما قد بيّنا قبل من أن معنى السفه فى كلام العرب

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٩/٢ (٥٩٧٣) من طريق أبى حذيفة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٩/٢ (٢٩٧٤) من طريق عمرو به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣٧/١ إلى المصنف .

الجهل^(١) .

وقد يَدْخُلُ في قوله : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا ﴾ كلُّ جاهلٍ بصوابٍ ما يُمِلُّ من خطئه ، من صغيرٍ وكبيرٍ ، وذَكَرٍ وأنثى . غيرَ أن الذي هو أَوْلَى بظاهرِ الآية أن يكونَ مرادًا بها كلُّ جاهلٍ [٧٤/٨ ط] بموضعٍ خطأً مائِلٌ وصوابه ، من بالغى الرجال الذين لا يُؤَلَّى عليهم ، والنساء ؛ لأنه جل ذكره ابتداءً الآية بقوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ . والصبيُّ ومن يُؤَلَّى عليه لا يجوزُ مداينته ، وأن الله عزَّ وجلَّ قد اسْتَشْنَى مِنَ الَّذِينَ أَمَرَهُمْ بِإِمْلَالِ كِتَابِ الدِّينِ مَعَ السَّفِيهِ الضَّعِيفِ وَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِمْلَالَهُ ، ففي فصله جلَّ ثناؤه الضعيفَ مِنَ السَّفِيهِ وَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِمْلَالَ الْكِتَابِ ، ^(٢) « فِي الصَّفَةِ » التي وَصَفَ بِهَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ - ما أَتَبَأَ عَنْ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ بَيَّنَّ صِفَاتِهِمْ ، غَيْرِ الصَّنِفَيْنِ الْآخَرَيْنِ .

وإذا كان ذلك كذلك ، كان معلومًا أن الموصوفَ بالسَّفَةِ مِنْهُمْ دُونَ الضَّعِيفِ ، هو ذُو الْقُوَّةِ عَلَى الْإِمْلَالِ ، غَيْرَ أَنَّهُ وُضِعَ عَنْهُ فَرَضُ الْإِمْلَالِ بِجَهْلِهِ بِمَوْضِعِ صَوَابٍ ذَلِكَ مِنْ خَطْئِهِ ، وَأَنْ الْمَوْصُوفَ بِالضَّعِيفِ مِنْهُمْ ، هو الْعَاجِزُ عَنْ إِمْلَالِهِ ، وَإِنْ كَانَ سَدِيدًا ^(٣) رَشِيدًا ، إِمْلَاعِي لِسَانِهِ أَوْ خَرَسَ بِهِ ، وَأَنْ الْمَوْصُوفَ بِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ ، هو الْمَمْنُوعُ مِنْ إِمْلَالِهِ ، إِمَّا بِالْحَبْسِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى حُضُورِ الْكَاتِبِ الَّذِي يَكْتُبُ الْكِتَابَ فَيُحْمِلُ عَلَيْهِ ، وَإِمَّا لَعَيْتِهِ عَنْ مَوْضِعِ الْإِمْلَالِ ، فَهُوَ غَيْرُ قَادِرٍ مِنْ أَجْلِ غَيْبَتِهِ عَنْ إِمْلَالِ الْكِتَابِ ، فَوُضِعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ فَرَضُ إِمْلَالِ ذَلِكَ ؛ لِلْعَلَلِ الَّتِي وَصَفْنَا إِذَا كَانَتْ بِهِمْ ، وَعَذَرَهُمْ بِتَرْكِ الْإِمْلَالِ مِنْ أَجْلِهَا ، وَأَمَرَ عِنْدَ سَقُوطِ فَرَضِ ذَلِكَ عَنْهُمْ ^(٤) وَلِيَ الْحَقُّ بِإِمْلَالِهِ ، فَقَالَ : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ

(١) ينظر ما تقدم في ٣٠٢/١ ، ٦١٥/٢ .

(٢ - ٢) زيادة من : م .

(٣) في ص ، م ، ت ، ٢ ، س : « شديدًا » .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، س : « عليهم » .

ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴿٢٨٢﴾ : يعنى ولئى الحق .

ولا وجه لقول من زعم أن السفية فى هذا الموضع هو الصغير ، وأن الضعيف هو الكبير الأحمق ؛ لأن ذلك - إن كان كما قال - يوجب أن يكون قوله : ﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ ﴾ هو العاجز من الرجال العقلاء - الجائزى الأمر فى أموالهم وأنفسهم - عن الإملال ، إما لعله بلسانه ، من خرس أو غيره من العلل ، وإما لغيبته عن موضع الكتاب . وإذا كان كذلك معناه ، بطل معنى قوله : ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ / بِالْعَدْلِ ﴾ ؛ لأن العاقل الرشيد لا يؤلى عليه فى ^(١) ماله وإن كان أخرس أو غائبا ، ولا يجوز حكم أحد فى ماله إلا بأمره ، وفى صحة معنى ذلك ما يقضى على فساد قول من زعم أن السفية فى هذا الموضع هو الطفل الصغير ، أو الضعيف ^(٢) الكبير الأحمق .

ذكر من قال فى ذلك ما قلناه

[٧٥/٨] حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ،

عن الربيع : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ يقول : ولئى الحق ^(٣) .

حدثنى محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن

أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ قال : يقول : فإن عي عن ذلك ، أملاً

(١) زيادة من : م .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) ذكره القرطبى فى تفسيره ٣/ ٣٨٨ .

صاحب الدين بالعدل^(١) .

ذكر من قال : غني بالضعيف في هذا الموضع : الأحق . ويقول :
﴿ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ : ولي السفيه والضعيف

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَّهُ ﴾ . قال : أمر ولي السفيه أو الضعيف أن يميل بالعدل^(٢) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما الضعيف فهو الأحق^(٣) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : أما الضعيف فالأحق^(٣) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا ﴾ : لا يعرف ، فيثبت لهذا حقه ، ويجهل ذلك ، فوليه بمنزله ، حتى يصنع لهذا حقه .

وقد دللنا على أولى القولين^(٤) بالصواب في ذلك .

وأما قوله : ﴿ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ فإنه يعني : بالحق .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧١/١ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٩/٢ عقب الأثر (٢٩٧٥) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣) في الأصل : « الحقيق » .

والأثر ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٩/٢ عقب الأثر (٢٩٧٥) معلقاً .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « القراءتين » ، وفي م : « التأويلين » .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ .

[٧٥/٨ ط] يعنى بذلك جل ثناؤه : واستشهدوا على حقوقكم شاهدين .

يقال : فلان شهيدى على هذا المال ، وشاهدى عليه .

وأما قوله : ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ . فإنه يعنى : من أحراركم المسلمين ، دون

عبيدكم ، ودون أحراركم الكفار .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن

مجاهد : ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ . قال : الأحرار^(١) .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا على بن سعيد^(٢) ، عن هشيم ، عن داود بن أبى

هند ، عن مجاهد مثله^(٣) .

/القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ .

١٢٤/٣

يعنى بذلك : فإن لم يكونا رجلين فليكن رجلاً وامرأتان على الشهادة عليه^(٤) .

ورفع « الرجل » و « المرأتين » بالرد على « الكون » . وإن شئت قلت : فإن لم

يكونا رجلين فليشهد رجلاً وامرأتان على ذلك . وإن شئت : فإن لم يكونا رجلين

فرجل وامرأتان يشهدون عليه . وإن قلت : فإن لم يكونا رجلين فهو رجل^(٥) .

(١) تفسير سفيان ص ٧٣ ، ومن طريقه سعيد بن منصور فى سننه (٤٥٦ - تفسير) ، والبيهقى ١٠/١٦١ ، وأخرجه ابن أبى شيبة ٧٨/٦ عن وكيع به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٠/٢ (٢٩٨٤) من طريق

ليث ، عن مجاهد وفيه زيادة ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧١/١ إلى عهد بن حميد وابن المنذر .

(٢) فى الأصل : « معبد » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور (٤٥٧ - تفسير) - ومن طريقه البيهقى ١٠/١٦١ - عن هشيم به نحوه .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٥ - ٥) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فرجل » .

وامرأتان . كان صوابًا ، كلُّ ذلك جائزٌ . ولو كان : « فرجلًا وامرأتين »^(١) . نصبًا ، كان جائزًا ، على تأويل : فإن لم يكونا رجلين فاستشهدوا رجلًا وامرأتين .
وقوله : ﴿ وَمَنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ . يعنى : من العدول المُرْتَضَى دِيْنُهُمْ وصلاَحُهُمْ .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ . يقول : فى الدِّينِ ، ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ وذلك فى الدِّينِ ، ﴿ وَمَنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ يقول : عدولٌ^(٢) .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضَّحَّاك : ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ : أمر الله أن تُشْهِدُوا^(٣) ذَوَى عدلٍ من رجالكم^(٤) ، ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ وَمَنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ^(٥) .

القول فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ .

اختلفت القراءَةُ فى قراءة ذلك ؛ فقرأته عامَّةُ قِراءةِ أهلِ الحجازِ والمدينةِ وبعضِ أهلِ

(١ - ١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فرجل وامرأتان » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٧١ إلى المصنف مقتصرًا على آخره ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦١/٢ (٢٩٨٧) من طريق ابن أبى جعفر به مقتصرًا على قوله : وذلك فى الدين .

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يشهدوا » .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « رجالهم » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦١/٢ (٢٩٨٦) من طريق إسحاق به .

العراق : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ بفتح الألف من ﴿ أَنْ ﴾ ، ونصب ﴿ تَضِلَّ ﴾ و ﴿ فَتُذَكِّرَ ﴾ ^(١) . بمعنى : فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ، كى تُذَكِّرَ إحداهما الأخرى إن ضلّت . وهو عندهم من المُقَدِّم الذى معناه التأخير ؛ لأن التذكير عندهم هو الذى يجب أن يكون مكان ﴿ تَضِلَّ ﴾ ؛ لأن المعنى ما وصفنا فى قولهم . وقالوا : إنما نصّبنا ﴿ فَتُذَكِّرَ ﴾ ؛ لأن الجزاء لما تقدّم اتّصل ^(٢) بما قبله ، فصار جوابه مردوداً عليه ، كما تقول فى الكلام : إنه ليُعْجِبُنِي أَنْ يَسْأَلَ السَّائِلُ فَيُعْطَى . بمعنى : إنه ليُعْجِبُنِي أَنْ يُعْطَى السَّائِلُ إِنْ سَأَلَ . أو : إذا سأل . فالذى يُعْجِبُكَ هو الإعطاء دون المسألة ، ولكن قوله : أَنْ يَسْأَلَ . لما تقدّم اتّصل بما قبله ، وهو قوله : يُعْجِبُنِي ^(٣) . ففتَحَ « أَنْ » ونصب بها ، ثم أتبع ذلك قوله : فَيُعْطَى . فنصبه بنصب قوله : ليُعْجِبُنِي أَنْ يَسْأَلَ . نسقاً عليه ، وإن كان فى معنى الجزاء .

وقرأ ذلك آخرون كذلك ، غير أنهم كانوا يقرءونه بتسكين الذال من (تُذَكِّرَ) وتخفيف كافها ^(٥) .

وقارئو ذلك كذلك مختلفون فيما بينهم فى تأويل قراءتهم إيّاه كذلك ، وكان بعضهم يُوجِّهه إلى أن معناه : فتُصَيِّرُ إحداهما الأخرى ذكراً باجتماعهما . بمعنى أن شهادتها إذا اجتمعت وشهادة صاحبتها ، جازت كما تجوز شهادة الواحد من الذكور فى الدين ؛ لأن شهادة كل واحدة ^(٦) منهما منفردة غير جائزة فيما جازت فيه من الديون ، إلا باجتماع اثنتين على شهادة واحد ، وتصير شهادتهما حينئذ بمنزلة

(١) وهى قراءة نافع وعاصم وابن عامر والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ١٩٤ .

(٢) فى ص ، س ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ : « أَنْ تَضِلَّ » .

(٣) فى م : « ليُعْجِبُنِي » .

(٤) سقط من : الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

(٥) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو . المصدر السابق .

(٦) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « واحد » .

شهادة واحد من الذكور . فكأنَّ كلَّ واحدةٍ منهما - فى قولٍ مُتَأَوَّلِي ذلك بهذا المعنى - صيِّرَتْ صاحبَتها معها ذَكَرًا ، وذهب إلى قولِ العربِ : لقد أذَكَرَتْ بفلانٍ أمُّه ، أى : ولَدته ذَكَرًا ، فهى تُذَكِّرُ به ، وهى امرأةٌ مُذَكِّرٌ ^(١) ، إذا كانت تَلِدُ الذُّكُورَ مِنَ الأولادِ . وهذا قولٌ يُروى عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ أنه كان يقولُه .

حُدِّثْتُ بذلك عن أبى عُبيدِ القاسمِ بنِ سلامٍ أنه قال : حُدِّثْتُ عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ أنه قال : ليس تأويلُ قوله : ﴿ فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ . من الذُّكْرِ بعدَ النسيانِ ، إنما هو من الذُّكْرِ ، بمعنى أنها إذا شهدت مع الأخرى صارت شهادتهما كشهادة الذُّكْرِ ^(٢) .

وكان ^(٣) آخرون منهم يُوجِّهونه إلى أنه بمعنى الذُّكْرِ بعدَ النسيانِ .

وقرأ ذلك آخرون ^(٤) : (إِنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) . بكسرِ (إِنْ) من قوله : (إِنْ تَضِلَّ) ، ورفعِ (تُذَكِّرْ) وتشديدِ كافِه ^(٥) ، بمعنى ابتداء الخبرِ عمَّا تَفْعَلُ المرأتانِ إِنْ نَسِيتِ إِحْدَاهُمَا شهادتها ^(٦) وذَكَرَها ^(٧) الأخرى ، من تثبيتِ الذاكرةِ الناسيةَ ^(٨) وتذكيرها ^(٩) ذلك ، وانقطاع ذلك عما قبله .

ومعنى ذلك ^(٨) عندَ قارئى ذلك كذلك : واشتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ،

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « مذكرة » .

(٢) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢ / ٢٩٣ ، والقرطبى فى تفسيره ٣ / ٣٩٧ .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « قال » .

(٤) هو حمزة . ينظر السبعة الموضع السابق .

(٥ - ٥) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « وتشديده كأنه » .

(٦ - ٦) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وذكرها » ، وفى م : « تذكرها » .

(٧ - ٧) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وتذكيرها » .

(٨) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الكلام » .

فإن لم يكونا رجلين ، فرجلٌ وامرأتان مِّن تَرْضَوْنَ من الشهداء ، فإنَّ إحداهما إن ضلَّتْ ذكَّرتها الأخرى . [٧٦/٨ظ] على استئناف الخبر عن فعلهما^(١) إن نسيبت إحداهما شهادتها ، من تذكير الأخرى منهما صاحبتهما الناسية .

وهذه قراءة كان الأعمش يَقْرؤها^(٢) وَمَنْ أَخْذَاهَا عَنْهُ ، وَإِنَّمَا نَصَب الْأَعْمَشُ (تَضِلُّ) ؛ لأنها في محلِّ جزم بحرف الجزاء ، وهو (إن) . فتأويل^(٣) الكلام على قراءته : إن تَضِلَّ . فَلَمَّا انْدَغَمَتْ إِحْدَى اللَّامَيْنِ فِي الْأُخْرَى ، حَزَّكَهَا إِلَى أَخْفِ الْحَرَكَاتِ ، وَرَفَعَ^(٤) (تُذَكِّرُ) بِالتَّاءِ^(٥) ؛ لَّأنَّهُ جَوَابُ الْجَزَاءِ بِالْفَاءِ^(٦) .

والصواب من القراءة عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهُ بِفَتْحٍ ﴿أَنْ﴾ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَهُمَا﴾ . وبتشديد الكافِ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿فَتُذَكَّرُ إِحْدَهُمَا الْآخَرَى﴾ . ونصبِ الرَاءِ مِنْهُ ، بمعنى : فإن لم يكونا رجلين ، فَلْيَشْهَدْ رَجُلٌ وامرأتان ، كى إن ضلَّتْ إحداهما ذكَّرتها الأخرى .

وَأَمَّا نَصَبُ ﴿فَتُذَكَّرُ﴾ فَبِالْعَطْفِ عَلَى ﴿تَضِلُّ﴾ ، وَفُتِحَتْ ﴿أَنْ﴾ لِحُلُولِهَا^(٧) مَحَلَّ « كى » ، وهى فى موضعِ جزاء ، والجوابُ بعده ، اكتفاءً بفتيحها ، أعنى بفتحِ ﴿أَنْ﴾ مِنْ « كى » ، ونسق بالثانى ، أعنى ﴿فَتُذَكَّرُ﴾ عَلَى

(١) فى ص ، م ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « فعلها » .

(٢) ينظر البحر المحيط ٣٤٨/٢ .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « تأويله » .

(٤) فى ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « وقع » .

(٥) فى م : « بالفاء » .

(٦) سقط من : م .

(٧) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « بحلولها » .

﴿تَصِلَ﴾ ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي قَامَ مَقَامَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِيهِ وَهُوَ ظَاهِرٌ ، قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ وَأَدَّى عَنْ مَعْنَاهُ وَعَمِلَهُ ، أَعْنَى ^(١) عَنْ « كَى » .

وإنما اخترنا ذلك في القراءة لإجماع الحجة من قُدماءِ القُرْأَةِ والمتأخرين على ذلك ، وانفراد الأعمشِ وَمَنْ قرأ قراءته في ذلك بما انفرد به عنهم ، ولا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستفيضةً بينهم إلى غيرها .

وَأَمَّا اخْتِيَارُنَا ﴿فَتَذَكَّرَ﴾ بتشديد الكاف ؛ فَلأنه بمعنى ترديد ^(٢) الذِّكْرِ من إحداهما على الأخرى ، وتعريفها إيّاها ^(٣) ذلك لتَذَكَّرَ ، فالتشديد به أولى من التخفيف .

وَأَمَّا مَا حُكِيَ عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، فَتَأْوِيلٌ خَطَأٌ لَا مَعْنَى لَهُ ؛ لَوُجُوهُ شَتَّى : أَحَدُهَا : أَنَّهُ خِلَافٌ لِقَوْلِ جَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

وَالثَّانِي : أَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ ضَلَالَ إْحْدَى الْمَرَاتِينِ فِي الشَّهَادَةِ الَّتِي شَهِدَتْ عَلَيْهَا ، إِنَّمَا هُوَ ذَهَابُهَا ^(٤) عَنْهَا وَنَسْيَانُهَا إِيَّاهَا ، كَضَلَالِ الرَّجُلِ فِي دِينِهِ ، إِذَا تَحَيَّرَ فِيهِ فَعَدَلَ عَنِ الْحَقِّ ، وَإِذَا صَارَتْ إِحْدَاهُمَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تُصَيِّرَهَا ^(٥) الْأُخْرَى ذَكَرًا مَعَهَا ، مَعَ نَسْيَانِهَا شَهَادَتَهَا وَضَلَالِهَا فِيهَا ، وَالضَّالَّةُ مِنْهُمَا فِي شَهَادَتِهَا حِينَئِذٍ لَا شَكَّ أَنَّهَا إِلَى التَّذْكِيرِ أَحْوَجُ مِنْهَا إِلَى الإِذْكَارِ . إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنْ الذَّاكِرَةَ / إِذَا ضَعُفَتْ ١٢٦/٣ صَاحِبَتُهَا عَنْ ذِكْرِ شَهَادَتِهَا ، شَحَذَتْهَا ^(٦) عَلَى ذِكْرِ مَا ضَعُفَتْ عَنْ ذِكْرِهِ فَنَسِيَتْهُ ،

(١) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أَى » .

(٢) فِي ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « تَوْدِيَّة » ، وَفِي م : « تَأْدِيَّة » ، وَفِي س : « دَرِيَّة » .

(٣) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بِإِنْهَاء » .

(٤) فِي ص ، ت ١ ، س : « خَطَابُهَا » ، وَفِي م : « خَطْؤُهَا » .

(٥) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « تَصِير » .

(٦) فِي م : « سَتَجَرْتُهَا » ، وَفِي ت ١ : « سَتَجَدَهَا » . وَشَحَذَتْهَا : قَوَّتَهَا . التَّاج (ش ح ذ) .

فقوتها^(١) بالذكر ، حتى صيرتها كالرجل في قوتها في ذكر ما ضعفت عن ذكره من ذلك ، كما يقال للشئ القوي في عمله : ذَكَرَ . وكما يقال للسيف الماضي في ضربيته : سيفٌ ذَكَرَ . ورجلٌ ذَكَرَ ، يُرادُّ به ماضٍ في عمله ، قوي البطش ، صحيح العزم . [٧٧/٨] فإن كان ابنُ عُيَيْنَةَ هذا أراد ، فهو مذهبٌ من مذاهبِ تأويل ذلك ، إلا أنه إذا تُرُوِّل كذلك ، صار تأويله إلى نحوِ تأويلنا الذي تأوَّلناه فيه ، وإن خالفت القراءة بذلك المعنى القراءة التي اخترناها ، بأن تصير^(٢) القراءة حينئذٍ الصحيح^(٣) بالذي اختار قراءته من تخفيف الكاف من قوله : (فَتَذَكَّرَ) . ولم نَعْلَمْ أحداً تأوَّل ذلك كذلك ، فنسْتَحِيزُ^(٤) قراءته كذلك بذلك المعنى .

فالصوابُ في قراءته^(٥) إذا كان الأمرُ على ما وَصَفْنَا ما اخْتَرْنَا^(٦) .

ذَكَرُ مَنْ تَأَوَّلَ قَوْلَهُ : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ . نَحْوَ تَأْوِيلِنَا الَّذِي قُلْنَا فِيهِ

جَدُّنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَأَسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنْ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ : عَلِمَ اللَّهُ أَنْ سَتَكُونُ حَقُوقٌ ، فَأَخَذَ لِبَعْضِكُمْ^(٧) مِنْ بَعْضِ الثَّقَةِ ، فَخَذُوا بِثَقَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ أَطَوَّعَ لِرُبُّكُمْ ،

(١) في ص ، ت ، ١ : «فقوتها» .

(٢) في ص : «يعين» ، وفي م ، ت ، ١ : «تغير» .

(٣) في ض ، م ، ت ، ٢ ، س : «الصحيحة» .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «ويستحب» .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «قوله» .

(٦) في الأصل : «أخبرناه» ، وفي س : «أخذناه» .

(٧) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «لبعضهم» .

وَأَذَرُكَ لَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَعْمَرِي لئن كَانَ تَقِيًّا لَا يَزِيدُهُ الْكِتَابُ إِلَّا خَيْرًا ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَبِالْحَرَى أَنْ يُؤَدَّى إِذَا عَلِمَ أَنْ عَلَيْهِ شُهُودًا .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ . يَقُولُ : أَنْ تَنْسَى إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَهَا الْأُخْرَى ^(١) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ . يَقُولُ : تَنْسَى إِحْدَاهُمَا الشَّهَادَةَ ، فَتُذَكِّرَهَا الْأُخْرَى ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا أَبُو زَهِيرٍ ، عَنْ جَوْبِرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ . يَقُولُ : أَنْ تَنْسَى إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَهَا الْأُخْرَى ^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ . [٧٧/٨ ط] قَالَ : ^(٤) إِنْ أَخْطَأَتِ الشَّهَادَةُ فَذَكَرَتْهَا الْأُخْرَى . قَالَ : وَ (تُذَكِّرُ) ، ف (تُذَكِّرُ) قَالَ : كِلَاهُمَا لَعْنَةٌ ، وَهُمَا سَوَاءٌ ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ : ﴿ فَتُذَكِّرَ ﴾ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلِ ثَنَائِهِ : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ .

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْحَالِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ الشُّهَدَاءَ عَنْ إِبَاءِ الْإِجَابَةِ إِذَا دُعُوا

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٦٢/٢ عَقِبَ الْأَثَرِ (٢٩٩٢) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٦٢/٢ عَقِبَ الْأَثَرِ (٢٩٩٢) مِنْ طَرِيقِ عَمْرُو بْنِ حَمَادٍ بِهِ .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٦٢/٢ عَقِبَ الْأَثَرِ (٢٩٩٢) مُعْلَقًا .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

بهذه الآية ؛ فقال بعضهم : معناه : ولا يَأْبُ الشَّهَدَاءُ أَنْ يُجِيبُوا إِذَا دُعُوا لِيَشْهَدُوا على الكتابِ والحقوقِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ : كَانَ الرَّجُلُ يَطُوفُ فِي الْحَوَاءِ ^(١) الْعَظِيمِ فِيهِ الْقَوْمُ ، فَيَدْعُوهُمْ إِلَى الشَّهَادَةِ ، فَلَا يَتَّبِعُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ . قَالَ : وَكَانَ قَتَادَةُ يَتَأَوَّلُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . لِيَشْهَدُوا لِرَجُلٍ عَلَى رَجُلٍ ^(٢) .

١٢ / حَدَّثَنَا عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ يَطُوفُ فِي الْقَوْمِ الْكَثِيرِ ، يَدْعُوهُمْ لِيَشْهَدَهُمْ ^(٣) ، فَلَا يَتَّبِعُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قَالَ : لَا تَأْبُ أَنْ تَشْهَدَ إِذَا دُعِيتَ إِلَى شَهَادَةٍ ^(٥) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَثَلٍ مَعْنَى هَؤُلَاءِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّمَا ^(٦) يَجِبُ فَرَضُ ذَلِكَ عَلَى مَنْ دُعِيَ لِلْإِشْهَادِ عَلَى الْحَقِّ إِذَا لَمْ يُوجَدْ غَيْرُهُ ، فَأَمَّا إِذَا وَجِدَ غَيْرُهُ ، فَهُوَ فِي الْإِجَابَةِ إِلَى

(١) الحواء : بيوت مجتمعة من الناس على ماء ، والجمع : أحوية . النهاية ١ / ٤٦٥ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ليشهدوا » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٣/٢ (٣٠٠١) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١ / ١١٠ .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

ذلك [٧٨/٨] مُحَيَّرٌ، إن شاء أجاب وإن شاء لم يُجِبْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ : ثنا سَفِيَّانُ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ : ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ . قَالَ : إن شاء شَهِدَ، وإن شاء لم يَشْهَدْ، فإذا لم يوجدْ غَيْرُهُ شَهِدَ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : معنى ذلك : وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا لِلشَّهَادَةِ عَلَى مَنْ أَرَادَ الدَّاعِيَ إِشْهَادَهُ عَلَيْهِ، وَلِلْقِيَامِ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الشَّهَادَةِ مِنَ الْإِجَابَةِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ : ثنا أَبُو عَامِرٍ، عَنْ الْحَسَنِ : ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ . قَالَ : قَالَ الْحَسَنُ : الْإِقَامَةُ وَالشَّهَادَةُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ : كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ : جَمَعْتَ أَمْرَيْنِ : لَا تَأْبَ إِذَا كَانَتْ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ أَنْ تَشْهَدَ، وَلَا تَأْبَ إِذَا دُعِيَ إِلَى شَهَادَةٍ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ . يَعْنِي : مَنْ اخْتِيجَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَهِدَ عَلَى شَهَادَةٍ، أَوْ ^(٣) كَانَتْ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ ^(٤)، فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٧٢/٧ مِنْ طَرِيقِ سَفِيَّانَ بِهِ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٦٣/٢ (٢٩٩٩) مِنْ طَرِيقِ جَابِرٍ بِهِ .

(٢) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ١١٠ / ١ .

(٣) فِي ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : «إِنْ» .

(٤) سَقَطَ مِنْ : ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

يَأْتِي إِذَا مَا دُعِيَ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هَشِيمٌ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنْ الْحُسَيْنِ : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قَالَ : لِإِقَامَتِهَا^(٢) وَلَا بُدَّائِهَا^(٣) ، إِذَا دَعَاهُ لِيُشْهِدَهُ ، وَإِذَا دَعَاهُ لِيُقِيمَهَا^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا لِلْقِيَامِ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي عَنْدَهُمْ لِلدَّاعِي ، مِنْ إِجَابَتِهِ إِلَى الْقِيَامِ بِهَا .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثَنَا سَفْيَانٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قَالَ : إِذَا شَهِدَ .

١٢٨/٣ / حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قَالَ : إِذَا كَانُوا قَدْ شَهِدُوا قَبْلَ ذَلِكَ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . يَقُولُ : إِذَا كَانُوا قَدْ شَهِدُوا^(٥) .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٦٣/٢ (٣٠٠٢) ، وَابَيْهَقِي ١٦٠/١٠ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ بِهِ .
(٢ - ٣) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وَلَا يَبْدَأُ بِهَا » ، وَفِي م : « وَلَا يَبْدَأُ بِهَا » ، وَفِي س : « وَلَا تَبْدَأُ بِهَا » .
(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٧١/٧ مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ بِهِ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٧٣/٧ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ بِهِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ ، ص ، م ، ت ١ : « أَشْهَدُوا » .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٧٣/٧ عَنْ وَكَيْعٍ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ ١١٠/١ عَنْ سَفْيَانَ بِهِ .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ثنا ابْنُ عَلِيَّةَ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، [٧٨/٨ظ] عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. قَالَ: إِذَا كَانَتْ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ فِدُعِيَتْ^(١).

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: ثنا ابْنُ عُليَّةَ، قَالَ: ثنا لَيْثٌ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. قَالَ: إِذَا كَانَتْ عِنْدَكَ^(٢) شَهَادَةٌ فَأَقِمَهَا، فَإِذَا دُعِيَتْ لَتَشْهَدَ، فَإِنْ شِئْتَ فَادْهَبْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَذْهَبْ^(٣).

حَدَّثَنَا سَوَّازُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ثنا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الصَّبَّاحِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُدَيْرٍ^(٤)، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي مِجْلَزٍ: نَاسٌ يَدْعُونَنِي لِأَشْهَدَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَشْهَدَ بَيْنَهُمْ؟ قَالَ: دَعِ مَا تَكْرَهُ، فَإِذَا أَشْهَدْتَ^(٥) فَأَجِبْ إِذَا دُعِيْتَ^(٦).

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: ثنا أَبِي، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: الشَّاهِدُ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يُشْهَدْ^(٧).

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، قَالَ: ثنا هُشَيْمٌ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. قَالَ: لِإِقَامَةِ الشَّهَادَةِ^(٨).

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ أَبِي

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦٢ - تفسير)، وابن أبي شيبة ٧٠/٧ عن ابن علي به، ولفظ ابن أبي شيبة: فقد دعيت.

(٢) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٣/٢ عقب الأثر (٢٩٩٩) معلقاً.

(٤) في ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «جبري».

(٥) في م: «شهدت».

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ٧١/٧، ٧٢ من طريق عمران به.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة ٧٢/٧ عن وكيع به وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٣/٢ (٣٠٠٠) من طريق جابر به.

(٨) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦٠ - تفسير) عن هشيم به. (تفسير الطبري ٧/٥)

عامر ، عن عطاء ، قال : فى إقامة الشهادة^(١) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا أبو عامر المزنى ، قال : سمعتُ عطاءً يقول : ذلك فى إقامة الشهادة . يعنى قوله : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو حُرَّة^(٢) ، أخبرنا عن الحسن أنه سأله سائل قال : أَدْعَى إِلَى الشَّهَادَةِ وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَشْهَدَ عَلَيْهَا ؟ قال : فَلَا تُحِبُّ إِنْ شِئْتَ^(٤) .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، قال : سألتُ إبراهيم قلتُ : أَدْعَى إِلَى الشَّهَادَةِ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ أَنْسَى ؟ قال : فَلَا تَشْهَدْ إِنْ شِئْتَ^(٥) .

حدثنا ابنُ بشار ، قال : ثنا عبدُ الرحمن ، قال : ثنا أبو عامر ، عن عطاء ، قال : للإقامة .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن سالم الأقطس ، عن سعيد بن جبير : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قال : إذا كانوا قد شهدوا^(٦) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصير ، قال : أخبرنا ابنُ المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قال : هو الذى عنده

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٥٩ - تفسير) عن هشيم به .

(٢) فى م ، س : « مرة » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٦٥ - تفسير) عن هشيم به ، وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٥٥٦٢) من طريق أبى حرة به .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٥٥٦١) ، وسعيد بن منصور فى سننه (٤٦٤ - تفسير) عن هشيم به .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٦١ - تفسير) عن شريك به .

الشهادة^(١) .

حَدَّثَنِي موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . يقول : لا يَأْبَ الشاهد أن يَتَقَدَّمَ فيشْهَدَ إذا كان فارِغًا^(٢) .

حَدَّثَنَا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قال : هم الذين قد شهدوا . قال : ولا ١٢٩/٣ يَضُرُّ إنسانًا أن يأبى أن يشْهَدَ إن شاء . قال : قُلْتُ لعطاء : ما شأنه إذا دُعِيَ أن يَكْتُبَ وجب عليه ألا يأبى ، وإذا دُعِيَ أن يشْهَدَ لم يَجِبَ عليه أن يشْهَدَ إن شاء ؟ قال : كذلك يَجِبُ على [٧٩/٨] الكاتب أن يَكْتُبَ ، ولا يَجِبُ على الشاهد أن يشْهَدَ إن شاء ، الشهداء كثير^(٣) .

حَدَّثَنِي يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابن وهب ، قال : قال ابن زید في قوله : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قال : إذا شهد فلا يَأْبَ إذا دُعِيَ أن يَأْتِيَ يُؤَدِّي شهادته ويُقِيمُهَا^(٤) .

حَدَّثَنَا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ ﴾ . قال : كان الحسن يتأولُها : إذا كانت عنده شهادة فدُعِيَ لِيُقِيمَهَا^(٥) .

حَدَّثَنِي يحيى بن أبي طالب ، قال : أَخْبَرَنَا يزيد ، قال : أَخْبَرَنَا جويبر ، عن الضحاك في قوله : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ قال : إذا كَتَبَ الرجلُ شهادته ،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٧٢/٧ ، والبغوي في المجلديات (٢١٨١) من طريق شريك به .

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحیط ٣٥٠/٢ بنحوه .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٦٠) عن ابن جريج به مختصراً .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٢/٢ (٢٩٩٧) من طريق ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن زيد ابن أسلم بنحوه .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (تفسير - ٤٦٣) من طريق يونس ، عن الحسن بنحوه .

أو أُشْهِدَ الرَّجُلُ فَشَهِدَ ، وَالكَاتِبُ الَّذِي يَكْتُبُ الْكِتَابَ ، إِذَا دُعُوا إِلَى مَقْطَعِ الْحَقِّ ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُجِيبُوا ، وَأَنْ يَشْهَدُوا بِمَا أُشْهِدُوا عَلَيْهِ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ بِالْإِجَابَةِ إِذَا دُعِيَ لِيَشْهَدَ عَلَى مَا لَمْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ ابْتِدَاءً ، لَا لِإِقَامَةِ الشَّهَادَةِ ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ نَذْبٍ لَا فَرَضٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ الْعَبْدِيُّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْهَيْثَمِ ، قَالَ : ثنا أَبُو قَتِيبَةَ ، عَنْ فَضِيلِ بْنِ مَرْزُوقٍ ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قَالَ : أَمِرْتُ أَنْ تَشْهَدَ ، فَإِنْ شِئْتَ فَاشْهَدْ ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَشْهَدَ .

حَدَّثَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ ، قَالَ : ثنا أَبُو قَتِيبَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتٍ الْعَبْدِيِّ ^(٢) ، عَنْ عَطَاءٍ بِمِثْلِهِ ^(٣) .

وَأُولَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَعْنَى ^(٤) ذَلِكَ : وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ مِنَ الْإِجَابَةِ إِذَا دُعُوا لِإِقَامَةِ الشَّهَادَةِ وَأَدَائِهَا عِنْدَ ذِي سُلْطَانٍ أَوْ حَاكِمٍ ، يَأْخُذُ مِنَ الَّذِي عَلَيْهِ مَا عَلَيْهِ لِلَّذِي هُوَ لَهُ .

وَأِنَّمَا قُلْنَا : هَذَا الْقَوْلُ بِالصَّوَابِ أُولَى فِي ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْأَقْوَالِ غَيْرِهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ قَالَ : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . فَإِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِالْإِجَابَةِ لِلدَّعَاءِ

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحیط ٢ / ٣٥٠ .

(٢) في النسخ : « العصري » . والمثبت من سنن سعيد بن منصور . وينظر تهذيب الكمال ٢٤ / ٥٥٤ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٥٨ - تفسير) ، وابن أبي شيبة ٧٢ / ٧ من طريق محمد ابن ثابت به .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

للسهادة ، وقد ألزمهم اسم الشهداء ، وغير جائز أن يُلزمهم اسم الشهداء إلا وقد استشهدوا قبل ذلك ، فشهدوا على ما لزمهم بشهادتهم عليه اسم الشهداء ، فأما قبل أن يُستشهدوا فيشهدوا^(١) على شيء^(٢) ، فغير جائز أن يُقال لهم : شهداء . لأن ذلك الاسم لو كان يلزمهم ولما يُستشهدوا على شيء يستوجبون بشهادتهم عليه هذا الاسم ، لم يكن على الأرض [٧٩/٨ ط] أحد له عقلٌ صحيح إلا وهو مُستحق أن يُقال له^(٣) : شاهد . بمعنى أنه سيشهد ، أو أنه يصلح لأن يشهد ، فإن كان خطأ أن يُسمى بذلك الاسم إلا من عنده شهادة لغيره ، أو من قد قام بشهادة فلزمه لذلك هذا الاسم ، كان معلوماً أن المعنى بقوله : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ من وصفنا صفته ، ممن قد استُرعى شهادة أو شهد فدعى إلى القيام بها ؛ لأن الذى لم يُستشهد ولم يُسترع شهادة قبل الإشهاد ، غير مستحق اسم شهيد ولا شاهد ؛ لما قد / وصفنا قبل . ١٣٠/٣

مع أنّ فى دخول الألف واللام فى ﴿ الشُّهَدَاءُ ﴾ دلالة واضحة على أنّ المعنى^(٤) بالنهي عن ترك الإجابة للشهادة ، أشخاص معلومون قد عُرفوا بالشهادة ، وأنهم الذين أمر الله عز وجل أهل الحقوق باستشهادهم بقوله : ﴿ وَأَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنْ الشُّهَدَاءِ ﴾ . وإذا كان ذلك كذلك ، كان معلوماً أنهم إنما أمروا بإجابة داعيهم لإقامة شهادتهم بعد ما استشهدوا فشهدوا ، ولو كان ذلك أمراً لمن اغترض من الناس ، فدعى إلى الشهادة يشهد^(٥) عليها ، ل قيل : ولا يَأْبَ شاهد إذا ما دعى .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢ - ٢) فى س : « قبل » .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « المسمى » .

(٥) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فشهد » .

غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن الذي نقولُ به في الذي يُدعى لِشهادةٍ يشهدُ عليها إذا كان بموضعٍ ليس به سواه مَن يَصْلُحُ للشهادة ، فإن الفرض عليه إجابةُ داعيه إليها ، كما فَرَضَ على الكاتبِ إذا اسْتُكْتِبَ بموضعٍ لا كاتب به سواه ، ففَرَضَ عليه أن يَكْتُبَ ، كما فَرَضَ على مَن كان بموضعٍ لا أحدَ به سواه يَعْرِفُ الإيمانَ وشرائعَ الإسلامِ ، فحَضَرَه جاهلٌ بالإيمانِ وبفرائضِ اللَّهِ ، فسأله تعليمه وبيانَ ذلك له أن يُعَلِّمَهُ وَيُبَيِّنَهُ له . ولم نُوجِبْ ما أوجبنا على الرجلِ من الإجابةِ للشهادةِ إذا دُعِيَ ابتداءً لِيشهدَ على ما يُسْتَشْهَدُ^(١) عليه بهذه الآية ، ولكن بأدلةٍ سواها ، وهى ما ذَكَرْنَا .^(٢) وَإِنَّ^(٣) فَرَضًا^(٤) على الرجلِ إحياءَ ما قَدَر على إحيائه من حقِّ أخيه المسلم .
والشهداءُ جمعُ شهيدٍ .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ۖ ﴾ .
يعنى بذلك جل ثناؤه : ولا تَسْمُوا أَيُّهَا الَّذِينَ تُدَايِنُونَ النَّاسَ إِلَى أَجَلٍ أَنْ تَكْتُبُوا صَغِيرَ الْحَقِّ ، يعنى قليله ، أو كبيره ، يعنى : أو كثيره ، ﴿ إِلَى أَجَلِهِ ۖ ﴾ يعنى^(٥) : إلى أَجَلِ الْحَقِّ ، فإن الكتابَ أَحْصَى^(٥) للأجلِ والمالِ .

كما حَدَّثَنِى المُنْثَى ، قال : ثنا سويدٌ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارِكِ ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا [٨/٨٠] تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ۖ ﴾ . قال : هو^(٦) الْحَقُّ الَّذِى بَيْنَهُمَا^(٦) ، الدَّيْنُ .

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أشهد » .

(٢ - ٣) فى م : « وقد » .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فرضنا » .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

(٥) فى حاشية الأصل : « فى الأم : إحصاء » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

ومعنى قوله : ﴿وَلَا تَسْمُوا﴾ : لَا تَحْمَلُوا . يقالُ منه : سَمِئْتُ فأنا أَشَامُ سَامَةً وَسَامَةً ، ومنه قولُ لبيد^(١) :

ولقد سَمِئْتُ مِنَ الحَيَاةِ وطولِهَا وسؤالِ هذا الناسِ : كيف لبيدُ
يعنى : مللتُ .

وقولُ زهير^(٢) :

سَمِئْتُ تكاليفَ الحَيَاةِ ومن يَعِشُ ثمانينَ حَوْلًا^(٣) لا أبا لكَ يَشَامُ
وقال بعضُ نحوِيّ البصريين : تأويلُ قوله : ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾ : إلى أَجَلِ الشَّاهِدِ . ومعناه : إلى الأجلِ الذى لا^(٤) تَجُوزُ شهادتُهُ فيه .
وقد بينّا القولَ^(٥) فى ذلك^(٥) .

١٣١/٣ /القولُ فى تأويلِ قوله جلّ ثناؤه : ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بقوله : ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ : اِكْتَاتُ الدِّينِ إلى أَجَلِهِ . ويعنى بقوله : ﴿أَقْسَطُ﴾ : أَعْدَلُ عِنْدَ اللَّهِ . يُقَالُ منه : أَقْسَطَ الحَاكِمُ فهو يُقْسِطُ إِقْسَاطًا وهو مُقْسِطٌ . إذا عَدَلَ فى حَكَمِهِ ، وَأَصَابَ الحَقَّ فيه . فإذا جَارَ ، قيل : قَسَطَ فهو يُقْسِطُ قُسُوطًا ؛ ومنه قولُ اللَّهِ جلّ ثناؤه : ﴿وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن : ١٥] . يعنى الجائرين .

(١) ديوانه ص ٣٥ .

(٢) شرح ديوانه ص ٢٩ .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، س : «عاما» .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٥ - ٥) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «فيه» وينظر ما تقدم فى ص ٦٩ وما بعدها .

ويمثل ما قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله : ﴿ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ . يقول : أعدل عند الله ^(١) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ ﴾ .

يغني بذلك جل ثناؤه : وأصوب للشهادة . وأصله من قول القائل : أقمته من عوجه . إذا سوّيته [٨ / ٨٠ ظ] فاستوى .

وإنما كان الكتاب أعدل عند الله ، وأصوب لشهادة الشهود على ما فيه ؛ لأنه يحوي الألفاظ التي أقر بها البائع والمشتري ورب الدين ، والمستدين على نفسه ، فلا يقع بين الشهود اختلاف في ألفاظهم بشهاداتهم ؛ لاجتماع شهادتهم على ما حواه الكتاب ، وإذا اجتمعت شهادتهم على ذلك ، كان فصل الحكم بينهم أئين لمن احتكم إليه من الحكام ، مع غير ذلك من الأسباب ، وهو أعدل عند الله ؛ لأنه قد أمر به ، واتباع أمر الله لاشك أنه عند الله أقسط وأعدل من تركه والانحراف عنه .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَذِّنْ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾ .

يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَأَذِّنْ ﴾ : وأقرّب ، من الذنوّ وهو القرب .

ويعني بقوله : ﴿ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾ : من ألا تشكوا في الشهادة .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ذلك

﴿ أَذِّنْ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾ . يقول : ألا تشكوا في الشهادة ^(٢) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٤/٢ (٣٠٠٧) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٥/٢ عقب الأثر (٣٠١٢) من طريق عمرو بن حماد به .

وهو « تَفْتَعِلُوا » ^(١) مِنْ الرِّيَّةِ .

ومعنى الكلام : ولا تَمَلُّوا أيُّها القومُ أن تَكْتُبُوا الحقَّ الذى لكم قِيلَ مَنْ دَايْتُمْوه مِنْ الناسِ إلى أَجَلٍ ، صَغِيرًا كان ذلك الحقُّ ^(٢) «أو كبيرًا» ، فإن كتابكم ذلك أَعْدَلَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَصَوَّبُ لشهادةِ شهودكم عليه ، وأَقْرَبُ لكم أَلَا تَشْكُرُوا فيما يشهدُ به شهودكم عليكم مِنْ الحقِّ والأَجَلِ إذا كان مَكْتُوبًا .

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً^(٣) تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا^(٤)﴾ .

ثم استثنى جل ثناؤه مما نهاهم أن يَسْأَمُوهُ مِنْ اكِتَابِ كِتَابِ حقوقهم على غرمايهم من الحقوق التى لهم عليهم ، ما وَجِبَ لهم قِيلَهُمْ مِنْ حقٍّ ، عن مَبَايِعَةٍ بالنقودِ الحاضرةِ يَدًا يَدٍ ، فرَخَّصَ لهم فى تركِ اكِتَابِ الكِتَابِ بذلك ؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهم ، أعْنَى مِنَ البَايَعَةِ والمُشْتَرَيْنِ ، يَقْبِضُ إذا كان التَّوَاخُجُ بَيْنَهُمْ فيما تَبَايَعُوهُ ^(٥) / ١٣٢/٣ نقدًا ^(٥) ، ما وَجِبَ له قِيلَ مُبَايَعِيهِ [٨١/٨] قَبْلَ المَفَارِقَةِ ، فلا حَاجَةَ بِهِمْ فى ذلك إلى اكِتَابِ أَحَدِ الفَرِيقَيْنِ على الفَرِيقِ الآخرِ كِتَابًا بما وَجِبَ لهم قِيلَهُمْ ، وقد تَقَابَضُوا الواجبَ لهم عليهم ، فلذلك قال تعالى ذكره : ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ . لا أَجَلَ فيها ولا تَأْخِيرَ ولا ثُنْيَا ^(٦) ، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا^(٧)﴾ . يقولُ : فلا حرجَ عليكم أَلَّا تَكْتُبُوهَا . يعنى التَّجَارَةَ الحَاضِرَةَ .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

(١) فى ص ، س : « تفعيل » ، وفى م : « تفتعل » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص ، م ، ا ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « قليلًا أو كثيرًا » ، وكتب مقابله فى حاشية الأصل : « كبيرًا » .

(٣ - ٣) ضبطها فى الأصل : « تجارة حاضرة » . بالرفع ، وهى القراءة التى اختارها المصنف كما سيأتى .

(٤) فى ص ، م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « يتبايعونه » ، وفى ا ، س : « يبايعونه » .

(٥) فى ص ، م ، ا ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « بعد » .

(٦) فى ص ، م ، ا ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « نساء » ، وفى س : « شيا » .

ذَكُرْ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنِ السَّدِيِّ قَوْلَهُ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ . يَقُولُ : مَعَكُمْ بِالْبَلَدِ تَدِيرُونَهَا ^(١) ، فَتَأْخُذُ وَتُعْطِي ، فَلَيْسَ عَلَى هَؤُلَاءِ جُنَاحٌ إِلَّا يَكْتُبُوهَا ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو زُهَيْرٍ ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنِ الضَّحَّاكِ : ﴿ وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ . قَالَ : أَمَرَ اللَّهُ أَلَّا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ، وَأَمَرَ مَا كَانَ يَدًا بَيِّدًا أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ؛ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا ، وَرَخَّصَ لَهُمْ أَلَّا يَكْتُبُوهُ ^(٣) .

وَاخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَتْهُ الْحِجَازُ وَالْعِرَاقُ وَعَامَّةُ الْقِرَاءَةِ : (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً) بِالرَّفْعِ ^(٤) . وَانْفَرَدَ بَعْضُ قِرَاءَةِ الْكُوفِيِّينَ بِقِرَاءَتِهِ ^(٥) بِالنَّصْبِ ، فَقَرَأَ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً ﴾ ^(٦) . وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ جَائِزًا فِي الْعَرَبِيَّةِ ، إِذْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَنْصِبُ النِّكَرَاتِ الْمُنْعَوَاتِ ^(٧) مَعَ « كَانَ » ، وَتُضْمِرُ مَعَهَا فِي « كَانَ » مَجْهُولًا ، فَتَقُولُ : إِنْ كَانَ طَعَامًا طَيِّبًا فَأَتَيْنَا بِهِ . وَتَرْفَعُهَا فَتَقُولُ : إِنْ كَانَ طَعَامًا

(١) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تَرُونَهَا » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٦٥/٢ (٣٠١٥) مِنْ طَرِيقِ عَمْرُو بِهِ مُخْتَصِرًا .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٦٦/٢ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٠٢٠) مُعَلِّقًا .

(٤) زِيَادَةٌ مِنْ : م .

وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَابْنِ عَامِرٍ وَحُمَازَةَ وَالْكَسَائِي . يَنْظُرُ السَّبْعَةُ لِابْنِ مَجَاهِدٍ ص ١٩٤ .

(٥) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فَقَرَأَتْهُ » ، وَفِي م : « فَقَرَأَهُ » .

(٦ - ٦) سَقَطَ مِنْ : م ، س .

وَقِرَاءَةُ النَّصْبِ هِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ . الْمَصْدَرُ السَّابِقُ .

(٧) فِي ص : « الْمَبْعُوثَاتِ » ، وَفِي م ، ت ٢ : « وَالْمُنْعَوَاتِ » ، وَفِي س : « الْمَتْبُوعَاتِ » .

طَيْبٌ فَأَتَيْنَا بِهِ . فَتُتَبِّحُ النِّكَرَةَ خَبَرَهَا بِمَثَلٍ إِعْرَابِهَا - فَإِنَّ الذِّى أَخْتَارُ مِنَ الْقِرَاءَةِ ، ثُمَّ لَا أَسْتَجِيزُ الْقِرَاءَةَ بغيره ، الرِّفْعُ فِي « التَّجَارَةِ الْحَاضِرَةِ » ؛ لِإِجْمَاعِ الْقِرَاءَةِ عَلَى ذَلِكَ ، وَشُدُودِ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ نَصْبًا عَنْهُمْ ، وَلَا يُعْتَرَضُ بِالشَّاذِّ عَلَى الْحُجَّةِ ^(١) . وَمَا جَاءَ نَصْبًا ^(٢) قَوْلُ الشَّاعِرِ ^(٣) :

أَعْيَنِي هَلَّا تَبْكِيَانِ عِفَاقًا ^(٤) إِذَا كَانَ طَعْنًا بَيْنَهُمْ وَعِنَاقًا
وَقَوْلُ الْآخِرِ ^(٥) :

وَلِلَّهِ قَوْمِي أَيْ قَوْمِ لِحْزَةٍ إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ أَشْعَا
/ وَإِنَّمَا تَفَعَّلَ الْعَرَبُ ذَلِكَ فِي النِّكَرَاتِ ؛ لِمَا وَصَفْنَا مِنْ إِتِّبَاعِ أَخْبَارِ النِّكَرَاتِ ١٣٣/٣
أَسْمَاءَهَا ، وَ« كَانَ » مِنْ حَكْمِهَا أَنْ يَكُونَ مَعَهَا مَرْفُوعٌ وَمَنْصُوبٌ ، فَإِذَا رَفَعُوهُمَا
جَمِيعًا ^(٦) تَذَكَّرُوا إِتِّبَاعَ النِّكَرَةِ خَبَرَهَا ، وَإِذَا نَصَبُوهَا ^(٧) تَذَكَّرُوا صُحْبَةَ « كَانَ »
مَرْفُوعٍ وَمَنْصُوبٍ ، وَوَجَدُوا النِّكَرَةَ يَتَّبِعُهَا خَبَرُهَا ، [٨١/٨ ظ] ^(٨) فَنَصَبُوا النِّكَرَةَ
وَاتَّبَعُوهَا خَبَرَهَا ^(٩) ، وَأَضْمَرُوا فِي « كَانَ » مَجْهُولًا ؛ لِاحْتِمَالِهَا الضَّمِيرَ .

(١) قراءة النصب متواترة كقراءة الرفع .

وقد قال أبو جعفر النحاس : السلامة عند أهل الدين أنه إذا صحت القراءة عن الجماعة ألا يقال : أحدهما أجود ؛ لأنهما جميعا عن النبي ﷺ ، فيأثم من قال ذلك ، وكان رؤساء الصحابة رضی اللہ عنہم ينكرون مثل هذا . البرهان للزركشي ١ / ٣٤٠ .

(٢) بعده في ص : « في ذلك » .

(٣) معاني القرآن للفراء ١ / ١٨٦ .

(٤) عفاق : اسم رجل أكلته باهلة في قحط أصابهم . اللسان (ع ف ق) .

(٥) معاني القرآن للفراء ١ / ١٨٦ ، ونسبه سيبويه في الكتاب ٤٧/١ إلى عمرو بن شأس ، ورواية الشطر الأول مختلفة عما هنا ، ونسبه في اللسان (ك و ن) إلى مقاس العائذي باختلاف أيضًا في الشطر الأول ، والشطر الثاني بالرفع .

(٦) في ص : « جميعها » ، وفي م : « جميعهما » .

(٧) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « نصبوها » .

(٨ - ٨) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

وقد ظنَّ بعضُ الناسِ أن مَنْ قرأ ذلك : ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ . إنما قرأه على معنى : إلا أن يكونَ الدُّيْنُ ^(١) تجارةً حاضرةً . فزعمَ أنه كان يلزمُ قارئَ ذلك أن يقرأ : يكون بالياء ، وأغفلَ موضعَ صوابِ قراءته من جهة الإعراب ، وألزمه غيرُ ما يلزمه . وذلك أن العرب إذا ذكروا ^(٢) مع « كان » نكرةً مؤنثاً بنعتِها أو خبرِها ، أنثوا « كان » مرةً ، وذكروها أخرى ، فقالوا : إن كانت جاريةً صغيرةً فاشتروها ، وإن كان جاريةً صغيرةً فاشتروها ، ^(٣) وإن كانت جاريةً صغيرةً فاشتروها ، وإن كان جاريةً صغيرةً فاشتروها ^(٤) . تُدَكَّرُ « كان » - وإن نُصِبَت النكرة المنعوتة أو رُفِعَت - أحياناً ، وتؤنثُ أحياناً .

وقد زعمَ بعضُ نحويي البصرة أنَّ قوله : (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً) . مرفوعةٌ فيه التجارة الحاضرة لأنَّ « تكون » بمعنى التَّمام ، ولا حاجةَ بها إلى الخبر ، بمعنى : إلا أن تُوجد أو تقع أو تحدث . فالزَّعمُ نفسه ما لم يكن لها لازماً ؛ لأنه إنما ألزم نفسه ذلك ، إذ لم يكن يَجْدُلُ « كان » منصوباً ، ووجد التجارة الحاضرة مرفوعةً ، وأغفلَ جوازَ قوله : ﴿تُذِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أن يكون خبراً لـ « كان » ، فيستغنى بذلك عن إلزامِ نفسه ما ألزم .

والذى قال مَنْ حَكَيْنا قوله من البصريين غيرُ خطأً في العريضة ، غيرُ أنَّ الذى قلناه بكلامِ القربِ أشبه ، وفي المعنى أصح ، وهو أن يكونَ فى قوله : ﴿تُذِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ . وجهان ؛ أحدهما ، ^(٥) أنه فى موضع نصبٍ على " أنه حَلٌّ محلِّ خبرٍ « كان » ، والتجارة الحاضرة اسمُها . والآخر ، أنه فى موضعٍ رَفَعَ على إنباعِ التجارة

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « جعلوا » .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

الحاضرة ؛ لأنَّ خبر النكرة يتبعها ، فيكون تأويله : إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وأشهدوا على صغير ما تبايعتم وكبيره من حقوقكم ؛ عاجل ذلك وآجله ، ونقده ونسائه ، فإن إزخاصي لكم فى ترك اكتتاب الكتب بينكم ، فيما كان من حقوق تجرى بينكم لبعضكم من قبل بعض ، عن تجارة حاضرة دائرة بينكم يدا بيد ونقداً ، ليس بإرخاص منى لكم فى ترك الإشهاد منكم على من يغموه شيئاً ، أو ابتغتم منه ؛ لأن فى ترككم الإشهاد على ذلك خوف المصرة على كلا الفريقين ؛ أما ما على المشتري فأن يجحد البائع البيع ، وله بينة على ملكه ما قد باع ، ولا بينة [٨/٨٢و] للمشتري منه على الشراء منه ، فيكون القول حينئذ قول البائع مع يمينه ويقضى له به ، فيذهب مال المشتري باطلاً . وأما ما على البائع فأن يجحد المشتري الشراء ، وقد زال ملك البائع عما باع ، ووجب له قبل المتبايع ثمن ما باع ، فيخلف على ذلك ، ويطلب حق البائع قبل المشتري من ثمن ما باعه ، فأمر الله عز وجل الفريقين بالإشهاد ؛ لئلا يضيع حق أحد الفريقين قبل الفريق الآخر .

ثم اختلفوا فى معنى قوله : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ . أهو أمر من الله واجب بالإشهاد عند المبايعة أم هو ندب ؟ فقال بعضهم : هو ندب ، إن شاء أشهد ، وإن شاء لم يشهد .

ذكر من قال ذلك

/ حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الربيع ، عن الحسن ، وسفيان^(١) ، عن ١٣٤/٣ رجل ، عن الشعبي فى قوله : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ . قالوا^(٢) : إن شاء أشهد ،

وإن شاء لم يُشهِد ، ألم تَسْمَعْ إلى قوله : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُوْذِ الْآخَرَ أَنْتُمْ مِّنْ أَمْنَتِهِ ﴾ ^(١) ؟

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا الربيع بن صبيح ، قال : قلت للحسين : أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ عز وجل : ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ ؟ قال : إن أَشْهَدْتَ عليه فهو ثقةٌ للذي لك ، وإن لم تُشهِدْ عليه فلا بأس .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدٌ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارِكِ ، عن الربيع بن صبيح ، قال : قلت للحسين : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، قَوْلُ اللَّهِ عز وجل : ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ . قلت : أبيع الرجلَ بِنَقْدٍ ^(٢) ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَنْقُذُنِي ^(٣) شهرين ولا ثلاثة ، أَتَرَى بِأَسَاءَ أَلَا أَشْهَدَ عَلَيْهِ ؟ قال : إن أَشْهَدْتَ فهو ثقةٌ للذي لك ، وإن لم تُشهِدْ فلا بأس .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا يزيد بن زُرَيْعٍ ، عن داودَ ، عن الشعبي : ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ . قال : إن شاءوا أَشْهَدُوا ، وإن شاءوا لم يُشْهَدُوا .

وقال آخرون : الإِشْهَادُ على ذلك واجبٌ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، ^(٤) قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا أَبُو زُهَيْرٍ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاك : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا

(١) ينظر ما تقدم في ص ٩٥ ، ٩٧ .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) في م : « ينقد » ، وفي س : « ينفذ » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

تَكْتُبُوهَا ﴿١﴾ : ولكن أشهدوا عليها إذا تبايعتم ، أمر الله ما كان يدا بيد أن تُشهد^(١) عليه ، صغيرا كان أو كبيرا^(٢) .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جُوَيْرٌ ، عن الضحاك ، قال : ما كان من بيع حاضر ، فإن شاء أشهد ، وإن شاء لم يُشهد ، وما كان من بيع إلى أجل ، فأمر [٨٢/٨ ظ] الله تبارك وتعالى أن يُكتب وأن يُشهد عليه ، وذلك في المقام .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن الإشهاد على كل مبيع ومشتري حق واجب ، وفرض لازم ؛ لما قد بينّا من أن كل أمر لله فرض ، إلا ما قامت حجته من الوجه الذي يجب التسليم له بأنه ندب أو إرشاد .

وقد دللنا على وهي^(٣) قول من قال : إنه منسوخ بقوله : ﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ ﴾ . فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته^(٤) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : ذلك نهى من الله الكاتب ، بين أهل الحقوق وشهيدَه أن يُضارَّ أهله ، فيكتب هذا ما لم يُملِّله الممل ، ويشهد هذا بما لم يشتره المستشهد^(٥) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يشهد » ، وفي م : « يشهدوا » .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٦/٢ عقب الأثر (٣٠٢٠) معلقا .

(٣) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ ، وفي ص ، ت ١ : « وهاء » .

(٤) ينظر ما تقدم في ص ٧٣ - ٨١ .

(٥) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، م : « الشهيد » .

١٣٥/٣ طاووس، عن / أبيه في قوله: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: لَا يُضَارُّ كَاتِبٌ فَيَكْتُبُ مَا لَمْ يُحْلَلْ عَلَيْهِ، وَلَا شَهِيدٌ بِمَا لَمْ يُشْتَشْهَدْ^(١).

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن يونس، قال: كان الحسن يقول: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ﴾ فَيُرِيدُ شَيْئًا أَوْ يُحَرِّفُ، ﴿وَلَا شَهِيدٌ﴾ قال: لَا يَكْتُمُ الشَّهَادَةَ، وَلَا يَشْهَدُ إِلَّا بِحَقٍّ^(٢).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد،^(٣) قال: حدثنا سعيد^(٤)، عن قتادة، قال: اتَّقَى اللَّهُ شَاهِدٌ فِي شَهَادَتِهِ، لَا يَنْقُضُ مِنْهَا حَقًّا، وَلَا يَزِدُّ^(٥) فِيهَا بَاطِلًا، اتَّقَى اللَّهُ كَاتِبٌ فِي كِتَابِهِ، فَلَا يَدَعُنُّ مِنْهُ حَقًّا، وَلَا يَزِيدُنُّ فِيهِ بَاطِلًا^(٦).

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. قال: لَا يُضَارُّ كَاتِبٌ فَيَكْتُبُ مَا لَمْ يُحْلَلْ عَلَيْهِ، وَلَا شَهِيدٌ فَيَشْهَدُ بِمَا لَمْ يَشْهَدْ^(٧).

حدثني المثنى، قال: ثنا سُوَيْدٌ، قال: أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارِكِ، عن معمر، عن قتادة نحوه.

حدثني يونس، قال: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَا

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٣٥٢/١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٧/٢ (٣٠٢٣) من طريق ابن عليه به.

(٣-٣) سقط من: ص، م، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٤) في ص، م، ت، ١، ت، ٣: «يزيد».

(٥) أخرجه البيهقي ١٦١/١٠ من طريق سعيد به نحوه.

(٦) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «يستشهد».

والأثر في تفسير عبد الرزاق ١/١١٠، وفي مصنفه (١٥٥٦٣)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره

٥٦٧/٢ (٣٠٢٦).

يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴿١﴾ . قال : لا يُضَارُّ كَاتِبٌ فَيَكْتُبَ غَيْرَ الَّذِي أُمِّلَى عَلَيْهِ .
قال : والكتاب يومئذ قليل ، ولا يذرون [٨٣/٨] أى شئ يكتُب ، فيضارُّ فيكتب
غَيْرَ الَّذِي أُمِّلَى عَلَيْهِ فَيُطِلَّ حَقَّهُمْ . قال : والشهيد يُضَارُّ فَيَحُولُ شهادته ، فَيُطِلَّ
حَقَّهُمْ ^(١) .

فأصل الكلمة على تأويل من ذكرنا قوله من هؤلاء : ولا يضارُّ كاتب ولا
شهيد . ثم أذغمت الراء فى الراء ؛ لأنهما من جنس ، وحركت إلى الفتح ،
وموضعها جزم ؛ لأن الفتح أخف الحركات .

وقال آخرون ممن تأول هذه الكلمة هذا التأويل : معنى ذلك : ولا يضارُّ كاتب
ولا شهيد ، بالامتناع على من دعاهما إلى أداء ما عندهما من العلم والشهادة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن
عطاء في قوله : ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . يقول : أن يؤديا ما قبلهما ^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال :
قلت لعطاء : ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ ؟ قال : لا يضارُّ أن يؤديا ما عندهما
من العلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن
يزيد بن أبى زياد ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا

(١) ذكره الطوسى فى التبيان ٣٧٦/٢ ، وابن عطية فى المحرر الوجيز ٢٩٨/٢ عن ابن زيد بنحوه .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١١١/١ ومصنفه (١٥٥٦٤) ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٧/٢ (٣٠٢٤)

عن الحسن به .

(تفسير الطبرى ٨/٥)

شَهِيدٌ ﴿١﴾ . قال : أن يَدْعُوهُمَا فيقولان : إن لنا حاجةً ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ الرزاق ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ومجاهدٍ : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . قالوا : واجبٌ على الكاتبِ أن يَكْتُبَ ، ﴿ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . قالوا : إذا كان قد شهد قَبْلَهُ ^(٢) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وَلَا يُضَارُّ الْمُشْتَكِّبُ وَالْمُسْتَشْهِدُ الْكَاتِبُ وَالشَّهِيدُ . وتأويلُ الكلمةِ على مذهبيهم : وَلَا يُضَارُّ . على وجه ما لم يُسَمَّ فاعلهُ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

١٣٦/٣ / حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، عن ابنِ عُيَيْنَةَ ، عن عمرو ، عن عكرمة ، قال : كان عمرُ يَقْرَأُ : (وَلَا يُضَارُّ ^(٣) كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) ^(٤) .

حَدَّثْتُ عن الحسين ، قال : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قال : أَخْبَرَنَا عبيدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ ، قال : كان ابنُ مسعودٍ يَقْرَأُ : (وَلَا يُضَارُّ) ^(٥) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : أَخْبَرَنِي [٨٣/٨ ط] عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ ، عن مجاهدٍ أنه كان يَقْرؤها : (وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) ^(٦) . وأنه كان يقولُ في تأويلها : يَنْطَلِقُ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ ، فَيَدْعُو

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٧/٢ (٣٠٢٢) ، والبيهقي ١٦٠/١٠ من طريق سفيان به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٥٥٦٠) .

(٣) في ت ٢ ، س : « يضار » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١١١/١ ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦٦ - تفسير) ، والبيهقي ١٦١/١٠ من طريق ابن عيينة به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/١ إلى سفيان وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) عزه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/١ إلى المصنف . وينظر البحر المحيط ٣٥٤/٢ .

(٦) وهي شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة . النشر ٢٢٧/٢ ، ٢٢٨ .

كاتبه وشاهدَه إلى أن يَشْهَدَ ، ولعله أن يَكُونَ في شُغْلٍ أو حاجة ؛ لِئَوْثَمَهُ إن ترك ذلك حينئذٍ لشُغْلِهِ وحاجتِهِ . وقال مجاهدٌ : لا يُقَمُّ عن شُغْلِهِ وحاجتِهِ ، فيَجِدَ في نفسه أو يَحْرَجُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ : وَالضَّرَارُ أن يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ وهو عنه غَنَى : إن اللَّهَ قد أَمَرَكَ ألا تَأْتِيَ إذا ما دُعِيتَ . فَيُضَارُّهُ بذلك ، وهو مُكْتَفٍ بغيره ، فنهاه اللَّهَ عز وجل عن ذلك وقال : ﴿ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قال : ثنى أَبِي ، قال : ثنى عَمِي ، قال : ثنى أَبِي ، عن أبيه ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . يَقُولُ : إنه يَكُونُ لِلكَاتِبِ أو الشَّاهِدِ حاجةٌ ليس منها بُدٌّ ، فيَقُولُ : خَلُّوا سَبِيلَهُ .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُثَيْمٍ ، عن يونسَ ، عن عكرمةَ في قوله : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . قال : تَكُونُ به الْعِلَّةُ ، أو يَكُونُ مَشْغُولًا ، يَقُولُ : فلا يُضَارُّهُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا أَبُو حذيفةَ ، قال : ثنا شَيْبُلٌ ، عن ابنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ أنه كان يَقُولُ : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . يَقُولُ : لا تَأْتِ الرَّجُلَ فتَقُولَ : انْطَلِقْ فَاكْتُبْ لِي ، واشْهَدْ لِي . فيَقُولُ : إن لِي حاجةٌ فَالْتِمَسْ غَيْرِي .

(١) أخرجه البيهقي ١٦١/١٠ من طريق ابن جريج ، عن مجاهد .

(٢) أخرجه البيهقي ١٦٠/١٠ من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٧/٢ عقب الأثر (٣٠٢٢) معلقا .

فيقول: اتق الله، فإنك قد أمرت أن تكتب لي. فهذه المضارّة، ويقول: دعه والتّمسّ غيره، والشاهد بتلك المنزلة^(١).

حدّثني المثنّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جوير، عن الضحاك في قوله: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. يقول: يدعوا الرجل الكاتب أو الشهيد، فيقول الكاتب أو الشهيد: إن لنا حاجة. فيقول الذي يدعوهما: إن الله عزّ ذكره أمركما أن تُجيبا في الكتابة والشهادة. يقول الله جل ثناؤه: لا يضارّهما^(٢).

حدّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك في قوله: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: هو الرجل يدعوا الكاتب والشاهد وهما على حاجة مهمة، فيقولان: إننا على حاجة مهمة فاطلب غيرنا. فيقول: «والله لقد أمركما الله أن تُجيبا»^(٣). فأمره أن يطلب غيرهما ولا يضارّهما، يعني: ولا يشغلهما عن حاجتهما المهمة وهو يجد غيرهما^(٤).

١٣٧/٣ / حدّثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ قوله: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. يقول: ليس ينبغي أن تغترّض رجلاً له حاجة فتضارّه، فنقول له: اكتب لي. فلا تتركه حتى يكتب لك، وتفقّره حاجته، ولا شاهداً من شهودك وهو مشغول، فنقول: اذهب فاشهد لي. فتحبسّه عن حاجته وأنت تجد غيره^(٥).

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٧/٢ عقب الأثر (٣٠٢٢) معلقاً.

(٢) (٢ - ٢) في م: «الله أمركما أن تجيبا».

(٣) في الأصل: «غيرها».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٧/٢ عقب الأثر (٣٠٢٢) من طريق عمرو بن حماد به.

حَدَّثَنَا عَنْ عَمَارٍ، قَالَ: ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ قولَه: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. قَالَ: لما نَزَلَتْ: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾. كَانَ أَحَدُهُمْ يَجِيءُ إِلَى الْكَاتِبِ فيَقُولُ: اكْتُبْ لِي. فيَقُولُ: إِنِّي مَشْغُولٌ، أَوْ: لِي حَاجَةٌ، فَانْطَلِقْ إِلَى غَيْرِي. فيَلْزِمُهُ وَيَقُولُ: إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ أَنْ تَكْتُبَ لِي. فَلَا يَدَعُهُ، وَيُضَارُّهُ بِذَلِكَ وَهُوَ يَجِدُ غَيْرَهُ، وَيَأْتِي الرَّجُلُ فيَقُولُ: انْطَلِقْ مَعِيَ فَأُشْهِدَكَ^(١). فيَقُولُ: [٨/٤٨٠] انْطَلِقْ إِلَى غَيْرِي، فَإِنِّي مَشْغُولٌ، أَوْ: لِي حَاجَةٌ. فيَلْزِمُهُ وَيَقُولُ: قَدْ أَمَرْتُ أَنْ تَتَّبِعَنِي. فيُضَارُّهُ بِذَلِكَ وَهُوَ يَجِدُ غَيْرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾^(٢).

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا سُويْدٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. يَقُولُ: إِنَّ لِي حَاجَةً فَدَعْنِي. فيَقُولُ: لَا^(٣)، اكْتُبْ لِي. وَلَا شَهِيدٌ كَذَلِكَ^(٤).

وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالْصَوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ. بِمَعْنَى: وَلَا يُضَارُّهُمَا مَنْ اسْتَكْتَبَ هَذَا أَوْ اسْتَشْهَدَ هَذَا؛ بَأَنْ يَأْتِيَ عَلَى هَذَا إِلَّا أَنْ يَكْتُبَ لَهُ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِأَمْرِ نَفْسِهِ، وَيَأْتِيَ عَلَى هَذَا إِلَّا أَنْ يُجِيبَهُ إِلَى الشَّهَادَةِ، وَهُوَ غَيْرُ فَارِغٍ، عَلَى مَا قَالَهُ قَائِلُو ذَلِكَ، مِنْ الْقَوْلِ الَّذِي قَدْ ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ. وَإِنَّمَا قُلْنَا: هَذَا الْقَوْلُ أُولَى بِالْصَوَابِ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الْخَطَابَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ مُبْتَدِئِهَا إِلَى انْقِضَائِهَا عَلَى وَجْهِ: افْعَلُوا أَوْ لَا تَفْعَلُوا. وَإِنَّمَا هُوَ

(١) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٧/٢ عقب الأثر (٣٠٢٢) من طريق ابن أبي جعفر به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/١ إلى المصنف.

(٣) سقط من: م.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ١١١، وفي مصنفه (١٥٥٦٣) عن معمر بنحوه مختصراً.

خطابٌ به لأهل الحقوق ، والمكتوب بينهم الكتاب ، والمشهود لهم أو عليهم بالذى تَدَايَنُوهُ بينهم من الديون . فأما ما كان من أمرٍ أو نهى فيها لغيرهم ، فإنما هو على وجه الأمر والنهى للغائب غير المخاطب كقوله : ﴿ وَلَيْكُتِبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ ﴾ . وكقوله : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . وما أشبه ذلك . فالواجب إذ كان المأمورون فيها مخاطبين بقوله : ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ . ^(١) أن يكون بالرد على قوله : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ . ولا تضاروا كاتباً ولا شهيداً ، ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ . ^(١) . أشبه منه بأن يكون مردوداً على الكاتب والشهيد . ومع ذلك أن الكاتب والشهيد لو كانا هما المنهيين عن الضرار لقليل : وإن يفعلوا فإنه فسوقٌ بهما ؛ لأنهما اثنان ، وأنهما غير مخاطبين بقوله : ﴿ وَلَا يُضَارَّ ﴾ . بل النهى بقوله : ﴿ وَلَا يُضَارَّ ﴾ . نهى للغائب غير المخاطب . فتوجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما فى سياق الآية ، أولى من توجيهه إلى ما كان مُتَعَدِّلاً عنه .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ .

١٣٨/٣ / يعنى بذلك تعالى ذكره : وإن تضاروا الكاتب أو الشاهد ، وما نهيتهم عنه من ذلك ، ﴿ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ . يعنى : إثم بكم ومعصية .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم فيه بنحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

[٨٤/٨ ظ] حدثني المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ،

عن الضحاك : ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ . يقول : إن تفعلوا غير الذى

أمرُكم به ، فإنه فُسُوقٌ بكم^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : حدَّثني معاوية بن صالح ، عن عليّ ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ : والفسوقُ المعصية^(٢) .

حدَّثت عن عمار بن الحسين ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ : والفسوقُ العصيان^(٣) .

وقال آخرون : معنى ذلك : وإن يضارَّ كاتبٌ فيكتب غير الذي أملى المُلَي ، ويضارَّ شهيدٌ ، فيحوّل شهادته ويُعَيِّرُها ، ﴿ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ . يَغْنَى : فإنه كَذِبٌ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ : الفسوقُ الكذب . قال : هذا فسوقٌ ؛ لأنه كَذَبُ الكاتب^(٤) فحوّل كتابه فكذب ، وكذب الشاهد فحوّل شهادته ، فأخبرهم الله عز وجل أنه كَذِبٌ .

وقد دللنا فيما مضى على أن المعنى بقوله : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . إنما معناه : ^(٥) « لا يضارَّهما » المستكتب والمستشهد - بما فيه الكفاية . فقوله : ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا ﴾ . إنما هو إخبارٌ منه جل ثناؤه مُضَارَّهما بحكميه فيهما ، وأنه بضارَّهما قد

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/١ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٦٨/٢ (٣٠٢٩) ، والبيهقي ١٦٠/١٠ من طريق أبي صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٨/٢ عقب الأثر (٣٠٢٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الكاذب » .

(٥ - ٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يضرهما » .

عَصَى رَبَّهُ وَأَيْمَ بِهِ ، وَرَكِبَ مَا لَا يَجِلُّ لَهُ ، وَخَرَجَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ فِي ذَلِكَ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلْ ثَنَاؤُهُ : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٢) .

يعنى جَلْ ثَنَاؤُهُ بقوله : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ : وخافوا الله أيها المتدانيون في الكتاب والشهود أن تضاروهم ، وفي غير ذلك من حدوده أن تضيعوها .

ويعنى بقوله : ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ : وَيُيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْوَاجِبَ لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ فاعملوا به ، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ . يعنى : من أعمالكم وغيرها ، يُخَصِّصُهَا عَلَيْكُمْ فَيَجَازِيكُمْ بِهَا .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِى الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا أَبُو زَهْرٍ ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ قَوْلَهُ : ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ . قَالَ : هَذَا تَعْلِيمٌ عَلَّمَكُمْوهُ فَخُذُوا بِهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلْ ثَنَاؤُهُ : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنَّ مَقْبُوضَةً﴾ .

/ اِخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَتْهُ الْقِرَاءَةُ فِي الْأَمْصَارِ جَمِيعًا : ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ . بِمَعْنَى : وَلَمْ تَجِدُوا مَنْ يَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابَ الدِّينِ الَّذِى تَدَايْتُمُوهُ إِلَى أَجْلِ مَسْئَى ، ﴿فَرِهَنَّ مَقْبُوضَةً﴾ .

وَقَرَأَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ : (وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا) ^(١) . بِمَعْنَى : وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ إِلَى

(١) فى الأصل ، ت ٢ : « كَاتِبًا » . والمثبت قراءة أبي وابن عباس ومجاهد وأبى العالية - كما سيذكر المصنف - وقرأ ابن عباس أيضًا : « كِتَابًا » وهى شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة . وينظر البحر المحيط ٢ / ٣٥٥ .

اَكْتِتابِ كِتَابِ الدِّينِ سَبِيلٌ ؛ إِمَّا بَتَعَذُّرِ الدَّوَاةِ وَالصَّحِيفَةِ ، وَإِمَّا بَتَعَذُّرِ الْكَاتِبِ وَإِنْ وَجَدْتُمُ الدَّوَاةَ وَالصَّحِيفَةَ .

والقراءة التي لَا يَجُوزُ غَيْرُهَا عِنْدَنَا هِيَ قِرَاءَةُ قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ : ﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا ۖ ﴾ . بمعنى : مَنْ يَكْتُبُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي مَصَاحِفِ الْمُسْلِمِينَ ، ^(١) وَغَيْرِ جَائِزَةِ الْقِرَاءَةِ بِغَيْرِ مَا فِي مَصَاحِفِ الْمُسْلِمِينَ مُثَبَّتٌ مِنَ الْقِرَاءَاتِ .

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ ^(١) : وَإِنْ كُنْتُمْ أَهْلُهَا الْمُتَدَانُونَ ^(٢) فِي سَفَرٍ بَحِيثٍ لَا تَجِدُونَ كَاتِبًا يَكْتُبُ لَكُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ إِلَى اِكْتِتَابِ كِتَابِ الدِّينِ الَّذِي تَدَايَنْتُمُوهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى بَيْنَكُمْ ، الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِاِكْتِتَابِهِ وَالْإِشْهَادِ عَلَيْهِ - سَبِيلٌ ، فَارْتَهِنُوا بِدُيُونِكُمْ الَّتِي تَدَايَنْتُمُوهَا إِلَى الْأَجَلِ الْمُسَمًّى زُهُونًا تَقْبِضُونَهَا مِنْ تَدَايِنُونَهُ كَذَلِكَ ؛ لِيَكُونَ ثَقَةً لَكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا أَبُو زَهْرٍ ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ [٨/٨٥ ط] قَوْلَهُ : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنٌ مَقْبُوضَةٌ ۖ ﴾ : فَمَنْ كَانَ عَلَى سَفَرٍ فَبَايَعَ بَيْعًا إِلَى أَجَلٍ فَلَمْ يَجِدْ كَاتِبًا ، فَرُخِّصَ لَهُ فِي الرِّهَانِ الْمَقْبُوضَةِ ، وَلَيْسَ لَهُ إِنْ وَجَدَ كَاتِبًا أَنْ يَرْتَهِنَ ^(٣) .

حَدَّثَنِي عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا ۖ ﴾ . يَقُولُ : كَاتِبًا يَكْتُبُ لَكُمْ ، ﴿ فَرِهَنٌ ۖ ﴾

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) فِي م : « الْمُتَدَانُونَ » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٩/٢ (٣٠٣٩) من طريق جوير به بمعناه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٣/١ إلى المصنف .

مَقْبُوضَةٌ ﴿١﴾ .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جَوَيْزٌ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، قَالَ : مَا كَانَ مِنْ بَيْعٍ إِلَى أَجَلٍ ، فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُكْتَبَ وَيُشْهَدَ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ فِي الْمَقَامِ ، فَإِنْ كَانَ الْقَوْمُ عَلَى سَفَرٍ فَبَايَعُوا إِلَى أَجَلٍ فَلَمْ يَجِدُوا كَاتِبًا ^(١) ، فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ .

ذَكَرُ مَنْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ عَلَى الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى ^(١) الَّتِي حَكَيْنَاهَا

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثَنَا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ مَقْسِمٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا) : يَعْنِي بِالْكِتَابِ الْكَاتِبَ وَالصَّحِيفَةَ وَالِدَوَاءَ وَالْقَلَمَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ جَرِيحٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ : (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا) . قَالَ : رُبَّمَا وَجَدَ الرَّجُلُ الصَّحِيفَةَ وَلَمْ يَجِدْ كَاتِبًا ^(٣) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، أَنَّ مَجَاهِدًا كَانَ يَقْرَأُهَا : (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا) . وَيَقُولُ : رُبَّمَا وَجَدَ الْكِتَابَ ^(٤) وَلَمْ تَوْجِدِ الصَّحِيفَةَ وَالْمَدَادَ . وَنَحْوَ هَذَا مِنَ الْقَوْلِ ^(٥) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو حَازِمٍ ، قَالَ : ثَنَا شَيْبَانُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦٨ - تفسير) عن هشيم به .

(٣) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٦٧ .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « الكاتب » ، وفي س : « المكاتب » .

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٦٧ عن ابن علية به .

مجاهد : (وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا) يقول : مِدَادًا . يَقْرَؤُهَا كَذَلِكَ ، ١٤٠/٣
يقول : فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مِدَادًا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ الرُّهُنُ الْمَقْبُوضَةُ . (فَرُهْنٌ ^(١))
مقبوضة . قال : لَا تَكُونُ الرُّهُنُ إِلَّا فِي السَّفَرِ ^(٢) .

حدثني الثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد بن زيد ^(٣) ، عن شعيب بن
الحجباب ، أن أبا العالية كان يَقْرَؤُهَا : (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا كِتَابًا) . قال أبو العالية : قد توجد
الدواة ولا توجد الصحيفة ، ^(٤) وربما وجد الكاتب ولا توجد الصحيفة .

واختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ فَرِهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ ؛ فقرأ ذلك عامة قراءة
[٨٦/٨ و] الحجاز والعراق : ﴿ فَرِهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ ^(٥) . بمعنى جماع رهن ، كما
الكباش جمع كبش ، والبغال جمع بغل ، والتعال جمع نعل .

وقرأ ذلك جماعة آخرون : (فَرُهْنٌ مقبوضة) ^(٦) . على معنى جمع زهان ،
ورُهْنٌ جمع الجمع . وقد وجه بعضهم إلى أنها جمع رهن ، مثل سَقْفٍ وسَقْفٍ .

وقرأه آخرون : (فَرُهْنٌ) . مخففة الهاء ، على معنى جماع رهن ، كما يُجْمَعُ
السَّقْفُ سَقْفًا . قالوا : ولا نَعْلَمُ اسمًا على فَعْلٍ يُجْمَعُ على فَعْلٍ وفُعْلٍ ، إلا الرُّهْنُ
والرُّهْنُ ، والسَّقْفُ والسَّقْفُ .

والذي هو أولى بالصواب في ذلك قراءة مَنْ قرأه : ﴿ فَرِهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ ؛ لأن
ذلك الجمع المعروف لما كان من اسمٍ على فَعْلٍ ، كما يقال : حَبْلٌ وَجِبَالٌ ، وَكَعْبٌ

(١) في ص ، م ، س : « فرهان » . وهما قراءتان ، وسيذكرهما المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٩/٢ (٣٠٣٨) من طريق أبي حذيفة به مقتصرًا على آخره بنحوه .

(٣) في الأصل : « يزيد » . وينظر تهذيب الكمال ٢٣٩/٧ - ٢٤٣ .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٩/٢ عقب الأثر (٣٠٣٥) من طريق الربيع عن أبي العالية .

(٥) وهي قراءة نافع وعاصم وحزمة والكسائي وابن عامر . السبعة لابن مجاهد ص ١٩٤ .

(٦) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، على خلاف عنهما في ضم الهاء وتسكينها . المصدر السابق .

وِكَعَابٌ ، ونحو ذلك من الأسماء . فأما جمعُ الْفَعْلِ على الْفُعْلِ أو الْفُعْلِ ، فشاذٌ قليلٌ ، إنما جاء في أحرفٍ يسيرة ، وقيل : سَقَفٌ وَسُقْفٌ وَسُقْفٌ ، و : قَلْبٌ وَقُلْبٌ وَقُلْبٌ ، مِن قَلْبِ النَخْلِ ، وَجَدٌ وَجَدٌ ، لِلجَدِّ الذى هو بمعنى الحِطِّ . وأما ما جاء من جمعِ فَعْلٍ على فُعْلٍ فـ « نَطٌّ وَنُطٌّ » ، وَوَزْدٌ وَوُزْدٌ ، و « جَوْنٌ وَجَوْنٌ »^(١) .

وإنما دعا الذى قرأ ذلك : (فَرُهِئْ) . إلى قراءته - فيما أظن - كذلك ، مع شذوذه^(٢) فى جمعِ فَعْلٍ ، أنه وجد الرُّهَانَ مستعملةً فى رِهَانِ الخيلِ ، فأحبُّ صرفَ لفظِ ذلك عن اللفظِ المتلبيسةِ برِهَانِ الخيلِ ، الذى هو بغيرِ معنى الرُّهَانِ ، الذى هو جمعُ رَهْنٍ ، ووجد الرُّهْنَ مَقُولًا فى جمعِ رَهْنٍ ، كما قال قَعْنَبُ^(٣) :

بَانَتْ سَعَادُ وَأَمْسَى دُونَهَا عَدْنُ وَغُلَّقَتْ^(٤) عِنْدَهَا مِنْ قَلْبِكَ الرُّهْنُ
القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْهُ أَمْنَتُهُ وَلْيَسْقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن كان المدينُ أمينًا عند ربِّ المالِ والدينِ ، فلم يَزْتَهِنْ منه فى سفرِهِ رَهْنًا بدينِهِ ؛ لأمانتهِ عنده على مالِهِ وثِقَتِهِ به ، فليَتَّقِ اللَّهَ المدينُ ﴿ رَبَّهُ ﴾ . يَقُولُ : فليَخَفِ اللَّهَ رَبَّهُ فى الذى عليه من دينِ صاحِبِهِ أن^(٥) يَجْحَدَهُ ، أو يُلْطُ^(٦) دُونَهُ به ، أو يُحَاوِلَ الذَّهَابَ [٨ / ٨٦ ط] به ، فيتَعَرَّضَ من عقوبةِ اللَّهِ ما لا قِبَلَ له به ، وليؤدِّ دينَهُ الذى اتَّكَمَنَهُ عليه إليه .

(١ - ١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « خود وخود » .

(٢) وليست قراءة من قرأ : (رُهِئْ) . شاذة ، بل هى متواترة ، وليست قواعد النحو والصرف أصلاً للقرآن ، بل القرآن أصلُ لهما .

(٣) البيت فى اللسان (ر ه ن) وفيه : قبلك . بدلا من : قلبك .

(٤) غلق الرهن فى يد المرتهن : استحققه المرتهن ، وذلك إذا لم يفتك فى الوقت المشروط . اللسان (غ ل ق) .

(٥) فى س : « أو » .

(٦) لط الغريم بالحق : دافع ومنع ، ولط حقه ولط عليه : جحده . اللسان (ل ط ط) .

وقد ذَكَّرْنَا قَوْلَ مَنْ قَالَ : هذا الحكمُ مِنَ اللَّهِ ناسخُ الأحكامِ التي في الآيةِ قبلَها ، مِن أمرِ اللَّهِ بالشهودِ والكتابِ ، ودَلَّلْنَا على أُولَى ذلك بالصوابِ مِنَ القولِ فيه ، فأغْنَى ذلك عن إعادته في هذا الموضع^(١) .

/ وقد حَدَّثَنِي يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أَخْبَرَنَا يزيدُ ، قال : أَخْبَرَنَا جُوَيْرٌ ، ١٤١/٣
عن الضحاكِ في قوله : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِيَ مِنْهُ ﴾ : إنما
يعنى بذلك في السَّفَرِ ، فأما الحَضَرُ فلا ، وهو واجدٌ كاتباً ، فليس له أن يَزَيِّهَنَّ ولا
يَأْمَنَ بعضهم بعضاً .

وهذا الذي قاله الضحاكُ مِنْ أنه ليس لربِّ الدَّيْنِ ائتمانُ المدينِ وهو واجدٌ إلى
الكتابِ والكتابِ والإشهادِ عليه سبيلاً ، وإن كانا في سَفَرٍ ، فكما قال ؛ لما قد دَلَّلْنَا
على صحته فيما مضى قبلُ .

وأما ما قال ، مِنْ أَنَّ الأمرَ في الرهنِ أيضًا كذلك مثلُ الائتمانِ ، في أنه ليس
لربِّ الحقِّ الارتهانُ بماله إذا وجدَ إلى الكاتبِ والشهيدِ سبيلاً في حَضَرٍ أو سَفَرٍ - فإنه
قولٌ لا معنى له ؛ لصحة الخبرِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه اشترى طعامًا نساءً ، ورهنَ به
دِرْعًا له^(٢) . فجائزٌ للرجلِ أن يَزَيِّهَنَّ^(٣) بما عليه ، وَيَزَيِّهَنَّ بما له مِنْ حقٍّ في السفرِ
والحَضَرِ ؛ لصحة الخبرِ بما ذَكَّرْنَا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأن معلومًا أن النبيَّ ﷺ لم
يكنْ حينَ رهنَ ما^(٤) ذَكَّرْنَا غيرَ واجدٍ كاتباً ولا شهيدًا ؛ لأنه لم يكنْ مُتَعَدِّراً عليه
بمدينته في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ الكاتبُ والشاهدُ ، غيرَ أنهما إذا تابعا برهنَ ، فالواجبُ

(١) ينظر ما تقدم في ص ٧٣ - ٨١ .

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٦٨ ، ٢٠٩٦ ، ٢٢٠٠) ، ومسلم (١٦٠٣) .

(٣) في ص ، ت ١ ، س : « يرتهن » .

(٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « من » .

عليهما إذا وجدا سبيلاً إلى كاتب وشهيد ، وكان البيع أو الدين إلى أجلٍ مسمى ، أن يَكْتُبَا ذلك ويُشْهِدَا على المال والرهين ، وإنما يَجُوزُ ترك الكتاب والإشهاد في ذلك ، حيث لا يَكُونُ لهما إلى ذلك سبيلٌ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاتَمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٢٨٣ ﴾ .

وهذا خطاب من الله ، جل ثناؤه ، الشهود الذين أمر المستدين ورب المال [٧٨/٨] بإشهادهم ، فقال لهم : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ ، ولا تَكْتُمُوا أيها الشهود بعد ما شهدتم شهادتكم عند الحاكم ، كما شهدتم على ما شهدتم عليه ، ولكن أجبوا من شهدتم له ، إذا دعاكم لإقامة شهادتكم على خصمه على حقه عند الحاكم الذي يأخذ له بحقه ، ثم أخبر الشاهد جل ثناؤه ما عليه في كتمان شهادته ، وإبائه من أدائها والقيام بها عند حاجة المشتشهد إلى قيامه بها عند حاكم أو ذي سلطان ، فقال : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا ﴾ . يعنى : ومن يَكْتُم شهادته ، ﴿ فَإِنَّهُ ءَاتَمٌ قَلْبُهُ ﴾ . يقول : فاجر قلبه ، مُكْتَسِبٌ بِكتمانِهِ إياها معصية الله .

كما حدثنا المثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاتَمٌ قَلْبُهُ ﴾ : فلا يحل لأحد أن يَكْتُم شهادةً هي عنده ، وإن كانت على نفسه والوالدين ، ومن كتمها فقد ركب إثماً عظيماً ^(١) .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاتَمٌ قَلْبُهُ ﴾ . يقول : فاجر قلبه ^(٢) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧١/٢ (٣٠٥٠) من طريق ابن أبي جعفر به نحوه .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٢/٢ (٣٠٥٣) من طريق عمرو به .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثنى معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة : ٧٢] . وشهادةُ الزورِ ، وَكِتْمَانُ الشَّهَادَةِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَاهُمُ قَلْبُهُ﴾^(١) .

/ وقد رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : عَلَى الشَّاهِدِ أَنْ يَشْهَدَ حَيْثَمَا ١٤٢/٣ اسْتُشْهِدَ ، وَيُخْبِرَ بِهَا حَيْثَمَا اسْتُخْبِرَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا سُوَيْدٌ ، قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : إِذَا كَانَتْ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ ، فَسَأَلَكَ عَنْهَا ، فَأَخْبِرْهُ بِهَا ، وَلَا تَقُلْ : أَخْبِرْ بِهَا عِنْدَ الْأَمِيرِ . أَخْبِرْهُ بِهَا ، لَعَلَّهُ يَرْجِعُ أَوْ يَزْعُمُ^(٢) .
وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ : بِمَا تَعْمَلُونَ فِي شَهَادَتِكُمْ ، مِنْ إِقَامَتِهَا وَالْقِيَامِ بِهَا ، أَوْ كِتْمَانِكُمْ إِيَّاهَا عِنْدَ حَاجَةٍ مَنْ اسْتَشْهَدَكُمْ إِلَيْهَا ، وَبَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَرَائِرِ أَعْمَالِكُمْ وَعَلَانِيَتِهَا ، ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يُخَصِّصُهُ عَلَيْكُمْ لِيَجْزِيَكُمْ بِذَلِكَ كُلُّهُ جَزَاءَكُمْ ؛ إِمَّا خَيْرًا وَإِمَّا شَرًّا ، عَلَى قَدْرِ اسْتِحْقَاقِكُمْ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ .

يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ : لِلَّهِ مَلِكُ كُلِّ مَا

(١) فِي النسخ : « وَمَنْ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٧١/٢ (٣٠٥١) ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ٢٥٢/١٢ (١٣٠٢٣) مِنْ طَرِيقِ أَبِي صَالِحٍ بِهِ ، وَهُوَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ مَطْوَلٌ .

(٣) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مُصَنَّفِهِ (١٥٥٥٩) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ بِهِ ، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمْهِيدِ

فى السماوات وما فى الأرض ، من صغير وكبير ، "وَقَلِيلٍ وَكَثِيرٍ" ، وإليه تدير جميعه ، ويديه صرُفُه وتَقْلِيْبُه ، لا يَخْفَى عليه منه شىء ؛ لأنه مدبره ومالكه ومصرفه .

وإنما عنى بذلك جل ثناؤه كتمان الشهود الشهادة ، يقول : لا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ أَيُّهَا الشُّهُودُ ، فإنه من يَكْتُمُهَا يَفْجُرْ قَلْبُه ، ولن يَخْفَى على كتمانها ذلك ؛ لأنى بكل شىء عليم ، ويبدى صرف كل شىء فى السماوات والأرض وملكه ، أعلم^(٢) خفى ذلك وجلته ، فاتقوا عقابى إياكم على كتمانكم الشهادة . وعيدا من الله بذلك من كتمها ، وتخويفا منه له به .

ثم أخبرهم عما هو فاعل بهم فى آخرتهم ، وبمن كان من نظرائهم ممن انطوى كشحا على معصية فأضمرها ، أو أظهر موبقة فأبداها من نفسه ، من المحاسبة عليها ، فقال : ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ . يقول : وإن تُظهِرُوا فيما عندكم من الشهادة على حق رب المال الجحود والإنكار ، أو تُخْفُوا ذلك فتُضْمِرُوهُ فى أنفسكم ، وغير ذلك من سئى أعمالكم ، ﴿ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . يعنى بذلك : يَحْتَسِبُ به عليه من أعماله ، فمجاز من شاء منكم من المسيئين سوء عمله ، وغافل من شاء منكم من المسيئين .

ثم اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله : ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ؛ فقال بعضهم بما قلنا ، من أنه عنى به الشهود فى كتمانهم الشهادة ، وأنه لاحق بهم كل من كان من نظرائهم ممن أضمر معصية أو أبداها .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أعلمه » .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي أَبُو زَائِدَةَ زَكْرِيَّا بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي زَائِدَةَ ، قَالَ : ثنا ^(١) ابْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ . قَالَ : يَعْنِي فِي الشَّهَادَةِ ^(٢) .

/ حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانٌ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، ١٤٣/٣
عَنْ مِقْسَمٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ .
قَالَ : فِي الشَّهَادَةِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْأَعْلَى ، قَالَ : سِئْلُ دَاوُدَ عَنْ قَوْلِهِ :
﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [٥٨٨/٨] . فَحَدَّثَنَا
عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : هِيَ الشَّهَادَةُ إِذَا كَتَمْتَهَا .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ^(٤) ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، عَنْ عَمْرِو أَبِي
سَعِيدٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ عِكْرَمَةَ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ
تُخَفُّوهُ﴾ . قَالَ : فِي الشَّهَادَةِ ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانٌ ، عَنْ السُّدِّيِّ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ
فِي قَوْلِهِ : ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ . قَالَ : فِي الشَّهَادَةِ ^(٦) .

(١ - ١) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «أَبُو نَفِيلٍ» . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٢٦/٢٩٣ .
(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٧٢/٢ (٣٠٥٦) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ فُضَيْلٍ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي
سَنَنِهِ (٤٧٣ - تَفْسِيرٍ) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ١/٣٧٣ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .
(٣) أَخْرَجَهُ الطَّحَاوِيُّ فِي الْمَشْكَلِ ٤/٣١٥ عَقِبَ الْحَدِيثِ (١٦٢٩) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بِهِ ، وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي
الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ١/٣٧٣ ، ٣٧٤ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٤) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «ابْنُ الْمُثَنَّى» .

(٥) بَعْدَهُ فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «و» .

(٦) أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي نَاسِخِهِ ص ٣٩٤ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي النَّوَاسِخِ ص ٢٣٤ مِنْ طَرَقٍ عَنْ عِكْرَمَةَ .

(٧) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٧٢/٢ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٠٥٦) مُعْلَقًا . (تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٩/٥)

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ مِقْسَمٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿وَلِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبَكُم بِهِ اللَّهُ﴾ . قَالَ : نَزَلَتْ فِي كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ وَإِقَامَتِهَا ^(١) .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جَوَيْرٌ ، عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَلِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبَكُم بِهِ اللَّهُ﴾ . يَعْنِي : كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ وَإِقَامَتِهَا عَلَى وَجْهِهَا .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِعْلَامًا مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ أَنَّهُ مُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبَتْهُ أَيْدِيهِمْ ، وَحَدَّثْتَهُمْ بِهِ أَنْفُسُهُمْ مِمَّا لَمْ يَعْمَلُوهُ .

ثُمَّ اخْتَلَفَ مَتَأَوَّلُو ذَلِكَ كَذَلِكَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ثُمَّ نَسَخَ اللَّهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ مَصْعَبِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبَكُم بِهِ اللَّهُ﴾ . فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْقَوْمِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نُحَدِّثُ بِهِ أَنْفُسَنَا ! هَلَكْنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الْآيَةَ ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ . قَالَ أَبِي : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ اللَّهُ : نَعَمْ » . ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . قَالَ أَبِي : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ اللَّهُ : نَعَمْ » ^(٢) .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي نَاسَخِهِ ص ٣٩٣ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي النَّوَاسِخِ ص ٢٣٤ مِنْ طَرِيقِ هُشَيْمٍ بِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١٩٨/١٥ - ٢٠٠ (٩٣٤٤) ، وَمُسْلِمٌ (١٢٥) ، وَأَبُو عَوَانَةَ ٧٦/١ ، ٧٧ ، وَالطَّحَاوِيُّ =

حدَّثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، وحدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا^(١) أبي، عن^(٢) سفيان، عن آدم بن سليمان، مولى خالد بن خالد، قال: سمعت سعيد بن جبيرة يحدث، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ﴾. دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا»^(٣): سمعنا وأطعنا وسلَّمنا». [٨٨/٨] قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم. قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾. قال أبو كريب: فقرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ -^(٤) وقال ابن وكيع: إلى قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ -^(٥) قال: فقال: قد فعلت. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ مَا عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾. قال: قد فعلت^(٦). ﴿وَاَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: قد فعلت^(٧).

حدثني أبو الرَّدَادِ المصري عبد الله بن عبد السلام، قال: ثنا أبو زرعة وهب الله ابن راشد، عن حيوة بن شريح، قال: سمعت يزيد بن أبي حبيب يقول: قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن مَرْجَانَةَ، قال: جث عبد الله بن عمر، فتلا هذه الآية:

= في المشكل (١٦٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٤/٢، ٥٧٥، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، (٣٠٦٠، ٣٠٦١، ٣٠٩٤، ٣٠٩٩، ٣١٠٣، ٣١١١)، وابن حبان (١٣٩)، والبيهقي في الشعب (٣٢٧)، والواحدى في أسباب النزول ص ٦٦، وابن الجوزى في التواضع ص ٢٢٦، ٢٢٧ من طريق العلاء ابن عبد الرحمن به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٤/١ إلى أبي داود في ناسخه وابن المنذر.

(١ - ١) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س.

(٢) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س.

(٣) بعده في ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: ﴿ربنا لا تحملنا مالا طاقة لنا به قال قد فعلت﴾.

(٤) أخرجه مسلم (١٢٦) عن أبي كريب به بنحوه، وأخرجه أحمد ٤٩٧/٣ (٢٠٧٠)، ومسلم (١٢٦)، والترمذي (٢٩٩٢)، والنسائي في الكبرى (١١٠٥٩)، وأبو عوانة ١/٧٥، وابن حبان (٥٠٦٩)، والحاكم ٢/٢٨٦، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٥٣)، وفي الشعب (٢٤٠٧، ٢٤٠٨)، والواحدى في أسباب النزول ص ٦٦، ٦٧ من طريق وكيع به، وأخرجه أبو عوانة ٧٥/١ من طريق سفيان به، وعزاه =

﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ﴾ . ثم قال ابن عمر: لئن آخذنا بهذه الآية لنهلكنَّ . ثم بكى ابن عمر حتى سالت دُموعه . قال: ثم جئتُ عبدَ اللهِ بنَ العباسِ ، فقلت: يا أبا العباسِ ، إني جئتُ ابنَ عمرَ ، فتلا هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ﴾ الآية . ثم قال: لئن وآخذنا بهذه الآية لنهلكنَّ . ثم بكى حتى سالت دُموعه ، فقال ابنُ عباسٍ: يَغْفِرُ اللهُ لعبدِ اللهِ بنِ عمرَ ، لقد فَرِقَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ منها كما فَرِقَ ابنُ عمرَ منها ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ . فنسخ اللهُ الوُسْوَسةَ ، وأثبت القولَ والفعل^(١) .

حدثني يونسُ ، قال: أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال: أخبرني يونسُ بنُ يزيدَ ، عن ابنِ شهابٍ ، عن سعيدِ بنِ مَرْجَانَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ جَالِسٌ مَعَ^(٢) عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ﴾ الآية . فقال: وَاللَّهِ لئن آخَذْنَا اللهُ بهذا لنهلكنَّ . ثم بكى ابنُ عمرَ حتى سَمِعَ نَشِيْجُهُ . فقال ابنُ مَرْجَانَةَ: فَقُمْتُ حَتَّى أَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا تَلَا ابْنُ عُمَرَ ، وَمَا فَعَلَ حِينَ تَلَاها ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: يَغْفِرُ اللهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، لَعَمْرِي لَقَدْ وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا حِينَ أَنْزَلَتْ مِثْلَ مَا وَجَدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلى آخرِ السورة . قال ابنُ عباسٍ: فَكَانَتْ هَذِهِ الْوُسْوَسةُ مِمَّا لَا طَاقَةَ لِلْمُسْلِمِينَ بِهَا ، وَصَارَ الْأُمْرُ إِلَى أَنْ قَضَى اللهُ أَنَّ لِلنَّفْسِ مَا كَسَبَتْ ، وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ^(٣) .

= السيوطي في الدر المنثور ٣٧٤/١ إلى ابن المنذر .

(١) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٣٩٦ ، والطبراني في الكبير (١٠٧٦٩) من طريق يزيد بن أبي حبيب به بنحوه .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «سمع» .

(٣) أخرجه الطحاوي في المشكل (١٦٢٧) عن يونس به ، وأخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٤٠٤/١ ،

والطحاوي في المشكل (١٦٢٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره مرفقاً ٥٧٨/٢ ، ٥٧٩ ، (٣٠٨٧) ، (٣٠٩٠) ،

والطبراني (١٠٧٧٠) ، والبيهقي في الشعب (٣٢٩) من طريق الزهري به ، وعزه السيوطي في الدر =

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الزَّهْرِيَّ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ ﴾ . قَالَ : قَرَأَهَا ابْنُ عَمْرٍ ، فَبَكَى وَقَالَ : إِنَّا لَمَأْخُودُونَ بِمَا نَحْدُثُ بِهِ أَنْفُسَنَا . فَبَكَى حَتَّى سَمِعَ نَشِيْجَهُ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ عِنْدِهِ ، فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَمْرٍ ، لَقَدْ وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ نَحْوًا مِمَّا وَجَدَ ، حَتَّى نَزَلَتْ : ﴿ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا [٩٨/٨] وَسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَى إِسْحَاقُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ حَمِيدِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَمْرٍ فَقَالَ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ ﴾ الْآيَةَ . فَبَكَى ، حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ ، فَضَحِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَمْرٍ ، أَوْ مَا يَذَرِي / فِيمَ ١٤٥/٣ أَنْزَلَتْ ^(٢) وَكَيْفَ أَنْزَلَتْ ^(٣) ؟ إِنْ هَذِهِ الْآيَةُ حِينَ أَنْزَلَتْ غَمَّتْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَمًّا شَدِيدًا ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكْنَا . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا » . فَنَسَخَتْهَا : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ . فَتَجَوَّزَ لَهُمْ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَأَخَذُوا بِالْأَعْمَالِ ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، عَنْ سَفْيَانَ بْنِ حُسَيْنٍ ، عَنْ الزَّهْرِيَّ ، عَنْ سَالِمٍ أَنَّ أَبَاهُ قَرَأَ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، فَبَلَغَ صَنِيعُهُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : يَرْحَمُ

= المنشور ٣٧٤/١ إلى عبد بن حميد وأبي داود في ناسخه .

(١) تفسير عبد الرزاق ١١٢/١ .

(٢ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١١٣/١ ، ١١٤ . ومن طريقه أحمد ١٩٤/٥ ، ١٩٥ ، (٣٠٧٠) ، وابن الجوزي في

النواسخ ص ٢٢٩ .

اللَّهُ أبا عبد الرحمن ، لقد صنعَ كما صنعَ أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ أنزلتْ ،
فنسختها الآيةُ التي بعدها : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(١) .

حدثنا محمد بنُ بشارٍ ، قال حدثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن
السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : نسخت هذه الآية : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي
أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ﴾ ، ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(٢) .

^٣ حدثنا ابنُ بشارٍ ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان ، عن آدم بن
سليمان مولى خالدٍ ، عن سعيد بن جبير بمثله ^{(٣(٤))} .

حدثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن آدم بن سليمان ،
عن سعيد بن جبير ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ
تُخَفُّوهُ ﴾ قالوا : أتؤاخذُ بما حدثنا به أنفسنا ولم تعملْ به جوارحنا ؟ قال : فنزلت
هذه الآية : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . قال ويقول : قد فعلت . ^(٣) ﴿ رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ . قال ويقول : فعلت ^(٣) .
قال : فأعطيت هذه الأمة خواتيم سورة « البقرة » ، لم تُعطها الأمم قبلها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال ثنا إسماعيل ، عن عامرٍ : ﴿ وَإِنْ
تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُورُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/١٤ ، والنحاس في ناسخه ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، والحاكم ٢/٢٨٧ ، وابن الجوزي في
ناسخه ص ٢٢٩ من طريق يزيد بن هارون به .

(٢) أخرجه ابن الجوزي في ناسخه ص ٢٣٠ من طريق سفيان به بنحوه .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٤/٢ عقب الأثر (٣٠٦١) معلقا .

يَشَاءُ ﴿٢٨٤﴾ قَالَ : فَنَسَخْتُهَا الَّتِي بَعْدَهَا ؛ قَوْلُهُ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . قَالَ : نَسَخْتُهَا الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [٨٩/٨ ظ] وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا ﴾ . قَالَ : يُحَاسِبُ بِمَا أَبْدَى مِنْ سِرٍّ أَوْ أَخْفَى مِنْ سِرٍّ ، فَنَسَخْتُهَا الَّتِي بَعْدَهَا .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبٌ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَيَّارٌ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . قَالَ : فَكَانَ فِيهَا شِدَّةٌ ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ . قَالَ : فَنَسَخْتُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ^(١) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبٌ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُلَيَّةَ ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ ، قَالَ : ذَكَرُوا عِنْدَ الشَّعْبِيِّ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ﴾ . حَتَّى بَلَغَ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ . قَالَ : فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : إِلَى هَذَا صَارَ ، رَجَعْتُ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ أَخْبَرَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جَوَيْرِيٌّ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ﴾ . قَالَ : فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : كَانَتْ الْحَاسِبَةُ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ . فَلَمَّا

(١) أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سَنَنِهِ (٤٨٠ - تَفْسِيرٌ) ، وَالنَّحَّاسُ فِي نَاسِخِهِ ص ٢٧٦ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي النَّوَاسِخِ ص ٢٣١ مِنْ طَرِيقِ هُشَيْمٍ بِهِ . وَعِنْدَ النَّحَّاسِ : شَيْبَانٌ . وَعِنْدَ ابْنِ الْجَوْزِيِّ : يَسَارٌ . وَالصَّوَابُ : سَيَّارٌ ، وَهُوَ أَبُو الْحَكَمِ الْوَاسِطِيُّ الْعَنْزِيُّ . يَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٣١٣/١٢ .

نَزَلَتْ نَسَخَتِ الْآيَةَ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا ^(١).

حَدَّثَنَا عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَذْكُرُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ نَحْوَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ يَيَانٍ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : نَسَخَتْ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ﴾ ، ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُثَيْدَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ ، وَسَفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : نَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ، ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ﴾ الْآيَةَ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ وَعَامِرٍ بِمَثَلِهِ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا الْحُجَّاجُ ، قَالَ : ثَنَا حَمَّادٌ ، عَنْ ^(٤) حَمِيدٍ ، عَنِ الْحُسَيْنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . قَالَ : نَسَخْتُهَا ^(٥) : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٨٢ - تفسير) ، والطبراني في الكبير (٩٠٣٠) من طريق جوير به بنحوه .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٧٩ - تفسير) من طريق ييان به بنحوه .

(٣) أخرجه بن الجوزي في التواضع ص ٢٣٠ من طريق سفیان به بنحوه .

(٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بن » .

(٥) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « محتها » .

اَكْتَسَبَتْ ﴿١﴾ .

حدَّثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادة أنه قال : نسخت هذه الآية - يعنى قوله : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ - الآية التي قبلها : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوا يُحَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ ﴿٢﴾ .

حدَّثنا ^٣الحسن بن يحيى ^٣، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ، عن قتادة فى قوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوا يُحَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ . قال : نسختها قوله : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ﴿٤﴾ .

حدَّثنى يونسٌ، قال : أخبرنا ابن وهبٌ، قال : ثنى ابن زييدٌ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوا يُحَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية : اشتدت على المسلمين ، وشقت مشقة شديدة ، وقالوا : يا رسول الله ، لو وقع فى أنفسنا شىء لم نعمل به ، واخذنا الله به ؟ قال : «فلعلكم تقولون [٩٠/٨] كما قالت بنو إسرائيل لموسى : سميعنا وعصينا» . قالوا : بل سميعنا وأطعنا يا رسول الله . قال : فنزل القرآن يُفَرِّجُهَا عَنْهُمْ : ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ . قال : فصيَّره إلى الأعمال ، وترك ما يَقَعُ فى القلوب .

(١) أخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٣٩٧ عن الحجاج به بنحوه . وأخرجه ابن الجوزى فى النواسخ ص ٢٣٠ من طريق حماد بن سلمة به .

(٢) أخرجه ابن الجوزى فى ناسخه ص ٢٣٠ ، ٢٣١ من طريق سعيد به بمعناه .

(٣ - ٣) فى الأصل : «ابن حسين قال أخبرنا يحيى» .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١١ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحُجَّاجُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، عَنْ سَيَّارٍ ^(١) أَبِي الْحَكَمِ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ بْنِ ^(٢) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . قَالَ : نَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّيِّدِيِّ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . قَالَ : يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَانُوا يَأْخُذُونَ بِمَا وَشَّوَسَتْ بِهِ أَنْفُسُهُمْ وَمَا عَمِلُوا ، فَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالُوا : إِنْ عَمِلَ أَحَدُنَا وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ أَخَذْنَا بِهِ ! وَاللَّهِ مَا نَمْلِكُ الْوَشْوَسةَ . فَنَسَخَهَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا بِقَوْلِهِ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ . فَكَانَ حَدِيثُ النَّفْسِ مِمَّا لَمْ يُطِيقُوا . الْآيَةَ .

حَدَّثَتْ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ قَتَادَةَ ، أَنَّ عَائِشَةَ أُمَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ : نَسَخَهَا قَوْلُهُ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ^(٤) . وَقَالَ آخَرُونَ - مِمَّنْ قَالَ : مَعْنَى ذَلِكَ الْإِعْلَامُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ أَنَّهُ مَأْخُذُهُمْ بِمَا كَسَبَتْهُ أَيْدِيهِمْ وَعَمِلَتْهُ جَوَارِحُهُمْ ، وَبِمَا حَدَّثَتْهُمْ بِهِ أَنْفُسُهُمْ مِمَّا لَمْ يَعْمَلُوهُ - : هَذِهِ الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ ، وَاللَّهُ مُحَاسِبٌ خَلْقَهُ عَلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ وَمَا لَمْ يَعْمَلُوهُ مِمَّا أَضْمَرُوهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَنَوَّهَ وَأَرَادُوهُ ، فَيُغْفِرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَيُؤَاخِذُهُ بِهِ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ .

(١) بعده في م : « عن » .

(٢) في ت ١ ، س ، ونواسخ القرآن : « عن » .

(٣) أخرجه ابن الجوزي في النواسخ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ من طريق حجاج به بنحوه ، وأخرجه ابن أبي حاتم في

تفسيره ٥٧٨/٢ (٣٠٨٩) من طريق هشيم به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٤/١ إلى المصنف .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ : فَإِنَّهَا لَمْ تُنْسَخْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا جَمَعَ بَيْنَ الْخِلَاقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ : إِنِّي أَخْبَرْتُكُمْ بِمَا أَخْفَيْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ، مِمَّا لَمْ تَطْلُغْ عَلَيْهِ مَلَائِكَتِي ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيُخْبِرُهُمْ وَيَغْفِرُ لَهُمْ مَا حَدَّثُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ . يَقُولُ : يُخْبِرُكُمْ . وَأَمَّا أَهْلُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَا أَخْفَوْا مِنَ التَّكْذِيبِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذْكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٥] [٩٠/٨] من الشُّكِّ والنَّفَاقِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عُمَى ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ : فَذَلِكَ سِرُّ عَمَلِكِ وَعِلَانِيَتُهُ ، يُحَاسِبُكَ بِهِ اللَّهُ ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُسِرُّ فِي نَفْسِهِ خَيْرًا لِيَعْمَلَ بِهِ ، فَإِنْ عَمِلَ بِهِ كُتِبَتْ لَهُ بِهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يُقَدِّرْ لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ كُتِبَتْ لَهُ بِهِ حَسَنَةٌ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ ، وَاللَّهُ يَرِىُّ سِرَّ الْمُؤْمِنِينَ وَعِلَانِيَتَهُمْ ، وَإِنْ كَانَ سُوءًا حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ أَطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، أَخْبَرَهُ بِهِ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَعْمَلَ بِهِ لَمْ يُؤَاخِذْهُ اللَّهُ بِهِ حَتَّى يَعْمَلَ بِهِ ، فَإِنْ عَمِلَ بِهِ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَمَا قَالَ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ ^(٢) [الأحقاف : ١٦] .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٢/٢ ، ٥٧٥ ، (٣٠٥٧ ، ٣٠٦٦ ، ٣٠٦٨) ، وابن الجوزي في النواسخ ٢٣٢ من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٥/١ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٣/٢ (٣٠٥٨) عن محمد بن سعد به .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ الآية . قال : قال ابن عباس : إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة : إن كُتِّبَ لِمَ يَكْتُبُوا مِنْ أَعْمَالِكُمْ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، فَأَمَّا مَا أَسْرَرْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَنَا أُحَاسِبُكُمْ بِهِ الْيَوْمَ ؛ فَأَغْفِرْ لِمَنْ شِئْتُ ، وَأَعَذِّبْ مَنْ شِئْتُ .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا علي بن عاصم ، قال : أخبرنا بيان ، عن بشر ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : إذا كان يوم القيامة قال الله تبارك وتعالى يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ : إِنَّمَا كَانَ كُتِّبَ يَكْتُبُونَ عَلَيْكُمْ مَا ظَهَرَ مِنْكُمْ ، فَأَمَّا مَا أَسْرَرْتُمْ فَلَمْ يَكُونُوا يَكْتُبُونَهُ وَلَا يَعْلَمُونَهُ ، أَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ كُلَّهُ مِنْكُمْ ، فَأَغْفِرْ لِمَنْ شِئْتُ ، وَأَعَذِّبْ مَنْ شِئْتُ .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ﴾ : كان ابن عباس يقول : إذا دُعِيَ النَّاسُ لِلْحِسَابِ ، أَخْبَرَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يُسِرُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا لَمْ يَعْمَلُوهُ ، فيقول : إنه كان لا يَعْرِضُ عَنِّي شَيْءٌ ، وَإِنِّي مَخْبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تُسِرُّونَ مِنَ السَّوِّءِ ، وَلَمْ تَكُنْ حَفَظْتَنِي عَلَيْكُمْ يَطْلَعُونَ عَلَيْهِ . فَهَذِهِ الْحَاسِبَةُ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو ثميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، عن ابن عباس نحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . قال : هي مُحْكَمَةٌ لَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ ، يَقُولُ : ﴿ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . يَقُولُ : يُعْرِفُهُ اللَّهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ أَخْفَيْتَ فِي صَدْرِكَ كَذَا وَكَذَا ؛ لَا يُؤَاخِذُهُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ ، عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ : هِيَ مُحْكَمَةٌ لَمْ تُنْسَخْ .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُلَيَّةَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ تُبْذَوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . قَالَ : مِنْ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِنْ تُبْذَوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . يَقُولُ : فِي الْيَقِينِ وَالشَّكِّ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ [٩١/٨] : ثنا أَبُو حذيفة ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

فَتَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِي رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ : وَإِنْ تُبْذَوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ سَيِّئٍ ^(٣) الْأَعْمَالِ ، فَتُظْهِرُوهُ بِأَبْدَانِكُمْ وَجَوَارِحِكُمْ ، أَوْ تُخَفُّوهُ فَتُسِرُّوهُ فِي أَنْفُسِكُمْ ، فَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِي ، أُحَاسِبْكُمْ بِهِ ، فَأَغْفِرُ كُلَّ ذَلِكَ لِلْأَهْلِ الْإِيمَانِ بِي ، وَأُعَذِّبُ أَهْلَ الشَّكِّ وَالنَّفَاقِ فِي دِينِي .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٢/٢ ، ٥٧٤ ، (٣٠٥٥ ، ٣٠٦٥) ، وابن الجوزي في التواضع ص ٢٣٢ من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٧ ، ومن طريقه ابن الجوزي في التواضع ص ٢٣٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٣/٢ (٣٠٥٩) ، والنحاس في ناسخه ص ٢٧٤ ، وابن الجوزي في التواضع ص ٢٣٤ من طريق ابن علي به .

(٣) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « شئ من » .

وأما على الرواية التي رواها عنه الضحاك من رواية عُبيد بن سليمان عنه ، وعلى ما قاله الربيع بن أنس ، فإن تأويلها : إن تُظهِروا ما في أنفسكم فتَعْمَلُوهُ مِنَ الْمَعَاصِي ، أو تُضْمِرُوا إِرَادَتَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ فَتُخْفُوهُ ، يُعْلِمَكُمُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ .

وأما قول مجاهدٍ فشيبةٌ معناه بمعنى قول ابن عباس الذي رواه عنه علي بن أبي طلحة .

١٤٩/٣ /وقال آخرون من قال : هذه الآية محكمة ، وهي غير منسوخة . ووافقوا الذين قالوا : معنى ذلك أن الله أعلم عباده به ^(١) ما هو فاعلٌ بهم ، فيما أبدوا وأخفوا من أعمالهم - : معناها أن الله محاسبٌ خلقه بجميع ما أبدوه من سيئ أعمالهم وجميع ما أسروه ، ومعافيتهم عليه ، غير أن عقوبته إياهم على ما أخفوه مما لم يَعْمَلُوهُ ، ما يَعْدُثُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْأُمُورِ الَّتِي يَخْزَنُونَ عَلَيْهَا وَيَأْمَلُونَ لَهَا ^(٢) .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله : ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ الآية . قال : كانت عائشة تقول : مَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ مِثْلَ الَّذِي هَمُّ بِهِ مِنَ السَّيِّئَةِ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَكَانَتْ كِفَارَتَهُ ^(٣) .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س . وبه أى بقوله .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « منها » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٨١ - تفسير) من طريق جوير به بنحوه .

حَدَّثَ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾. قَالَ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: كُلُّ عَبْدٍ يَهُمُّ بِمَعْصِيَةٍ أَوْ يُحَدِّثُ بِهَا نَفْسَهُ، حَاسِبَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، يَخَافُ وَيَحْزَنُ وَيَهْتَمُّ.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو ثُمَيْلَةَ، عَنْ عُبَيْدٍ، عَنْ الضَّحَّاكِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ فِي ذَلِكَ: كُلُّ عَبْدٍ هَمُّ بِسُوءٍ وَمَعْصِيَةٍ، وَحَدَّثَ بِهَا نَفْسَهُ، حَاسِبَهُ [٩١/٨] اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، يَخَافُ وَيَحْزَنُ وَيَشْتَدُّ هَمُّهُ، لَا يَنَالُهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، كَمَا هَمُّ بِالسُّوءِ وَلَمْ يَعْمَلْ مِنْهُ شَيْئًا.

حَدَّثَنَا الرَّيُّعُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: ثنا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: ثنا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أُمِّهِ^(١) أَنَّهَا سَأَلَتْ عَائِشَةَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾، وَ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. فَقَالَتْ: مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ مُذْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، هَذِهِ مُتَابَعَةُ اللَّهِ الْعَبْدَ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْحَمَى وَالنَّكْبَةِ وَالشُّوْكَةِ، حَتَّى الْبِضَاعَةِ يَضَعُهَا فِي كَمِّهِ يَفْقِدُهَا، فَيَرَوُّعُ لَهَا، فَيَجِدُهَا فِي ضَبْنِهِ^(٢)، حَتَّى إِنْ الْمُؤْمِنُ لِيَخْرُجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا يَخْرُجُ الثَّيْبُ الْأَحْمَرُ مِنَ الْكَبِيرِ^(٣)».

وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بتأويل هذه الآية قول من قال: إنها مُحْكَمَةٌ

(١) في ص، م: «أُمِّهِ»، وفي س: «أُمِّيَّة». وهي أُمِّيَّة بنت عبد الله، وينظر تهذيب الكمال ٣٥/١٣٢.

(٢) الضبن: الإبط وما يليه. اللسان (ض ب ن).

(٣) أخرجه الطيالسي (١٦٨٩)، وأحمد ٦/٢١٨ (الميمنية)، والترمذي (٢٩٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٤/٢ (٣٠٦٢)، والبيهقي في الشعب (٩٨٠٩) من طريق حماد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٥ إلى ابن المنذر.

وليست بمنسوخة، وذلك أن النسخ لا يكون في حكم إلا ينفيه بآخذه نافي من كل وجهه، وليس في قوله جل ثناؤه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ نفى الحكم الذي أعلم عباده بقوله: ﴿أَوْ تَخَفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾؛ أن المحاسبة ليست بموجبة عقوبة الله، ولا مؤاخذه بما حوسب عليه العبد من ذنوبه، وقد أخبر الله جل ثناؤه عن المجرمين أنهم حين تُعرض عليهم كتب أعمالهم يوم القيامة يقولون: ﴿يَوَيْلَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]. فأخبر أن كتبهم مُحَصَّية عليهم صفات أعمالهم وكبائرها، فلم تكن الكتب - وإن أحصت صفات الذنوب وكبائرها - بموجب إحصائها على أهل الإيمان بالله ورسوله وأهل الطاعة له، أن يكونوا بكل ما أحصته الكتب من الذنوب معاقبين؛ لأنه عز وجل وعدهم العفو عن الصغائر باجتنايبهم الكبائر، فقال في تنزيهه: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَعْيَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. فكذاك^(١) محاسبة الله عباده المؤمنين بما هو/ محاسبهم به من الأمور التي أخفتها أنفسهم، غير موجبة لهم منه عقوبة، بل محاسبته إياهم، إن شاء الله، عليها ليُعرفهم بفضله عليهم بعفوه لهم عنها، كما بلغنا عن رسول الله ﷺ في الخبر الذي حدثني به أحمد بن المقدام، قال: ثنا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قال: سَمِعْتُ أَبِي، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن ابن عمر، عن نبي الله ﷺ، قال: «يُذْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيَقْرُؤُهُ بِسَيِّئَاتِهِ، يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا وَأَغْفِرُهَا الْيَوْمَ. ثُمَّ يُظْهِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ [٩٢/٨]، فَيَقُولُ: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كَنِيَّةً﴾ [الحاقة: ١٩] - أو كما قال - وأما الكافر فإنه يُنَادَى بِهِ عَلَى

(١) في ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «فذلك»، وفي م: «فدل أن».

رُءُوسِ الْأَشْهَادِ»^(١).

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ، قَالَ: ثنا ابْنُ أَبِي عَدَى، عَنْ^(٢) سَعِيدٍ وَهْشَامٍ، وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، قَالَا جَمِيعًا فِي حَدِيثِهِمَا: عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نَطُوفُ بِالْبَيْتِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَهُوَ يَطُوفُ، إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا بَنَ عَمْرٍو، مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَذْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَتْفَهُ، فَيَقْرُؤُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ كَذَا؟» فَيَقُولُ: رَبِّ، أَعْرِفُ^(٣). حَتَّى إِذَا بَلَغَ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُتْلَغَ بِهِ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ». قَالَ: «فَيُغَطَّى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ أَوْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. وَأَمَّا الْكَفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾»^(٤).

قال أبو جعفر: إن الله جلَّ ثناؤه يفعل بعبده المؤمن من تعريفه إياه سيئات أعماله، حتى يعرفه تفضُّله عليه بعفو له عنها، فكذلك فعله، تعالى ذكره، في محاسبته إياه بما أبداه من نفسه وبما أخفاه من ذلك، ثم يعفو له كلَّ ذنبٍ^(٥) بعد

(١) أخرجه أحمد ٣١٨/٩ (٥٤٣٦)، والبخاري (٢٤٤١)، وفي خلق أفعال العباد (٢٤٨ - ٢٥٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٠٤، ٦٠٥)، والآجری في الشريعة (٦١٩)، وغيرهم من طرق عن قتادة به.

(٢) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «و».

(٣) في ص، م: «اغفر».

(٤) أخرجه مسلم - كما في التحفة ٤٣٧/٥ - عن محمد بن بشار به، ومن طريق ابن أبي عدى عن سعيد وحده به. وأخرجه البخاري (٤٦٨٥)، وفي خلق أفعال العباد (٢٥١)، وابن منده في الإيمان (٧٩٠) من طريق سعيد وهشام به، وأخرجه مسلم (٢٧٦٨)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٣٧)، والنحاس في ناسخه ص ٢٧٧، وفي القطع والائتناف ص ٣٨٦، والآجری في الشريعة (٦١٨)، وابن منده (٧٩٠) من طريق ابن علية به، وأخرجه ابن منده (١٠٧٧) من طريق هشام به.

(٥) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «ذلك».

تعريفه بِفَضْلِهِ وَبِكَرَمِهِ عَلَيْهِ ، فَيَسْتُرُهُ عَلَيْهِ . وَذَلِكَ هُوَ الْمَغْفِرَةُ الَّتِي قَدْ وَعَدَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَإِنْ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ يَنْبِئُ عَنْ أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ غَيْرُ مُؤَاخِذِينَ إِلَّا بِمَا كَسَبَتْهُ أَنْفُسُهُمْ مِنْ ذَنْبٍ ، وَلَا مِثَالِينَ إِلَّا بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنْ خَيْرٍ . قِيلَ : إِنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَغَيْرُ مُؤَاخِذِ الْعَبْدُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِفِعْلٍ مَا نُهِىَ عَنْ فِعْلِهِ ، أَوْ تَرَكَ مَا أُمِرَ بِفِعْلِهِ .

فَإِنْ قَالَ : فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَمَا مَعْنَى وَعِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّانَا عَلَى مَا أَخْفَتْهُ أَنْفُسُنَا بِقَوْلِهِ : ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ إِنْ كَانَ ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ، وَمَا أَضْمَرَتْهُ قُلُوبُنَا وَأَخْفَتْهُ أَنْفُسُنَا ؛ مِنْ هَمٍّ بِذَنْبٍ ، أَوْ إِرَادَةِ لِمَعْصِيَةٍ ، لَمْ تَكْتَسِبْهُ جَوَارِحُنَا ؟

قِيلَ لَهُ : إِنْ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ عَمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ هَمٍّ هَمٍّ بِهِ أَحَدُهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي فَلَمْ يَفْعَلْهُ ، وَهُوَ مَا ذَكَرْنَا ، مِنْ وَعْدِهِ إِيَّاهُمْ الْعَفْوَ عَنْ صَغَائِرِ ذُنُوبِهِمْ إِذَا هُمْ اجْتَنَبُوا كِبَائِرَهَا ، وَإِنَّمَا الْوَعِيدُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ عَلَى مَا أَخْفَتْهُ نَفُوسُ الَّذِينَ كَانَتْ أَنْفُسُهُمْ تُخْفِي الشُّكَّ فِي اللَّهِ وَالْمَرِيَّةَ [٩٢] فِي وَحْدَانِيَّتِهِ ، أَوْ فِي نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ، أَوْ فِي الْمَعَادِ وَالْبَعْثِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ ، / وَمَنْ قَالَ بِمِثْلِ قَوْلِهِمَا ؛ مِنْ أَنْ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ عَلَى الشُّكِّ وَالْيَقِينِ ، غَيْرَ أَنَّا نَقُولُ : إِنْ الْمُتَوَعَّدُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ . هُوَ مَنْ كَانَ إِخْفَاءَ نَفْسِهِ مَا تُخْفِيهِ الشُّكُّ وَالْمَرِيَّةُ فِي اللَّهِ ، وَفِيمَا يَكُونُ الشُّكُّ فِيهِ بِاللَّهِ كَفْرًا ، وَالْمَوْعُودَ الْعُقْرَانَ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ هُوَ الَّذِي إِخْفَاؤُهُ ^(١) مَا يُخْفِيهِ الْهَمَّةُ

(١) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « أَخْفَى وَ » .

بالتقدم على بعض مانهاه الله عنه ، من الأمور التي كان جائزاً ابتداءً تحليله وإباحته ، فحرّمه على خلقه جل ثناؤه ، أو على ترك بعض ما أمره الله بفعله ، مما كان جائزاً ابتداءً إباحة تركه ، فأوجب فعله على خلقه . فإن الذي يهّم بذلك من المؤمنين إذا هو لم يُصَحِّحَ همّه بما يهّم به ، ويُحَقِّقَ ما أخفّته نفسه من ذلك بالتقدم عليه ، لم يكن مأخوذاً ، كما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ » ^(١) . فهذا الذي وصفنا هو الذي يُحَاسِبُ الله تبارك وتعالى به مؤمنى عباده ، ثم لا يُعَاقِبُهُمْ عليه .

فأما مَنْ كان ما أخفّته نفسه شكاً في الله ، وازتياً في نبوة أنبيائه ، فذلك هو الهالك المَحْلَدُ في النار ، الذي أوعده جلّ ثناؤه أن يعذّبه العذاب الأليم بقوله : ﴿ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

فتأويل الآية إذن : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ أيّها الناس فتُظْهِرُوهُ ﴿ أَوْ تَخْفَوْهُ ﴾ فتُتَطَوَّى عليه نفوسكم ﴿ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ، فيُعرِّفُ مؤمنكم ^(٢) تفضُّله بعباده عنه ومغفرته له ، فيُغْفِرُهُ له ، ويُعَذِّبُ مُنَافِقَكُمْ ^(٣) على شكّه ^(٤) الذي انطوت عليه نفسه في وُحْدَانِيَةِ خَالِقِهِ وَنُبُوَةِ أَنْبِيَائِهِ .

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : والله على العفو عما أخفّته نفس هذا المؤمن من الهمة بالخطيئة ، وعلى عقاب هذا الكافر على ما أخفّته نفسه من الشك في توحيد

(١) أخرج نحوه مسلم (٢٠٦ ، ٢٠٧) من حديث أبي هريرة وابن عباس . وينظر ما تقدم في ٢ / ٤١١ .

(٢) في ص ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « مؤمنكم » .

(٣) في ص ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « منافقيكم » .

(٤) في ص : « شك » ، وفي م ، س : « الشك » .

[٩٣/٨] اللَّهُ وَنَبُوءَ أَنْبِيَائِهِ ، وَمُجَازَاةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَعَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ - قَادِرٌ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ .

يعنى جَلَّ ثَنَاهُ بذلك : صَدَّقَ الرَّسُولُ ، يعنى : رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَقَرَّ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ ﴿ يعنى : بما أَوْحَى إِلَيْهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ ، وَأَمْرٍ وَنَهْيٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي حَوَاهَا . وَذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَيْهِ قَالَ : « يَحْقُقُ ^(١) لَهُ » .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ : « وَيَحْقُقُ ^(١) لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ » ^(٢) .

وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ / فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ شَقَّ عَلَيْهِمْ مَا تَوَعَّدَ اللَّهُ بِهِ مِنْ مُحَاسَبَتِهِمْ عَلَى مَا أَخْفَتْهُ نَفُوسُهُمْ ، فَشَكَّوْا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ » . فَقَالُوا : ^(٣) بَلْ نَقُولُ ^(٣) : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ لَذَلِكَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « لَحَقَ » .


(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٧٦/٢ (٣٠٧١) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بِهِ .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ .

﴿عَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ . يقول : وصدق المؤمنون أيضاً مع نبيهم عليه السلام بالله وملائكته وكتبه ورسله ، الآيتين . وقد ذكرنا قائلى ذلك قبل^(١) .

واختلفت القراءة فى قراءة قوله : ﴿وَكُتُبِهِ﴾ ﴿وَكُتُبِهِ﴾ فقرأ ذلك عامة قرأة المدينة وبعض [٩٣/٨] قرأة أهل العراق ﴿وَكُتُبِهِ﴾^(٢) على وجه جمع الكتاب ، على معنى : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وجميع كتبه التى أنزلها على أنبيائه ورسله .

وقرأ ذلك جماعة من قرأة أهل الكوفة : (وكتابه)^(٣) . بمعنى : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وبالقرآن الذى أنزله على نبيه محمد ﷺ .

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك : (وكتابه)^(٤) . ويقول : الكتاب أكثر من الكتب . وكان ابن عباس يؤجّه تأويل ذلك إلى نحو قوله : ﴿وَالْعَصْرِ ۝﴾  إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿[العصر : ١ ، ٢] . يعنى جنس الناس وجنس الكتاب ، كما يقال : ما أكثر درهم فلان وديناره . ويُراد به جنس الدراهم والدينار .

وذلك وإن كان مذهباً من المذاهب معروفاً ، فإن الذى هو أعجب إلى من القراءة فى ذلك أن يُقرأ بلفظ الجمع ؛ لأن الذى قبله جمع ، والذى بعده كذلك - أغنى بذلك : ﴿وَمَلَكَيْهِ﴾ ﴿وَرُسُلِهِ﴾ - فإلحاق « الكتب » فى الجمع لفظاً به أعجب إلى من توحيده وإخراجه فى اللفظ به بلفظ الواحد ؛ ليكون لاحقاً فى اللفظ والمعنى بلفظ ما قبله وما بعده ومعناه .

(١) ينظر ما تقدم ص ١٣٠ - ١٣٨ .

(٢) وهى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وأبى عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٣) وهى قراءة الكسائى وحزمة . المصدر السابق .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٧٧ - تفسير) من طريق عكرمة ، عن ابن عباس .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ .

وأما قوله : ﴿ لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ . فإنه أخْبَرَ جَلَّ ثناؤه بذلك عن المؤمنين أنهم يقولون ذلك . ففي الكلام في قراءة مَنْ قرأ : ﴿ لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ بالنون ، متروكٌ قد استغنى بدلالة ما ذُكِر عنه ، وذلك المتروك هو « يقولون » .

وتأويل الكلام : والمؤمنون كلٌّ آمِنٌ بالله وملائكته وكتبه ورسله ، يقولون : لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ . وترك ذكر « يَقُولُونَ » لدلالة الكلام عليه ، كما ترك ذكره في قوله : ﴿ وَالْمَلَكُوتُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴿ [الرعد : ٢٣ ، ٢٤] . بمعنى : يقولون : سلامٌ عليكم .

وقد قرأ ذلك جماعةٌ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ : (لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) بالياء^(١) ، بمعنى : والمؤمنون كلُّهم آمِنٌ بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا يُفَرِّقُ الكلُّ منهم بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ، فَيُؤْمِنُ بَعْضُ وَيَكْفُرُ بَعْضُ ، وَلَكِنْهُمْ يُصَدِّقُونَ بِجَمِيعِهِمْ ، وَيَقْرَأُونَ أَنْ مَا جَاءُوا بِهِ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَأَنْهُمْ دَعَوْا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى طَاعَتِهِ ، وَيُخَالِفُونَ فِي فِعْلِهِمْ ذَلِكَ الْيَهُودَ الَّذِينَ أَقْرَأُوا بِمُوسَى وَكَذَّبُوا بِعِيسَى ، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ أَقْرَأُوا بِمُوسَى وَعِيسَى وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَجَحَدُوا بِنَبَوْتِهِ ، وَمَنْ أَشَبَّهِهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بَعْضَ رُسُلِ اللَّهِ وَأَقْرَأُوا بِبَعْضٍ .

/ كما حدثنا يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ : كَمَا صَنَعَ الْقَوْمُ - يَعْنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ - قَالُوا : فَلَانُ نَبِيٌّ وَفَلَانٌ لَيْسَ نَبِيًّا ، وَفَلَانٌ نُّؤْمِنُ بِهِ وَفَلَانٌ لَا نُّؤْمِنُ بِهِ .

١٥٣/٣

(١) وهى قراءة ابن جبير وابن يعمر وأبى زرعة بن عمرو بن جرير ، ويعقوب ، ونص رواة أبى عمرو على أنها بالياء . البحر المحيط ٢ / ٣٦٥ . ويعقوب من القراء العشرة الذين تواترت قراءاتهم عند الجمهور .

والقراءة التي لا نستجيز غيرها في ذلك عندنا بالنون : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ ؛ لأنها القراءة التي قامت حجتُها بالنقل المستفيض الذي يمتنع معه التشاعر^(١) والتواطؤ والسهؤ والغلط ، بمعنى ما وصفنا من : يقولون : لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ . ولا يُعْتَرَضُ بشاذ من القراءة على ما جاءت به الحجة نقلاً وراثه^(٢) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨٥) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وقال الكل من المؤمنين : سمعنا قول ربنا وأمره إيانا بما أمرنا به ، ونهيته عما نهانا عنه ﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ . يعنى : أطعنا ربنا فيما ألزَمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته ، وسلَّمنا له .

وقوله : ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ . يعنى : وقالوا : غفرانك ربنا . بمعنى : اغفر لنا ربنا غفرانك . كما يُقال : سبحانك . بمعنى : تُسَبِّحُكَ سبحانك .

وقد بيَّنا فيما مضى أن الغفران والمغفرة الستر من الله عز وجل على ذنوب من غفر له ، وصفحه له عن هتك ستره بها فى الدنيا والآخرة ، وعفوه عن العقوبة عليه^(٣) .

وأما قوله : ﴿ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ . فإنه يعنى جل ثناؤه أنهم قالوا : وإليك يا ربنا مَرَجِعُنَا ومَعَادُنَا ، فاغفر لنا ذنوبنا .

فإن قال لنا قائل : فما الذى نصَّب : ﴿ غُفْرَانَكَ ﴾ ؟

قيل له : وقوعه وهو مصدر موقع الأمر ، وكذلك تفعل العرب بالمصادر

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « التشاعر » . والتشاعر : التعالم . من « شعر » بمعنى : علم .

(٢) فى ص ، م ، س : « ورواية » .

(٣) ينظر ما تقدم ١/٧٢٠ ، ٧٢١ .

والأسماء إذا حَلَّت محلَّ الأمرِ وأدَّت عن معنى [٩٤/٨] الأمرِ نصَّبَتْها ، فيقولون : شكرًا لله يا فلانُ ، وحمدًا له . بمعنى : اشكُر الله واحمده . والصلاة الصلاة ، بمعنى : صَلُّوا . ويقولون في الأسماء : الله الله يا قوم . ولورُفِع بمعنى : هو الله ، أو هذا الله . ووجه إلى الخبرِ وفيه تأويلُ الأمرِ ، كان جائزًا ، كما قال الشاعر^(١) :

إن قومًا منهم عُصِيْرٌ وأشباهُ عُصِيْرٍ ومنهم السَّفَاحُ
لجديرون بالسوفاءِ إذا قَالُوا أخو النُّجْدَةِ السِّلَاحُ
ولو كان قوله : ﴿عُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ جاء رفعًا في القراءة لم يكن خطأ ، بل كان صوابًا على ما وصفنا .

وقد ذُكِر أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله ﷺ ثناءً من الله عليه وعلى أمته ، قال له جبريل عليه السلام : إن الله عز وجل قد أحسن عليك وعلى أمتك الثناء ، فسَلْ رَبَّكَ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا جريز ، عن بيان ، عن حكيم بن جابر ، قال : لما أنزل على رسول الله ﷺ : ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ١٥٤/٣ عُفْرَانَكَ / رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿ . قال جبريل عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك ، فسَلْ تُعْطَهُ . فسأل : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ﴿ إلى آخرِ السورة^(٢) .

القول في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ .

(١) البیتان فی معانی القرآن للفراء ١/ ١٨٨ ، والخصائص ٣/ ١٠٢ ، والدرر اللوامع ١/ ١٤٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٥٧٥ (٣٠٧٠) من طريق جرير به . وأخرجه سعيد بن منصور

(٤٧٨ - تفسير) ، وابن أبي شيبة ١١/ ٥٠١ من طريق بيان به .

يعنى بذلك جل ثناؤه : لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا فِتْنَةً إِلَّا بِمَا يَسْغُهَا ، فلا يُضَيِّقُ عليها ولا يَجْهَدُهَا .

وقد بينا فيما مضى قبل أن الوُسْعَ اسمٌ من قول القائل : وَسِعَنِي هَذَا الْأَمْرُ ^(١) .
مثل الجُهدِ والوُجْدِ ، مِنْ : جَهَدَنِي هَذَا الْأَمْرُ ، ووجدت منه .

كما حدثني [٩٥/٨] المثني ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .
قال : هم المؤمنون ، وسَّعَ اللَّهُ عليهم أمرَ دينهم ، فقال اللَّهُ جل ثناؤه : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] . وقال : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] . وقال : ﴿ فَأَنْقُضُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ^(٢) [التغابن : ١٦] .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن الزهري ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، قال : لما نزلت ضجَّ المؤمنون منها ضجَّةً ، وقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا نتوبُ من عملِ اليدِ والرَّجْلِ واللسانِ ، فكيف نتوبُ مِنَ الْوَسْوَسةِ ؟ كيف نَمْتَنِعُ منها ؟ فجاء جبريلُ عليه السلامُ بهذه الآية : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ . إنكم لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَمْتَنِعُوا مِنَ الْوَسْوَسةِ ^(٣) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ : ووسَّعها طاقَّتها ، فكان حديثُ النفسِ مما لم يُطِيقوا ^(٤) .

(١) ينظر ما تقدم في ٢١٣/٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٧/٢ (٣٠٨٠) من طريق عبدِ اللَّهِ بن صالح به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٦/١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٨/٢ عقب الأثر (٣٠٨٤) من طريق عمرو بن حماد به .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ .
يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿لَهَا﴾ : للنفس التى أخبر أنه لا يكلفها إلا وسعها .
يَقُولُ : لكل نفس ما اجتَرَحَتْ وعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ . ﴿وَعَلَيْهَا﴾ . يعنى : وعلى كل
نفس ﴿مَا اكْتَسَبَتْ﴾ : ما عَمِلَتْ مِنْ شَرٍّ .

كما حَدَّثَنَا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله :
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أى : مِنْ خَيْرٍ ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا
اَكْتَسَبَتْ﴾ أى : مِنْ شَرٍّ . أو قال : مِنْ سُوءٍ .

حَدَّثَنِي موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿لَهَا مَا
كَسَبَتْ﴾ . يقول : ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ . يقول : وعليها ما
عَمِلَتْ مِنْ شَرٍّ .

/حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادة مثله . ١٥٥/٣

حَدَّثَنَا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جريج ، عن
الزهري ، عن [٩٥/٨ ظ] عبد الله بن عباس : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ،
عَمَلُ الْيَدِ وَالرَّجْلِ وَاللِّسَانِ ^(١) .

فتأويل الآية إذن : لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا يَسْعُهَا فلا يَجْهَدُهَا ولا يُضَيِّقُ عليها فى أمرِ
دينها ، فيؤاخذها بهيمة إن هَمَّتْ ، ولا يَوْشُوسِيهَ إن عَرَضَتْ لها ، ولا بِخَطَرَةٍ إن خَطَرَتْ
بقلبها ، ^(٢) ولكنه يؤاخذها بما عَمِلَتْ فتعمدت وقصدت عمله من خيرٍ أو شرٍّ ^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٥٧٨/٢ ، ٥٧٩ ، (٣٠٨٧ ، ٣٠٩٠) من طريق سعيد بن مرجانة ، عن
ابن عباس .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ .

وهو تعليم من الله عباده المؤمنين دعاءه ؛ كيف يدعونه ، وما يقولون في دعائهم إياه ، ومعناه : قولوا : ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا شيئاً فرضت علينا عمله فلم نعمله ، أو أخطأنا في فعل شيء نهيتنا عن فعله ففعلناه على غير قصد منا إلى معصيتك ، ولكن على جهالة منا به وخطأ .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ : إن نسينا شيئاً مما افترضته علينا ، أو أخطأنا شيئاً مما حرّمته علينا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . قال : بلغني أن النبي ﷺ قال : « إن الله تبارك وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها » ^(١) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، قال : زعم السدي أن هذه الآية حين نزلت : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . قال له جبريل عليه السلام : ففعل ^(٢) ذلك يا محمد ^(٣) .

فإن قال لنا قائل : وهل يجوز أن يؤاخذ الله جل ثناؤه عباده بما نسوا أو أخطئوا ، فيسألوه ألا يؤاخذهم بذلك ؟

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٢ . والحديث أصله في البخاري (٢٥٢٨ ، ٥٢٦٩ ، ٦٦٦٤) ، ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة .

(٢) في م : « ففعل » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٧٧ إلى المصنف .

قيل : إن النسيانَ على وجهين ؛ أحدهما : على وجه التَّضْيِيعِ مِنَ الْعَبْدِ والتَّفْرِيطِ . والآخرُ : على وجه عجزِ الناسِ عن حفظِ ما اسْتُحْفِظَ ووُكِّلَ به ، وضعفِ عقله عن احتمالِه .

فأما الذى يكونُ مِنَ الْعَبْدِ على وجه التَّضْيِيعِ منه والتَّفْرِيطِ ، [٩٦/٨ و] فهو تركُ منه لما أُمِرَ بفعله ، فذلك الذى يَرْغَبُ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ فى تركِه مُؤَاخَذَتَه به ، وهو النسيانُ الذى عاقبَ اللَّهُ به آدَمَ صلواتُ اللَّهِ عليه ، فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، فقال فى ذلك : ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَ لَهُ زَوْجًا ﴾ [طه : ١١٥] . وهو النسيانُ الذى قال جلَّ ثَنَاهُ : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسِيهِمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ [الأعراف : ٥١] . فرغبة الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بقوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ فيما كان مِنَ نسيانٍ منه لما أُمِرَ بفعله ، على هذا الوجه الذى وَصَفْنَا ، ما لم يكنْ تركُه ما تركَ من ذلك تَفْرِيطًا منه فيه وتَضْيِيعًا ، كفرًا بِاللَّهِ ، فإن ذلك إذا كان كفرًا بِاللَّهِ ، فإن الرغبةَ إِلَى اللَّهِ فى تركِه المُؤَاخَذَةَ به غيرُ جائزة ؛ لأنَّ اللَّهَ جلَّ ثَنَاهُ قد أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ لَهُمُ الشُّرْكَ به ، فمَسْأَلَتُهُ فِعْلَ ما قد أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ خَطَأً ، وإنما تجوزُ^(١) مَسْأَلَتُهُ الْمَغْفِرَةَ فيما كان^(٢) مثلَ نسيانِهِ الْقُرْآنَ بعدَ حَفِظِهِ بِتَشَاغُلِهِ عنه وعن قراءَتِهِ ، وبمثلِ نسيانِهِ صَلَاةٍ أو صِيَامًا ، بِاشْتِغَالِهِ عَنْهُمَا بغيرِهِما حتى ضَيَّعَهُمَا .

وأما الذى الْعَبْدُ به غيرُ مُؤَاخَذٍ لعجزِ بَنِيَّتِهِ عن حفظِه ، وقلةِ احتمالِ عقله ما وُكِّلَ بمراعاتِهِ ، فإن ذلك مِنَ / الْعَبْدِ غَيْرِ مُعَصِيَةٍ ، وهو به غيرُ آثِمٍ ، فذلك الذى لا وَجْهَ لِمَسْأَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ؛ لأنه مَسْأَلَةٌ مِنْهُ لَهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ما ليسَ له بِذَنْبٍ ، وذلك مثلُ الْأَمْرِ بِغَلْبِ عَلَيْهِ وهو حَرِيصٌ على تذكُّرِهِ وحفظِهِ ، كالرجلِ يَحْرِصُ على حفظِهِ

١٥٦/٣

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يكون » .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « من » .

القرآن بجِدِّ منه ، فيَقْرُؤُهُ ثم يَنْسَاهُ بغيرِ تَشَاغُلٍ منه بغيرِهِ عنه ، ولكن لعجزِ بِنْيَتِهِ عن حفظِهِ ، وَقَلَّةِ احتمالِ عقلِهِ ذِكْرَ ما أُوْدِعَ قلبَهُ منه ، وما أَشْبَهَ ذلكَ مِنَ النسيانِ ، فإن ذلكَ مما لا تجوزُ مسألةُ الربِّ مغفرته ؛ لأنه لا ذنبَ للعبدِ فيه فيُعَفِّرَ له باكتسابِهِ .

وكذلك للخطأ وجهان ؛ أحدهما : مِنْ وجهٍ ما نُهي عنهُ العبدُ ، فيأتيهِ بقصدٍ منه وإرادةٍ ، فذلك خطأً منه وهو به مأخوذٌ ، يُقالُ منه : خَطِئَ فلانٌ وأخطأ . فيما أتى مِنَ الفعلِ ، و: أِثْمٌ ، إذا أتى ما يَأْتُمُّ فيه وركبهُ ، ومنه قولُ الشاعرِ ^(١) :

الناسُ يَلْحَوْنَ ^(٢) الأَمِيرَ إذا هم خَطِئُوا الصوابَ ولا يُلامُ المؤشَدُّ
بمعنى : أخطئوا الصوابَ . وهذا الوجهُ الذي يَزَعِبُ العبدُ إلى رَبِّهِ في صَفْحِ ما كان منه مِنْ إِثْمٍ عنه ، إلا ما كان مِنْ ذلكَ كَفَرًا .

والآخرُ منهما : ما كان منه على وجهِ الجهلِ [٩٧/٨] به ، والظنُّ منه بأن له فِعْلَهُ ، كالذي يَأْكُلُ في شهرِ رمضانَ ليلاً وهو يَحْسِبُ أن الفجرَ لم يَطْلُعْ ، أو يُؤَخِّرُ صلاةً في يومٍ غَيِّمٍ وهو يَنْتَظِرُ بتأخيرِهِ إياها دخولَ وقتِها ، فيخْرُجُ وقتُها وهو يَرى أن وقتها لم يَدْخُلْ ، فإن ذلكَ مِنَ الخطأِ الموضوعِ عن العبدِ الذي وَضَعَ اللَّهُ عز وجل عن عباده الإِثْمَ فيه ، فلا وَجَةَ لمسألةِ العبدِ رَبَّهُ ألا يُؤَاخِذَهُ به .

وقد زَعَمَ قومٌ أن مسألةَ العبدِ رَبَّهُ ألا يُؤَاخِذَهُ بما نَسِيَ أو أخطأ ، إنما هو فعلٌ منه لما أمرَهُ به رَبُّهُ تبارك وتعالى ، أو لما نَدَبَهُ إِلَيْهِ مِنَ التذلُّلِ له ، والخضوعِ بالمسألةِ ، فأما على وجهِ مسألته الصَّفْحَ عنه ، فما لا وَجَةَ له عندهم .

وللبَيانِ على ^(٣) هؤلاء كتابُ سنائِي فيه إن شاء اللَّهُ على ما فيه الكِفايةُ لِمَنْ وُفِّقَ لفهمِهِ .

(١) هو عبيد بن الأبرص الأسدي ، والبيت في ديوانه ص ٤٢ .

(٢) يلحون : يلومون .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « عن » .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : قولوا : ربَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا . ويعنى بالإصْرَ العهد ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ [آل عمران : ٨١] . وإنما عني بقوله : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا ﴾ : وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا عهدًا نَعْجِزُ عن القيام به ولا نَسْتَطِيعُهُ . ﴿ كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ . يعنى : على اليهود والنصارى الذين كُلفوا أعمالًا ، وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها ، فلم يَتَقَوَّمُوا بها ، فَعُوجِلُوا بالعقوبة ، فعَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ جَلَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ الرغبة إليه بمسألته أَلَا يَحْمِلُهُمْ مِنْ عَهْدِهِ وَمَوَاقِيقِهِ عَلَى أَعْمَالٍ - إِنْ ضَيَّعُوهَا أَوْ أَخْطَئُوا فِيهَا أَوْ نَشَوْهَا - مِثْلَ الَّذِي حَمَلَ مَنْ قَبْلَهُمْ ، فَيَحِلُّ بِهِمْ بِخَطِيئِهِمْ فِيهِ وَتَضْيِيعِهِمْ إِيَّاهُ مِثْلَ الَّذِي أَحَلَّ بَنَ قَبْلَهُمْ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : / ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا ﴾ . قال : لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا عهدًا وميثاقًا ﴿ كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ . يقول : كما غُلِّظَ عَلَى مَنْ قَبْلِنَا ^(١) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن موسى [٩٧/٨] بن قيس الحَضْرَمِى ، عن مُجَاهِدٍ فى قوله : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا ﴾ . قال : عهدًا ^(٢) .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٢ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٧٧ إلى عبد بن حميد .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِصْرًا﴾ . قَالَ : عَهْدًا .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِصْرًا﴾ . يَقُولُ : عَهْدًا^(١) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّدِّيِّ : ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ : وَالْإِصْرُ الْعَهْدُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا مِنَ الْيَهُودِ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ . قَالَ : عَهْدًا لَا نُطِيقُهُ وَلَا نَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِهِ ، ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، فَلَمْ يَقُومُوا بِهِ ، فَأَهْلَكْتَهُمْ^(٣) .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرِيٌّ ، عَنْ الضَّحَّاكِ : ﴿إِصْرًا﴾ . قَالَ : الْمَوَاقِيقُ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبِيعِ : الْإِصْرُ الْعَهْدُ ، ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران : ٨١] . قَالَ : عَهْدِي .
^٥ حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ

(١) ذكره الحافظ في التعليل ١٨٧/٤ عن المصنف ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٠/٢ (٣٠٩٧) من طريق الضحاك ، عن ابن عباس .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٠/٢ عقب الأثر (٣٠٩٧) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٧/١ إلى المصنف .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٠/٢ عقب الأثر (٣٠٩٧) معلقا .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س .

^(١) ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ . قال : عهدي ^(٢) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ . قال : عهدي ^(٣) .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تحمِلْ علينا ذنوباً وإثمًا كما حملتَ ذلك على من قبلنا من الأمم ، فتمسّخنا قردةً وخنازير كما مسّختهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بَقِيَّةُ بن الوليد ، عن علي بن هارون ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ . قال : لا تمسّخنا قردةً وخنازير ^(٤) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قوله : ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ . لا تحمِلْ علينا ذنبا ليس فيه توبة ولا كفارة ^(٤) .

وقال آخرون : معنى الإِصْرِ بكسر الألف : الثقل .

ذكر من قال ذلك

/ حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ١٥٨/٣ قوله : ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ [٩٧/٨ ظ] مِن

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢ / ٣٢٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢ / ٦٩٥ (٣٧٦٥) عن محمد بن سعد به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١ / ٣٧٧ إلى المصنف .

قَبْلَنَا ﴿١﴾ . يقول : التشديدُ الذي شَدَّدْتَهُ على مَنْ قَبْلَنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .
 حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ - يَعْنِي مَالَكًا - عَنْ
 قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا ﴾ . قَالَ : الْإِصْرُ الْأَمْرُ الْغَلِيظُ ^(٢) .
 فَأَمَّا الْأَصْرُ بَفَتْحِ الْأَلْفِ فَهُوَ مَا عَطَفَ بِهِ الرَّجُلُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ رَحِمٍ أَوْ قَرَابَةٍ ،
 يَقُولُ : قَدْ أَصْرَتْنِي رَحِمِي بَيْنِي وَبَيْنَ فَلَانٍ عَلَيْهِ . بِمَعْنَى : عَطَفْتَنِي عَلَيْهِ ، وَ : مَا
 يَأْصِرُنِي عَلَيْهِ . أَيْ : مَا يَعْطِفُنِي عَلَيْهِ . وَ : بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَصْرَةٌ رَحِمٍ تَأْصِرُنِي عَلَيْهِ أَصْرًا .
 يَعْنِي بِهِ : عَاطِفَةٌ رَحِمٍ تَعْطِفُنِي عَلَيْهِ .
 الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ .
 يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَقُولُوا أَيْضًا : رَبَّنَا لَا تُكَلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا لَا نُطِيقُ
 الْقِيَامَ بِهِ لِثِقَلِ حَمْلِهِ عَلَيْنَا .
 وَكَذَلِكَ كَانَتْ جَمَاعَةُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ يَتَأَوَّلُونَهُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا
 تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ : تَشْدِيدٌ تُشَدِّدُ بِهِ ، كَمَا شَدَّدْتَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ^(٣) .
 حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرُّ ، عَنْ
 الضَّحَّاكِ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ . قَالَ : لَا تُحْمَلُنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا
 لَا نُطِيقُ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٠/٢ (٣٠٩٨) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) ينظر البحر المحيط ٣٦٩/٢ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١١٢/١ عن معمر ، عن قتادة بمعناه .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٧/١ إلى المصنف .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ : لَا تَفْتَرِضْ عَلَيْنَا مِنَ الدِّينِ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ فَتَعْجِزْ عَنْهُ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ : مَسْحُ الْقِرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي سَلَامُ بْنُ سَالِمٍ الْخُزَاعِيُّ ، قَالَ : ثنا أَبُو حَفْصٍ عَمْرُ بْنُ سَعِيدٍ التَّنُوخِيُّ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ شَابُورٍ ^(٣) ، عَنْ « سَلَامِ بْنِ شَابُورٍ » فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ . قَالَ : الْغُلْمَةُ ^(٥) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ : مِنَ التَّغْلِيظِ وَالْأَغْلَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّحْرِيمِ ^(٦) .

وإنما قلنا : إن تأويلَ ذلك : ولا تُكَلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا لَا نُطِيقُ الْقِيَامَ بِهِ . على نحو الذي قلنا في ذلك ؛ لأنه عَقِيبُ مَسْأَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ أَلَا يُؤَاخِذُهُمْ إِنْ نَسُوا أَوْ أَخْطَئُوا ، وَلَا يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ إِصْرًا كَمَا حَمَلَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٢١ ، والبحر المحيط ٢/ ٣٦٩ .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨١/ ٢ عقب الأثر (٣١٠٤) معلقا .

(٣) في م : « شابور » .

(٤ - ٤) في ص : « سلام بن شابورا » ، وفي م : « سالم بن شابور » .

(٥) الغلطة : هيجان شهوة النكاح من المرأة والرجل . اللسان (غ ل م) .

والأثر ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٣٢١ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٢/ ٣٦٩ ، عن سلام بن

شابور ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٧٧ إلى المصنف .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨١/ ٢ (٣١٠٧) من طريق عمرو به .

فكان إلحاق ذلك بمعنى ما قبله من مسألتهم التيسير في الدين [٩٨/٨]، أولى مما خالف ذلك المعنى .

^(١) فإن قال قائل : أو كان جائزاً أن يُكَلَّفَهُم ما لا طاقة لهم به فيسألوه ألا يُكَلَّفَهُم ذلك ؟

قيل : إن تكليف ما لا يطاق على وجهين :

أحدهما : ما ليس في بنية المكلف احتمالُه ، فذلك ما لا يجوزُ تكليفُ الربِّ عبده بحالٍ ، وذلك كتكليف الأعمى النظرَ ، وتكليف المقعد العدو ، فهذا النوع من التكليف هو الذي لا يجوزُ أن يُضافَ إلى الله جلَّ وعزَّ ، ولا تجوزُ مسألته صرفه وتخفيفه عنه ؛ لأن ذلك مسألة من العبدِ ربَّه - إن سألَه - ألا يفعلَ ما قد أعلمه أنه لا يفعلُه به .

والوجه الثاني : ما في بنية المكلف احتمالُه ، غير أنه يَحْتَمِلُه بمشقة شديدة وكُلفة عظيمة ، مخوف على مُكَلِّفه التضييع والتفريط ؛ لغلظِ محنته عليه فيه ، وذلك كتكليف قَرَضٍ من أصاب جسده بولٍ موضع البول الذي أصابه بمقراضٍ ، وكإقامة خمسين صلاةً في اليومِ والليلة ، وما أشبه ذلك من الأعمال التي وإن كانت الأبدان لها مُحْتَمِلَةٌ ؛ فإن الأغلب من أمرها خوفُ التضييع والتقصير ، فذلك هو الذي سأل المؤمنون ربَّهم ألا يُحْمَلَهُمْ ؛ ورغبوا إليه في تخفيفه وتيسيره عليهم ؛ لأن ذلك من الأمور التي لو أمر الله تعالى ذكره بها عباده وتعبدهم بها كان عدلاً منه ، وتخفيفه ذلك عنهم فضلٌ منه تفضَّل به عليهم ، ورحمةٌ منه بهم ، فرغب المؤمنون إلى ربِّهم في تعطفه عليهم بفضله ورحمته ، وإن كانت المنزلة الأخرى عدلاً منه ، إذ كان في تفضُّله عليهم التخفيفُ ، وفي عدله عليهم التشديدُ الذي لا يؤمنُ معه هلاكُهم ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا﴾ .

وفى هذا أيضًا من قولِ الله جل ثناؤه خبرًا عن المؤمنين من مسألتهم إياه ذلك ،
الدلالة الواضحة أنهم سألوه تيسيرَ فرائضه عليهم بقوله : ﴿وَلَا تُحِمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ
لَنَا بِهِ﴾ . لأنهم عَقَّبُوا ذلك بقولهم : ﴿وَأَعْفُ / عَنَّا﴾ . مسألة منهم ربهم أن يعفو
لهم عن تقصيرٍ إن كان منهم فى بعض ما أَمَرَهُم بِهِ مِنْ فرائضه ، فيُصَفِّحَ لهم عنه ،
ولا يُعَاقِبَهُمْ عليه ، وإن خَفَّ ما كَلَّفَهُمْ مِنْ فرائضه على أبدانهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعضُ أهلِ التأويلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَأَعْفُ
عَنَّا﴾ . قَالَ : اَعْفُ عَنَا إِنْ قَصَّرْنَا [٩٨/٨ ظ] عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ مِمَّا أَمَرْتَنَا بِهِ ^(١) .

وكذلك قوله : ﴿وَأَعْفِرْ لَنَا﴾ . يعنى : واسْتُرْ عَلَيْنَا زَلَّةً إِنْ أَتَيْنَاهَا فِيمَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكَ ، فَلَا تَكْشِفْهَا وَلَا تَفْضَحْنَا بِإِظْهَارِهَا .

وقد دَلَّلْنَا عَلَى معنى « المَغْفِرَةِ » فِيمَا مَضَى قَبْلُ ^(٢) .

كما حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿وَأَعْفِرْ
لَنَا﴾ : إِنْ انْتَهَكْنَا شَيْئًا مِمَّا نَهَيْتَنَا عَنْهُ .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿وَأَرْحَمَنَّا﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : تَغَمَّدْنَا مِنْكَ بِرَحْمَةٍ تُنْجِينَا بِهَا مِنْ عِقَابِكَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٧/١ إلى المصنف . وستأتى بقيته فيما يأتى .

(٢) تقدم فى ٧٢٠/١ ، ٧٢١ .

بِناجٍ مِنْ عِقَابِكَ أَحَدٌ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ إِياهِ دُونَ عَمَلِهِ ، وَلَيْسَتْ أَعْمَالُنَا مُنْجِيَتُنَا إِنْ أَنْتَ لَمْ تَرْحَمْنَا فَوْقُنَا لِمَا يُؤْصِيكَ عَنَا .

كما حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَارْحَمْنَا ﴾ . قَالَ : يَقُولُ : لَا نَنَالُ الْعَمَلَ بِمَا أَمَرْتَنَا بِهِ ، وَلَا نَتْرُكُ مَا نَهَيْتَنَا عَنْهُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ . قَالَ : وَلَمْ يَنْجُ أَحَدٌ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ ^(١) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .
يعنى بقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ : أَنْتَ وَلِيْنَا تَلِينَا بِنَصْرِكَ دُونَ مَنْ عَادَاكَ وَكَفَرَ بِكَ ؛ لَأَنَا مُؤْمِنُونَ بِكَ وَمُطِيعُونَ لِمَا أَمَرْتَنَا وَنَهَيْتَنَا ، فَأَنْتَ وَلِيُّ مَنْ أَطَاعَكَ ، وَعَدُوٌّ مَنْ كَفَرَ بِكَ فَعَصَاكَ ﴿ فَانصُرْنَا ﴾ ؛ لَأَنَا حِزْبُكَ ﴿ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا وَحَدَانِيَّتِكَ ، وَعَبَدُوا الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ دُونَكَ ، وَأَطَاعُوا فِي مَعْصِيَتِكَ الشَّيْطَانَ .

وَالْمَوْلَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ « الْمَفْعَلُ » ، مِنْ : وَلِيَ فَلَانٌ أَمْرَ فَلَانٍ ، فَهُوَ يَلِيهِ وَلايَةٌ ، وَهُوَ وَلِيُّهُ وَمَوْلَاهُ . وَإِنَّمَا صَارَتِ الْيَاءُ مِنْ « مَوْلَى » أَلْفًا لِانْفِتَاحِ اللَّامِ قَبْلُهَا الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْأِسْمِ .

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمَّا أُنْزِلَ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ فَتَلَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ .

ذِكْرُ الْأَخْبَارِ الَّتِي جَاءَتْ بِذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ الْعَسْقَلَانِيُّ ، قَالَا : ثنا آدَمُ الْعَسْقَلَانِيُّ ، قَالَ : ثنا وَزْقَاءُ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ

عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية : [٨/٩٩] ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ . قال : قرأها رسول الله ﷺ ، فلما انتهى إلى قوله : ﴿غُفِرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ . قال الله : قد غفرت لكم . فلما قرأ : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ . قال الله عز وجل : ^(١) لا أوأخذكم . فلما قرأ : ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ . قال جل ثناؤه : لا أحمل عليكم . فلما قرأ : ﴿وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ . قال الله عز وجل : لا أحملكم . فلما قرأ : ﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾ . قال الله عز وجل : قد عفوت عنكم . فلما قرأ : ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ . قال الله عز وجل : قد غفرت لكم . فلما قرأ : ﴿وَارْحَمْنَا﴾ . قال الله عز وجل : قد رحمتكم . فلما قرأ : ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ . قال الله جل ثناؤه : قد نصرتكم عليهم ^(٢) .

١٦٠/٣ /حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جويري ، عن الضحاك ، قال : أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، قل : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ . فقال جبريل عليه السلام : قد فعل . وقال له : قل : ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ . فقال جبريل عليه السلام : قد فعل . فقال : قل : ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ . فقال جبريل : قد فعل . فقال : قل : ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ . فقال له جبريل عليه السلام : قد فعل ^(٣) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أشباط ، عن

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) أخرجه أبو عوانة في مسنده ٧٦/١ ، والطحاوي في المشكل (١٦٣٠) ، والطبراني في الأوسط (٩٣٠٨) ، والبيهقي في الشعب ٤٦٣/٢ من طريق آدم به .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٨٣ - تفسير) ، والبيهقي في الشعب (٢٤١٠) من طرق عن الضحاك بنحوه .

السدي أن هذه الآية حين نزلت : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ فقال له جبريل صلى الله عليهما وسلم : فعل ذلك يا محمد . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ . فقال جبريل في كل ذلك : فعل ذلك يا محمد^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا سفيان ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن آدم بن سليمان مولى خالد ، قال : سمعت سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل الله عز وجل : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . فقال : قد فعلت . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ . فقال : قد فعلت . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ قال : قد فعلت . ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ قال : قد فعلت^(٢) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن مضعب بن ثابت ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . قال أبي : قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « قال الله : نعم » . ﴿ رَبَّنَا [٨/٩٩ ظ] وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ إلى آخر الآية . قال أبي : قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : نعم »^(٣) .^(٤)

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٧ إلى المصنف .

(٢) تقدم تخريجه في ص ١٣١ .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) تقدم تخريجه في ص ١٣٠ ، ١٣١ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ : ثنا أَبُو أَحْمَدَ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ ، عَنْ آدَمَ بْنِ سَلِيمَانَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ : وَيَقُولُ : قَدْ فَعَلْتُ . ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ . قَالَ : وَيَقُولُ : قَدْ فَعَلْتُ . فَأُعْطِيَتْ هَذِهِ الْأُمَةُ خَوَاتِيمُ سُورَةِ «البقرة» ، وَلَمْ تُعْطَ الْأُمَمُ قَبْلَهَا .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ الْمُؤَصِّلِيُّ ، قَالَ : ثنا ابْنُ فَضِيلٍ ، قَالَ : ثنا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿عُفِّرَانَكُ رَبَّنَا﴾ . قَالَ : قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ . ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ١٦١/٣ . قَالَ : لَا أُؤَاخِذُكُمْ . ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا﴾ . / قَالَ : لَا أُحْمِلُ عَلَيْكُمْ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَأَعْفُ عَنْنَا وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ . قَالَ : قَدْ غَفَرْتُ عَنْكُمْ ، وَغَفَرْتُ لَكُمْ ، وَرَحِمْتُكُمْ ، وَنَصَرْتُكُمْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ^(٢) .

وَرَوَى عَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاهِمٍ أَنَّ إِجَابَةَ اللَّهِ^(٣) تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَانَتْ^(٤) لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً .

حَدَّثَنَا عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُثَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ

(١) فِي ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س : «حميد» .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٧٧/٢، ٥٧٩، ٥٨١، ٥٨٢ (٣٠٧٨، ٣٠٩٣، ٣٠٩٦،

٣١٠٨، ٣١١٠، ٣١١٣) عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَرْبٍ بِهِ .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س .

أَخْطَأَنَا ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ : فَإِنْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقْرَأَهَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ ، فَسَأَلَهَا نَبِيَّ اللَّهِ رَبَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، فَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ ، فَكَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ أَنَّ مُعَاذًا كَانَ إِذَا فَرَّغَ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ : ﴿ فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ . قَالَ : آمِينَ ^(٢) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٨/١ إلى المصنف .

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٢٥ ، وابن أبي شيبه ٤٢٦/٢ من طريق سفيان به ، وفي إسنادهما : « عن أبي إسحاق عن رجل عن معاذ » .

والى هنا انتهى الجزء الثامن من المخطوط الأصل . وآخره : « آخر تفسير سورة البقرة والحمد لله رب العالمين كثيرا كما هو أهله وصلى الله على محمد وآله . تم السفر الثامن من جامع البيان عن تأويل آي الفرقان بحمد الله وعونه وصلى الله على محمد نبيه وعلى آله الطيبين وسلم تسليما يتلوه إن شاء الله أول تفسير آل عمران » . وسيجد القارئ أرقام أوراق المخطوطات ١ بين معكوفين .

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ

أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد :

القول في تأويل قوله : ﴿ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ﴾ .

قال أبو جعفر : قد أتينا على البيان عن معنى قوله : ﴿ اَللّٰهُ ﴾ . فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ^(١) ، وكذلك البيان عن قوله : ﴿ اَللّٰهُ ﴾ ^(٢) .

وأما معنى قوله : ﴿ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ﴾ . فإنه خبرٌ من الله عز وجل أخبر عباده أن الألوهة خاصة به دون ما سواه من الآلهة والأنداد ، وأن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا له ، لانفراده بالربوبية وتوحيده بالألوهية ، وأن كل ما دونه فملكه ، وأن كل ما سواه فخلقه ، لاشريك له في سلطانه وملكه ؛ احتجاجا منه تعالى ذكره عليهم ، بأن ذلك إذ كان كذلك ، فغير جائزة لهم عبادة غيره ولا إشراك أحد معه في سلطانه ، إذ كان كل معبود سواه فملكه ، وكل مُعَظَّم غيره فخلقه ؛ وعلى المملوك إفراؤ الطاعة لملكه ، وصرف خدمته إلى مولاه ورازقه ، ومُعَرَّفًا ^(٣) مَنْ كان من خلقه - يوم أنزل ذلك إلى نبيه محمد ﷺ ، بتنزيله ذلك إليه ، وإرساله به إليهم على لسانه ، صلوات الله عليه وسلامه - مُقِيمًا على عبادة وثن أو

(١) ينظر ما تقدم في ٢٠٤/١ - ٢٢٨ .

(٢) ينظر ما تقدم في ١٢١/١ - ١٢٤ .

(٣) في النسخ : « معرف » والصواب ما أثبتنا ، والسياق : « أخبر عباده أن الألوهة خاصة به دون ما سواه ... احتجاجا منه ... ومعرفا من كان من خلقه ... أنه مقيم على ضلالة » .

صنم ، أو شمسٍ أو قمرٍ ، أو إنسيٍّ أو ملكٍ ، أو غير ذلك من الأشياء التي كانت بنو آدمَ مُقيمةً على ^(١) عبادتها وإلهتها ، ومُتخذةً ^(٢) دونَ مالكه وخالقه إلهاً ورباً أنه مُقيمٌ على ضلالةٍ ، ومنعزلٌ عن المحجَّة ، وراكبٌ غيرَ السبيلِ المستقيمة ، بصرفه العبادة إلى غيره ، ولا أحد له الألوهة غيره .

وقد ذُكر أن هذه السورة ابتدأ اللهُ بتنزيلِ فاتحتها ، بالذي ابتدأ به من نفي الألوهة أن تكونَ لغيره ، ووَصَفه نفسه بالذي وصفها به في ابتدائها ؛ احتجاجاً منه بذلك على طائفةٍ من النَّصارى قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ من نَجْرَانَ فحاجَّوه في عيسى صلواتُ الله عليه ، وألحدوا في الله ، فأُنزلَ الله عزَّ / وجلَّ في أمرهم وأمرِ عيسى من هذه ١٦٢/٣ السورة ، نيفاً وثلاثين آيةً من أولها ؛ احتجاجاً عليهم وعلى من كان على مثلِ مقاليتهم لنبيِّه محمدٍ ﷺ ، فأبَوْا إلا المقامَ على ضلالتهم وكفرهم فدعاهم إلى المباهلة ^(٣) ، فأبَوْا ذلك وسألوا قبولَ الجزية منهم ، فقبلها ﷺ منهم ، وانصرفوا إلى بلادهم . غيرَ أن الأمروا إن كان كذلك ، وإياهم قصْدٌ بالحِجاج ، فإنَّ مَنْ كان معناه من سائرِ الخلقِ معناه في الكفرِ بالله ، واتخاذِ ماسوى الله ربّاً وإلهاً معبوداً ، معومون بالحُجَّة التي حجَّ الله تبارك وتعالى بها من نزلت هذه الآياتُ فيه ، ومحججون في الفرقانِ الذي فَرَّقَ به لرسوله ﷺ بينه وبينهم .

ذكرُ الروايةِ عن ذكرنا قوله في نزولِ افتتاحِ هذه السورة أنه نَزَلَ في الذين وَصَفنا صِفَتَهُم من النَّصارى

حدَّثنا محمدُ بنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثني محمدُ

(١ - ١) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عبادته وإلهته » .

(٢) سقط من : س ، وفي م : « متخذته » .

(٣) في س : « الإسلام » .

ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، قال : قَدِمَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وفدٌ نَجْرَانِ ، ستون راكبًا ، فيهم أربعة عشرَ رجلًا من أشرافهم ، فى الأربعة عشرَ [٣٨٠/١] ثلاثة نفرٍ ، إليهم يقولُ أمرؤهم : العاقبُ ؛ أميرُ القومِ وذو رأيهم وصاحبُ مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيهِ ، واسمُهُ عبدُ المسيح ، والسيدُ ؛ ثمالُهم ^(١) وصاحبُ رحيلهم ومُجتمِعهم ، واسمُهُ الأيْهَمُ ، وأبو حارثة بنُ علقمة ؛ أحدُ ^(٢) بكرِ بنِ وائلٍ ، ^(٣) أسقفُهم وخبِرُهم ^(٤) وإمامُهم وصاحبُ مِدراسهم ^(٥) .

وكان أبو حارثة قد شَرَفَ فيهم ، ودرَسَ كتبهم ، حتى حَسَنَ علمُهُ فى دينهم ، فكانت ملوكُ الرومِ من أهلِ النصرانيَّةِ قد شَرَفُوهُ وموَلُّوهُ وأخدَمُوهُ وبنَّوْا له الكنائسَ ، وبَسَطُوا عليه الكراماتِ ؛ لما يُبلِّغُهم عنه من علمِهِ واجتهادِهِ فى دينهم ^(٥) .

قال ابنُ إسحاق : قال محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : قَدِمُوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، فدخلوا عليه مسجده حينَ صَلَّى العصرَ ، عليهم ثيابُ الحِجْرَاتِ ^(٦) جُبَّتْ وأرديةٌ ، فى ^(٧) جمالِ رجالٍ ^(٧) بلحارثِ بنِ كعبٍ . قال : يقولُ بعضُ مَنْ رآهم من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَئِذٍ : ما رأينا بعدهم وفدًا مثلهم ، وقد حانتِ صلاتُهم ، فقاموا يُصَلُّون فى مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعُوهم » . فَصَلُّوا إلى المَشْرِقِ .

(١) الشمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه . تاج العروس (ث م ل) .

(٢) فى م : « أخو » . وينظر سيرة ابن هشام ٥٧٣/١ .

(٣ - ٣) فى س : « أشيئهم وخيرهم » .

(٤) المدراس : الموضع الذى يدرسون فيه كتبهم .

(٥) فى م : « دينه » .

(٦) الحِجْرَةُ : ضرب من برود اليمن مُنَعْرَةٌ . تُجمع على : حِجَرٍ وحِجْرَاتٍ . يقال : برد حَبِيرٌ ، وبرد حِجْرَةٌ .

(٧ - ٧) سقط من النسخ ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

قال : وكانت تسمية الأربعة عشر منهم الذين يُقُولُ إليهم أمرهم : العاقب وهو عبدُ المسيح ، والسيدُّ وهو الأيَّهم ، وأبو حارثة بنُ علقمة أخو^(١) بكر بن وائل ، وأوس ، والحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونُبَيْة ، وخويلد ، و^(٢) عمرو ، وخالد ، وعبدُ الله ، ويُحَنِّس ، فى ستين راکبًا ، فكلَّم رسولَ الله ﷺ منهم أبو حارثة بنُ علقمة ، والعاقب عبدُ المسيح ، والأَيَّهم السَّيِّدُ ، وهم^(٣) من النصرانية على دينِ الملك ، مع اختلافٍ من أمرهم يقولون : هو الله . ويقولون : هو ولدُ الله . ويقولون : هو ثالثُ ثلاثة . وكذلك قولُ النصرانية ، فهم يَحْتَجُّون فى قولهم : هو الله . بأنه كان يُحيى الموتى ، ويُبرئُ الأسقام ، ويُخبرُ بالغيوب ، ويخلقُ من الطينِ كهيةِ الطيرِ ثم ينفُخُ فيه فيكونُ طائرًا ، وذلك كله بإذنِ الله ، ليجعله آيةً للناس . ويحتجُّون فى قولهم : إنه ولدُ الله . أنهم يقولون : لم يكن له أبٌ يُعَلِّم ، وقد تكَلَّمَ فى المهدِ ، شىءٌ^(٤) لم يصنعه أحدٌ من ولدِ آدم قبله . ويحتجُّون فى قولهم : إنه ثالثُ ثلاثة . بقولِ الله عز وجل : فعلنا وأمرنا ، وخلقنا وقضينا . فيقولون : لو كان واحدًا ما قال إلا : فعلتُ وأمرتُ وقضيتُ وخلقْتُ ، ولكنه هو ، وعيسى ، ومريم . ففى كلِّ ذلك من / قولهم قد نزل القرآن ، وذكر الله لنبيه ﷺ فيه قولهم ، فلما كلَّمه الخبران ، ١٦٣/٣ قال لهما رسولُ الله ﷺ : « أسليما » . قالا : قد أسلمنا . قال : « إنكما لم تُسليما ، فأسليما » . قالا : بلى ، قد أسلمنا قبلك . قال : « كَذَّبْتُمَا ، يَمْنَعُكُمَا مِنَ الإسلامِ دعاؤُكما لله عزَّ وجلَّ وَلَدًا ، وعبادتُكما الصَّليب ، وأكلُكما الخنزير » . قالا : فمن

(١) كذا فى السيرة وجميع النسخ ، وتقدم فى الصفحة السابقة « أحد » . وهما واحد .

(٢) فى النسخ : « ابن » . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٣) فى النسخ : « هو » . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٤) فى م : « بشىء » ، وفى السيرة : « وهذا » .

أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يُجِبْهُمَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ ، وَاخْتِلَافِ أَمْرِهِمْ كُلَّهُ ، صَدْرَ سُورَةِ « آل عمران » إِلَى بَضْعِ وَثَمَانِينَ آيَةً مِنْهَا ، فَقَالَ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . فَافْتَتَحَ السُّورَةَ بِتَبْرِئِهِ ^(١) نَفْسَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِمَّا قَالُوا ، وَتَوْحِيدِهِ إِتْيَاهَا بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهِ ؛ رَدًّا عَلَيْهِمْ مَا ابْتَدَعُوا مِنَ الْكُفْرِ ، وَجَعَلُوا مَعَهُ مِنَ الْأُنْدَادِ ، وَاحْتِجَاجًا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِمْ فِي صَاحِبِهِمْ ، لِيَعْرِفَهُمْ بِذَلِكَ ضَلَالَتَهُمْ ، فَقَالَ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أَيْ لَيْسَ مَعَهُ شَرِيكَ فِي أَمْرِهِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ اَللّٰهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ . قَالَ : إِنْ التَّصَارَى أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَخَاصَمُوهُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَقَالُوا لَهُ : مَنْ أَبُوهُ ؟ وَقَالُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَالْبُهْتَانُ - لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا - فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ : « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَلَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُشْبِهُ أَبَاهُ ؟ » . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَتَّى لَا يَمُوتَ ، وَأَنَّ عِيسَى يَأْتِي عَلَيْهِ الْفَنَاءُ ؟ » . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قَيِّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، يَكْلُوهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَزْرُقُهُ ؟ » . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : « فَهَلْ يَمْلِكُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ؟ » . قَالُوا : لَا . قَالَ : « أَفَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ؟ » . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : « فَهَلْ يَعْلَمُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا مَا عُلِّمَ ؟ » . قَالُوا : لَا . قَالَ : « فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَى فِي الرَّجَمِ كَيْفَ شَاءَ » ^(٣) . قَالَ : « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ ، وَلَا يَشْرَبُ

(١) فِي م : « بِتَبْرِئِهِ » . وَفِي س ، وَالسِّيرَةِ : « بِتَنْزِيهِهِ » .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٥٧٣/١ - ٥٧٦ ، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ ٣٨٢/٥ مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بِهِ ، وَعَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمُنْتَوَرِ ٣/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ . وَسَيَذْكُرُ الْمُصَنِّفُ بَقِيَّتَهُ مَفْرَقَةً فِيمَا سَيَأْتِي .

(٣) بَعْدَهُ فِي م : « فَهَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ ؟ » قَالُوا : بَلَى .

الشَّرَابَ ، وَلَا يُحَدِّثُ الْحَدَّثَ ؟ » . قالوا : بلى . قال : « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى حَمَلَتْهُ امْرَأَةٌ كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ ، ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا ، ثُمَّ غُذِيَ كَمَا يُغَذَّى الصَّبِيُّ ، ثُمَّ كَانَ يَطْعَمُ الطَّعَامَ ، وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ ، وَيُحَدِّثُ الْحَدَّثَ ؟ » . قالوا : بلى . قال : « فكيف يكونُ هذا كما زعمتم ؟ » . قال : فعرفوا ثم أبوا إلا جُحُودًا ، فَأَنْزَلَ [٣٨١/١] اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ١ 〉 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ ١ 〉 .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ ٢ 〉 الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ ٢ 〉 .

اختلفتِ القَرَأَةُ في ذلك ؛ فقرأته قَرَأَةُ الْأَمْصَارِ : ﴿ ٢ 〉 الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ ٢ 〉 .

وقرأ ذلك عمرُ بنُ الخطَّابِ وابنُ مسعودٍ ، فيما ذُكِرَ عنهما : (الْحَيُّ الْقَيُّومُ) ^(٢) .

وذكر عن علقمة بن قيس أنه كان يقرأ : (الْحَيُّ الْقَيُّومُ) .

حدَّثنا بذلك أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عثامُ بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، عن إبراهيمَ ، عن أبي معمرٍ ، قال : سَمِعْتُ عُلُقْمَةَ يَقْرَأُ : (الْحَيُّ الْقَيُّومُ) . قلت : أَنْتَ سَمِعْتَهُ ؟ قال : لَا أَذْرِي ^(٣) .

/ حدَّثنا أبو هشامُ الرَّفَاعِيُّ ، قال : حدَّثنا وَكِيعٌ ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، عن ١٦٤/٣ إبراهيمَ ، عن أبي معمرٍ ، عن عُلُقْمَةَ مثله .

وقد رُوِيَ عن عُلُقْمَةَ خِلافُ ذَلِكَ ، وهو ما حدَّثنا أبو هشامٍ ، قال : حدَّثنا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٥/٢ (٣١٢٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) تنظر قراءة عمر في فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٦٨ ، وسنن سعيد بن منصور (٤٨٦ - تفسير) ، وقراءة ابن مسعود في سنن سعيد بن منصور (٤٨٩ - تفسير) ، والمعجم الكبير (٨٦٩٠) ، والمصاحف لابن أبي داود ص ٥٩ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢ إلى المصنف وابن الأنباري .

عبدُ الله، قال : حَدَّثَنَا شَيْبَانُ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيم ، عن أبي معمرٍ ، عن عَلْقَمَةَ أنه قرأ : (الْحَيُّ الْقَيُّومُ)^(١) .

والقراءةُ التي لا يجوزُ غيرها عندنا في ذلك ما جاءت به قراءةُ المسلمين نقلًا مستفيضًا ، عن غيرِ تشاغرٍ^(٢) ولا تَوَاطُؤٍ ، وراثَةً ، وما كان مُبْتَنًى في مصاحفهم ؛ وذلك قراءةً من قرأ : ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .
القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ الْحَيُّ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿ الْحَيُّ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك من الله تعالى ذكره أنه وصَفَ نفسه بالبقاء ، ونَفَى الموتَ الذي يجوزُ على مَنْ سواه من خلقه عنها .

ذكرُ من قال ذلك

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ الْحَيُّ ﴾ : الذي لا يموتُ ، وقد مات عيسى وُضِلِبَ في قولهم . يعنى في قولِ الأَخبارِ الذين حَاجُّوا رَسولَ اللَّهِ ﷺ من نَصَارَى أَهْلِ نَجْرَانَ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبِيعِ : ﴿ الْحَيُّ ﴾ . قال : يقولُ : حَيٌّ لا يموتُ^(٤) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢ إلى المصنف وابن الأنباري .

(٢) في م : « تشاغر » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٧٦/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨٦/٢ (٢٥٧١) من طريق ابن أبي جعفر به .

وقال آخرون : معنى « الحَيِّ » الذى غناه الله عزَّ وجلَّ فى هذه الآية ، ووصف به نفسه ، أنه المُتَّسِرُّ له تدبيرُ كلِّ ما أراد وشاء ، لا يمتنع عليه شيءُ أراده ، وأنه ليس كمن لا تدبيرَ له من الآلهة والأنداد .

وقال آخرون : معنى ذلك أن له الحياةَ الدائمةَ التى لم تَزَلْ له صفةً ، ولا تزال كذلك . وقالوا : إنما وصَفَ نفسه بالحياة لأن له حياةً ، كما وصفها بالعلم لأن لها علماً ، وبالقدرة لأن لها قدرةً .

ومعنى ذلك عندى أنه وصَفَ نفسه بالحياة الدائمة التى لا فناءَ لها ولا انقطاع ، ونفى عنها ما هو حالُّ بكلِّ ذى حياة من خلقه ؛ من الفناء وانقطاع الحياة عند مجيء أجله ، فأخبر عباده أنه المستوجبُ على خلقه العبادة والألوهة ، والحَيُّ الذى لا يموت ولا يبيدُ ، كما يموت كلُّ من اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ رَبًّا ، ويبُيِّدُ كلُّ من ادَّعى مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ، واحتجَّ على خلقه بأنَّ مَنْ كان يبيدُ فيزولُ ويموتُ فيفنى ، فلا يكونُ إلهاً يستوجبُ أن يُعْبَدَ دُونَ الإله الذى لا يبيدُ ولا يموتُ ، وأنَّ الإله هو الدائم الذى لا يموت ولا يبيدُ ولا يفنى ، وذلك الله الذى لا إله إلا هو .

القول فى تأويل قوله : ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ .

قد ذكرنا اختلافَ القراءة فى ذلك ، والذى نختارُ منه ، وما العلة التى من أجلها اخترنا ما اخترنا من ذلك .

فأما تأويلُ جميعِ الوجوه التى ذكرنا أن القراءة قرأتُ بها ، فمتمقاربٌ ، ومعنى ذلك كله : الْقَيُّومُ بحفظِ كلِّ شيءٍ ورزقه وتدبيره ، وتصريفه فيما شاء وأحب ، من تغييرٍ وتبديلٍ ، وزيادةٍ ونقصٍ .

/ كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ١٦٥/٣

ابن ميمون ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ اَلْقِيَوْمُ ﴾ . قال : القائم على كل شيء ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قال : حَدَّثَنَا شَيْبٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ : ﴿ اَلْقِيَوْمُ ﴾ : قِيَمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ؛ يَكْلُوهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ ^(٣) .

وقال آخرون : معنى ذلك : الْقِيَامُ عَلَى مَكَانِهِ . وَوَجَّهَهُ إِلَى الْقِيَامِ الدَّائِمِ ، الَّذِي لَا زَوَالَ مَعَهُ وَلَا انْتِقَالَ ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ - بَوْصِفِهَا بِذَلِكَ - التَّغْيِيرَ وَالتَّنْقِيلَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، وَحُدُوثَ التَّبَدُّلِ الَّذِي يَحْدُثُ فِي الْآدَمِيِّينَ وَسَائِرِ خَلْقِهِ غَيْرِهِمْ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ^(٤) بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الرَّبِيعِ : ﴿ اَلْقِيَوْمُ ﴾ : الْقِيَامُ عَلَى مَكَانِهِ ، مَنْ سُلْطَانُهُ فِي خَلْقِهِ لَا يَزُولُ ، وَقَدْ زَالَ عِيسَى فِي قَوْلِهِمْ - يَعْنِي فِي قَوْلِ الْأَحْبَارِ الَّذِينَ حَاجُّوا النَّبِيَّ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ فِي عِيسَى - عَنْ مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ ، وَذَهَبَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ^(٥) .

وأولى التأويلين بالصواب ما قاله مجاهدٌ والرَّبِيعُ ، وأن ذلك وصفٌ من الله

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨٦/٢ (٢٥٧٣) .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٩٦) من طريق أبي حذيفة به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨٦/٢ (٢٥٧٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) في النسخ : « عمر » .

(٥) سيرة ابن هشام ١/٥٧٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٦/٢ (٣١٢٩) من طريق ابن إسحاق قوله .

تعالى ذكره نفسه بأنه القائم بأمر كل شيء في رزقه والدفع عنه ، وكلائه وتدبيره ، وصرفه في قدرته ، من قول العرب : فلان قائم بأمر هذه البلدة . تعنى بذلك : المتولى تدبير أمرها . [٣٨١/١] فـ « الْقِيَوْمُ » - إذ كان ذلك معناه - « الْفَيْعُولُ » ، من قول القائل : الله يقوم بأمر خلقه . وأصله « الْقِيُومُ » ، غير أن الواو الأولى من « الْقِيُومِ » ، لما سبقتها ياء ساكنة وهى متحركة ، قُلِبَتْ ياءً ، فُجِعِلَتْ هى والياء التى قبلها ياءً مشددة ؛ لأن العرب كذلك تفعل بالواو المتحركة إذا تقدمتها ياءً ساكنة . وأما « الْقِيَامُ » ، فإن أصله « الْقِيَوْمُ » ، وهو « الْفَيْعَالُ » ، من : قام يقوم ، سَبَقَتْ الواو المتحركة من « قِيَوْمٍ » ياءً ساكنة ، فُجِعِلَتْ جميعاً ياءً مشددة .

ولو أن الْقِيَوْمَ « فَعُولٌ » ، كان « الْقَوْمُ » ، ولكنه « الْفَيْعُولُ » . وكذلك « الْقِيَامُ » لو كان « الْفَعَالُ » لكان « الْقَوَامُ » ، كما قيل : الصَّوَامُ والقَوَامُ . وكما قال جل ثناؤه : ﴿ كُونُوا قَوْمِ اللَّهِ سُهِدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ [المائدة : ٨] . ولكنه « الْفَيْعَالُ » ، فقال : الْقِيَامُ .

وأما « الْقِيَمُ » فهو « الْفَيْعِيلُ » ، من : قام يقوم ، سَبَقَتْ الواو المتحركة ياءً ساكنة ، فُجِعِلَتْ ياءً مشددة ، كما قيل : فلان سيّد قومه . من : ساد يسود ، وهذا طعام جيّد ، من : جاد يَجُودُ ، وما أشبه ذلك .

وإنما جاء ذلك بهذه الألفاظ ؛ لأنه قصد به قَصْدُ المبالغة في المدح ، فكان « الْقِيَوْمُ » و « الْقِيَامُ » و « الْقِيَمُ » أبلغ في المدح من القائم . وإنما كان عمر رضى الله عنه يختار قراءته ، إن شاء الله : « الْقِيَامُ » ؛ لأن ذلك الغالب على منطقي أهل الحجاز ، فى ذوات الثلاثة من الياء والواو ، فيقولون للرجل الصَّوَّاعُ : الصَّيَّاعُ . ويقولون للرجل الكثير الدَّورَانِ : الدَّيَّارُ . وقد قيل : إن قول الله جل ثناؤه : ﴿ لَا نَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] . إنما هو : « دَوَّارًا » ، « فَعَالًا » ، من : دار

يَدُورُ . وَلَكِنَّهَا نَزَلَتْ بِلُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَأَقْرَبَتْ كَذَلِكَ فِي الْمَصْحَفِ .

١٦٦/٣ / الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ .

يقول جل ثناؤه : يا محمد ، إِنَّ رَبَّكَ وَرَبَّ عِيسَى وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ، يَعْنِي بـ « الْكِتَابِ » : الْقُرْآنَ ، ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ يَعْنِي بِالصِّدْقِ فِيمَا اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، وَفِيمَا خَالَفَكَ فِيهِ مُحَاجُّوكَ مِنْ نَصَارَى أَهْلِ نَجْرَانَ ، وَسَائِرِ أَهْلِ الشَّرْكِ غَيْرِهِمْ ، ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ، يَعْنِي بِذَلِكَ الْقُرْآنَ أَنَّهُ مُصَدِّقٌ لِمَا كَانَ قَبْلَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ ، وَمُحَقِّقٌ مَا جَاءَتْ بِهِ رِسْلُ اللَّهِ مِنْ عِنْدِهِ ؛ لِأَنَّ مُنْزَلَ جَمِيعِ ذَلِكَ وَاحِدٌ ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ اخْتِلَافٌ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ لَكَانَ فِيهِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ .

وَبَنَحِوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . قَالَ : لِمَا قَبْلَهُ مِنْ كِتَابٍ أَوْ رَسُولٍ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ : لِمَا قَبْلَهُ مِنْ كِتَابٍ أَوْ رَسُولٍ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ ﴾ أَيْ :

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٧/٢ (٣١٣٥) .

بِالصِّدْقِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ^(١) .

حَدَّثَنَا بَشِيرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يَقُولُ : الْقُرْآنَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ قَبْلَهُ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ : يَقُولُ : مُصَدِّقًا لِمَا قَبْلَهُ مِنْ كِتَابٍ وَرَسُولٍ^(٣) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾^(٤) مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ .

يعنى بذلك جَلَّ ثَنَاهُ : وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، وَالْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى ، ﴿ مِنْ قَبْلِ ﴾ . يَقُولُ : مِنْ قَبْلِ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَهُ عَلَيْكَ .

ويعنى بقوله : ﴿ هُدًى لِلنَّاسِ ﴾ : بَيَانًا لِلنَّاسِ مِنَ اللَّهِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ ، وَنَعْتِكَ^(٥) يَا مُحَمَّدُ بِأَنَّكَ نَبِيُّ وَرَسُولِي ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ دِينِ اللَّهِ .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشِيرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾^(٦) مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ : هُمَا كِتَابَانِ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ ، فِيهِمَا بَيَانٌ

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٧٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٥٨٧/٢ (٣١٣٢) من طريق يزيد به مختصراً ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٥٨٧/٢ ، عقب الأثر (٣١٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) سقط من س ، وفى ص : « حفيك » ، وفى م : « مفيداً » ، وفى ت ١ ، ت ٢ : « حفيد » والمثبت أقرب إلى الصواب .

من الله ، وعِصْمَةٌ لمن أَخَذَ به ، وَصَدَّقَ به ، وَعَمِلَ بما فيه ^(١) .

١٦٧/٣ / حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ
ابْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ : التَّوْرَةُ عَلَى مُوسَى ، وَالْإِنْجِيلَ عَلَى
عِيسَى ، كَمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ .

يَعْنَى جَلَّ ثَنَاهُ بِذَلِكَ : وَأَنْزَلَ الْفَصْلَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِيمَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ
الْأَحْزَابُ وَأَهْلُ الْمِلَلِ فِي أَمْرِ عِيسَى وَغَيْرِهِ .

وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَى أَنَّ الْفُرْقَانَ إِنَّمَا هُوَ الْفُغْلَانُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ ؛ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا بِنَصَرِهِ الْحَقَّ عَلَى الْبَاطِلِ ، إِمَّا بِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ ، وَإِمَّا بِالْقَهْرِ
وَالْعَلْبَةِ بِالْأَيْدِ وَالْقُوَّةِ ^(٣) .

وَبِمَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ ، غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَّهَ تَأْوِيلَهُ إِلَى أَنَّهُ فَصْلٌ بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ فِي أَمْرِ عِيسَى ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ فَصْلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي أَحْكَامِ الشَّرَائِعِ .

ذَكَرُ مَنْ [٣٨٢/١] قَالَ : مَعْنَاهُ : الْفَصْلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

فِي أَمْرِ عِيسَى وَالْأَحْزَابِ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ
ابْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ . أَيْ : الْفَصْلَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، فِيمَا اخْتَلَفَ فِيهِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٨/٢ (٣١٤١ ، ٣١٤٢) من طريق شيخان ، عن قتادة به ، وعزاه
السيوطي في الدر المنثور ٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) في م : « قبلهما » . والأثر في سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ .

(٣) ينظر ما تقدم في ٩٣/١ وما بعدها .

الأحزاب من أمر عيسى وغيره^(١) .

ذكر من قال : معنى ذلك : الفصل بين الحق والباطل في الأحكام وشرائع الإسلام

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدٌ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانُ ﴾ : هو القرآن ، أنزله على محمدٍ ، وفرق به بين الحق والباطل ، فأحلَّ فيه حلاله ، وحرَّم فيه حرامه ، وشرَّع فيه شرائعه ، وحدَّ فيه حدوده ، وفرض فيه فرائضه ، ويثبِّن فيه بيانه ، وأمر بطاعته ، ونهى عن معصيته^(٢) .

حدَّثني الثنَّي ، قال : حدَّثنا إسحاق ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانُ ﴾ . قال : الفرقانُ القرآن ، فرق بين الحق والباطل^(٣) .

والتأويل الذي ذكرناه عن محمد بن جعفر بن الزبير في ذلك أولى بالصحة من التأويل الذي ذكرناه عن قتادة والربيع ، وأن يكون معنى الفرقان في هذا الموضع فصل الله بين نبيه محمد ﷺ والذين حاجَّوه في أمر عيسى وفي غير ذلك من أموره ، بالحجة البالغة القاطعة عذرهم وعذر نظرائهم من أهل الكفر بالله .

وإنما قلنا : هذا القول أولى بالصواب ؛ لأن إخبار الله عن تنزيله القرآن قبل إخباره عن تنزيله التوراة والإنجيل في هذه الآية ، قد مضى بقوله : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . ولا شك أن ذلك الكتاب هو القرآن لا غيره ، فلا

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٨/٢ (٣١٤٦) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدرر ٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٨/٢ (٣١٤٥) من طريق ابن أبي جعفر به .

وَجَهَ لِتَكْرِيرِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، إِذْ لَا فَائِدَةَ فِي تَكْرِيرِهِ ، لَيْسَتْ فِي ذِكْرِهِ إِثَابٌ وَخَبْرُهُ عَنْهُ ابْتِدَاءً .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ .

يعنى بذلك جلُّ ثناؤه : إن الذين جحدوا أعلامَ الله وأدلتَّه على توحيده وألوهيته ، وأن عيسى عبدٌ له ، واتَّخذوا المسيحَ إلهاً ورباً ، أو ادَّعَوْهُ لِلَّهِ وَلَدًا ، لهم عذابٌ من الله شديدٌ يوم القيامة .

و «الذين كفروا» : هم الذين جحدوا آياتِ الله . و «آياتُ الله» : أعلامُ الله وأدلتُّه وحُججُه .

١٦٨/٣ / وهذا القولُ من الله عزَّ وجلَّ يُنبِئُ عن معنى قوله : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ . أنه مَعْنَى به الفصلُ ^(١) الذى هو حُجَّةٌ لأهلِ الحقِّ على أهلِ الباطلِ ؛ لأنه عَقَبَ ذلك بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ . يعنى : إن الذين جحدوا ذلك الفصلَ والفرقانَ الذى أنزله فرقاً بينَ الحقِّ والباطلِ ، ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ وعيدٌ من الله لمن عاند الحقَّ بعدَ وُضوحِهِ له ، وخالفَ سبيلَ الهدى بعدَ قيامِ الحُجَّةِ عليه ، ثم أخبرهم أنه عزيزٌ فى سلطانه ، لا يمنعه مانعٌ ممن أراد عذابه منهم ، ولا يحولُ بينه وبينه حائلٌ ، ولا يستطيعُ أن يُعَايِنَهُ فيه أحدٌ ، وأنه ذو انتقامٍ ممن جحد حُججَه وأدلتَّه بعد ثبوتها عليه ، وبعد وُضوحها له ومعرفته بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمَةُ ، عن محمدِ بنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ بنِ

جعفر بن الزبير : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
 أَنْتِقَامٍ ﴾ . أى : إن الله منتقم من كفر بآياته ، بعد علمه بها ، ومعرفته بما جاء منه
 فيها^(١) .

حدثني المشي ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
 الربيع : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ ﴾^(٢) .
 القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
 السَّمَاءِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الله لا يخفى عليه شيء هو فى الأرض ، ولا شيء
 هو فى السماء ، يقول : فكيف يخفى علىّ يا محمد ، وأنا علام^(٣) جميع الأشياء^(٤) ،
 ما يضاهى به هؤلاء الذين يُجادِلُونك فى آيات الله من نصارى نجران فى عيسى ابن
 مريم ، فى مقالتيهم التى يقولونها فيه ؟

كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .
 أى : قد علم ما يريدون وما يكيّدون وما يضاهون بقولهم فى عيسى ، إذ جعلوه ربّاً
 وإلهاً ، وعندهم من علمه غير ذلك ، غرّة بالله وكفراً به^(٤) .

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٩/٢ (٣١٥٣) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) هكذا فى النسخ ، لم يذكر المصنف نص الأثر ، وسيتكرر ذلك فيما سيأتى ، والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٩/٢ (٣١٤٩) من طريق ابن أبى جعفر به بلفظ : يعنى النصارى .
 (٣ - ٣) فى س : « الغيوب » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٠/٢ (٣١٥٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

القول في تأويل قوله : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : الله الذي يُصَوِّرُكم فيجعلكم صُورًا أشباحًا في أرحامٍ أمهاتِكم كيف شاء وأحب ، فيجعل هذا ذكرا وهذا أنثى ، وهذا أسود وهذا أحمر . يُعَرِّفُ عباده بذلك أن جميع مَنْ اشتملت عليه أرحامُ النساءِ فممن ^(١) صَوَّرَهُ وخلقَهُ كيف شاء ، وأن عيسى ابنَ مريمَ من صَوَّرَهُ في رَحِمِ أمِّه ، وخلقَهُ فيها كيف شاء وأحب ، وأنه لو كان إلهاً لم يكن ممن اشتملت عليه رَحِمُ أمِّه ؛ لأنَّ خَلْقَ ما في الأرحامِ لا تكونُ الأرحامُ عليه مشتملةً ، وإنما تشتملُ على المخلوقين .

كما حدَّثني ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ : قد كان عيسى من صَوَّرَ في الأرحامِ ، لا يدفعون [٣٨٢/١] ذلك ولا يُنْكِرُونَهُ ، كما صَوَّرَ غيره من بنى آدم ، فكيف يكونُ إلهاً وقد كان بذلك المنزل ؟ ^(٢)

١٦٩/٣

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ . أى : أنَّه صَوَّرَ عيسى في الرَّحِمِ كيف شاء ^(٣) .

وقال آخرون في ذلك ما حدَّثنا به موسى بنُ هارون ، قال : ثنا عمرو بنُ حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السَّدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابنِ عباس ، وعن مرةَ الهمداني ، عن ابنِ مسعود ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبي ﷺ قوله : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ . قال : إذا وَقَعَتِ النطفَةُ في

(١) في م : «ممن» .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٠/٢ (٣١٥٧) من طريق ابن أبي جعفر به .

الأرحام ، طارت في الجسد أربعين يومًا ، ثم تكون علقة أربعين يومًا ، ثم تكون مضغة أربعين يومًا ، فإذا بلغ أن يُخلق ، بعث الله ملكًا يصورها ، فيأتي الملك بتراب بين إصبعيه ، فيخلطه في المضغة ، ثم يعجنه بها ، ثم يصورها كما يؤمر ، فيقول : أذكر أو أنسى ؟ أشقى أو سعيد ؟ وما رزقه ؟ وما عمره ؟ وما أثره ؟ وما مصائبه ؟ فيقول الله ، ويكتب الملك ، فإذا مات ذلك الجسد ، دُفن حيث أخذ ذلك التراب ^(١) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ : قادرٌ والله ربنا أن يصور عباده في الأرحام كيف يشاء ؛ من ذكر أو أنسى ، أو أسود أو أحمر ، تام خلقه وغير تام ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه أن يكون له في ربوبيته ند أو مثل ، أو أن تجوز الألوهة لغيره ، وتكذيب منه للذين قالوا في عيسى ما قالوا ، من وفد نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ ، وسائر من كان على مثل الذي كانوا عليه من قولهم في عيسى ، والجميع من ادعى مع الله معبودًا ، أو أقر بربوبية غيره . ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته ، وعيدًا منه لمن عبد غيره ، أو أشرك في عبادته أحدًا سواه ، فقال : هو العزيز الذي لا ينصر من أراد الانتقام منه أحد ، ولا يُنجاه منه وأل ولا لجأ ^(٣) ، وذلك لعزته التي يذل لها كل مخلوق ، ويخضع لها كل موجود . ثم أعلمهم أنه

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٠/٢ (٣١٥٦) من طريق عمرو به من قول السدي . وأصل الحديث في البخاري (٣٢٠٨) ، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود مرفوعًا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٠/٢ ، ٥٩١ (٣١٥٩) من طريق شيبان ، عن قتادة نحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) الوأل والموئل : الملجأ . واللجأ والوأل بمعنى . اللسان (ل ج أ ، وأ ل) .

الحكيم في تدبيره ، وإعذاره إلى خلقه ، ومتابعة حُجَجِهِ عليهم ؛ لِيَهْلِكَ من هَلَكَ منهم عن بَيِّنَةٍ ، وَيَخْيَا من خَيٍّ عن بَيِّنَةٍ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ ، قال : ثم قال - يعنى الربَّ عزَّ وجلَّ - إِنْزَاهَا لِنَفْسِهِ ، وتوحيدًا لَهَا مِمَّا جَعَلُوا معه : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ . قال : العزيزُ فى نُصْرَتِهِ ^(١) مِمَّنْ كَفَرَ به إذا شاء ، والحكيمُ فى عُذْرِهِ وَحُجَّتِهِ إلى عِبَادِهِ ^(٢) .

١٧٠/٣ / حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبِيعِ : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ . يقول : عزيزٌ فى نِقْمَتِهِ ، حكيمٌ فى أَمْرِهِ ^(٣) .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ .

يعنى بقوله جلَّ ثناؤه : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أن الله الذى لا يَخْفَى عليه شىءٌ فى الأرض ولا فى السماء هو الذى أنزل عليك الكتاب . يعنى بالكتابِ القرآن . وقد أثبتنا على البيانِ فيما مضى عن السببِ الذى من أجله سُمِّيَ القرآنُ كتابًا ، بما أغْنَى عن إعادته فى هذا الموضع ^(٤) .

وأما قوله : ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ . فإنه يعنى : من الكتابِ آياتٌ . يعنى بالآياتِ آياتِ القرآن . وأما المحكماتُ ، فإنهنَّ اللواتى قد أُحْكِمْنَ بالبيانِ والتفصيلِ ،

(١) كذا فى النسخ ، وعند ابنِ أبى حاتم : يريد : « فى انتصاره من كفر » . كما فى سيرة ابن هشام .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٦ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٩١ (٣١٦١ ، ٣١٦٣) من طريق سلمة ، عن ابنِ إِسْحَاقَ قوله .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٩١ (٣١٦٢ ، ٣١٦٤) من طريق ابن أبى جعفر ، عن أبى العالية قوله .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١/ ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٦ .

وَأُثْبِتَتْ مُحَجَّجُهُنَّ وَأُدْلِثَتْهُنَّ عَلَى مَا جُعِلْنَ أَدْلَةٌ عَلَيْهِ ؛ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ ، وَثَوَابٍ وَعِقَابٍ ، وَأَمْرِ وَزَجْرِ ، وَخَيْرٍ وَمَثَلٍ ، وَعِظَةٍ وَعِبرَةٍ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .
 ثُمَّ وَصَفَ جُلَّ ثَنَائِهِ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ بِأَنَّهُنَّ أُمٌّ ^(١) الْكِتَابِ ، يَغْنَى بِذَلِكَ أَنَّهُنَّ أَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ عِمَادُ الدِّينِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ ، وَسَائِرُ مَا بِالْخَلْقِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ ، وَمَا كُفِّلُوا مِنَ الْفَرَائِضِ ^(٢) وَالْحُدُودِ ، وَسَائِرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ^(٣) فِي عَاجِلِهِمْ وَآجِلِهِمْ ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ لِأَنَّهُنَّ مُعْظَمُ الْكِتَابِ ، وَمَوْضِعُ مُفْرَعِ أَهْلِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ ، تُسَمِّي الْجَامِعَ مُعْظَمَ الشَّيْءِ أُمًّا لَهُ ، فَتُسَمِّي رَايَةَ الْقَوْمِ الَّتِي تَجْمَعُهُمْ فِي الْعَسَاكِرِ أُمَّهُمْ ، وَالْمُدَبِّرَ مُعْظَمَ أَمْرِ الْقَرْيَةِ وَالْبَلَدَةِ أُمُّهَا . وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِيمَا مَضَى بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ ^(٤) .

وَوَحَّدَ ﴿ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ، وَلَمْ يَجْمَعْ فَيَقُولَ : هُنَّ أُمّهَاتُ الْكِتَابِ . وَقَدْ قَالَ : ﴿ هُنَّ ﴾ ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ : جَمِيعَ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ أُمُّ الْكِتَابِ . لَا أَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، لَكَانَ لَا شَكَّ قَدْ قِيلَ : هُنَّ أُمّهَاتُ الْكِتَابِ . وَنَظِيرُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ - عَلَى التَّأْوِيلِ الَّذِي قُلْنَا فِي تَوْحِيدِ الْأُمِّ ، وَهِيَ خَيْرٌ ^(١) لـ ﴿ هُنَّ ﴾ ^(٢) - قَوْلُهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ : ٥٠] . وَلَمْ يَقُلْ : آيَتَيْنِ . لِأَنَّ مَعْنَاهُ : وَجَعَلْنَا جَمِيعَهُمَا آيَةً . إِذْ كَانَ الْمَعْنَى ^(٣) وَاحِدًا فِيمَا جُعِلَا ^(٤) فِيهِ لِلْخَلْقِ عِبْرَةً ، وَلَوْ كَانَ مَرَادُهُ الْخَبَرُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى انْفِرَادِهِ بِأَنَّهُ جُعِلَ لِلْخَلْقِ عِبْرَةً ، لَقِيلَ : وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ

(١) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : « مِنْ » ، وَفِي م : « هُنَّ أُم » .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٣) يَنْظُرُ مَا تَقْدُم فِي ١/ ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٤ - ٤) فِي ص ، س ، ت ، ١ ، ت ٢ : « لَهُمْ » .

(٥ - ٥) فِي م : « وَاحِدَاتُهُمَا جَعَلْنَا » .

وَأُمُّهُ آتَيْنِ . لَأَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَهْمٌ عِبْرَةٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَرْيَمَ وَلَدَتْ مِنْ غَيْرِ رَجُلٍ ، وَنَطَقَ ابْنُهَا ، فَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِ صَبِيئًا ، فَكَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلنَّاسِ آيَةٌ .

وقد قال بعضُ نحوِي البصرة : إنما قيل : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ . ولم يُقَلْ : هُنَّ أمهاتُ الكتابِ . على وجهِ / الحكاية ، كما يقول [٣٨٣/١] الرجلُ : ما لي أنصارٌ . فتقولُ : أنا أنصارُكَ . أو : ما لي نظيرٌ . فتقولُ : نحن نظيرُكَ . قال : وهو شبيهُ : دَعْنِي مِنْ تَمْرَتَانِ . وأنشد لرجلٍ من قُفْعَسٍ ^(١) :

تَعَرَّضْتُ لِي ^(٢) بِمَكَانٍ حَلٍّ

تَعَرَّضَ الْمُهْرَةُ فِي الطُّوْلِ ^(٣)

تَعَرَّضًا لَمْ تَأَلُ عَنْ ^(٤) قَتْلًا لِي

^(٥) قَتْلًا لِي ، يَحْكِي بِهِ عَلَى الْحِكَايَةِ ؛ لَأَنَّهُ كَانَ مَنْصُوبًا قَبْلَ ذَلِكَ ، كَمَا يَقُولُ : نُودِيَ : الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ ، يَحْكِي قَوْلَ الْقَائِلِ : الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ . وقال : قال

(١) هو منظور بن مرثد الفقعسي الأسدي ، ويعرف بـ : منظور بن حبة . وحبة أمه . والرجز في مجالس ثعلب ٦٠٢ / ٢ ، واللسان (ط و ل ، ق ت ل ، ع ر ض) .

(٢ - ٢) في ت ١ ، ت ٢ : « بمكان خلى » . وفي المجالس : « بمجازٍ حَلٍّ » ، وفي اللسان : « بمكانٍ حَلٍّ » . ومكان الحَلِّ : مكان الحلول والنزول . وينظر اللسان (ح ل ل) .

(٣) الطُّوْلُ : حبل طويل تشد به قائمة الدابة ، وقيل : هو الحبل تشد به ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترعى . وشدد الراجز الطُّوْلَ للضرورة . اللسان (ط و ل) .

(٤ - ٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ : « قتال » ، وفي اللسان : « قتل لي » ، وفي المجالس واللسان (ط و ل ، ق ت ل) « قَتْلِي » كأنه أدغم « قتل لي » ، ولا شاهد في كل ذلك . قال في اللسان : ويروى : « عن قتلًا لي » على الحكاية ، أى : عن قولها : قتلًا له .

والرواية التي أشار إليها صاحب اللسان هي رواية سر صناعة الإعراب ، كما ذكر ذلك محقق المجالس . (٥ - ٥) في النسخ : « كل أي » ، وهي عبارة مضطربة ، ولعلها تحريف ما أثبتناه ، إذ لا يخفى أن الكلام منصب على مجيء « قتلًا » . على وجه الحكاية .

(٦) الضمير في كلمة « فيها » يرجع إلى « حمراء وبيضاء »؛ إذ القياس في همزتها عند التثنية أن تقلب واوًا، تقول: حمراوان وبضاوان. ينظر ما لا ينصرف للزجاج ص ٣٢، وشرح ابن عقيل ٢/ ٤٤٥، ٤٤٦.

فَقِيلَ : فُعِلَ «أُخِرُ» ، فَتَرِكَ صَرْفُهَا كَمَا تَرِكَ صَرْفُ «أُخْرَى» ، وَبُنِيَ جَمْعُ «حَمْرَاءَ» وَ«بَيْضَاءَ» عَلَى خِلَافٍ وَاحِدِيَّةٍ ، فَصُرِفَ ، فَقِيلَ : حُمُرٌ وَبَيْضٌ . فَلَاحْتِلَافٍ حَالَتَيْنِهُمَا فِي الْجَمْعِ ، اخْتَلَفَ إِعْرَابُهُمَا عِنْدَهُمْ فِي الصَّرْفِ ، وَلَاتُفَاقٍ حَالَتَيْنِهُمَا فِي الْوَاحِدَةِ ، اتَّفَقَتْ حَالَتَاهُمَا فِيهَا .

١٧٢/٣ / وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ مُتَشَبِهَةٌ ﴾ . فَإِنَّ مَعْنَاهُ : مُتَشَابِهَاتٌ فِي التَّلَاوَةِ ، مُخْتَلِفَاتٌ ^(١) فِي الْمَعْنَى ، كَمَا قَالَ جَلُّ ثَنَاهُ : ﴿ وَأَتَوُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة : ٢٥] . يَعْنِي : فِي الْمُنْتَظَرِ ، مُخْتَلِفًا فِي الْمَطْعَمِ . وَكَمَا قَالَ مُخْبِرًا عَمَّنْ أَخْبَرَ عَنْهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة : ٧٠] . يَعْنُونَ بِذَلِكَ : تَشَابَهَ عَلَيْنَا فِي الصِّفَةِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَنْوَاعُهُ .

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ : إِنْ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْقُرْآنَ ، ﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكِمُكَ ﴾ بِالْبَيَانِ ، هُنَّ أَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي عَلَيْهِ عِمَادُكَ وَعِمَادُ أُمَّتِكَ فِي الدِّينِ ، وَإِلَيْهِ مَفْزَعُكَ وَمَفْزَعُهُمْ فِيمَا افْتَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ، وَأَيَّاتُ أُخْرُ هُنَّ مُتَشَابِهَاتٌ فِي التَّلَاوَةِ ، مُخْتَلِفَاتٌ فِي الْمَعَانِي .

وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَةٌ ﴾ . وَمَا ^(٢) الْمُحْكَمُ مِنْ آيِ الْكِتَابِ ؟ وَمَا الْمُتَشَابَهُ مِنْهُ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْمُحْكَمَاتُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ : الْمَعْمُولُ بِهِنَّ ، وَهِنَّ النَّاسِخَاتُ ، أَوِ الْمُثَبَّتَاتُ الْأَحْكَامُ ، وَالْمُتَشَابِهَاتُ مِنْ آيِهِ : الْمَتْرُوكُ الْعَمَلُ بِهِنَّ الْمَنْسُوخَاتُ .

(١) فِي ت ٢ : «مختلفة» .

(٢) فِي ت ٢ : «أما» .

ذكر من قال ذلك

حدَّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، عمن حدَّته ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ مِنْهُ ءَايَتٌ مُّحْكَمَتٌ ﴾ قال : هي الثلاث الآيات التي ههنا ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١] إلى ثلاث آيات ، والتي في بنى إسرائيل ﴿ وَقَضَىٰ رَبِّيكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٢٣] إلى آخر الآيات ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ^(٢) ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَتٌ مُّحْكَمَتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ : المحكمات : ناسخه ، وحلاله ، وحرامه ، وحذوده ، وفرائضه ، وما يؤمن به ويعمل به . قال : ﴿ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ : والمتشابهات : منسوخه ، ومقدمه ، ومؤخره ، وأمثاله ، وأقسامه ، وما يؤمن به ولا يعمل به ^(٣) .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الآية » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٢/٢ (٣١٦٩) من طريق هشيم به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢ - ٢) سقط من : ت ١ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٢/٢ ، ٥٩٣ ، (٣١٦٧ ، ٣١٧٤) من طريق أبي صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى ابن المنذر .

(تفسير الطبري ١٣/٥)

إلى ﴿وَأُخِرَ مُتَشَبِهَةً﴾ : فالمحكمات التي هي أم الكتاب : الناسخ الذي يُدان به ويُعمل به ، والمتشابهات : هن المنسوخات التي لا يُدان بهن^(١) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشَّدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله : ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ : أما الآيات المحكمات ، فهن الناسخات التي يُعمل بهن ، وأما المتشابهات ، فهن المنسوخات^(١) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ : والمحكمات : الناسخ الذي يُعمل به ما أحلَّ الله فيه حلاله ، وحرم فيه حرامه ، وأما المتشابهات : فالمنسوخ الذي لا يُعمل به ويؤمن به^(٢) ١٧٣/٣ .

/حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ قال : المحكم : ما يُعمل به^(٣) .

(١) عزه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى المصنف .

(٢) ينظر تفسير البغوي ٢/٣٣٥ ، والحرر الوجيز ٨/٢ ، وتفسير القرطبي ٤/١٠٠ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١١٥/١ .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أَبِيهِ ، عن الرَّبِيعِ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ قال : الْمُحْكَمَاتُ : النَّاسِخُ الَّذِي يُعْمَلُ بِهِ ، وَالْمُتَشَابِهَاتُ : [٣٨٣/١] الْمَنْسُوخُ الَّذِي لَا يُعْمَلُ بِهِ ، وَيُؤْمَنُ بِهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ قال : النَّاسِخَاتُ . ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ قال : مَا نُسِخَ وَتُرِكَ يُثَلَّى ^(٢) .

حَدَّثَنِي ابْنُ وَكِيعٍ ، قال : ثنا أَبِي ، عن سَلَمَةَ بْنِ نُبَيْطٍ ، عن الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاهِمٍ ، قال : الْمُحْكَمُ مَا لَمْ يُنْسَخْ ، وَمَا تَشَابَهَ مِنْهُ : مَا نُسِخَ ^(٣) .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قال : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ، قال : أَخْبَرَنَا جُوَيْرٌ ، عن الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ قال : النَّاسِخُ ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ قال : الْمَنْسُوخُ ^{(٢)(٣)} .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قال : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ يَحْدُثُ ، قال : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ^(٤) ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٢/٢ ، ٥٩٣ عقب الأثر (٣١٦٧ ، ٣١٧٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) تفسير سفيان الثوري ص ٧٥ عن سلمة بن نبيط أو جوير به .

(٣) بعده في م : « حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ قال : المحكمات : الذي يعمل به » .

(٤) في ت ٢ : « سلمان » .

يعنى الناسخ الذى يُعْمَلُ به ﴿وَأُخْرُ مُتَشَبِهَةٌ﴾ يعنى المنسوخ ، يُؤْمَنُ به ولا يُعْمَلُ به .

حدثنى أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سلمة ، عن الضحاك : ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ قال : ما لم يُنسخ ، ﴿وَأُخْرُ مُتَشَبِهَةٌ﴾ قال : ما قد نُسخ . وقال آخرون : المحكمات من آي الكتاب ما أحكم الله فيه بيان حلاله وحرامه ، والمتشابه منها ما أشبه بعضه بعضاً فى المعانى ، وإن اختلفت ألفاظه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ : ما فيه من الحلال والحرام ، وما سوى ذلك ، فهو متشابهة يُصَدَّقُ^(١) بعضه بعضاً ، وهو مثل قوله : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة : ٢٦] . ومثل قوله : ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٥] . ومثل قوله : ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآثَنَهُمْ قَوْلُهُمْ﴾^(٢) [محمد : ١٧] .

حدثنى المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله^(٣) .

(١) فى ص : «يصرف» .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٨ .

(٣) أخرجه عبد بن حميد فى تفسيره - كما فى تغليق التعليق ١٩٠/٤ - من طريق شبيل به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٢ إلى القرابى .

وقال آخرون : المحكمات من آي الكتاب ما لم يَحْتَمِلَ من التأويل غير وجه واحد ؛ والمتشابه منها : ما احتمل من التأويل أوجهًا .

/ ذكُرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

١٧٤/٣

حدثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمدُ ابنُ جعفر بن الزبير : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ : فيهنَّ حُجَّةُ الرَّبِّ ، وعِصْمَةُ الْعِبَادِ ، ودَفْعُ الْخُصُومِ وَالْبَاطِلِ ، ليس لها تَصْرِيْفٌ وَلَا تَحْرِيفٌ عما وُضِعَتْ عليه ، ﴿ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَةٌ ﴾^(١) في الصِّدْقِ ، لهنَّ تَصْرِيْفٌ وَتَحْرِيفٌ وتَأْوِيلٌ ، ابتَلَى اللَّهُ فِيهِنَّ الْعِبَادَ ، كما ابتَلَاهُمْ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، لَا يُصَرِّفُونَ إِلَى الْبَاطِلِ وَلَا يُحَرِّفُونَ عَنِ الْحَقِّ^(٢) .

وقال آخرون : معنى المُحْكَمِ ما أَحْكَمَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ ، وَقَصَصِ الْأُمَمِ وَرُسُلِهِمُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ ، فَفَصَّلَهُ بَيَانِ ذَلِكَ لِمُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ . وَالتَّشَابُهُ هُوَ مَا اسْتَبْتَهتِ الْأَلْفَاظُ بِهِ مِنْ قِصَصِهِمْ ، عِنْدَ التَّكْرِيرِ فِي السُّورِ ، بِقِصَّةِ^(٣) بِاتِّفَاقِ الْأَلْفَاظِ وَاخْتِلَافِ الْمَعَانِي ، وَبِقِصَّةِ^(٤) بِاخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ وَاتِّفَاقِ الْمَعَانِي .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد وقرأ : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَبِيٌّ قَدْ أَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقَهُمْ فَنَقَضَهُمْ مِنْ يَدِهِمْ ﴾ [هود : ١] قال : وذكر حديث رسول

(١) في م : « متشابهة » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٢/٢ ، ٥٩٤ (٣١٧١ ، ٣١٧٧ ، ٣١٧٨) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٣) في م : « قصة » .

(٤) في م : « قصة » .

اللَّهُ ﷻ فِي أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ آيَةً مِنْهَا ، وَحَدِيثَ نُوحٍ فِي أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ آيَةً مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ [هود : ٤٩] ، ثُمَّ ذَكَرَ : ﴿ وَإِلَى عَادٍ ﴾ [هود : ٥٠] فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ ﴿ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ ^(١) ، ثُمَّ مَضَى ، ثُمَّ ذَكَرَ صَالِحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَلُوطًا وَشُعَيْبًا ، وَفَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ ، وَهَذَا يَقِينٌ ، ذَلِكَ يَقِينٌ ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ ^(٢) . قَالَ : وَالْمُتَشَابِهُ ذِكْرُ مُوسَى فِي أَمَكْنَةٍ كَثِيرَةٍ ، وَهُوَ مُتَشَابِهٌ ، وَهُوَ كُلُّهُ مَعْنَى وَاحِدٌ ، ^(٣) وَهُوَ مُتَشَابِهٌ ^(٤) : ﴿ فَاسْأَلْ فِيهَا ﴾ [المؤمنون : ٢٧] ، ﴿ أَتَحْمِلُ فِيهَا ﴾ [هود : ٤٠] ، ﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ ﴾ [القصاص : ٣٢] ، ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ ﴾ [النمل : ١٢] ، ﴿ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه : ٢٠] ، ﴿ تُعْبَأُ مُبِينٌ ﴾ [الشعراء : ٣٢] .

قَالَ : ثُمَّ ذَكَرَ هُودًا فِي عَشْرِ آيَاتٍ مِنْهَا ، وَصَالِحًا فِي ثَمَانِي آيَاتٍ مِنْهَا ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي ثَمَانِي آيَاتٍ أُخْرَى ، وَلُوطًا فِي ثَمَانِي آيَاتٍ مِنْهَا ، وَشُعَيْبًا فِي ثَلَاثَ عَشْرَةَ آيَةً ، وَمُوسَى فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ ، كُلُّ هَذَا يَقْضِي بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَبَيْنَ قَوْمِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ، فَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى مِائَةِ آيَةٍ مِنْ سُورَةِ هُودٍ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٠] . وَقَالَ فِي الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ : مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ الْبَلَاءَ وَالضَّلَالََةَ يَقُولُ : مَا شَأْنُ هَذَا ^(٥) لَا يَكُونُ هَكَذَا ؟

(١) فِي النسخ : « وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ » . وَأَثْبَتْنَاهُ بِدُونِ الْوَاوِ لَمَّا ذَكَرَ بَعْدَهُ قَالَ : « ثُمَّ مَضَى ثُمَّ ذَكَرَ صَالِحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَلُوطًا وَشُعَيْبًا » . فَبَيَّنَ أَنَّهُ أَرَادَ الَّتِي مِنْ قَوْلِ هُودٍ : « يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ » ، لَا الَّتِي مِنْ قَوْلِ شُعَيْبٍ : « وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ » .


(٢) الْيَقِينُ : تَحْقِيقُ الْأَمْرِ . وَيَقِينٌ ﴿ أَحْكِمْتَ ... ﴾ : تَحْقِيقُهَا . يَنْظُرُ اللِّسَانُ (ي ق ن) .

(٣ - ٣) فِي م : « وَمُتَشَابِهٌ » .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ : ت ٢ .

(٥) فِي ت ٢ : « هَذَا » .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٩٩٥/٦ مِنْ طَرِيقِ أَصْبَغِ بْنِ الْفَرَجِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ بِهِ .

وقال آخرون : بل المحكم من آي القرآن ما عرّف العلماء تأويله ، وفهموا معناه وتفسيره . والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيلٌ مما استأثر الله بعلمه دون خلقه ، وذلك نحو الخبر عن وقت^(١) مخرج عيسى ابن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، وقيام الساعة ، وفناء الدنيا ، وما أشبه ذلك ، فإن ذلك لا يعلمه أحدٌ . وقالوا : إنما سمى الله من آي الكتاب المتشابه الحروف المقطعة التي في أوائل بعض سور القرآن ، من نحو ﴿الْم﴾ ، و ﴿الْمَص﴾ [الأعراف : ١] ، و ﴿الْمَرْ﴾ [الرعد : ١] و ﴿الْر﴾ وما أشبه ذلك ؛ لأنهن متشابهات في الألفاظ ، وموافقات حروف حساب الجُمَّل^(٢) ، وكان قومٌ من اليهود على عهد رسول الله ﷺ طمِعوا أن يُدرِكُوا مِن قِبَلِها معرفة مدة الإسلام وأهله ، وَيَعْلَمُوا نهاية أَكُلِ^(٣) محمد وأُمّته ، فأكذب الله أُحدوثهم بذلك ، وأَعْلَمَهُم أن ما ابْتَغَوْا عِلْمَهُ من [٣٨٤/١] ذلك من قِبَلِ هذه الحروف المتشابهة لا يُدرِكُونَهُ ، ولا مِن قِبَلِ غيرها ، وأن ذلك لا يَعْلَمُهُ/إِلاَّ اللهُ . وهذا ١٧٥/٣ قولٌ ذَكَرَ عن جابر بن عبد الله بن رِثَابٍ^(٤) أن هذه الآية نَزَلَتْ فيه ، وقد ذَكَرْنَا الرواية بذلك عنه وعن غيره ممن قال نحو مقالته في تأويل ذلك في تفسير قوله : ﴿الْم﴾  ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿ [البقرة : ١ ، ٢] .

وهذا القول الذي ذَكَرْنَاهُ عن جابر بن عبد الله أشبه بتأويل الآية ، وذلك أَنَّ جميع ما أنزل الله عز وجل من آي القرآن على رسوله ﷺ فَإِنَّمَا أنزله عليه بياناً له ولأُمّته ، وهُدًى للعالمين ، وغير جائز أن يكون فيه مالا حاجة بهم إليه ، ولا أن يكون

(١) سقط من : ت ٢ .

(٢) ينظر ما تقدم في ٢١٠/١ .

(٣) في م : «أجل» . والأَكُلُ : الرزق ، والحطُّ من الدنيا . ويقال : انقطع أَكُلُهُ : إذا مات . ينظر أساس البلاغة ، واللسان (أ ك ل) .

(٤) في م : «رباب» . وينظر أسد الغابة ٣٠٦/١ ، ٣٠٧ ، والإصابة ٤٣٣/١ .

فيه ما بهم إليه الحاجة ، ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل .
 فإذا^(١) كان ذلك كذلك ، فكل ما فيه لخلقهِ^(٢) إليه الحاجة ، وإن كان في بعضه ما بهم عن بعض معانيه الغنى ، وإن اضطررته الحاجة إليه في معانٍ كثيرة ، وذلك كقول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] . فأعلم النبي ﷺ أمته أن تلك الآية التي أخبر الله جل ثناؤه عباده أنها إذا جاءت لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ذلك ، هي طلوع الشمس من مغربها ، فإن الذي كانت بالعباد إليه الحاجة من علم ذلك هو العلم منهم بوقت نفع التوبة بصفته ، بغير تحديده^(٣) بعد السنين والشهور والأيام ، فقد بين الله ذلك لهم بدلالة الكتاب ، وأوضحه لهم على لسان رسوله ﷺ مفسراً ، والذي لا حاجة بهم إلى علمه منه هو العلم بمقدار المدة التي بين وقت نزول هذه الآية ، ووقت حدوث تلك الآية ، فإن ذلك مما لا حاجة بهم إلى علمه في دين ولا دنيا ، وذلك هو العلم الذي استأثر الله جل ثناؤه به دون خلقه ، فحجبه عنهم ، وذلك وما أشبهه هو المعنى الذي طلبت اليهود معرفته في مدة محمد ﷺ وأُمته من قبل قوله : ﴿ الرَّءِىْ ﴾ ، و ﴿ التَّمَصَّ ﴾ ، و ﴿ الرَّءِىْ ﴾ ، و ﴿ التَّمَصَّ ﴾ ، ونحو ذلك من الحروف المقطعة المتشابهات ، التي أخبر الله ، جل ثناؤه ، أنهم لا يُدْرِكُون تأويل ذلك من قبيله ، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله .

فإذا كان المتشابه هو ما وصفنا ، فكل ما عداه فمُحَكَّم ؛ لأنه لن يخلو من أن

(١) في م : « فإذا » .

(٢) في ص : « محلقه » . بغير نقط .

(٣ - ٣) في م : « بعد بالسنين » .

يكون مُحْكَمًا ، بأنه بمعنى واحد ، لا تأويل له غير تأويل واحد ، وقد استُغْنِيَ بِسَمَاعِهِ
عن بيان مُبَيِّنِهِ ، ^(١) «أَوْ يَكُونُ مُحْكَمًا» ، وإن كان ذا وجوه وتأويلات وتَصَرُّفٍ في
معانٍ كثيرة ، بالدلالة ^(٢) على المعنى المراد منه ، إما من بيان الله تعالى ذكره عنه ، أو
بيان رسوله ﷺ لأُمتِهِ ، ولن يذهب علم ذلك عن علماء الأُمَّة ؛ لما قد بَيَّنَّا .

القول في تأويل قوله : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكَتَبِ ﴾ .

قد أتينا على البيان عن تأويل ذلك ، بالدلالة الشاهدة على صحة ما قلنا فيه ،
ونحن ذاكرُو اختلاف أهل التأويل فيه ، وذلك أنهم اختلفوا في تأويله ؛ فقال
بعضهم : معنى قوله : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكَتَبِ ﴾ : هن الآئ ^(٣) فيهن الفرائض والحدود
والأحكام . نحو قولنا الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا
إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر أنه قال في هذه الآية : ﴿ مُحْكَمَتْ هُنَّ أُمَّ
الْكَتَبِ ﴾ قال يحيى : هن اللاتي فيهن الفرائض والحدود وعماد الدين . وضرب
لذلك مثلاً ، فقال : أُمُّ الْقَرْيَةِ مَكَّةُ ، وأُمُّ خُرَاسَانَ مَرْوُ ، وأُمُّ الْمَسَافِرِينَ الذي يجعلون
إليه أمرهم ، ويُعْنَى بهم في سفرهم . قال : فذاك أُمُّهم ^(٤) .

/ حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ هُنَّ أُمَّ ﴾ ١٧٦/٣

(١ - ١) سقط من : ت ٢ .

(٢) في م : « فالدلالة » .

(٣) في م : « اللاتي » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٣/٢ (٣١٧٢) من طريق إسحاق بن سويد ، به ، وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن الضريس .

الْكِتَابِ ﴿١﴾ قال : هُنَّ جَمَاعُ الْكِتَابِ ^(١) .

وقال آخرون : بل يعنى ^(٢) بذلك فوائح السور التي منها يُسْتَخْرَجُ القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن أبي فاختة أنه قال في هذه الآية : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكَمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ قال : أم الكتاب فوائح السور ، منها يُسْتَخْرَجُ القرآن ﴿ اَلَمْ ﴾ ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ منها اسْتُخْرِجَتْ « البقرة » ، و ﴿ اَلَمْ ﴾ ﴿ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ﴾ منها اسْتُخْرِجَتْ « آل عمران » .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق وانحراف عنه ، يقال منه : زاع فلان عن الحق ، فهو يزيع عنه زيعاً وزيعاناً وزيعوغاً وزيوغاً ، وأزاعه الله ، إذا أماله ، فهو يزيعه . ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُغِثْ قُلُوبَنَا ﴾ . لا تميلها عن الحق ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٣٦ .

(٢) فى م : « معنى » . وفى ت ٢ : « المعنى » .

ابن الزبير : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أى : مَيْلٌ عن الهدى ^(١) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ قال : شك ^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو [٣٨٤/١] حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله ^(٣) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ قال : من أهل الشك ^(٤) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ : أما الزَّيْغُ فالشك ^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨٣) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٨ .

(٣) أخرجه عبد بن حميد - كما في تغليق التعليق ١٩٠/٤ - من طريق شبل به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨١) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٢ إلى ابن المنذر .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٢ إلى المصنف .

مجاهد، قال : ﴿ زَيْغٌ ﴾ : سَكٌّ . قال ابنُ جريج : ﴿ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ : المنافقون ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ : ما تشابهت ألفاظه وتَصَرَّفَتْ معانيه بوجوه التأويلات ؛ لِيَحَقِّقُوا بِأَدْعَائِهِمُ الْبَاطِلَ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ فِي ذَلِكَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالزَّيْغِ عَنْ مَحَجَّةِ ^(٢) الْحَقِّ ، تَلْبِيسًا مِنْهُمْ بِذَلِكَ عَلَى مَنْ ضَعُفَتْ مَعْرِفَتُهُ بِوَجْهِهِ تَأْوِيلِ ذَلِكَ وَتَصَارِيفِ مَعَانِيهِ .

١٧٧/٣ / كما حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ : فَيَحْمِلُونَ الْمُحْكَمَ عَلَى الْمُتَشَابِهِ ، وَالمُتَشَابِهَ عَلَى الْمُحْكَمِ ، وَيُلَبِّسُونَ ، فَلَبَّسَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمد بنِ جعفر بنِ الزبير : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ أى : ما تَحَرَّفَ مِنْهُ وَتَصَرَّفَ ؛ لِيَصْدُقُوا بِهِ مَا ابْتَدَعُوا وَأَحَدُوا ، لِيَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ عَلَى مَا قَالُوا وَشُبْهَةٌ ^(٤) .

(١) تقدم قول مجاهد في الصفحة السابقة ، وقول ابن جريج عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢ إلى المصنف .

(٢) فى ت ٢ : « الحجة » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨٥) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٨٨) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريج ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ قال : الباب الذي ضلُّوا منه وهلكوا فيه ابتغاءً تأويله ^(١) .

وقال آخرون في ذلك بما حَدَّثَنِي به موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في قوله : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ : يَتَّبِعُونَ المنسوخَ والناسخَ ، فيقولون : ما بالُ هذه الآيةِ عُمِلَ بها كذا وكذا مكانُ ^(٢) هذه الآيةِ ، فثَرَكَتِ الأولى وعُمِلَ بهذه الأُخرى ! هَلَّا كان العملُ بهذه الآيةِ قبلَ أن تَجِيءَ الأولى التي نُسِخَتْ ؟ وما بالُه يُعَذِّبُ مَنْ عَمِلَ عملاً يُعَذِّبُهُ ^(٣) النَّارَ ، ^(٤) وفي ^(٥) مكانٍ آخَرَ مَنْ عَمِلَهُ فإنه لم يُوجِبْ له ^(٥) النَّارَ ؟ ^(٦)

واختَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ في مَنْ غُنِيَ بهذه الآيةِ ؛ فقال بعضهم : غُنِيَ به الوفدُ مِن نَصَارَى نَجْرَانَ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَحَاجَّوْهُ بِمَا حَاجَّوْهُ بِهِ وَخَاصَمُوهُ ، بَأْنَ قَالُوا : أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ؟ وتَأَوَّلُوا ^(٧) في ذلك ما يقولون فيه من الكفرِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ،

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « مجاز » . وصواب قراءة ما في « ص » هو ما أثبتنا .

(٣) في م : « يُعَذِّبُهُ » .

(٤ - ٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « في » .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٥/٢ ، ٥٩٦ ، (٣١٨٦) من طريق عمرو بن حماد .

(٧) في ت ، ٢ : « قالوا » .

قال : عَمَدُوا - يعنى الوفد الذين قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ من نصارى نَجْرَانَ - فخاصَّمُوا النَبِيَّ ﷺ ، فقالوا : أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحٌ مِنْهُ ؟ قال : « بلى » . قالوا : فَحَسْبُنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ . ثم إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْزَلَ : ﴿ لَاتَ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ ﴾ [آل عمران : ٥٩] الآية ^(١) .

وقال آخرون : بل أُنْزِلَتْ هذه الآيةُ فى أبى ياسِرِ بنِ أخطَبَ ، وأخيه حُثَيِّ بنِ أخطَبَ ، والنَّفَرِ الذين نَظَرُوا رسولَ الله ﷺ فى قَدَرِ مَدَّةٍ ^(٢) أَكَلَهُ وَأُكِّلَ ^(٣) أُمَّتُهُ ، وَأَرَادُوا عِلْمَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ قَوْلِهِ : ﴿ لَمْ ﴾ ، و ﴿ لَمْ ﴾ ، و ﴿ لَمْ ﴾ ، و ﴿ لَمْ ﴾ ، و ﴿ لَمْ ﴾ ، فقال الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِمْ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ : يعنى هؤلاء اليهود الذين قُلُوبُهُمْ مَائِلَةٌ عَنِ الْهُدَى وَالْحَقِّ ، ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ﴾ : يعنى معانى هذه الحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ ، الْمُحْتَمِلَةِ التَّصْرِيفِ فى ^(٤) الوجوه المختلفة ^(٥) التَّأْوِيلَاتِ ؛ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ .

وقد ذَكَرْنَا الرِّوَايَةَ بِذَلِكَ فيما مَضَى قَبْلُ فى أولِ السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا الْبَقَرَةُ . وقال آخرون : بل عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ كُلِّ مُبْتَدِعٍ فى دينِهِ بَدْعَةً مُخَالِفَةً لِمَا ابْتِغَثَ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ ، بِتَأْوِيلِ ^(٦) يَتَأَوَّلُهُ مِنْ ^(٧) بَعْضِ آيِ الْقُرْآنِ الْمُحْتَمِلَةِ التَّأْوِيلَاتِ ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَحْكَمَ بَيَانَ ذَلِكَ ، إِمَّا فى كِتَابِهِ ، وَإِمَّا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٨٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أَجَلُهُ وَأَجَلٌ » . وتقدم فى ص ١٩٩ .

(٣) سقط من : ت ٢ .

(٤) فى ت ٢ : « الْمُحْتَمِلَةُ » .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « تَأْوِيلٌ » .

(٦) فى ت ٢ : « فى » .

/ ذَكُرْ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ .
 وَكَانَ قَتَادَةُ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ قَالَ : إِنْ لَمْ يَكُونُوا الْحُرُورِيَّةَ ^(١) وَالسَّبَائِيَّةَ ^(٢) ، فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ ؟ وَلَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ بَدْرٍ وَالْحُدَيْبِيَّةِ الَّذِينَ شَهِدُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، خَبَرٌ لِمَنْ اسْتَحْبَرَ ، وَعِبْرَةٌ لِمَنْ اسْتَعْتَبَرَ ، لِمَنْ كَانَ يَعْقِلُ أَوْ يُنْصِرُ . إِنْ الْخَوَارِجُ خَرَجُوا وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ بِالْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، وَأَزْوَاجُهُ [٣٨٥/١] يَوْمَئِذٍ أَحْيَاءُ ، وَاللَّهُ إِنْ خَرَجَ مِنْهُمْ ذَكَرٌ وَلَا أَنْتَى حَزُورِيًّا قَطُّ ، وَلَا رَضُوا الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا مَالَتْهُمُ فِيهِ ، بَلْ كَانُوا يُحَدِّثُونَ بَعْضُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهُمْ ^(٣) ، وَنَعْتَهُ الَّذِي نَعْتَهُمْ بِهِ ، وَكَانُوا يُنْغَضُونَهُمْ بِقُلُوبِهِمْ ، وَيُعَادُونَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَتَشْتَدُّ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ إِذَا لَقَوْهُمْ ، وَلَعَمْرِي ، لَوْ كَانَ أَمْرُ الْخَوَارِجِ هُذًى لَاجْتَمَعَ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ ضَلَالًا تَفَرَّقَ ، وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ إِذَا كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ وَجَدْتَ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَقَدْ أَلْضَوْا ^(٤) هَذَا الْأَمْرَ مِنْذُ

(١) الحرورية : هم فرقة الخوارج ، وسُمُّوا بهذا الاسم لأنهم بعد خروجهم على عليٍّ رضي الله عنه ورفضهم التحكيم ، نزلوا بموضع قرب الكوفة يقال له : حروراء . ينظر مقالات الإسلاميين ٢٠٧/١ ، ومعجم البلدان ٣٣٦/٢ .

(٢) في م : « السبئية » .

والسبائية : إحدى فرق الشيعة الغالية ، وهي تنسب إلى عبد الله بن سبأ ، فبهه الله ، ومن جهالانهم زعمهم أن عليا لم يمت ، وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وأن علياً في السحاب ، والرعد صوته ، والبرق سوطه ... إلى غير ذلك من ترهاتهم . ينظر مقالات الإسلاميين ٨٦/١ ، والملل والنحل ٣٦٥/١ وما بعدها .

(٣) في م : « إياه » .

(٤) أَلْضَوْا الْأَمْرَ : أَدَارَهُ ، وَأَلْضَوْا فَلَانًا عَلَى الْأَمْرِ : أَدَارَهُ عَلَيْهِ وَأَرَادَهُ مِنْهُ ، وَيُقَالُ : أَلْضَعْتُ أَنْ أَخْذَ عَنْهُ شَيْئًا : أَرَدْتُ . التاج (ل و ص) .

زمان طويل ، فهل أفلحوا فيه يوماً أو أنجحوا ؟ يا سبحان الله ! كيف لا يَغْتَبِرُ آخِرُ هؤلاء القومِ بأُولِهِم ! لو ^(١) كانوا على هُدًى قد أظهره الله وأفلجه ^(٢) ونصره ، ولكنهم كانوا على باطلٍ أكذبه الله وأدحضه ، فهم كما رأيتهُم ، كلُّما خرج لهم قُرْآنٌ أدحض الله حُجَّتَهُم ، وأكذب أخذوثَهُم ، وأهراقَ دماءَهُم ، وإن كَتَمُوا كان قَرْحاً في قلوبِهِم ، وعُماً عليهم ، وإن أظهره ، أهرقَ الله دماءَهُم ، ذاكُم ، والله ، دينٌ سوءٍ فاجتنبوه ، والله إن اليهودية ^(٣) لبِدْعَةٌ ، وإن النصرانية لبِدْعَةٌ ، وإن الحزورية لبِدْعَةٌ ، وإن السبائية ^(٤) لبِدْعَةٌ ، ما نزل بهن كتابٌ ، ولا سنَّهن نبيٌّ ^(٥) .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ : طلبَ القومُ التأويلَ فأخطأوا التأويلَ ، وأصابوا الفتنةَ ، فاتَّبِعُوا ما تشابهَ منه ، فهلكوا مِنْ ذلك ، لَعَمْرِي لقد كان في أصحابِ بدرٍ والحديبية الذين شهدوا بيعة الرضوانِ . وذكرَ نحوَ حديثِ عبدِ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عنه .

حدثني محمدُ بنُ خالدٍ بنِ خِدَاشٍ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : ثنا إسماعيلُ ابنُ عُليَّةَ ، عن أيوبَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ أبي مُليكةَ ، عن عائشةَ قالت : قرأ رسولُ الله ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ . فقال : « فإذا رأيْتُم الذين يُجادِلون فيه ، فهم الذين عَنِ الله

(١) في ت ٢ : « ولو » .

(٢) في النسخ : « أفلجه » . وأفلجه : أظفره وغلبه وفضله ، وأفلج الله برهانه : قومه وأظهره . التاج (ف ل ج) .

(٣) في م : « اليهود » .

(٤) في س : « الصابئة » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١ / ١١٥ ، ١١٦ .

فاحذرُوهم»^(١) .

حدثنا ابنُ^(٢) عبدِ الأعلى ، قال : ثنا المُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قال : سَمِعْتُ أَيُّوبَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عن عائِشَةَ ، أنها قالت : قرأَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ إلى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ . قالت : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فإذا رأيتُم الذين / يُجَادِلُونَ فيه - أو قال : يَتَجَادَلُونَ فيه - فهم الذين عَنَى اللَّهُ فاحذرُوهم » . قال مَطَرٌ ، عن أَيُّوبَ أنه قال : « فلا تُجَالِسُوهم ، فهم الذين عَنَى اللَّهُ فاحذرُوهم »^(٣) .

حدثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الوهابِ ، قال : ثنا أَيُّوبُ ، عن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عن عائِشَةَ ، عن النَبِيِّ ﷺ بنحوِ معناه^(٤) .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن أَيُّوبَ ، عن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عن عائِشَةَ ، عن النَبِيِّ ﷺ نحوه^(٥) .

حدثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرنا الحارثُ ، عن أَيُّوبَ ، عن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عن عائِشَةَ زوجِ النَبِيِّ ﷺ ، قالت : قرأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ الآية كلها . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا رأيْتُم الذين يَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ والذين يُجَادِلُونَ فيه ، فهم الذين عَنَى اللَّهُ ، أولئك الذين قال اللَّهُ ، فلا

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٧) عن محمد بن خدّاش به . وأخرجه أحمد ٤٨/٦ (الميمية) عن إسماعيل ابن عليّ به .

(٢) سقط من : ت ٢ .

(٣) أخرجه ابن حبان (٧٦) من طريق المعتمر به .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٧) والآجزي في الشريعة (٧٦٩) ومحمد بن يحيى العبدى - كما في تفسير ابن كثير ٦/٢ - من طريق عبد الوهاب به .

(٥) سقط من : ت ٢ . والأثر في تفسير عبد الرزاق ١/١١٦ . (تفسير الطبري ١٤/٥)

تُجَالِسُوهُمْ»^(١) .

حدَّثنا ابنُ وَكِيعٍ ، قال : ثنا أبو أُسامَةَ ، عن يزيدَ بنِ إبراهيمَ ، عن ابنِ أبي مُليكةَ ، قال : سمعتُ القاسمَ بنَ محمدٍ يُحدِّثُ عن عائشةَ ، قالت : تلا النبي ﷺ هذه الآيةَ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ . ثم قرأ إلى آخرِ الآياتِ ، فقال : « إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ ، فاحذَرُوهُمْ »^(٢) .

حدَّثنا عليُّ بنُ سهلٍ ، قال : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عن حمادِ بنِ سلمةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : نَزَعَ^(٣) رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قد حذَرَكم اللَّهُ ، فإذا رأيتموهم فاعْرِفُوهم »^(٤) .

حدَّثنا عليُّ ، قال : ثنا الوليدُ ، عن نافعِ بنِ عمرَ ، عن ابنِ أبي مُليكةَ ، قال : حدَّثتني^(٥) عائشةُ ، قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فاحذَرُوهُمْ » . ثم

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام (١/٣٦ ب - ٣٧ أ) من طريق الحارث بن نيهان به .

(٢) أخرجه الطيالسي (١٥٣٦) وأحمد ٢٥٦/٦ (الميمنية) ، والدارمي ٥٤/١ ، ٥٥ ، والبخاري (٤٥٤٧) ، ومسلم (٢٦٦٥) ، وأبو داود (٤٥٩٨) ، والترمذي (٢٩٩٣ ، ٢٩٩٤) ، والطحاوي في المشكل (٢٥١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨٤) ، وابن حبان (٧٣) من طريق يزيد بن إبراهيم به .

(٣) انتزع بالآية والشعر : تمثل . ويقال للرجل إذا استنبط معنى آية : قد انتزع معنى جيداً . وهو مجاز . التاج (ن ز ع) .

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (٧٧١) من طريق علي بن سهل به .

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٦٣٠٤) من طريق الوليد بن مسلم به .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س : « عن » . وفي ت ٢ : « عن ابن » . والمثبت من شرح المشكل ، وينظر تهذيب الكمال ٢٩/٢٨٧ .

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من شرح المشكل .

نَزَعَ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ ، ولا يَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ ^(١) .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : أخبرنا عيسى ، قال : أخبرني شبيب بن سعيد ، عن رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عن عائشة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ . فقال ^(٢) : « فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ ، فَهُمْ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ ، فَاحْذَرُوهُمْ » ^(٣) .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحَكَمِ ، قال : ثنا خالد بن ^(٤) زيار ، عن نافع ، عن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عن عائشة في هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ الآية يَتَّبِعُهَا يَتْلُوها ، ثم يقول : « فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَاحْذَرُوهُمْ ، فَهُمْ الَّذِينَ [٣٨٥/١] عَنَى اللَّهُ » .

/ حدثنا ابن ^(٤) وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عن القاسم ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ في هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ إلى آخر الآية . قال : « هم الذين سَمَّاهُمُ اللَّهُ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » ^(٥) .

قال أبو جعفر : والذي يَدُلُّ عليه ظاهرُ هذه الآية أنها نزلت في الذين

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٥١٥) من طريق الوليد بن مسلم به .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٦/٢ .

(٤) سقط من : ت ٢ .

(٥) أخرجه الطيالسي (١٥٣٥) ، وأحمد ١٢٤/٦ ، ١٣٢ (الميمنية) ، والدارمي ٥٥/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨٤) ، والآجری في الشريعة (٧٧٠) ، وأبو نعيم في الحلية ١٨٥/٢ من طرق عن حماد به .

جادلوا رسولَ الله ﷺ بمتشابه ما أنزلَ إليه من كتابِ الله ؛ إمّا في أمرِ عيسى ، وإمّا في مُدَّةٍ «أَكَلِهِ وَأُكِّلِ» ^(١) أُمَّتِهِ ، وهو بأن يكونَ في الذين جادلوا رسولَ الله ﷺ بمتشابهه ^(٢) في مدته ومدة أُمَّتِهِ أَشْبَهُ ؛ لأنَّ قوله : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ . دالٌّ على أن ذلك إخبارٌ عن المدّة التي أرادوا عِلْمَهَا مِنْ قِبَلِ المتشابه الذي لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، فأما أمرُ عيسى وأَسْبَابِهِ ^(٣) ، فقد أَعْلَمَ اللَّهُ ذلك نبيّه محمدًا ﷺ وأُمَّتَهُ ، وبَيَّنَّهُ لَهُمْ ، فمعلومٌ أنه لم يَغْنِ ^(٤) إلا ما كان ^(٥) خفيًا عن الآحاد .

القول في تأويل قوله : ﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : ابتغاء الشُّرك .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حمّاد ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدِّي : ﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ قال : إرادة الشُّرك ^(٦) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ : يعني الشُّرك ^(٧) .

(١ - ١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «أجله وأجل» .

(٢) في ت ٢ . «في متشابهه» .

(٣) في ت ٢ : «أشباهه» .

(٤) في ص ، ت ٢ : «يعره» .

(٥) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «عليه» . ولعل صوابها : «علمه» .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٩١) من طريق عمرو بن حماد به .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٦/٢ عقب الأثر (٣١٩١) من طريق ابن أبي جعفر به .

وقال آخرون : معنى ذلك : ابتغاء الشُّبُهَاتِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو^(١) عاصم ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نُجَيْجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ اِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ قال : الشُّبُهَاتِ ، بها أُهْلِكُوا^(٢) .

حدَّثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شَيْلٌ ، عن ابنِ أبي نُجَيْجٍ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ اِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ : الشُّبُهَاتِ . قال : هلكوا به .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ اِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ قال : الشُّبُهَاتِ . قال : والشُّبُهَاتُ ما أُهْلِكُوا به .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ اِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ أى : اللَّبْسِ^(٣) .

وأوَّلَى القولَيْنِ في ذلك بالصواب قولُ مَنْ قال : معناه : إرادةُ الشُّبُهَاتِ واللَّبْسِ .

فمعنى الكلام إذن : فأما الذين في قلوبهم ميثٌ عن الحقِّ وخيفٌ عنه ، فيتَّبِعُونَ مِنْ آيِ الْكِتَابِ ما تشابَهَتْ / أَلْفَاظُهُ ، واحتُمِلَ صَرْفُهُ في وجوه ١٨١/٣ التَّأْوِيلَاتِ ، باحتمالِ المعاني المختلفة ؛ إرادةُ اللَّبْسِ على نفسه وعلى غيره ، احتجاجاً به على باطلِهِ الذي مال إليه قلبه ، دون الحقِّ الذي أبانه الله ، فأَوْضَحَهُ

(١) في ت ٢ : « ابن » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٩٠) .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٧/٢ (٣١٩٢) من طريق سلمة به ، عن ابن إسحاق قوله .

بالمُحْكَمَاتِ مِنْ آيِ كِتَابِهِ .

وهذه الآية وإن كانت نزلت في من ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشُّرْكِ ، فإنه معنًى بها كلُّ مُبتدِعٍ في دين الله بدعةً ، فمال قلبه إليها ، تأويلاً منه لبعضٍ متشابهةٍ آي القرآن ، ثم حاجَّ به وجادل به أهل الحق ، وعدلَ عن الواضح من أدلة آية المُحْكَمَاتِ ؛ إرادةً منه بذلك اللَّبْسَ على أهل الحق من المؤمنين ، وطلباً لِعِلْمِ تأويل ما تشابه عليه من ذلك ، كائناً مَنْ كان ، وأى أصنافِ البدعة^(١) كان ؛ من أهل النصرانية كان ، أو اليهودية ، أو المجوسية ، أو كان سبئياً ، أو حِزْوياً ، أو قَدَرِيّاً ، أو جَهْمِيّاً ، كالذى قال ﷺ : « فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِهِ ، فَهُمْ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ » .

وكما حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا سَفِيانٌ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَذَكَرَ عِنْدَهُ الْخَوَارِجُ وَمَا يَلْقَوْنَ عِنْدَ الْقُرْآنِ^(٢) ، فَقَالَ : يُؤْمِنُونَ بِمُحْكَمِهِ ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ . وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ الآية^(٣) .

وإنما قلنا القول الذي ذكرنا أنه أَوَّلَى التَّأْوِيلَيْنِ بقوله : ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ ؛ لأنَّ الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا أهل شُرْكِ ، وإنما أرادوا بطلبِ تأويلِ ما طلبوا تأويله - اللَّبْسَ على المسلمين ، والاحتجاج به عليهم ، ليصدُّوهم عمَّا هم عليه من الحق ، فلا معنًى لأنَّ يُقَالَ : فعلوا ذلك إرادةً الشُّرْكِ . وهم قد

(١) البدعة ، فَعَلَّةٌ : المبتدعة .

(٢) في النسخ : « الفرار » . والمثبت من مصادر التخریج .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٣١٣/١٥ ، والآجری فی الشريعة (٤٥) من طريق سفيان به .

كانوا مشركين .

القول في تأويل قوله : ﴿وَابْتَغَاءَ تَأْوِيلَهُ﴾ .

اختلف أهل التأويل في معنى « التأويل » الذي عني الله جل ثناؤه بقوله : ﴿وَابْتَغَاءَ تَأْوِيلَهُ﴾ ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : الأجل الذي أرادت اليهود أن تعرفه من انقضاء مدة أمر^(١) محمد ﷺ وأمر أمته من قبل الحروف المقطعة من حساب الجمل ك﴿المر﴾ ، و﴿المرص﴾ ، و﴿الر﴾ ، و﴿المر﴾ ، وما أشبه ذلك من الآجال .

ذكر من قال ذلك

حدثني المشي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : أمّا قوله : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ يعني : تأويله يوم القيامة ، إلا الله^(٢) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : عواقب القرآن . وقالوا : إنما أرادوا أن يعلموا متى يبيح ناسخ الأحكام التي كان الله جل ثناؤه شرعها لأهل الإسلام قبل مجيئه ، فنسخ ما قد كان شرعه قبل ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿وَابْتَغَاءَ

(١) سقط من : ت ٢ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٧/٢ (٣١٩٧) من طريق عبد الله بن صالح به .

تَأْوِيلُهُ ﴿١﴾ : [٣٨٦/١] أَرَادُوا ^(١) أَنْ يَغْلَبُوا تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ عَوَاقِبُهُ ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . وَتَأْوِيلُهُ : عَوَاقِبُهُ ؛ ^(٢) «مَتَى يَأْتِي» النَّاسُخُ مِنْهُ فَيَنْسَخَ الْمَنْسُوخَ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : وَابْتِغَاءَ ^(٤) تَأْوِيلِ مَا تَشَابَهَ ^(٥) مِنْ آيِ الْقُرْآنِ يَتَأَوَّلُونَهُ ، إِذْ كَانَ ذَا وَجْهِهِ وَتَصَارِيفَ فِي التَّأْوِيلَاتِ ، عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الزُّبَيْغِ ، وَمَا رَكِبُوهُ مِنَ الضَّلَالَةِ .

/ ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

١٨٢/٣

حَدَّثَنَا أَبُو حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ : وَذَلِكَ عَلَى مَا رَكِبُوا مِنَ الضَّلَالَةِ فِي قَوْلِهِمْ ^(٥) : خَلَقْنَا وَقَضَيْنَا ^(٦) .

وَالْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، مِنْ أَنْ ابْتِغَاءَ التَّأْوِيلِ الَّذِي طَلَبَهُ الْقَوْمُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ هُوَ مَعْرِفَةُ انْقِضَاءِ الْمُدَّةِ ، وَوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ ، وَالَّذِي ذَكَرْنَا عَنْ السَّدِيِّ مِنْ أَنَّهُمْ طَلَبُوا وَأَرَادُوا مَعْرِفَةَ وَقْتِ هَوَاجٍ قَبْلَ مَجِيئِهِ ، أَوَّلَى بِالصَّوَابِ ، وَإِنْ كَانَ السَّدِيُّ قَدْ أَغْفَلَ

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وَأَنْ أَرَادُوا » .

(٢ - ٣) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « حَتَّى يَنْسَخَ » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٩٧/٢ ، ٥٩٨ ، (٣١٩٣ ، ٣٢٠٠) مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ حَمَادٍ بِهِ .

(٤ - ٥) فِي ت ٢ : « تَأْوِيلُهُ » .

(٥) فِي م : « قَوْلُهُ » .

(٦) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٥٧٧/١ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٩٧/٢ (٣١٩٦) مِنْ طَرِيقِ سَلَمَةَ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَوْلَهُ بِمَعْنَاهُ .

معنى ذلك من وجه صرفه إلى خضره على أن معناه أن القوم طلبوا معرفة وقت مجيء الناسخ لما قد أحكم قبل ذلك .

وإنما قلنا : إن طلب القوم معرفة الوقت الذي هو جاء قبل مجيئه ، المحجوب علمه عنهم وعن غيرهم بمتشابه آي القرآن ، أولى بتأويل قوله : ﴿ وَأَتَّبَعْنَا فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ﴾ ؛ لما قد دللنا عليه قبل من إخبار الله جل ثناؤه أن ذلك التأويل لا يعلمه إلا الله ، ولا شك أن معنى قوله : وقضينا وفعلنا . قد علم تأويله كثير من جهلة أهل الشرك ، فضلاً عن أهل الإيمان وأهل الرسوخ في العلم منهم .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بذلك : وما يعلم وقت قيام الساعة ، وانقضاء مدة أكل محمد وأمه ، وما هو كائن ، إلا الله ، دون من سواه من البشر ، الذين أمثلوا إدراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة ، وأما الراسخون في العلم فيقولون : آمنا به كل من عند ربنا . لا يعلمون ذلك ، ولكن فضل عليهم في ذلك على^(١) غيرهم ، العلم^(٢) بأن الله هو العالم بذلك ، دون من سواه من خلقه .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، وهل « الراسخون » معطوفون^(٣) على اسم « الله » ، بمعنى إيجاب العلم لهم بتأويل المتشابه ، أم هم مستأنف ذكرهم بمعنى الخبر عنهم أنهم يقولون : آمنا بالمتشابه ، وصدقنا أن علم ذلك لا يعلمه إلا الله ؟ فقال

(١) في ت ٢ : « إلى » .

(٢) سقط من : ت ٢ .

(٣) في م : « معطوف » .

بعضهم : معنى ذلك : وما يعلم تأويل ذلك إلا الله وحده منفردًا بعلمه ، وأما الراسخون في العلم فإنهم اثبتوا الخبر عنهم بأنهم يقولون : آمنا بالمتشابه والمحكم ، وأن جميع ذلك من عند الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا خالد بن زيار ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ . قالت : كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ، ولم يعلموا تأويله ^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، قال : كان ابن عباس يقول ^(٢) : (وما يعلم تأويله إلا الله ^(٣) ويقول الراسخون في العلم ^(٤) آمنا به) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي الزناد ، قال : قال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٨) من طريق نافع به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) كذا في النسخ . وفي مصادر التخريج : « يقرؤها » . ويقول هنا بمعنى : يقرأ .

(٣ - ٣) في النسخ : « يقول الراسخون » . وأثبتنا نص قراءة ابن عباس كما في مصادر التخريج ، وينظر تفسير البحر المحيط ٣٨٤/٢ .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١١٦ ، ومن طريقه ابن أبي داود في المصاحف ص ٧٥ ، وأخرجه ابن الأنباري في الأضداد (ص ٤٢٦) من طريق الحسن بن يحيى به ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٢٨٩ ، من طريق معمر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

هشامُ بْنُ عُزْوَةَ : / كان أبى يقولُ فى هذه الآية : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : إنَّ الراسخين ^(١) فى العلم لا يَعْلَمُونَ تأويله ، ولكنهم يقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ ^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا يحيى بنُ واضح ، قال : ثنا عُبيدُ اللَّهِ ، عن أبى نَهِيكِ الأَسَدِيِّ قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ . فيقول ^(٣) : إنكم تَصِلُونَ هذه الآية ، وإنها مقطوعة : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ - ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ ، فانتهى عِلْمُهم إلى قولهم الذى قالوا ^(٤) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا ابنُ دُكَيْنٍ ، قال : ثنا عمرو بنُ عثمان بن عبدِ اللَّهِ بنِ مَوْهَبٍ ^(٥) ، قال : سَمِعْتُ عمرَ بنَ عبدِ العزيز يقولُ : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : انتهى عِلْمُ الراسخين فى العلم بتأويلِ القرآنِ إلى أن قالوا : ﴿ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ ^(٦) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا أَشْهَبُ ، عن مالكٍ فى قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ قال : ثم ابتدأ فقال : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ . وليس يَعْلَمُونَ تأويله ^(٧) .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٧) عن يونس به .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ : « فيقولون » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٦) من طريق يحيى بن واضح به .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ : « وهب » . وينظر تهذيب الكمال ١٥٠/٢٢ .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢ ، ٧ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٢ إلى المصنف .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما يَعْلَمُ تأويلَ ذلك إلا الله والراسخون في العلم ، وهم - مع عِلْمِهِم بذلك ورسوخِهِم في العلم - يقولون : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ .

ذكر من قال ذلك

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : أنا من يَعْلَمُ تأويله ^(١) .

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : ^(٢) يَعْلَمُونَ تأويله ، و ^(٣) يقولون : آمنا به ^(٤) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : يَعْلَمُونَ تأويله ، ويقولون : آمنا به ^(٥) .

حدَّثت عن عمارة بن الحسن ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ^(٦) [٣٨٦/١] ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : يَعْلَمُونَ تأويله ، ويقولون : آمنا به ^(٧) .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ﴾ ^(٨) الذي أراد ، ما أراد ^(٩) ! ﴿ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾

(١) أخرجه ابن الأنباري في الأضداد ص ٤٢٤ من طريق أبي عاصم به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٢ - ٣) سقط من : ت ٢ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، وأخرجه ابن الأنباري في الأضداد ص ٤٢٤ من طريق أبي عاصم به .

(٤) أخرجه عبد بن حميد في تفسيره - كما في التعليق ١٩٠/٤ - من طريق شبل به .

(٥) عزه السيوطي في الدر المنثور ٧/٢ إلى المصنف .

(٦ - ٧) في ت ٢ : « الذي أراد » . وفي سيرة ابن هشام : « الذي به أرادوا ما أرادوا » . والمثبت موافق لما في

تفسير ابن كثير .

يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ» ^(١) . ثم رَدُّوا تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ ^(٢) عَلَى مَا عَزَفُوا مِنْ تَأْوِيلِ الْحُكْمَةِ الَّتِي لَا تَأْوِيلَ لِأَحَدٍ فِيهَا إِلَّا تَأْوِيلٌ وَاحِدٌ ، فَاتَّسَقَ بِقَوْلِهِمُ الْكِتَابُ ، وَصَدَّقَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، فَتَقَدَّزَتْ بِهِ الْحُجَّةُ ، وَظَهَرَ بِهِ الْعَذْرُ ، وَزَاحَ ^(٣) بِهِ الْبَاطِلُ ، وَدُمِغَ بِهِ الْكُفْرُ ^(٤) .

فَمَنْ قَالَ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ فِي ذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنَّ الرَّاكِسِينَ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِإِيمَانِهِمْ / وَتَصَدِّقُهُمْ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يَزْفَعُ « الرَّاكِسِينَ فِي ١٨٤/٣ الْعِلْمِ » بِالْإِبْتِدَاءِ فِي قَوْلِ ^(٥) الْبَصَرِيِّ ، وَيَجْعَلُ خَبْرَهُ ﴿ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ » . وَأَمَّا فِي قَوْلِ بَعْضِ الْكُوفِيِّينَ فَبِالْعَائِدِ مِنْ ذِكْرِهِمْ فِي : ﴿ يَقُولُونَ ﴾ . وَفِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ بِجُمْلَةِ الْخَبَرِ عَنْهُمْ وَهِيَ ﴿ يَقُولُونَ ﴾ . وَمَنْ قَالَ الْقَوْلَ الثَّانِي ، وَزَعَمَ أَنَّ الرَّاكِسِينَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ ، عَطَفَ بـ « الرَّاكِسِينَ » عَلَى اسْمِ « اللَّهِ » ، فَرَفَعَهُمْ ^(٦) بِالْعَطْفِ عَلَيْهِ .

وَالصَّوَابُ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ مَرْفُوعُونَ بِجُمْلَةِ خَبَرِهِمْ بَعْدَهُمْ ، وَهُوَ : ﴿ يَقُولُونَ ﴾ ؛ لِمَا قَدْ بَيَّنَّا قَبْلَ مِنْ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَهُوَ فِيمَا بَلَغْنِي مَعَ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ أُتِي : (وَيَقُولُ ^(٧) الرَّاكِسُونَ فِي الْعِلْمِ) ^(٨) . كَمَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرُؤُهُ . وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ : (إِنَّ

(١) بعده في سيرة ابن هشام : « فكيف يختلف وهو قول واحد من رب واحد » .

(٢) في م : « المتشابهة » .

(٣) زاح الشيء : بَعُدَ وَذَهَبَ ، كَانَزَحَ بِنَفْسِهِ ، نَقُولُ : أَزْحَتْ عِلْتُهُ فَرَاخَتْ . النَّاجِ (ز ي ح) .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٨/٢ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بِهِ .

(٥) في ت ٢ : « قولي » .

(٦) في ت ٢ : « فرفعهم » .

(٧) في ت ٢ : « يقولون » .

(٨) ينظر المحرر الوجيز ٣٤٢/٢ ، وَتَفْسِيرُ الْبَحْرِ الْحَمِيطِ ٣٨٤/٢ .

تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ^(١) .

وأما معنى التأويل في كلام العرب ، فإنه التفسير والمزجج والمصير ، وقد أنشد بعض الرواة بيت الأغشى ^(٢) :

على أنها كانت تأوّل حُبّها تأوّل ^(٣) رُبْعِي السَّقَابِ ^(٤) فأصحبنا
وأصله : من آل الشيء إلى كذا ، إذا صار إليه ورجع ، يقول أولاً ، وأولته أنا ،
صيرته إليه .

وقد قيل : إن قوله : ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] أى : جزاء ، وذلك أن
الجزاء هو المعنى ^(٥) الذى آل إليه أمر القوم ، وصار إليه .

ويعنى بقوله : تأوّل حُبّها : تفسير حُبّها ورجعّه . وإنما يُريد بذلك أن
حُبّها كان صغيراً فى قلبه ، فال من الصغر إلى العظم ، فلم يزل يثبت حتى
أصحب ^(٦) فصار قديماً ، كالسقب الصغير الذى لم يزل يثبت حتى أصحب
فصار كبيراً مثل أمه .

وقد يُنشد هذا البيت ^(٧) :

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٣٤٢/٢ ، وأبو حيان فى البحر المحيط ٣٨٤/٢ ، وفى المصاحف لابن أبى داود ص ٥٩ : « وإن حقيقة تأويله ... » .

(٢) ديوانه ص ١١٣ .

(٣) فى م : « توالى » .

(٤) فى ت ٢ : « السقات » . والسقاب : جمع السقب ، وهو ولد الناقة الذكر ساعة يولد ، ولا يقال للأنثى : سقبة . ينظر التاج (س ق ب) .

(٥) سقط من : م ، س .

(٦) أصحب : ذل وانقاد . التاج (ص ح ب) .

(٧) رواية اللسان (ر ب ع ، و ل ي) :

ولكنها كانت نوى أجنبيّة توالى رُبْعِي السَّقَابِ فأصحبنا =

على أنَّها كانت تَوَابِعُ حُبِّهَا تَوَالِي رُبْعِي السَّقَابِ فَأَصْحَبَا
الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ .

يعنى بالراسخين فى العلم العلماء الذين قد اتقنوا علمهم ، ووعوه فحفظوه
حفظاً لا يَدْخُلُهُمْ فى معرفتهم وعلمهم بما علموه شك ولا لبس . وأصل ذلك من
رُسُوخِ الشئ فى الشئ ، وهو ثبوته وولوجه فيه ، يقال منه : رَسَخَ الإيمانُ فى قلبِ
فلانٍ ، فهو يَرَسُخُ رَسَخًا ورُسُوخًا .

وقد رَوَى فى نعتهم خبرٌ عن النبىِّ ﷺ ، وهو ما حَدَّثَنَا موسى بْنُ سَهْلٍ
الرَّمْلِيُّ ، قال : ثنا محمدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قال : ثنا فَيَاضُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّقْطِيُّ ، قال : ثنا عبدُ
اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ آدَمَ ، عن أبى الدَّرْدَاءِ / وأبى أُمَامَةَ ، قالا : سُمِّلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : مَن ١٨٥/٣
الراسخُ فى العلمِ ؟ قال : « مَن بَرَّتْ يَمِينُهُ ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ ، وَاسْتَقَامَ بِهِ قَلْبُهُ ، وَعَفَّ
بَطْنُهُ ، فَذَلِكَ الرَّاسِخُ فى العلمِ » ^(١) .

حَدَّثَنِي المثنى وأحمدُ بْنُ الحُسَيْنِ الترمذى ، قالا : ثنا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ ،
قال ^(٢) : ثنا فَيَاضُ الرَّقْطِيُّ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْأَوْدِيُّ - قال : وكان
أَدْرَكَ أَصْحَابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ - قال : حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَأَبُو أُمَامَةَ وَأَبُو

= قال الأزهرى : هكذا سمعت العرب تنشده ، وفسروا لى توالى السقاب أنه من الموالاة ، وهو تمييز شئ
من شئ . يقال : والينا الفصلان عن أمهاتها فتوالت ، أى : فصلناها عنها عند تمام الحول ويشد الموالاة
ويكثر حينها فى أثر أمهاتها ويتخذ لها خندق تحبس فيه ، وتسرح الأمهات فى وجه من مراتعها ، فإذا
تباعدت عن أولادها سرحت الأولاد فى جهة غير جهة الأمهات ، فترعى وحدها فتستمر على ذلك ،
وتُصَحَّبُ بعد أيام ؛ أخبر الأعشى أن نوى صاحبه اشتدت عليه فحن إليها حين ربي السقاب إذا وولى
عن أمه . تهذيب اللغة ٣٧٧/٢ .

(١) أخرجه الطبرانى (٧٦٥٨) من طريق عبد الله بن يزيد به ، بزيادة أنس وواثلة .

(٢) فى ت ٢ : « قالا » .

الدُّرْدَاءِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، فَقَالَ: «مَنْ بَوَّثَ يَمِينَهُ، وَصَدَّقَ لِسَانَهُ، وَاسْتَقَامَ بِهِ قَلْبُهُ، وَعَفَّ بَطْنُهُ وَفَرَّجَهُ، فَذَلِكَ الرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ»^(١).

وقد قال جماعة من أهل التأويل: إِنَّمَا سَمَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، بِقَوْلِهِمْ: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾^(٢).

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: ثَنَا أَبِي، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ قَالَ: الرَّاسِخُونَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا^(٣).

حَدَّثَنِي مُوسَى، قَالَ: ثَنَا عَمْرُو، قَالَ: ثَنَا أُسْبَاطُ، عَنْ السَّدِيِّ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ بِنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾^(٤).

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنَى حَجَّاجٌ، قَالَ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: وَعِلْمُهُمْ قَوْلُهُمْ. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ وَهُمْ

(١) أخرجه ابن عساكر ٣٢٦/٣٩ - ٣٢٧ (طبعة مجمع اللغة بدمشق) من طريق نعيم به. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٥) من طريق نعيم به عن أبي الدرداء وحده. وأخرجه ابن عساكر ٩١٧/١٥ (مخطوط) من طريق عبد الله بن يزيد الأودي، عن أنس وحده.

(٢) ينظر تفسير البغوي ١١/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٠/٢ (٣٢١٢)، وعقب الأثر (٣٢١٤) من طريق عمرو به.

الذين يقولون : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا ﴾ ويقولون : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ الآية .

وأما تأويل قوله : ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ . فإنه يعنى أن الراسخين فى العلم يقولون : صدقنا بما تشابه من آي الكتاب ، وأنه حق وإن لم نعلم تأويله .

وقد حدثنى أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ قال : المحكم والمتشابه .

القول فى تأويل قوله : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ : كل المحكم من الكتاب والمتشابه منه من عند ربنا ، وهو تنزيله ووحيه إلى نبيه محمد [٣٨٧/١] ﷺ .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ ^(١) قال : يعنى ما نُسَخَّ منه وما لم يُنسخ ^(٢) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ : والراسخون فى العلم قالوا : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ ^(١) آمنوا بمتشابهه ، وعملوا بمحكمه ^(٢) .

(١ - ١) سقط من : ت ٢ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٠/٢ (٣٢١٤) من طريق وكيع به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٠/٢ (٣٢١٥) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وفيه زيادة .
(تفسير الطبرى ١٥/٥)

/حَدَّثَنِي عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ يَقُولُونَ : الْحَكْمُ وَالْمُتَشَابِهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ : نُؤْمِنُ بِالْحَكْمِ وَنَدِينُ بِهِ ، وَنُؤْمِنُ بِالْمُتَشَابِهِ وَلَا نَدِينُ بِهِ ، وَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كُلُّهُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرٌ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : يَعْمَلُونَ ^(٣) بِهِ ، يَقُولُونَ : نَعْمَلُ بِالْحَكْمِ وَنُؤْمِنُ بِهِ ، وَنُؤْمِنُ بِالْمُتَشَابِهِ وَلَا نَعْمَلُ بِهِ ، وَكُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ^(٤) .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي حَكْمِ « كُلٌّ » إِذَا أُضْمِرَ فِيهَا ؛ فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصَرِيِّينَ : إِنَّمَا ^(٥) جَازَ حَذْفُ الْمَرَادِ الَّذِي كَانَ مَعَهَا ، الَّذِي « الْكُلُّ » إِلَيْهِ مُضَافٌ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ؛ لِأَنَّهَا اسْمٌ ، كَمَا قَالَ : ﴿ إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ﴾ [غافر : ٤٨] بِمَعْنَى : إِنَّا كُلُّنَا فِيهَا . قَالَ : وَلَا يَكُونُ « كُلٌّ » مُضْمَرًا ^(٦) فِيهَا وَهِيَ صِفَةٌ ، لَا يَقَالُ : مَرَزَتْ بِالْقَوْمِ كُلٌّ . وَإِنَّمَا يَكُونُ فِيهَا مُضْمَرًا ^(٧) إِذَا جَعَلْتُهَا اسْمًا ، لَوْ كَانَ : إِنَّا كُلًّا فِيهَا ، عَلَى الصِّفَةِ ، لَمْ يَجْزْ ؛ لِأَنَّ الْإِضْمَارَ فِيهَا ^(٨) ضَعِيفٌ ، لَا يَتِمَّكُنُ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفِيِّينَ يَرَى الْإِضْمَارَ فِيهَا وَهِيَ صِفَةٌ أَوْ اسْمٌ سَوَاءً ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُحْذَفَ مَا بَعْدَهَا عَنْدَهُ إِلَّا وَهِيَ كَافِيَةٌ بِنَفْسِهَا عَمَّا كَانَتْ تُضَافُ إِلَيْهِ مِنْ

(١) فِي م : « رَبَّنَا » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٠١/٢ (٣٢١٧) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ بِهِ .

(٣) فِي ت ١ ، ت ٢ ، س : « يَعْمَلُونَ » .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٠٠/٢ (٣٢١٦) مِنْ طَرِيقِ جُوَيْرٍ بِهِ .

(٥) فِي م : « إِذَا » .

(٦ - ٦) سَقَطَ مِنْ : ت ٢ .

(٧) فِي ت ٢ : « فِيهِ » .

المُضْمَرِ، وغير جائز أن تكون كافيةً منه في حالٍ، ولا تكون كافيةً في أُخْرَى .
وقال : سبيلُ « الكلِّ » و « البعضِ » في الدلالة على مابعدهما بأنفسهما وكفائتهما
منه بمعنى واحد في كلِّ حالٍ، صفةً كانت أو اسمًا .

وهذا القولُ الثاني أَوْلَى بالقياس ؛ لأنها إذا كانت كافيةً بنفسها مما حذِفَ منها
في حالٍ لدلاليتها عليه ، فالحكمُ فيها أنها كلُّما وُجِدَتْ دالَّةٌ على ما بعدها ، فهي
كافيةٌ منه .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما يَتَذَكَّرُ وَيَتَعَبَّرُ وَيَنْزَجِرُ عن أن يقولَ في متشابهِ آيِ
كتابِ اللَّهِ ما لا علمَ له به ، إلا أولو العقولِ والنُّهى .

وقد حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ
ابنِ الزبيرِ : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ يقولُ : وما يَذَّكَّرُ في مثلِ هذا ، يعنى : فى
ردِّ تأويلِ المتشابهِ إلى ما قد عُرف من تأويلِ المحكمِ ، حتى يَنسِقا على معنى واحدٍ ، إلا
أولو الألبابِ ^(١) .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُغِثْ غُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه أن الراسخين فى العلمِ يقولون : آمَنَّا بما تشابهَ من آيِ
كتابِ اللَّهِ ، وإنه هو ^(٢) والمُحكَّم من / آيِهِ من تنزيلِ رَبَّنَا ووَحْيِهِ . ويقولون أيضًا : ١٨٧/٣

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠١/٢ (٣٢١٩) من طريق سلمة ، عن ابن
إسحاق قوله .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ يعني أنهم يقولون - رغبة منهم إلى ربهم في أن يَصْرِفَ عنهم ما ابْتُلِيَ به الذين زَاغَتْ قُلُوبُهُمْ من أَتْبَاعِ متشابه آي القرآن ؛ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الذي لا يعلمه غير الله - : يا ربنا ، لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زَاغَتْ قُلُوبُهُمْ عن الحق ، فَصَدُّوا عن سبيلك ؛ ﴿ لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ : لا تُمِلْهَا فَتَضَرِّفَهَا عن هُداك ، ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ له ، فَوَقَّعْنَا لِلْإِيمَانِ بِمُحْكَمِ كِتَابِكَ ومتشابهه ، ﴿ وَهَبْ لَنَا ﴾ يا رَبَّنَا ، ﴿ مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ يعني : من عندك رحمة . يعني بذلك : هَبْ لَنَا من عندك توفيقاً وثباتاً للذي نحن عليه من الإقرار بِمُحْكَمِ كِتَابِكَ ومتشابهه ، ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ أَلْوَهَابُ ﴾ يعني : إِنَّكَ أَنْتَ الْمُعْطَى عِبَادَكَ التَّوْفِيقَ والسدادَ للثباتِ على دينك ، وتصديقي كِتَابِكَ ورسلك .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ بنِ جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْبِرِ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ . أى : لا تُمِلْ قُلُوبَنَا وَإِنْ مِلْنَا بِأَحْدَاثِنَا ^(١) ، ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ ^(٢) .

وفى مدحِ اللَّهِ جل ثناؤه هؤلاء القومَ بما مَدَحَهُمْ به - مِنْ رَغْبَتِهِمْ إِلَيْهِ فى أَلَا يُزِغْ قُلُوبَهُمْ ، وَأَنْ يُعْطِيَهُمْ رَحْمَةً مِنْهُ ؛ معونةً لَهُمْ للثباتِ على ما هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَسَنِ البصيرةِ بِالْحَقِّ الذى ^(٣) هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ - ما أَبَانَ عن خطأ قولِ الجَهْلَةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ : إِنَّ إِزَاغَةَ اللَّهِ قَلْبَ مَنْ أَرَاغَ قَلْبَهُ مِنْ عِبَادِهِ عَنْ طَاعَتِهِ ، وَإِمَالَتَهُ ^(٤) لَهُ عَنْهَا ، جَوْرٌ ؛ لِأَنَّ

(١) فى م : « بأجسادنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠١/٢ (٣٢٢١) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٣) فى ت ٢ : « الذين » .

(٤) فى ت ١ : « لا يمانه » ، وفى ت ٢ : « لا نامنه » ، وفى س : « يمانه » ، وكذا فى ص ولكن غير منقوطة .

ذلك لو كان كما قالوا لكان الذين قالوا : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ بالذمّ أَوْلَى منهم بالمدح ؛ لأن القول لو كان كما قالوا ، لكان القوم إنما سألوا ربهم بمسألتهم ^(١) إِيَّاهُ أَلَّا يُزِغَ قُلُوبَهُمْ ، أَلَّا يَظْلِمَهُمْ وَلَا يَجُورَ عَلَيْهِمْ ، وذلك من السائل ^(٢) جَهْلٌ ؛ لأن الله جل ثناؤه لَا يَظْلِمُ عِبَادَهُ ، وَلَا يَجُورُ عَلَيْهِمْ ، وقد أَعْلَمَ عِبَادَهُ ذَلِكَ ، ونفاه عن نفسه بقوله : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت : ٤٦] . ولا وَجْهَ لمسألتِهِ أَنْ يَكُونَ بِالْصِفَةِ الَّتِي قَدْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ بِهَا . وفي فسادِ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ الدليلُ الواضحُ عَلَى أَنَّ عَدْلًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِزَاغَةٌ مِّنْ أَزَاغِ قَلْبِهِ مِنْ عِبَادِهِ عَنْ طَاعَتِهِ ، فلذلك اسْتَحَقَّ الْمَدْحَ مَنْ رَغِبَ إِلَيْهِ فِي أَنْ لَا يُزِغَهُ ، [٣٨٧/١ ط] لتوجيهه ^(٣) الرغبة إلى أهلها ، ووضعِهِ مسألتَهُ مَوْضِعَهَا ، مع تَظَاهِرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرَغْبَتِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي ذَلِكَ ، مع مَحَلِّهِ مِنْهُ وَكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا وَكِيعٌ ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ بَهْرَامَ ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » . ثم قرأ : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ^(٤) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا وَكِيعٌ ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ بَهْرَامَ ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ ، عَنْ أَسْمَاءَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنَحْوِهِ .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَهْرَامَ

(١) فِي م ، ت ٢ ، س : « مَسْأَلَتُهُمْ » .

(٢) فِي ص : « الْمَسْأَلِ » .

(٣) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « لِتَوْجِيهِهِ » .

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٢٩٤/٦ (الْمِمْنِيَّةُ) ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ٦٠١ / ٢ - ٦٠٢ (٣٢٢٢) مِنْ طَرِيقِ وَكِيعٍ

الْفَزَارِيُّ ، قال : ثنا شهرُ بْنُ حَوْشِبٍ ، قال : سَمِعْتُ أُمَّ سلمَةَ تَحَدَّثُ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُكْثِرُ في دُعائِهِ أَنْ يَقولَ : « اللَّهُمَّ مُقَلِّبِ القُلوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دينِكَ » . قالت : قلتُ : يا رَسولَ اللَّهِ ، وإنَّ القَلْبَ لَيَقْلَبُ ؟ قال : « نعم ، ما خَلَقَ اللَّهُ من بَشَرٍ من بَنى آدَمَ إِلَّا إنَّ^(١) قَلْبَهُ بينَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ ، / فإن شاء أَقامَهُ ، وإن شاء أزاغَهُ ، فنَسأَلُ اللَّهَ رَبُّنَا ألا يُزَيِّعَ قُلوبَنَا بعدَ إِذْ هَدانا ، ونَسأَلُهُ أَنْ يَهَبَ لَنَا من لَدُنْهُ رَحمةً ، إِنَّه هُوَ الوَهَّابُ » . قالت : قلتُ : يا رَسولَ اللَّهِ ، ألا تُعَلِّمُنِي دَعوةً أَدْعُو بها لِنَفْسِي ؟ قال : « بلى^(٢) » ، قولِي : اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَأَذِهْبْ غِيظَ قَلْبِي ، وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ^(٣) .

١٨٨/٣

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ الطُّوسِيُّ ، قال : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا سَفِيانُ ، عن الأَعْمَشِ ، عن أَبِي سَفِيانَ ، عن جَابِرٍ ، قال : كان رَسولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقولَ : « يا مُقَلِّبِ القُلوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دينِكَ » . فقال لَهُ بعضُ أَهْلِهِ : تَخافُ عَلَيْنَا وقد آمَنَّا بِكَ وبِما جِئْتَ بِهِ ؟ قال : « إِنَّ القَلْبَ بينَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وتعالى ، يَقولُ بهما^(٤) هَكَذا » . وحَرَّكَ أَبُو أَحْمَدَ إِصْبَعَيْهِ . قال أَبُو جَعْفَرٍ : وإنَّ الطُّوسِيَّ^(٥) وَسَقَ^(٦) بينَ إِصْبَعَيْهِ^(٧) .

(١) في م ، ومعجم الطبراني : « و » .

(٢) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « قال » .

(٣) أخرجه الطبراني ٣٣٨/٢٣ (٧٨٥) من طريق حجاج بن المنهال به . وأخرجه أحمد ٣٠١/٦ ، ٣٠٢ (اليمينية) ، وعبد بن حميد (١٥٣٢ - منتخب) ، وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير ١٠/٢ - من طريق عبد الحميد بن بهرام به . وأخرجه ابن أبي شيبة ٢٠٩/١٠ ، ٢١٠ ، وأحمد ٣١٥/٦ (اليمينية) ، والترمذي (٣٥٢٢) ، والطبراني ٣٣٤/٢٣ (٧٧٢) من طريق شهر بن حوشب به .

(٤) في م : « به » .

(٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « أبا الطوسي » .

(٦) الوشق : ضم الشيء إلى الشيء . اللسان (و س ق) .

(٧) أخرجه أبو يعلى (٢٣١٨) ، والبيهقي في الشعب (٧٥٦) من طريق سفيان به .

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ ، قَالَ : ثنا أَبُو معاوية ، قَالَ : ثنا الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي سَفْيَانَ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَثِيرًا مَا يَقُولُ : « يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ آمَنَّا بِكَ ، وَصَدَّقْنَا بِمَا جِئْتَ بِهِ ، فَتَخَافُ عَلَيْنَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ ، يُقَلِّبُهَا ^(١) تَبَارَكَ وَتَعَالَى » ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، قَالَ : ثنا بَشْرُ بْنُ بَكْرٍ ، وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : ثنا ^(٣) أَيُّوبُ بْنُ بَشِيرٍ ، جَمِيعًا ^(٤) عَنْ ابْنِ جَابِرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ بُشَيْرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّوَاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ » . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ ، وَالْمِيزَانَ بِيَدِ الرَّحْمَنِ ، يَرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَخْفِضُ ^(٥) آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الطَّائِيُّ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدَةَ ، قَالَ : ثنا الْجَرَّاحُ

(١) بعده في ص ، ت ٢ : « اللَّهُ » .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٠٩/١٠ ، وفي الإيمان (٥٥) ، وأحمد ١٦٠/١٩ (١٢١٠٧) ، والترمذي (٢١٤٠) ، وأبو يعلى (٣٦٨٧ ، ٣٦٨٨) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٥) ، والحاكم ٥٢٦/١ من طريق أبي معاوية به .

(٣ - ٣) سقط من : س ، وفي ص ، ت ٢ : « بن جميعا » ، وفي ت ١ : « بن » وبعده بياض بمقدار كلمتين . (٤) في م : « بشر » .

(٥) أخرجه الحاكم ٣٢١/٤ من طريق محمد بن عبد الله بن عبد الحكم به . وأخرجه أيضًا ٥٢٥/١ ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٩) من طريق بشر بن بكر به .

وأخرجه أحمد ١٧٨/٢٩ (١٧٦٣٠) ، وابن ماجه (١٩٩) ، والنسائي في الكبرى (٧٧٣٨) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢١٩) ، وابن خزيمة في التوحيد (٥٤) ، وابن حبان (٩٤٣) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٤١) ، من طريق ابن جابر به .

ابن مليح البهراني ، عن الزُّبَيْدِيِّ ، عن جُبَيْرٍ ^(١) ، عن سَمُرَةَ بْنِ فَاتِكٍ الْأَسَدِيِّ ، وكان من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، عن النبي ﷺ أنه قال : « الموازين بيدُ اللَّهِ ، يَرْفَعُ قَوْمًا ^(٢) وَيَضَعُ قَوْمًا ^(٣) ، وقلبُ ابنِ آدَمَ بين إصْبَعَيْنِ من أصابعِ الرحمنِ ، إذا ^(٤) شاء أَرَاغَهُ ، وإذا ^(٣) شاء أَقَامَهُ ^(٤) » .

حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قال : ثنا سُؤَيْدُ بْنُ نَصْرٍ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عن حَيْوَةَ بْنِ شَرِيحٍ ، قال : أَخْبَرَنِي أَبُو هَانِئٍ الْخَوْلَانِيُّ ، أنه سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنْ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلُّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرَّفُ كَيْفَ يَشَاءُ ^(٥) » . ثم يقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ ^(٦) » .

١٨٩/٣ / حَدَّثَنَا الرَّيِّعُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قال : ثنا أُسْدُ بْنُ مُوسَى ، قال : ثنا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَهْرَامَ ، قال : ثنا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ ، قال : سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُكثِرُ فِي دَعَائِهِ أَنْ يَقُولَ : « اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » . قالت : قلتُ :

(١) في م : « جوير » ، وغير واضحة في ت ٢ . وينظر تهذيب الكمال ٥٠٩/٤ .

(٢) في م : « أقواتا » .

(٣) في م : « إن » .

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٢٠) ، وفي الأحاد والمثاني (١٠٤١ ، ١٠٤٢) ، والطبراني (٦٥٥٧) من طريق جبير به .

(٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « شاء » .

(٦) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٧٣٩) من طريق عبد الله بن المبارك به . وأخرجه أحمد ١٣٠/١١ (٦٥٦٩) ، ومسلم (٢٦٥٤) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٢ ، ٢٣١) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٤٠ ، ٢٩٨) من طريق حيوة بن شريح به .

يا رسولَ اللَّهِ ، وإنَّ القلوبَ لَتُثْقَلُ ؟ قال : « نعم ، ما مِن خلقٍ اللَّهُ مِن بنى آدمَ بشرٌ إلا أنَّ قلبه بين إضْبَعَيْنِ من أصابعِ اللَّهِ ، إن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغَه ، فنَسألُ اللَّهَ رَبَّنَا ألا يُزِيغَ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يَهَبَ لنا من لَدُنْه رحمةً ، إنه هو الوهابُ ^(١) » .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه أنهم يقولون أيضًا - مع قولهم : آمنا بما تشابه من آي ^(٢)
كتابِ رَبَّنَا ؛ كلُّ ^(٣) المحْكَمِ والمتشابه الذى فيه من عندِ رَبَّنَا - يا ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ
النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ .

وهذا من الكلام الذى اشْتَعْنَى بذكر ما ذَكَرَ منه عما تَرَكَ ذكره . وذلك أن
معنى الكلام : رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فاغْفِرْ لنا يومئذٍ ، واعفُ عَنَّا ، فإنك
لا تُخْلِفُ وَعْدَكَ أَنَّ مَنْ آمَنَ بك ، واتَّبَعَ رسولَكَ ، [٣٨٨/١] وعَمِلَ بالذى أمرته به
فى كتابِكَ ، أنكَ غافره يومئذٍ .

وإنما هذا من القومِ مسألة رَبِّهِمْ أن يُبَيِّنَهم على ما هم عليه من حُسْنِ نُصْرَتِهِمْ ^(٤)
بالإيمانِ باللهِ ورسوله ، وما جاءهم به من تنزيله ، حتى يَقْبِضَهم على أحسنِ أعمالِهِمْ
وإيمانِهِمْ ، فإنه إذا فعل ذلك بهم وجب لهم الجنةُ ؛ لأنه قد وعدَ مَنْ فعل ذلك به من
عبادِهِ ^(٥) أنه يُدْخِلُهُ الجنةَ . فالآية وإن كانت قد خَرَجَتْ مَخْرَجَ الْخَيْرِ ، فإنَّ تأويلَها من

(١) فى ت ١ ، س : « التواب » . وينظر ما تقدم فى ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٢) بعده فى س : « القرآن » .

(٣) فى س : « كله » .

(٤) كذا فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، س ، وغير منقوطة فى ص ، ولعل الصواب : بصيرتهم .

(٥) فى ص ، ت ١ : « عبادته » .

القوم مسألة ودعاء ورغبة إلى ربهم .

وأما معنى قوله : ﴿لَيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ . فإنه : لا شك فيه .

وقد بينّا ذلك بالأدلة على صحته فيما مضى قبل^(١) .

ومعنى قوله : ﴿لَيَوْمٍ﴾ : فى يوم . وذلك يوم يجمع الله فيه خلقه لفصل

القضاء بينهم فى موقف العرض والحساب .

والميعاد : المفعال ، من الوعد .

القول فى تأويل قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا

أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : إن الذين جحدوا الحق الذى قد

عرفوه من نبوة محمد ﷺ ، من يهود بنى إسرائيل ومنافقيهم ، ومنافقي العرب

وكفارهم ، الذين فى قلوبهم زيغ ، فهم يتبعون من كتاب الله المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء

تأويله ، ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ . يعنى بذلك أن أموالهم

وأولادهم لن تنجيهم من عقوبة الله إن أحلها بهم عاجلاً ، فى الدنيا على تكذيبهم بالحق

بعد تبنيهم^(٢) ، واتباعهم المتشابه طلب اللبس ، فتدفعها عنهم ، ولا يُغنى^(٣) ذلك

عنهم منها^٣ شيئاً ، وهم فى الآخرة ﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ يعنى بذلك : حطبها .

١٩٠/٣ / القول فى تأويل قوله : ﴿كَذَابَ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

(١) ينظر ما تقدم فى ٢٣١/١ - ٢٣٣ .

(٢) فى م : «تبييتهم» ، وفى س : «تنبههم» .

(٣ - ٢) فى ت ٢ : «عنهم من ذلك» .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا عِنْدَ حُلُولِ عِقَابِنَا بِهِمْ ، كَسُنَّةِ آلِ فِرْعَوْنَ وَعَادِيهِمْ ^(١) ، وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا ، فَأَخَذْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ حِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا ، ^(٢) فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا حِينَ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا ، كَالَّذِينَ عُوجِلُوا بِالْعُقُوبَةِ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ رَبَّهُمْ مِنْ قَبْلِ آلِ فِرْعَوْنَ ، مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ هُودٍ وَقَوْمِ لُوطٍ وَأَمْثَالِهِمْ .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معناه : كَسُنَّتِهِمْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ بْنُ الْحَبَّاجِ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ ﴾ . يَقُولُ : كَسُنَّتِهِمْ ^(٣) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهُ : كَعَمَلِهِمْ ^(٤) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا مُؤَمَّلٌ ، قَالَ : ثنا سَفِيَّانٌ ، وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا سَفِيَّانٌ ، جَمِيعًا عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ : ﴿ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ ﴾ . قَالَ : كَعَمَلِ آلِ فِرْعَوْنَ ^(٥) .

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « دعائهم » . وينظر مجاز القرآن ١/ ٨٧ .

(٢-٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فلن تغني » ، وفي م ، س : « فلن تغني » ، وأثبتنا ما يناسب السياق .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/ ٢ إلى المصنف .

(٤) في ت ٢ : « كعملهم » .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٠٣ ، ٥/ ١٧١٨ عقب الأثر (٣٢٣٠ ، ٩١٧٧) معلقًا .

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا جُويَيْرٌ، عن الضَّحَّاكِ في قوله: ﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾. قال: كعمل آلِ فرعون.

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قال ابْنُ زَيْدٍ في قوله: ﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ قال: كأعمالهم^(١)، كفعلهم، كتكذيبهم حينَ كَذَّبُوا الرِّسْلَ. وقرأ قولَ اللَّهِ: ﴿مِثْلَ ذَابٍ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [غافر: ٣١]. أن يُصَيِّبَكُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَهُمْ عليه مِن عَذَابِ اللَّهِ. قال: الدَّأْبُ العملُ.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الحسينُ، قَالَ: ثنا أَبُو ثَمِيلَةَ يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، عن أبي حمزة، عن جابر، عن عكرمة ومجاهد في قوله: ﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾. قال: كفعل آلِ فرعون، كشأنِ آلِ فرعون^(٢).

حَدَّثْتُ عن المنجابِ، قَالَ: ثنا بشرُ بْنُ عُمارة، عن أبي رَوْقٍ، عن الضَّحَّاكِ، عن ابنِ عباسٍ في قوله: ﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾. قال: كصْنَعِ آلِ فرعون^(٣). وقال آخرون: معنى ذلك: كتكذيبِ آلِ فرعون.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: ثنا عمرو بْنُ حَمَّادٍ، قَالَ: ثنا أسباطُ، عن السدي: ﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: ذَكَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا/ فقال^(٤): تكذيبهم كمثلي تكذيبِ الذين مِنْ قَبْلِهِمْ في الجُحودِ والتَّكْذِيبِ^(٥).

(١) سقط من: م.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٣/٢، ١٧١٨/٥ عقب الأثر (٣٢٣٠، ٩١٧٧) معلقاً.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٣/٢، ١٧١٨/٥ (٣٢٣٠، ٩١٧٧) من طريق المنجاب به.

(٤) في ص، م، ت، ١، ت ٢: «وأفعال».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٣/٢ (٣٢٣١) من طريق عمرو به.

وأصل الدَّأْبِ مِنَ : دَأَبْتُ فِي الْأَمْرِ دَأَبًا ، إِذَا أَدْمَنْتَ الْعَمَلَ وَالتَّعَبَ فِيهِ . ثُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ نَقَلَتْ مَعْنَاهُ إِلَى الشَّأْنِ وَالْأَمْرِ وَالْعَادَةِ ، كَمَا قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ حُجْرٍ ^(١) :
 وَإِنْ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ ^(٢) فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلٍ ^(٣)
 كَذَابِكَ ^(٤) مِنْ أُمِّ الْحَوِثِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلٍ
 يَعْنِي بِقَوْلِهِ : كَذَابِكَ . كَشَأْنِكَ ^(٥) وَأَمْرِكَ وَفَعْلِكَ . يُقَالُ مِنْهُ : هَذَا دَأْبِي
 وَدَأْبُكَ أَبَدًا . يَعْنِي بِهِ : فِعْلِي وَفَعْلُكَ ، وَأَمْرِي وَأَمْرُكَ ، وَشَأْنِي وَشَأْنُكَ . يُقَالُ مِنْهُ :
 دَأَبْتُ دُؤُوبًا وَدَأَبًا . وَحَكِي عَنِ الْعَرَبِ سَمَاعًا : دَأَبْتُ دَأَبًا . مُثْقَلَةٌ مُحَرَّكَةُ الْهَمْزَةِ ،
 كَمَا قِيلَ : هَذَا شَعْرٌ وَنَهْرٌ ^(٦) . فَتَحَرَّكَ ثَانِيهِ ؛ لِأَنَّهُ حَرَفٌ مِنَ الْحُرُوفِ السِّتَةِ ^(٧) ، فَأُلْحِقَ
 الدَّأَبُ إِذْ كَانَ ثَانِيهِ مِنَ الْحُرُوفِ السِّتَةِ ، [٣٨٨/١ ظ] كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ ^(٨) :
 لَهُ نَعْلٌ لَا تَطْيِي ^{(٩) (١٠)} الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ ^(١١) بَيْنَ الْمَجَالِسِ ^(١٢) شُمَّتِ
 وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ : وَاللَّهُ شَدِيدٌ عِقَابُهُ لِمَنْ كَفَرَ
 بِهِ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ ، بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ .

(١) ديوانه ص ٩ .

(٢) في الديوان : « إن سفحتها » .

(٣) معول : قيل : مَبْكِي ، وقيل : مستغاث ، وقيل : مَحْمَلٌ وَمُعْتَمِدٌ . اللسان (ع و ل) .

(٤) في الديوان : « كدينك » .

(٥) في ص ، ت ٢ : « كتابك » ، وفي ت ١ : « كفابك » .

(٦) في م : « بهر » .

(٧) الحروف الستة : هي حروف الحلق .

(٨) هو كثير عزة ، والبيت في ديوانه (مجموع) ص ٣٢٤ .

(٩ - ١٠) في الديوان : « إذا طرحت لم تطب » .

(١٠) طباه يطبوه ويطبويه : إذا دعاه . اللسان (ط ب ي) .

(١١ - ١٢) في الديوان : « في مجلس القوم » .

القول في تأويل قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَيَبْسُ إِلَيْهِمْ أَلْمَهُادُ﴾ .

اختلفت القراءة في ذلك ؛ فقرأه بعضهم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ بالتاء ، على وجه الخطاب للذين كفروا بأنهم سيغلبون^(١) . واحتجوا لاختيارهم قراءة ذلك بالتاء بقوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ . قالوا: ففي ذلك دليل على أن قوله: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ . كذلك خطاب لهم ، وذلك هو قراءة عامة قراءة الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين . وقد يجوز لمن كانت نيته في هذه الآية أن المؤغودين بأن يغلبوا هم الذين أمر النبي ﷺ بأن يقول ذلك لهم ، أن يقرأه بالتاء والياء ؛ لأن الخطاب بالوحي حين نزل لغيرهم ، فيكون نظير قول القائل في الكلام: قلت للقوم: إنكم مغلوبون . وقلت لهم: إنهم مغلوبون .

وقد ذكر أنّ في قراءة عبد الله: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ تَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَكُمْ)^(٢) . وهي في قراءتنا: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٨] .

وقرأت ذلك جماعة من قراءة أهل الكوفة: (سَيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ) . على معنى: قُلْ لليهود: سيغلب مشركو العرب ، ويحشرون إلى جهنم . ومن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويل ، لم يجز في قراءته غير الياء .

/ والذي نختار من القراءة في ذلك قراءة من قرأه بالتاء ، بمعنى: قل يا محمد للذين كفروا من يهود بني إسرائيل ، الذين يتبعون ما تشابه من أي الكتاب الذي أنزلته إليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله: ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ إِلَيْهِمْ أَلْمَهُادُ﴾ .

١٩٢/٣

(١) هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وعاصم وابن عامر ، وقرأ حمزة والكسائي بالياء ، وسيأتي . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٣ .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ١٩٢ .

الْمَهَادُ ﴿١﴾ .

وإنما اخْتَرْنَا قِرَاءَةَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، على قِرَائَتِهِ بِالْيَاءِ ، لدلالة قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . على أنهم بقوله : ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ مُخَاطَبُونَ خُطَابِهِمْ بقوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ﴾ . فكان إلحاق الخطاب بمثله من الخطاب أولى من الخطاب بخلافه من الخبر عن غائب .

وأخرى : أن أبا كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ، قال : ثنا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد ، عن سعيد بن جبيرة ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر ، فقدم المدينة ، جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال : « يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً » . فقالوا : يا محمد ، لا تغررك نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس ، وأنت لم تأت^(١) مثلنا . فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيَنسُ الْمَهَادُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَاُولَى الْأَبْصَارِ ﴾^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : لما أصاب الله قريشاً يوم بدر ، جمع رسول الله ﷺ يهود في سوق بني قينقاع حين قدم المدينة . ثم ذكر نحو حديث أبي كُرَيْبٍ ، عن يونس^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان من أمر بني

(١) في سنن أبي داود : « تلق » .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٠١) ، والبيهقي في الدلائل ١٧٣/٣ ، ١٧٤ من طريق يونس به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٤/٢ (٣٢٣٤) من طريق سلمة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور

٩/٣ ، ١٠ إلى ابن إسحاق .

فَيَقْتَفَاعُ ، أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَعَهُمْ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، ثُمَّ قَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، احْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقَرِيشٍ مِنَ الثَّقَمَةِ ، وَأَسْلِمُوا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيُّ مُرْسَلٌ ، تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ ، وَعَهْدُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ » . فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ تَرَى أَنَّا كَقَوْمِكَ ^(١) ! لَا يَغُرُّكَ أَنْكَ لَقِيتَ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ ، فَأَصَبْتَ فِيهِمْ فُرْصَةً ، إِنَّا وَاللَّهِ لَنَرَى حَارِثَنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى آلِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَوْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَا نَزَلَتْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ إِلَّا فِيهِمْ : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ إِلَى ﴿ لَا أُولَى الْأَبْصَارِ ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ . قَالَ فَنَحَاصُّ الْيَهُودِيَّ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ : لَا يَغُرُّ مُحَمَّدًا أَنْ غَلَبَ قَرِيشًا وَقَتْلَهُمْ ، إِنَّ قَرِيشًا لَا تُحْسِنُ الْقِتَالَ . فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ ^(٤) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَكُلُّ هَذِهِ الْأَخْبَارِ تُنْبِئُ ^(٥) عَنْ أَنَّ الْمُخَاطَبِينَ بِقَوْلِهِ : ﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ هُمُ الْيَهُودُ الْمَقُولُ لَهُمْ :

١٩٣/٣

(١) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « قَوْمُكَ » .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ ص ٢٩٤ (٤٩٦) ، وَسِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٤٧/٢ ، وَأَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٤٧٩/٢ .

(٣) ابْنُ إِسْحَاقَ ص ٢٩٤ (٤٩٧) ، وَسِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٤٧/٢ .

(٤) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ١٠/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٥) فِي س : « تَبَيَّنَ » .

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ الآية ، وتدلُّ على أن قراءة ذلك بالتاء أولى من قراءته بالياء .

ومغنى قوله : ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ : وَتُجْمَعُونَ فَتُجْلَبُونَ ^(١) ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ .
 وأما قوله : ﴿وَيَبْسُ إِلِيْهَادُ﴾ : وَيَبْسُ الْفِرَاشِ جَهَنَّمُ الَّتِي تُحْشَرُونَ إِلَيْهَا .
 وكان مجاهدٌ يقولُ كالذى حدثني محمد بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ،
 عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قوله : ﴿وَيَبْسُ إِلِيْهَادُ﴾ . قال :
 بِسْمَا مَهْدُوا لِأَنْفُسِهِمْ ^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن
 مُجاهدٍ مثله .

[٣٨٩/١] القول فى تأويل قوله : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّتَقَتَا فِئَةٌ
 تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْيَهُودِ ، الَّذِينَ بَيْنَ
 ظَهْرَانِي بِلَدِكَ : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ ، يعنى : علامةٌ ودلالةٌ على صدق ما
 أقول ^(٣) : إنكم ستُعْلَبُونَ . وعبرةٌ .

كما حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿قَدْ كَانَ
 لَكُمْ آيَةٌ﴾ : عِبْرَةٌ وَتَفَكُّرٌ ^(٤) .

(١) فى ت ١ : « فيجلبون » ، وفى س : « فيلجثون » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٠٤/٢ (٣٢٣٥) .

(٣) بعده فى س : « لكم » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٢ إلى المصنف .

(تفسير الطبرى ١٦/٥)

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعٍ مثله ، إلا أنه قال : ومُتَّفَكِّرٌ^(١) .

﴿ فِي فِتْنَيْنِ ﴾ . يعنى : فى فَوْقَتَيْنِ وَحِزَيْنِ . والفِئَةُ الجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ ، اَلْتَقَتَا ﴿ لِلْحَرْبِ ، وإحدى الفتنين رسولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِمَّنْ شَهِدَ وَقَعَةَ بَدْرٍ ، والأخرى مُشْرِكُو قُرَيْشٍ ، ﴿ فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ : جَمَاعَةٌ تُقَاتِلُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَعَلَى دِينِهِ ، وَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ : وَهُمْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يُوسُفُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عن محمد بنِ إسحاق ، قال : ثنا محمد بنُ أبي محمدٍ مولى زيد بنِ ثابتٍ ، عن سعيد بنِ جبيرةٍ أو عكرمةٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ اَلْتَقَتَا فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ : أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِبَدْرٍ ، ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ : فِتْنَةُ قُرَيْشٍ الْكَافِرَةِ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمد بنِ أبي محمدٍ مولى زيد بنِ ثابتٍ ، عن سعيد بنِ جبيرةٍ أو عكرمةٍ ، عن ابنِ عباسٍ مثله^(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عكرمةٍ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ اَلْتَقَتَا فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ : مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ : قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ .

حدَّثني محمد بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٠٤/٢ (٣٢٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٠٥/٢ (٣٢٣٧) من طريق سلمة به .

نَجِيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . قال : في محمد وأصحابه ومُشْرِكِي قريش يوم بدر^(١) .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

/ حَدَّثَنَا الحسن بن يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ ، عن ١٩٤/٣ ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ أَلْتَقَتَا فَعَثَا تَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . قال : ذلك يوم بدر ، أَلْتَقَى المسلمون والكفار^(٢) .
وَرُفِعَتْ : ﴿ فَعَثَا تَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . وقد قيل قبل^(٣) ذلك : ﴿ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . بمعنى : إحداهما تقاتل في سبيل الله . على الابتداء ، كما قال الشاعر^(٤) :

فكنتُ كذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ وَرَجُلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ
وكما قال ابن مُقَرِّغٍ^(٥) :

فكنتُ كذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ وَرَجُلٌ بَهَا رَبُّهُ مِنَ الْحَدَثَانِ
فَأَمَّا التِي صَحَّتْ فَأَزْدُ سُوءَةٍ وَأَمَّا التِي شَلَّتْ فَأَزْدُ عُمَانِ
وكذلك تَفْعَلُ الْعَرَبُ فِي كُلِّ مُكْرَرٍ عَلَى نَظِيرِ لَهُ قَدْ تَقَدَّمَ ، إذا كان مع المَكْرَرِ

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١١٧/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٥/٢ (٣٢٣٩) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س .

(٤) هو كثير عزة ، والبيت في ديوانه (مجموع) ص ٩٩ .

(٥) البيهقي للنجاشي الحارثي في الوحشيات ص ١١٣ ، والنوادر ص ١٠ ، والخزانة ٣٨٦/٢ .

خبِرٌ، تَرْذُهُ عَلَى إِعْرَابِ الْأَوَّلِ مَرَّةً، وَتَسْتَأْنِفُهُ ثَانِيَةً بِالرَّفْعِ، وَتَنْصِبُهُ فِي التَّامِّ مِنَ الْفِعْلِ وَالنَّاقِصِ، وَقَدْ جُرَّ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَخُفِضَ عَلَى الرَّدِّ عَلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ، كَأَنَّهُ ^(١) يَعْنِي إِذَا خَفَضَ ذَلِكَ: ^(٢) فَكَنْتُ كَذَى رِجْلَيْنِ: كَذَى رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ سَقِيمَةٍ. وَكَذَلِكَ الْخَفَضُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِتْنَةٌ﴾ جَائِزٌ عَلَى الرَّدِّ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فِي فِتْنَتَيْنِ أَلْتَقَتَا﴾: فِي فِتْنَةٍ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وهذا وإن كان جائزاً في العربية، فلا أَسْتَحِيزُ الْقِرَاءَةَ بِهِ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقِرَاءَةِ عَلَى خِلَافِهِ. وَلَوْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿فِتْنَةٌ﴾ جَاءَ نَصْبًا كَانَ جَائِزًا أَيْضًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ أَلْتَقَتَا﴾: مُخْتَلِفَتَيْنِ.

القول في تأويل قوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾.

اِخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ؛ فَقَرَأَتْهُ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: (تَرَوْنَهُمْ) بِالتَّاءِ ^(٣)، بِمَعْنَى: قَدْ كَانَ لَكُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ أَلْتَقَتَا، فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْأُخْرَى كَافِرَةٌ، تَرَوْنَ الْمَشْرِكِينَ مِثْلَي الْمُسْلِمِينَ رَأْيَ الْعَيْنِ. يُرِيدُ بِذَلِكَ عِظَتَهُمْ، يَقُولُ: إِنْ لَكُمْ عِبْرَةٌ أَيُّهَا الْيَهُودُ فِيمَا رَأَيْتُمْ مِنْ قَلِيلَةٍ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةِ عَدَدِ الْمَشْرِكِينَ، وَظَفَرِ هَؤُلَاءِ مَعَ قَلِيلَةٍ عَدَدِهِمْ، بِهَؤُلَاءِ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ.

وَقَرَأَ ذَلِكَ عَائِمَةٌ قِرَاءَةَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ الْمَكِّيِّينَ: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾ بِالْيَاءِ، بِمَعْنَى: يَرَى الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْجَمَاعَةَ الْكَافِرَةَ مِثْلَي الْمُسْلِمِينَ فِي الْقَدْرِ. فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ عَلَى قِرَاءَتِهِمْ: قَدْ كَانَ لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ عِبْرَةٌ

(١) فِي ص: «لأنه».

(٢) بَعْدَهُ فِي ص، ت ١، ت ٢، س: «يعني».

(٣) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَعَاصِمٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَالْكَسَائِيُّ وَحُمَزَةُ بَالِيَاءٍ، وَحَكَى أَبَانُ عَنْ عَاصِمٍ بِالتَّاءِ كَالْوَجْهِ الْأَوَّلِ. يَنْظُرُ السَّبْعَةُ لِابْنِ مَجَاهِدٍ ص ٢٠١.

وَمُتَّفَكَّرٍ فِي فِتْنَيْنِ / التَّقَاتَا ، فَتَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةً ، يَرَى هَؤُلَاءِ ١٩٥/٣
الْمُسْلِمُونَ^(١) مَعَ قَلِيلٍ عَدَدِهِمْ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ^(٢) فِي كَثَرَةٍ عَدَدِهِمْ .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ تأويلِ قراءةٍ مَنْ قرأ ذلك بالياءِ ؟ وأتى الفَتْنَيْنِ رأَتْ
صاحبَها مثليها ، الفَتْنَةُ المسلمَةُ هي التي رأتِ المشرَكةَ مثليها ، أم المشرَكةُ هي التي
رأتِ المسلمَةَ كذلك ، أم غيرُهما^(٣) رأَتْ إحداهما كذلك ؟

قيل : اختلفَ أهلُ التأويلِ في ذلك ؛ فقال بعضهم : الفَتْنَةُ التي رأتِ الأُخْرَى
مثلي أنفُسِها [٣٨٩/١]ظ الفَتْنَةُ المسلمَةُ ، رأَتْ عددَ الفَتْنَةِ المشرَكةِ مثلي عددِ الفَتْنَةِ
المسلمَةِ ، قلَّها اللهُ عزَّ وجلَّ في أعينِها حتى رأَتْها مثلي عددِ أنفُسِها ، ثم قلَّها في
حالٍ أُخْرَى فرأتَها^(٤) مثلَ عددِ أنفُسِها .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في خبرٍ ذكره
عن مُرَّةَ الهَمْدَانِي ، عن ابنِ مسعودٍ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ اَلتَّقَاتَا فِتْنَةً
تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى اَلْعَيْنِ ﴾ .
قال : هذا يومُ بدرٍ . قال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ : وقد نظرنا إلى المشرَكينَ ، فرأيناهم
يُضْعِفُونَ علينا ، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يَزِيدُونَ علينا رجلًا واحدًا ، وذلك قولُ
اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اَلتَّقَيْتُمْ فِيْ اَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلِيلُكُمْ فِيْ

(١) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المسلمين » .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المشركون » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « غيرها » .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « رأتها » .

أَعْيُنُهُمْ^(١) [الأنفال : ٤٤] .

فمعنى الآية على هذا التأويل : قد كان لكم يا معشر اليهود آية في فئتين التقتا ؛ إحداهما مسلمة والأخرى كافرة ، كثير عدد الكافرة ، قليل عدد المسلمة ، ترى الفئة القليل عددها الكثير عددها أمثالا^(٢) ، إنما^(٣) تكثرها من العدد بمثل واحد ، فهم يزورنهم مثليهم . فيكون أحد المثلين عند ذلك العدد الذى هو مثل عدد الفئة التى رأته ، والمثل الآخر الضعف الزائد على عددهم . فهذا أحد معني التقليل الذى أخبر الله عز وجل المؤمنين أنه قللهم فى أعينهم .

والمعنى الآخر منه : التقليل الثانى على ما قاله ابن مسعود ، وهو أن أراهم عدد المشركين مثل عددهم لا يزيدون عليهم ، فذلك التقليل الثانى الذى قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ .

وقال آخرون من أهل هذه المقالة : إن الذين رأوا المشركين مثلى أنفسهم هم المسلمون ، غير أن المسلمين رأوهم على ما كانوا به من عددهم ، لم يقللوا فى أعينهم ، ولكن الله أيدهم بنصره . قالوا : ولذلك قال الله عز وجل لليهود : قد كان لكم فيهم عبرة . يخوفهم بذلك أن يحل بهم منهم مثل الذى أحل بأهل بدر على أيديهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمتى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّائِمَاتِ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٤) من طريق عمرو بن حماد به ، دون ذكر مرة الهمدانى .

(٢) بعده فى م : « لها » .

(٣) سقط من : م .

سَكِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴿١﴾ . أَنْزَلْتُ فِي التَّخْفِيفِ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَإِنَّ^(١) الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ مِثْلَهُمْ ، / فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ الَّتِي قَاتَلْتُمَا فِي سَكِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ ﴿٢﴾ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ سِتَّةً وَعَشْرِينَ وَسِتَّمِائَةٍ ، فَأَيَّدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَكَانَ هَذَا الَّذِي فِي التَّخْفِيفِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ^(٣) .

وهذه الرواية خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن عدّة المشركين يوم بدر ، وذلك أن الناس إنما اختلفوا في عددهم على وجهين ؛ فقال بعضهم : كان عددهم ألفا . وقال بعضهم : ما بين التسعمائة إلى الألف .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ : كَانَ عَدْدُهُمْ أَلْفًا

حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ ، قَالَ : ثنا مُضْعَبُ بْنُ الْمُقْدَامِ ، قَالَ : ثنا إِسْرَائِيلُ ، قَالَ : ثنا أَبُو إِسْحَاقَ ، عَنْ حَارِثَةَ ، عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ : سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ ، فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهَا ، فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ ، مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمَوْلَى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَأَمَّا الْقَرْشِيُّ فَأَنْفَلَتْ ، وَأَمَّا مَوْلَى عُقْبَةَ فَأَخَذَنَاهُ ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ : كَمْ الْقَوْمُ ؟ فَيَقُولُ : هُمُ وَاللَّهِ كَثِيرٌ ، شَدِيدٌ بِأُسْهُمٍ . فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرْبُوهُ^(٣) ، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ : « كَمْ الْقَوْمُ ؟ » . فَقَالَ : هُمُ وَاللَّهِ كَثِيرٌ ، شَدِيدٌ بِأُسْهُمٍ . فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ^(٤) أَنْ يُخْبِرَهُ كَمْ هُمُ فَأَبَى ، ثُمَّ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ : « كَمْ يَنْحَرُونَ مِنَ الْجُزْرِ ؟ » . قَالَ : عَشْرَةٌ كُلُّ يَوْمٍ . قَالَ

(١) في النسخ : « كَانَ » . وهو تصحيف . والمثبت هو الصواب .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٥) عن محمد بن سعد به مقتضرا على قوله : كان هذا في التخفيف على المؤمنين .

(٣) في النسخ : « صدقوه » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، ومصنف ابن أبي شيبة : « على » .

رسول الله ﷺ : « القوم ألف » ^(١) .

حدثني أبو سعيد بن^(٢) يونسَ البغدادي ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : أسرنا رجلاً منهم - يعنى من المشركين - يوم بدر ، فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفا .

ذكر من قال : كان عددهم ما بين التسعمائة إلى الألف

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : ثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث النبي ﷺ نفرًا من أصحابه إلى ماء بدر يلتبسون الخبر له عليه ، فأصابوا راوية من قريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار غلام بنى العاص ، فأتوا بهما رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لهما : « كم القوم ؟ » . قال : كثير . قال : « ما عدتكم ؟ » . قال : لا ندرى . قال : « كم ينحزون كل يوم ؟ » . قال : يوماً تسعاً ، ويوماً عشراً . قال رسول الله ﷺ : « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » ^(٣) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْآلَيْنِ ﴾ . ذلكم يوم بدر ، ألف المشركون [٣٩٠/١] أو قاربوا ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ^(٤) .

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٢/ ٤٢٤ . وأخرجه أحمد ٢/ ٢٥٩ (٩٤٨) ، وابن أبي شيبة ١٤/ ٣٦٢ ، والبخاري (٧١٩) من طرق عن إسرائيل به .

(٢) في ت ١ : « أن » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٦ ، ٦١٧ ، أخرجه المصنف في تاريخه ٢/ ٤٣٦ ، ٤٣٧ .

(٤) أخرجه المصنف في تاريخه ٢/ ٤٣٣ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ رَأَى أَعْيُنٌ ﴾ . قَالَ : يُضْعِفُونَ عَلَيْهِمْ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَأَسْرَوْا سَبْعِينَ يَوْمَ بَدْرٍ ^(١) .

/ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ١٩٧/٣ الرِّبْعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى أَعْيُنٌ ﴾ . قَالَ : كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ ، كَانَ الْمُشْرِكُونَ تِسْعَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ ، وَكَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَمِائَةٍ وَبُضْعَةُ عَشَرَ ، وَالْمُشْرِكُونَ مَا بَيْنَ التَّسْعِمِائَةِ إِلَى الْأَلْفِ .

فَكَلَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا مُخَالَفُونَ الْقَوْلَ الَّذِي رَوَيْنَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي عَدَدِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ . فَإِذَا كَانَ مَا قَالَهُ مَنْ حَكَيْنَاهُ - مَنْ ذَكَرَ أَنَّ عَدَدَهُمْ كَانَ زَائِدًا عَلَى التَّسْعِمِائَةِ - فَالْتَأْوِيلُ الْأَوَّلُ الَّذِي قُلْنَاهُ ، عَلَى الرِّوَايَةِ الَّتِي رَوَيْنَاهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَوَّلَى بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : كَانَ عَدَدُ الْمُشْرِكِينَ زَائِدًا عَلَى التَّسْعِمِائَةِ ، فَرَأَى الْمُسْلِمُونَ عَدَدَهُمْ عَلَى غَيْرِ مَا كَانُوا بِهِ مِنَ الْعَدَدِ . وَقَالُوا : أَرَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَدَدَ الْمُشْرِكِينَ قَلِيلًا ، آيَةً لِلْمُسْلِمِينَ . قَالُوا : وَإِنَّمَا عَنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ : ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ ﴾

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٥/٢ (٣٢٣٨) من طريق ابن أبي جعفر به .

المخاطبين بقوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . قالوا : وهم اليهود ، غير أنه رجع من المخاطبة إلى الخبر عن الغائب ؛ لأنه أمر من الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ أن يقول ذلك لهم ، فحسب أن يخاطب مرة ، ويخير عنهم على وجه الخبر مرة^(١) أخرى ، كما قال : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَئٍ ﴾ [يونس : ٢٢] .

وقالوا : فإن قال لنا قائل : فكيف قيل : ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْفَتَى ﴾ وقد علمت أن المشركين كانوا يومئذ ثلاثة أمثال المسلمين ؟ قلنا لهم : كما يقول القائل وعنده عبد : أحتاج إلى مثله . فأنت^(٢) محتاج إليه وإلى مثله . ثم يقول : أحتاج إلى مثليه . فيكون ذلك خبراً عن حاجته إلى مثله ، وإلى مثلي ذلك المثل . وكما يقول الرجل : معي ألف ، وأحتاج إلى مثليه . وهو محتاج إلى ثلاثة .. فلما نوى أن يكون الألف داخلاً في معنى المثل ، صار المثل اثنين^(٣) ، والاثنان ثلاثة . قال^(٤) : ومثله في الكلام : أراكم مثلكم . "كأنه قال : أراكم^(٥) ضعفكم ، و : أراكم مثليكم . يعني : أراكم ضعفيكم^(٦) . قالوا : فهذا على معنى ثلاثة أمثالهم^(٧) . وقال آخرون : بل معنى ذلك أن الله أرى الفئة الكافرة عدد الفئة المسلمة مثلي عدددهم .

(١) سقط من : س ، وفي ص : « عن عانه » غير منقوطة ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن غاية » .

(٢) في م : « فأنا » .

(٣) في النسخ : « أشرف » . والمثبت من معاني القرآن للفراء ١ / ١٩٤ .

(٤) أى : الفراء ، وينظر الموضع السابق من معاني القرآن .

(٥ - ٥) في النسخ : « كما يقال إن لكم » . والمثبت كما في معاني القرآن .

(٦) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ضعفكم » .

(٧) قال القرطبي في تفسيره ٤ / ٢٧ : وهو بعيد غير معروف في اللغة ، قال الزجاج : وهذا باب الغلط ، فيه

غلط في جميع المقاييس ؛ لأننا إنما نعقل مثل الشيء مساوياً له ، ونعقل مثليه ما يساويه مرتين .

وهذا أيضًا خلاف ما دلَّ عليه ظاهر التنزيل ؛ لأن الله جل ثناؤه قال في كتابه : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيْ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] . فأخبر أن كُلاً من ^(١) الطائفتين قليل عددها في مَرَأى الأخرى .

وقرأ آخرون ذلك : (تَرَوْنَهُمْ) بضم التاء ، بمعنى : يُرِيكُمُوهُمْ الله مثليهم ^(٢) .

وأولى هذه القراءات بالصواب قراءة من قرأ : ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ بالياء ، بمعنى : وأخرى كافرة ، يَرَاهُم المسلمون مثليهم ، يعنى : مثلى عدد المسلمين ؛ لتقليل الله إياهم في أعينهم في حال ، فكان حَزْرُهُم إياهم / كذلك ، ثم قلَّلهم في أعينهم عن ١٩٨/٣ التَّقليل الأول ، فحَزَرُوهم مثل ^(٣) عدد المسلمين ، ثم تَقْلِيلًا ثالثًا ، فحَزَرُوهم أقل من عدد المسلمين .

كما حدثني ^(٤) ابنُ بَرِيْعُ البغدادي ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبَيْدَةَ ، عن عبدِ الله ، قال : لقد قُلِّلُوا في أعيننا يومَ بدرٍ حتى قُلْتُ لرجلي إلى جنبى : تَرَاهُم سبعين ؟ قال : أَرَاهُم مائة . قال : فأسرنا رجلاً منهم ، فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفاً ^(٥) .

وقد روى عن قتادة أنه كان يقول : لو كانت (تَرَوْنَهُمْ) ، لكانت « مثليكم » .

(١) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) فى ص ، س : « مثلهم » ، وفى ت ٢ : « مثليكم » . ويضم التاء قراءة ابن عباس وطلحة . ينظر المحتسب ١٥٤/١ ، والبحر المحيط ٣٩٤/٢ .

(٣) فى النسخ : « مثلى » . والمثبت هو الصواب .

(٤ - ٤) فى النسخ : « أبو سعيد » . وسيأتى على الصواب فى تفسير الآية (٤٤) من سورة الأنفال ، ٦٦/٢٦ ، ٤٩/٢٧ من المطبوع .

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٦٧/٣ من طريق إسحاق بن منصور به ، وابن سعد فى الطبقات ٢٢/٢ ، وابن أبى شيبه ٣٧٤/١٤ من طريق إسرائيل به ، وعند ابن سعد ببعضه ، وأخرجه أيضًا ابن سعد ٢١/٢ من طريق أبى إسحاق به ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ١٨٩/٣ إلى أبى الشيخ وابن مردويه .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنى عبدُ الرحمن بنُ أبي حمادٍ ، عن ابنِ المبارك^(١) ، عن معمرٍ ، عن قتادةٍ بذلك .

ففى الخبرين اللذين روئنا عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ ، ما أبان عن اختلافِ حَزْرِ المسلمين يومئذٍ عددَ المشركين فى الأوقاتِ المختلفةِ ، فأخبرَ الله عز وجل - عما كان من اختلافِ أحوالِ عديهم عند^(٢) المسلمين - اليهودَ على ما كان به عندهم ، مع علمِ اليهودِ بمبلغِ عددِ الفتين ، إعلامًا منه لهم أنه مُؤَيَّدٌ^(٣) المؤمنين بنصرِهِ ؛ لئلا يَغْتَرَّوا بعديهم^(٤) وبأسِهِم ، وليَحْذَرُوا منه أن يُحِلَّ بهم من العقوبةِ على أيدي المؤمنين ، مثل الذى أحلَّ بأهلِ الشرك به من قريشٍ على أيديهم بيدِهم^(٥) .

وأما قوله : ﴿ رَأَى الْعَيْنَ ﴾ . فإنه مَصْدَرُ « رَأَيْتُهُ » ، يُقالُ : رَأَيْتُهُ رَأْيًا ورُؤْيَةً ، ورَأَيْتُ فى المنامِ رُؤْيًا حسنةً . غيرَ مُجَزَّاةٍ ، يُقالُ : هو منى رَأَى العَيْنِ ، ورَأَى العَيْنِ ، بالنصبِ والرفعِ ، يُرادُ به^(٦) : حيثُ يَقَعُ عليه بَصَرِي ، وهو من الرائي مثله ، والقومُ رِئَاءُ^(٧) : إذا جَلَسُوا حيثُ يَرى بعضهم بعضًا .

فمعنى ذلك : يَرَوْنَهُمْ - حيثُ تَلَحَّوْهُمْ أَبْصَارُهُمْ وَتَرَاهُمْ عِيُونُهُمْ - مثْلَهُمْ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [٣٩٠/١ ظ] فى ذَلِكَ لَوْبَةً لِأَوَّلِ الْآبَصَرِ ﴿ ١٣ ﴾ .

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المسرك » ، وفى م : « المعرك » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « عزم » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « عزم » ، وفى س : « عدد » .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يؤيد » .

(٤) فى ت ١ ، س : « بعدوهم » .

(٥) فى س : « بعدوهم » .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧) سقط من : ت ١ ، س ، وفى م : « رأوا » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « رأى » .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ ۖ ﴾ : يقوّى ، ﴿ يَنْصُرُهُ مَن يَشَاءُ ۖ ﴾ من قول القائل : قد أيدت فلاناً بكذا . إذا قوّيته وأعنته ، فأنا أُوَيِّدُهُ تَأْيِيدًا . وفعلتُ منه : إيدته ، فأنا أَيْدِيهِ أَيْدًا . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ۖ ﴾ [ص : ١٧] يعنى : ذا القوة .

وتأويل الكلام : قد كان لكم آية - يا معشر اليهود ، فى فتنين التقتا ؛ إحداهما تُقَاتِلُ فى سبيلِ الله ، وأخرى كافرة ، تراهم المسلمة مثلهم رأى أعينهم ، فأيدنا المسلمة وهم قليل عددهم ، على الكافرة وهم كثير عددهم ، حتى ظفروا بهم - مُعْتَبِرٌ وَمُتَّفَكِّرٌ ^(١) ، وَاللَّهُ يَقْوَىٰ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ .

وقال جل ثناؤه : ﴿ إِنَّكَ فِي ذَٰلِكَ ۖ ﴾ . يعنى : إن فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم ، من تأييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها ، على الفئة الكافرة مع كثرة عددها ، ﴿ لَعِبْرَةٌ ۖ ﴾ يعنى : لمتفكراً ومتعظاً لمن عقل وادكر فأبصر الحق .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ إِنَّكَ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۖ ﴾ . يقول : لقد كان لهم فى هؤلاء عبرة وتفكر ، أيدهم ^(٢) الله ونصرهم على عدوهم .

/ حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ١٩٩/٣ مثله ^(٣) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ۖ ﴾ .

(١) هذا تفسير قوله : « آية » المتقدم فى أول كلامه .

(٢) فى س : « فزهم » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

يعنى تعالى ذكره : ^(١) «زَيْنَ النَّاسِ» مَحَبَّةٌ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَسَائِرِ مَا عَدَّ .
ولمَّا أَرَادَ بِذَلِكَ تَوْيِخَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آثَرُوا الدُّنْيَا وَحُبَّ الرِّيَاسَةِ فِيهَا ، عَلَى أَتْبَاعِ
مُحَمَّدٍ ﷺ ، بَعَدَ عَلَيْهِمْ بِصَدَقِهِ .

وكان الحسنُ يقولُ : مَنْ زَيْنَهَا ؟ مَا أَحَدٌ أَشَدَّ لَهَا ذَمًّا مِنْ خَالِقِهَا .
حدَّثني بذلك أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نعيمٍ ، قال : ثنا أبو الأشهبِ ^(٢) عنه ^(٣) .
حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عطائٍ ، عن أبي بكرٍ بنِ حفصِ بنِ عمرٍ ^(٤)
ابنِ سعيدٍ ، قال : قال عمرٌ : لما نَزَلَتْ ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ ، قُلْتُ : الْآنَ يَا
رَبِّ حِينَ زَيْنَتْهَا لَنَا . فَنَزَلَتْ : ﴿ قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِحَيْثُ مِنَ ذَلِكَ لَكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ الآية ^(٥) .

وأما القناطرُ فإنها جمعُ القنطارِ .

واخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَبْلَغِ الْقِنْطَارِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ أَلْفٌ وَمِائَتَانِ أَوْ قِيَّةٌ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانٌ ، عن أبي حَصِينٍ ، عن
سالمِ بنِ أبي الجَعْدِ ، عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قال : الْقِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَانِ أَوْ قِيَّةٌ ^(٦) .
حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ بنُ عَيَّاشٍ ، قال : ثنا أبو حَصِينٍ ، عن سالمِ

(١ - ١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ومن الناس » .

(٢) في النسخ : « الأشعث » . والمثبت من مصدر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ٢٢/٥ - ٢٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٧/٢ (٣٢٤٩) من طريق أبي نعيم به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) في س : « عن » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٧) من طريق جرير به .

(٦) عزه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .

ابن أبي الجعد ، عن معاذٍ مثله ^(١) .

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : أَخْبَرَنَا ، يعني حفصَ بنَ مَيْسَرَةَ ، عن أبي مَرْوَانَ ، عن أبي طَيْيَّةَ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : القِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ ^(٢) .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا القاسمُ بنُ مالكٍ المُنْزِيُّ ، قال : أَخْبَرَنِي العَلَاءُ بنُ المسيبِ ، عن عاصمِ بنِ أبي النَّجُودِ ، قال : القِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ ، قال : ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن عاصمِ بنِ بَهْدَلَةَ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرةَ مثله ^(٤) .

حدَّثني زكريا بنُ يحيى الضَّرِيرُ ^(٥) ، قال : ثنا شَبَابَةُ ، قال : ثنا مَخْلَدُ بنُ عبدِ الواحدِ ، عن عليٍّ بنِ زيدٍ ، عن عطاءِ بنِ أبي مَيْمُونَةَ ، عن زُرَّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القِنْطَارُ أَلْفٌ أُوقِيَّةٌ وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ » ^(٦) .

وقال آخرون : القِنْطَارُ أَلْفُ دِينَارٍ وَمِائَتَا دِينَارٍ .

٢٠٠/٣

/ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا يونسُ ، عن الحسنِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا دِينَارٍ » ^(٧) .

(١) أخرجه الدارمي ٤٦٨/٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٨/٢ ، ٩٠٦/٣ ، (٣٢٥٤ ، ٥٠٥٥) ، والبيهقي ٢٣٣/٧ ، من طريق أبي بكر بن عياش به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣٥٢/٢ .

(٤) أخرجه البيهقي ٢٣٣/٧ من طريق حماد بن زيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٥) في النسخ : « الصديق » . وينظر تاريخ بغداد ٤٥٧/٨ ، وتفسير ابن كثير ١٥/٢ .

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٥/٢ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٢ إلى المصنف .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا يُونُسُ ، عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ : الْقِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا دِينَارٍ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : ثَنِي عَمِي ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْقِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا دِينَارٍ ، وَمِنْ الْفِضَّةِ أَلْفٌ وَمِائَتَا مِثْقَالٍ ^(٢) .

حَدَّثَنِي عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ بْنَ مَرْجَمٍ يَقُولُ : ﴿ وَالْقَنْطَرِ الْمَقْنَطَرَةِ ﴾ : يَعْنِي الْمَالَ الْكَثِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَالْقِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا دِينَارٍ ، وَمِنْ الْفِضَّةِ أَلْفٌ وَمِائَتَا مِثْقَالٍ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : الْقِنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، أَوْ أَلْفُ دِينَارٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنِي مُعَاوِيَةَ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْقِنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، أَوْ أَلْفُ دِينَارٍ ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، قَالَ : الْقِنْطَارُ أَلْفُ دِينَارٍ ، وَمِنْ الْوَرَقِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٩/٢ ، ٩٠٧/٣ ، (٣٢٦٣ ، ٥٠٥٩) من طريق يزيد به .

(٢) ذكره البيهقي ٢٣٣/٧ عن عطية العوفي معلقا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٤) أخرجه البيهقي ٢٣٣/٧ من طريق أبي صالح به .

(٥) ذكره في المحرر الوجيز ٣٥٣/٢ عن الضحاك .

حَدَّثَنَا بَشَرٌ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحُسَيْنِ، [٣٩١/١] أَنَّ الْقِنْطَارَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا^(١).

حَدَّثَنَا بَشَرٌ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَوْفٌ، عَنِ الْحُسَيْنِ : الْقِنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا .
حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ، قَالَ : ثنا^(٢) عَوْفٌ، عَنِ الْحُسَيْنِ : اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْأَعْلَى، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بِمِثْلِهِ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ عَوْفٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ : الْقِنْطَارُ أَلْفُ دِينَارٍ، دِيَّةُ أَحَدِكُمْ^(٣).

وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ ثَمَانُونَ أَلْفًا مِنَ الدَّرَاهِمِ، أَوْ مِائَةُ رَطْلٍ مِنَ الذَّهَبِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَا : ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ : الْقِنْطَارُ ثَمَانُونَ أَلْفًا^(٣).

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ : الْقِنْطَارُ ثَمَانُونَ أَلْفًا^(٤).

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٩/٢، ٩٠٧/٣ عقب الأثر (٣٢٦٠، ٥٠٦١) معلقاً .
(٢) بعده في ص ، ت ٢، ت ٣ : « قال أخبرنا » . وهنا سقط في هذا الإسناد ، وشيخ ابن بشار في مثل هذا الإسناد إما أن يكون حماد بن مسعدة ، أو ابن أبي عدى ، أو يحيى بن سعيد ، أو هوزة ، أو محمد بن جعفر ، أو عبد الأعلى ، أو عثمان بن عمر . ينظر ٥٩/١ ، ٢٢٦ ، ٤٥٥ ، ٥٢١/٢ ، ٣٠١/٤ ، ٤١٥ ، ٢٦٤/١٥ .
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٨/٢ ، ٩٠٦/٣ (٣٢٥٧ ، ٥٠٥٦) من طريق يحيى بن سعيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .
(٤) أخرجه الدارمي ٤٦٧/٢ من طريق هشيم ، بلفظ : أربعون ألفاً .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّ الْقِنْطَارَ مِائَةُ رَطْلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، أَوْ ثَمَانُونَ أَلْفًا مِنَ الْوَرِقِ ^(١) .

٢٠١/٣ / حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : الْقِنْطَارُ مِائَةُ رَطْلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، أَوْ ثَمَانُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مِنَ الْوَرِقِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نَعِيمٍ ، قَالَ : ثنا سَفِيَّانُ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، قَالَ : الْقِنْطَارُ مِائَةُ رَطْلٍ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : الْقِنْطَارُ يَكُونُ مِائَةَ رَطْلٍ ، وَهُوَ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ مِثْقَالٍ ^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ : الْقِنْطَارُ سَبْعُونَ أَلْفًا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿وَالْقَنْطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ﴾ . قَالَ : الْقِنْطَارُ سَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ^(٥) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حَذِيفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٠٨ ، ٣/٩٠٧ (٣٢٥٨ ، ٥٠٦٠) من طريق سفيان به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٠٨ ، ٣/٩٠٧ ، عقب الأثر (٣٢٥٨ ، ٥٠٦٠) من طريق عمرو به .

(٥) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٠٩ (٣٢٦٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ حَوْشَبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَطَاءَ الْخُرَاسَانِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ عَنِ الْقِنْطَارِ ، فَقَالَ : سَبْعُونَ أَلْفًا^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : هِيَ مِائَةُ مَسْلِكٍ^(٢) تُؤِيرُ ذَهَبًا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثَنَا سَالِمُ بْنُ نُوحٍ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، قَالَ : مِائَةُ مَسْلِكٍ تُؤِيرُ ذَهَبًا^(٣) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو الْأَشْهَبِ^(٤) ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ : مِائَةُ مَسْلِكٍ تُؤِيرُ ذَهَبًا^(٥) .

وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، قَالَ : الْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ الْمَالُ الْكَثِيرُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ^(٦) .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٣ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٠٩ ، ٣/ ٩٠٧ (٣٢٦١ ، ٥٠٥٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) الْمَسْلَكُ : الْجِلْد . اللسان (م س ك) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٠٨ ، ٣/ ٩٠٦ (٣٢٥٩ ، ٥٠٥٧) ، والبيهقي ٧/ ٢٣٣ من طريق الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري .

(٤) في النسخ : « الْأَشْعَث » . وينظر ما تقدم في ص ٢٥٤ .

(٥) أخرجه الدارمي ٢/ ٤٦٧ من طريق أبي الأشهب به .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ١١ إلى المصنف .

وقد ذَكَرَ بعضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ^(١) أَنَّ الْعَرَبَ لَا تَحُدُّ الْقِنْطَارَ بِمَقْدَارٍ مَعْلُومٍ مِنَ الْوِزَنِ ، وَلَكِنهَا تَقُولُ : هُوَ قَدْرُ وَزْنٍ^(٢) .

وَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مَحْدُودًا قَدْرُهُ عِنْدَهَا ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَ مُتَقَدِّمِي أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِيهِ كُلِّ هَذَا الْاِخْتِلَافِ .

فَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ : هُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ . كَمَا قَالَ الرَّيِّعُ بْنُ أَنَسٍ ، وَلَا يُحَدُّ قَدْرُ وَزْنِهِ بِحَدٍّ عَلَى / تَعْتَفٍ^(٣) ، وَقَدْ قِيلَ مَا قِيلَ مِمَّا رَوَيْنَا . ٢٠٢/٣

وَأَمَّا الْمُقَنْطَرَةُ فَهِيَ الْمُضَعَّفَةُ ، وَكَأَنَّ الْقَنَاظِيرَ ثَلَاثَةٌ ، وَالْمُقَنْطَرَةُ تِسْعَةٌ . وَهُوَ كَمَا قَالَ الرَّيِّعُ بْنُ أَنَسٍ : الْمَالُ الْكَثِيرُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ : وَالْمُقَنْطَرَةُ : الْمَالُ الْكَثِيرُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ . حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبيدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةُ ﴾ : يَعْنِي الْمَالُ الْكَثِيرُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى الْمُقَنْطَرَةِ : الْمَضْرُوبَةُ دَرَاهِمٍ أَوْ دَنَانِيرٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُوسَى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : أَمَا قَوْلُهُ :

(١) يَعْنِي أَبَا عُبَيْدَةَ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ ٨٨ / ١ .

(٢) فِي م : « وَوزن » .

(٣) كَذَا فِي النَّسَخِ ، وَلَعَلَّهَا : « تَعْسَف » .

(٤) تَقْدِمُ فِي ص ٢٥٦ .

﴿الْمَنْطَرَقَ﴾ فيقول: المَضْرُوبَةُ حتى صارت دَنَانِيرَ أو دراهم^(١).

وقد روى عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا﴾ [النساء: ٢٠]، خبرٌ لو صحَّ سنُّه لم نَعُدْهُ إلى غيرِه، وذلك ما حَدَّثَنَا به ابنُ عبدِ الرحيم^(٢) البرُّقي، قال: ثنى عمرو بنُ أبي سَلَمَةَ، قال: ثنا زُهَيْرُ بنُ محمدٍ، قال: ثنى أَبَانُ بنُ أَبِي عِيَّاشٍ وَحَمِيدُ الطَّوِيلُ، عن أَنَسِ بنِ مالِكٍ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا﴾. قال: «أَلْفَا مِئَتِينَ»^(٣). يعنى أَلْفَيْنِ^(٤).

القول في تأويل قوله: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾.

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى: ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الرَّاعِيَةُ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: ثَنَا أَبِي، عَنْ سَفِيَّانَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾. قال: الرَّاعِيَةُ الَّتِي تَرَعَى^(٥).

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: [٣٩١/١] ثَنَا سَفِيَّانَ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مِثْلَهُ.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٩/٢ (٣٢٦٥) من طريق عمرو به.

(٢) - ٢) في النسخ: «عبد الرحمن». والمثبت كما تقدم في ٦٣/١، وتفسير ابن أبي حاتم.

(٣) في ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «ومين»، وفي الموضع الأول من تفسير ابن أبي حاتم: «ألف دينار»، وفي الموضع الثاني: «ألفا دينار»، وفي المستدرک: «ألفا أوقية». وفي الدر المنثور: «ومائتين».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٨/٢، ٩٠٦/٣ (٣٢٥٦، ٥٠٥٣) عن أحمد بن عبد الرحيم به، والحاكم ١٧٨/٢ من طريق عمرو بن أبي سلمة به.

(٥) تفسير سفيان ص ٧٥. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠/٢ (٣٢٦٩) من طريق وكيع وأبي نعيم به.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا سَفِيَّانُ ، عَنْ حَبِيبٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَفِيَّانُ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ : هِيَ الرَّاعِيَّةُ ، يَعْنِي السَّائِمَةَ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ طَلْحَةَ الْقَنَادِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيزَى يَقُولُ : الرَّاعِيَّةُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قَالَ : الرَّاعِيَّةُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ : الْمُسَرَّحَةُ فِي الرَّعْيِ .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَوْلُهُ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قَالَ : الْخَيْلُ الرَّاعِيَّةُ ^(٤) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الْخَيْلُ الرَّاعِيَّةُ .

وَقَالَ آخَرُونَ : الْمُسَوَّمَةُ الْحِصَانُ .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١١٧ .

(٢) ينظر تعليق التعليق ٤/١٨٨ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠١/٢ عقب الأثر (٣٢٦٩) عن عبد الله

ابن عبد الرحمن بن أبيزى معلقا .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٦/٢ عن المصنف . وعزه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠/٢ عقب الأثر (٣٢٦٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سَفِيَّانُ ، عَنْ حَبِيبٍ ، قَالَ : قَالَ مُجَاهِدٌ : الْمُسَوْمَةُ الْمُطْهَمَةُ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوْمَةِ ﴾ . قَالَ : الْمُطْهَمَةُ الْحِسَانُ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوْمَةِ ﴾ . قَالَ : الْمُطْهَمَةُ حُسْنًا^(٣) .
حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا سَفِيَّانُ ، عَنْ حَبِيبٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : الْمُطْهَمَةُ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِيُّ ، قَالَ : ثنا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو الْخَوْلَانِيِّ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَكْرَمَةَ عَنْ ﴿ وَالْخَيْلِ

(١) المطهم من الناس والخييل : الحسن التام ، كل شيء منه على حدته ، فهو بارع الجمال . اللسان (ط ه م) .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١ / ١١٧ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ . ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠ / ٢ (٣٢٧٠) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠ / ٢ (٣٢٧١) من طريق أبي نعيم ووكيع به .

(٥) في النسخ : « بشر » . والصواب ما أثبتنا ، وينظر تهذيب الكمال ٤ / ١٧١ .

الْمُسَوِّمَةِ ﴿١﴾ . قال : تَسْوِيْمُهَا حُسْنُهَا ^(١) .

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ ، عن بَشِيرٍ ^(٢) بن أبي عمرو الخولاني ، قال : سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ يَقُولُ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ ﴾ . قال : تَسْوِيْمُهَا الْحُسْنُ .

حدَّثني موسى بْنُ هَارُونَ ، قال : ثنا عَمْرُو ، قال : ثنا أَشْبَاطُ ، عن السدي : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ ﴾ : الرَّائِعَةُ .

وقد حدَّثني بهذا الحديث عن عمرو بن حمادٍ غيرُ موسى ، قال : الرَّاعِيَةُ ^(٣) . وقال آخرون : الخيلُ المسوَّمةُ : الْمُغْلَمَةُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني عليُّ بْنُ دَاوُدَ ، قال : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ ﴾ ، يعني : الْمُغْلَمَةُ ^(٤) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ ﴾ ، وسَيِّمَاها شَيْئُهَا .

حدَّثنا الحسنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قَتَادَةَ في قوله : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ ﴾ . قال : شَيْئَةُ الْخَيْلِ في وُجُوْهِها ^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف ، وعبد بن حميد .

(٢) في النسخ : « بشر » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠/٢ عقب الأثر (٣٢٦٩) من طريق عمرو به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١١٧/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١١/٢ (٣٢٧٢) عن الحسن بن يحيى به .

وقال غيرهم : المسومة المعدة للجهاد .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قال : المعدة للجهاد .

قال أبو جعفر : أولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ المعلقة بالشياطين الحسان الرائعة حسناً من رآها ؛ لأن التسويم في كلام العرب هو الإعلام ، فالخيل الحسان معلقة بإعلام الله إياها بالحسن من ألوانها وشيئاتها وهيئاتها ، وهى المطهمة أيضاً . ومن ذلك قول نابغة بنى دؤبان في صفة الخيل ^(١) :

« وَضُمِرَ ^(٢) كَالْقِدَاحِ ^(٣) مُسَوَّمَاتٍ عَلَيْهَا مَعَشَرُ أَشْبَاهِ جِنٍّ »
يعنى بالمسومات : المعلقة . وقول لبيد ^(٤) :

وَعَدَاةٌ قَاعِ الْقُرْنَتَيْنِ ^(٥) أَتَيْتَهُمْ ^(٦) زُجَلًا ^(٧) يَلُوحُ خِلَالَهَا التَّسْوِيمُ
فمعنى تأويل من تأول ذلك المطهمة ، والمعلقة ، والرائعة ، واحد .

(١) ديوانه ص ١٢٨ .

(٢ - ٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بسمر » ، وفى س : « شيم » . والمثبت من الديوان .

(٣) القداح ، جمع قَذَح : السهم قبل أن يراش وينصل . القاموس المحيط (ق د ح) .

(٤) شرح ديوان لبيد ص ١٣٣ .

(٥) قال فى شرح الديوان : القرنين موضع . وقال ياقوت : يوم القرنين كانت فيه وقعة لغطفان على بنى

عامر . معجم البلدان ٧٠ / ٤ . ولكن لبيدا يفخر به ، فلعله كان لبنى عامر .

(٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « أتيتهم » ، وفى رواية الديوان : « أتتهم » .

(٧) فى الديوان : « زهوا » . وزُجَلًا : جماعات . اللسان (ز ج ل) .

وأما قول مَنْ تأوَّلَه بمعنى الراعية ، فإنه ذهب إلى قول القائل : أَسَمْتُ الماشية ، فأنا أُسِيْمُهَا إِسَامَةً . إذا أُرْعِيَتْهَا الْكَلَاءُ وَالْعُشْبُ ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَ مِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل : ١٠] . بمعنى تُرْعُون . ومنه قول الأخطل^(١) :
 مثل^(٢) «ابن بَزْعَة» أو كَأَخَرَ مِثْلِهِ أَوْلَى لَكَ^(٣) ابن مُسِيْمَةِ الأَجْمَالِ
 يعنى بذلك : راعية الأجمال .

فإذا أُريدَ أن الماشية هي التي رَعَتْ ، قيل : سَامَتِ الماشيةُ تُسَوِّمُ سَوِّمًا . ولذلك قيل : إِبِلٌ سَائِمَةٌ . بمعنى : راعية ، «غير أنه غيرٌ مُسْتَفِيضٍ في كلامهم : سَوِّمْتُ الماشية . بمعنى : أُرْعِيْتُهَا ، وإنما يُقالُ إذا أُريدَ ذلك : أَسَمْتُهَا . فإذا كان ذلك كذلك ، فتوجيه تأويلِ المسوِّمةِ إلى أنها المُعْلَمَةُ بما وَصَفْنَا مِنَ المعاني التي تَقَدَّم ذكرُناها أَصَحُّ .
 وأما الذي قاله ابنُ زيدٍ من أنها المُعَدَّةُ في سَبِيلِ اللَّهِ ، فتأويلٌ من معنى المسوِّمةِ [٣٩٢/١] بِمَعْرِزٍ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ .

٢٠٥/٣ / فالأنعام جمعُ نَعَمٍ ، وهي الأزواج الثمانية التي ذكرها في كتابه^(٥) ، من الضَّأْنِ وَالْمَعَزِ وَالْبَقَرِ وَالْإِبِلِ . وأما الْحَرْثُ فهو الزَّرْعُ .
 وتأويلُ الكلام : زُيِّنَ للناسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَمِنَ الْبَنِينَ ، وَمِنَ كَذَا

(١) شرح ديوانه ص ٢٤٩ .

(٢ - ٢) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : «ابن برعة» ، وفي س : «أبى برعة» .

(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤ - ٤) سقط من : ت ٢ ، ت ٣ ، س ، وفي م ، ت ١ : «أنه» .

(٥) يشير إلى الآيات ١٤٢ - ١٤٤ من سورة «الأنعام» .

و^(١) كذا ، ومن الأنعام والحَرْث .

القول في تأويل قوله : ﴿ ذَٰلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ الْمَعَادِ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ جميع ما ذَكَرَ فى هذه الآية من النساءِ والبنينَ ، والقناطرِ المقنطرة من الذهبِ والفضة ، والخيلِ المسومة ، والأنعامِ والحَرْثِ ، فكُنَى بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ عن جميعهن ، وهذا يُدَلُّ على أن « ذلك » يَشْتَمِلُ على الأشياءِ الكثيرةِ المختلفةِ المعانى ، ويُكْنَى به عن جميع ذلك .

وأما قوله : ﴿ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . فإنه خبرٌ من الله عن أن ذلك كله مما يَشْتَمِعُ به فى الدنيا أهلُها أحياء ، فَيَبْتَغُونَ به فيها ، وَيَجْعَلُونَهُ وَصْلَةً^(٢) فى معاشِهم ، وسببًا لقضاءِ شهواتِهِم ، التى زُيِّنَ لهم حُبُّهَا^(٣) فى عاجلِ دنياهم ، دونَ أن يَكُونَ عُدَّةً لمعادِهِم ، وقُرْبَةً لهم إلى ربِّهم ، إلا ما أَسْلِكَ فى سبيله ، وَأَنْفَقَ منه فيما أمرَ به .

وأما قوله : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ الْمَعَادِ ﴾ . فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه : وعندَ الله حُسْرُ الْمَآبِ ، يعنى : حُسْرُ الْمَرْجِعِ .

كما حَدَّثَنِى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدِّى : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ الْمَعَادِ ﴾ . يقول : حُسْرُ الْمُتَقَلِّبِ ، وهى الجنةُ^(٤) .

وهو مصدرٌ على مثالِ مَفْعَلٍ ، من قولِ القائلِ : آبَ الرجلُ إلينا ، إذا رجع ، فهو يَثُوبُ إِيَّابًا وأَوْبَةً وأَيَّبةً ومَأْتَابًا . غيرَ أن موضعَ الفاءِ منها مَهْمُوزٌ ، والعينُ مُجْدَلَةٌ من الواوِ

(١) بعده فى م ، ت ، ١ ، س : « من » .

(٢) الوُصْلَةُ : الذريعة . اللسان (و ص ل) .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « حملها » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٢/٢ (٣٢٧٨) من طريق عمرو بن حماد به .

إلى ^(١) الألف بحركتها ^(٢) إلى الفتح ، فلما كان حظها الحركة إلى الفتح ، وكانت حركتها منقولة إلى الحرف الذي قبلها - وهو فاء الفعل - انقلبت فصارت ألفاً ، كما قيل : قال . فصارت عين الفعل ألفاً ؛ لأن حظها الفتح . والمآب مثل المقال والمعاد والمحال ، كل ذلك مفعّل ، منقولة حركة عينه إلى فائه ، فمُصَيَّرَةٌ ^(٣) واؤه أو ياؤه ألفاً ؛ لفتحة ما قبلها .

فإن قال قائل : وكيف قيل : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ وقد علمت ما عنده يومئذٍ من أليم العذاب وشديد العقاب ؟

قيل : إن ذلك معنيٌّ به خاصٌّ من الناس ، ومعنى ^(٤) ذلك : واللَّهُ عنده حسنُ المآبِ للذين اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ، وقد أنبأنا عن ذلك في هذه الآية التي تليها .

فإن قال : وما حسنُ المآبِ ؟ قيل : هو ^(٥) ما وصفه به جل ثناؤه ، وهو المَرْجِعُ إلى جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ ، مُخْلَدًا فيها ، وإلى أزواجٍ مطهرة ، ورضوانٍ من اللّهِ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ قُلْ أُوْنِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه : قل يا محمد للناس الذين زُيِّنَ لهم حبُّ الشهواتِ مِنَ النساءِ

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « التي » .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « تحركها » .

(٣) في م : « فتصير » ، وفي س : « فصيرت » .

(٤) في ت ١ ، س : « يعنى » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ : « يبقى » ، وغير منقوطة في ص .

(٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « و » .

والبنين ، وسائر ما ذكر ربنا / جل ثناؤه : ﴿ أُوْنِبْتُكُمْ ﴾ : أأخبركم وأعلمكم ، ٢٠٦/٢
 ﴿ يَخْيِرُ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ﴾ : يعنى : بخير وأفضل لكم ، ﴿ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ﴾ : يعنى : مما زين
 لكم فى الدنيا حب شهوته من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ،
 وأنواع الأموال ، التى هى متاع الدنيا .

ثم اختلف أهل العربية فى الموضع الذى تنهى إليه الاستفهام من هذا الكلام ؛
 فقال بعضهم : تنهى ذلك عند قوله : ﴿ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ﴾ ثم ابتدا الخبر عما للذين
 اتقوا عند ربهم ، ف قيل : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ فلذلك رفع الجنات .

ومن قال هذا القول لم يُجز فى قوله : ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ إلا
 الرفع ، وذلك أنه خبر مبتدأ ، غير مردود على قوله : ﴿ يَخْيِرُ ﴾ . فيكون الحفض فيه
 جائزاً . وهو وإن كان خبراً مبتدأ عندهم ، ففيه إبانة عن معنى « الخير » الذى أمر الله
 عز وجل نبيه ﷺ أن يقول للناس : أُوْنِبْتُكُمْ به . و « الجنات » على هذا القول مرفوعة
 باللام التى فى قوله : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .

وقال آخرون منهم بنحو من هذا القول ، إلا أنهم قالوا : إن جعلت اللام التى
 فى قوله : ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ من صلة الإنباء ، جاز فى « الجنات » الحفض والرفع ؛ الحفض
 على الرد على « الخير » ، والرفع على أن يكون قوله : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ خبر مبتدأ .
 على ما قد بيناه قبل .

وقال آخرون : بل مُنتهى الاستفهام قوله : ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ثم ابتدا :
 ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ . وقالوا : تأويل الكلام : ﴿ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ يَخْيِرُ
 مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . ثم كأنه قيل : ماذا لهم ؟ أو ماذا ؟ أو على أنه
 يقال : ماذا لهم ؟ أو ماذا ؟ فقال : هو ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ الآية .

وأولى هذه الأقوالِ عندى بالصواب قولُ مَنْ جعل الاستفهامَ مُتَناهياً عندَ قوله : ﴿يَخْتَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ . والخبرُ بعده مبتدأٌ عَمَّنْ له الجناتُ بقوله : ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾ . فيكونُ مَخْرُجُ ذلك مَخْرَجَ الخبرِ ، وهو إبانةٌ عن معنى «الخير» الذى قال : «أُوْبِتُّكُمْ»^(١) به ؟ فلا يكونُ بالكلامِ حينئذٍ حاجةً إلى ضميرٍ .

قال [٣٩٢/١] أبو جعفرٍ محمدُ بنُ جريرِ الطبريُّ : وأما قوله : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ . فمنصوبٌ على القطعِ .

ومعنى قوله : ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ : للذين خافوا اللهَ فأطاعوه ، بأداءِ فرائضِهِ ، واجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ ، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يعنى بذلك : لهم جناتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ عندَ رَبِّهِمْ .

والجناتُ البساتينُ ، وقد بيَّنا ذلك بالشواهدِ فيما مضى ، وأن قوله : ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ . يعنى به : مِنْ تَحْتِ الْأَشْجَارِ . وأن الخلودَ فيها دَوَامُ الْبَقَاءِ فيها ، وأن الأزواجَ الْمُطَهَّرَةَ هن نساءُ الجنةِ اللَّوَاتِي طُهِّرْنَ مِنْ كُلِّ أَدْنَى يَكُونُ بَنَسَاءٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ، مِنَ الْحَيْضِ وَالْمَنِيِّ وَالْبَوْلِ وَالتَّفَاسِ ، وما أَشْبَهَ ذلكَ مِنَ الْأَدْنَى ، بما أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ^(٢) .

وقوله : ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ . يعنى : ورضا الله . وهو مصدرٌ مِنْ قولِ القائلِ : رَضِيَ اللهُ عَنْ فُلَانٍ ، فهو يَرْضَى عَنْهُ رِضًا ، منقوصٌ ، وِرْضَوَانًا وَرِضْوَانًا وَمَرْضَاةً . فأما الرِّضْوَانُ بضمِّ الرَّاءِ فهو لغةٌ قيسٍ ، وبه كان عاصمٌ يَقْرَأُ^(٣) .

(١) فى ص ، م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : «أُنْبِتُّكُمْ» .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٤٠٦ - ٤٠٨ ، ٤١٩ - ٤٢٢ .

(٣) فى رواية أبى بكر عنه ، وروى حفص عنه بالكسر كقراءة الباقي . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٢ .

وإنما ذَكَرَ اللَّهُ جَل ثناؤه فيما ذَكَرَ للذين اتَّقَوْا عنده من الخيرِ رِضْوَانَهُ ؛ لأن رِضْوَانَهُ أعلى منازلِ كرامةِ أهلِ الجنة .

/ كما حَدَّثَنَا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنى أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ٢٠٧/٣ محمد بنِ المنكَدِرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : إذا دَخَلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ ، قال اللَّهُ تبارَكَ وتعالى : أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا ؟ فيقولون : أَى رَبَّنَا ، أَى شَىْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ قال : رِضْوَانِي ^(١) .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴾ . يعنى بذلك : واللَّهُ ذو بصيرٍ بالذى يَتَّقِيهِ مِنْ عِبَادِهِ ، فيَخَافُهُ فَيُطِيعُهُ ، وَيُؤْثِرُ ما عنده ، مما ذَكَرَ أَنَّهُ أَعَدَّهُ للذين اتَّقَوْهُ على حُبِّ ما زُيِّنَ له فى عاجِلِ الدنيا مِنْ شَهَوَاتِ النساءِ والبنينِ وسائرِ ما عَدَّدَ منها تعالى ذِكْرُهُ ، وبالذى لا يَتَّقِيهِ فيَخَافُهُ ، ولكنه يَعْصِيهِ وَيُطِيعُ الشَّيْطَانَ ، وَيُؤْثِرُ ما زُيِّنَ له فى الدنيا مِنْ حُبِّ شهوةِ النساءِ والبنينِ والأموالِ ، على ما عنده مِنْ النِّعَمِ الْمُقِيمِ ، عالمٌ تعالى ذِكْرُهُ بكلِّ فريقٍ مِنْهُمْ ، حتى يُجَازِيَ كُلَّهُمْ عِنْدَ مَعَادِهِمْ إِلَيْهِ جَزَاءَهُمْ ؛ الْمُحْسِنُ بِإِحْسَانِهِ ، وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَهْمَكَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ^(١١) .

ومعنى ذلك : قلْ هل أنبئُكُمْ بخيرٍ مِنْ ذلكم ؟ للذين اتَّقَوْا يقولون : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَهْمَكَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

وقد يَحْتَمِلُ ^(٢) ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ وجهين مِنْ الإعرابِ ؛ الحُفْضُ على الرَّدِّ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦١٣/٢ (٣٢٨٧) من طريق سفيان به بنحوه ، ومن طريقه مرفوعاً أخرجه ابن حبان (٢٦٤٧ - موارد) ، والحاكم ٨٢/١ ، ٨٣ بنحوه .

(٢) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المعنى كذلك » .

على « الذين » الأولى ، والرفع على الابتداء ، إذ كان في مبتدأ آية أخرى غير التي فيها « الذين » الأولى ، فيكون^(١) رفعها نظير قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ [التوبة : ١١١] . ثم قال في مبتدأ الآية التي بعدها : ﴿ النَّبِيُّونَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] . ولو كان جاء ذلك مخفوضاً كان جائزاً .

ومعنى قوله : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَهْمَكَا ﴾ : الذين يقولون : إننا صدقنا بك وبنبيك ، وما جاء به من عندك ، ﴿ فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ يقول : فاستر علينا ذنوبنا^(٢) بعفوك عنها ، وتركك عقوبتنا عليها ، ﴿ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ : اذفع عنا عذابك إيانا بالنار أن نُعَذَّبَ بها . وإنما معنى ذلك : لا تُعَذِّبْنَا يَا رَبَّنَا بالنار . وإنما خُصِّصُوا المسألة بأن يقيهم عذاب النار ؛ لأن من رُحِّح يومئذ عن النار ، فقد فاز بالنجاة من عذاب النار^(٣) ، وحسن مأثبه .

وأصل قوله : ﴿ وَقِنَا ﴾ . من قول القائل : وقى الله فلاناً كذا ، يُراد به : دفع عنه ، فهو يقيه . فإذا سأل بذلك سائل قال : قيني كذا .

القول في تأويل قوله : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ ﴾ .

يعنى بقوله : ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ : الذين صَبَرُوا فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ .

ويعنى بـ ﴿ وَالصَّادِقِينَ ﴾ : الذين صدَّقوا الله في قولهم بتحقيقهم الإقرار به وبرسوله ، وما جاء به من عنده ، بالعمل بما أمره به ، والانتهاى عما نهاه عنه .

ويعنى بـ ﴿ وَالْقَنِيتِينَ ﴾ : الْمُطِيعِينَ لَهُ . وقد أتينا على الإبانة عن كل هذه

(١) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « في » .

(٢) سقط من : م .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الله » .

الحروف ومعانيها بالشواهد على صحة ما قلنا فيها ، وبالإخبار عمن قال فيها قولاً ، فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ^(١) .

وقد كان قتادة يقول في ذلك بما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالْفَكِيدِينَ ﴾ : « الصادقين » : قوم صدقت أقوالهم ^(٢) ، واستقامت قلوبهم وألستهم ، وصدقوا في السر والعلانية ، و« الصابرين » : قوم ^(٣) صبروا على طاعة الله ، وصبروا عن محاربه ، والقائتون : هم المطيعون لله ^(٤) .

وأما المنفقون : فهم المؤثنون زكوات ^(٥) أموالهم ، وواضعوها على ما أمرهم الله بإيتائها ^(٦) ، والمنفقون أموالهم في الوجوه التي أذن الله لهم جل ثناؤه بإنفاقها فيها .
وأما ﴿ الصَّابِرِينَ وَالْفَكِيدِينَ ﴾ وسائر هذه الحروف ، فمخفوض رداً على قوله : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَهْمَكَا ﴾ . والخفض في هذه الحروف يدل على أن قوله : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ . خفض رداً على قوله : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .
القول في تأويل قوله : ﴿ وَالْمُسْتَفْزِينَ بِالْأَشْحَارِ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في القوم الذين هذه الصفة صفتهم ؛ فقال بعضهم : هم المصلون بالأشجار .

(١) ينظر ما تقدم في ٤٦١ / ٢ ، ٣٧٥ / ٤ وما بعدهما .

(٢) في س : « أقوالهم » .

(٣) في ص ، ت : « يوم » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٤ / ٢ (٣٢٩٢ ، ٣٢٩٤) من طريق يزيد به دون آخره ، وعلق آخره في ٦١٥ / ٢ عقب الأثر (٣٢٩٧) .

(٥) في س : « زكاة » .

(٦) في م : « إيتانها » .

(تفسير الطبري ١٨ / ٥)

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ بِالْأَسْحَارِ : [٣٩٣/١] هُمْ أَهْلُ الصَّلَاةِ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ بِالْأَسْحَارِ . قَالَ : يُصَلُّونَ بِالْأَسْحَارِ^(٢) .
وَقَالَ آخَرُونَ : هُمُ الْمُسْتَغْفِرُونَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ : ثنا أَبِي، عَنْ حُرَيْثِ بْنِ أَبِي مَطْرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَاطِبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ : سَمِعْتُ رَجُلًا فِي السَّحَرِ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ : رَبِّ أَمَرْتَنِي فَأَطَعْتُكَ، وَهَذَا سَحَرٌ فَاغْفِرْ لِي . فَنَظَرْتُ فَإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ، قَالَ : ثنا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ بْنَ جَابِرٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ بِالْأَسْحَارِ . قَالَ : حَدَّثَنِي سَلِيمَانُ بْنُ مُوسَى، قَالَ : ثنا نَافِعٌ، أَنَّ ابْنَ عَمَرَ كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ صَلَاةً، ثُمَّ يَقُولُ : يَا نَافِعُ أَشْكُرُنَا ؟ فَيَقُولُ : لَا . فَيَعَاوِدُ الصَّلَاةَ، فَإِذَا قَلْتُ : نَعَمْ . فَقَدْ يَسْتَغْفِرُ وَيَدْعُو حَتَّى يُضْبِحَ^(٤) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٥/٢ عقب الأثر (٣٣٠٠) معلقًا .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٨/٢ عن المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٦/٢ (٣٣٠٢) ، وابن عساكر ٤٨/٣٧ من طريق الوليد بن مسلم به .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ بَعْضِ الْبَصْرِيِّينَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ :
أَمَرْنَا أَنْ نَسْتَغْفِرَ بِالْأَسْحَارِ سَبْعِينَ اسْتَغْفَارَةً^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ ، قَالَ : ثنا أَبُو يَعْقُوبَ
الضَّبِّيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : مَنْ صَلَّى مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ فِي
آخِرِ اللَّيْلِ سَبْعِينَ مَرَّةً ، كُتِبَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ^(٢) .

وقال آخرون : هم الذين يَشْهَدُونَ الصَّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَخُو الْقَعْنَبِيِّ ، قَالَ : ثنا يَعْقُوبُ بْنُ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : قُلْتُ لَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ : مَنْ ﴿الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ ؟ قَالَ : هم
الذين يَشْهَدُونَ الصَّبْحَ^(٣) .

وأولى هذه الأقوالِ بتأويلِ قوله : ﴿الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ قولُ مَنْ قَالَ : هم
السَّائِلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِمْ فَضِيحَتَهُمْ بِهَا ؛ ﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ وهى جَمْعُ سَحَرٍ .
وأظهرُ معانى ذلك أن تكونَ مَسْأَلَتُهُمْ إِيَّاهُ بِالْدُّعَاءِ . وقد يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونََ مَعْنَاهُ
تَعَرُّضُهُمْ لِمَغْفِرَتِهِ بِالْعَمَلِ وَالصَّلَاةِ ، غَيْرَ أَنْ أَظْهَرَ مَعَانِيهِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الدُّعَاءِ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ
قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

(١) عزاه ابن كثير فى تفسيره ١٨/٢ إلى ابن مردويه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٢ ، ١٢ إلى المصنف
وابن مردويه ، بلفظ : أمرنا رسول الله ﷺ به . وينظر مختصر قيام الليل ص ٣٨ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٥/٢ (٣٣٠١) من طريق إسماعيل بن مسلمة به ، وأخرجه ابن أبى
شيبه ٤٩٨/١٣ من طريق عقبة بن أبى يزيد القرشى ، عن زيد بن أسلم .

يَعْنِي بِذَلِكَ جَل ثَنَائُهُ : شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَشَهِدَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَأَوَّلُ الْعِلْمِ .

فَالْمَلَائِكَةُ مُعْطَوْفٌ بِهِمْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ ، وَ﴿ أَنَّهُ ﴾ مَفْتُوحَةٌ بِ﴿ شَهِدَ ﴾ .
وَكَانَ بَعْضُ الْبَصَرِيِّينَ ^(١) يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ : قَضَى اللَّهُ ، وَيَرْفَعُ الْمَلَائِكَةُ بِمَعْنَى : وَالْمَلَائِكَةُ شُهُودٌ وَأَوَّلُ الْعِلْمِ .

وَهَكَذَا قُرِئَتْ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بَفَتْحِ الْأَلِفِ مِنْ ﴿ أَنَّهُ ﴾ عَلَى مَا ذَكَرْتُ مِنْ إِعْمَالِ ﴿ شَهِدَ ﴾ فِي ﴿ أَنَّهُ ﴾ الْأُولَى ، وَكَسْرِ الْأَلِفِ مِنْ ﴿ إِنَّ ﴾ الثَّانِيَةِ وَابْتِدَائِهَا . سِوَى أَنْ بَعْضَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ جَمِيعًا بِفَتْحِ أَلْفَيْهِمَا ^(٢) ، بِمَعْنَى : شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ . فَعَطَفَ بـ « أَنَّ الدِّينَ » عَلَى ﴿ أَنَّهُ ﴾ الْأُولَى ، ثُمَّ حَذَفَ وَآوَ الْعَطْفِ وَهِيَ مُرَادَةٌ فِي الْكَلَامِ . وَاحْتَجَّ فِي ذَلِكَ بِأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَرَأَ ذَلِكَ : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) الْآيَةُ . ثُمَّ قَالَ : (أَنَّ الدِّينَ) . بِكَسْرِ « إِنَّ » الْأُولَى ، وَفَتْحِ « أَنْ » الثَّانِيَةِ بِإِعْمَالِ ﴿ شَهِدَ ﴾ فِيهَا ، وَجَعَلَ « إِنَّ » الْأُولَى اغْتِرَاضًا فِي الْكَلَامِ ، غَيْرَ عَامِلٍ فِيهَا ﴿ شَهِدَ ﴾ ، وَأَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَرَأَ : (شَهِدَ اللَّهُ أَنْ ^(٣) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) بِفَتْحِ « أَنْ » ، وَكَسْرِ « إِنَّ » مِنْ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ عَلَى مَعْنَى إِعْمَالِ الشَّهَادَةِ فِي « أَنَّ » الْأُولَى ، وَ« إِنَّ » الثَّانِيَةَ مُبْتَدَأً . فَرَعِمَ أَنَّهُ أَرَادَ بِقِرَاءَتِهِ إِيَّاهُمَا بِالْفَتْحِ جَمَعَ قِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ . فَخَالَفَ بِقِرَاءَتِهِ مَا قَرَأَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا وَصَفْتُ ، جَمِيعَ قِرَاءَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ

(١) يَعْنِي أَبَا عُبَيْدَةَ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ ١/ ٨٩ . وَسِيرُ الْمُصَنِّفِ قَوْلُهُ فِيْمَا بَعْدَ .

(٢) هُوَ الْكَسَائِيُّ ، يَنْظُرُ السَّبْعَةَ لِابْنِ مُجَاهِدٍ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٣) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أَنَّهُ » . وَيَنْظُرُ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ ٢/ ٤٠٣ . وَعَزَا السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْشُورِ ١٢/ ٢ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي دَاوُدَ فِي الْمَصَاحِفِ ، وَفِي الْمَصَاحِفِ ص ٥٩ : « أَنَّهُ » . خَطَأً .

منهم والمتأخرين ، بدَعَوَى تأويل على ابن عباس وابن مسعود ، زعم أنهما قالاه وقرأ به ، وغير معلوم ما ادَّعى عليهما برواية صحيحة ولا سقيمة . وكفى شاهداً على خطأ قراءة^(١) خروجها من قراءة^(٢) أهل الإسلام . فالصوابُ إذ كان الأمرُ على ما وصفنا من قراءة ذلك ، فتح الألف من « أنه » الأولى ، وكسر الألف من « إن » الثانية ، أغنى من قوله : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۚ ﴾ . ابتداءً .

وقد روى عن السدي في تأويل ذلك قول كالدال على تصحيح ما قرأ به في ذلك من ذكرنا قوله من أهل العربية ، في فتح أن من قوله : (أن الدين) . وهو ما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَمَلَٰ تِكَّةُ ﴾ إلى ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ الْحَكِيمُ ۝ ﴾ : فإن الله / يَشْهَدُ هو والملائكة والعلماء من الناس أن الدين عند الله الإسلام^(٣) .

٢١٠/٣

فهذا التأويل يدل على أن الشهادة إنما هي عاملة في « أن » الثانية ، التي في قوله : (أن الدين عند الله الإسلام) . فعلى هذا التأويل جائز في « أن »^(٤) الأولى وجهان من التأويل ؛ أحدهما : أن تكون الأولى منصوبة على وجه الشرط ، بمعنى : شهد الله بأنه واحد . فتكون مفتوحة بمعنى الحفض في مذهب بعض أهل العربية ، وبمعنى النصب في مذهب بعضهم ، والشهادة عاملة في « أن » الثانية ، كأنك قلت : شهد الله أن الدين عند الله الإسلام ؛ لأنه واحد . ثم تقدم « لأنه واحد » ، فتفتحها على ذلك التأويل .

(١) في م : « قراءته » .

(٢) في م : « قراءة » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٦/٢ ، ٦١٧ (٣٣٠٤ ، ٣٣٠٨) من طريق عمرو به .

(٤) كتب فوقها في ص : « في » ، وفي ت ٢ ، س : « أن في » .

والوجه الثاني : أن تكون « إن » الأولى مكسورة بمعنى الابتداء ؛ لأنها مُعْتَرِضٌ بها ، والشهادة واقعة على « أن » الثانية . فيكون [٣٩٣/١] معنى الكلام : شهد الله - فإنه لا إله إلا هو - والملائكة أن الدين عند الله الإسلام . كقول القائل : أشهد - فإني مُحِقٌّ - أنك مما تُعَابُ به برىء . فـ « إن » الأولى مكسورة ؛ لأنها مُعْتَرِضَةٌ ، والشهادة واقعة على « أن » الثانية .

وأما قوله : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ . فإنه بمعنى أنه الذي يلي العدل بين خلقه . والقِسْطُ هو العدل ، من قولهم : هو مُقْسِطٌ ، وقد أَقْسَطَ ، إذا عدَلَ . ونُصِبَ ﴿ قَائِمًا ﴾ على القطع .

وكان بعض نحوي أهل البصرة يزعم أنه حالٌ من « هو » التي في : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

وكان بعض نحوي الكوفة يزعم أنه حالٌ من اسم « الله » الذي مع قوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ فكان معناه : شهد الله القائم^(١) بالقسط أنه لا إله إلا هو . وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود كذلك : (وأولو العلم القائم بالقسط) ثم حذفت الألف واللام من القائم^(٢) ، فصار نكرةً ، وهو نعتٌ لمعرفة فنُصِبَ .

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندى قول من جعله قطعاً على أنه من نعت الله جل ثناؤه ؛ لأن الملائكة وأولى العلم مغطوفون عليه ، فكذلك الصحيح أن يكون قوله : ﴿ قَائِمًا ﴾ حالاً منه .

وأما تأويل قوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْعَكِيمُ ﴾ فإنه نفى أن يكون

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « العالم » .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ٢٠٠ / ١ .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « القسط » .

شَيْءٌ يَسْتَحِقُّ الْعُبُودَةَ غَيْرَ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ .

ويعنى بـ « العزيز » : الذى لا يَمْتَنِعُ عليه شَيْءٌ أراده ، ولا يَنْتَصِرُ منه أَحَدٌ عَاقِبَتَهُ أو انْتَقَمَ منه ، « الحكيم » فى تدييره ، فلا يَدْخُلُهُ خَلَلٌ .

وإنما عَنَى جَل ثَنَاؤُهُ بهذه الآية نَفَى ما أَضَافَت النصارى الذين حَاجُّوا رَسولَ اللَّهِ ﷺ فى عيسى مِنَ الْبُتُوَّةِ ، وما نَسَبَ إليه سائِرُ أَهْلِ الشَّرِكِ مِنْ أَنَّ لَهُ شَرِيكَاً ، واتَّخَذَهُم دُونَهُ أَرْبَاباً ، فَأَخْبَرَهُم اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ ، أَنَّهُ الْخَالِقُ كُلِّ ما سِوَاهُ ، وَأَنَّهُ رَبُّ كُلِّ ما اتَّخَذَهُ كُلُّ كَافِرٍ وَكُلِّ مُشْرِكٍ رَبًّا دُونَهُ ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَشْهَدُ بِهِ هُوَ وَمَلَائِكَتُهُ وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ ، فَبَدَأَ جَل ثَنَاؤُهُ بِنَفْسِهِ تَعْظِيماً لِنَفْسِهِ ، وَتَنْزِيهاً لَهَا عَمَّا نَسَبَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَمْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرِكِ بِهِ ما نَسَبُوا إِلَيْهَا ، كَمَا سَنَّ لِعِبَادِهِ أَنْ يَتَدَّعَوْا فى أُمُورِهِمْ بِذِكْرِهِ قَبْلَ ذِكْرِ غَيْرِهِ ، مُؤَدِّباً خَلْقَهُ بِذَلِكَ .

والمَرادُ مِنَ الْكَلَامِ الْخَبِيرُ عَنْ شَهَادَةِ مَنْ ارْتَضَاهُمْ مِنْ ^(١) خَلْقِهِ فَقَدَّمُوهُ ؛ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَعُلَمَاءِ عِبَادِهِ ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَلَائِكَتَهُ - الَّتِي يُعَظِّمُهَا الْعَابِدُونَ غَيْرَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّرِكِ ، وَيَعْبُدُهَا ^(٢) الْكَثِيرُ مِنْهُمْ - وَأَهْلُ الْعِلْمِ مِنْهُمْ ، / مُنْكَرُونَ ما هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ ٢١١/٣ مِنْ كُفْرِهِمْ ، وَقَوْلُهُمْ فى عيسى ، وَقَوْلَ مَنْ اتَّخَذَ رَبًّا غَيْرَهُ مِنْ سائِرِ الْخَلْقِ ، فَقَالَ : شَهِدَتِ الْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُو الْعِلْمِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ اتَّخَذَ رَبًّا دُونََ اللَّهِ فَهُوَ كَاذِبٌ . احْتِجَاجاً مِنْهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَلَى الَّذِينَ حَاجُّوهُ مِنْ وَفِدِ نَجْرَانَ فى عيسى .

وَاعْتَرَضَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَصِفَتِهِ ، عَلَى ما يَبْئُثُ ^(٣) ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَاعْلَمُوا ﴾

(١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يعبد » .

(٣) فى م : « نبينه » ، وفى س : « بينه » .

أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ مِثْلَهُمُ ﴿٤١﴾ [الأفال: ٤١] . افتتاحًا باسمه الكلام ، فكذلك افتتح باسمه والثناء على نفسه الشهادة بما وصفنا من نفى الألوهية عن غيره ، وتكذيب أهل الشرك به .

فأما ما قال الذى وصفنا قوله من أنه عني بقوله : ﴿ شَهِدَ ﴾ : قَضَى . فِيمَا لَا يُعْرَفُ فى لغة العرب ولا العجم ؛ لأن الشهادة معنى ، والقضاء غيرها .
وبنحو ما قلنا فى ذلك روى عن بعض المتقدمين القول فى ذلك .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾ : بخلاف ما قالوا ، يعنى بخلاف ما قال وقد نجران من النصارى ، ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ أى : بالعدل ^(١) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابنِ أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ : بالعدل .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .

ومعنى الدين فى هذا الموضع : الطاعة والدلة ، من قول الشاعر ^(٢) :

ويوم الحزن إذ حشدت مَعَدُّ وكان الناس إلا نحن ديننا
يعنى بذلك : مُطِيعِينَ على وجه الدل . ومنه قول القطامي ^(٣) :

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٦/٢ (٣٣٠٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله ، مقتصرًا على : بخلاف ما قالوا .

(٢) أنشده الفراء فى معانى القرآن ٨١/٣ عن المفضل ، والشرط الثانى منه فى اللسان (دى ن) .

(٣) ديوانه ص ٥٨ .

كَانَتْ نَوَازٍ^(١) تَدِينُكَ الْأَذْيَانَا

يَعْنَى : تُذِلُّكَ . وَقَوْلُ الْأَعَشَى مِيمُونِ بْنِ قَيْسٍ^(٢) :

هُوَ دَانَ الرَّبَابَ إِذْ كَرِهُوا الدِّيَّ سَنَ دِرَاكًا بِغَزْوَةٍ وَصِيَالٍ / يَعْنِي بِقَوْلِهِ^(٣) : دَانَ . ذَلَّلَ ، وَبِقَوْلِهِ : كَرِهُوا الدِّيَّ . الطَّاعَةَ .

٢١٢/٣

وَكَذَلِكَ الْإِسْلَامُ ، وَهُوَ الْإِتْقِيَادُ بِالتَّذَلُّلِ وَالْخُشُوعِ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ « أَسْلَمَ » ، بِمَعْنَى : دَخَلَ فِي السُّلْمِ ، كَمَا يُقَالُ : أَقْحَطَ الْقَوْمُ . إِذَا دَخَلُوا فِي الْقَحْطِ ، وَأَرْبَعُوا ، إِذَا دَخَلُوا فِي الرِّبْعِ ، فَكَذَلِكَ : أَسْلَمُوا ، إِذَا دَخَلُوا فِي السُّلْمِ ، وَهُوَ الْإِتْقِيَادُ بِالْخُضُوعِ وَتَرْكُ الْمَمَانَعَةِ .

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . إِنَّ الطَّاعَةَ لِلَّهِ^(٤) - الَّتِي هِيَ الطَّاعَةُ لَهُ^(٤) عِنْدَهُ - « الطَّاعَةُ لَهُ »^(٥) ، وَإِقْرَارُ الْأَلْسِنِ وَالْقُلُوبِ لَهُ بِالْعُبُودَةِ وَالذَّلَّةِ ، وَإِتْقِيَادُهَا لَهُ بِالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى ، وَتَذَلُّلُهَا لَهُ بِذَلِكَ ، مِنْ غَيْرِ اسْتِكْبَارٍ عَلَيْهِ ، وَلَا انْحِرَافٍ عَنْهُ ، دُونَ إِشْرَافٍ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَعَهُ فِي الْعُبُودَةِ وَالْأُلُوهَةِ .

وَبِنَحْوِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ

(١) فِي الدِّيَّوَانِ : « جَنْوَب » ، وَفِي نَسْخَةٍ مِنْهُ : « ظُلُوم » .

(٢) تَقْدِمُ فِي ٣/٣٠١ .

(٣) بَعْدَهُ فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إِنَّ » .

(٤) سَقَطَ مِنْ : م .

(٥) (٥ - ٥) زِيَادَةٌ مِنْ : م .

عِنْدَ اللَّهِ أَلَا يُسَلِّمُ ﴿١﴾ : والإسلام شهادة [٣٩٤/١] أن لا إله إلا الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وهو دينُ الله الذي شرع لنفسه ، وبعث به رُسُلَه ، ودلَّ عليه أوليائه ، لا يَقْبَلُ غيرَه ، ولا يَجْزِي إلا به ^(١) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : ثنا أبو العالية في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَا يُسَلِّمُ ﴾ . قال : الإسلام الإخلاص لله وحده ، وعبادته لاشريك له ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وسائر الفرائض لهذا تبع ^(٢) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال ابنُ زيد في قوله : ﴿ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات : ١٤] . قال : دخلنا في السلم ، وتركنا الحرب ^(٣) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمد بنِ جعفر بن الزبير : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَا يُسَلِّمُ ﴾ : أى ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للرب والتصديق للرسول ^(٤) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا أَلَا يَكْتَبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَهُ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما اختلف الذين أوتوا الإنجيل - وهو الكتاب الذي ذكره الله في هذه الآية - في أمر عيسى ، وافترائهم على الله فيما قالوه فيه من الأقوال التي كثر بها اختلافهم بينهم ، وتشتت بها كلمتهم ، وباين بها بعضهم بعضاً ،

(١) عراه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٧/٢ ، ٦١٨ (٢٣١٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) سيأتي هذا الأثر في تفسير سورة الحجرات بأطول مما هنا .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ .

حتى استحلَّ بها بعضهم دماء بعض ، ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ ﴾ يعنى : إلا من بعد ما عليموا الحق فيما اختلفوا فيه من أمره ، وأيقنوا أنهم فيما يقولون فيه من عظيم الفرية مُبطلون ، فأخبر الله عباده أنهم أتوا ما أتوا من الباطل ، وقالوا ما قالوا من القول الذى هو كفر بالله ، على علم منهم بخطأ ما قالوه ، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلاً منهم بخطئه ، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلاف الذى هم عليه ؛ تعدّياً من بعضهم على بعض ، وطلب الرياسات والملك والسلطان .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ ﴾ . قال : قال أبو العالیه / إلا من بعد ما جاءهم الكتاب والعلم ﴿ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ ﴾ يقول : بقياً على الدنيا ، وطلب مُلكها وسلطانها ، فقتل بعضهم بعضاً على الدنيا ، من بعد ما كانوا علماء الناس ^(١) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن ابن عمر أنه كان يُكثِرُ تلاوة هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ ﴾ . يقول : بقياً على الدنيا ، وطلب مُلكها وسلطانها ، من قبلها والله ^(٢) أتينا ، ما كان علينا من يكون علينا ^(٣) ، بعد أن يأخذ فينا كتاب الله وسنة نبيه ! ولكننا أتينا من قبلها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٨/٢ (٣٣١٦ ، ٣٣١٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) بعده فى م : « ما » .

(٣) سقط من : م .

الربيع ، قال : إِنَّ موسى لما حضره الموت دَعَا سَبْعِينَ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَاسْتَوَدَّعَهُم التَّوْرَةَ ، وَجَعَلَهُمْ أَمَنَاءَ عَلَيْهِ ، كُلَّ حَبْرٍ جُزْءًا مِنْهُ ، وَاسْتَخْلَفَ موسى يوشَعَ بْنَ نُونٍ ، فَلَمَّا مَضَى الْقَرْنُ الْأَوَّلُ وَمَضَى الثَّانِي وَمَضَى الثَّالِثُ ، وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ بَيْنَهُمْ ؛ وَهُمْ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ أَبْنَاءِ أُولَئِكَ السَّبْعِينَ ، حَتَّى أَهْرَاقُوا بَيْنَهُمُ الدَّمَاءَ ، وَوَقَعَ الشَّرُّ وَالْاِخْتِلَافُ ، وَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ قِبَلِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ بَغْيًا بَيْنَهُمْ عَلَى الدُّنْيَا ، طَلَبًا لِسُلْطَانِهَا وَمُلْكِهَا وَخَزَائِنِهَا وَزُخْرِفِهَا ، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَبَابِرَتَهُمْ ، فَقَالَ اللَّهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلَامُ ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ بِالْعِبَادِ ﴾ ^(١) .

فَقَوْلُ ^(٢) الرِّبْعِ بْنِ أَنَسٍ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّهُ مَعْنَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، دُونَ النَّصَارَى مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ .

وَكَانَ غَيْرُهُ يُوجِّهُ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى بِهِ النَّصَارَى ^(٣) الَّذِينَ أُوتُوا الْإِنْجِيلَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ : الَّذِي جَاءَهُ ، أَيْ أَنَّ اللَّهَ الْوَاحِدَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ ، ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ . يَعْنِي بِذَلِكَ النَّصَارَى ^(٤) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٢ إلى المصنف ، إلى قوله : جبابرتهم .

(٢) في النسخ : « يقول » . والصواب ما أثبتنا .

(٣) بعده في س : « منهم » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ .

القول في تأويل قوله : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بَيَّاتٍ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وَمَنْ يَجْحَدُ حُجَجَ اللَّهِ وَأَعْلَامَهُ الَّتِي نَصَبَهَا ذَكَرَى لِنَ عَقْلٍ ، وَأَدْلَةٍ لِمَنْ اعْتَبَرَ وَتَذَكَّرَ ، فَإِنَّ اللَّهَ مُحْصِيٌّ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ الَّتِي كَانَ يَعْمَلُهَا فِي الدُّنْيَا ، فَمُجَازِيهِ بِهَا فِي الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ، يَعْنِي : سَرِيعُ الْإِحْصَاءِ . وَإِنَّمَا مَعْنَى ذَلِكَ ، أَنَّهُ حَافِظٌ عَلَى كُلِّ عَامِلٍ عَمَلَهُ ، لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى عَقْدٍ ، كَمَا يَقْعِدُهُ خَلْقُهُ بِأَكْفَهُمْ ، أَوْ يَعُونُهُ بِقُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ يَحْفَظُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ كُفْلَةٍ وَلَا مَثُونَةٍ ، وَلَا مَعَانَاةٍ لِمَا يُعَانِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْحُسَابِ .

وبنحو الذي قلنا في معنى : ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ . كان مجاهدٌ يقولُ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بَيَّاتٍ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ . قال : إحصاؤه عليهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهدٍ : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بَيَّاتٍ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ : [٣٩٤/١]ظ [إحصاؤه^(١) .

/القول في تأويل قوله : ﴿إِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾^(٢) . ٢١٤/٣

يعنى بذلك جلَّ ثَنَاؤُهُ : إِنْ حَاجَّكَ يَا مُحَمَّدُ النَّفَرُ مِنْ نَصَارَى أَهْلِ نَجْرَانَ فِي أَمْرِ عَيْسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَخَاصُّمُوكَ فِيهِ بِالْبَاطِلِ ، فَقُلْ : انْقَدْتُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٩/٢ (٣٣٢٠) من طريق أبي حذيفة به .

(٢) في م ، س : « اتبعن » . وبإثبات الباء ، قرأ نافع وأبو عمرو في الوصل ، ووقف أبو عمرو بغير ياء ، واختلف عن نافع في الوقف ، وقرأ الباقون وصلاً ووقفاً بغير ياء . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٢٢ .

بلسانى وقلبى وجميع جوارحى .

وإنما خصَّ جلَّ ذكره بأمره بأن يقولَ : ﴿ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ . لأنَّ الوجهَ أكرمُ جوارحِ ابنِ آدمَ عليه ، وفيه بهاؤه وتَعْظِيمُهُ ، فإذا خضعَ وجهه لشيءٍ ^(١) ، فقد خضعَ له الذى هو دونه فى الكرامةِ عليه من جوارحِ بدنه .

وأما قوله : ﴿ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ . فإنه يعنى : وأسلمَ من اتَّبَعَنِي أيضًا وجهه لله معى ، و ﴿ مَنِ ﴾ معطوفٌ بها على التاءِ فى ﴿ أَسَلَّمْتُ ﴾ .

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ ﴾ أى : بما يأتونك به من الباطلِ من قولهم : خلَقْنَا ، وفعلْنَا ، وجعلْنَا ، وأمرْنَا . فإنما هى شُبُهَةٌ باطلةٌ ، قد عَرَفُوا ما فيها من الحقِّ ، ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسَلَّمْتُمُ فَإِنْ ءَاسَلَّمُوا فَقَدْ ءَهِتَكُوا ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : ﴿ وَقُلْ ﴾ يا محمدُ ﴿ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ من اليهودِ والنصارى ، ﴿ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ الذين لا كتابَ لهم من مشركى العربِ : ﴿ ءَاسَلَّمْتُمُ ﴾ ؟ يقولُ : قل لهم : هل أفردتم التوحيدَ ، وأخلصتم العبادةَ والألوهةَ لربِّ العالمينَ ، دونَ سائرِ الأندادِ والأشراكِ ^(٢) التى تُشْرِكُونَهَا معه فى عبادتكم إيَّاهم ، وإقراركم بربوبيَّتِهِمْ ، وأنتم تعلمون أنه لا ربَّ غيره ،

(١) فى ص ، ت ١ : « بشيء » .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ .

(٣) الأشراك : جمع شريك . تهذيب اللغة ١٧/١٠ .

ولا إله سواه ؟ ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا ﴾ . يقول : فإن انقادوا لإفراد الوجدانية لله ، وإخلاص العبادَةِ والألوهية له ، ﴿ فَقَدْ أَهْتَدُوا ﴾ ، يعنى : فقد أصابوا سبيل الحق ، وسلكوا مَحَجَّةَ الرُّشْدِ .

فإن قال قائل : وكيف قيل : ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا ﴾ عَقِيبَ الاستفهام ؟ وهل يجوزُ على هذا فى الكلام أن يقال لرجل : هل تقوم ؟ فإن تَقُمْ أَكْرَمَكَ ؟ .

قيل : ذلك جائز إذا كان الكلام مُراداً به الأمر ، وإن خرج مخرج الاستفهام ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَيَصْدُقْكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ [المائدة : ٩١] . يعنى : انتهوا . وكما قال جل ثناؤه مُخْبِراً عن الحواريين أنهم قالوا لعيسى : ﴿ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [المائدة : ١١٢] . وإنما هو مسألة ، كما يقول الرجل : هل أنت كافٌّ عَنَّا ؟ بمعنى : اكْفُفْ عَنَّا . وكما يقول الرجل للرجل : أين أين ؟ بمعنى : أقيم فلا تَبْرَحْ . ولذلك جُوزى فى الاستفهام كما جُوزى فى الأمر فى قراءة عبد الله : (هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * آمنوا) ^(١) . ففَسَّرَها بالأمر ^(٢) ، وهى فى قراءتنا على الخبر ، فالحجَازَةُ فى قراءتنا على قوله : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ ﴾ . وفى قراءة عبد الله على قوله : (آمِنُوا) على الأمر ؛ لأنه هو التفسير .

و ^(٣) بنحو معنى ^(٣) ما قلنا فى ذلك قال بعضُ أهلِ التأويل .

(١) من الآية ١٠ ، ١١ من سورة الصف ، وهذه القراءة ذكرها الفراء فى معانى القرآن ٢٠٢/١ وأبو حيان فى البحر المحيط ٢٦٣/٨ وهى قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بالآمن » .

(٣ - ٣) فى س : « بمعنى » .

٢١٥/٣

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ ﴾ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ : ﴿ ءَاسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا ﴾ . الْآيَةُ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ ﴾ . قَالَ : الْأُمِّيُّونَ الَّذِينَ لَا يَكْتُبُونَ ^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَئِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

يَعْنَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَئِنْ تَوَلَّوْا ﴾ : وَإِنْ أَدْبَرُوا مُعْرِضِينَ عَمَّا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ رَسُولٌ مُبَلِّغٌ ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ غَيْرُ إِبْلَاحِ الرِّسَالَةِ إِلَى مَنْ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِي ، وَأَدَاءِ مَا كَلَّفْتُكَ مِنْ طَاعَتِي ، ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . يَعْنَى بِذَلِكَ : وَاللَّهُ ذُو عِلْمٍ بِمَنْ يَقْبَلُ مِنْ عِبَادِهِ مَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَيُطِيعُكَ ^(٣) بِالْإِسْلَامِ ، وَبِمَنْ يَتَوَلَّى مِنْهُمْ عَنْهُ مُعْرِضًا ، فَيَرُدُّ عَلَيْكَ مَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَيُعْصِيكَ بِإِبَائِهِ الْإِسْلَامَ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ .

يَعْنَى بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ . أَيْ : يَجْحَدُونَ

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٧ ، ٥٧٨ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٢٠ (٣٣٢٧) من طريق ابن جريج به .

(٣) في ص ، س : « فيعطيك » .

حُجِّجَ اللَّهُ وَأَعْلَامُهُ ، فَيَكْذِبُونَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ ؛ التَّوَارَةِ وَالْإِنْجِيلِ .

كما حَدَّثَنِي ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : ثُمَّ جَمَعَ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ جَمِيعًا ، وَذَكَرَ مَا أَحَدَثُوا وَابْتَدَعُوا ، مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ ^(١) [آل عمران : ٢٦] .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ رُسُلَ اللَّهِ الَّذِينَ كَانُوا يُرْسَلُونَ إِلَيْهِمْ بِالنَّهْيِ عَمَّا يَأْتُونَ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، وَرُكُوبِ مَا كَانُوا يَزْكِبُونَهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ تَقَدَّمَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ بِالزَّجْرِ عَنْهَا ، نَحْوَ زَكْرِيَا وَابْنِهِ يَحْيَى وَمَا أَشَبَّهُهُمَا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

اِخْتَلَفَتْ [٣٩٥/١] الْقَرَأَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَهُ عَامَّةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَسَائِرِ قَرَاءَةِ الْأَمْصَارِ : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ ﴾ . بِمَعْنَى الْقَتْلِ .

وَقَرَأَهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ قَرَاءَةِ الْكُوفَةِ : (وَيُقَاتِلُونَ) ^(٢) . بِمَعْنَى الْقِتَالِ ، تَأْوِيلًا مِنْهُ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَادَّعَى أَنَّ ذَلِكَ فِي مَصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ : (وَقَاتَلُوا) ^(٣) ، فَقَرَأَ الَّذِي وَصَفْنَا أَمْرَهُ مِنَ الْقَرَأَةِ بِذَلِكَ التَّأْوِيلِ : (وَيُقَاتِلُونَ) .

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٨ .

(٢) هي قراءة حمزة ، وقرأ الباقون بالوجه الأول . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٣ .

(٣) المصاحف لابن أبي داود ص ٥٩ وهي قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة .

٢١٦/٣

/ والصواب من القراءة في ذلك عندنا ^(١) قراءة من قرأه : ﴿ وَيَقْتُلُونَ ﴾ ؛
لإجماع الحجة من القراءة عليه به ، مع مجيء التأويل من أهل التأويل بأن ذلك
تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ،
عن معقل بن أبي مسكين في قول الله : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قال : كان الوحى يأتى إلى بنى
إسرائيل فيذكرون قومهم ^(٢) - ولم يكن يأتيهم كتاب - فيقتلون ، فيقوم رجال من
اتبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم ، فيقتلون ، فهم الذين يأثرون بالقسط من
الناس ^(٣) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
قتادة في قوله : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ
بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قال : هؤلاء أهل الكتاب ، كان ^(٤) أتباع الأنبياء يئفونهم
ويذكرونهم ، فيقتلونهم ^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج في

(١) القراءتان متواترتان ، فكلتاها صواب .

(٢) سقط من النسخ ، والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم والدر المنثور .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٠ بنحوه .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢١/٢ (٣٣٣٤) ، وفيه : عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن معقل . وعزاه

السيوطى في الدر المنثور ١٣/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « كانوا » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢١/٢ (٣٣٣٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قال : كان ناسٌ من بنى إسرائيل ممن لم يقرأ الكتاب ، كان الوحى يأتى إليهم ، فيذكرون قومهم ، فيقتلون على ذلك ، فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس .

حدثنى أبو غبيد الوصائى^(١) محمد بن حفص^(٢) ، قال : ثنا ابن جهمير^(٣) ، قال : ثنا أبو الحسن مولى بنى أسيد ، عن مكحول ، عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعى ، عن أبى عبيدة بن الجراح ، قال : قلت : يا رسول الله ، أئى الناس أشد عذاباً يوم القيامة ؟ قال : « رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا ، أو رجلاً أمر بالمنكر ونهى عن المعروف » . ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . إلى أن انتهى إلى : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ . ثم قال رسول الله ﷺ : « يا أبا عبيدة ، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار ، فى ساعة واحدة ، فقام مائة رجلٍ واثنان عشر رجلاً من عبادة بنى إسرائيل ، فأمرؤا من قتلهم بالمعروف ، ونهؤهم عن المنكر ، فقتلوا جميعاً من آخر النهار فى ذلك اليوم ، وهم الذين ذكر الله عز وجل »^(٥) .

فتأويل الآية إذن : إن الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون أمرهم بالعدل فى أمر الله ونهيه ، الذين ينهونهم عن قتل أنبياء الله

(١) فى النسخ : « الوصافى » .

(٢) فى النسخ : « جعفر » .

(٣) فى النسخ : « حميد » .

(٤) فى النسخ : « الذين » .

(٥) أخرجه البزار فى مسنده (١٢٨٥) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٢٠ (٣٣٣٢) ، والبغوى فى تفسيره

٢/٢٠ ، ٢١ من طريق محمد بن حمير به ،

وركوب معاصيه .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ٢١ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ ٢٢ .

/ يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ : فأخبرهم يا محمد ، وأعلمهم أن لهم عند الله عذاباً مؤلماً لهم ، وهو الموجع .

٢١٧/٣

وأما قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ . فإنه يعنى بقوله : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ : الذين يكفرون بآيات الله . ومعنى ذلك : إن الذين ذكرناهم هم الذين حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ . يعنى : بطلت أعمالهم فى الدنيا والآخرة . فأما قوله : ﴿ فِي الدُّنْيَا ﴾ . فلم ينالوا بها مَحْمَدَةً ولا ثناءً من الناس ؛ لأنهم كانوا على ضلالٍ وباطلٍ ، ولم يَرْفَعِ اللهُ لَهُمْ بِهَا ذِكْراً ، بل لَعَنَهُمْ وَهَكَأُ سِتَارَهُمْ ^(١) ، وأبدى ما كانوا يُخْفُونَ مِنْ قَبَائِحِ أَعْمَالِهِمْ ، على ألسنِ أنبيائه ورسله فى كُتُبِهِ التى أنزلها عليهم ، فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مَذْمُومَةً ، فذلك حُبُوطُهَا فى الدنيا . وأما فى الآخرة ؛ فإنه أَعَدَّ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْعِقَابِ ما وَصَفَ فى كتابه ، وأَعْلَمَ عِبَادَهُ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ تَصِيرُ بُورًا لا ثوابَ لها ؛ لأنها كانت كُفْرًا بِاللَّهِ ، فجزاءُ أهلها الخلودُ فى الجحيم .

وأما قوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ . فإنه يعنى : وما لهؤلاء القوم من ناصرٍ يُنصِّرُهُمْ مِنَ اللَّهِ ، إذا هو انتقم منهم بما سَلَفَ مِنْ إِجْرَائِهِمْ واجترائهم عليه ، فَيَسْتَنْقِذُهُمْ مِنْهُ .

القول في تأويل قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى

(١) فى س : « أسرارهم » .

كِتَابٍ إِلَهُ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ يا محمد ﴿ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ . يقول : الذين أعطوا حظًا من الكتاب ، ﴿ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ﴾ . واختلف أهل التأويل في الكتاب الذي عنى الله بقوله : ﴿ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ؛ فقال بعضهم : هو التوراة ، دعاهم إلى الرضا بما فيها ، إذ كانت الفرق المنتحلة الكتب تقرُّ بها وبما فيها ، أنها كانت أحكام الله قبل أن يُنسخ منها ما نُسَخ .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنى سعيد بن جبيرة وعكرمة ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله ﷺ [٣٩٥/١ ط] بيت المذراس على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له ^(١) نعيم ^(٢) بن عمرو والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ فقال : « على ملة إبراهيم ودينه » . فقالا : فإن إبراهيم كان يهوديًا . فقال لهما رسول الله ﷺ : « فَهَلُمُّوا إِلَى التَّوَارَةِ ، فَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ » . فأبى ^(٣) عليه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ ^(٤) .

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لهم » . وكتب فوقها في ص : « ط » . علامة أنها خطأ .

(٢) وكذا ورد اسمه في أسباب النزول ، وتفسير البغوى ، وفي تفسير ابن أبى حاتم ٦٢٢/٢ (٣٣٤٠) ، وسيرة ابن هشام ، والدر المنثور : « نعمان » .

(٣) في م : « فأبوا » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٥٢ ، وذكره الزيلعى في تخريج الكشاف ١/١٧٩ ، ١٨٠ عن المصنف ، وينظر أسباب النزول للواحدى ص ٧٠ ، وتفسير البغوى ٢/٢١ ، ٢٢ ، وعزاه السيوطى في الدر المنثور ١٤/٢ إلى ابن المنذر .

٢١٨/٣ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد ، عن / سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : فقال لهما رسول الله ﷺ : « فَهَلُمَّا إِلَى التَّوَارَةِ » . وقال أيضًا : فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمَا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ . وسائر الحديث مثل حديث أبي كريب ^(١) . وقال بعضهم : بل ذلك كتاب الله الذي أنزله على محمد ، وإنما دُعِيَتْ طائفة منهم إلى رسول الله ﷺ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ، فَأَبَتْ .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنَا يَشْرُ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ : أولئك أعداء الله اليهود ، دُعُوا إلى كتاب الله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ، وإلى نبيه لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة ^(٢) ، ثم تَوَلَّوْا عنه وهم مُّعْرِضُونَ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ الآية . قال : هم اليهود ، دُعُوا إلى كتاب الله وإلى نبيه ، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم ، ثم يَتَوَلَّوْنَ وهم مُّعْرِضُونَ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٢/٢ (٣٣٤٠) من طريق سلمة به عن عكرمة مرسلًا .

(٢) بغده في م : « والإنجيل » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٢/٢ (٣٣٤٢) من طريق يزيد به قوله : ﴿ وهم معرضون ﴾ . قال : عن كتاب الله .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٢/٢ ، ٦٢٣ (٣٣٤٣) من طريق ابن أبي جعفر به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٤/٢ إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ . قَالَ : كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ يَكُونُ ، وَفِي الْحُدُودِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَيَتَوَلَّوْنَ عَنْ ذَلِكَ ^(١) .

وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندى بالصواب أن يُقال : إن الله جل ثناؤه أخبر عن طائفة من اليهود الذين كانوا بينَ ظَهْرَانِي مُهاجِرِ رسولِ الله ﷺ في عهده ، ممن قد أُوتِيَ عِلْمًا بالتوراة ، أنهم دُعُوا إلى كتابِ الله الذي كانوا يُقَرِّوْنَ به ^(٢) أنه من عندِ الله - وهو ^(٣) التوراة - في بعض ما تَنَازَعُوا فيه هم ورسولُ الله ﷺ ، وقد يجوزُ أن يكونَ تَنَازَعُهُم الذي كانوا تَنَازَعُوا فيه ، ثم دُعُوا إلى حُكْمِ التوراة فيه ، فامتنعوا من الإجابة إليه - كان أمرُ محمدٍ ﷺ وأمرُ نُبُوَّتِهِ ، ويجوزُ أن يكونَ ذلك كان أمرُ إبراهيمَ خليلِ الرحمنِ ودينه ، ويجوزُ أن يكونَ ذلك ما دُعُوا إليه من أمرِ الإسلامِ والإقرارِ به ، ويجوزُ أن يكونَ ذلك كان في حَدٍّ ، فإن كلَّ ذلك مما قد كانوا نَازَعُوا فيه رسولُ الله ﷺ ، فدعاهم فيه إلى حُكْمِ التوراة ، فأبى الإجابة فيه وكتّمه بعضهم .

ولا دلالة في الآية على أي ^(٤) ذلك كان ^(٥) من أي ^(٦) ، فيجوزُ أن يقال ^(٧) : هو

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/٢ إلى المصنف .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) بعده في م : « في » .

(٤) في النسخ : « أن » . وهو تعبير للمصنف تقدم مرارا ، ينظر مثلا ١/٥٥٦ ، ٢/٤٣٩ .

(٥ - ٥) في م : « ممن أبى » .

(٦) في س : « يكون » .

هذا دونَ هذا . ولا حاجة بنا إلى معرفة ذلك ؛ لأن المعنى الذى دُعوا إليه ^(١) ، هو مما كان فرضاً عليهم الإجابةُ إليه فى دينهم ، فامتنعوا منه ، فأخبر الله جل ثناؤه عنهم برِدَّتِهِمْ ، وتكذيبهم بما فى كتابهم ، / ومُجْحَدِهِمْ ما قد أخذ عليهم عهدَهم ومَوَاقِفَهُمْ بإقامته والعمل به ، فلن يَغْدُوا أن يكونوا فى تكذيبهم محمداً ﷺ وما جاء به من الحق ، مثلهم فى تكذيبهم موسى وما جاء به ، وهم يتوَلَّونه ويُقِرُّون به .

ومعنى قوله : ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ : ثم يشتدُّون عن كتاب الله الذى دَعَا إلى حُكْمِهِ ، مُعْرِضًا عنه مُنْصَرِفًا ، وهو بحقيقته وحجته عالمٌ .

وإنما قلنا : إن ذلك الكتاب هو ^(٢) التوراة ؛ لأنهم كانوا بالقرآن مُكْذِبِينَ ، وبالتوراة بَرِّعِهِمْ مُصَدِّقِينَ ، فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به فى رَعْمِهِمْ مُقِرُّون ، أبلغ ، وللعذرِ أقطع .

القول فى تأويل قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴾ : بأن هؤلاء الذين دُعوا إلى كتاب الله ليُحْكَمَ بَيْنَهُمْ بالحق فيما نازعوا رسول الله ﷺ ، إنما أبَوْا الإجابةَ إلى ^(٣) حُكْمِ التوراة وما فيها من الحق ، من أجل قولهم : ﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ . وهى أربعون يوماً ، وهن الأيام التى عبدوا فيها العجل ، ثم يُخْرِجُنَا مِنْهَا رَبُّنَا ، اغْتِرَارًا مِنْهُمْ بما كانوا يفترون ، يعنى : بما كانوا يَخْتَلِقُونَ من الأكاذيب والأباطيل ، فى ادِّعَائِهِمْ أنهم أبناءُ الله وأَحْبَاؤُهُ ، وأن الله قد وَعَدَ أباهم يعقوب أن لا يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْ وَلَدِهِ

(١) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جملة » .

(٢) سقط من : ت ١ ، س .

(٣) فى م : « فى » .

النارِ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ أَقْوَالِهِمْ ، وَأَخْبَرَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، دُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِهِ .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، [٣٩٦/١] عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ . قَالُوا : لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ الَّتِي نَضَبْنَا فِيهَا الْعِجْلَ ، ثُمَّ يَنْقَطِعُ الْقَسَمُ وَالْعَذَابُ عَنَّا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أَيْ قَالُوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَتُوا اللَّهَ وَأَحْبَبْتُوهُ ﴾ [المائدة : ١٨] ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبْعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ الْآيَةَ . قَالَ : قَالُوا : لَنْ نَعَذَّبَ فِي النَّارِ إِلَّا أَرْبَعِينَ يَوْمًا . قَالَ : يَعْنِي الْيَهُودَ . قَالَ : وَقَالَ قَتَادَةُ مِثْلَهُ . وَقَالَ : هِيَ الْأَيَّامُ الَّتِي نَضَبُوا فِيهَا الْعِجْلَ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ حِينَ قَالُوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَتُوا اللَّهَ وَأَحْبَبْتُوهُ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : قَالَ مُجَاهِدٌ قَوْلَهُ : ﴿ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ . قَالَ : عَرَّهْمُ قَوْلُهُمْ : ﴿ لَنْ

(١) تقدم في ١٧١/٢ ، ١٧٢ .

(٢) أخرج آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٣/٢ (٣٣٤٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

تَمَسَّكَ النَّارُ إِلَّا أَتَاكَ مَعْدُودَاتٌ ﴿١﴾ .

٢٢٠/٣

/ القول في تأويل قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢٥) .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ ﴾ : فأي حال يكون حال هؤلاء القوم الذين قالوا هذا القول ، وفعلوا ما فعلوا ، من إغراضهم عن كتاب الله ، واغترارهم بربهم ، وافترائهم الكذب ؟ وذلك من الله عز وجل وعيد لهم شديد ، وتهديد غليظ .

وانما يعنى بقوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ ﴾ الآية : فما أعظم ما يلقون من عقوبة الله وتكيله بهم ، إذا جمعهم ليوم يوفى كل عامل جزاء عمله على قدر استحقاقه ، غير مظلوم فيه ! لأنه لا يعاقب فيه إلا على ما اجتزم ، ولا يؤاخذ إلا بما عمل ، يُجزى المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، لا يخاف أحد من خلقه يومئذ منه (٣) ظلماً ولا هضمًا .

فإن قال قائل : وكيف قيل : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . ولم يُقَل : في يوم لا ريب فيه ؟

قيل : لمخالفة معنى (٣) اللام في هذا الموضع معنى « في » ، وذلك أنه لو كان مكان اللام « في » لكان معنى الكلام : فكيف إذا جمعناهم في يوم القيامة ، ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب ؟ وليس ذلك المعنى في دخول اللام ، ولكن معناه مع اللام : فكيف إذا جمعناهم لما يحدث في يوم لا ريب فيه ، ولما يكون في ذلك

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٣/٢ (٣٣٤٧) من طريق حجاج به . وفيه عن ابن جريج ، عن خالد بن الحارث ، عن مجاهد .

(٢) سقط من م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بمعنى » .

اليوم من فَضْلِ اللَّهِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ ، ماذا لهم حِينَئِذٍ مِنَ الْعِقَابِ وَأَلِيمِ الْعَذَابِ ؟
 فمع اللام فى : ﴿لَيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ نية^(١) فعل ، وخبرٌ مطلوبٌ ، قد ترك ذكره
 اجتزاء^(٢) بدلالة دخول اللام فى « اليوم » عليه منه ، وليس ذلك مع « فى » ؛ فلذلك
 اخْتِيرَتِ اللامُ ، فَأُذْخِلَتْ فى « اليوم » دُونَ « فى » .

وأما تأويلُ قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ . فإنه : لاشك فى مَجِيئِهِ .

وقد دللنا على أنه كذلك بالأدلة الكافية ، مع ذكر من قال ذلك فى تأويله ،
 فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته^(٣) .

وعنى بقوله : ﴿وَوُفِّيَتْ﴾ : وَوَفَّى اللَّهُ ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ .
 يعنى : ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ . يعنى أنه لا يَنْحَسُ الْمُحْسِنُ
 جزاءً لإحسانه ، ولا يُعَاقَبُ مُسِيئًا بغير مجرمه .

✓ القول فى تأويل قوله : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ .

أما تأويلُ : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ . فإنه : قُلْ يَا مُحَمَّدُ : يَا اللَّهُ .

واختَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فى نَصْبِ مِيمِ ﴿اللَّهُمَّ﴾ وهو مُنَادَى ، وحكمُ المُنَادَى
 المفرد غير المضاف الرفع ، وفى دخول الميم فيه ، وهو فى الأصل « اللَّهُ » بغير ميم ؛
 فقال بعضهم : إنما زِيدَتْ فيه اليمين^(٤) ؛ لأنه لا يُنَادَى بـ « يا » ، كما يُنَادَى الأسماءُ
 التى لا أَلِفَ فيها^(٥) ولا لام^(٥) ، وذلك أن الأسماء التى لا أَلِفَ ولا لامَ فيها ، تُنَادَى بـ

(١) فى س : « فيه منه » .

(٢) فى م : « أخيرًا » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٢٣١/١ - ٢٣٣ .

(٤) فى س : « الميمات » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

٢٢١/٣ « يا » ، كقول القائل : يا زيد ، ويا عمرو . / قال : فجُعِلَت الميمُ فيه خَلْقًا مِنْ « يا » ، كما قالوا : فَمِمْ وَدَمِمْ^(١) وَهَمِمْ وَزُرُقَمِمْ^(٢) وَسُتْهُمْ^(٣) ، وما أَشَبَهَ ذلك من الأسماء والنعوت التي يُحْدَفُ منها الحرفُ ، ثم يُبَدَّلُ مكانه ميمٌ . قال : فكذلك حُدِفَتْ مِنْ « اللهم » « يا » التي يُنَادَى بها الأسماء التي على ما وَصَفْنَا ، وجُعِلَت الميمُ خَلْقًا منها مما^(٤) في آخرِ الاسمِ^(٥) .

وَأَنكَرَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ آخَرُونَ^(٦) ، وقالوا : قد سَمِعْنَا العربَ تُنَادِي « اللهم » بـ « يا » كما تُنَادِيهِ وَلَا مِيمَ فِيهِ . قالوا : فلو كان الذي قال هذا القولَ مُصَيِّبًا فِي دَعْوَاهُ ، لَمْ تَدْخُلْهُ العربُ « يا » ، وقد جَاءُوا بِالْخَلْفِ مِنْهَا . وَأَنشَدُوا فِي ذَلِكَ سَمَاعًا مِنْ الْعَرَبِ^(٧) :

وَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَقُولِي كُلَّمَا
صَلَّيْتَ أَوْ كَبَّرْتِ^(٨) يَا^(٩) اللَّهُمَّ مَا^(٩)
ارْتَدُّدُ عَلَيْنَا^(١٠) شَيْخَنَا^(١١) مُسَلِّمًا

-
- (١) كذا وردت هذه الكلمة في هذا الموضع ، وستأتي على الصواب بعد ذلك : « ابنم » .
 (٢) كذا في النسخ ، ومعاني القرآن للفراء ٢٠٣/١ ، ولم نجد هذه الكلمة والتي قبلها فيما زيدت فيه الميم .
 آخرها . وينظر شرح تصريف المازني لابن جني ١٥١/١ ، والمزهر للسيوطي ٢٥٧/٢ .
 الزرقم : الشديد الزرق ، للمذكر والمؤنث . التاج (زرق) .
 (٣) الستهم : العظيم الاست . اللسان (س ت هـ) .
 (٤) سقط من : م ، ت ، ٢ ، ت ٣ .
 (٥) وهذا رأى الخليل ، نقله عنه سيبويه في الكتاب ١٩٦/٢ .
 (٦) هو قول الفراء ، ينظر معاني القرآن ٢٠٣/١ .
 (٧) معاني القرآن ٢٠٣/١ ، واللسان (أ ل هـ) ، والخزانة ٢٩٦/٢ .
 (٨ - ٨) في معاني القرآن ، واللسان : « صليت أو سبحت » ، وفي الخزانة : « سبحت أو صليت » .
 (٩ - ٩) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، واللسان : « أَللهُمَّ » .
 (١٠) في م : « إلينا » .
 (١١) الشيخ هنا : الأب أو الزوج .

وَيُزَوَّى : سَبَّحَتْ أَوْ كَبَّرَتْ . قالوا : ولم نزل العرب زادتْ مِثْلَ هذه الميمِ إِلَّا مُخَفَّفَةً فِي نَوَاقِصِ الْأَسْمَاءِ ، مِثْلَ ^(١) الْفَمِ وَابْنِمْ^(٢) وَهُمْ . قالوا : ونحن نرى أَنَّهَا كَلِمَةٌ ضُمَّ إِلَيْهَا « أُمٌّ » ، بِمَعْنَى : يَا اللَّهُ أُمُّنَا بِخَيْرٍ ، فَكَثُرَتْ فِي الْكَلَامِ فَاخْتَلَطَتْ بِهِ . قالوا : فَالضَّمَّةُ ^(٣) الَّتِي فِي الْهَاءِ مِنْ هَمْزَةِ « أُمٌّ » لَمَّا ثُرِكَ انْتَقَلَتْ إِلَى مَا قَبْلَهَا . قالوا : ونرى أَنَّ قَوْلَ الْعَرَبِ : هَلُمَّ إِلَيْنَا مِثْلُهَا ، إِنَّمَا كَانَتْ ^(٤) « هَلُمَّ » : « هَلْ » ، ضُمَّ إِلَيْهَا « أُمٌّ » فَثُرِكَ عَلَى نَصْبِهَا . قالوا : وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ إِذَا طَرَحَ الْمِيمَ : يَا اللَّهُ اغْفِرْ لِي ، وَيَا اللَّهُ اغْفِرْ لِي ، بِهَمْزٍ ^(٥) الْأَلْفِ مِنْ « اللَّهُ » مَرَّةً ، وَوَضِلَهَا أُخْرَى . فَمَنْ حَذَفَهَا أَجْرَاهَا عَلَى أَصْلِهَا ؛ لِأَنَّهَا أَلْفٌ وَلَا مَ ، مِثْلُ الْأَلْفِ وَاللَّامِ اللَّتَيْنِ تَدْخُلَانِ فِي الْأَسْمَاءِ الْمَعَارِفِ زَائِدَتَيْنِ ، وَمَنْ ^(٦) هَمَزَهَا تَوَهَّمُ أَنَّهَا مِنَ الْحَرْفِ ^(٧) ، إِذْ كَانَتْ لَا تَشْقُطُ مِنْهُ ، وَأَنْشُدُوا فِي هَمْزِ الْأَلْفِ مِنْهَا ^(٨) :

مُبَارَكٌ هُوَ وَمَنْ سَمَّاهُ

عَلَى اسْمِكَ اللَّهُمَّ يَا اللَّهُ

[٣٩٦/١ ظ] قالوا : وقد كَثُرَتْ « اللَّهُمَّ » فِي الْكَلَامِ حَتَّى خُفِّقَتْ مِيمُهَا فِي بَعْضِ

اللُّغَاتِ . وَأَنْشُدُوا ^(٩) :

(١ - ١) فِي م : « فَمِ وَدَم » .

(٢) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فَالْهَمْزَةُ » .

(٣) فِي م : « كَانَ » .

(٤) فِي ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بِهَمْزَةٍ » .

(٥ - ٥) فِي ص ، ت ١ ، س : « وَصَلَهَا وَحَذَفَ الْهَمْزَةَ وَتَوَهَّمُ أَنَّهَا مِنَ الْحُرُوفِ » ، وَمِثْلُهُ فِي ت ٢ ، ت ٣ ، إِلَّا

أَنَّ فِيهِمَا : « وَصَلَهُ » بِدَلَا مِنْ : « وَصَلَهَا » .

(٦) الرَّجَزُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ ١ / ٢٠٤ ، وَاللِّسَانُ (أ ل ه) .

(٧) كَذَا أَنْشَدَهُ الْفَرَّاءُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ١ / ٢٠٤ ، وَهُوَ لِلْأَعَشَى فِي دِيْوَانِهِ ص ٢٨٣ ، وَالشُّطْرُ الثَّانِي فِيهِ

كَالرَّوَايَةِ الْآتِيَةِ .

كخَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَّاحٍ يَسْمَعُهَا اللَّهُ^(١) الْكُبَارُ
/ والرواة تُنْشِدُ ذَلِكَ^(٢) :

٢٢٢/٣

* يَسْمَعُهَا لَاهُ الْكُبَارُ *

وقد أنشد به بعضهم^(٣) :

* يَسْمَعُهَا اللَّهُ^(٤) وَاللَّهُ كُبَارُ *

القول في تأويل قوله : ﴿مَلِكَ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ .

يعنى بذلك : يا مالك الملك ، يا من له ملك الدنيا والآخرة خالصا دون غيره .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله : ﴿قُلِ اللَّهُ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ . أى : رب العباد الملك^(٥) ، لا يَقْضِي فِيهِمْ غَيْرُكَ^(٦) .

وأما قوله : ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ . فإنه يعنى : تُعْطِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، فتملكه وتسلطه على من^(٧) تَشَاءُ .

(١) فى م : « لاهم » .

(٢) وهى رواية الديوان كما تقدم .

(٣) هو الكسائى كما قال الفراء .

(٤ - ٤) فى النسخ : « والكبار » . والمثبت من معانى القرآن .

(٥) فى سيرة ابن هشام : « والملك » .

(٦) فى سيرة ابن هشام ١ / ٥٧٨ : « غيره » .

(٧) فى ص : « ما » .

وقوله : ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ . ^(١) يعنى : وتنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه منه ، فترك ذكر : أن تنزعه منه ؛ اكتفاءً بدلالة قوله : ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ عليه ، كما يقال : أخذ ما شئت ، وكُن فيما شئت . يراؤ : أخذ ما شئت أن تأخذه ، وكُن فيما شئت أن تكون فيه ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٨] يعنى : فى أى صورة شاء أن يُركَّبكَ فيها رَكَّبَكَ .

وقيل : إن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ جواباً لمسأته ربّه أن يجعل ملك فارس والروم لأمتيه .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : وذكر لنا أن نبي الله ﷺ سأل ربّه جل ثناؤه أن يجعل له ملك فارس والروم فى أمتيه ، فأنزل الله عز جل : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ إلى ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٢) .

حدثنى المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا - والله أعلم - أن نبي الله ﷺ سأل ربّه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم فى أمتيه . ثم ذكر مثله ^(٣) .

وروى عن مجاهد أنه كان يقول : معنى الملك فى هذا الموضع الثبوة .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، س .

(٢) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ٧٠ ، ٧١ من طريق سعيد به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٤/٢ (٣٣٥٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

ذِكْرُ الرّوَايَةِ عَنْهُ بِذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ ﴾ . قَالَ : الثَّبُوءُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَنَعَزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

يَعْنِي جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَنَعَزُ مَنْ تَشَاءُ ﴾ بِإِعْطَائِهِ الْمَلِكَ وَالشَّلْطَانَ ، وَبَسْطِ الْقُدْرَةِ لَهُ ، ﴿ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ بِسَلْبِكَ مُلْكَهُ ، وَتَسْلِيْطِ عَدُوَّهُ عَلَيْهِ ، ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ أَيْ : كُلُّ ذَلِكَ بِيَدِكَ وَإِلَيْكَ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ ؛ لِأَنَّكَ / عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، دُونَ سَائِرِ خَلْقِكَ ، وَدُونَ مَنْ اتَّخَذَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْأُمِّيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ إِلَهًا وَرَبًّا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِكَ ، كَالْمَسِيحِ وَالْأَنْدَادِ الَّتِي اتَّخَذَهَا الْأُمِّيُّونَ رَبًّا .

كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْبِرِ قَوْلَهُ : ﴿ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ ﴾ الْآيَةُ . أَيْ : إِنْ ذَلِكَ بِيَدِكَ لَا إِلَى غَيْرِكَ ، ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أَيْ : لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا غَيْرُكَ بِسُلْطَانِكَ وَقُدْرَتِكَ ^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ .

يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ تُولِجُ ﴾ : تُدْخِلُ . يُقَالُ مِنْهُ : قَدْ وَلَجَ فُلَانٌ مَنْزِلَهُ ، إِذَا

(١) تفسير مجاهد ص ٢٨٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٥٧٨ .

دخله ، فهو يُلجّه وُلجًا وُلوجًا وِلجَةً . وأولجته أنا إذا أذخلته .

ويعنى بقوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ : تُدْخِلُ مَا نَقَصْتَ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي سَاعَاتِ النَّهَارِ ، فَتَزِيدُ مِنْ نَقْصَانِ هَذَا فِي زِيَادَةِ هَذَا ، ﴿ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ : وَتُدْخِلُ مَا نَقَصْتَ ^(١) مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ ، فَتَزِيدُ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ مَا نَقَصْتَ مِنْ ^(٢) سَاعَاتِ النَّهَارِ .

كما حدّثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشَّيْثِيِّ : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ : حَتَّى يَكُونَ اللَّيْلُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً ، وَالنَّهَارُ تِسْعَ سَاعَاتٍ ، وَتُدْخِلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، حَتَّى يَكُونَ النَّهَارُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً ، وَاللَّيْلُ تِسْعَ سَاعَاتٍ ^(٣) .

حدّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَا نَقَصَ مِنَ النَّهَارِ يَجْعَلُهُ فِي اللَّيْلِ ، وَمَا نَقَصَ مِنَ اللَّيْلِ يَجْعَلُهُ فِي النَّهَارِ ^(٤) .

حدّثنى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . قَالَ : مَا يَنْقُصُ مِنْ أَحَدِهِمَا ^(٥) فِي الْآخَرِ ، مُتَعَاقِبَانِ ^(٦) أَوْ يَتَعَاقَبَانِ - شَكُّ أَبُو عَاصِمٍ - ذَلِكَ مِنْ

(١) فِي ت ١ : « نَقَصْتَهُ » .

(٢) فِي ت ١ : « فِي » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٢٥/٢ (٣٣٥٩) مِنْ طَرِيقِ عَمْرٍو بِهِ .

(٤) فِي النُّسخِ : « عَنْ » . وَتَقْدَمُ فِي ٤١٥/١ .

(٥) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١٥/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٢٥/٢ (٣٣٥٨) مِنْ طَرِيقِ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ ، عَنِ الْحَكَمِ ، عَنْ عِكْرَمَةَ قَوْلِهِ .

(٦) بَعْدَهُ فِي م : « يَدْخُلُ » .

(تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٢٠/٥)

(٧) فِي ص ، ت ١ : « مُتَعَاقِبَانِ » ، وَفِي ت ٢ : « مُتَعَقِّبَاتِ » .

الساعات^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ : مَا يَنْقُصُ مِنْ أَحَدِهِمَا فِي
الْآخِرِ ، يَتَعَاقَبَانِ ذَلِكَ مِنَ السَّاعَاتِ .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ قَوْلَهُ :
﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ : نُقْصَانُ اللَّيْلِ فِي زِيَادَةِ
النَّهَارِ ، وَنُقْصَانُ النَّهَارِ فِي زِيَادَةِ اللَّيْلِ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . قَالَ : هُوَ نُقْصَانُ
أَحَدِهِمَا فِي الْآخِرِ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ تُولِجُ
اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . قَالَ : يَأْخُذُ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ ، وَيَأْخُذُ
النَّهَارُ مِنَ اللَّيْلِ . يَقُولُ : نَقْصَانُ اللَّيْلِ فِي زِيَادَةِ النَّهَارِ ، وَنَقْصَانُ النَّهَارِ فِي زِيَادَةِ
اللَّيْلِ .

٢٢٤/٣ / حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : ثنا عبيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ :
سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ .
يَعْنِي أَنَّهُ يَأْخُذُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخِرِ ، فَيَكُونُ اللَّيْلُ أحيانًا أَطْوَلَ مِنَ النَّهَارِ ، وَالنَّهَارُ أحيانًا

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٠ بنحوه .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١١٧ .

أطول من الليل^(١) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . قال : هذا طويلٌ وهذا قصيرٌ ، أخذ من هذا فأولج في هذا ، حتى صار هذا طويلًا وهذا قصيرًا .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ .
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : تأويل ذلك أنه يُخْرِجُ الشَّيْءَ الْحَيَّ مِنَ النَّطْفَةِ الْمَيِّتَةِ ، وَيُخْرِجُ النَّطْفَةَ الْمَيِّتَةَ مِنَ الشَّيْءِ الْحَيِّ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : هي النَّطْفَةُ تُخْرِجُ مِنَ الرَّجُلِ وَهِيَ مَيِّتَةٌ وَهُوَ حَيٌّ ، وَيُخْرِجُ الرَّجُلَ مِنْهَا حَيًّا وَهِيَ مَيِّتَةٌ^(٢) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : الناس الأحياء مِنَ النَّطْفِ وَالنَّطْفُ مَيِّتَةٌ ، وَيُخْرِجُهَا مِنَ النَّاسِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَنْعَامِ^(٣) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٦/٢ ، ٦٢٧ ، (٣٣٦٤ ، ٣٣٦٨) من طريق الأعمش به بنحوه ، وهو في تفسير سفيان ص ٧٦ عن الأعمش عن إبراهيم قوله .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٧/٢ (٣٣٦٩) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وزاد في آخره : والنبات كذلك أيضا . وأشار ابن أبي حاتم إلى أنه ليس عند ورقاء وشبل ذكر النبات . وينظر تفسير مجاهد ص

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن ثابت ، عن الضحاك في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ، فذكر نحوه ^(١) .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . فالنطفة ميتة تكون ، ^(٢) تُخْرِجُ مِنَ إنسان حي ، ويخرج إنسان حي من نطفة ميتة ^(٣) .

حدَّثني محمد بن ^(٤) عمر بن علي بن عطاء المقدمي ، قال : ثنا أشعث السجستاني ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبي خالد في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : تُخْرِجُ النطفة من الرجل ، والرجل من النطفة .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ هذه النطفة الميتة ، وتُخْرِجُ هذه النطفة الميتة من الحي ^(٥) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ الآية .

٢٢٥/٣

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٦/٢ ، ٦٢٧ معلقاً عقب الأثر (٣٣٦٤ ، ٣٣٦٨) .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يخرج منها » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٧/٢ عقب الأثر (٣٣٦٨) من طريق عمرو به .

(٤ - ٤) في ص ، ت ١ ، س : « عمرو بن علي عن » ، وفي م ، ت ٢ ، ت ٣ : « عمرو ، وابن علي عن » .

وتقدم على الصواب .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١١٧/١ .

قال : الناسُ الأحياءُ مِنَ النُّطْفِ ، والنُّطْفُ مَيْتَةٌ مِنَ الناسِ الأحياءِ ، وَمِنَ الأنعامِ والنَّبَتِ كذلك . قال ابنُ جريج : وسمِعْتُ يزيدَ بنَ عُوَيْمِرٍ يُخْبِرُ عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، قال : إخراجُه النطفَةَ مِنَ الإنسانِ ، وإِخراجُه الإنسانَ مِنَ النطفَةِ^(١) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ قال : النطفَةُ مَيْتَةٌ فَتُخْرِجُ مِنْهَا أحياءَ ، ﴿ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ : تُخْرِجُ النطفَ مِنْ هَؤُلَاءِ الأحياءِ ، والحبُّ مَيْتٌ تُخْرِجُ مِنْهُ حَيًّا ، ﴿ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ : تُخْرِجُ مِنْ هَذَا الحبِّ^(٢) الحَيَّ حَبًّا مَيْتًا .

وقال آخرون : معنى ذلك أَنه يُخْرِجُ النخلةَ مِنَ النواةِ ، والنواةُ مِنَ النخلةِ ، والسُّنْبُلُ مِنَ الحبِّ ، والحبُّ مِنَ السُّنْبُلِ ، والبيَضُ مِنَ الدجاجِ ، والدجاجُ مِنَ البيضِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا أَبُو ثُمَيْلَةَ ، قال : ثنا عُبيدُ^(٣) اللَّهِ ، عن عِكْرَمَةَ قولَه : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ . قال : هِيَ البَيْضَةُ تُخْرِجُ مِنَ الْحَيِّ وَهِيَ مَيْتَةٌ ، ثُمَّ يَخْرِجُ مِنْهَا الْحَيَّ^(٤) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إِسْحاقُ ، قال : ثنا حَفْصُ بْنُ عَمْرٍ ، عن الحَكَمِ بْنِ

(١) ينظر ما تقدم تخريجه عن مجاهد في ص ٣٠٧ . وقول سعيد ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٦/٢ ، ٦٢٧ ، عقب الأثر (٣٣٦٤ ، ٣٣٦٨) معلقًا .

(٢) سقط من : م .

(٣) في النسخ : « عبد » . والمثبت من مصدر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ٨٠ / ١٩ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٧/٢ ، ٦٢٨ (٣٣٦٦ ، ٣٣٧١) من طريق أبي ثُمَيْلَةَ به .

أبان ، عن عكرمة فى قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْهَنَى مِنَ الْهَنَى وَتُخْرِجُ اللَّيْتَ مِنَ اللَّيْتَ ﴾ .
 قال : النخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والحبة من الشئبلة ، والشئبلة من الحبة^(١) .
 وقال آخرون : معنى ذلك أنه يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ ، وَالْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن الحسن فى قوله :
 ﴿ وَتُخْرِجُ الْهَنَى ﴾ [٣٩٧/١] مِنْ اللَّيْتَ وَتُخْرِجُ اللَّيْتَ مِنَ الْهَنَى ، يعنى : المؤمن من
 الكافر ، والكافر من المؤمن ، والمؤمن عبدٌ حى الفؤاد ، والكافر عبدٌ ميّت الفؤاد^(٢) .
 حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، قال :
 قال الحسن فى قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْهَنَى مِنَ اللَّيْتَ وَتُخْرِجُ اللَّيْتَ مِنَ الْهَنَى ﴾ . قال :
 يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ ، وَيُخْرِجُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ^(٣) .
 حدَّثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارث^(٤) بن سعيد ، عن عمرو^(٥) ، عن
 الحسن قرأ : ﴿ وَتُخْرِجُ الْهَنَى مِنَ اللَّيْتَ وَتُخْرِجُ اللَّيْتَ مِنَ الْهَنَى ﴾ . قال : تُخْرِجُ
 الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ ، وَتُخْرِجُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ .

حدَّثنى حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا سليمان التيمي ،
 عن أبى عثمان ، عن سلمان ، أو عن ابن مسعود - وأكبر^(٥) ظنى أنه عن سلمان -

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥/٢ إلى المصنف .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥/٢ إلى المصنف وأبى الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١١٧ .

(٤ - ٥) فى النسخ : «عن سعيد بن عمرو» .

(٥) فى س : «أكثر» .

قال : إن الله عز وجل خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً - أو قال : أَرْبَعِينَ يَوْمًا - ثم قال ^(١) يَبْدُوهُ فِيهِ ^(٢) ، فَخَرَجَ كُلُّ طَيْبٍ فِي يَمِينِهِ ، وَخَرَجَ كُلُّ خَبِيثٍ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى ، / ثم خَلَطَ ^(٣) بَيْنَهُمَا . « وقال : ^(٤) فَمِنْ ثَمَّ يُخْرِجُ ^(٥) الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ^(٦) . »

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَإِذَا بَامْرَأَةٍ حَسَنَةِ النِّعَمَةِ ^(٧) ، فَقَالَ : « مَنْ هَذِهِ ؟ » قَالَتْ : إِحْدَى خَالَاتِكَ . قَالَ : « إِنْ خَالَاتِي بِهَذِهِ الْبَلَدَةِ لَعَرَّائِبُ ، وَأَيُّ خَالَاتِي هَذِهِ ؟ » قَالَتْ : خَالِدَةُ ^(٨) ابْنَةُ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ . قَالَ : « شُبْحَانَ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ! » وَكَانَتْ امْرَأَةً صَالِحَةً ، وَكَانَ أَبُوهَا كَافِرًا ^(٩) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْخَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قَالَ : هَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْكَافِرَ يَلِدُ مُؤْمِنًا ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَلِدُ كَافِرًا ؟ فَقَالَ : هُوَ كَذَلِكَ .

(١ - ١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بَعْدَهُ فِيهِ » ، وَفِي س : « بَعْدَهُ » .

(٢ - ٢) فِي م ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ : « ثُمَّ خَلَقَ مِنْهَا آدَمَ » ، وَلَيْسَتْ فِي بَقِيَّةِ مَصَادِرِ التَّخْرِيجِ .

(٣) بَعْدَهُ فِي ت ٢ ، ت ٣ : « قَالَ » .

(٤) بَعْدَهُ فِي م ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ : « يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ ، وَيُخْرِجُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ » .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ الْأَجْرِيُّ فِي الشَّرِيعَةِ ٨٥٤/٢ (٤٣١ ، ٤٣٢) ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي الْعِظَمَةِ ص ٣٦٩ (١٠١٨) ،

وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ص (٧١٧) مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ عَنْ سُلَيْمَانَ وَحْدَهُ .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ أَيْضًا فِي تَفْسِيرِهِ ٦٢٧/٢ (٣٣٦٧) مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بِهِ كَلْفُظُ الْمَطْبُوعَةِ .

(٥) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « النَّعْمَةُ » ، وَفِي مَصَادِرِ التَّخْرِيجِ : « الْهَيْئَةُ » .

(٦) فِي النَّسَخِ : « خَلْدَةُ » بِدُونِ أَلْفٍ .

(٧) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ١١٧/١ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٢٦/٢ (٣٣٦٢) عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى بِهِ .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ ٨/٢٤٨ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٢٦/٢ (٣٣٦٠) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ بِهِ نَحْوَهُ وَعِنْدَ ابْنِ

أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . وَيَنْظُرُ الْإِصَابَةُ ٥٩٧/٥ .

وَأُولَى التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالصَّوَابِ تَأْوِيلٌ مِّنْ قَالَ : يُخْرِجُ الْإِنْسَانَ الْحَيَّ ^(١) وَالْأَنْعَامَ وَبِهَائِمِ الْأَحْيَاءِ مِنَ الثُّطُفِ الْمَيِّتَةِ ، وَذَلِكَ إِخْرَاجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الثُّطُفَةَ الْمَيِّتَةَ مِنَ الْإِنْسَانِ الْحَيِّ وَالْأَنْعَامِ وَبِهَائِمِ الْأَحْيَاءِ ، وَذَلِكَ إِخْرَاجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ . وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ حَيٍّ فَارَقَهُ شَيْءٌ مِّنْ جَسَدِهِ ، فَذَلِكَ الَّذِي فَارَقَهُ مِنْهُ مَيِّتٌ ، فَالْثُّطُفَةُ مَيِّتَةٌ لِّفَارَقِهَا جَسَدَ مَنْ خَرَجَتْ مِنْهُ ، ثُمَّ يُنْشِئُ اللَّهُ مِنْهَا إِنْسَانًا حَيًّا وَبِهَائِمًا وَأَنْعَامًا أَحْيَاءَ ، وَكَذَلِكَ لِحُكْمِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ زَايَلَهُ شَيْءٌ مِنْهُ ، فَالَّذِي زَايَلَهُ مِنْهُ مَيِّتٌ . وَذَلِكَ هُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨] .

وَأَمَّا تَأْوِيلٌ مِّنْ تَأَوَّلَهُ بِمَعْنَى الْحَبَّةِ مِنَ السَّنْبِلَةِ ، وَالسَّنْبِلَةُ مِنَ الْحَبَّةِ ، وَالْبَيْضَةُ مِنَ الدَّجَاجَةِ ، وَالدَّجَاجَةُ مِنَ الْبَيْضَةِ ، وَالْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ ، وَالْكَافِرُ مِنَ الْمُؤْمِنِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ لَهُ وَجْهٌ مَفْهُومٌ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ الْأَغْلَبُ الظَّاهِرُ فِي اسْتِعْمَالِ النَّاسِ فِي الْكَلَامِ . وَتَوْجِيهُُ مَعَانِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الظَّاهِرِ الْمُشْتَعْمَلِ فِي النَّاسِ ، أُولَى مِنْ تَوْجِيهِهَا إِلَى الْخَفِيِّ الْقَلِيلِ فِي الْاسْتِعْمَالِ .

وَاخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ، بِالتَّشْدِيدِ وَتَثْقِيلِ الْيَاءِ مِنَ « الْمَيِّتِ » ^(٢) ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يُخْرِجُ الشَّيْءَ الْحَيَّ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي قَدْ مَاتَ وَمِمَّا لَمْ يَمُتْ .

وَقَرَأَتْ جَمَاعَةٌ أُخْرَى مِنْهُمْ : (تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ مِنَ « الْمَيِّتِ » ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يُخْرِجُ الشَّيْءَ الْحَيَّ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي قَدْ مَاتَ ،

(١) سقط من : ت ١ .

(٢) وهى قراءة نافع وعاصم - فى رواية حفص - وحزمة والكسائى ، وقرأ ابن كثير وعاصم - فى رواية أبى بكر - وأبو عمرو وابن عامر ، بالتخفيف ، وسيدكره المصنف . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٤ .

دُونَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَمُتْ ، وَيُخْرِجُ الشَّيْءَ الْمَيِّتَ دُونَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَمُتْ مِنَ الشَّيْءِ الْحَيِّ .

وذلك أن الميِّتَ مُثَقَّلُ الياءِ عندَ العربِ ، ما لم يَمُتْ وسيموْثُ ، وما قد مات .
وأما الميِّتُ مُخَفَّفًا^(١) ، فهو الذي قد مات ، فإذا أرادوا النعتَ قالوا : إنك مائتٌ غداً ،
وإنهم مائتون . وكذلك كلُّ ما لم يَكُنْ بعدُ ، فإنه يُخْرِجُ على هذا المثالِ الاسمَ منه .
يقالُ : هو الجائِدُ بنفسه ، والطائِبَةُ نفسُه بذلك . وإذا أُريدَ معنى الاسمِ قيل : هو
الجوَادُ بنفسه ، والطيبَةُ نفسُه .

فإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَأُوْلَى الْقَرَاءَتَيْنِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالصَّوَابِ^(٢) قِرَاءَةُ مَنْ
شَدَّدَ الْيَاءَ مِنَ « الْمَيِّتِ » ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ / النُّطْفَةِ الَّتِي قَدْ فَارَقَتْ ٢٢٧/٣
الرَّجُلَ ، فَصَارَتْ مَيِّتَةً ، وَسَيُخْرِجُهَا مِنْهَا بَعْدَ أَنْ تُفَارِقَهُ وَهِيَ فِي صُلْبِ الرَّجُلِ ،
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ؛ النُّطْفَةُ الَّتِي تُصَيِّرُ بِخُرُوجِهَا مِنَ الرَّجُلِ الْحَيَّ مَيِّتًا ، وَهِيَ قَبْلَ
خُرُوجِهَا مِنْهُ حَيَّةٌ ، فَالتَّشْدِيدُ أَبْلَغُ فِي الْمَدْحِ وَأَكْمَلُ فِي الثَّنَاءِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

يعنى بذلك جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ ، فَيَجُودُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ مُحَاسَبَةٍ
مِنْهُ لِمَنْ أَعْطَاهُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخَافُ دُخُولَ انْتِقَاصٍ فِي خَزَائِنِهِ ، وَلَا الْفَنَاءَ عَلَى مَا بِيَدِهِ .
كَمَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ
الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . قَالَ : يُخْرِجُ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِهِ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ، لَا يَخَافُ أَنْ يَنْقُصَ مَا عِنْدَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى^(٣) .

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مخفف » ، وفى س : « فيخفف » .

(٢) كلتا القراءتين صواب .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٢٨/٢ (٣٣٧٣) من طريق ابن أبي جعفر به نحوه .

[٣٩٨/١] فتأويل الآية إذن : اللهم يا مالك الملك ، تُؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتُعزّز من تشاء ، وتُدلّ من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير ، دون من ادّعى الملحدون أنه لهم إله ورب ، وعبدوه دونك ، أو^(١) اتّخذوه شريكاً معك ، أو أنه لك ولد . وبيدك القدرة التي تفعل هذه الأشياء ، وتقدير بها على كل شيء ، تُولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، فتتقّص من هذا وتزيد في هذا ، وتتقّص من هذا^(٢) وتزيد^(٣) في هذا ، وتخرج من ميث حيا ، ومن حيّ ميثا ، وترزق من تشاء بغير حساب من خلّك ، لا يقدر على ذلك أحد سواك ، ولا يستطيعه غيرك .

كما حدّثنى ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . أى : بتلك القدرة ، يعنى بالقدرة التي تؤتي الملك بها من تشاء وتنزعه^(٤) ممن تشاء ، وترزق من تشاء بغير حساب ، لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يصنعه إلا أنت . أى : فإن كنت سلّطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمون أنه إله ؛ من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، والخلق للطير من الطين ، والخبر عن الغيوب ؛^(٥) لأجعله آية للناس ، وتصديقا له في نبوته التي بعثه بها إلى قومه ، فإن من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه ؛ تملك^(٥) الملوك ،^(٦) وأمر النبوة ووضعها^(٦) حيث

(١) فى م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٢ - ٢) فى ص : « فتزيد » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، س : « تنزعها » .

(٤ - ٤) فى ص ، م ، ت ٢ ، س : « لتجعله » ، وفى س ، ت ١ : « ليجعله » ، وغير منقوطة فى ص ، والمثبت من سيرة ابن هشام ، وبعده فيها أيضًا : « به » .

(٥) فى م : « كتمليك » ، والمثبت موافق لما فى سيرة ابن هشام .

(٦ - ٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يأمر النبوة ووصفها » .

شئت ، وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل ، وإخراج الحي من الميت والميت من الحي ، ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب ، فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، فلم ^(١) يكن لهم في ذلك عبرة وبينة أن ^(٢) لو كان إلها لكان ذلك كله إليه ، وهو في علمهم يهزب من الملوك ، وينقل منهم في البلاد من ^(٣) بلد إلى بلد ^(٤) !

القول في تأويل قوله : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَسْقُوا مِنْهُمْ نَفْعًا ﴾ .

/ وهذا نهى من الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعواناً وأنصاراً ٢٢٨/٣ وظهوراً ، ولذلك كسر ﴿ يَتَّخِذُ ﴾ ؛ لأنه في موضع جزم بالنهي ، ولكنه كسر الذال منه للساكن الذي لقيه وهي ساكنة .

ومعنى ذلك : لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً ، ثوالونهم على دينهم ، وتظاهروا بهم على المسلمين من دونه المؤمنين ، وتدلونهم على عوراتهم ، فإنه من يفعل ذلك ﴿ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ ، يعنى بذلك : فقد برئ من الله ، وبرئ الله منه ، بارتداده عن دينه ، ودخوله في الكفر ، ﴿ إِلَّا أَنْ تَسْقُوا مِنْهُمْ نَفْعًا ﴾ : إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم ، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم ، وتضمرّوا لهم العداوة ، ولا تشايعوهم ^(٥) على ما هم عليه من الكفر ، ولا

(١) في سيرة ابن هشام : « أفلم » وفي نسخة منها كالثبت .

(٢) في م : « إذ » .

(٣) في ص ، ت ١ : « ومن » ، وفي س : « أو من » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٨/١ .

(٥) في ت ٢ ، ت ٣ : « تتابعوهم » ، وفي س : « تسابقوهم » .

تُعِينُوهُمْ عَلَى مُسْلِمٍ بِفَعْلٍ .

كما حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . قال : نهى الله سبحانه المؤمنين أَنْ يُلَاطِفُوا الْكَفَارَ ، أَوْ يَتَّخِذُوهُمْ وَلِجَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَفَارُ عَلَيْهِمْ ظَاهِرِينَ ، فَيُظْهِرُوا لَهُمْ اللُّطْفَ ، وَيُخَالِفُوهُمْ فِي الدِّينِ ، وذلك قوله : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مِنْهُمْ قُلَّةً ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةٌ ، قال : ثنى محمدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قال : ثنى محمدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عن عِكْرَمَةَ ، أو عن سعيدِ بْنِ جَبْرِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان الحَجَّاجُ بْنُ عَمْرٍو ، حليفُ كعبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ، وابنُ أَبِي الْحَقِيقِ ، وقيسُ بْنُ زَيْدٍ ، قد بَطَنُوا ^(٢) بنفري من الأنصارِ لِيَفْتِنُوهُمْ عن دينِهِمْ ، فقال رِفَاعَةُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ زَنْبِرٍ ^(٣) ، وعبدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ ، وسعدُ بْنُ خَيْثَمَةَ ، لأولئك النفرِ : اجْتَنِبُوا هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ ، واحذَرُوا لُزُومَهُمْ ومُباطَلَتَهُمْ ، لا يَفْتِنُوكُمْ عن دينِكُمْ . فَأَتَى أولئك النفرَ إِلَّا مُبَاطَلَتَهُمْ وَلُزُومَهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٦٢٨/٢ (٣٣٧٥) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٢) بطن فلان بفلان : إذا كان خاصا به داخلا في أمره . اللسان (ب ط ن) .

(٣) سقط من : س ، وغير منقوطة في ص ، ت ، ١ ، وفي م : « زبير » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ : « زهير » . وينظر

المؤتلف والمختلف ١١٤٠ / ٣ ، وتبصير المنتبه لابن حجر ص ٦٤٠ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٧٧) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن

علي محمد بن أبي محمد قوله . وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٧٢ ، ٧٣ عن ابن عباس

ولم يسنده .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عبادُ بْنُ منصورٍ ،
عن الحسنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .
يقولُ : لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُ كَافِرًا وَلِيًّا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ .

حَدَّثَنِي موسى ، قَالَ : ثنا عمرو ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ
الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ ﴾ . إِلَى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ ثِقَةً ﴾ : أَمَّا ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ ،
فِيوَالِيَهُمْ فِي دِينِهِمْ ، وَيُظْهِرُهُمْ عَلَى عَوْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَنْ فَعَلَ هَذَا فَهُوَ مُشْرِكٌ ، فَقَدْ بَرِئَ
اللَّهُ مِنْهُ ، إِلَّا أَنْ يَتَّقِيَ مِنْهُمْ ثِقَةً ، فَهُوَ يُظْهِرُ الْوَلَايَةَ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَالْبِرَاءَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ ، قَالَ : ثنا سَفِيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ،
عَمَّنْ حَدَّثَهُ عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ ثِقَةً ﴾ . قَالَ : الثِّقَةُ التَّكْلُمُ
بِاللِّسَانِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا حَفْصُ بْنُ عَمْرٍ ، قَالَ : ثنا الْحَكَمُ بْنُ
أَبَانَ ، عن عكرمة فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ ثِقَةً ﴾ . قَالَ : مَا لَمْ يُهَرِّقْ دَمٌ
مُسْلِمٍ ، وَمَا لَمْ يَسْتَحِلَّ مَالَهُ ^(٣) .

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عن عيسى ، [٣٩٨/١ ظ] عن ابنِ ٢٢٩/٣
أَبِي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : إِلَّا مُصَانَعَةً فِي الدُّنْيَا وَمُخَالَفَةً ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٢٩ (٣٣٧٦ ، ٣٣٧٨ ، ٣٣٧٩) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٢٩ (٣٣٨٢) من طريق سفيان ، عن ابن عباس بنحوه .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٢٩ (٣٣٨٠) من طريق حفص به .

(٤) غير منقوطة في ص ، وفي ت ١ : « مخالفة » . وخالفه مخالفة : إذا عاشره على أخلاقه . التاج (خ ل ق) .

والأثر في تفسير مجاهد ص ٢٥١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٠ (٣٣٨٥) ، من طريق ابن
أبي نجيح به . وليس في تفسير مجاهد : ومخالفة .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ
فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إِلَى : ﴿ إِلَّا أَنْ
تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقَنُّةً ﴾ . قَالَ : قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : التَّقَنُّةُ بِاللِّسَانِ ، وَلَيْسَ بِالْعَمَلِ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ
الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقَنُّةً ﴾ . قَالَ : التَّقَنُّةُ بِاللِّسَانِ ، مَنْ
حُمِلَ عَلَى أَمْرٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَهُوَ لِلَّهِ مَعْصِيَةٌ ، فَتَكَلَّمَ مَخَافَةً عَلَى نَفْسِهِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
بِالْإِيمَانِ ، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، إِنَّمَا التَّقَنُّةُ بِاللِّسَانِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عُمَى ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقَنُّةً ﴾ : فَالتَّقَنُّةُ بِاللِّسَانِ ، مَنْ
حُمِلَ عَلَى أَمْرٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَهُوَ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ ، فَيَتَكَلَّمُ بِهِ مَخَافَةَ النَّاسِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
بِالْإِيمَانِ ، فَإِنْ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُ ، إِنَّمَا التَّقَنُّةُ بِاللِّسَانِ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ^(٤) ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقَنُّةً ﴾ : إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ
قَرَابَةٌ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ لَا يَتَّخِذُ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٠/٢ (٣٣٨٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٠/٢ عقب الأثر (٣٣٨٤) معلقاً .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٨١) عن محمد بن سعد به .

(٤) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ذلك » .

الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِلَى : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾^(١) : نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَادُّوا الْكَافِرَ ، أَوْ يَتَوَلَّوْهُمْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾^(٢) ، الرَّحْمُ مِنَ الْمَشْرَكِينَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَوَلَّوْهُمْ فِي دِينِهِمْ ، إِلَّا أَنْ يَصِلَ رَحْمًا لَهُ فِي الْمَشْرَكِينَ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ . قَالَ : لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَتَّخِذَ كَافِرًا وَلِيًّا فِي دِينِهِ ، وَقَوْلُهُ : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾ . قَالَ : أَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ ، فَتَصِلَهُ لَذَلِكَ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ ثنا عَبْدُ بَنٍ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾ . قَالَ : صَاحِبِهِمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ، الرَّحِمَ^(٤) وَغَيْرَهُ ، فَأَمَّا فِي الدِّينِ فَلَا .

وَهَذَا الَّذِي قَالَه قَتَادَةُ تَأْوِيلٌ لَهُ وَجْهٌ ، وَلَيْسَ بِالْوَجْهِ الَّذِي يُدَلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ الْآيَةِ : إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا^(٥) مِنَ الْكَافِرِينَ تُقَنَّةً . فَالْأَغْلَبُ مِنْ مَعَانِي هَذَا الْكَلَامِ : إِلَّا أَنْ تَخَافُوا مِنْهُمْ مَخَافَةً . فَالتَّقِيَّةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِنَّمَا هِيَ تَقِيَّةٌ مِنَ الْكَفَارِ لَا مِنْ غَيْرِهِمْ . وَوَجْهَهُ قَتَادَةُ إِلَى أَنْ تَأْوِيلُهُ : إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ مِنْ أَجْلِ الْقَرَابَةِ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ تُقَنَّةً ، فَتَصِلُونَ رَحِمَهَا . وَلَيْسَ ذَلِكَ الْغَالِبَ عَلَى مَعْنَى الْكَلَامِ ، وَالتَّأْوِيلُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى الْأَغْلَبِ الظَّاهِرِ مِنْ مَعْرُوفِ كَلَامِ الْعَرَبِ ، الْمُسْتَعْمَلِ فِيهِمْ .

(١) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ٣ : « تَقِيَّة » . قِرَاءَةٌ ، وَسَيَذْكُرُهَا الْمُصَنِّفُ بَعْدَ قَلِيلٍ .

(٢) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ١/ ١١٨ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢/ ٦٣٠ (٣٣٨٦) عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى بِهِ .

(٣) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وَالرَّحِمَ » .

(٤ - ٤) فِي س : « مِنْهُمْ » .

وقد اختلفت القراءَةُ في قراءة قوله : ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمُ تُقْنَةً﴾ ؛ فقرأ ذلك ٢٣٠/٣ عامة قَرَأَةُ الأَمْصَارِ ﴿إِلَّا / أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمُ تُقْنَةً﴾ على تقديرِ فَعْلَةٍ مثل : تُحْمِي ، وتُؤَدِّي ، وتُكَأِّي ، مِنْ « اتَّقَيْت » .

وقرأ ذلك آخرون : (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْيَةً) . على مثالِ فَعِيلَةٍ ^(١) .

والقراءةُ التي هي القراءةُ عندنا قراءةٌ مَنْ قَرَأَهَا : ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمُ تُقْنَةً﴾ ؛ لثبوتِ حُجَّةٍ ذلك بأنه القراءةُ الصحيحةُ ، بالنقلِ المُستفيضِ الذي يَمْتَنِعُ معه ^(٢) الخطأُ .

القولُ في تأويلِ قوله عزَّ وجلَّ : ﴿وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ .

يعنى تعالى ذِكْرُهُ بذلك : وَيُخَوِّفُكُمُ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ تَرْكَبُوا مَعَاصِيَهُ ، أَوْ تُوَالُوا أَعْدَاءَهُ ، ^(٣) فَإِلَى اللَّهِ ^(٣) مَرْجِعُكُمْ وَمَصِيرُكُمْ بعدَ مَمَاتِكُمْ ، ويومُ حَشْرِكُمْ لموقفِ الحسابِ . يعنى بذلك : متى صِرْتُمْ إِلَيْهِ وقد خَالَفْتُمْ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَأَتَيْتُمْ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ نَالِكُمْ مِنْ عِقَابِ رَبِّكُمْ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ . يقولُ : فَاتَّقُوهُ وَاحْذَرُوهُ أَنْ يَنَالَكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ .

القولُ في تأويلِ قوله عزَّ وجلَّ : ﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوْا يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

(١) وهى رواية المفضل عن عاصم ، وبها قرأ يعقوب - وهو من العشرة - ووافقه الحسن ، وقرأ الباقر بالبوجه الأول . ينظر البحر المحيط ٢/ ٤٢٤ ، وإتحاف فضلاء البشر ص ١٠٤ .

(٢) فى النسخ : « منه » . وهو تصحيف . والصواب ما أثبت .

(٣ - ٣) فى ص ، ت ١ ، س : « فَإِنَّ اللَّهَ » ، وفى م : « فَإِنَّ اللَّهَ » .

يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاهُ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَلاَّ يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ مِنْ مُوَالَاةِ الْكَافِرِ فَتُسْرِوْهُ ^(١) ، أَوْ تُبَدُّوْا ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكُمْ بِالْاِسْتِخْفِافِ وَأَفْعَالِكُمْ فَتُظْهِرُوْهُ ، ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ . يَقُولُ : فَلَا تُضْمِرُوا لَهُمْ مَوَدَّةً وَلَا تُظْهِرُوا لَهُمْ مُوَالَاةً ، فَيَتَّكَلَّكُمْ مِنْ عُقُوبَةِ رَبِّكُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَغَلَانِيَتَكُمْ ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ ، وَهُوَ مُخَصِّصٌ عَلَيْكُمْ ، حَتَّى يُجَازِيَكُمْ عَلَيْهِ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا ، وَبِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا .

كَمَا حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّيْثِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يَقْلَمُ مَا أَسْرَوْا مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَعْلَنُوا ، فَقَالَ ^(٢) : ﴿إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوْهُ﴾ ^(٣) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فَإِنَّهُ ^(٤) يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا ^(٥) كَانَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ هُوَ فِي سَمَاءٍ أَوْ أَرْضٍ أَوْ حَيْثُ كَانَ ، فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ - أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ [٣٩٩/١] الْمُؤْمِنِينَ - مَا فِي صُدُورِكُمْ مِنَ الْمَيْلِ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَالْحُبَّةِ ، أَوْ مَا تُبَدُّونَهُ لَهُمْ بِالْمَعُونَةِ فَعَلًا وَقَوْلًا ؟

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي : وَاللَّهُ قَدِيرٌ عَلَى مُعَاجَلَتِكُمْ بِالْعُقُوبَةِ ^(٦) عَلَى مُوَالَاتِكُمْ إِيَّاهُمْ ، وَمُظَاهَرَتِكُمْوَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَلَى مَا يَشَاءُ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا ، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ طَلَبَهُ .

(١) فِي س : « فَتُسْرِوْهُ » .

(٢) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قَالَ » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٣١/٢ (٣٣٨٩) مِنْ طَرِيقِ عَمْرُو بِهِ .

(٤) فِي ت ١ ، س : « فَإِنَّمَا » .

(٥) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إِذْ » .

(٦) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وَالْعُقُوبَةُ » .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ .

٢٣١/٣

/ يعنى بذلك جل ثناؤه : ويحذركم الله نفسه في يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً موفراً ، ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ . يعنى : غاية بعيدة ، فإن مصيركم أيها القوم يومئذ إليه ، فاحذروه على أنفسكم من ذنوبكم .

وكان قتادة يقول في معنى قوله : ﴿مُحْضَرًا﴾ . ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ . يقول : موفراً ^(١) .

وقد زعم بعض ^(٢) أهل العربية أن معنى ذلك : وأذكرو ^(٣) يوم تجد . وقال : إن ذلك إنما جاء كذلك ؛ لأن القرآن إنما نزل للأمر والذكر ، كأنه قيل لهم : اذكروا كذا وكذا ؛ لأنه في القرآن في غير موضع : واتقوا يوم كذا ، وحين كذا .

وأما ﴿مَا﴾ التى مع ﴿عَمِلَتْ﴾ فبمعنى «الذى» ، ولا يجوز أن تكون جزاء ، لوقوع ﴿تَجِدُ﴾ عليه ^(٤) .

وأما قوله : ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ . فإنه معطوف على قوله : ﴿مَا﴾ الأولى ، و ﴿عَمِلَتْ﴾ صلة بمعنى الرفع ، لما ^(٥) قيل : ﴿تَوَدُّ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣١/٢ (٣٣٩٢) من طريق يزيد به .

(٢) زيادة يقتضيهما السياق .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

(٤) الوقوع : التعدى .

(٥) فى النسخ : « كما » . والمثبت ما يقتضيه السياق . وينظر معانى القرآن للفراء ٢٠٦/١ .

فتأويل الكلام : يومَ نَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ الذِي عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، والذِي عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لو أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا .

والأمد^(١) الغايةُ التي يُنتهى إليها ، ومنه قولُ الطِّرِمَاحِ^(٢) :

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ الْعُمُرِ وَمُؤَدٍّ^(٣) إِذَا انْقَضَى أَمَدُهُ^(٤)
يَعْنِي : غَايَةُ أَجَلِهِ .

وقد حَدَّثَنِي موسى بْنُ هَارُونَ ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشَّذِيِّ
قَوْلَهُ : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾^(٥) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ أَمَدًا
بَعِيدًا ﴾ . قال : أَجَلًا^(٦) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفِيُّ ، قال : ثنا عبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ ،
عن الحسنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ .
قال : يَشْرُ أَحَدَهُمْ أَلَّا يَلْقَى عَمَلَهُ ذَاكَ أَبَدًا ، يَكُونُ ذَلِكَ مُنَاهُ ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَقَدْ
كَانَتْ خَطِئَتُهُ يَسْتَلِدُّهَا^(٧) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ : وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ أَنْ تُسَخِّطُوهَا عَلَيْكُمْ بِرُكُوبِكُمْ مَا

(١) فِي ص : « فَإِنْ » .

(٢) دِيوانه ص ١٩٧ .

(٣) مود : هَالِك .

(٤) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أَجَلُهُ » ، وَفِي الدِّيوان : « عِدَّة » .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٣٢/٢ (٣٣٩٧) مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بِهِ .

(٦) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر المنثور ١٧/٢ إِلَى المصنف .

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٣١/٢ (٣٣٩٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ الحنفِي بِهِ .

يُشْخِطُهُ عَلَيْكُمْ ، فَتَوَافُوهُ ^(١) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوْدُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَهُوَ عَلَيْكُمْ سَاخِطٌ ، فَيَتَأَلَّكُمْ مِنَ الْيَمِّ عِقَابِهِ مَا لَا قَيْلَ لَكُمْ بِهِ .

ثم أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ رَعُوفٌ بِعِبَادِهِ رَحِيمٌ بِهِمْ ، وَمِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ تَحْذِيرُهُ إِيَّاهُمْ نَفْسَهُ ، وَتَخْوِيفُهُمْ عَقُوبَتَهُ ، وَنَهْيُهُ إِيَّاهُمْ عَمَّا نَهَاَهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ .

كما حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ ، عَنْ عَمْرِو ، عَنْ ^(٢) / الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . قَالَ ^(٣) : مِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ أَنْ حَذَّرَهُمْ نَفْسَهُ ^(٤) . ٢٣٢/٣

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣١) .

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي السَّبَبِ الَّذِي أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أُنْزِلَتْ فِي قَوْمٍ قَالُوا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ : إِنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا . فَأَمَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ نَبِيَّهٖ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ : إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَقُولُونَ فَاتَّبِعُونِي ، فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَامَةٌ صِدْقِكُمْ فِيمَا قُلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ .

(١) فِي م : « فَتَوَافُوهُ » .

(٢) فِي النُّسخ : « بِن » . وَالْمُثَبِّتُ مِنْ مَصَادِرِ التَّخْرِيجِ . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ١٢٣/٢٢ .

(٣) بَعْدَهُ فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « هُوَ » .

(٤) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ١/١١٨ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢/٦٣٢ (٣٣٩٨) مِنْ طَرِيقِ الْفَضِيلِ بْنِ

عِيَاضٍ ، عَنْ الْحَسَنِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ بَكْرِ ابْنِ الْأَسودِ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : قَالَ قَوْمٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نَحِبُّ رَبَّنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ . فَجَعَلَ اتِّبَاعَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عِلْمًا لِحُبِّهِ ، وَعَذَابَ مَنْ خَالَفَهُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : قَالَ أَقْوَامٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا لَنُحِبُّ رَبَّنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ بِذَلِكَ قَرَأْنَا : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ، فَجَعَلَ اللَّهُ اتِّبَاعَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عِلْمًا لِحُبِّهِ ، وَعَذَابَ مَنْ خَالَفَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ . قَالَ : كَانَ قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ ، يَقُولُونَ : إِنَّا نَحِبُّ رَبَّنَا . فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَتَّبِعُوا [٣٩٩/١] مُحَمَّدًا ﷺ ، وَجَعَلَ اتِّبَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ عِلْمًا لِحُبِّهِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ^(٤) ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْخَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ الْآيَةَ . قَالَ : إِنَّ أَقْوَامًا كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لِقَوْلِهِمْ تَصْدِيقًا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٧/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه الآجزي في الشريعة (٢٥٤) من طريق عبد الوهاب به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) عزاه في الدر المنثور ١٧/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) في النسخ : « سفيان » . وتقدم في ص ٣٢٣ .

مِنْ عَمَلٍ ، فَقَالَ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ الآية . كَانَ أَتْبَاعُ مُحَمَّدٍ ﷺ تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِمْ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقُولَ لَوْفِدِ نَجْرَانَ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنَ النَّصَارَى ، إِنَّ كَانَ الَّذِي يَقُولُونَهُ فِي عِيسَى مِنْ عَظِيمِ الْقَوْلِ إِنَّمَا يَقُولُونَهُ تَعْظِيمًا لِلَّهِ وَحُبًّا لَهُ ، فَاتَّبَعُوا مُحَمَّدًا ﷺ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ أَى : إِنَّ كَانَ هَذَا مِنْ قَوْلِكُمْ - يَعْنِي فِي عِيسَى - حُبًّا لِلَّهِ وَتَعْظِيمًا لَهُ ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أَى : مَا مَضَى مِنْ كَفَرِكُمْ ، ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَأَوَّلَى الْقَوْلَيْنِ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ لَغْوٌ وَفِدِ نَجْرَانَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَلَا قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ ذِكْرُ قَوْمٍ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ وَلَا أَنَّهُمْ يُعْظَمُونَهُ ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ جَوَابًا لِقَوْلِهِمْ عَلَى مَا قَالَهُ الْحَسَنُ .

وَأَمَّا مَا رَوَى الْحَسَنُ فِي ذَلِكَ مِمَّا قَدْ ذَكَرْنَاهُ ، فَلَا خَبَرَ بِهِ عِنْدَنَا يَصِحُّ فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي السُّورَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ كَمَا قَالَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْحَسَنُ أَرَادَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ ذَكَرَ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفَدِ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ نَظِيرَ إِخْبَارِنَا .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٣٣/٢ (٣٤٠٢) مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ الْحَنْفِيِّ .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٥٧٨/١ ، ٥٧٩ .

فإذا لم يكنْ بذلك خبرٌ على ما قلنا ، ولا فى الآية دليلٌ على ما وصّفنا ، فأولَى الأمور بنا أن نُلحِقَ تأويلَه بالذى عليه الدّلالة من آيِ السّورة ، وذلك هو ما وصّفنا ؛ لأن ما قبلَ هذه الآية من مُبتدأ هذه السّورة وما بعدها خبرٌ عنهم ، واحتِجاجٌ من اللّهِ لنبيّه محمدٍ ﷺ ، ودليلٌ على بُطولِ قولهم فى المسيح . فالواجبُ أن تكونَ هى أيضًا مَصْرُوفَةٌ المعنى إلى نحوٍ ما قبلها ومعنى ما بعدها .

فإذا كان الأمرُ على ما وصّفنا ، فتأويلُ الآية : قلْ يا محمدُ للوفدِ من نصارى نَجْرَانَ : إن كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أنكم تُحِبُّونَ اللّهُ ، وأنكم تُعْظَمُونَ المسيحَ ، وتقولون فيه ما تقولون ، حُبًّا منكم ربُّكم ، فحقُّقُوا قولكم الذى تقولونه ، إن كُنْتُمْ صادِقِينَ ، باتِّباعِكم إيايَ ، فإنكم تعلمون أنى للهِ رسولٌ إليكم ، كما كان عيسى رسولاً إلى مَنْ أُرْسِلَ إليه ، فإنه إن اتَّبَعْتُمُونى وَصَدَّقْتُمُونى على ما آتَيْتُكُمْ به مِنْ عِنْدِ اللّهِ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، فيُصَفِّحْ لَكُمْ عن العقوبةِ عليها ، وَيَعْفُو لَكُمْ عَمَّا مَضَى منها ، فإنه غفورٌ لذنوبِ عباده المؤمنين ، رحيّمٌ بهم وبغيرهم من خلقه .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٢)

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : قلْ يا محمدُ لهؤلاءِ الوفدِ من نصارى نَجْرَانَ : أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ محمدًا ، فإنكم قد عَلِمْتُمْ يقينًا أنه رسولى إلى خلقى ، اتَّبَعْتُهُ بالحقِّ ، تَجِدُونَهُ مكتوبًا عندكم فى الإنجيلِ ، فإن تَوَلَّوْا فاستدَبُّوا عَمَّا دَعَوْتَهُمْ إليه مِنْ ذَلِكَ وَأَعْرَضُوا عنه ، فأَعْلِمَهُمْ أن اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَفَرَ ، بِجَحْدِ ما عَرَفَ مِنَ الْحَقِّ وَأَنْكَرَهُ بَعْدَ عِلْمِهِ ، وَأَنَّهُمْ مِنْهُمْ بِجُحُودِهِمْ نُبُوتَكَ وَإِنْكَارِهِمُ الْحَقَّ الذى أَنْتَ عليه ، بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِصِحَّةِ أَمْرِكَ وَحَقِيقَةِ نُبُوتِكَ .

كما حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ : فَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَهُ - يعنى الوفد من نصارى نجران - وتجدونه فى كتابكم ، ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ على كفرهم ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) .

/ القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣٣) .

٢٣٤/٣

يعنى بذلك جلُّ ثناءؤه : إن الله اجتبى آدم ونوحا ، واختارهما لدينهما ، وآل إبراهيم وآل عمران لدينهم الذى كانوا عليه ؛ لأنهم كانوا أهل الإسلام . فأخبر الله عز وجل أنه اختار دين من ذكرنا على سائر الأديان التى خالفته . وإنما عنى بـ « آل إبراهيم وآل عمران » المؤمنين .

وقد دللنا على أن آل الرجل أتباعه وقومه ومن هو على دينه .

وبالذى قلنا فى ذلك روى القول عن ابن عباس أنه كان يقوله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . قال : هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمدٍ ، يقولُ الله عز وجل : ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ [آل عمران : ٦٨] . وهم المؤمنون ^(٢) .

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٩/١ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٥/٢ (٣٤١٤) ، من طريق عبد الله بن صالح به دون آخره .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ : رجلاً نَبِيًّا اصْطَفَاهُمَا اللَّهُ عَلَى الْعَالَمِينَ .

[٤٠٠/١] حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ : ذَكَرَ اللَّهُ أَهْلَ بَيْتَيْنِ صَالِحَيْنِ ، وَرَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ ، فَفَضَّلَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ، فكان محمدٌ ﷺ من آل إبراهيم ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبَّادٌ ، عن الحسن في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . قَالَ : فَضَّلَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْعَالَمِينَ بِالنَّبُوَّةِ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ، كانوا هم الأنبياء الأتقياء الْمُصْطَفَيْنِ ^(٢) لِرَبِّهِمْ ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

يعنى بذلك أن الله اصطفى آل إبراهيم وآل عمران ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ . فالذُرِّيَّةُ منصوبةٌ على القطع من « آل إبراهيم وآل عمران » ؛ لأن « الذُرِّيَّةَ » نكرةٌ ، و« آل عمران » معرفةٌ .

ولو قيل : نُصِبَتْ عَلَى تَكْرِيرِ « الاِصْطِفَاءِ » . لكان صواباً ؛ ^(٤) « لأن المعنى :

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١١٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٥ (٣٤١٣) عن الحسن بن يحيى

به .

(٢) في م ، س : « المطيعين » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٤ (٣٤١١) من طريق أبي بكر الحنفى به .

(٤) (٤ - ٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « لمعنى » .

اصْطَفَى ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ .

وإنما جعل بعضهم من بعض في الموالاة في الدين ، والموازرة على الإسلام والحق ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٧١] . وقال في موضع آخر : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٦٧] . يعنى : أن دينهم واحد ، وطريقتهم واحدة ، فكذلك قوله : ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ . إنما معناه : ذُرِّيَّةٌ دِينٌ بعضها دين بعض ، وكَلِمَتُهُمْ واحدة ، ومِلَّتُهُمْ واحدة في توحيد الله وطاعته .

/ كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ . يقول : فى النية والعمل والإخلاص والتوحيد له ^(١) .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . يعنى بذلك : والله ذو سَمْعٍ لِقَوْلِ امرأةِ عمران ، وذو عِلْمٍ بما تُضْمِرُهُ فى نَفْسِهَا ، إذ نَذَرْتُ له ما فى بطنِها مُحَرَّرًا .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٥) .

يعنى ^(٢) بذلك بقوله جل ثناؤه : والله سميعٌ عليمٌ ^(٣) . ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّى ﴾ . ف ﴿ إِذْ ﴾ من صِلَةٍ ﴿ سَمِيعٌ ﴾ . وأما امرأة عمران ، فهى أم مريم ابنة عمران أم عيسى ابن مريم ، صلوات الله عليه ، وكان اسمُها ، فيما ذُكِرَ لنا ، حَنَّةُ ابنة فاقوذ ^(٤) ابن قبييل ^(٥) .

كذلك حدثنا به محمد بن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فى

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٥/٢ (٣٤١٨) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٢) فى النسخ : « بقوله جل ثناؤه » . والمثبت هو ما جرت عليه عادة المصنف فى تفسيره ، وسيأتى فى ص ٣٩٢ .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « قابود » .

(٤) فى م فى هذا الموضع والموضع بعده : « قتل » .

نَسَبِهِ^(١) . وقال غيرُ ابنِ حميدٍ : ابنةُ فاقودَ - بالدالِ - ابنِ قبيلِ .

فأما زوجها ، فإنه عمرانُ بنُ ياشهمَ^(٢) بنِ أمونَ بنِ منشا بنِ حزقيا بنِ أحريقَ^(٣)
ابنِ يوثمَ^(٤) بنِ عزاريا^(٥) بنِ أمصيا بنِ يوشَ بنِ أحزيهو^(٦) بنِ يارمَ^(٧) بنِ يهفاشاطَ^(٨)
ابنِ أيشا^(٩) بنِ أبيا^(١٠) بنِ رجبعمَ بنِ سليمانَ بنِ داودَ بنِ أيشا .

كذلك حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ في
نَسَبِهِ^(١١) .

وأما قوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . فإن معناه : إني جعلتُ
لك يا ربُّ نذرًا ؛ أن لك الذي في بطني مُحَرَّرًا لعبادتك . يعنى بذلك : حبسه على
خدمتك وخدمة قُدسِكَ في الكنيسة ، عتيقةً من خدمة كلِّ شيءٍ سواك ، مُفَرَّغَةً لك
خاصَّةً .

ونصب ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ على الحال^(١٢) مما في الصفة من ذكر^(١٣) « الذي » .

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٥٨٦/١ ، وينظر البداية والنهاية ٤١٨/٢ .

(٢) في ت ١ ، ت ٢ ، س ، والبداية والنهاية : « باشم » .

(٣) في النسخ : « أحريق » ، والمثبت من تاريخ المصنف والبداية والنهاية .

(٤) في تاريخ المصنف : « يوثام » ، وفي البداية والنهاية : « موثم » ، وأثبتناه بالثاء ليوافق ما فيهما .

(٥) في تاريخ المصنف : « عزريا » .

(٦) في النسخ : « أحزيهو » ، والمثبت من تاريخ المصنف والبداية والنهاية .

(٧) في النسخ : « يارم » ، والمثبت من تاريخ المصنف والبداية والنهاية .

(٨) في تاريخ الطبرى : « يهشافاظ » .

(٩) في م : « أشا » ، وفي تاريخ الطبرى : « أسا » ، وفي البداية والنهاية : « أيش » .

(١٠) في النسخ : « أبان » . والمثبت من تاريخ المصنف .

(١١) أخرجه المصنف في تاريخه ٥٨٥/١ ، ٥٨٦ . وينظر البداية والنهاية ٤١٧/٢ .

(١٢ - ١٣) في م : « من ما التى بمعنى » .

﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾ . أى : فتقبل منى ما نذرت لك يا رب ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . يعنى : إنك أنت يا رب السميع لما أقول وأدعو ، العليم لما أنوى فى نفسى وأريد ، لا يخفى عليك سر أمرى وعلايته .

وكان سبب نذر حنّة ابنة فاقوذ^(١) امرأة عمران ، الذى ذكره الله فى هذه الآية ، فيما بلغنا ، ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : تزوج زكريا وعمران أختين ، فكانت أم يحيى عند زكريا ، وكانت أم مريم عند عمران ، فهلك عمران وأم مريم حامل بريم ، فهى جنين فى بطنها . قال : وكانت فيما يزعمون قد أمسك عنها الولد حتى أسنت ، وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان ، فبينا هى فى ظل شجرة ، نظرت إلى طائر يطعم فرخا له ، فتحركت نفسها للولد ، فدعت الله أن يهب لها ولدا ، فحملت بريم ، وهلك عمران ، فلما عرفت أن فى بطنها جنينا ، جعلته لله نذيرة . والنذيرة أن تعبده لله ، فتجعل له حبسا فى الكنيسة ، لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا .

/ حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ابن الزبير ، قال : ثم ذكر امرأة عمران وقولها : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ أى : نذرته ، تقول : جعلته عتيقا لعبادة الله ، لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا ، ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٢) .

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطفاوى ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا النضر بن عري ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ . قال : خادما للبيعة^(٣) .

(١) فى ص : « فاقوذ » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٥٧٩ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٦ / ٢ (٣٤٢٣) من طريق النضر بن عري به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٨ / ٢ إلى عبد بن حميد .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ،
قَالَ : خَادِمًا لِلْكَنِيسَةِ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ
فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ : فَرَعَّغَتْهُ لِلْعِبَادَةِ ^(١) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا [٤٠٠/١ ظ] إِسْمَاعِيلُ
ابْنُ أَبِي خَالِدٍ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ :
جَعَلَتْهُ فِي الْكَنِيسَةِ ، وَفَرَعَّغَتْهُ لِلْعِبَادَةِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ ،
عَنِ الشَّعْبِيِّ نَحْوَهُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيرٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ : لِلْكَنِيسَةِ ^(٢)
يَخْدِمُهَا .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ خُصَيْفٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ :
﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ : خَالِصًا لَا يُخَالِطُهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ
الدُّنْيَا ^(٣) .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٦/٢ عقب الأثر (٣٤٢٢) معلقًا .

(٢) في ص ، ت ١ : « الكنيسة » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٦/٢ (٣٤٢٢) من طريق وكيع به .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، عَنْ عَمْرِو ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ : لِلْبَيْعَةِ وَالْكَنِيسَةِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحِمْيَانِيُّ ، قَالَ : ثنا شَرِيكٌ ، عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ سَعِيدٍ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ : مُحَرَّرًا لِلْعِبَادَةِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشِيرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ الآية : كانت امرأة عمران حررت لله ما فى بطنها ، وكانوا إنما يُحَرِّرون الذكور ، وكان المحرر إذا حرر جُعِلَ فى الكَنِيسَةِ ^(٣) لا يَبْرَحُهَا ، يَقُومُ عَلَيْهَا وَيَكْنُسُهَا ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فى قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ : نَذَرْتُ وَلَدَهَا لِلْكَنِيسَةِ ^(٥) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّيْثِيِّ : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . قَالَ : وَذَلِكَ أَنَّ امْرَأَةَ عِمْرَانَ حَمَلَتْ ، فَظَنَّتْ أَنَّ مَا فى بطنها غلامٌ ،

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٩/٢ إلى عبد بن حميد ، ولفظه : جعلته لله والكَنِيسَةِ ، فلا يحال بينه وبين العبادة .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ص ٣٤٤ (تراجم النساء) من طريق شريك به ، بلفظ : للعبادة لا يشغله عنها .

(٣) بعده فى ص ، ت ١ : « أن » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد مطولاً .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١١٨/١ ، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ص ٣٤٧ (تراجم النساء) .

فَوَهَبْتَهُ لِلَّهِ مُحرَّرًا ، لَا يَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : كانت / امرأة عمرانَ حُرَّتْ لِلَّهِ مَا فِي بَطْنِهَا . قال : وكانوا إنما يُحرِّرون الذُّكُورَ ، فكان المحرَّرُ إذا حُرِّرَ جُعِلَ فِي الْكَنِيسَةِ لَا يَبْرَحُهَا ، يَقُومُ عَلَيْهَا وَيَكْنُسُهَا ^(٢) .
 حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قال : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قال : أَخْبَرَنَا عُثَيْدٌ ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : جَعَلْتُ وَلَدَهَا لِلَّهِ وَلِلَّذِينَ يَدْرُسُونَ الْكِتَابَ وَيَتَعَلَّمُونَهُ ^(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسمِ بنِ أَبِي بَزَّةَ ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ عَنْ عِكْرَمَةَ ، وَأَبِي بَكْرِ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَنَّ امْرَأَةَ إِمْرَانَ كَانَتْ عَجُوزًا عَاقِرًا تُسَمَّى حَنَّةَ ، وَكَانَتْ لَا تَلِدُ ، فَجَعَلَتْ تَغِطُ النِّسَاءَ لِأَوْلَادِهِنَّ ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَلَى نَذْرٍ شُكْرًا ، إِنْ رَزَقْتَنِي وَلَدًا أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَيَكُونَ مِنْ سَدَنَتِهِ وَخُدَّامِهِ . قال : وَقَوْلُهُ : ﴿ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ : إِنَّهَا لِلْحُرَّةِ ابْنَةُ الْحَرَّائِرِ ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ لِلْكَنِيسَةِ يَخْدِمُهَا ^(٤) .

حدَّثني محمدُ بنُ سِنَانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفِيُّ ، عن عُبَادِ بْنِ مَنْصُورٍ ، عن الحسنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ الْآيَةَ كُلَّهَا . قال : نَذَرْتُ مَا فِي بَطْنِهَا ، ثُمَّ سَيَّبَتْهَا .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٦/٢ عقب الأثر (٣٤٢٢) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٦/٢ عقب الأثر (٣٤٢٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر مطولاً .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِيتُهَا مَرْيَمَ ۖ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ۖ ﴾ : فلما وَضَعَتْ حَتَّى النَّذِيرَةِ . ولذلك أَنْتَ ، ولو كانت الهاء عائدةً على ﴿ مَا ۖ ﴾ ، التى فى قوله : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ۖ ﴾ . لكان الكلام : فلما وَضَعْتَهُ قَالَتْ : رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُه أُنْثَى .

ومعنى قوله : ﴿ وَضَعْتُهَا ۖ ﴾ : وَلَدْتُهَا . يُقَالُ مِنْهُ : وَضَعَتِ الْمَرْأَةُ تَضَعُ وَضْعًا . ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ۖ ﴾ أى : وَلَدْتُ النَّذِيرَةَ أُنْثَى . ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ۖ ﴾ . واختَلَفَ الْقَرَأَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ الْقَرَأَةِ : ﴿ وَضَعْتَ ۖ ﴾ ^(١) . خَبَرًا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ الْعَالِمُ بِمَا وَضَعْتَ ، مِنْ غَيْرِ قِيلِهَا : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ۖ ﴾ .

وقرأ ذلك بعضُ الْمُتَقَدِّمِينَ : (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ) ^(٢) . على وجه الخبرِ بذلك عن أمِّ مَرْيَمَ أَنَّهَا هِيَ الْقَائِلَةُ : وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَلَدْتُ ، مِنِّي .

وأولى القراءتين بالصواب ما نَقَلْتُهُ الْحُجَّةُ مُسْتَفِيضَةً فِيهَا قِرَاءَتُهُ بَيْنَهَا ، لَا يَتَدَافَعُونَ صَحَّتْهَا ، وَذَلِكَ قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَ : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ۖ ﴾ . وَلَا يُعْتَرَضُ بِالشَّاذِّ عَلَيْهَا ^(٣) .

فتأويل الكلام إذن : وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ خَلْقِهِ بِمَا وَضَعْتَ . ثم رَجَعَ جَلُّ ذِكْرِهِ إِلَى الْخَبَرِ عَنْ قَوْلِهَا ، وَأَنَّهَا قَالَتْ - اعْتِذَارًا إِلَى رَبِّهَا مَا كَانَتْ نَذَرْتُ

(١) وهى قراءة نافع وابن كثير وحفص عن عاصم وأبى عمرو وحزمة والكسائى . ينظر حجة القراءات ص ١٦٠ .

(٢) وهى قراءة أبى بكر عن عاصم ، وابن عامر . المصدر السابق .

(٣) القراءتان متواترتان ، لا شذوذ فى إحداهما .

فِي حَمْلِهَا فَحَرَّرْتَهُ لخدمَةِ رَبِّهَا - ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ ؛ لِأَنَّ الذَّكَرَ أَقْوَى عَلَى الخِدْمَةِ وَأَقْوَمُ بِهَا ، وَأَنَّ الْأُنْثَى لَا تَصْلُحُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ لِدُخُولِ الْقُدُسِ ، وَالْقِيَامِ بِخدمَةِ الْكَنِيسَةِ ؛ لِمَا يَغْتَرِبُهَا مِنَ الْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ . ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ .

/ كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ٢٣٨/٣ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ . أَيْ : لِمَا جَعَلْتُهَا لَهُ مَحْرُورَةً ^(١) نَذِيرَةً ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ : لِأَنَّ الذَّكَرَ هُوَ أَقْوَى عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْأُنْثَى .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ : كَانَتِ الْمَرْأَةُ لَا يُسْتَطَاعُ ^(٣) أَنْ يُضَنَعَ بِهَا ذَلِكَ - يَعْنِي أَنْ تُحَرَّرَ لِلْكَنِيسَةِ فَتُجْعَلَ فِيهَا ، تَقُومُ عَلَيْهَا وَتَكْنُسُهَا ، فَلَا تَبْرَحُهَا - مِمَّا يُصِيبُهَا مِنَ الْحَيْضِ وَالْأَذَى ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ : ﴿ وَلَيْسَ [٤٠١/١] الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ : وَإِنَّمَا كَانُوا يُحَرِّرُونَ الْعِلْمَانَ ، قَالَتْ ^(٤) :

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ : « مَحْرُورًا لَكَ » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٩/١ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٢٠/٢ (٤١٩) - تَحْقِيقُ الدُّكْتُورِ حَكِيمَتِ بِشِيرِ يَاسِينَ) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَوْلَهُ بِزِيَادَةِ الْمُتْنِ الْآتِي .

(٣) فِي ص : « يُسْتَطَاع » ، وَفِي م : « يُسْتَطِيع » .

(٤) فِي النُّسخِ : « قَالَ » ، وَالْمُثَبِّتُ مِنْ مَعْصُورِ التَّخْرِيجِ .

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : كانت امرأة عمران حُرِّثَ لله ما فى بطنها ، وكانت على رجاء أن يَهَبَ لها غُلَامًا ؛ لأن المرأة لا تَسْتَطِيعُ ذلك - يعنى القيام على الكنيسة لا تَبْرَحُها وتَكُنُسُها - لما يُصَيِّبُها من الأذى^(٢) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، أن امرأة عمران ظَنَّتْ أن ما فى بطنها غلامٌ ، فوهبته لله ، فلمَّا وَضَعَتْ إذا هى جاريةٌ ، فقالت تَعْتَذِرُ إلى الله : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ - ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ تقول : إنما يُحَرِّزُ الغِلْمَانُ . يقول الله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ . فقالت^(٣) : ﴿ إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾^(٤) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبى بزة ، أنه أخبره عن عكرمة ، وأبى بكر ، عن عكرمة : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ يعنى : فى المَحِيضِ ، ولا يَنْبَغِي لامرأة أن تكون مع الرجال . أمُّها تقول ذلك^(٥) .

(١) تقدم تخريجه فى ص ٣٣٤ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٧/٢ (٣٤٢٧) من طريق ابن أبى جعفر به مختصرا .

(٣) فى ص : « فقال » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٧/٢ (٣٤٢٥) من طريق عمرو به ، مختصرا . بلفظ : فلما وضعت إذا هى جارية ، فقالت تعتذر إلى الله : ﴿ رب إني وضعتها أنثى ﴾ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٧/٢ (٣٤٢٨) من طريق ابن جريج به نحوه مطولا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٩/٢ إلى ابن المنذر .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَذُرِّيَّتِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ .

تعنى بقولها : ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَذُرِّيَّتِهَا﴾ : وإني أجعل معاذها ومعاذ ذُرِّيَّتِها مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بك .
وأصلُ المَعَاذِ المَوْتِلُ والمَلْجَأُ والمَعْقِلُ .

فاستجاب الله لها ، فأعادها الله وذُرِّيَّتِها مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فلم يجعل له عليها سبيلاً .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ نَفْسٍ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَنَالُ مِنْهُ تِلْكَ الطَّغْنَةَ ، وَبِهَا ^(١) يَسْتَهْلُ الصَّبِيُّ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهَا لَمَّا / وَضَعْتُهَا قَالَتْ : رَبِّ إِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ ٢٣٩/٣ وَذُرِّيَّتِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . فَضْرِبَ دُونَهَا حِجَابٌ ، فَطَعَنَ فِيهِ » ^(٢) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كُلُّ مَوْلُودٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ لَهُ طَغْنَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَبِهَا يَسْتَهْلُ الصَّبِيُّ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ وَوَلَدِهَا ، فَإِنَّ أُمَّهَا قَالَتْ حِينَ وَضَعْتُهَا : ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ . فَضْرِبَ دُونَهُمَا حِجَابٌ ، فَطَعَنَ

(١) في ص : « لها » .

(٢) أخرجه الحاكم ٥٩٤/٢ من طريق يزيد بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، وينظر تهذيب الكمال ١٧٧/٣٢ .

فى الحجاب .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةٌ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاقٍ ، عن يزيدَ بنِ عبدِ اللّهِ بنِ قُسيطٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللّهِ ﷺ بنحوه .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا هارونُ بنُ المُغيرةَ ، عن عمرو ، عن شُعيبِ ابنِ خالدٍ ، عن الزُّهريِّ ^(١) ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، قال : سَمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقولُ : « ما مِنْ بنى آدَمَ مولودٌ يُولَدُ إلّا قد مَسَّهُ الشَّيْطانُ حينَ يُولَدُ ، فيَسْتَهْلُ صَارِحًا بِمَسِّهِ إياه ، غيرَ مريمَ وابْنِها » . فقال أبو هريرةَ : اقرءوا إن شئتم : ﴿ إِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ^(٢) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرنى ابنُ أبى ذئبٍ ، عن عَجْلانَ مَوْلَى المُشَمِّعِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللّهِ ﷺ : « كلُّ مولودٍ يُولَدُ مِنْ بنى آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطانُ بِإِصْبَعِهِ ، إلّا مريمَ وابْنِها » ^(٣) .

حدَّثنى أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ وهبٍ ، قال : ثنى عمى عبدُ اللّهِ بنُ وهبٍ ، قال : أخبرنى عمرو بنُ الحارثِ ، أن أبا يُونسَ سُلَيْمًا ^(٤) مولى أبى هريرةَ ، حدّثه عن

(١) فى م : « الزبير » . وينظر تهذيب الكمال ١٢ / ٥٢١ .

(٢) أخرجه البخارى (٣٤٣١) ، ومسلم (٢٣٦٦ / ١٤٦) ، والبقوى فى تفسيره ٣٠ / ٢ من طريق شعيب بن أبى حمزة عن الزهري به .

(٣) أخرجه أحمد ١٣ / ٢٦٣ ، ٢٧٨ ، ٧ / ١٤ (٧٨٧٩) ، ٧٩٠٢ ، (٨٢٥٤) من طريق ابن أبى ذئب به .

(٤) فى م : « سليمان » ، وفى ت ١ : « سلمان » . وينظر تهذيب الكمال ١١ / ٣٤٣ .

أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : « كلُّ بنى آدمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا » ^(١) .

حدَّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : أخبرنى عمرو ^(٢) ، أن أبا يونس حدَّثه ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ مثله .

حدَّثنى الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن ابنِ المسيَّب ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولودٍ يُولَدُ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسَةِ الشَّيْطَانِ ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا » . ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ^(٣) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمْيَانِيُّ ، قال : ثنا قَيْسٌ ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولودٍ يُولَدُ إِلَّا وقد عَصَرَهُ الشَّيْطَانُ / عَصْرَةً أَوْ عَصْرَتَيْنِ ، إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَمَرْيَمَ » . ٢٤٠/٣ . ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ^(٤) .

(١) أخرجه مسلم (٢٣٦٦) ، وابن حبان (٦٢٣٤) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣١/١٤ (مخطوط) من طريق ابن وهب به .

(٢) فى النسخ : « عمران » . وتقدم فى الإسناد قبله ، وينظر ما تقدم فى ٤٠٦/٢ ، ٥٥٥ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١١٩/١ ، ومن طريق أحمد (٧٧٠٩) ، والبخارى (٤٥٤٨) ، ومسلم ١٤٦/ (٢٣٦٦) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٨/٢ (٣٤٣٢) ، وأخرجه ابن أبى شيبة ٣٨٥/١١ ، وأحمد (٧١٨٢) ، ومسلم ١٤٦/ (٢٣٦٦) ، وابن حبان (٦٢٣٥) من طريق معمر به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٧/٢ عن المصنف .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا هَارُونُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قَيْسٍ ، عَنْ سِمَاكِ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَا وُلِدَ مَوْلُودٌ إِلَّا وَقَدْ اسْتَهْلَّ ، غَيْرَ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ ، لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ وَلَمْ يَنْهَزْهُ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، [٤٠١/١ ط] قَالَ : أَخْبَرَنَا الْمُنْذِرُ بْنُ الثُّعْمَانِ الْأَفْطُسُ ، أَنَّهُ سَمِعَ وَهَبَ بْنَ مُنْبِيَّهٍ يَقُولُ : لَمَّا وُلِدَ عِيسَى ، أَتَتْ الشَّيَاطِينُ إِبْلِيسَ ، فَقَالُوا : أَصْبَحَتِ الْأَصْنَامُ قَدْ نُكِسَتْ رِعَوسُهَا . فَقَالَ : هَذَا فِي حَادِثٍ حَدَّثَ . فَقَالَ : مَكَانَكُمْ . فطَارَ حَتَّى جَاءَ خَافِقِي الْأَرْضِ ، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا ، ثُمَّ جَاءَ الْبَحَارَ ، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا ، ثُمَّ طَارَ أَيْضًا ، فَوَجَدَ عِيسَى قَدْ وُلِدَ عِنْدَ مَذُودٍ ^(٢) حَمَارٍ ، وَإِذَا الْمَلَائِكَةُ قَدْ حَقَّتْ حَوْلَهُ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : إِنْ نَبِيًّا قَدْ وُلِدَ الْبَارِحَةَ ، مَا حَمَلَتْ أَنْثَى قَطُّ وَلَا وَضَعَتْ إِلَّا أَنَا بِحَضْرَتِهَا إِلَّا هَذِهِ ، فَأَيُّسُوا أَنْ تُقْبَدَ الْأَصْنَامُ بَعْدَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَلَكِنْ اثْنُوا بَنَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ الْخِفَّةِ وَالْعَجَلَةِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « كُلُّ بَنَى آدَمَ طَعَنَ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ ، إِلَّا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ ، جُعِلَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ حِجَابٌ ، فَأَصَابَتِ الطُّعْنَةُ الْحِجَابَ ، وَلَمْ يَنْفُذْ إِلَيْهِمَا شَيْءٌ » . وَذُكِرَ لَنَا

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ وعزاه إلى المصنف .

(٢) المدود : معلق الدابة .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١١٩/١ عن المنذر بن الثعمان به ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣١/١٤

(مخطوط) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى ابن المنذر .

أنهما كانا لا يُصِيبان الذنوبَ كما يُصِيبُها سائرُ بني آدمَ . وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ عِيسَى
كَانَ يَمْشِي عَلَى الْبَحْرِ كَمَا يَمْشِي عَلَى الْبَرِّ ، مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْيَقِينِ
وَالْإِخْلَاصِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ : ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ قَالَ :
إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « كُلُّ آدَمِيٍّ طَعَنَ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ ، غَيْرَ عِيسَى وَأُمِّهِ ،
كَانَا لَا يُصِيبَانِ الذُّنُوبَ كَمَا يُصِيبُهَا بَنُو آدَمَ » . قَالَ : « وَقَالَ عِيسَى ﷺ فِيمَا
يُثْنِي عَلَى رَبِّهِ : وَأَعَاذَنِي وَأُمِّي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْنَا
سَبِيلٌ » ^(٢) .

حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : ثنا شُعَيْبُ بْنُ اللَّيْثِ ، قَالَ : ثنا اللَّيْثُ ، عَنْ
جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمَزٍ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : « كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ حِينَ تَلِدُهُ أُمُّهُ ، إِلَّا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ،
ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ » ^(٣) .

حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ ، قَالَ : ثنا شُعَيْبُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، عَنْ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمَزٍ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَرَأَيْتَ هَذِهِ الصَّرِخَةَ الَّتِي يَصْرُخُهَا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر . وأخرج آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٢٠٨ (٣٤٣٦) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ ، ٢٠ إلى المصنف .

(٣) أخرجه الحميدي (١٠٤٢) ، وأحمد ٤٥١/١٦ (١٠٧٧٣) ، والبخاري في تفسيره ٣٠/٢ من طريق عبد الرحمن بن هرمز به .

الصبي حين تَلِدُهُ أمُّه ؟ فإنها منها .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْفَرَجِ ، قَالَ : ثنا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ ، قَالَ : ثنا الزُّبَيْدِيُّ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ بَنَى آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُوَلَّدُ يَسْتَهْلُ صَارِخًا » ^(١) .

٢٤١/٣ / القول في تأويل قوله : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ .
يعنى بذلك ^(٢) « أن الله » جل ثناؤه تَقَبَّلَ مَرِيَمَ مِنْ أُمِّهَا حَنَّةً ؛ تَحْرِيرَهَا ^(٣) إياها للكنيسة وخدمتها وخدمة ربها ، بِقَبُولٍ حَسَنٍ .

والقَبُولُ ، مصدرٌ : مِنْ قَبَلَهَا رُبُّهَا . فَأَخْرَجَ الْمَصْدَرُ عَلَى غَيْرِ لَفْظِ الْفِعْلِ . وَلَوْ كَانَ عَلَى لَفْظِهِ لَكَانَ : فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا تَقَبُّلاً حَسَنًا . وَقَدْ تَفَعَّلُ الْعَرَبُ ذَلِكَ كَثِيرًا ؛ أَنْ يَأْتُوا بِالْمَصَادِرِ عَلَى أَصُولِ الْأَفْعَالِ ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهَا فِي الْأَفْعَالِ بِالزِّيَادَةِ ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ : تَكَلَّمَ فُلَانٌ كَلَامًا . وَلَوْ أَخْرَجَ الْمَصْدَرُ عَلَى الْفِعْلِ لَقِيلَ : تَكَلَّمَ فُلَانٌ تَكَلَّمًا . وَمِنْهُ قَوْلُهُ : ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ . وَلَمْ يَقُلْ : إِنْبَاتًا حَسَنًا .

وَذَكَرَ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ ^(٤) ، أَنَّهُ قَالَ : لَمْ تَسْمَعْ الْعَرَبُ تَضُمُّ الْقَافَ فِي « قَبُولٍ » ، وَكَانَ الْقِيَاسُ الضَّمُّ ؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ مِثْلُ الدُّخُولِ وَالخُرُوجِ . قَالَ : وَلَمْ أَسْمَعْ بِحَرْفٍ آخَرَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يُشَبِّهُهُ .

حَدَّثْتُ بِذَلِكَ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي الْيَزِيدِيُّ ، عَنْ أَبِي عَمْرِو .

(١) أخرجه أبو يعلى (٥٩٧١) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤ / ٣٠ ، ٣١ (مخطوط) ، من طريق الزهري به نحوه ، وذكره الحافظ في الفتح ٦ / ٤٦٩ عن الزبيدي به ، ووقع في الفتح « السدى » بدل « الزبيدي » .

(٢) - ٢) سقط من : م ، س .

(٣) في ص ، م : « بتحريرها » .

(٤) ينظر اللسان (ق ب ل) .

وأما قوله : ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ . فإن معناه : وأنبتنا ربُّها في غِذائِهِ وورزِقِهِ نباتًا حَسَنًا حتى تَمَّتْ فكَمَلَتْ امرأةً بالغَةً تامَّةً .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ . قال : تَقَبَّلَ مِنْ أُمِّهَا ما أَرَادَتْ بها للكنيسةِ ، وأَجَرَهَا فيها ، ﴿ وَأَنْبَتَهَا ﴾ قال : نَبَتَتْ في غِذاءِ اللهِ ^(١) .
القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ .

اختلفت القراءَةُ في قراءةِ قوله : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ ؛ فقرأته عامةُ قَرَأَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ والمَدِينَةِ والبَصْرَةِ : (وكَفَّلَهَا) مُخَفَّفَةُ الْفَاءِ ^(٢) ، بمعنى : ضَمَّهَا زَكَرِيَّا إِلَيْهِ . اعتبارًا بقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] .
وقرأ ذلك عامةُ قَرَأَةِ الْكُوفِيِّينَ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ^(٣) . بمعنى : وكَفَّلَهَا اللهُ زَكَرِيَّا .

وأولى القراءتين بالصوابِ في ذلك عندى قراءة مَنْ قرأ : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ . مُشَدَّدَةُ الْفَاءِ ^(٤) ، بمعنى : وكَفَّلَهَا اللهُ زَكَرِيَّا . بمعنى : وضَمَّهَا اللهُ إِلَيْهِ . لأن زَكَرِيَّا أيضًا ضَمَّهَا إِلَيْهِ بِإِجَابِ اللهِ لَهُ ضَمَّهَا إِلَيْهِ ، بِالْقُرْعَةِ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللهُ لَهُ ، وَالْآيَةِ الَّتِي أَظْهَرَهَا لِحُصُومِهِ فِيهَا ، فَجَعَلَهُ بِهَا أَوْلَى مِنْهُمْ ، إِذْ قَرَعَ فِيهَا مَنْ شَاحَهُ ^(٥) فِيهَا . وذلك أَنَّهُ بَلَّغْنَا أَنَّ زَكَرِيَّا وَخُصُومَهُ فِي مَرْيَمَ إِذْ تَنَازَعُوا فِيهَا ، أَيُّهُمْ تَكُونُ عِنْدَهُ ، تَسَاهَمُوا

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر . ينظر حجة القراءات ص ١٦١ .

(٣) وهى قراءة عاصم وحزمة والكسائى . المصدر السابق .

(٤) كلتا القراءتين صواب .

(٥) قَرَعَ أَصْحَابُهُ : إِذَا كَانَتْ لَهُ الْقُرْعَةُ دُونَهُمْ .

بِقَدَاحِهِمْ ، فَرَمَوْا^(١) بِهَا فِي نَهْرِ الْأَرْدُنِّ ، فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : اِزْتَرَّ^(٢) قَدْحُ زَكْرِيَا ، فِقَامٌ فَلَمْ يَجْرِبْهُ الْمَاءُ ، وَجَرَى [٤٠٢/١] بِقَدَاحِ الْآخَرِينَ الْمَاءُ ، فَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَزَكْرِيَا عِلْمًا^(٣) أَنَّهُ أَحَقُّ الْمُتَنَازِعِينَ فِيهَا بِهَا^(٤) .

٢٤٢/٣ /وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ صَعِدَ^(٥) قَدْحُ زَكْرِيَا فِي النَّهْرِ ، وَانْحَدَرَتْ قَدَاحُ الْآخَرِينَ مَعَ جَرِيَةِ الْمَاءِ وَ^(٦) ذَهَبَتْ ، فَكَانَ ذَلِكَ لَهُ عِلْمًا مِنَ اللَّهِ فِي أَنَّهُ أَوْلَى الْقَوْمِ بِهَا .

وَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ كَانَ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَضَاءً مِنَ اللَّهِ بِهَا لَزَكْرِيَا عَلَى خُصُومِهِ بِأَنَّهُ أَوْلَاهُمْ بِهَا . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّمَا ضَمَّهَا زَكْرِيَا إِلَى نَفْسِهِ بِضَمِّ اللَّهِ إِيَّاهَا إِلَيْهِ ، بِقَضَائِهِ لَهُ بِهَا عَلَى خُصُومِهِ عِنْدَ تَشَاخُّهِمْ فِيهَا ، وَاخْتِصَامِهِمْ فِي أَوْلَاهُمْ بِهَا .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، كَانَ بَيِّنًا أَنَّ أَوْلَى الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ مَا اخْتَرْنَا مِنْ تَشْدِيدِ ﴿ كَفَّلَهَا ﴾ .

وَأَمَّا مَا اعْتَلَّ بِهِ الْقَارِئُونَ ذَلِكَ بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] . وَأَنَّ ذَلِكَ مُوجِبٌ صِحَّةَ اخْتِيَارِهِمُ التَّخْفِيفَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ ، فَحُجَّةٌ دَالَّةٌ عَلَى ضَعْفِ اخْتِيَالِ^(٦) الْمُحْتَجِّ بِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَمَتِّعٍ ذُو

= وشاحه فيها : مثل قولهم : تشاخا على الأمر . أى تنازعا . وفلان يُشَاخُ على فلان . أى يضمن به . تاج العروس (ش ح ح ، ق ر ع) .

(١) فى م ، ت ١ : « رموا » .

(٢) فى م : « رتب » . وازتر : من رز الشئ فى الأرض وفى الحائط يزره رزاً فارتز : أثبتته فثبت . وأما رتب فمن : رتب الشئ ، أى : ثبت فلم يتحرك . اللسان (ر ت ب ، ر ز ز) .

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٤) فى ص : « صاعد » . ولعل صوابها : اصاعد .

(٥) فى ص كلمة غير واضحة ، وفى ت ١ ، ت ٢ : « هى » .

(٦) فى م : « اختيار » .

عقلٍ من أن يقولَ قائلٌ : كَفَّلَ فلانٌ فلانًا فَكَفَّلَهُ فلانٌ . فكذلك القولُ في ذلك : أَلْقَى القومُ أَقلامَهُم أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مريمَ بِتَكْفِيلِ اللَّهِ إِيَّاهُ بِقَضَائِهِ الَّذِي يَقْضِي بَيْنَهُمْ فِيهَا ، عندَ إلْقَائِهِمُ الْأَقْلَامَ .

وكذلك اِخْتَلَفَتِ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ﴿ زَكَرِيَّا ﴾ ؛ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قِرَاءَةِ الْمَدِينَةِ بِالْمَدِّ ، وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قِرَاءَةِ الْكُوفَةِ بِالْقَصْرِ ^(١) . وهما لُغَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ وَقِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيدَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَيْسَ فِي الْقِرَاءَةِ بِأَحَدَاهُمَا خِلَافٌ لِمَعْنَى الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى ، فَبِأَيِّهِمَا قرأَ القارئُ فهو مُصِيبٌ .

غَيْرَ أَنَّ الصَّوَابَ عِنْدَنَا إِذَا مَدَّ « زَكَرِيَّا » ، أَنْ يُنْصَبَ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْعَجَمِ لَا يُجْرَى ^(٢) ، وَلِأَنَّ قِرَاءَتَنَا فِي ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ بِالتَّشْدِيدِ وَتَثْقِيلِ الْفَاءِ ، فَ « زَكَرِيَاءُ » مَنْصُوبٌ بِالْفِعْلِ الْوَاقِعِ عَلَيْهِ .

وَفِي « زَكَرِيَّا » لُغَةٌ ثَالِثَةٌ لَا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِهَا ؛ لِخِلَافِهَا مَصَاحِفَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ « زَكَرِيٌّ » ، بِحَذْفِ الْمَدَّةِ وَالْيَاءِ السَّاكِنَةِ ، تُشَبِّهُهُ الْعَرَبُ بِالنَّسَبِ مِنَ الْأَسْمَاءِ ، فَتَنْوُنُهُ وَتُجْرِيهِ فِي أَنْوَاعِ الْإِعْرَابِ مَجَارِي يَاءِ النُّسْبَةِ .

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ : وَضَعَهَا اللَّهُ إِلَى زَكَرِيَّا . مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ ^(٣) :

* فَهُوَ لِضَلَالِ الْهَوَامِ ^(٤) كَافِلٌ *

(١) قرأ حفص وحزمة والكسائي وخلف بالقصر من غير همز في جميع القرآن ، ووافقهم الحسن والأعمش ، والباقون بالهمز والمد . إتحاف فضلاء البشر ص ١٠٤ .

(٢) لا يجرى . أى : لا يصرف . مصطلحات النحو الكوفي ص ٩٨ .

(٣) مجاز القرآن ١٤/٢ .

(٤) هوامى الإبل : ضوؤها . وقال أبو عبيدة : الهوامى : الإبل المهملة بلا راء ، وقد هَمَّتْ تَهْمِي فَهِيَ هَامِيَةٌ ؛ إِذَا ذَهَبَتْ عَلَى وَجْهِهَا . وَكُلُّ ذَاهِبٍ وَجَارٍ مِنْ حَيَوَانَ أَوْ مَاءٍ فَهُوَ هَامٍ . النهاية ٢٧٦/٥ ، واللسان (همى) .

يرادُّ به ^(١) : لما ضَلَّ مِنْ مُتَفَرِّقِ النَّعْمِ وَمُنْتَشِرِهِ ضَامًّا إِلَى نَفْسِهِ وَجَامِعٍ .
وقد رُوي :

* فَهُوَ لِضَلَالِ الْهَوَا فِي ^(٢) كَافِلٌ *

بمعنى أنه لما نَدَّ فَهَرَبَ مِنَ النَّعْمِ ضَامًّا . مِنْ قَوْلِهِمْ : هَفَا الظَّلِيمُ . إِذَا أَسْرَعَ
الطَّيْرَانِ .

يَقَالُ مِنْهُ لِلرَّجُلِ : مَا لَكَ تَكْفُلُ كُلَّ ضَالَّةٍ ؟ يَعْنِي بِهِ : تَضُمُّهَا إِلَيْكَ وَتَأْخُذُهَا .
وَبَنَحُو مَا قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ الطُّفَاوِيُّ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ رَيْبَعَةَ ، عَنْ النَّضْرِ
ابْنِ عَرَبٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيْمَ ﴾ [آل
عمران : ٤٤] . قَالَ : أَلْقَوْا أَقْلَامَهُمْ ، فَجَرَّتْ بِهَا الْجَزِيَّةُ ، إِلَّا قَلَمَ زَكْرِيَا أَصَاعَدَ ^(٣) ،
فَكَفَّلَهَا زَكْرِيَا ^(٤) .

حَدَّثَنِي الثُّنَيُّ ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ
الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : / ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَا ﴾ قَالَ : ضَمَّهَا إِلَيْهِ . قَالَ : أَلْقَوْا أَقْلَامَهُمْ ، يَقُولُ :
عَصِيَّتِهِمْ . قَالَ : فَأَلْقَوْهَا تَلْقَاءَ جَزِيَّةِ الْمَاءِ ، فَاسْتَقْبَلَتْ عَصَا زَكْرِيَا جَزِيَّةَ الْمَاءِ ، فَفَرَعَهُمْ ^(٥) .

(١) فِي م : « أَنَّهُ » .

(٢) الْهَوَا فِي : الْإِبِلِ الضَّوَالِ ، وَاحِدَتِهَا هَافِيَةٌ ، مِنْ : هَفَا الشَّيْءُ يَهْفُو . إِذَا ذَهَبَ . وَهَفَا الطَّائِرُ ، إِذَا طَارَ .
وَالرَّيْحُ ، إِذَا هَبَّتْ . اللَّسَانُ (ه ف و) .

(٣) فِي النَّسَخِ : « صَاعِدًا » . وَلَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى إِلَّا بِمَا أَثْبَتَاهُ ، وَيَنْظُرُ مَا تَقْدِمُ فِي ص ٣٤٦ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٤٩/٢ (٣٥٠٣) ، مِنْ طَرِيقِ النَّضْرِ بِهِ نَحْوَهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٣٩/٢ ، ٦٥٠ (٣٥٠٧ ، ٣٤٣٩) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ ۖ فَانطَلَقَتْ بِهَا أُمُّهَا فِي خَيْرِهَا - يَعْنِي أُمَّ مَرْيَمَ بَمَرْيَمَ - حِينَ وَلَدَتْهَا إِلَى الْمَحْرَابِ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : انطَلَقَتْ حِينَ بَلَغَتْ إِلَى الْمَحْرَابِ - وَكَانَ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ التَّوْرَةَ إِذَا جَاءُوا إِلَيْهِمْ بِإِنْسَانٍ يُخَرِّرُونَهُ ^(١) ، اقْتَرَعُوا عَلَيْهِ أَهْلَهُمْ يَأْخُذُهُ فَيُعَلِّمُهُ . وَكَانَ زَكَرِيَّا أَفْضَلَهُمْ يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ نَبِيَّهُمْ ^(٢) ، وَكَانَتْ خَالَتُهُ ^(٣) مَرْيَمَ تَحْتَهُ ، فَلَمَّا أَتَوَا بِهَا اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا ، وَقَالَ لَهُمْ زَكَرِيَّا : أَنَا أَحَقُّكُمْ بِهَا تَحْتِي أُخْتُهَا ^(٤) . فَأَتَوَا ، فَخَرَجُوا إِلَى نَهْرِ الْأَزْدُنِّ ، فَأَلْقَوْا أَقْلَامَهُمَ الَّتِي يَكْتُبُونَ بِهَا أَهْلَهُمْ يَقُومُ قَلَمُهُ فَيَكْفُلُهَا . فَجَرَّتِ الْأَقْلَامُ وَقَامَ قَلَمُ زَكَرِيَّا عَلَى قُرْنَتِهِ ^(٥) ، كَأَنَّهُ فِي طِينٍ ، فَأَخَذَ الْجَارِيَةَ ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ۖ . فَجَعَلَهَا زَكَرِيَّا مَعَهُ فِي بَيْتِهِ ، وَهُوَ الْمَحْرَابُ ^(٦) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ . يَقُولُ : ضَمَّهَا إِلَيْهِ .

(١) وفي ص : « يجرونه » ، وفي م ، ت ٢ : « يجربونه » ، وفي ت ١ : « يحرمونه » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٢) في م ، ت ٢ ، وسنن البيهقي : « بينهم » .

(٣) في تفسير ابن أبي حاتم وسنن البيهقي وتاريخ دمشق : « أخت » . قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٤٢١ : وكان زكريا نبيهم في ذلك الزمان ، قد أراد أن يستبد بها دونهم - يعني : بمريم - من أجل أن زوجته أختها أو خالتها ، على القولين . وينظر ص ٣٣٢ .

(٤) في م : « خالتها » .

(٥) القُرْنَةُ : حُدُّ السيف والنصل . المحيط (ق ر ن) . والمقصود بها هنا حد القلم .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٩ / ٢ (٣٤٤٠ ، ٣٤٤٢) من طريق عمرو بن حماد به ، من قوله : كان زكريا ...

وأخرجه البيهقي ٢٨٦ / ١٠ ، ٢٨٧ ، وابن عساكر في تاريخه (ص ٣٤٨ - تراجم النساء) من طريق عمرو ابن حماد ، عن أسباط ، عن السدي ، بإسناده المعروف ، من قوله : كان الذين يكتبون ... فأخذ الجارية .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ ﴾ . قَالَ : سَهَّمَهُمْ^(١) بِقَلْبِهِ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : كَانَتْ مَرْيَمُ ابْنَةَ سَيِّدِهِمْ وَإِمَامِهِمْ . قَالَ : فَتَشَاحَ عَلَيْهَا أَحْبَابُهُمْ ، فَأَقْتَرَعُوا فِيهَا بِسَهَامِهِمْ أَتَاهُمْ يَكْفُلُهَا . قَالَ قَتَادَةُ : وَكَانَ زَكَرِيَّا زَوْجَ أُخْتِهَا فَكَفَّلَهَا ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ وَحَصْنَهَا^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَرَّةَ ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ عَنْ عِكْرَمَةَ ، وَأَبِي بَكْرٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : ثُمَّ خَرَجَتْ بِهَا - يَعْنِي أُمَّ مَرْيَمَ بَمَرْيَمَ - فِي خَرَفِهَا تَحْمِلُهَا إِلَى بَنِي الْكَاهِنِ بْنِ هَارُونَ ، أَخِي مُوسَى ابْنِ عِمْرَانَ . قَالَ : وَهُمْ يَوْمَئِذٍ يُلُونَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَا يَلِي الْحَجَّابَةُ مِنَ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : دُونَكُمْ هَذِهِ النَّذِيرَةُ ، فَإِنِّي خَرُزْتُهَا ، وَهِيَ ابْنَتِي ، وَلَا يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ حَائِضٌ ، وَأَنَا لَا أَرُدُّهَا إِلَى بَيْتِي . فَقَالُوا : هَذِهِ [٤٠٢/١] ابْنَةُ إِمَامِنَا . وَكَانَ عِمْرَانُ

(١) سَهَمٌ فَلَانًا سَهْمًا : قَرَعَهُ فِي الْمَسَاهِمَةِ . يُقَالُ : سَاهَمَهُ فَسَهَمَهُ : بَارَاهُ وَلَاعِبَهُ فَقَلْبَهُ . الْوَسِيطُ (س هـ م) .

(٢) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ ص ٢٥١ - وَمِنْ طَرِيقِ الْبَيْهَقِيِّ ٢٨٧/١٠ ، وَابْنِ عَسَاكَرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ (ص ٣٤٨ ،

٣٤٩ - تَرَاجُمُ النِّسَاءِ) ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٣٩/٢ (٣٤٣٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ بِهِ ،

وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْثَوْرِ ٢٠/٢ إِلَى ابْنِ أَبِي إِيَّاسٍ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٣) أَخْرَجَ آخِرَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢١/١ عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢/

٦٥٠ (٣٥١٠) مِنْ طَرِيقِ شَيْبَانَ ، عَنْ قَتَادَةَ دُونَ آخِرِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْثَوْرِ ٢٠/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ

حَمِيدٍ . وَفِيهِ : زَوْجُ خَالَتِهَا .

يُؤْمُهُمْ فِي الصَّلَاةِ ، وَصَاحِبُ قُرْبَانِهِمْ ^(١) . فَقَالَ زَكْرِيَا : اذْفَعُوهَا إِلَيَّ ، فَإِنْ خَالَتَهَا عِنْدِي . قَالُوا : لَا تَطِيبُ أَنْفُسَنَا ، هِيَ ابْنَةُ إِمَامِنَا . فَذَلِكَ حِينَ اقْتَرَعُوا ، فَاقْتَرَعُوا بِأَقْلَامِهِمْ عَلَيْهَا - بِالْأَقْلَامِ الَّتِي يَكْتُبُونَ بِهَا التَّوْرَةَ - فَقَرَعَهُمْ زَكْرِيَا فَكَفَّلَهَا ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يَعْلَى بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : جَعَلَهَا زَكْرِيَا مَعَهُ فِي مِحْرَابِهِ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَا ۝ ﴾ . قَالَ حَجَّاجٌ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : الْكَاهِنُ فِي كَلَامِهِمُ الْعَالِمُ ^(٣) .

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ ٢٤٤/٣ الزَّيْبِرِ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَا ۝ ﴾ : بَعْدَ أَبِيهَا وَأُمِّهَا ، يُذَكِّرُهَا بِالْيَتِيمِ ، ثُمَّ قَصَّ خَبَرَهَا وَخَبَرَ زَكْرِيَا ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحِمْيَانِيُّ ، قَالَ : ثنا شَرِيكٌ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَا ۝ ﴾ . قَالَ : كَانَتْ عِنْدَهُ .

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ يَعْلَى بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَا ۝ ﴾ ، قَالَ : جَعَلَهَا زَكْرِيَا مَعَهُ فِي مِحْرَابِهِ .

(١) مكانها بياض بقدر كلمتين في ص ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٢) تقدم تخريجه في ص ٣٣٨ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٠ إلى المصنف دون قول ابن جريج .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٣٩ (٣٤٤١) من طريق سلمة عن ابن إسحاق قوله .

حدَّثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : ﴿ فَكَفَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ : وتَفَارَعَهَا الْقَوْمُ ، فقَرَعَ زكريا ، فكَفَّلَهَا زكريا ^(١) .

وقال آخرون : بل كان زكريا بعد ولادة حنة ابنتها مريم ، كفَّلَهَا بِغَيْرِ اقْتِرَاعٍ وَلَا اسْتِثْمَامٍ عَلَيْهَا ، وَلَا مُنَازَعَةٍ أَحَدٍ إِيَّاهُ فِيهَا ، وَإِنَّمَا كَفَّلَهَا لِأَنَّ أُمَّهُا مَاتَتْ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهَا وَهِيَ طِفْلَةٌ ، وَعِنْدَ زكريا خَالَتُهَا أَيُّشَاعُ ^(٢) ابْنَةُ فَاقُودَ . وقد قيل : إن اسم أم يحيى خالة عيسى : أَشْيَعُ .

حدَّثنا بذلك القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وَهْبُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الْجُبَيْنِ ^(٣) ، أَنَّ اسْمَ أُمِّ يَحْيَى : أَشْيَعُ ^(٤) .

فَضَّمَهَا إِلَى خَالَتِهَا أُمِّ يَحْيَى ، فَكَانَتْ إِلَيْهِمْ وَمَعَهُمْ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ أَذْخَلُوهَا الْكَنِيسَةَ ، لِنَذْرِ أُمِّهَا الَّتِي نَذَرَتْ فِيهَا .

قالوا : والاقتراع فيها بالأفلام إنما كان بعد ذلك بمدة طويلة ؛ لشدة أصابتهم ، ضَعُفَ زكريا عن حَمْلِ مُؤْنَتِهَا ، فَتَدَافَعُوا حَمْلَ مُؤْنَتِهَا ، لَا رَغْبَةَ مِنْهُمْ ، وَلَا تَنَافُسًا عَلَيْهَا وَعَلَى احْتِمَالِ مُؤْنَتِهَا .

وسند كُرِّ قَصَّتْهَا عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ إِذَا بَلَّغْنَا إِلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٨/٢ (٣٤٣٧) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٢) فى ص ، ت ١ : «الاسباع» وفى ت ٢ : «الاشباع» ، وفى تاريخ الطبرى ٥٨٥/١ : «الأشباع» ، وفى البداية والنهاية ٤١٣/٢ ، ٤١٨ : «أشباع» . والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق ٧٩/١٨ مخطوط .

(٣) فى ص : «الحبائى» ، وفى م ، ت ٢ : «الحيانى» . وينظر الأنساب ١٧/٢ ، والإكمال ٦٥/٣ .

(٤) فى ص ، ت ٢ : «أُسْبَعُ» ، وفى العلل : «الأشبع» . والأثر أخرجه أحمد فى العلل (رواية عبد الله) ١٠٠/١ .

(٤٠٤) عن حجاج به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢/٢ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، قَالَ : ثنى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ^(١) .

فعلى هذا التأويلِ تَصِحُّ قِراءَةُ مَنْ قرَأَ : (وكَفَلَهَا زكريا) . بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ ، لو صَحَّ التَّأْوِيلُ ، غَيْرَ أَنَّ الْقَوْلَ مُتَظَاهِرٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ . أَنَّ اسْتِهَامَ الْقَوْمِ فِيهَا كَانَ قَبْلَ كِفَالَةِ زَكْرِيَا إِيَّاهَا ، وَأَنَّ زَكْرِيَا إِنَّمَا كَفَلَهَا بِإِخْرَاجِ سَهْمِهِ مِنْهَا فَالْجَا ^(٢) عَلَى سِهَامٍ خُصُومِهِ فِيهَا ، فَلِذَلِكَ كَانَتْ قِراءَتُهُ بِالتَّشْدِيدِ عِنْدَنَا أَوَّلَى مِنْ قِراءَتِهِ بِالتَّخْفِيفِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ .

يعنى بذلك جَلَّ ثَنَاؤُهُ : أَنَّ زَكْرِيَا كَانَ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ بَعْدَ إِدْخَالِهِ إِيَّاهَا الْمِحْرَابَ ، وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا مِنَ اللَّهِ لِغِذَائِهَا .

فَقِيلَ : إِنَّ ذَلِكَ الرِّزْقَ الَّذِي كَانَ يَجِدُهُ زَكْرِيَا عِنْدَهَا ، فَاكِهَةُ الشَّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ، وَفَاكِهَةُ الصَّيْفِ فِي الشَّتَاءِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا الْحَسَنُ بْنُ عَطِيَّةَ ، عَنْ شَرِيكِ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ قَالَ : وَجَدَ عِنْدَهَا عِنَبًا فِي مِكَتَلٍ ^(٣) فِي غَيْرِ حِينِهِ ^(٤) .

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٠ .

(٢) فَلَجْ : ظَفِيرٌ وَفَازَ . الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ (ف ل ج) .

(٣) الْمِكَتَلُ ، وَالْمَكْتَلَةُ : الزَّنْبِيلُ الَّذِي يَحْمَلُ فِيهِ التَّمْرُ وَالْعِنَبُ . وَالزَّنْبِيلُ : الْوَعَاءُ يَحْمَلُ فِيهِ . اللَّسَانُ (ك ت ل) ، (ز ب ل) .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢/ ٦٤٠ مِنْ طَرِيقِ شَرِيكِ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٢/ ٢٠ =

(تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٥/ ٢٣)

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، عن عمرو ، عن عطاءٍ ، عن سعيدٍ في قوله : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : الْعِنَبُ فِي غَيْرِ حِينِهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُغِيرَةُ ، عن إبراهيم في قوله : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : فَاكْهَةٌ فِي غَيْرِ حِينِهَا ^(٢) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْكُوفِيُّ ، عن الضَّحَّاكِ أَنَّهُ كَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا فَاكْهَةً الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ ، وَفَاكْهَةً الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ . يَعْنِي فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن سَلَمَةَ بْنِ بُنَيْطٍ ، عن الضَّحَّاكِ مِثْلَهُ . حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عن بعضِ أَشْيَاخِهِ ، عن الضَّحَّاكِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ ^(٣) : ثنا الْحُسَيْنُ ^(٤) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرِرٌ ، عن الضَّحَّاكِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَنْ سَمِعَ الْحَكَمَ بْنَ عُثَيْبَةَ يَحْدُثُ عن مجاهدٍ قَالَ : كَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا الْعِنَبَ فِي غَيْرِ حِينِهِ .

= إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥١ من طريق عطاء به .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٠/٢ عقب الأثر (٣٤٤٦) معلقا .

(٣ - ٣) في س : « ثنا أسباط » .

(٤) في ت ٢ : « الحسن » .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ ، قَالَ : عِنْبًا وَجَدَهُ زَكْرِيَّا عِنْدَ مَرْيَمَ فِي غَيْرِ زَمَانِهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا النَّضْرُ بْنُ عَرَبِيِّ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قَالَ : فَاكْهَةٌ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ ، وَفَاكْهَةٌ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قَالَ : كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّهَا كَانَتْ تُؤْتَى بِفَاكْهَةٍ [٤٠٣/١] الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ، وَفَاكْهَةِ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قَالَ : وَجَدَ عِنْدَهَا ثَمَرَةً فِي غَيْرِ زَمَانِهَا ^(٣) .

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٥٢ - تراجم النساء) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٠ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٠ إلى المصنف ، وينظر تفسير ابن أبي حاتم ٦٤٠/٢ (٣٤٤٥) .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٥٢ - تراجم النساء) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ
الرَّبِيعِ ، قَالَ : جَعَلَ زَكْرِيَا دُونَهَا عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ ، فَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا فَيَجِدُ عِنْدَهَا
فَاكِهَةً الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ، وَفَاكِهَةً الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ
الشَّدِيِّ ، قَالَ : جَعَلَهَا زَكْرِيَا مَعَهُ فِي بَيْتٍ - وَهُوَ الْحِرَابُ - فَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا فِي
الشِّتَاءِ ، فَيَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةً الصَّيْفِ ، وَيَدْخُلُ فِي الصَّيْفِ ، فَيَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةً
الشِّتَاءِ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ^(٤) ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ :
سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قَالَ : كَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا
فَاكِهَةً الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ .

٢٤٦/٣ / حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ :
أَخْبَرَنِي ^(٥) يَحْيَى بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ كَلَّمََا دَخَلَ
عَلَيْهَا زَكْرِيَّا أَلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قَالَ : وَجَدَ عِنْدَهَا ثَمَارَ الْجَنَّةِ ، فَاكِهَةً
الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ ، وَفَاكِهَةً الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٠/٢ عقب الأثر (٣٤٤٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) في ت ١ : « قال حدثنا » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٠/٢ عقب الأثر (٣٤٤٦) من طريق عمرو بن حماد به .

(٤) بعده في ت ١ : « قال حدثني حجاج عن ابن جريج » .

(٥ - ٥) في س : « يعني ابن » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، عن ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثنى بعضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ زَكْرِيَّا كَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا ثَمْرَةَ الشَّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ، وَثَمْرَةَ الصَّيْفِ فِي الشَّتَاءِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَفَظِيُّ ، عن عُبَّادٍ ، عن الْحَسَنِ ، قَالَ : كَانَ زَكْرِيَّا إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا - يَعْنِي عَلَى مَرْيَمَ الْحِرَابَ - وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا مِنَ السَّمَاءِ مِنَ اللَّهِ ، لَيْسَ مِنْ عِنْدِ النَّاسِ . وَقَالُوا : لَوْ أَنَّ زَكْرِيَّا كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِهِ لَمْ يَسْأَلْهَا عَنْهُ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ زَكْرِيَّا كَانَ إِذَا دَخَلَ إِلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا مِنَ الرِّزْقِ فَضْلًا عَمَّا كَانَ يَأْتِيهَا بِهِ الَّذِي كَانَ يَمُونُهَا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، قَالَ : ثنى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : كَفَّلَهَا زَكْرِيَّا ^(٢) بَعْدَ هَلَاكِ أُمِّهَا ، فَضَمَّهَا إِلَى خَالَتِهَا أُمِّ يَحْيَى ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ ، أَدْخَلُوهَا الْكَنِيسَةَ ، لِنَذْرِ أُمِّهَا الَّذِي نَذَرَتْ فِيهَا ، فَجَعَلَتْ تَنْبُثُ وَتَزِيدُ . قَالَ : ثُمَّ أَصَابَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْمَةٌ ، وَهِيَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حَالِهَا ، حَتَّى ضَعُفَ زَكْرِيَّا عَنْ حَمْلِهَا ، فَخَرَجَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَتَعْلَمُونَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ ضَعُفْتُ عَنْ حَمْلِ ابْنَةِ عِمْرَانَ . فَقَالُوا : وَنَحْنُ لَقَدْ جُهِدْنَا ، وَأَصَابَنَا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ مَا أَصَابَكُمْ . فَتَدَافَعُوهَا بَيْنَهُمْ ، وَهُمْ لَا يَزُونَ لَهُمْ مِنْ حَمْلِهَا بُدًّا ، حَتَّى تَقَارَعُوا بِالْأَقْلَامِ ، فَخَرَجَ السَّهْمُ

(١) ينظر التبيان ٢/ ٤٤٧ .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

بَحْمِلِهَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَجَّارٍ ، يُقَالُ لَهُ : جُرَيْجٌ . قَالَ : فَفَرَقْتُ مَرْيَمُ فِي وَجْهِهِ شِدَّةً مَثُونَةً ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَكَانَتْ تَقُولُ لَهُ : يَا جُرَيْجُ ، أَحْسِنْ بِاللَّهِ الظَّنَّ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَرْزُقُنَا . فَجَعَلَ جُرَيْجٌ يُرْزَقُ بِمَكَانِهَا ، فَيَأْتِيهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ كَسْبِهِ بِمَا يُضْلِحُهَا ، فَإِذَا أَدْخَلَهُ عَلَيْهَا وَهِيَ فِي الْكَنِيسَةِ ، أُنَمَاهُ اللَّهُ وَكَثَّرَهُ ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا فَيَرَى عِنْدَهَا فَضْلًا مِنَ الرِّزْقِ ، وَلَيْسَ بِقَدَرِ مَا يَأْتِيهَا بِهِ جُرَيْجٌ ، فَيَقُولُ : يَا مَرْيَمُ أَتَنِي لَكَ هَذَا ؟ فَتَقُولُ : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ^(١) .

وأما المحارب ، فهو مُقَدَّمٌ ^(٢) كلُّ مجلسٍ ومُصَلَّى ، وهو سيدُ المجالسِ وأشرفُها وأكرمُها ، وكذلك هو مِنَ المساجِدِ ، ومنه قولُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ ^(٣) :
كَدَمِي ^(٤) الْعَاجِ فِي الْمَحَارِبِ أَوْ كَالِ — بَيْضِ فِي الرُّؤُوسِ زَهْرُهُ ^(٥) مُسْتَنْبِرٌ ^(٦)
وَالْمَحَارِبُ جَمْعُ مِحْرَابٍ ، وَقَدْ يُجْمَعُ عَلَى ^(٧) مَحَارِبٍ .

٢٤٧/٣ / الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ يَمْرَيْمُ أَنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٣٧) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ قَالَ ﴾ زكريا : ﴿ يَمْرَيْمُ أَنِّي لَكِ هَذَا ﴾ ؟ من أى

(١) سيرة ابن هشام ٥٨٠/١ بنحوه مختصراً ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٤٩ تراجم النساء) من طريق إسحاق بن بشر ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله الليثي بنحوه .

(٢) بعده في ص ، ت ٢ : « على » .

(٣) الاختيارين للأخفش الأصغر ص ٧٠٤ .

(٤) الدمى : الصور ، واحدها دُمِيَّة .

(٥) سقط من : ص ، ت ٢ ، وفي الاختيارين : « زهوه » .

(٦) بعده في ص : « وهو مشتق » ، وبعده في ت ٢ : « وهو مشتق متسر » .

(٧) زيادة من : م .

وَجِئْ لَكَ هَذَا الَّذِي أَرَىٰ عِنْدَكَ مِنَ الرِّزْقِ ؟ قَالَتْ مَرْيَمُ مُجِيبَةً لَّهُ : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . تعني أن الله هو الذي رزقها ذلك ، فسأقه إليها وأعطاهها .

ولمّا كان زكريا يقول ذلك لها ؛ لأنّه كان - فيما ذُكر لنا - يُغلقُ عليها سبعة أبواب ، ويخرجُ ثم يدخلُ عليها ، فيجدُ عندها فاكهةَ الشتاء في الصيف ، وفاكهةَ الصيف في الشتاء ، فكان يعجبُ مما يرى من ذلك ، ويقولُ لها تعجُّبًا مما يرى : أنّى لك هذا ؟ فتقولُ : من عندِ الله .

حدّثني بذلك المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ^(١) .

حدّثنا ابنُ حمّيد ، قال : ثنا سلّمة ، عن ابنِ إسحاق ، قال : ثنى بعضُ أهلِ العلم . فذكر نحوه .

حدّثني محمد بنُ سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ يَمْرُؤٌ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . قال : فإنه وجدَ عندها الفاكهةَ العُصّة حينَ لا تُوجدُ الفاكهةُ عندَ أحدٍ ، فكان زكريا يقولُ : يا مريمُ أنّى لك هذا ^(٢) ؟

وأما قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . فخبّر من الله أنه يسوقُ إلى مَنْ يشاء من خلقه رزقه بغيرِ إحصاءٍ ولا عددٍ يُحاسبُ عليه عبده ؛ لأنّه جلّ ثناؤه لا ينقُصُ سؤقه ذلك إليه كذلك خزائنه ، ولا يزيّد إعطاؤه إياه ومُحاسبته

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٠/٢ عقب الأثر (٣٤٤٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٠/٢ (٣٤٤٩) عن محمد بن سعد به .

[٤٠٣/١] عليه في ملكه وفيما لديه شيئاً ، ولا يَغْزُبُ عنه علم ما يَزُوقُهُ . وإنما يُحَاسِبُ مَنْ يُعْطَى ما يُعْطِيهِ ، مَنْ يَخْشَى التَّقْصَانَ مِنْ مَلِكِهِ ^(١) ، بخروج ما خرج من عنده بغير حساب معروف ، وَمَنْ كان جاهلاً بما يُعْطَى على غير حساب .

القول في تأويل قوله : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۚ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ ﴾ .

أما قوله : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ ﴾ . فمعناه : عند ذلك - أى : عند رؤية زكريا ما رأى عند مريم من رزق الله الذى رزقها ، وفضله الذى آتاها من غير تسبب أحد من الآدميين فى ذلك لها ، ومُعَايَنَتِهِ عِنْدَهَا الثمرة الرطبة التى لا تكون فى حين رؤيته إياها عندها فى الأرض - طمِع ^(٢) فى الولد ^(٣) ، مع كِبَرِ سِنِّهِ ، من المرأة العاقِر ، فرجاً أن يَزُوقَهُ اللهُ منها الولد مع الحال التى هما بها ، كما رزق مريم على تَحْلِيلِهَا من الناس ما رزقها ؛ من ثمرة الصيف فى الشتاء ، وثمرة الشتاء فى الصيف ، وإن لم يكن مثله مما جرت بوجوده - فى مثل ذلك الحين - العادات فى الأرض ، بل المعروف فى الناس غير ذلك ، كما أن ولادة العاقِرِ غير الأمر الجارية به العادات فى الناس ، فرغب إلى الله جل ثناؤه فى الولد ، وسأله ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ، وذلك أن أهل بيت زكريا - فيما ذكر لنا - كانوا قد انقَرَضُوا فى ذلك الوقت .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشَّذِّى : فلما رأى زكريا من حالها ذلك / - يعنى فاكهة الصيف فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء فى الصيف - قال : إن ربّاً أعطها هذا فى غير حينه ، لقادر على أن يرزقنى ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً .

٢٤٨/٣

(١) بعده فى ص : « ودخول » وبعده يياض بقدر كلمتين . ولعل سياقه هكذا « ودخول النقاد عليه بخروج ... » .

(٢ - ٣) فى ص : « بالولد » .

وَرَغِبَ فِي الْوَلَدِ ، فَقَامَ فَصَلَّى ، ثُمَّ دَعَا رَبَّهُ سِرًّا ، فَقَالَ : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (١) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ (٢) يَرْثُنِي وَيَرْثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مریم : ٤ - ٦] . وقال (١) : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . وقال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٢) [الأنبياء : ٨٩] .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جريج ، قال : أخبرني يعلی بن مسلم ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : فلما رأى ذلك زكريا - يعنى فاكهة الصيف فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء فى الصيف عند مریم - قال : إن الذى يأتى بهذا مریم فى غير زمانه ، قادرٌ أن يرزقنى ولداً . قال الله عز وجل : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ . قال : فذلك حين دعا (٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن عكرمة ، قال : فَدَخَلَ الْمِحْرَابَ ، وَغَلَقَ الْأَبْوَابَ ، وَنَاجَى رَبَّهُ ، فَقَالَ : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ إلى قوله : ﴿ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ . ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلَّى فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ الآية [آل عمران : ٣٩] .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى بعض أهل

(١) النسخ : « قوله » . والمثبت من تفسير ابن أبى حاتم .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤١/٢ (٣٤٥٠) من طريق عمرو به مختصراً .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٢ إلى المصنف .

العلم، قال : فدعا زكريا عند ذلك بعد ما أسنَّ ، ولا ولد له ، وقد انقرض أهل بيته ، فقال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . ثم شكى إلى ربِّه ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ إلى ﴿ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ . ﴿ فَتَدَاتَهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ الآية .

وأما قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ . فإنه يعنى بالذُرِّيَّةِ النَّسْلَ ، وبالطَّيِّبَةِ المباركة .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ . يقول : مباركة ^(١) .

وأما قوله : ﴿ مِنْ لَدُنْكَ ﴾ . فإنه يعنى : مِنْ عِنْدِكَ .

وأما الذُّرِّيَّةُ ، فإنها جمعٌ ، وقد تكونُ فى معنى واحدٍ ^(٢) ، وهى فى هذا الموضعِ واحدٍ ^(٣) . وذلك أن الله عزَّ وجلَّ قال فى موضعٍ آخرٍ مُخْبِرًا عن دعاء زكريا : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ [مریم : ٥] . ولم يَقُلْ : أولياء . فدلَّ على أنه سأل واحدًا ، وإنما أَنْتَ ﴿ طَيِّبَةً ﴾ لتأنيثِ الذُّرِّيَّةِ ، كما قال الشاعر ^(٤) :

أبوك خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى وَأَنْتَ خَلِيفَةُ ذَاكَ الْكَمَالُ
فقال : وَلَدَتْهُ أُخْرَى . فَأَنْتَ وهو ذَكَرٌ ؛ لتأنيثِ لفظِ « الخليفة » ، كما قال الآخرُ ^(٤) :

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤١/٢ (٣٤٥١) من طريق عمرو به .

(٢) فى م : « الواحد » .

(٣) معانى القرآن للفراء ٢٠٨/١ ، واللسان (ف ل ح ، خ ل ف) .

(٤) معانى القرآن للفراء ٢٠٨/١ ، واللسان (س ك ت) .

فما^(١) تَزْدَرِي^(٢) مِنْ حَيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ سُكَاتٍ^(٣) إِذَا مَا عَضَّ لَيْسَ بِأَذْرَدًا^(٤) ٢٤٩/٣
فَأَنْتَ الْجَبَلِيَّةُ لِتَأْنِيثٍ لَفْظِ الْحَيَّةِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَعْنَى فَقَالَ : إِذَا مَا عَضَّ ؛ لِأَنَّهُ
كَانَ أَرَادَ حَيَّةً ذَكَرًا . وَإِنَّمَا يَجُوزُ هَذَا فِيمَا لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ « فَلَانٌ » مِنَ الْأَسْمَاءِ ، كَالذَّابِئَةِ
وَالذَّرِّيَّةِ وَالْخَلِيفَةِ ، فَأَمَّا إِذَا سُمِّيَ رَجُلٌ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَانَ فِي مَعْنَى « فَلَانٍ » لَمْ
يَجُزْ تَأْنِيثُ فَعْلِهِ وَلَا نَعْتِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . فَإِنْ مَعْنَاهُ : إِنَّكَ سَامِعُ الدُّعَاءِ . غَيْرَ أَنْ
﴿ سَمِيعٌ ﴾ أَمْدَحُ ، وَهُوَ بِمَعْنَى : ذُو سَمْعٍ لَهُ .

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ نَحْوِيِّيِ الْبَصْرَةِ أَنَّ مَعْنَاهُ : إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا تُدْعَى بِهِ .

فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ : فَعِنْدَ ذَلِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ فَقَالَ : رَبِّ هَبْ لِي مِنْ عِنْدِكَ وَلَدًا
مُبَارَكًا ، إِنَّكَ ذُو سَمْعٍ دُعَاءٍ مِنْ دَعَاكَ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ فَادَّعَاهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ .

اِخْتَلَفَتْ الْقَرَأَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَبَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ
وَالْبَصْرَةِ : ﴿ فَادَّعَاهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ عَلَى التَّأْنِيثِ بِالتَّاءِ^(٥) ، يَرَادُ بِهَا جَمْعُ^(٦) الْمَلَائِكَةِ .
وَكَذَلِكَ تَفَعَّلَ الْعَرَبُ فِي جَمَاعَةِ [٤٠٤/١] الذُّكُورِ إِذَا تَقَدَّمَتْ أَفْعَالُهَا ، أَنْتَتْ
أَفْعَالُهَا ، وَلَا سِيمَا الْأَسْمَاءُ الَّتِي فِي الْأَفْظَاهِ التَّأْنِيثُ ، كَقَوْلِهِمْ : جَاءَتِ الطَّلْحَاتُ .

(١) فِي النِّسْخِ : « كَمَا » . وَالْمُثَبِّتُ مِنْ مَصْدَرِي التَّخْرِيجِ .

(٢) فِي م ، ت ١ ، س : « يَزْدَرِي » .

(٣) فِي م : « سَكَاب » ، وَفِي س : « سَكَان » . وَحِيَّةٌ سَكَاتٌ وَسَكُوتٌ : إِذَا لَمْ يَشْعُرْ بِهِ الْمَلْسُوعُ حَتَّى يَلْسَعَهُ
اللِّسَانُ (س ك ت) .

(٤) الْأَذْرَدُ : الَّذِي لَيْسَ فِي فَمِهِ سَنْ . وَاللِّسَانُ (د ر د) .

(٥) وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَنَافِعٍ وَعَاصِمٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَابْنِ عَامِرٍ . السَّبْعَةُ لَا بِنَ مُجَاهِدٍ ص ٢٠٥ .

(٦) فِي ص ، س : « جَمِيعٌ » .

وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء^(١) ، بمعنى : فناداه جبريلُ . فذكروه للتأويل ، كما قد ذكرنا آنفاً أنهم يؤثثون فعلَ الذَّكْرِ لِلْفِظِ ، فكذلك يذكرون فعلَ المؤنثِ أيضاً لِلْفِظِ .

واعتبروا ذلك فيما أرى بقراءة يُذكرُ أنها قراءةُ عبدِ الله بنِ مسعودٍ . وهو ما حدَّثني به المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ الحجاج ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ابنُ أبي حَمَادٍ ، أن قراءةَ ابنِ مسعودٍ : (فَنَادَاهُ جِبْرِيلُ وهو قائمٌ يُصَلِّي في المِحْرَابِ)^(٢) .

وكذلك تأوَّلَ قوله : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ . جماعةٌ من أهلِ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشَّيْثِيِّ : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾^(٣) : وهو جبريلُ - أو : قالت الملائكة : وهو جبريلُ : - ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾^(٤) .

فإن قال قائلٌ : وكيف جاز أن يقالَ على هذا التأويلِ : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ والملائكةُ جمعٌ لا واحدٌ ؟

قيل : ذلك جائزٌ في كلامِ العربِ ، بأن تُخْبِرَ عن الواحدِ ، بمذهبِ الجمعِ ، كما يقالُ في الكلامِ : خَرَجَ فلانٌ على بغالِ البُرْدِ . وإنما رَكِبَ بغلاً واحداً ، وَرَكِبَ

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥ .

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤٠٠/٢ ، وينظر البحر المحيط ٤٤٦/٢ .

(٣) في ص ، ت ١ : « فناداه الملائكة » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤١/٢ (٣٤٥٣) من طريق عمرو بن حماد به .

الشُّقْرَ . وَإِنَّمَا رَكِبَ سَفِينَةً وَاحِدَةً ، وَكَمَا يُقَالُ : مِمَّنْ سَمِعَتْ / هَذَا الْخَبَرَ ؟ فَيُقَالُ : ٢٥٠/٣
 مِنَ النَّاسِ . وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ مِنْهُ قَوْلُهُ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ
 النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . وَالْقَائِلُ كَانَ فِيهَا ذِكْرَ وَاحِدًا ،
 وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ ﴾ [الروم : ٣٣] . وَالنَّاسُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَذَلِكَ جَائِزٌ
 عِنْدَهُمْ فِيمَا لَمْ يُقْصَدْ فِيهِ قَصْدُ وَاحِدٍ .

وَإِنَّمَا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ - أَعْنَى
 التَّاءِ وَالْيَاءِ - فَبِأَيِّهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ
 بِاخْتِلَافِ الْقِرَاءَتَيْنِ ، وَهُمَا جَمِيعًا فَصِيحَتَانِ عِنْدَ الْعَرَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنْ كَانَ
 مُرَادًا بِهَا جَبْرِيلُ ، كَمَا زُيِّدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِنَّ التَّائِيثَ فِي فِعْلِهَا فَصِيحٌ فِي كَلَامِ
 الْعَرَبِ ، لِلْفُظْهِاءِ إِنْ تَقَدَّمَهَا الْفِعْلُ ، وَجَائِزٌ فِيهِ التَّذْكِيرُ لِمَعْنَاهَا ، وَإِنْ كَانَ مُرَادًا بِهَا
 جَمْعُ الْمَلَائِكَةِ ، فَجَائِزٌ فِي فِعْلِهَا التَّائِيثُ وَهُوَ ^(١) قَبْلُهَا لِلْفُظْهِاءِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ إِذَا
 قَدَّمَتْ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْجَمَاعَةِ فَعَلَهَا أَنْتَثَتْ ، فَقَالَتْ : قَالَتِ النِّسَاءُ . وَجَائِزُ التَّذْكِيرُ فِي
 فِعْلِهَا بِنَاءً عَلَى الْوَاحِدِ إِذَا تَقَدَّمَ فَعْلُهُ ، فَيُقَالُ : قَالَ الرَّجَالُ .

وَأَمَّا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِهِ ، فَأَنْ يُقَالَ : إِنْ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ
 نَادَتْهُ ، وَالظَّاهِرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ دُونَ الْوَاحِدِ ، وَجَبْرِيلُ وَاحِدٌ ، فَلَنْ
 يَجُوزَ أَنْ يُحْمَلَ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ إِلَّا عَلَى الْأَظْهَرِ الْأَكْثَرِ مِنَ الْكَلَامِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي أَلْسِنِ
 الْعَرَبِ دُونَ الْأَقْلِ ، مَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ، وَلَمْ تَضْطَرَّنَا حَاجَةٌ إِلَى صَرْفِ ذَلِكَ إِلَى
 أَنَّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، فَيُخْتَارُ لَهُ إِلَى طَلَبِ الْمَخْرَجِ بِالْخَفِيِّ مِنَ الْكَلَامِ وَالْمَعَانِي .

وَبِمَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّأْوِيلِ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ مِنْهُمْ قَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ ابْنُ

أنسٍ وعِكرمةٌ ومجاهدٌ وجماعةٌ غيرُهم ، وقد ذَكَرنا ما قالوا من ذلك فيما مَضَى .
 القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾ .
 وتأويلُ قوله : ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ ﴾ : فنَادَتْ الملائكةُ في حالِ قِيامِهِ مُصَلِّيًا . فقوله :
 ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ ﴾ خبرٌ عن وقتِ نداءِ الملائكةِ زكريا .
 وقوله : ﴿ يُصَلِّي ﴾ . في موضعٍ نصبٍ على الحالِ من « القيامِ » ، وهو رَفَعُ
 بالياء .

وأما المِحْرَابُ ، فقد بَيَّنَّا معناه وأنه مُقَدَّمُ المسجدِ ^(١) .

واختَلَفَت القُرْأَةُ في قراءةِ قوله : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ ؛ فقَرَأَتْهُ عامةُ القُرْأَةِ : ﴿ أَنَّ
 اللَّهُ ﴾ بفتحِ الألفِ من ﴿ أَنَّ ﴾ ^(٢) ، بوقوعِ النداءِ عليها ، بمعنى : فنَادَتْهُ الملائكةُ
 بذلك .

وقَرَأَهُ بعضُ قُرْأَةِ أَهْلِ الكوفةِ : (إِنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ) بكسْرِ الألفِ ^(٣) ، بمعنى : قالت
 الملائكةُ : إِنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ . لأنَّ النداءَ قولٌ ، وذَكَرُوا أَنَّهَا في قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (فنَادَتْهُ
 الملائكةُ وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي في المِحْرَابِ : يا زكريا إِنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ) ^(٤) . قالوا : وإذا بَطَلَ
 النداءُ أَنْ يَكُونَ عامِلًا في قوله : (يا زكريا) . فباطِلٌ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ عامِلًا في « إِنَّ » .
 والصوابُ مِنَ القِراءةِ في ذلك عِنْدَنَا : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ بفتحِ ﴿ أَنَّ ﴾ ،
 بوقوعِ النداءِ عليه ، بمعنى : فنَادَتْهُ الملائكةُ بذلك .

(١) ينظر ما تقدم في ص ٣٥٨ .

(٢) قرأ بها عاصم والكسائي وأبو عمرو ونافع وابن كثير . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥ .

(٣) قرأ بها حمزة وابن عامر . المصدر السابق .

(٤) ينظر المصاحف لابن أبي داود ص ٥٩ .

(٥) كلنا القراءتين صواب متواتر .

وليس العلة التي اعتلّ بها القارئون بكسر «إن»، من أن عبد الله كان يقرؤها كذلك، ^(١) فقرؤها كذلك؛ وذلك أن عبد الله إن كان قرأ ذلك كذلك، فإنما قرأها - بزعمهم - وقد اعترض ^(٢) بـ (يا زكريا) بين (إن)، وبين قوله / ﴿فَنَادَتْهُ﴾ ٢٥١/٣ وإذا اعترض به بينهما، فإن العرب تُعْمَلُ حينئذ النداء في «أن»، وتُبْطَلُ عنها. أما الإبطال؛ فلأنه ^(٣) بطل عن العمل في المنادى قبله، فأشلكوا الذي بعده مسلكه في بطول عمله. وأما الإعمال؛ فلأن النداء فعلٌ واقع ^(٤) كسائر الأفعال.

وأما قراءتنا، فليس نداء زكريا بـ (يا زكريا) مُعْتَرِضًا به بين ﴿أَنْ﴾ وبين قوله : ﴿فَنَادَتْهُ﴾، وإذ لم يكن ذلك بينهما، فالكلام الفصيح من كلام العرب إذا ^(٥) نصبت بقول : ناديت . اسم المنادى وأوقعوه عليه، أن يوقعوه كذلك على «أن» بعده، وإن كان جائزًا إبطال عمله . فقوله : ﴿فَنَادَتْهُ﴾ قد وقع [٤٠٤/١ ظ] على مكنى «زكريا»، فكذلك الصواب أن يكون واقعا على ﴿أَنْ﴾ وعاملاً فيها، مع أن ذلك هو القراءة المستفيضة في قراءة أمصار الإسلام، ولا يُعْتَرَضُ بالشاذ على الجماعة التي تبيىء مَجِيءَ الْحُجَّةِ ^(٦).

وأما قوله : ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ . فإن القراءة اختلفت في قراءته ؛ فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والبصرة : ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بتشديد الشين وضَمَّ الياء ^(٧)، على وجه

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س . ولعل صواب السياق أن يكون بعدها : لهم بعلة .

(٢ - ٢) في ص ، ت ، ١ ، س : «بهذا» ، وفي ت ، ٢ : «بهتا» .

(٣) في م : «فإنه» .

(٤) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : «رافع» . والفعل الواقع هو الفعل المتعدي .

(٥) في م : «إذ» .

(٦) تقدم أن القراءتين متواترتان .

(٧) قرأ بها نافع وابن عامر وعاصم وابن كثير وأبو عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

تَبَشِيرِ اللَّهِ زَكْرِيَّا بِالْوَلَدِ ، من قولِ الناس : بَشَّرْتُ فلانًا بالبُشرى بكذا وكذا . أَيْ : أُنْتَه
بِشَارَاتُ الْبَشَرَاءِ^(١) . بذلك .

وَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ قَرَأَةِ الْكُوفَةِ وَغَيْرِهِمْ : (إِنَّ اللَّهَ يَنْشُرُكَ) بَفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ
الشَّيْنِ وَتَخْفِيفِهَا^(٢) ، بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ يَنْشُرُكَ بَوْلِدٍ يَهْبُهُ لَكَ ، من قولِ الشَّاعِرِ^(٣) :

بَشَّرْتُ عِيَالِي إِذْ رَأَيْتُ صَحِيفَةً أَتَتْكَ مِنَ الْحَجَّاجِ يُنْثَلَى كِتَابُهَا
وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ « بَشَّرْتُ » لُغَةٌ أَهْلُ تِهَامَةٍ مِنْ كِنَانَةٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ قَرِيشٍ ، وَأَنَّهُمْ
يَقُولُونَ : بَشَّرْتُ فلانًا بكذا ، فَأَنَا أَبَشِّرُهُ بَشْرًا . و : هَلْ أَنْتَ بَاشِرٌ بِكَذَا ؟ وَيُنْشَدُ لَهُمْ
الْبَيْتُ فِي ذَلِكَ^(٤) :

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاهِشِينَ^(٥) إِلَى الْعُلَا غُفْرًا أَكْفُهُمْ بِقَاعِ مُمَجِّلٍ
فَأَعْنَهُمْ وَابْشُرْ بِمَا بَشَّرُوا بِهِ وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضْنِكَ فَاَنْزِلِ
فَإِذَا صَارُوا إِلَى الْأَمْرِ ، فَالْكَلَامُ الصَّحِيحُ مِنْ كَلَامِهِمْ^(٦) « بَلَا أَلْفٍ » فَيَقَالُ :
ابْشُرْ فلانًا بكذا . وَلَا يَكَاذُونَ يَقُولُونَ : بَشَّرَهُ بِكَذَا . وَلَا : أَبَشِرُهُ .

وَقَدْ رَوَى عَنْ حُمَيْدِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ : (يُنْشِرُكَ) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَكَسْرِ
الشَّيْنِ وَتَخْفِيفِهَا^(٧) .

(١) النسخ : « البشري » ، والمثبت من معاني القرآن للفراء ٢١٢/١ .

(٢) وهى قراءة حمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٦ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢١٢/١ .

(٤) البيت لعبد قيس بن خفاف البرجمى ، وهو فى معاني القرآن للفراء ٢١٢/١ . والمفضليات ص ٣٨٥ ،
والأصمعيات ص ٢٣٠ .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « الناهشين » . والنهش : المسارعة إلى أخذ الشيء . تاج العروس (ب هـ ش) .

(٦ - ٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بالآلف » .

(٧) مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٢٦ .

6 > U

وقد حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَمَّادٍ ،
عن مُعَاذِ الْكُوفِيِّ ، قال : مَنْ قَرَأَ : ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ [التوبة : ٢١] . مُثَقَّلَةً ، فإنه من
البشارة . وَمَنْ قَرَأَ : (يُبَشِّرُهُمْ) . مُخَفَّفَةً بَنَصْبِ الْيَاءِ ، فإنه من السرورِ يَشْرُهُمْ ^(١) .
والقراءةُ التي هي القراءةُ عِنْدَنَا في ذلك صَمُّ الْيَاءِ وتشديدُ الشينِ ، بمعنى
التَّبَشِيرِ ؛ لأن ذلك هي اللغةُ السائِرةُ والكلامُ المُستفيضُ المعروفُ في الناسِ ، مع أنَّ
جميعَ قِراءةِ الأمصارِ مُجْمِعُونَ في قراءة : ﴿فَيَمَّ تَبَشِّرُونَ﴾ [الحجر : ٥٤] . على
التشديدِ .

والصوابُ في سائرِ ما في القرآنِ مِنْ نظائِرِهِ أن يكونَ مثلهُ في التشديدِ وَصَمُّ الْيَاءِ .

٢٥٢/٣

/ وأما ما رَوَى عن مُعَاذِ الْكُوفِيِّ مِنْ الفرقِ بَيْنَ معنى التَّخْفِيفِ والتَّشْدِيدِ في
ذلك ، فلم نَجِدْ أَهْلَ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يَعْرِفُونَهُ مِنْ وَجْهِ صَحِيحٍ ، فلا معنى لما حَكِي
من ذلك عنه ، وقد قال جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ ^(٢) :

يا بَشْرُ حَقِّ لَوَجْهِكَ ^(٣) التَّبَشِيرُ هَلَّا غَضِبْتَ لَنَا وَأَنْتَ أَمِيرُ
فقد عَلِمَ أَنَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : التَّبَشِيرُ . الْجَمَالَ والنَّضَارَةَ والسرورَ . فقال : التَّبَشِيرُ .
ولم يقل : الْبَشْرُ . فقد بَيَّنَّ ذلك أن معنى التَّخْفِيفِ والتَّثْقِيلِ في ذلك واحدٌ .

حدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن
قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ . قال : شَافَهُتَهُ ^(٤) الْمَلَائِكَةُ بِذَلِكَ ^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢١١ إلى المصنف.

(٢) ديوانه ١/٣٦٦ .

(٣) في م : « لبشرك » .

(٤) في ص ، ت ٢ : « سا » وبعده بياض بقدر نصف كلمة ، وفي م ، ت ٣ : « بشرته » ، وفي ت ١ : « قال » ،

وفي س : « ثنا بهذا » ، والمثبت مما سيأتي في ص ٣٨٦ ، وهي كذلك في تفسير عبد الرزاق .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ . (تفسير الطبري ٥/٢٤)

وأما قوله : ﴿ يَحْيَى ﴾ . فإنه اسم أصله ^(١) « يَفْعَلُ » ، من قول القائل : حيي فلان فهو يحيى ، وذلك إذا عاش . فـ « يَحْيَى » « يَفْعَلُ » ، من قولهم : حيي . وقيل : إن الله جل ثناؤه سماه بذلك لأنه يُتَأَوَّلُ اسمه : أحياء بالإيمان .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾ . يقول : عبد أحياء الله بالإيمان ^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة قوله : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾ . قال : إنما سُمِّيَ يحيى ^(٣) لأن الله أحياءه بالإيمان ^(٤) .

القول في تأويل قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ .

يعنى بذلك ^(٥) جل ثناؤه : إن الله يُبَشِّرُكَ يا زكريا بيحيى ابنا لك ، مصدقا بكلمة من الله . يعنى : بعيسى ابن مريم .

ونُصِبَ قوله : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ على القطع من « يحيى » ؛ لأن ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ نعت له وهو نكرة ، و « يحيى » غير نكرة .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاوى ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا

(١) فى م : « صلة » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٤١/٢ (٦٤٥٥) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) بعده فى ص ، ت ٢ : « قال » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٤٢/٢ (٣٤٥٧) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به .

(٥) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بقوله » .

النَّضْرُ بْنُ عَرَبِيٍّ ، عَنْ مجاهد ، قال : قالت امرأة زكريا لمريم : إني أجدُ الذي في بطني يتحركُ للذي في بطني . قال : فوضعت امرأة زكريا يحيى ، ومريم عيسى ؛ ولذا قال : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : يحيى مُصَدِّقٌ بعيسى ^(١) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن الرقاشي في قول الله : ﴿ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : مُصَدِّقًا بعيسى ابن مريم ^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله ^(٣) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة في قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : مُصَدِّقًا بعيسى .

/ حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . يقول : مُصَدِّقٌ بعيسى ابن مريم ، وعلى سنَّته ^(٤) ومنهاجه . ٢٥٣/٣

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . يعني : بعيسى ابن مريم ^(٥) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . يقول : مصدقًا بعيسى ابن مريم . يقول : على

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢١١ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٢ عقب الأثر (٣٤٥٨) معلقا .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥١ .

(٤) في م : « سنَّته » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، ومن طريقه ابن عساكر ٦٤/١٧٥ .

سَنِّه^(١) ومنهجه .

حدثني الثنني ، قال : ثنا [٤٠٥/١] إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : كان أول رجل صدق عيسى ، وهو كلمة من الله وروح^(٢) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : يُصَدِّقُ بعيسى^(٣) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : كان يحيى أول من صدق بعيسى ، وشهد أنه كلمة من الله ، وكان يحيى ابن خالة عيسى ، وكان أكبر من عيسى^(٤) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سيماء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : عيسى ابن مريم هو الكلمة من الله ، اسمه المسيح^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : أخبرني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : كان عيسى ويحيى ابني خالة ، وكانت أم يحيى تقول لمريم : إني أجِدُ الذي في بطني يشجِدُ للذي في

(١) الثنن : الطريقة . اللسان (س ن ن) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٢/٢ عقب الأثر (٣٤٥٨) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٢/٢ عقب الأثر (٣٤٥٨) من طريق عمرو بن حماد به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١/٢ إلى المصنف .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٢/٢ (٣٤٥٨) من طريق وكيع به .

بطنك ، فذلك تصديقه بعيسى ، سجوده^(١) فى بطن أمه ، وهو أول من صدق بعيسى وكلمة عيسى ، ويحيى أكبر من عيسى^(٢) .

حدثنى محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : الكلمة^(٣) التى صدق بها عيسى^(٤) .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لقيت أم يحيى أم عيسى ، وهذه حامل يحيى وهذه حامل بعيسى ، فقالت امرأة زكريا : يا مريم ، أشعرت أنى حبلى . قالت مريم : أشعرت أنى أيضا حبلى . قالت امرأة زكريا : فإنى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك . فذلك قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾^(٥) .

حدثنى محمد بن بشار^(٦) ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عبادة ، عن الحسن فى قول الله : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : مُصَدِّقًا بعيسى ابن مريم^(٧) .

وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة^(٨) ، أن معنى قوله :

(١) فى تفسير ابن كثير : « تصديقه له » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٠/٢ عن ابن جريج ، عن ابن عباس ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٢ إلى المصنف .

(٣) سقط من : س ، وفى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « كلمة » .

(٤) ينظر تفسير ابن كثير ٣٠/٢ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٢ إلى المصنف .

(٦) فى م : « سنان » .

(٧) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٢/٢ عقب الأثر (٣٤٥٨) معلقا .

(٨) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ٩١/١ .

﴿مُصَدِّقًا لِّكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ : / بكتابٍ من الله . مِن قولِ العربِ : أنشدني فلانُ كلمةً كذا . يُرادُ به قصيدةٌ كذا . جهلاً منه بتأويلِ الكلمةِ ، واجترأً على ترجمة القرآنِ برأيه .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿وَسَيِّدًا﴾ .

يَعْنِي بقوله جلُّ ثناؤه : ﴿وَسَيِّدًا﴾ : وشریفًا في العلمِ والعبادةِ .

ونصب « السید » عطفًا على قوله : ﴿مُصَدِّقًا﴾ .

وتأويلُ الكلامِ ، أنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِحَيٍّ مُصَدِّقًا بهذا وسيِّدًا .

والسيِّدُ الفاعِلُ^(١) ، مِن قولِ القائلِ : سادَ يَسُوْدُ .

كما حدثنا بِشَرٍّ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿وَسَيِّدًا﴾ : إِي وَاللهِ ، لَسَيِّدٌ فِي الْعِبَادَةِ وَالْحِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْوَرَعِ^(٢) .

حدثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا سليمانُ^(٣) ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، قال : ثنا قتادةُ في قوله : ﴿وَسَيِّدًا﴾ . قال : السيِّدُ - لا أَعْلَمُهُ إِلَّا قال - : فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ^(٤) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قال : السيِّدُ الْحَلِيمُ^(٥) .

حدثنا ابنُ وَكِيعٍ ، قال : ثنا أَبِي ، عَنْ شَرِيكِ ، عَنْ سَالِمِ الْأَفْطَسِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : ﴿وَسَيِّدًا﴾ . قال : الْحَلِيمُ^(٥) .

(١) فِي ت ١ ، س : « الْفَاعِلُ » .

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي الْمَحَرَّرِ الْوَجِيزِ ٤٠٤/٢ .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي الْمَحَرَّرِ الْوَجِيزِ ٤٠٤/٢ ، وَالْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٧/٤ ، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣٠/٢ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٤٢/٢ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٤٥٩) مَعْلَقًا .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مَصْنُفِهِ ٣٣٧/٨ ، ٥٦٢/١١ ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِهِ ١٧٦/٦٤ مِنْ طَرِيقِ وَكِيعٍ بِهِ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحِمَاني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ قال : السيدُ التقى^(١) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قولِ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : السيدُ الكريمُ على الله^(٢) .

حدثني المُثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، قال : زعم الرقاشي أن السيدَ الكريمَ على الله^(٣) .

حدثني المُثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك في قولِ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ قال : السيدُ الحليمُ التقى^(٤) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعتُ أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقولُ في قوله : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : يقول : تقيًا حليمًا^(٥) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان في قوله : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : حليمًا تقيًا^(٦) .

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٧٦/٦٤ من طرق عن شريك به بألفاظ مختلفة .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٧٦/٦٤ من طريق ابن أبي نجيح به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٣/٢ (٣٤٦٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عن الرقاشي .

(٤) أخرجه الخرائطي في المنتقى (٢٦٦) من طريق هشيم به .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٧٨/٦٤ من طريق جوير ، عن الضحاك .

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٧٩/٦٤ من طريق سعيد بن عبد الرحمن ، عن سفيان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد في قوله : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ .
قال : السيد الشريف ^(١) .

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ^(٢) ، قال : ثنا بَقِيَّةُ بن الوليد ، عن عبد الملك ،
عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في قول الله عز وجل : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ .
قال : السيد الفقيه العالم ^(٣) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن
أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : يقول : حليمًا تقيًا ^(٤) .

٢٥٥/٣ / حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن
عكرمة : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : السيد الذي لا يغلبه الغضب ^(٥) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٣٩) .

يعنى بذلك مُتَمَتِّعًا مِن جَمَاعِ النِّسَاءِ ، مِن قَوْلِ الْقَائِلِ : حَصِرْتُ مِن كَذَا
أَحْصَرُ . إِذَا امْتَنَعَ مِنْهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : حَصِرَ فُلَانٌ فِي قِرَاءَتِهِ . إِذَا امْتَنَعَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فَلَمْ
يَقْدِرْ عَلَيْهَا ، وَكَذَلِكَ حَصَرُ الْعَدُوِّ : حَبَسَهُمُ النَّاسُ وَمَنْعَهُمْ إِيَّاهُمُ التَّصَرُّفَ . وَلِذَلِكَ
قِيلَ لِلَّذِي لَا يُخْرِجُ مَعَ نُدْمَائِهِ ^(٦) شَيْئًا : حَصُورٌ . كَمَا قَالَ الْأَخْطَلُ ^(٧) :

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٠٤/٢ .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « السكري » . وينظر تهذيب الكمال ١٧/١١ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٢/٢ (٣٤٥٩) عن محمد بن سعد به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٢/٢ (٣٤٦٠) ، والخراطي في المتقى (٢٦٥) ، وابن عساكر في

تاريخه ١٧٧/٦٤ ، ١٧٨ من طريق أبي بكر الهذلي به .

(٥) الندماء : جمع نديم ، وهو الجالس على الشراب . اللسان (ن د م) .

(٦) شرح ديوانه ص ٧٩ .

وَشَارِبٍ مُّزِجٍ^(١) بِالْكَأْسِ نَادِمَتْنِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بَسْوَارٍ^(٢)
[٤٠٥/١ ط] وَيُزَوَّى : بَسَّارٍ^(٣) . وَيَقَالُ أَيْضًا لِلَّذِي لَا يُخْرِجُ سِرَّهُ وَيَكْتُمُهُ :
حَصُورٌ . لِأَنَّهُ يَمْنَعُ سِرَّهُ أَنْ يَظْهَرَ ، كَمَا قَالَ جَرِيرٌ^(٤) :

وَلَقَدْ تَسَقَّطْنِي^(٥) الْوُشَاةُ فَصَادَفُوا حَصِيرًا بِسَرِّكَ يَا أُمَيْمُ ضَنِينَا
وَأَصْلُ جَمِيعِ ذَلِكَ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْمَنْعُ وَالْحَبْسُ .
وَبِمَثَلِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ خَلْفٍ ، قَالَ : ثنا حمادُ بْنُ شُعَيْبٍ ، عَنْ عَاصِمٍ ،
عَنْ زَيْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ ، قَالَ : « الْحَصُورُ الَّذِي لَا يَأْتِي
النِّسَاءَ »^(٦) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ
سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ قَالَ : ثنا ابْنُ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « كُلُّ بَنِي
آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا » . قَالَ : ثُمَّ دَلَّى رَسُولُ

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ : « مَرْجِع » ، وَفِي س : « مَزْجَج » .

(٢) الشَّوَار : الَّذِي تَسُورُ الْخَمْرُ فِي رَأْسِهِ سَرِيقًا . تَاجُ الْعُرُوسِ (س و ر) .

(٣) اسْمُ فَاعِلٍ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ عَنْ : سَأَرَ وَأَسَارَ . وَأَسَارَ مِنْهُ شَيْئًا : أَبْقَاهُ وَأَفْضَلَهُ . التَّاجِ (س أ ر) .

(٤) دِيوَانُهُ ٣٨٧/١ .

(٥) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تَسَاقَطْنِي » ، وَفِي س : « سَاقَطْنِي » . وَتَسَقَّطْنِي : طَلَبَ الْوُشَاةُ سَقَطَهُ .

التَّاجِ (س ق ط) .

(٦ - ٦) سَقَطَ مِنْ : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وَفِي ص بَيَاضٌ بِقَدْرِ كَلِمَةٍ .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ ٨٣/٧ - وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ ١٧٥/٦٤ - مِنْ طَرِيقِ عَاصِمٍ بِهِ .

اللَّهُ ﷻ يَدُهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَخَذَ عُويْدًا صَغِيرًا ، ثُمَّ قَالَ : « وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا لِلرَّجَالِ إِلَّا مِثْلَ هَذَا الْعُودِ ، وَبِذَلِكَ سَمَّاهُ اللَّهُ سَيْدًا وَحَصُورًا » ^(١) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ : لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا ذَنْبٍ ، إِلَّا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ، كَانَ حَصُورًا مَعَهُ مِثْلُ الْهُدْبَةِ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْقُرَشِيُّ ، قَالَ : ^(٢) ثَنَا مُحَمَّدُ ^(٣) بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : ^(٢) ثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : ^(٢) قَالَ ابْنُ الْعَاصِ - إِمَّا عَبْدُ اللَّهِ وَإِمَّا أَبُوهُ - : مَا أَحَدٌ يَلْقَى اللَّهَ إِلَّا وَهُوَ ذُو ذَنْبٍ ، / إِلَّا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا . قَالَ : ٢٥٦/٣ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ^(٢) : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ . قَالَ : الْحَصُورُ الَّذِي لَا يَغْشَى ^(٤) النِّسَاءَ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ ^(٥) .

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو السَّكُونِيُّ ، قَالَ : ثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قَالَ : الْحَصُورُ الَّذِي لَا يَشْتَهِي النِّسَاءَ . ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَخَذَ نَوَاقِفًا فَقَالَ : مَا كَانَ مَعَهُ إِلَّا مِثْلُ هَذِهِ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في العلل (١٩١٣) من طريق سلمة به ، وأخرجه الحاكم ٣٧٣/٢ ، وابن عساكر في تاريخه ١٧٤/٦٤ من طريق ابن إسحاق به .

(٢ - ٢) سقط من : س .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت : ٣ : « عمر » . وتقدم على الصواب في ٤٨٩/٣ .

(٤) في س : « يشتهي » .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١١ / ٥٦١ ، ٥٦٢ ، وأحمد في الزهد ص ٩٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره

٦٤٣/٢ ٣٤٦٥) من طريق يحيى بن سعيد به نحوه .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، قَالَ : الْحَضُورُ الَّذِي لَا يَأْتِي النِّسَاءَ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ سَعِيدٍ مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، عَنْ عَمْرِو ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ سَعِيدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ رَبِيعَةَ ، قَالَ : ثنا النَّضْرُ بْنُ غَرِيْبٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَحَضُورًا ﴾ . قَالَ : الَّذِي لَا يَأْتِي النِّسَاءَ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : الْحَضُورُ الَّذِي ^(٤) لَا يَقْرُبُ النِّسَاءَ ^(٥) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، قَالَ : زَعَمَ الرَّقَاشِيُّ : الْحَضُورُ الَّذِي لَا يَقْرُبُ النِّسَاءَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ : الْحَضُورُ الَّذِي لَا يُؤَلِّدُ لَهُ ، وَلَيْسَ لَهُ مَاءٌ ^(٦) .

حَدَّثَتْ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ

(١) تفسير سفيان ص ٧٦ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ١٧٧/٦٤ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٢ عن عطاء به .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٧٨/٦٤ من طريق سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد .

(٤) سقط من : ص ، م .

(٥) تفسير مجاهد ص ٢٥١ ، ومن طريقه البيهقي ٨٣/٧ ، وابن عساكر في تاريخه ١٧٧/٦٤ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٤/٢ (٣٤٦٨) من طريق جوير به .

سليمان ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : هو الذى لا ماء له .

^(١) حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قال : ثنا يزيد ^(٢) ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ : كنا نُحَدِّثُ أَنَّ الْحَصُورَ الَّذِي لَا يَقْرُبُ النِّسَاءَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قال ^(١) : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة في قوله : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ . قال : الْحَصُورُ الَّذِي لَا يَأْتِي النِّسَاءَ .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، قال : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن قتادة مثله .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادة مثله ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ ، قال : ثنا جَرِيرٌ ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الْحَصُورُ الَّذِي لَا يُنْزِلُ الْمَاءَ ^(٤) .

حَدَّثَنِي يُونُسٌ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، عن ابنِ زَيْدٍ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الْحَصُورُ الَّذِي لَا يَأْتِي النِّسَاءَ .

٢٥٧/٣ / حَدَّثَنِي مُوسَى ، قال : ثنا عَمْرُو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشَّيْثِيِّ :

(١ - ١) سقط من : س .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « سويد » . وهو إسناد دائر .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٠ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ١٧٥/ ٦٤ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٣/ ٢ (٣٤٦٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ١٧٥/ ٦٤ من

طريق جرير به .

﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الحَصُورُ الذى لا يُريدُ النساءَ .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن :
﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الذى ^(١) لا يَقْرُبُ النساءَ ^(٢) .

وأما قوله : ﴿ وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . فإنه يعنى : رسولاً لربه إلى قومه ،
يُنْثِيهِمْ عنه بأمره ونهيهِ ، وحلاله وحرامه ، وَيُلْغِيهِمْ عنه ما أَرْسَلَهُ به إليهم .

ويعنى بقوله : ﴿ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ : من أنبيائه الصالحين .

وقد دللنا فيما مضى على معنى « النبوة » وما أصلها ، بشواهد ذلك والأدلة
الدالة على الصحيح من القول فيه بما أغنى عن إعادته ^(٣) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ
وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ ﴾ .

يعنى أن زكرياً قال إذ نادته الملائكة ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ
اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ - : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ
الْكِبَرُ ﴾ . يعنى : مَنْ بَلَغَ مِنَ السَّنِّ ما بَلَغْتُ لم يُولَدْ له ، ﴿ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ ﴾
والعاقِرُ مِنَ النساءِ التى لا تَلِدُ . يقالُ منه : امرأةٌ عاقِرٌ ، ورجلٌ عاقِرٌ . كما قال عامر ابن
الطُّفَيْلِ ^(٤) :

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٢) ينظر التبيان ٢ / ٤٥٢ .

وقال القاضى فى الشفا ١ / ١١٦ : اعلم أن ثناء الله على يحيى بأنه حصور ليس كما قال بعضهم : إنه كان
هَيُوبًا ، أو لا ذَكَرَ له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء ، وقالوا : هذه نقيصة وعيب ولا نليق بالأنبياء ،
ولما معناه أنه معصوم من الذنوب ، أى : لا يأتيها ، كأنه حصر عنها ... وينظر تفسير ابن كثير ٢ / ٣١ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٢ / ٣٠ ، ٣١ .

(٤) مجاز القرآن ١ / ٩٢ .

[٤٠/١] لَيْسَ الْفِتْنَىٰ إِنْ كُنْتَ أُعْوَرَ عَاقِرًا جَبَانًا فَمَا عُذْرِي لَدَىٰ كُلِّ مَحْضَرٍ
وَأَمَّا « الْكِبَرُ » فمصدر : كَبِرَ فلانٌ فهو يَكْبُرُ كِبْرًا .

وقيل : ﴿ بَلَّغْنِي الْكِبَرُ ﴾ . وقد قال في موضع آخر : ﴿ قَدْ بَلَّغْتُ مِنْ
الْكِبَرِ ﴾ [مریم : ٨] ؛ لأنَّ ما بَلَغَكَ فقد بَلَغْتَهُ ، وإنما معناه : قد كَبُرْتُ . وهو كقول
القائل : قد بَلَغْنِي الجَهْدُ . بمعنى : إني في جَهْدٍ .

فإن قال قائل : وكيف قال زكريا ، وهو نبيُّ الله : ﴿ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَقَدْ
بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَآمَرَاتِي عَاقِرٌ ﴾ . وقد بَشَّرَتْهُ الملائكةُ بما بَشَّرَتْهُ به عن أمرِ الله إِيَّاهَا
به ؟ أَشَكُّ في صدقِهِمْ ؟ فذلك ما لا يجوزُ أن يُوصَفَ به أهلُ الإيمانِ بالله ، فكيف
الأنبياء والمرسلون ؟ أم كان ذلك منه استنكارًا لقدرةِ ربِّه ، فذلك أعظمُ في البِلَّةِ ؟

قيل : كان ذلك منه ﷺ على غير ما ظننت ، بل كان قيله ما قال من ذلك كما
حدَّثني موسى ، قال : ثنا غَمْرُو ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ : لما سَمِعَ النداءَ -
يغني زكريا لما سَمِعَ نداءَ الملائكةِ بالبشارةِ [٣٩٠/١] ييحيى - جاءه الشيطانُ فقال
له : يا زكريا ، إن الصوتَ الذي سَمِعْتَ ليس هو من الله ، إنما هو من الشيطانِ يَسْخَرُ
بك ، ولو كان من الله أوحاه إليك كما يُوحى إليك في غيره من / الأمرِ . فشكَّ
مكانه وقال : ﴿ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ ﴾ ذَكَرْتُ ؟ يقول : من أين ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ
وَآمَرَاتِي عَاقِرٌ ﴾ ^(١) ؟

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن أبي بكرٍ ، عن
عِكْرَمَةَ ، قال : فأتاه الشيطانُ ، فأراد أن يُكَدِّرَ ^(٢) عليه نعمةَ ربِّه ، فقال : هل تَدْرِي

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٤/٢ (٣٤٧٣) من طريق عمرو به .

(٢) في ت ، ٢ ، ٣ : « يكذب » .

مَنْ نَادَاكَ؟ قَالَ : نعم ، نَادَتْنِي ^(١) مَلَائِكَةُ رَبِّي . قَالَ : بَلْ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ ، لَوْ كَانَ هَذَا ^(٢) مِنْ رَبِّكَ لَأَخْفَاهُ إِلَيْكَ كَمَا أَخْفَيْتَ نِدَاءَكَ . فَقَالَ : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ^(٣) ۖ ۞ .

فَكَانَ قَوْلُهُ مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَرَّاجَعْتُهُ رَبَّهُ فِيمَا رَاجَعَ فِيهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ ۖ ۞ . لِلْوَسْوَسَةِ الَّتِي خَالَطَتْ قَلْبَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، حَتَّى خَيَّلَتْ إِلَيْهِ أَنَّ النِّدَاءَ الَّذِي سَمِعَهُ كَانَ نِدَاءً مِنْ غَيْرِ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ : ﴿ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ ۖ ۞ . مُسْتَشْبَهًا فِي أَمْرِهِ ، لِيَتَقَرَّرَ عِنْدَهُ بَآيَةٍ ، يُرِيهِ اللَّهُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ بَشَارَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى أَلْسِنِ مَلَائِكَتِهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ ۞ .

وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قِيلَهُ ذَلِكَ مَسْأَلَةً مِنْهُ رَبَّهُ : مِنْ أَيِّ وَجْهِ يَكُونُ الْوَلَدُ الَّذِي بُشِّرَ بِهِ ، أَمِنْ زَوْجَتِهِ ؟ فَهِيَ عَاقِرٌ ، أَمْ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ ؟ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي قَالَهُ عِكْرَمَةُ وَالشُّدِّيُّ وَمَنْ قَالَ مِثْلَ قَوْلِهِمَا .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۖ ۞ .

يَعْنَى جَلَّ ثَنَاهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ ۖ ۞ : أَيُّ هُوَ : مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَنَّهُ هَيِّئَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْلُقَ وَلَدًا مِنَ الْكَبِيرِ الَّذِي قَدْ يَبُوءُ مِنَ الْوَلَدِ ، وَمِنَ الْعَاقِرِ الَّتِي لَا يُؤْجِبِي مِنْ مِثْلِهَا الْوَلَادَةُ ، كَمَا خَلَقَكَ يَا زَكَرِيَّا مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْوَلَدِ مِنْكَ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا يَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ خَلْقُ شَيْءٍ أَرَادَهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَعْلُ شَيْءٍ شَاءَهُ ؛ لِأَنَّ قُدْرَتَهُ الْقُدْرَةُ الَّتِي لَا يُشَبِّهُهَا قُدْرَةٌ .

كَمَا حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ ، قَالَ :

(١) فِي م ، ت ، ١ ، س : « نَادَانِي » .

(٢) فِي س : « نِدَاءٌ » .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي الْمَحْرَرِ الْوَجِيزِ ٤٠٨/٢ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْشُورِ ٢٢/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ، ﴿وَقَدْ خَلَقْتَنكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُن شَيْئًا﴾^(١)
 [مريم : ٩] .

القول فى تأويل قوله : ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه - خبراً عن زكريا - : قال زكريا : ربّ إن كان هذا النداء الذى تُودِيتُهُ ، والصوت الذى سمعته صوت ملائكتك ، وبشارة منك لى ، فاجعل لى ﴿آيَةً﴾ ، يقول : علامة أن ذلك كذلك ؛ ليُزَوَّلَ عَنِّي ما قد وسَّوسَ إلى الشيطان فألقاه فى قلبى ، من أن ذلك صوت غير الملائكة ، وبشارة من ^(٢) عند غيرك ^(٣) .

كما حدّثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ قال : قال ^(٣) - يعنى زكريا - : ياربّ ، فإن كان هذا الصوت منك فاجعل لى آية ^(٤) .

وقد دلّلنا فيما مضى على معنى « الآية » وأنها العلامة ، بما أغنى عن إعادته ^(٥) .

/ وقد اختلف أهل العربية فى سبب ترك العرب همزها ، ومن شأنها همز كل ياء جاءت بعد ألف ساكنة ؛ فقال بعضهم : ترك همزها لأنها كانت « آية » ، فنقل عليهم التشديد ، فأبدلوه ألفاً ؛ لانفتاح ما قبل التشديد ، كما قالوا : أيما فلان فأخزاه الله . وقال آخرون منهم : بل هى « فاعلة » منقوصة . فسيّلوا ، ف قيل لهم : فما بال العرب تُصعّرها « أُيَّة » ، ولم يقولوا : « أُويّة » ؟ فقالوا : قيل ذلك كما قيل فى

٢٥٩/٣

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٤/٢ (٣٤٧٣) من طريق عمرو به .

(٢ - ٣) فى س : « عندك » .

(٣) سقط من : س .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٥/٢ (٣٤٧٥) من طريق عمرو به .

(٥) ينظر ما تقدم فى ١٠٤/١ .

فاطمة : هذه فُطَيْمَةٌ . فقيل لهم : فإنهم إنما ^(١) يُصَغَّرُونَ « فاعلة » على « فُعَيْلَةٍ » ، إذا كان اسماً فى معنى فلان وفلانة ، فأما فى غير ذلك ، فليس من تصغيرهم « فاعلة » على « فُعَيْلَةٍ » .

وقال آخرون : إنه « فَعْلَةٌ » ، صُبِّرَتْ ياؤها الأولى أَلِفًا كما فُعِلَ بـ « حاجة » و « قامة » . فقيل لهم : إنما تَفْعَلُ العربُ ذلك فى أولادِ الثلاثة ^(٢) .

وقال مَنْ أُنْكَرَ ذلك مِنْ قِيلِهِمْ : لو كان كما قالوا لَقِيلَ فى نواة : « نَائَةٌ » . وفى حياة : « حَائَةٌ » .

القول فى تأويل قوله : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۖ ﴾ .
فعاقبه ^(٣) الله عز وجل - فيما ذُكِرَ لنا - بمسألته الآية ، بعد مشافهة الملائكة إِيَّاهُ بالبشارة ، فجعل آيته على تَحْقِيقٍ ^(٤) ما سمع من البشارة من الملائكة يبحى أنه من عند الله ، آية من نفسه ، جمع تعالى ذكره بها العلامة التى سألها ربّه ، على ما يُبَيِّنُ له حقيقة البشارة أنها من عند الله ، وتمحيصاً له من هَفْوَتِهِ ، [٤٠٦/١ ظ] وخطأ قِيلَهُ ومسألته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِيَّ

(١) سقط من : م .

(٢) أولاد الثلاثة وبنات الثلاثة : الاسم الثلاثى . وينظر الكتاب لسيبويه ٤٢٦/٣ ، وشرح المفصل لابن يعish

١٢٢/٥ ، واللسان (أى ا) .

(٣) فى س : « فعاقبه » .

(٤) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « تخصيص » .

حَدَّثَنِي أَبُو غُبَيْدٍ الْوَصَّائِيُّ ^(١) ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيرٍ ، قَالَ : ثنا صفوانُ بْنُ عمرو ، عن ^(٢) «جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ» فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۖ ۝ ﴾ . قَالَ : رَبَّا لِسَانُهُ فِي فِيهِ حَتَّى مَلَأَهُ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ اللَّهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ^(٣) .

وإنما اخْتَارَتِ الْقُرْآنَةُ النَّصْبَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ۖ ﴾ . لَأَن مَعْنَى الْكَلَامِ : قَالَ : آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . فَكَانَتْ «أَنْ» هِيَ الَّتِي تَصْحَبُ الْاِسْتِقْبَالَ ^(٤) دُونَ الَّتِي تَصْحَبُ الْأَسْمَاءَ ، فَتَنْصِبُهَا ، وَلَوْ كَانَ الْمَعْنَى فِيهِ : آيَتُكَ أَنَّكَ لَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . أَيْ : أَنَّكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ - كَانَ وَجْهُ الْكَلَامِ الرَّفْعُ ؛ لِأَنَّ «أَنْ» كَانَتْ تَكُونُ ^(٥) حِينَئِذٍ بِمَعْنَى الثَّقِيلَةِ خُفِّفَتْ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ جَائِزًا ؛ لِمَا وَصَفْتُ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ بِالْمَعْنَى الْآخِرِ .

وَأَمَّا الرَّمْزُ ، فَإِنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ مَعَانِيهِ عِنْدَ الْعَرَبِ الْإِيمَاءُ بِالشَّفَتَيْنِ ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْإِيمَاءِ بِالْحَاجَتَيْنِ وَالْعَيْنَيْنِ أحيانًا ، وَذَلِكَ غَيْرُ كَثِيرٍ فِيهِمْ ، وَقَدْ يُقَالُ لِلْخَفِيِّ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي هُوَ مِثْلُ الْهَمْسِ بِخَفْضِ الصَّوْتِ : الرَّمْزُ . وَمِنْهُ قَوْلُ جُوَيْيَّةَ بِنِ عَائِذٍ ^(٦) :

(١) فِي ص : «الْوَصَّائِيُّ» ، وَفِي م : «الرَّصَائِيُّ» ، وَفِي ت ١ ، س : «الْوَصَّافِيُّ» . وَتَقْدَمُ فِي ص ٢٩١ .

(٢ - ٢) فِي م : «جَوْبِرِ بْنِ نَصِيرٍ» .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٤٦/٢ (٣٤٨٢) مُعْلَقًا عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ ابْنِ نَفِيرٍ ، وَسَنَّا رِوَايَةَ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ (٧٤) مِنْ سُورَةِ الْفُرْقَانِ ، وَتَفْسِيرِ الْآيَةِ (١٠) مِنْ سُورَةِ الْأَحْقَافِ .

(٤) فِي س : «الْأَفْعَالُ» . وَيَقْصَدُ بِالْاِسْتِقْبَالِ أَفْعَالُ الْمُضَارَعَةِ إِشَارَةً إِلَى الدَّلَالَةِ الزَّمَانِيَّةِ . مُصْطَلَحَاتُ النُّحُو الْكُوفِي ص ٧٤ .

(٥) سَقَطَ مِنْ : س .

(٦) فِي م ، ت ١ : «عَابِدٌ» . وَيَنْظُرُ بَغِيَّةُ الْوَعَاةُ ١/ ٤٩٠ . وَالْبَيْتُ فِي التَّبْيَانِ لِلطُّوسِيِّ ٢/ ٢٤٥٥ ، وَالْحَرُورُ الْجَوِيزُ ٢/ ٤١١ .

وكان تَكَلَّمُ ^(١) الأبطالَ رَمَزًا وَهَمَّهْمَةً ^(٢) لَهُمْ مِثْلَ الْهَدِيرِ ^(٣)
يُقَالُ مِنْهُ : رَمَزَ فُلَانٌ فَهُوَ يَزْمُرُ ، وَيَزْمُرُ رَمَزًا ، وَيَزْمُرُ تَرْمُزًا . وَيُقَالُ : ضَرَبَهُ ضَرْبَةً
فَارْتَمَزَ مِنْهَا . أَيْ : اضْطَرَبَ لِلْمَوْتِ ، قَالَ الشَّاعِرُ ^(٤) :
* خَزَزْتُ مِنْهَا لَقَفَايَ أَرْتَمِزُ *

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله عز وجل به في إخباره عن
زكريا من قوله : ﴿ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . وأى معانى
الرمز عنى بذلك ؛ فقال بعضهم : عنى بذلك : آيتك ألا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا
تحريكًا بالشفقتين ، من غير أن ترمز بلسانك الكلام .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي
قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : تحريك الشفتين ^(٥) .

حدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي
نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : إيماءه بشفتيه ^(٦) .

/ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ ٢٦١/٣

(١) فى م : « يكلم » .

(٢) فى مصدرى التخريج : « وغممة » .

(٣) فى مصدرى التخريج : « الهرير » . والهدير : تردد صوت البعير فى حنجرتة ، والهرير : صوت الكلب ، وهو دون النباح من قلة صبره على البرد . اللسان (ه د ر ، ه ر ر) .

(٤) هو صائد الضب ، وهذا عجز بيت صدره : ثم اعتمدت فجبتذت جبتة . والبيت فى اللسان (ق ن ز) ، وعجزه فى اللسان (ر م ز) .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٦/٢ (٣٤٨٠) من طريق النضر بن عربى به نحوه .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٢/١٩ من طريق ابن أبى نجيح به .

مجاهد مثله .

وقال آخرون : بل عنى الله بذلك الإيماء والإشارة .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُبَيْطٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : الْإِشَارَةُ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : الرَّمْزُ أَنْ يُشِيرَ بِيَدِهِ أَوْ رَأْسِهِ وَلَا يَتَكَلَّمَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عُمَى ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : الرَّمْزُ : أَنْ أُخِذَ بِلِسَانِهِ ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّاسَ بِيَدِهِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : وَالرَّمْزُ الْإِشَارَةُ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ يَا أَيُّكَ أَلا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ الْآيَةُ . قَالَ : جَعَلَ آيَتَهُ أَلا يُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ، إِلَّا أَنَّهُ يَذْكُرُ اللَّهَ ، وَالرَّمْزُ الْإِشَارَةُ ، يُشِيرُ إِلَيْهِمْ .

(١) تفسير سفيان ص ٧٧ ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/١٩ من طريق سلمة بن نبيط به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ : إِلَّا إِيْمَاءً ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . يَقُولُ : إِيْمَاءً ^(٣) .

[٤٠٧/١] حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ : إِلَّا إِيْمَاءً ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَنَفِيُّ ، عَنْ عُبَايَدٍ ، عَنْ الْحُسَيْنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : أُمْسِكَ بِلِسَانِهِ ، فَجَعَلَ يُؤَمِّئُ بِيَدِهِ إِلَى قَوْمِهِ أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ^(٥) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ .

يعنى بذلك : قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِرُكْرِيَا : يَا زُكْرِيَا ، آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا بِغَيْرِ خَرَسٍ ، وَلَا عَاهِيَةٍ ، وَلَا مَرَضٍ ، وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا ، فَإِنَّكَ لَا تُنَمِّعُ ذِكْرَهُ ، وَلَا يُحَالُ بَيْنَكَ ^(٦) وَبَيْنَ تَسْبِيحِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِهِ .

(١) تقدم تخريجه في ص ٣٨٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٦/٢ عقب الأثر (٣٤٨١) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٦/٢ عقب الأثر (٣٤٨١) من طريق عمرو به .

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤١١/٢ .

(٥) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « عمر بن » .

(٦) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤١١/٢ .

(٧) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « وبينه » .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : لو كان الله رخص لأحد في ترك الذكر ، لرخص لذكريا حيث قال : ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادَّكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا ﴾ أيضًا^(١) .

/ وأما قوله : ﴿ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ ﴾ . فإنه يعنى : عظم ربك بعبادته بالعشي ، ٢٦٢/٣ والعشي : من حين تزول الشمس إلى أن تغيب ، كما قال الشاعر^(٢) :

فلا الظل من بَرْدِ الضُّحَى تَشْتَطِيعُهُ ولا الفَيءُ من بردِ العِشِيِّ تَذُوقُ
فالْفَيْءُ إنما تَبْتَدِيءُ أَوْبَتَهُ من عندِ زوالِ الشمسِ ، وتتناهى بمغيبيها .

وأما الإبكار ، فإنه مصدر من قول القائل : أبكر فلان في حاجة ، فهو يُبَكِّرُ إبكارًا . وذلك إذا خرج فيها من بين مطلع الفجر إلى وقت الضحى ، فذلك إبكار . يقال فيه : أبكر^(٣) فلان ، وبكر يُبَكِّرُ بُكُورًا ، فمن الإبكار قول عمر بن أبي ربيعة^(٤) :

* أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ *

ومن البُكُورِ قول جرير^(٥) :

ألا بَكَرْتُ سلمى فجَدُّ بُكُورُها وشقَّ العصا بعدَ اجتماعِ أميرِها

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٢١٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٤٦ (٣٤٨٤) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/ ١٩ من طريق أبي معشر به .

(٢) هو حميد بن ثور الهلالي ، والبيت في ديوانه ص ٤٠ .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بكر » .

(٤) شرح ديوانه ص ٩٢ ، وهو صدر بيت عجزه :

« غَدَاةٌ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجَّرُ »

(٥) ديوانه ٢/ ٨٩٠ .

ويقال من ذلك : بَكَرَ النخلُ يُبَكِّرُ بُكُورًا ، وَأُبَكَّرُ يُبَكِّرُ إِبْكَارًا ، والباكورُ من الفواكه : أَوَّلُهَا إِدْرَاكًا .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَسَبَّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ . قال : الإبكارُ أَوَّلُ الفجرِ ، والعشي ميلُ الشمسِ حتى تغيب ^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٢) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : والله سميعٌ عليمٌ إذ قالت امرأة عمران ربِّ إني نذرتُ لك ما في بطني محرراً ، وإذ قالت الملائكةُ يا مريمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ .

ومعنى قوله : ﴿ اصْطَفَاكِ ﴾ : اختاركِ واجتَبَاكِ لطاعته وما خصَّكِ به من كرامته .

وقوله : ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ . يعنى : طهَّرَ دينَكَ مِنَ الرِّيبِ والأَذْناسِ التي في أديانِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٦ ، ٦٤٧ (٣٤٨٦ ، ٣٤٨٧) ، من طريق ابن أبي نجيح به ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٩/٥٢ من طريق أبي يحيى ، عن مجاهد ، وهو في تفسير مجاهد ص ٢٥٢ مقتصرًا على تفسير العشي .

نساء بني آدم ، ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ يعني : اختارك على نساء العالمين في زمانك بطاعتك إياه ، ففَضَّلَكَ عليهم .

/ كما رَوَى عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال : « خَيْرُ نَسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، ٢٦٣/٣ وخَيْرُ نَسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ » يعني بقوله : « خَيْرُ نَسَائِهَا » : خَيْرُ نَسَائِ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّدَائِقِيُّ ، قال : ثنا مُحَاضِرُ بْنُ الْمُورِغِ ، قال : ثنا هِشَامُ بْنُ عُروَةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللهِ بنِ جَعْفَرٍ ، قال : سَمِعْتُ عَلِيًّا بِالْعِرَاقِ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « خَيْرُ نَسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وخَيْرُ نَسَائِهَا خَدِيجَةُ » ^(١) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : ثنى الْمُثَنَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحِزَامِيُّ ، عن هِشَامِ بْنِ عُروَةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللهِ بنِ جَعْفَرٍ بنِ أَبِي طَالِبٍ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « خَيْرُ نَسَائِ الْجَنَّةِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وخَيْرُ نَسَائِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ » ^(٢) .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قال : ثنا يَزِيدٌ ، قال : ثنا سَعِيدٌ ، عن قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ :

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٨٣ - تراجم النساء) من طريق محاضر بن المورع به ، وأخرجه عبد الرزاق (١٤٠٠٦) ، وابن أبي شيبة (١٣٤/١٢) ، وأحمد (٧٠/٢ ، ٢٥٣ ، ٣٣٨ ، ٣٨٧ ، ٦٤٠) ، ٩٣٨ ، ١١٠٩ ، ١٢١٢) ، والبخاري (٣٤٣٢ ، ٣٨١٥) ، ومسلم (٢٤٣٠) ، والترمذي (٣٨٧٧) ، والبزار (٤٦٧ ، ٤٦٨) ، وأبو يعلى (٥٢٢) ، والبيهقي (٣٩٥٤) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٧٠ - ٣٧٣ - تراجم النساء) من طريق هشام بن عروة به .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (ص ٣٧٣ - تراجم النساء) من طريق يونس ، به ، وفيه : المنذر بن عبيد ، وفيه : عن جعفر عبد الله بن جعفر ، عن علي .

ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « حَسْبُكَ ^(١) بِمَرِّمَ بَنَاتِ عِمْرَانَ ، وَامْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ » ^(٢) .
 قَالَ قَتَادَةُ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَوَالِحُ نِسَاءٍ قَرِيشٍ ؛ أَخْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَزْغَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ » ^(٣) . قَالَ قَتَادَةُ : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : « لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ مَرِيَمَ رَكِبَتْ الْإِبِلَ مَا فَضَّلْتُ عَلَيْهَا أَحَدًا » .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ : كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ ^(٤) نِسَاءٍ قَرِيشٍ ؛ أَخْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ ، وَأَزْغَاهُ لِزَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ » . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَلَمْ تَزَكِّبْ مَرِيَمَ بَعِيرًا قَطُّ ^(٥) .

[٤٠٧/١] حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ .
 قَالَ : كَانَ ثَابِتُ الْبُنَانِيِّ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « خَيْرُ

(١) بعده في س : « من نساء الدنيا » .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٩١٩) ، والترمذي (٣٨٧٨) ، وأحمد ١٣٥/٣ (١٢٤١٤) موصولاً من حديث أنس .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/١٧٤ ، وابن أبي عاصم في السنة (١٥٣٣) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٨١ - تراجم النساء) موصولاً من حديث أبي هريرة .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « صلح » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، والبخاري (٣٤٣٤) ، ومسلم (٢٥٢٧/٢٠١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٤/٢ (٣٤٨٨) من طريق الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة مرفوعاً .

نساء العالمين أربع، مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد^(١).

حدثني المثنى، قال: ثنا آدم العسقلاني، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا عمرو بن مروة، قال: سمعت مروة الهمداني يحدث عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمَلْ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ، وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ»^(٢).

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو الأسود المصري، قال: ثنا ابن لهيعة، عن عمارة ابن عزيّة، عن محمد بن عبد الله^(٣) بن عمرو بن عثمان، أن فاطمة بنت حسين ابن علي حدثته، أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: دخل رسول الله ﷺ يوماً وأنا عند عائشة، فناجاني فبكيْتُ، ثم ناجاني فضجكتُ، فسألتني عائشة عن ذلك، فقلت: لقد عجِلتِ، أخْبِرْكِي بِسَرِّ رَسولِ اللَّهِ ﷺ! فتركتني، فلما تَوَقَّي رسول الله ﷺ، سألتها عائشة، فقالت: نعم، ناجاني فقال: «جبريلُ كان يُعَارِضُ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وإِنَّه قد عَارِضَ الْقُرْآنَ مَرَّتَيْنِ، وإِنَّه لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا عُمِرَ نَصَفَ عُمُرِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنْ عَيْسَى أَخِي كَانَ عُمُرُهُ عَشْرِينَ وَمِائَةً سَنَةٍ، وَهَذِهِ

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٧٨ - تراجم النساء) من طريق أبي جعفر به، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٤٠٤/٩، وابن عساكر ص ٣٧٧، ٣٧٨ من طريق أبي جعفر عن محمد بن سعيد عن ثابت به.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٣، ٣٧٦٩) من طريق آدم به، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٢/١٢٨، وأحمد ٤/٣٩٤، ٤٠٩ (اليمينية)، والبخاري (٣٤١١، ٥٤١٨)، ومسلم (٢٤٣١)، وابن ماجه (٣٢٨٠)، والترمذي (١٨٣٤)، والطحاوي في المشكل (١٥٠)، وابن حبان (٧١١٤)، والطبراني ٢٣/ (١٠٦)، والبعقري (٣٩٦٢) من طريق شعبة به.

(٣ - ٣) في النسخ: «عبد الرحمن». والمثبت من مصادر التخریج. وينظر تهذيب الكمال ٥١٦/٢٥.

لى سِتُون ، وأَحْسَبُنِي مَيِّتًا فى عامى هذا ، وإنه لم تُزَرَّ امرأةٌ من نساءِ العالمين بمثل ما
رُزِيتِ ، ولا تكونى دونَ امرأةٍ صبرًا . قالت : فبكِيتُ ، ثم قال : « أَنْتِ سيدةُ نساءِ
أهل الجنةِ إلا مريمَ البَثُولَ » . فتَوَفَّى عامَه ذلك ^(١) .

حدَّثنى المُشَنَّى ، قال : ثنا أبو الأسود ، قال : ثنا ابنُ لَهيعةَ ، عن عمرو بن
الحارث ، أن أبا زيادَ الحُمَيْرِيَّ حَدَّثَهُ أَنه سَمِعَ عَمَارَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ : قال رسولُ
الله ﷺ : « فَضَّلْتُ خديجةَ على نساءِ أُمَّتِي ، كما فَضَّلْتُ مريمَ على نساءِ
العالمين » ^(٢) .

وبمثل الذى قلنا فى معنى قوله : ﴿ وَطَهَّرَكَ ﴾ - أنه : وَطَهَّرَ دِينَكَ مِنَ الدَّنَسِ
وَالرَّيْبِ - قال مجاهدٌ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نُجَيْحٍ ،
عن مجاهدٍ فى قولِ الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ﴾ قال : جعلك طيبةً إيمانًا ^(٣) .

حدَّثنى المُشَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شَيْبَلٌ ، عن ابنِ أبى نُجَيْحٍ ، عن
مجاهدٍ مثله .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى الحجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ :
﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ قال : ذلك للعالمين يومئذٍ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٢٩٦٥ ، ٢٩٧٠) ، والدولابى فى الذرية الطاهرة (١٩٤) ،
والطحاوى فى المشكل (١٤٦ ، ١٩٣٧) ، والطبرانى ٢٢/٤١٧ ، ٤١٨ (١٠٣١) ، والبيهقى فى الدلائل ٧/
١٦٥ ، والخطيب فى الكفاية ١/٣٣١ ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٧/٤٨١ من طريق ابن غزية به .

(٢) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/٤١٦ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٣ إلى المصنف .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٢ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٤٧ (٣٤٨٩) .

(٤) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/٤١٥ ، والقرطبى فى تفسيره ٤/٨٢ .

وكانت الملائكة - فيما ذكر ابن إسحاق - تقول ذلك لمريم شفاها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : كانت مريم حبيسا في الكنيسة ، ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف ، وقد كان أمه وأبوه [٣٩٢/١] جعلاه نذيرا حبيسا ، فكانا في الكنيسة جميعا ، وكانت مريم إذا نفد ماؤها وماء يوسف ، أخذتا قلتيهما ، فانطلقا إلى المفازة التي فيها الماء الذي يستغذبان منه ، فيملآن قلتيهما ، ثم يرجعان ^(١) إلى الكنيسة ، والملائكة في ذلك مقبلة على مريم : ﴿ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ . فإذا سمع ذلك زكريا ، قال : إن لابنة عمران لسانا ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَمْرَيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله - خبرا عن قيل ملائكتيه لمريم - : ﴿ يَمْرَيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ ﴾ : أخلصي الطاعة لربك وحده .

وقد دللنا على معنى « القنوت » بشواهد فيما مضى قبل ، والاختلاف بين أهل التأويل فيه في هذا الموضع نحو اختلافهم فيه هنالك ^(٣) .

وسند كقول بعضهم أيضا في هذا الموضع ؛ فقال بعضهم : معنى ﴿ أَقْنِي ﴾ : أطيلي الركود ^(٤) .

(١) بعده في ص ، ت ٢ : « بها » .

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ٥٩٣/١ مختصرا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٣ ، ٢٤ إلى المصنف .

(٣) ينظر ما تقدم في ٤٦١/٢ ، ٤٦٤ .

(٤) في س ، ت ٢ : « الركوع » .

/ ذكر من قال ذلك

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ يَمْرِيءُ اقْتَنَى لِرَبِّكَ ﴾ قال : أطيلى الركود . يعنى القنوت ^(١) .

حدَّثني المشنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ اقْتَنَى لِرَبِّكَ ﴾ قال : قال مجاهد : أطيلى الركود فى الصلاة . يعنى القنوت .

حدَّثني المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لما قيل لها : ﴿ يَمْرِيءُ اقْتَنَى لِرَبِّكَ ﴾ . قامت حتى ورم كعبها ^(٢) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لما قيل لها : ﴿ يَمْرِيءُ اقْتَنَى لِرَبِّكَ ﴾ قامت حتى ورمت قدمها ^(٣) .

حدَّثني المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن مجاهد : ﴿ اقْتَنَى لِرَبِّكَ ﴾ . قال : أطيلى الركود ^(٤) .

حدَّثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ يَمْرِيءُ

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٦٩ - تراجم النساء) من طريق ابن أبي نجيح به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٤٨/٢ (٣٤٩٤) من طريق ابن إدريس به . وأخرجه ابن أبي الدنيا فى التهجد وقيام الليل (٢١٨) من طريق ابن إدريس ، عن أبيه ، عن مجاهد .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٦٨ - تراجم النساء) من طريق ابن إدريس به نحوه .

(٤) تفسير سفيان ص ٧٧ ، وتفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، ومن طريق سفيان ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٦٨ - تراجم النساء) وعندهم : عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مجاهد ، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ٢٩٨/٣ من طريق سفيان به بدون ذكر الحكم .

أَقْنَتِي لِرَبِّكَ ﴿١﴾ قال : القنوت الركود ، يقول : قومي لرَّبِّك في الصلاة . يقول :
ازكُدى لرَّبِّك ، أى : انتصبى [٤٠٨/١] له في الصلاة ، ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ
الرَّكَعَاتِ﴾ ^(١) .

حدَّثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، عن ليث ، عن
مجاهد : ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنَتِي لِرَبِّكَ﴾ قال : كانت تصلّي حتى ترمّ قدمها ^(٢) .

حدَّثني ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا الأوزاعي : ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنَتِي
لِرَبِّكَ﴾ قال : كانت تقوم حتى يسيل القيح من قدميها ^(٣) .

وقال آخرون : معناه : أخْلِصِي لرَّبِّك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثني ، قال : ثنا الحِمَاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ،
عن سعيد : ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنَتِي لِرَبِّكَ﴾ قال : أخْلِصِي لرَّبِّك ^(٤) .

وقال آخرون : معناه : أطيعي ربَّك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤١٧/٢ بنحوه .

(٢) تفسير الثوري ص ٧٧ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٦٨ - تراجم النساء) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٨/٢ (٣٤٩٦ ، ٣٤٩٧) من طريق الوليد ، عن الأوزاعي بنحوه .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/٢ إلى المصنف .

قتادة في قوله : ﴿ أَقْنِي لِرَبِّكِ ﴾ قال : أطيعي ربك^(١) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ أَقْنِي لِرَبِّكِ ﴾ : أطيعي ربك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن دراج ، عن / أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ قال : « كُلُّ حَرْفٍ يُذَكَّرُ فِيهِ الْقَنُوتُ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَهُوَ طَاعَةٌ لِلَّهِ »^(٢) .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عبادة بن منصور ، عن الحسن في قوله : ﴿ يَمْرِمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ ﴾ . قال : يقول : اعبدى ربك^(٣) .

قال أبو جعفر : وقد بينا أيضا معنى « الركوع » و « السجود » بالأدلة الدالة على صحته ، وأنهما بمعنى الخضوع لله ، والخضوع له بالطاعة والعبادة^(٤) .

فتأويل الآية إذن : يا مريم أخلصي عبادة ربك لوجهه خالصا ، واخشعي لطاعته وعبادته ، مع مَنْ خَشَعَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ ، شكرا له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتطهير من الأدناس ، والتفضيل على نساء عالم دهرك .

القول في تأويل قوله : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ ذَلِكَ ﴾ : الأخبار التي أخبر بها عباده عن امرأة عمران وابنتها مريم ، وزكريا وابنه يحيى ، وسائر ما قص في الآيات من قوله :

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢١ .

(٢) تقدم تخريجه في ٣٨٢/٤ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٨/٢ (٣٤٩٥) من طريق أبي بكر الحنفي به .

(٤) ينظر ما تقدم في ٦١٣/١ ، ٧١٤ ، ٧١٥ .

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران : ٣٣] . ثم جمَعَ جميعَ ذلك تعالى ذكره بقوله ﴿ذَلِكَ﴾ . فقال : هذه الأنباء ﴿مِنَ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ . أى : من أخبار الغيب . ويعنى بـ « الغيب » ، أنها من خفى أخبار القوم التى لم تطلع أنت يا محمد عليها ولا قومك ، ولم يعلمها إلا قليلٌ من أخبار أهل الكتابين وُرهبانهم .

ثم أخبر تعالى ذكره نبيه محمدًا ﷺ أنه أوحى ذلك إليه حُجَّةً على نبوته ، وتحقيقًا لصدقه ، وقطعًا منه به عذرٌ مُنْكَرٍ رسالته من كفار أهل الكتابين الذين يعلمون أن محمدًا لم يصل إلى علم هذه الأنباء مع خفائها ، ولم يُدرك معرفتها مع حملها^(١) عند أهلها ، إلا بإعلام الله ذلك إيَّاه ، إذ كان معلومًا عندهم أن محمدًا ﷺ أُمِّيٌّ لا يَكْتُبُ فيقرأ الكتب ، فيصل إلى علم ذلك من قبل الكتب ، ولا صاحب أهل الكتب فيأخذ علمه من قبلهم .

وأما « الغيب » فمصدرٌ من قول القائل : غاب فلانٌ عن كذا ، فهو يَغِيبُ عنه غَيْبًا وَغَيْبَةً .

وأما قوله : ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ . فإن تأويله : نُنَزِّلُهُ إِلَيْكَ .

وأصل الإيحاء إلقاء الموحى إلى الموحى إليه ، وذلك قد يكون بكتاب ، وإشارة وإيماء ، وإلهام ، وبرسالة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ﴾ [النحل : ٦٨] بمعنى : ألقى ذلك إليها فألهمها . وكما قال : ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّنَ﴾ [المائدة : ١١١] بمعنى : ألقى إليهم علم ذلك إلهامًا ، وكما قال الراجز^(٢) :

(١) فى س : « شمولها » .

(٢) هو العجاج ، والرجز فى ديوانه ص ٢٦٦ .

أَوْحَى^(١) لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ

٢٦٧/٣ / بمعنى : ألقى إليها ذلك أمراً . وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم : ١١] بمعنى : فألقى ذلك إليهم إيماءً^(٢) .

والأصل فيه ما وصفت من إلقاء ذلك إليهم ، وقد يكون إلقاءه ذلك إليهم إيماءً ، ويكون بكتاب ، ومن ذلك قوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِذَ إِلَىٰ أُولِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١] : يُلقون إليهم ذلك وسوسة . وقوله : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] : ألقى إلينا بمجىء جبريل عليه السلام به إلينا من عند الله عز وجل .

وأما الوحى ، فهو الواقع من الموحى إلى الموحى إليه ، ولذلك سميت العرب الخط والكتاب وحياً ؛ لأنه واقع فيما كُتب ثابت فيه ، كما قال كعب بن زهير^(٣) :
أتى العُجم والآفاق منه قصائد
يقين بقاء الوحى فى الحَجَرِ الأصم
يعنى به الكتاب الثابت فى الحجر . وقد يقال فى الكتاب خاصة إذا كتبه الكاتب : « وحى » ، بغير ألف ، ومنه قول رؤبة^(٤) :

كأنه بعد رياح تدهمه

ومرثعات الدجون^(٥) تئمه^(٦)

(١) فى الديوان : « وحى » .

(٢) فى النسخ : « أيضاً » . والمثبت هو الصواب .

(٣) ديوانه ص ٦٤ .

(٤) ديوانه ص ١٤٩ .

(٥) مرثعات الدجون : المطر الكثير الدائم . اللسان (ر ث ع ن ، د ج ن) .

(٦) الوئم : الضرب . اللسان (و ث م) .

إنجيل أخبار^(١) وَحَى مُتَنِمْنُهُ^(٢)

القول في تأويل قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾: وما كنت يا محمد عندهم فتعلم ما تعلمك من أخبارهم التي لم تشهد لها، ولكنك إنما تعلم ذلك فتذكر معرفته بتعريفناكه .

ومعنى قوله: ﴿لَدَيْهِمْ﴾: عندهم .

ومعنى قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ﴾: حين يقولون أقلامهم .

وأما « أقلامهم » فسماؤهم التي استعملوها بها المستعملون من بنى إسرائيل على كفالة مريم، على ما قد بينا قبل في قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾^(٣) [آل عمران: ٣٧] .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا هشام، عن^(٤) عمرو، عن^(٥) سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ . يعنى محمداً [٤٠٨/١] عليه السلام^(٦) .

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ﴾: زكريا وأصحابه استعملوا بأقلامهم

(١) في ص، س: «توراة» .

(٢) التَّنْمَنَة: خطوط متقاربة قصار شبه ما تنغمم الريح ذفاق التراب، وكتاب مُتَنَمِّن: مُتَقَش. اللسان (ن م م) .

(٣) تقدم في ص ٣٤٥، ٣٤٦ .

(٤) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ٣: «بن» . وسيأتي على الصواب في ٣١٨/٥، ١٨١/٩، ٨٠/١١ .

(٥) في س: «بن» .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/٢ إلى المصنف .

على مريم حين دخلت عليهم ^(١).

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ : كانت مريم ابنة إمامهم وسيدهم ، فتشاخ عليها بنو إسرائيل ، فافترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها ، فقرعهم زكريا ، وكان زوج أختها ، فكفلها زكريا ، يقول : ضمها إليه ^(٢) .

٢٦٨/٣

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ يَلْقَوْنَ أَفْلَهُمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ . قال : تساهموا على مريم أيهم يكفلها ، فقرعهم زكريا ^(٣) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ : وإن مريم لما وضعت فى المسجد ، افترع عليها أهل المصلى وهم يكتبون الوحى ، فافترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها ، فقال الله عز وجل لمحمد ﷺ : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ^(٤) .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٢ ، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ - تراجم النساء) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٠/٢ (٣٥١٠) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٩/٢ (٣٥٠٢) عن الحسن بن يحيى به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٩/٢ (٣٥٠١) عن محمد بن سعد به .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُثَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۗ ﴾ : اقْتَرَعُوا بِأَقْلَامِهِمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ، فَقَرَعَهُمْ زَكْرِيَا .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عُبَادٍ ، عَنْ الْحُسَيْنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ ۗ ﴾ . قَالَ : حَيْثُ اقْتَرَعُوا عَلَى مَرْيَمَ ، وَكَانَ غَيْبًا عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ أَخْبَرَهُ اللَّهُ .

وَأَمَّا قِيلَ : ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۗ ﴾ . لَأَنَّ الْقَاءَ الْمُسْتَهْمِينَ أَقْلَامَهُمْ عَلَى مَرْيَمَ إِنَّمَا كَانَ لِيَنْظُرُوا أَيُّهُمْ أَوْلَى بِكَفَالَتِهَا وَأَحَقُّ . فَفِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ ۗ ﴾ . دَلَالَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ مِنَ الْكَلَامِ ، وَهُوَ : لِيَنْظُرُوا أَيُّهُمْ يَكْفُلُ ، وَلِيَسَيِّرُوا ذَلِكَ وَيَعْلَمُوهُ .

فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ الْوَاجِبَ فِي ﴿ أَيُّهُمْ ۗ ﴾ النَّصْبُ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ ، فَقَدْ ظَنَّ خَطَأً ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّظَرَ وَالتَّبَيُّنَ وَالْعِلْمَ مَعَ « أَى » يَقْتَضِي اسْتِفْهَامًا وَاسْتِخْبَارًا ، وَحِظُّ « أَى » فِي الْاسْتِخْبَارِ الْإِبْتِدَاءُ ، وَبُطُولُ عَمَلِ الْمَسْأَلَةِ وَالْاسْتِخْبَارِ عَنْهُ . وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ : لَأَنْظُرَنَّ أَيُّهُمْ قَامَ : لَأَسْتَخِيرَنَّ النَّاسَ أَيُّهُمْ قَامَ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : لَأَعْلَمَنَّ .

وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَى قَبْلُ أَنَّ مَعْنَى « يَكْفُلُ » : يَضُمُّ ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ^(١) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۗ ﴾ .

(١) ينظر ما تقدم في ص ٣٤٥ وما بعدها .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما كنت يا محمد عند قوم مريم إذ يختصمون فيها أيهم أحقُّ بها وأولى . وذلك من الله عز وجل وإن كان خطاباً لنبيه ﷺ ، فتوبيخ منه عز وجل للمكذّبين به من أهل الكتابين . يقول : كيف يشكُّ أهل الكفر بك منهم وأنت تُنبئهم هذه الأنباء ولم تشهدهم^(١) ، ولم تكن معهم يوم فعلوا هذه الأمور ، ولست ممن قرأ الكتب فعلم نبأهم ، ولا جالس أهلها فسمع خبرهم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ وَمَا كُنْتَ / لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ أي : ما كنت معهم إذ يختصمون فيها . يُخبره بخفي ما كنتموا منه من العلم عندهم ؛ لتحقيق نبوته ، والحجة عليهم لما يأتيهم به مما أخفوا منه^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ ﴾ : وما كنت لديهم إذ يختصمون ، وما كنت لديهم أيضاً إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله يُبشرك . والتبشير : إخبار المرء بما يسره من خير .

وقوله : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ . يعنى : برسالة من الله وخبر من عنده . وهو من قول القائل : ألقى فلان إلى كلمة سرّنى بها . بمعنى : أخبرنى خبراً فرحْتُ به . كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ [النساء : ١٧١] يعنى : بُشّرَى الله مريم بعيسى ألقاها إليها .

(١) فى م : « تشهدا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٨١/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٠/٢ (٣٥١١) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

فتأويل الكلام : وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة لمريم : يا مريم إن الله يُبَشِّرُكِ بِبَشَرٍ مِنْ عِنْدِهِ ، هِيَ وَلَدٌ لَكَ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ .
وقد قال قوم - وهو قول قتادة - : إن الكلمة التي قال الله عز وجل : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ . هو قوله : « كُنْ » .

حدثنا بذلك الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ قال : قوله : « كُنْ » ^(١) .

فسماه الله عز وجل كلمته لأنه كان عن كلمته ، كما يقال لما قدر الله من شيء : هذا قدر الله وقضاه . يعنى به : هذا عن قدر الله وقضائه حدث . وكما قال جل ثناؤه : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء : ٤٧ ، والأحزاب : ٣٧] يعنى به : ما أمر الله به ، وهو المأمور الذى كان عن أمر الله عز وجل .

وقال آخرون : بل هى اسم لعيسى ، سمّاه الله بها كما سمّى سائر خلقه بما شاء من الأسماء .

وروى عن ابن عباس أنه قال : الكلمة هى عيسى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ . قال : عيسى هو الكلمة من الله ^(٢) .

وأقرب الوجوه إلى الصواب عندى القول [٤٠٩/١] الأول ، وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله عز وجل برساليته وكلمته التى أمرها أن تلقىها إليها ، أن

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٧٧ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥١/٢ (٣٥١٤) من طريق سماك به نحوه .

الله خالق منها وَلَدًا مِنْ غَيْرِ بَغْلٍ وَلَا فَحْلٍ ؛ ولذلك قال عز وجل : ﴿ اَسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾ .
 فذكر ، ولم يقل : اسمها . فيؤنث ، و « الكلمة » مؤنثة ؛ لأن الكلمة غير مقصود بها
 قصد الاسم الذي هو بمعنى « فلان » ، وإنما هي بمعنى البشارة ، فذكرت كنياتها كما
 تُدَكَّرُ كناية « الذُّرِّيَّة » و « الدَّابَّة » و « الألقاب » ، على ما قد بيَّناه قبل فيما
 مضى ^(١) .

٢٧٠/٣ / فتأويل ذلك كما قلنا آنفاً من أن معنى ذلك : إن الله يُبَشِّرُكَ ببشرى . ثم يبيِّن
 عن البشرى أنها ولد اسمُه المسيح .

وقد زعم بعض نحوِّي البصرة أنه إنما ذكر فقال : ﴿ اَسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾ . وقد
 قال : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ . والكلمة عنده هي عيسى ؛ لأنه في المعنى كذلك ، كما قال
 جل ثناؤه : ﴿ اَنْ تَقُوْلَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ ﴾ [الزمر : ٥٦] ثم قال : ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ
 ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا ﴾ [الزمر : ٥٩] وكما يقال : ذو الثَّدْيَةِ ^(٢) . لأن يده كانت قصيرة
 قريبة من ثدييه ، فجعلها كأن اسمها ثُدْيَةٌ ، ولولا ذلك لم تدخل الهاء في التصغير .

وقال بعض نحوِّي الكوفة نحو قول من ذكرنا من نحوِّي البصرة ، في أن الهاء
 من ذكر « الكلمة » ، وخالفه في المعنى الذي من أجله ذكر قوله : ﴿ اَسْمُهُ ﴾ .
 و « الكلمة » متقدمة قبله ، فزعم أنه إنما قيل : ﴿ اَسْمُهُ ﴾ . وقد قُدمت « الكلمة » ،
 ولم يقل : « اسمها » . لأن من شأن العرب أن تفعل ذلك فيما كان من الثعوب
 والألقاب والأسماء التي لم تُوضَّع لتعريف المُسمَّى به ؛ كفلان وفلان ، وذلك مثل
 الذُّرِّيَّة والخليفة والدابة ، ولذلك جاز عنده أن يقال : ذرية طيبة ، وذُرِّيَّة طيِّبًا . ولم

(١) ينظر ما تقدم في ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، وفي ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ من هذا الجزء .

(٢) في س : « اليمين » . وينظر مسند الطيالسي (١٦٠) ، وسنن أبي داود السجستاني (٤٧٧٠) . قال ابن

الأثير في النهاية ٢٠٨/١ : ويُروى ذو الثَّدْيَةِ بالياء بدل التاء ، تصغير اليد ، وهي مؤنثة .

يَجْزُ أَنْ يَقَالَ : طَلْحَةُ أَقْبَلْتُ ، ومغيرةٌ قامت .

وأنكر بعضهم اعتلال مَنْ اعتلَّ في ذلك بذي الثُدَيَّةِ ، وقالوا : إِنَّمَا أُدْخِلْتُ الهَاءَ فِي ذِي الثُدَيَّةِ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِذَلِكَ الْقِطْعَةُ مِنَ الثُّدَيِّ ، كما قيل : كُنَّا فِي لَحْمَةٍ وَنَبِيذَةٍ . يُرَادُ بِهِ الْقِطْعَةُ مِنْهُ .

وهذا القولُ نحو قولنا الذي قلناه في ذلك .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ اَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ 》 . فإنه جل ثناؤه أنبأ عباده عن نسبة عيسى ، وأنه ابنُ أمِّه مريمَ ، ونفى بذلك عنه ما أضاف إليه المُلْحِدُونَ في الله جل ثناؤه من النصارى ، من إضافتهم بُنُوَّةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وما قَرَفْتُ ^(١) أمَّهُ به المُفْتَرِيَةُ عليها من اليهود .

كما حَدَّثَنِي به ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ 》 أَى : هكذا كان أمرُهُ ، لا ما يقولون فيه ^(٢) .

وَأَمَّا « الْمَسِيحُ » ، فإنه فَعِيلٌ ، صُرِفَ مِنْ مَفْعُولٍ إِلَى فَعِيلٍ . وإنما هو مَمْسُوحٌ ، يعنى : مَسَحَهُ اللَّهُ فَطَهَّرَهُ مِنَ الذُّنُوبِ . ولذلك قال إبراهيمُ : الْمَسِيحُ الصَّدِيقُ .
وقال آخرون : مُسِيحٌ بِالْبَرَكَةِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ مثله ^(٣) .

(١) في م : « قذقت » ، وفي س : « فرقت » . وقرفت : اتهمت ورمت . تاج العروس (ق ر ف) .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٨٠/١ .

(٣) تفسير سفيان ص ٧٧ ، ٧٨ - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥٩/٤٧ - وأخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره ٦٥١/٢ (٣٥١٦) ، وابن عساكر ٣٥٩/٤٧ من طريق وكيع به .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ الْمُبَارِكِ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَثَلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْبَرْقِيِّ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ ، قَالَ : قَالَ سَعِيدٌ : إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَسِيحُ لِأَنَّهُ مُسِيحٌ بِالْبِرْكَةِ ^(١) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ^(٢) .

يعنى بقوله : ﴿ وَجِيهًا ﴾ : ذا وجه ومنزلة عالية عند الله وشرف وكرامة . ومنه يقال للرجل الذى يَشْرَفُ وتَعْظُمُ الملوكة والناس : وجية . يقال منه : ما كان فلانٌ وجيهًا ، ولقد وَجَّهَ وَجَاهَةً ، وإن له لَوَجْهًا عند السلطانِ وَجَاهًا وَوَجَاهَةً . و « الجاه » مقلوبٌ ، قُلِبَتْ واؤه من أوله إلى موضع العين منه ، فقليل : جاه . وإنما هو /وجهٌ ، ٢٧١/٣ « وَفَعَلَ » مِنَ الْجَاهِ : جَاءَ يَجُوهُ ، مَسْمُوعٌ مِنَ الْعَرَبِ : أَخَافُ أَنْ يَجُوهَنِي بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا . بِمَعْنَى : أَنْ يَسْتَقْبِلَنِي فِي وَجْهِى بِأَعْظَمَ مِنْهُ .

وَأَمَّا نَصَبُ « الْوَجِيهِ » فَعَلَى الْقَطْعِ مِنْ « عَيْسَى » ؛ لِأَنَّ « عَيْسَى » مَعْرِفَةٌ ، و « وجيه » نِكْرَةٌ ، وَهُوَ مِنْ نَعْتِهِ ، وَلَوْ كَانَ مَخْفُوضًا عَلَى الرَّدِّ عَلَى « الْكَلِمَةِ » كَانَ جَائِزًا .

وبما ^(٣) قلنا من أنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ : وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ . قَالَ -فِيمَا بَلَّغْنَا- مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَجِيهًا ﴾ قَالَ : وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ ^(٤) .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٥٠ إلى المصنف .

(٢) فى م : « كما » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٨٠ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥١ (٣٥١٩) من طريق سلمة ، عن =

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي أَنَّهُ مِّنْ يُقَرَّبُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُسَكِّنُهُ فِي جِوَارِهِ وَيُذْنِيهِ مِنْهُ .

كَمَا حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ . يَقُولُ : مِنَ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ . يَقُولُ : مِنَ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ^(٤٦) .

أَمَّا قَوْلُهُ : [٤٠٩/١ ط] ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ . فَإِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ ، وَمُكَلِّمًا النَّاسَ فِي الْمَهْدِ . فَ﴿يُكَلِّمُ﴾ وَإِنْ كَانَ مَرْفُوعًا ؛ لِأَنَّهُ فِي صُورَةِ «يَفْعَلُ» بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْعَوَامِلِ فِيهِ ، فَإِنَّهُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِ الشَّاعِرِ ^(٣) :

= ابن إسحاق قوله .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٢/٢ عقب الأثر (٣٥٢٠) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٢/٢ (٣٥٢٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) البيت في معاني القرآن للفراء ٢١٣/١ ، وأمالى ابن السجري ١٦٧/٢ ، ولسان العرب (ك هـ ل ،

ع ش ي) ، وخزانة الأدب ١٤٠/٥ - ١٤٣ .

بِئْسَ أَعْشِيهَا بَعْضُ^(١) بَاتِرٍ يَقْصِدُ فِي أَسْوَقِهَا وَجَائِرٍ
وَأَمَّا « الْمَهْدُ » فإنه يَعْنِي بِهِ مَضْجَعُ الصَّبِيِّ فِي رِضَاعِهِ .

كما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الْحُسَيْنُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ،
قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ قال : مَضْجَعُ الصَّبِيِّ فِي
رِضَاعِهِ^(٢) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَكَهَلًا ﴾ . فإنه : وَمُخْتَنِكًا فَوْقَ الْعُلُومَةِ وَدُونَ الشَّيْخُوخَةِ ،
يَقَالُ مِنْهُ : رَجُلٌ كَهْلٌ ، وامرأةٌ كَهْلَةٌ . كما قال الرَّاغِزُ^(٣) :

/وَلَا أَغُوذُ بَعْدَهَا كَرِيًا

٢٧٢/٣

أُمَارِسُ الْكَهْلَةَ وَالصَّبِيَا

وَأَمَّا عَنِّي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا ﴾ : وَيُكَلِّمُ
النَّاسَ طِفْلًا فِي الْمَهْدِ - دَلَالَةً عَلَى بَرَاءَةِ أُمِّهِ مِمَّا « قَرَفَهَا بِهِ » الْمُفْتَرُونَ عَلَيْهَا ، وَحُجَّةٌ لَهُ
عَلَى نُبُوَّتِهِ - وَبَالِغًا كَبِيرًا بَعْدَ احْتِنَاكِه ، بِوَحْيِ اللَّهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيْهِ ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ،
وَمَا يُنْزِلُ^(٤) عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِ ، وَأَمَّا أَخْبَرِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ ، وَأَنَّهُ
كَذَلِكَ كَانَ ، وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ كُهُولًا وَشُيُوخًا ،
اِحْتِجَاجًا بِهِ عَلَى الْقَائِلِينَ فِيهِ - مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ مِنَ النَّصَارَى - الْبَاطِلَ ، وَأَنَّهُ

(١) الْقَضْبُ : السِّيفُ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ع ض ب) .

(٢) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٢٥/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ ، وَابْنِ الْمُنْدَرِ .

(٣) هُوَ عِذَافَرُ الْكِندِيِّ ، وَالرَّجَزُ فِي أُمَالِي الْقَالِي ٢/ ٢١٥ ، وَسَمَطُ اللَّكَلِيِّ ٨٣٦/٢ ، وَاللِّسَانُ (ك هـ ل) ، أَمَّ م ،

كَ ر ي) .

(٤ - ٤) فِي س : « رَمَى بِهَا » ، وَفِي م : « قَذَفَهَا بِهِ » .

(٥) فِي م : « تَقُولُ » ، وَفِي س : « يَعُولُ » .

كان في معاناة^(١) أشياء، مولودًا طفلًا ثم كهلاً، يَتَقَلَّبُ في الأحداثِ، وَيَتَغَيَّرُ بمرورِ الأزمنةِ عليه والأيامِ، من صَغِيرٍ إلى كبيرٍ، ومن حالٍ إلى حالٍ، وأنه لو كان كما قال الملحدون فيه، كان ذلك غيرَ جائزٍ عليه، فكذبَ بذلك ما قاله الوفدُ من أهلِ نَجْرَانَ، الذين حَاجُّوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فيه، واحتجَّ به عليهم لنبيِّهِ محمدٍ ﷺ، وأعلمهم أنه كان كسائرِ بني آدم، إلا ما خصَّه اللَّهُ به من الكرامةِ التي أبانه^(٢) بها منهم.

كما حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ، قال: ثنا سلمةٌ، عن ابنِ إسحاقَ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّبِيِّينَ﴾: يُخَبِّرُهُمْ بحالاتِهِ التي يَتَقَلَّبُ بها في عُمُرِهِ، كَتَقَلُّبِ بني آدمَ في أعمارِهِم صِغَارًا وَكِبَارًا، إلا أَنَّ اللَّهَ خصَّه بالكلامِ في مهدهِ آيةً لِنُبُوَّتِهِ، وتعريفًا للعبادِ مواقعَ قدرتهِ^(٣).

حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادة: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّبِيِّينَ﴾ يقول: يُكَلِّمُهُمْ صغيرًا وكبيرًا^(٤).

حَدَّثَنِي المثنى، قال: ثنا إسحاقُ، قال: ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ قال: يُكَلِّمُهُمْ صغيرًا وكبيرًا^(٥).

(١) في ص، ت ٢، س: «معاناة».

(٢) في س: «أنابه».

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٨٠، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٥٣ (٣٥٢٧) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق قوله.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٥، إلى المصنف، وعبد بن حميد.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٥٢ عقب الأثر (٣٥٢٣) من طريق أبي جعفر به.

حدَّثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال: الكَهْلُ الحليم^(١).

حدَّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: كلَّهم صغيرًا وكبيرًا وكَهَلًا. وقال ابن جريج، وقال مجاهد: الكَهْلُ الحليم.

حدَّثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفى، عن عباد، عن الحسن في قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾ قال: كلَّهم في المَهْدِ صبيًا، وكلَّهم كبيرًا^(٢).

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿وَكَهَلًا﴾: أنه سيكلُّمهم إذا ظهر.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعته، يعني ابن زيد، يقول في قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ / النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾. قال: قد كلَّمهم عيسى في المَهْدِ، وسيكلُّمهم إذا قتل الدجال، وهو يومئذٍ كَهْلٌ^(٣).

٢٧٣/٣

ونصب ﴿وَكَهَلًا﴾ عطفًا على موضع: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾.

وأما قوله: ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. فإنه يعنى: من عدادهم وأوليائهم؛ لأن أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل.

(١) أخرجه الفريابي - كما في التعليل ٣٥/٤ - وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٢/٢ (٣٥٢٥) من طريق ابن أبي نجيح به.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٢/٢ (٣٥٢٣) من طريق أبي بكر الحنفى.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٥/٢ إلى المصنف.

القول في تأويل قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤٧).

يعنى بذلك جل ثناؤه : قالت مريم - إذ قالت لها الملائكة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ - : ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ من أى وجه يكون لى ولد؟ أم قبل زوج أترؤجه وبعل أنكحه؟ أو تتبدى فى خلقه من غير بعل ولا فحل، ومن غير أن يمسنى بشر؟ فقال الله لها : ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ . يعنى : هكذا يخلق الله منك ولدا لك من غير أن يمسلك بشر، فيجعل آية للناس وعبرة، فإنه يخلق ما يشاء، ويصنع ما يريد، فيعطى الولد من يشاء من غير فحل ومن فحل، ويحرم ذلك من يشاء من النساء وإن كانت ذات بعل؛ لأنه لا يتعذر عليه خلق شىء أراد خلقه، إنما هو أن يأمر إذا أراد شيئا ما أراد، فيقول له : كن . فيكون ما شاء مما يشاء وكيف شاء .

كما حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ : يصنع ما أراد، ويخلق ما يشاء، من بشر أو غير بشر^(١)، ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ [١٠/٤١] فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ^(٢) ﴿مَّا يَشَاءُ، وَكَيْفَ يَشَاءُ، فَيَكُونُ مَا أَرَادَ﴾^(٣) .

القول في تأويل قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَآلِإِنْجِيلَ﴾ (٤٨).

اختلفت القراءة فى قراءة ذلك؛ فقرأته عامة قراءة الحجاز والمدينة وبعض قراءة الكوفيين : ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالياء^(٤)، ردًا على قوله : ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ .

(١) بعده فى النسخ : «أى» . والمثبت من مصادر التخرىج .

(٢) بعده فى النسخ : «فيكون» .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٨٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥٣ (٣٥٢٩، ٣٥٣٠) من طريق سلمة عن ابن إسحاق .

(٤) وهى قراءة نافع وعاصم . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٦ .

﴿وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ﴾ فَأَلْحَقُوا الْخَيْرَ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بنظير الخبر في قوله :
﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ . وقوله : ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين وبعض البصريين : (وَنُعَلِّمُهُ) بالنون^(١) ، عطفاً به
على قوله : ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ كأنه قال : ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، ونُعَلِّمُهُ
الكتاب . وقالوا : ما بعد ﴿نُوحِيهِ﴾ في صلبته إلى قوله : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ . ثم عطف
بقوله : (وَنُعَلِّمُهُ) عليه .

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مختلفتان غير مختلفتي
المعاني ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو / مصيب الصواب في ذلك ؛ لاتفاق معنيتي
القراءتين في أنه خبر عن الله بأنه يُعَلِّمُ عيسى الكتاب وما ذكر أنه يُعَلِّمُهُ .

وهذا ابتداء خبر من الله عز وجل لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به
من الكرامة ورفعة المنزلة والفضيلة ، فقال : كذلك الله يَخْلُقُ منك ولداً من غير
فحل ولا بعل فيُعَلِّمُهُ الكتاب ، وهو الخط الذي يخطه بيده ، والحكمة ، وهي
السنة التي نوحى إليها في غير كتاب ، والتوراة ، وهي التوراة التي أنزلت على
موسى ، كانت فيهم من عهد موسى ، والإنجيل ، والإنجيل عيسى ولم يكن قبله ،
ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحى إليه ، وإنما أخبرها بذلك ، فسمّاه
لها ؛ لأنها قد كانت علمت فيما نزل من الكتاب أن الله باعث نبياً يوحى إليه
كتاباً اسمه الإنجيل ، فأخبرها الله عز وجل أن ذلك النبي ﷺ الذي سمعت
بصفته الذي وعد أنبياءه من قبل أنه مُنْزَلٌ عليه الكتاب الذي سُمِّيَ إنجيلاً ، هو الولد
الذي وهبه لها وبشرها به .

(١) وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي . المصدر السابق .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ . قال : بيده ^(١) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ قال : الحكمة السنة ^(٢) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة في قوله : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ . قال : الحكمة السنة ، ﴿وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ . قال : كان عيسى يقرأ التوراة والإنجيل ^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ . قال : الحكمة السنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : أخبرها - يعني أخبر الله مريم - ما يريد به ، فقال : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ﴾ التي كانت فيهم من عهد موسى ، ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ ، كتابا آخر أحدثه إليه لم يكن عندهم علمه إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء قبله ^(٤) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٥٢/٢ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٤/٢ عقب الأثر (٣٥٣٣) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٤/٢ (٣٥٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به مختصرا .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٨١/١ ، وفيه : بعده . مكان : قبله .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .

/ يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَرَسُولًا ﴾ : ^(١) « وَجَعَلُهُ رَسُولًا » إلى بني إسرائيل .
فترك ذكر « وَجَعَلُهُ » ؛ لدلالة الكلام عليه ، كما قال الشاعر ^(٢) :

٢٧٥/٣

ورأيت زوجك في الوعى مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمحًا

وقوله : ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ . بمعنى : وَجَعَلُهُ رَسُولًا إلى بني إسرائيل بأنه ^(٣) « نبي وبشير ونذير » ، وحجتي على صدقي في ^(٤) ذلك ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ . يعني : بعلامة من ربكم تحقّق قولي ، وتصدّق خبري أني رسول من ربكم إليكم .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .
أى : يُحَقِّقُ بها نبوتى ، وأنى رسول من ربكم إليكم ^(٥) .

القول في تأويل قوله : ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ورسولاً إلى بني إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ،
ثم يبين عن الآية ما هى ، فقال : ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ .

(١ - ١) سقط من : ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) تقدم فى ١٤٠/١ .

(٣ - ٣) فى م : « نبي وبشير ونذير » .

(٤) فى النسخ : « على » . والصواب ما أثبت .

(٥) سيرة ابن هشام ٥٨١/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٤/٢ (٣٥٣٨ ، ٣٥٣٩) من طريق

سلمة عن ابن إسحاق قوله .

فتأويل الكلام : ورسولاً إلى بنى إسرائيل بأننى قد جئتكم بآية من ربكم بأن
أخُلِّقَ لكم من الطين كهيئة الطير .

والطير جمع طائر .

واختلفت القراءة فى قراءة ذلك ؛ فقرأه بعض أهل الحجاز : (كهيئة الطائر
فأنفخ فيه فيكون طائراً) . على التوحيد ^(١) .

وقرأه آخرون : ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا ﴾ ، على الجماع
فيهما ^(٢) .

وأعجب القراءاتِ إلىّ فى ذلك قراءة من قرأ : ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا ﴾ . على الجماعِ فيهما جميعاً ؛ لأن ذلك كان من صفة عيسى أنه يفعلُ
ذلك بإذنِ الله ، وأنه الموافقُ لخطِّ المصحفِ . وأتباعُ خطِّ المصحفِ مع صحة المعنى
واستيفاضة القراءة به ، أعجب إلىّ من خلافِ المصحفِ .

وكان خلقُ عيسى [١٠/٤١ ظ] ما كان يخلقُ من الطيرِ كما حدثنا ابنُ حمّيد ،
قال : ثنا سَلَمَةُ ، قال : ثنا ابنُ إسحاق ، أن عيسى صلواتُ الله عليه جلس يوماً مع
غلمانٍ من الكتّابِ ، فأخذ طيئاً ، ثم قال : أَجْعَلُ لَكُمْ مِنْ هَذَا الطَّيْرِ طَائِراً ؟ قالوا :
وَتَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ؟! قال : نعم بإذنِ ربي . ثم هيأه حتى إذا جعله فى هيئةِ الطائرِ نفخ
فيه ، ثم قال : كن طائراً بإذنِ الله . فخرجَ يطيرُ بينَ كفَّيه ، فخرجَ الغلمانُ بذلك من
أمرِهِ ، فذكروه لمعلمهم ، فأفشوه فى الناس ، وتزعزعَ ، فهتّت به بنو إسرائيل ، فلما
خافت أمُّه عليه ، حُمِّيرَ على حُميرِ لها ، ثم خرجت به هاربة ^(٣) .

(١) وهى قراءة نافع . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٦ .

(٢) فى النسخ : « كليهما » . والصواب ما أثبت .

وبالجماع فيهما قرأ باقى السابعة غير نافع . المصدر السابق .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/٢ إلى المصنف .

وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الطَّيْرَ مِنَ الطِّينِ سَأَلَهُمْ : أَيُّ الطَّيْرِ أَشَدُّ خَلْقًا ؟ فَقِيلَ لَهُ : الْحُقَافُشُ .

/ كما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَوْلُهُ : ﴿ أَيُّهُنَّ أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ . قَالَ : أَيُّ الطَّيْرِ أَشَدُّ خَلْقًا ؟ قَالُوا : الْحُقَافُشُ ، إِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ . قَالَ : فَفَعَلَ ^(١) .

٢٧٦/٣

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ : ﴿ فَأَنْفُخُ فِيهِ ﴾ وَقَدْ قِيلَ : ﴿ أَيُّهُنَّ أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ ؟

قِيلَ : لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ : فَأَنْفُخُ فِي الطَّيْرِ . وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ : فَأَنْفُخُ فِيهَا . كَانَ صَحِيحًا جَائِزًا ، كَمَا قَالَ فِي الْمَائِدَةِ : ﴿ فَتَنْفُخُ فِيهَا ﴾ [المائدة : ١١٠] . يَرِيدُ : فَتَنْفُخُ فِي الْهَيْئَةِ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ ذَلِكَ فِي إِحْدَى الْقَرَاءَتَيْنِ : (فَأَنْفُخُهَا) بَغَيْرِ «فِي» ^(٢) . وَقَدْ تَفَعَّلُ الْعَرَبُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَتَقُولُ : رُبَّ لَيْلَةٍ قَدْ بَثُّهَا ، وَبَثُّ فِيهَا . قَالَ الشَّاعِرُ ^(٣) :

مَا شَقَّ جَيْبٌ وَلَا قَامَتَكَ نَائِحَةٌ وَلَا بَكَتَكَ جِيَادٌ عِنْدَ أَسْلَابٍ
بِمَعْنَى : وَلَا قَامَتَ عَلَيْكَ . وَكَمَا قَالَ آخَرُ :

إِحْدَى بَنَى عَيْدَ اللَّهِ ^(٤) اسْتَمَرَّ بِهَا حُلُوُ الْعُصَاوَةِ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ
الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَأُزَيِّتُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ﴾ .

يَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿ وَأُزَيِّتُ ﴾ : وَأَشْفَى . يُقَالُ مِنْهُ : أُزِيَئَ اللَّهُ الْمَرِيضُ ^(٥) مِنْ مَرَضِهِ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/٢ إلى المصنف .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٢١٤ . وقال أبو حيان في البحر المحيط ٢/ ٤٦٦ : هي قراءة شاذة نقلها الفراء .

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٢١٤ ، والأغانى ١٨/ ٢٨٧ .

(٤) بنو عَيْدَ اللَّهِ : حَيٌّ مِنَ الْيَمَنِ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ع وَذ) .

(٥ - ٥) زيادة يستقيم بها السياق .

إذا شفاه منه ، فهو يُبْرِئُهُ إبراءً ، وبرأ المريض فهو يَبْرِأُ بَرِّئًا . وقد يقال أيضًا : بَرِئَ المريضُ فهو يَبْرِأُ ، لغتانِ معروفَتانِ .

واختلف أهل التأويل في معنى الأَكْمَه ؛ فقال بعضهم : هو الذى لا يُبْصِرُ بالليل ويُبْصِرُ بالنهار .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قوله : ﴿ وَأَبْرَأُ الْأَكْمَهَ ﴾ . قال : الأَكْمَه الذى يُبْصِرُ بالنهار ولا يُبْصِرُ بالليل ، فهو يَتَكَمَّهُ^(١) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله .

وقال آخرون : هو الأعمى الذى ولدته أمُّه كذلك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قال : كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّ الأَكْمَه الذى وُلِدَ وهو أَعْمَى ، مَضْمُومٌ^(٢) الْعَيْنَيْنِ^(٣) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقٌ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادة

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٥/٢ (٣٥٤٤) من طريق أبى عاصم به ، وأخرجه الفريابى - كما فى التعليق ٣٥/٤ - من طريق ابن أبى نجيح به .

(٢) كذا فى النسخ ، ولعلها : « مغموم » . وكل مغطى فإن العرب تسميه مغمومًا . ينظر ما تقدم فى ٦٩٨ / ١ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٥/٢ عقب أثر (٣٥٤٢) معلقا بنحوه .

في قوله : ﴿ وَأُزَيِّرُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ ﴾ قال : كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّ الْأَكْمَةَ الَّذِي وُلِدَ وَهُوَ أَعْمَى ، مَضْمُومُ الْعَيْنَيْنِ .

نُحَدِّثُ عَنِ الْمِنْجَابِ ، قال : ثَنَا بَشْرُ بْنُ^(١) عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قال : الْأَكْمَةُ الَّذِي يُوَلَدُ وَهُوَ أَعْمَى^(٢) .

/ وقال آخرون : بل هو الأعمى .

٢٧٧/٣

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قال : ثَنَا عَمْرُو ، قال : ثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : ﴿ وَأُزَيِّرُ الْأَكْمَةَ ﴾ : هُوَ الْأَعْمَى^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قال : ثَنَا حَبَّابُ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : الْأَعْمَى^(٤) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأُزَيِّرُ الْأَكْمَةَ ﴾ قال : الْأَكْمَةُ الْأَعْمَى^(٥) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قال : ثَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عُبَادِ بْنِ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأُزَيِّرُ الْأَكْمَةَ ﴾ قال : الْأَعْمَى^(٦) .

(١) في النسخ : « عن » ، وهو إسناد دائر ، وينظر ما تقدم في ١٢١/١ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ (٣٥٤٢) من طريق المنجاب به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ عقب الأثر (٣٥٤٢) من طريق عمرو به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ (٦٥٤٢ ، ٦٥٤٣) من طريقين ، عن ابن عباس .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١٢١/١ .

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ عقب الأثر (٣٥٤٢) معلقا .

وقال آخرون : هو الأعمش .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا حَفْصُ بْنُ عَمْرٍ ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأُزِرْتُ الْأَكْمَةَ ﴾ قَالَ : الْأَعْمَشُ ^(١) .

والمعروف عند العرب من معنى الكمة العمى ، يُقال منه : كِمِهَتْ عَيْنُهُ ، فَهِيَ تَكْمُهُ كَمَهَا ، وَكَمَّهْتُهَا ^(٢) أَنَا ، إِذَا أَعْمَيْتَهَا ، كَمَا قَالَ سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ ^(٣) :
 « كَمَّهْتُ عَيْنِيهِ ^(٤) حَتَّى ابْيَضَّتَا فَهُوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نَزَعَ
 وَمِنْهُ قَوْلُ رُوْبَةَ ^(٥) :

هَرَجْتُ ^(٦) فَازْتَدَّ الْأَكْمَةَ

فِي غَائِلَاتٍ ^(٧) الْخَائِرِ ^(٨) الْمُتَهْتِهِ ^(٩)

وَأَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ احْتِجَاجًا مِنْهُ بِهَذِهِ الْعِبَرِ وَالْآيَاتِ عَلَيْهِمْ فِي نُبُوَّتِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكَمَةَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ (٣٥٤٥) ، وابن الأنباري في الأضداد ص ٣٧٨ من طريق حفص بن عمر به .

(٢) في م : « أكميتها » .

(٣) الأضداد لابن الأنباري ص ٣٧٨ ، والمفضليات ص ٢٠٠ ، وشرح اختيار المفضل ٩١٠ / ٢ ، واللسان (ك م هـ) .

(٤ - ٤) في م ، ت ١ ، ت ٣ : « كِمِهْتُ عَيْنَاهُ » .

(٥) ديوانه ص ١٦٦ .

(٦) هرجت : صبغت به .

(٧) في س ، ت ١ ، ت ٣ : « عاملات » . والغائلات : المهلكات الدواهي .

(٨) في الديوان : « الخائب » .

(٩) المتته : المتردد في الباطل .

وَالْبَرْصَ لَا عِلَاجَ لَهُمَا فَيَقْدِرَ عَلَى إِبْرَائِيهِ ذُو طَبِّ بِعِلَاجٍ^(١) ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَدْلَتِهِ عَلَى صِدْقِ قِيلِهِ : إِنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ ، مَعَ سَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي / أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا دَلَالَةً عَلَى نُبُوَّتِهِ .

٢٧٨/٣

فَأَمَّا مَا قَالَ عِكْرَمَةُ ، مِنْ أَنَّ الْكَمَةَ الْعَمَشُ ، وَمَا قَالَه مُجَاهِدٌ مِنْ أَنَّهُ سُوءُ الْبَصَرِ بِاللَّيْلِ ، فَلَا مَعْنَى لَهُمَا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَحْتَاجُ عَلَى خَلْقِهِ بِحُجَّةٍ تَكُونُ لَهُمُ السَّبِيلُ إِلَى مُعَارَضَتِهِ فِيهَا ، وَلَوْ كَانَ مِمَّا احْتَاجَ بِهِ عِيسَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي نُبُوَّتِهِ أَنَّهُ يُرَى الْأَعْمَشُ ، أَوِ الَّذِي يَبْصُرُ بِالنَّهَارِ وَلَا يَبْصُرُ بِاللَّيْلِ ، لَقَدَرُوا عَلَى مُعَارَضَتِهِ بِأَنَّ [٤١١/١] يَقُولُوا : وَمَا فِي هَذَا لَكَ مِنَ الْحُجَّةِ ، وَفِينَا خَلْقٌ مِنْ يُعَالِجُ ذَلِكَ وَلَيْسُوا لِلَّهِ أَنْبِيَاءَ وَلَا رُسُلًا ؟ فَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ الْأَكْمَةَ هُوَ الْأَعْمَى الَّذِي لَا يُفَصِّرُ شَيْئًا ، لَا لَيْلًا وَلَا نَهَارًا ، وَهُوَ بِمَا قَالَ قَتَادَةُ مِنْ أَنَّهُ الْمَوْلُودُ كَذَلِكَ أَشْبَهُ ؛ لِأَنَّ عِلَاجَ مِثْلِ ذَلِكَ لَا يَدْعِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَى عِيسَى ، وَكَذَلِكَ عِلَاجُ الْأَبْرَصِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَأَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ .

وَكَانَ إِحْيَاءُ عِيسَى الْمَوْتَى بِدَعَاءِ اللَّهِ ، يَدْعُو لَهُمْ ، فَيَسْتَجِيبُ لَهُ .

كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ عَشْكِرٍ ، قَالَ : ثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، قَالَ : ثَنَى عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبَ بْنَ مُسْنَبٍ يَقُولُ : لَمَّا صَارَ عِيسَى ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَى أُمِّهِ وَهِيَ بِأَرْضِ مِصْرَ ، وَكَانَتْ هَرَبَتْ مِنْ قَوْمِهَا حِينَ وَلَدَتْهُ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ : أَنْ اطَّلَعِي بِهِ إِلَى الشَّامِ . فَفَعَلَتْ الَّذِي أُمِرَتْ بِهِ ، فَلَمْ

(١) فِي س : « يُعَالِج » .

تَزَلُ بالشامِ حتى كان ابنُ ثلاثين سنةً ، وكانت نبوُّهُ ثلاث سنينَ ، ثم رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ . قال : وزَعَمَ وَهَّبُ أَنَّهُ ربما اجْتَمَعَ على عيسى مِنَ المرضَى فى الجماعة الواحدة خمسون ألفًا ، مَن أَطاقَ منهم أَن يَتَلَعَّه بِلَعْه ، وَمَن لم يُطِقْ منهم ذلك أَتاه عيسى يَمْشِى إِلَيْهِ ، وَإِنما كان يُداوِيهم بالدعاءِ إِلَى اللهِ ^(١) .

وأما قوله : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ ﴾ . فإنه يَعْنِى : وأخبرُكم بما تَأْكُلُونَ ممَّا لم أَعَايَنُهُ وأشاهدُهُ معكم ^(٢) فى وقتِ أَكْلِكُمُوهُ ، ﴿ وَمَا تَدْخُرُونَ ﴾ . يعنى بذلك : وما تَزَفَعُونَهُ فَتُخَبِّثُونَهُ ولا تَأْكُلُونَهُ . يُعْلِمُهُم أَن مِن حُجَّتِهِ أَيْضًا على نبوِّهِ - مع المعجزاتِ التى أَعْلَمَهُم أَنَّهُ يَأْتِى بِهَا حُجَّةٌ على نبوِّهِ وصدِّقِهِ فى خبرِهِ أَن اللهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ ؛ مِن خَلْقِ الطيرِ مِنَ الطينِ ، وإِبراءِ الأَكْمَةِ والأَبْرَصِ ، وإِحياءِ المَوْتَى بإِذْنِ اللهِ ، التى لا يُطِيقُهَا أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ إِلا مَن أَعْطَاهُ اللهُ ذلك ؛ عَلَمًا لَهُ على صدِّقِهِ ، وآيَةً لَهُ على حَقِيقَةِ قولِهِ ، مِن أنبيائِهِ ورسلِهِ ، وَمَن أَحَبَّ مِن خَلْقِهِ - إِنْباءَهُ عن الغيبِ الذى لا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ البَشَرِ الذين سَبَّلَهُم سَبِيلُهُ ، عَلَيْهِ .

فإن قال قائلٌ : وما كان فى قولِهِ لَهُم : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فى بُيُوتِكُمْ ﴾ مِنَ الحجةِ لَهُ على صدِّقِهِ ، وقد رأينا المُنْتَجِمَةَ والمُتَكَهِّنَةَ تخبرُ بذلك كثيرًا فتصيبُ ؟

قيل : إن المُنْتَجِمَ والمُتَكَهِّنَ معلومٌ منهما عندَ مَن يُخْبِرَانِهِ ^(٣) بذلك أَنهما يُتَّبِعَانِ بِهِ عن استخراجِ لَهُ ببعضِ الأسبابِ المؤديةِ إِلَى عِلْمِهِ ، ولم يَكُنْ ذلك كذلك مِن عيسى صلواتُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَمِن سائرِ أنبياءِ اللهِ ورسلِهِ ، وَإِنما كان عيسى يُخْبِرُ بِهِ عن

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٥٩٨/١ .

(٢) فى س : « منكم » .

(٣) فى النسخ : « يخبره » . والسياق يقتضى ما أثبت .

غير استخراج ولا طلب لمعرفة باحتيال ، ولكن ابتداءً بإعلام الله إياه ، من غير أصل تقدم ذلك احتذاه ، أو بنى عليه أو فرع إليه ، كما يفزع المنتجم إلى حسابه ، والمتكهن إلى رئييه ، فذلك هو الفصل بين علم الأنبياء بالغيوب وإخبارهم عنها ، وبين علم سائر المتكذبة على الله ، أو المدعية علم^(١) ذلك .

٢٧٩/٣ / كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما بلغ عيسى تسع سنين أو عشرًا أو نحو ذلك ، أدخلته أمه الكتاب ، فيما يزعمون ، فكان عند رجل من المكثين يُعلمه كما يُعلم الغلمان ، فلا يذهب يُعلمه شيئًا مما يُعلمه الغلمان إلا بذكره إلى علمه قبل أن يُعلمه إياه ، فيقول : ألا تعجبون لابن هذه الأرملة ، ما أذهبُ أَعْلَمُه شيئًا إلا وجدته أعلم به مني^(٢) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي : لما كبر عيسى أسلمته أمه يتعلم التوراة ، فكان يلعب مع الغلمان ، غلمان القرية التي كان فيها ، فيحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم^(٢) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هُشَيْم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن سعيد بن جبيرة في قوله : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال : كان عيسى ابن مريم إذ كان في الكتاب يُخبرهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هُشَيْم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، قال : سمعت سعيد بن جبيرة يقول : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « على » .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٣٣ .

تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴿١﴾ قال : إِنَّ عيسى ابنَ مريمَ كان يَقُولُ للغلامِ
فِي الكُتَابِ : يَا فلانُ ، إِنَّ أَهْلَكَ قد خَبِئُوا لك كذا وكذا مِن الطعامِ ، فَتُطْعِمُنِي
منه ؟ ^(١)

فهكذا فَعَلَ الأنبياءُ وَحُجَّجُهَا ، إِنَّمَا تَأْتِي بما أَتَتْ به مِن الحُجَجِ بما قد يُوصَلُ إِلَيْهِ
بِعضِ الحِيلِ ، على غيرِ الوجهِ الذِي يَأْتِي به غَيْرُهَا ، بل مِن الوجهِ الذِي يَعْلَمُ الخَلْقُ
أنه لا يُوصَلُ إِلَيْهِ مِن ذلكِ الوجهِ بِحيلةٍ إِلَّا مِن قِبَلِ اللَّهِ .

وَبَنَحُوا ما قَلْنَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي
بُيُوتِكُمْ ﴾ . قال أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : ثنا أَبُو عاصِمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عن مجاهدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال :
بما أَكَلْتُمُ البَارِحَةَ ، وما خَبِئْتُمُ مِنْهُ . عيسى ابنُ مريمَ يَقُولُهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا أَبُو حذيفةَ ، قال : ثنا شَيْبُلٌ ، عن ابنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عن
مجاهدٍ مثله .

حَدَّثَنَا [٤١١/١] القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ
جُرَيْجٍ ، قال : قال عطاءُ بْنُ أَبِي رِباحٍ ، يَعْنِي قَوْلَهُ : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٤٩٩ - تفسير) عن هشيم به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٦/٢

(٣٥٥٠) من طريق إسماعيل به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٣ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٦/٢ (٣٥٤٦ ، ٣٥٤٩) .

تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴿١﴾ قال : الطعام والشيء يدخرونه في بيوتهم ، غَيِّبًا عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْتُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قَالَ : ﴿ مَا تَأْكُلُونَ ﴾ : مَا أَكَلْتُمُ الْبَارِحَةَ مِنْ طَعَامٍ وَمَا خَبَأْتُمْ مِنْهُ .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ ، قَالَ : كَانَ - يَعْنِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ - يُحَدِّثُ الْعِلْمَانَ وَهُوَ مَعَهُمْ فِي الْكِتَابِ بِمَا يَصْنَعُ آبَاؤُهُمْ ، وَبِمَا يَزْعُمُونَ لَهُمْ ، وَبِمَا يَأْكُلُونَ ، / وَيَقُولُ لِلْغُلَامِ : انْطَلِقْ فَقَدْ رَفَعَ لَكَ أَهْلُكَ كَذَا وَكَذَا ، وَهُمْ يَأْكُلُونَ كَذَا وَكَذَا . فَيَنْطَلِقُ الصَّبِيُّ ، فَيَنْكِى عَلَى أَهْلِهِ حَتَّى يُعْطُوهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : مَنْ أَحْبَبَكَ بِهَذَا ؟ فَيَقُولُ : عِيسَى . فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَنْتُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ فَجَبَسُوا صَبِيَانَهُمْ عَنْهُ ، وَقَالُوا : لَا تَلْعَبُوا مَعَ هَذَا السَّاحِرِ . فَجَمَعُوهُمْ فِي بَيْتٍ ، فَجَاءَ عِيسَى يَطْلُبُهُمْ ، فَقَالُوا : لَيْسَ هُمْ هَاهُنَا . فَقَالَ : مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ ؟ فَقَالُوا : خَنَازِيرُ . قَالَ عِيسَى : كَذَلِكَ يَكُونُونَ ، فَفَتَحُوا عَنْهُمْ فَإِذَا هُمْ خَنَازِيرُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ ^(٢) [المائدة : ٧٨] .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْخَنْفِيُّ ، عَنْ عُبَادٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ . قَالَ : مَا تُخْبِتُونَ ، مَخَافَةَ الَّذِي يُمَسِّكُ ^(٣) أَنْ يُخْلِفَهُ ^(٣) .

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٣٣/٢ .

(٢) ذكره الثعلبي في قصص الأنبياء ص ٣٤٩ ، والبغوي في تفسيره ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) (٣ - ٣) في م : « أن لا يخلفه شيء » .

وقال آخرون : إنما عني بقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ : ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم ، وما تدخرون منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ : فكان القوم لما سألو المائدة ، فكانت خواناً^(١) يُنزل عليه أينما كانوا ثمرًا من ثمار الجنة ، فأمر القوم ألا يخونوا فيه ولا يُخبئوا ولا يدخروا للغد . بلاء ابتلاههم الله به ، فكانوا إذا فعلوا من ذلك شيئًا أنباهم به عيسى ابن مريم ، فقال : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ ﴾ قال : أنبئكم بما تأكلون من المائدة وما تدخرون منها . قال : وكان أخذ عليهم في المائدة حين نزلت ، أن يأكلوا ولا يدخروا . فادخروا وخانوا ، فجعلوا خنازير حين ادخروا وخانوا ، فذلك قوله : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٥] .

قال ابن يحيى : قال عبد الرزاق : قال معمر ، عن قتادة ، عن خلاص بن عمرو ، عن عمار بن ياسر^(٢) .

وأصل ﴿ تَدْخِرُونَ ﴾ من الفعل « تَفْتَعِلُونَ » ، من قول القائل : ذخرت

(١) في م : « جرابا » .

(٢) بعده في م : « ذلك » .

والأثر في تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢١ ، ١٢٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٦/٢ (٣٥٤٧) ، (٣٥٤٨) عن الحسن به ، وأخرجه الترمذي (٣٠٦١) من طريق قتادة عن خلاص بن عمرو ، عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ بنحوه .

الشيء . بالذال ، فأنا أَدَخَرُهُ ، ثم قيل : يَدَخِرُ . كما قيل : يَدَكِّرُ . من . ذَكَرْتُ الشيء . يُرَادُّ به يَذْخِرُ ، فلما اجتمعت الذال والتاء وهما مُتَقَارِبَتَا المخرج ، ثَقُلَ إظهارهما على اللسان ، فأدغمت إحداهما في الأخرى ، وصيِّرَتَا دالاً مشددةً ، صيِّروها عدلاً بين الذال والتاء ، ومن العرب من يُعَلِّبُ الذال على التاء ، فيُدغمُ التاء في الذال ، فيقول : وما تَدْخِرُونَ ، وهو مُدْخِرٌ لك ، وهو مُدَكِّرٌ . واللغة التي بها القراءة الأولى ، وذلك إدغامُ الذال في التاء ، وإبدالُهما دالاً مشددةً ، لا يَجُوزُ القراءةُ بغيرها ؛ لتظاهرِ النقلِ من القراءة بها ، وهي اللغة الجودى ، كما قال زهير^(١) :

٢٨١/٣ / «إِنَّ الْكَرِيمَ» الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفَوًا وَيُظْلِمُ أَحْيَانًا فَيُظْلِمُ

يُرَوِّى بِالظَّاءِ ، يَرِيدُ : فَيَفْتَعِلُ . مِنَ الظَّلَمِ ، وَيُرَوِّى بِالطَّاءِ أَيْضًا .

القول في تأويل قوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ٤٩ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : إِنَّ فِي خَلْقِي مِنَ الطِّينِ الطَّيْرَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَفِي إِبْرَائِي الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ ، وَإِحْيَائِي الْمَوْتَى ، وَإِنْبَائِي إِيَّاكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ وَتَنْجِيمٍ ، وَلَا كَهَانَةٍ وَعِرَافَةٍ - لَعِبْرَةً لَكُمْ وَمَتَفَكَّرُوا تَتَفَكَّرُونَ فِي ذَلِكَ ، فَتَعْتَبِرُونَ بِهِ أَنِّي مُحَقِّقٌ فِي قَوْلِي لَكُمْ : إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ إِلَيْكُمْ . وَتَعْلَمُونَ بِهِ أَنِّي فِيمَا أَذْغُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ صَادِقٌ . ﴿إِنْ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ . يعنى : إِنْ كُنتُمْ مُصَدِّقِينَ حُجَجِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ ، مُقَرِّينَ بِتَوْحِيدِهِ ، وَنَبِيِّهِ مُوسَى وَالتَّوْرَةِ الَّتِي جَاءَكُمْ بِهَا .

القول في تأويل قوله : ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ

(١) شرح ديوانه ص ١٥٢ .

(٢ - ٢) في الديوان : «هو الجواد» .

بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : وبأنى قد جئتكم بآية من ربكم ، وجئتكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة . ولذلك نصب ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ على الحال من ﴿ جِئْتُكُمْ ﴾ .
والذى يدلّ على أنه نُصِبَ على قوله : ﴿ وَجِئْتُكُمْ ﴾ دون العطف على قوله : ﴿ وَجِئَهَا ﴾ قوله : ﴿ لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ ولو كان عطفاً على قوله : ﴿ وَجِئَهَا ﴾ ، لكان الكلام : ومصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وليحلّ لكم بعض الذى حُرِّمَ عليكم .

وإنما قيل : ﴿ وَمُصَدِّقًا لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ . لأن عيسى صلوات الله عليه كان مؤمناً بالتوراة مقراً بها ، وأنها من عند الله ، وكذلك الأنبياء ، كلهم يُصَدِّقُونَ بكلّ ما كان قبلهم من كتب الله ورسوله ، [١٢/١] وإن اختلف بعض شرائع أحكامهم ؛ لمخالفة الله بينهم فى ذلك ، مع أنّ عيسى كان - فيما بلغنا - عاملاً بالتوراة لم يخالف شيئاً من أحكامها ، إلا ما خفف الله عن أهلها فى الإنجيل ممّا كان مشدداً عليهم فيها .

كما حدّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن عيسى كان على شريعة موسى ، صلى الله عليهما وسلّم ، وكان يَنْسَبُ وَيَسْتَقْبِلُ بَيْتَ المقدس ، فقال لبنى إسرائيل : إني لم أدعكم إلى خلاف حرف مما فى التوراة ، إلا لأجلّ لكم بعض الذى حُرِّمَ عليكم ، وأضَعَ عنكم من الآصار ^(١) .

حدّثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَمُصَدِّقًا لَمَّا بَيَّنَّ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/٢ إلى المصنف .

يَدَىٰ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴿١﴾ : كان الذى جاء به عيسى أَلَيْنَ مما جاء به موسى ، وكان قد حُرِّمَ عليهم فيما جاء به موسى لحوم الإبل والثَّروِبُ ^(١) ، وأشياء من الطير والحيتان ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىٰ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : كان الذى جاء به عيسى أَلَيْنَ مما جاء به موسى . قال : وكان حُرِّمَ عليهم فيما جاء به موسى مِنَ التَّوْرَةِ لحوم الإبل والثَّروِبُ ، فأَحَلَّها لهم على لسانِ عيسى - وَحُرِّمَتْ عليهم الشَّحُومُ ، وَأُحِلَّتْ لهم فيما جاء به عيسى - وفى أشياء مِنَ السَّمَكِ ، وفى أشياء مِنَ الطَّيْرِ ، مما لا صَيْصِيَّةٌ ^(٣) له ، وفى أشياء حَرَّمَها عليهم ، وشَدَّدَها عليهم ، فجاءهم عيسى بالتَّخْفِيفِ منه فى الإنجيل ، فكان الذى جاء به عيسى أَلَيْنَ مِنَ الذى جاء به موسى صلواتُ الله عليه ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ قوله : ﴿ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : لحومُ الإبل والشَّحُومُ ، لما بُعِثَ عيسى أَحَلَّها لهم ، وَبُعِثَ إلى اليهودِ فَاخْتَلَفُوا وَتَفَرَّقُوا ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ بنِ الزَّيْبِرِ : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىٰ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ . أَى : لما سَبَقَنِي منها ،

(١) الثَّروِبُ : جمع الثَّوْبِ ، وهو شحم رقيق يُغَشَّى الكَرِشَ والأَمْعَاءُ ، وقيل : هو الشَّحْمُ المنسوط على الأَمْعَاءِ والمصارين . تاج العروس (ث ر ب) .

(٢) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢ / ٤٣٥ .

(٣) فى ت ٢ ، س : « صَيْصَة » . والصَّيْصِيَّةُ : شوكة الديك التى فى رجليه . تاج العروس (ص ي ص) .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢ / ٦٥٧ ، ٦٥٨ (٣٥٥٧) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به .

(٥) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢ / ٤٣٥ .

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ .

يعنى بذلك : وجئْتُكم بآيةٍ من ربِّكم تَعْلَمون بها يقينًا صدق في ما أقول ، فاتَّقوا الله يا معشرَ بنى إسرائيل فيما أمَرَكم به ونهاكم عنه فى كتابه الذى أنزله على موسى ، فأَوْفُوا بعهده الذى عاهدْتُموه فيه ، وأَطِيعُوني / فيما دَعَوْتُكم إليه من تَصْدِيقِي فيما أَرْسَلَنِي به إليكم ربى وربُّكم ، فاعْبُدوه ، فإنه بذلك أَرْسَلَنِي إليكم ، وبإِخلالِ بعضِ ما كان مُحَرَّمًا عليكم فى كتابكم ، وذلك هو الطريقُ القويمُ ، والهدى المتين الذى لا اغْوِجَاجَ فيه . ٢٨٣/٣

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابْنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ : تَبَرُّيًا من الذى يَقُولون فيه - يعنى : ما يَقُولُ فيه النصارى - واحتِجَاجًا لربِّه عليهم . ﴿ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ أى : هذا الذى قد حَمَلْتُكم عليه وجئْتُكم به ^(١) . واختَلَفَ القَرَأَةُ فى قِراءةِ قولِهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ ؛ فقرَأَتْهُ عامةُ قِراءَةِ الأمصارِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ بكسْرِ أَلِفٍ ﴿ إِنَّ ﴾ . على ابتداءِ الخبرِ .

وقرَأَهُ بعضُهُم : (أَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) . بفتحِ أَلِفٍ (أَنَّ) ^(٢) ، بتأويلِ : وجئْتُكم بآيةٍ من ربِّكم أن الله ربى وربُّكم . على ردِّ « أن » على « الآية » ، والإبدالِ منها .

(١) سيرة ابن هشام ٥٨١/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٨/٢ (٣٥٦٠ ، ٣٥٦٢) ، من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) قال ابن خالويه فى مختصر الشواذ ص ٢٧ : بالفتح ، الأخفش عن بعض القراء . وينظر المحرر الوجيز لابن عطية ٤٣٦/٢ ، والبحر المحييط ٤٦٩/٢ .

والصوابُ من القراءة عندنا ما عليه قراءة الأمصار ، وذلك كسر ألف ﴿ إِنَّ ﴾ .
على الابتداء ؛ لإجماع الحجة من القراءة على صحة ذلك ، وما اجتمعت عليه
فحجة ، وما انفرد به المنفرد عنها فرأى ، ولا يُعْتَرَضُ بالرأي على الحجة .

وهذه الآية ، وإن كان ظاهرها خبراً ، ففيه الحجة البالغة من الله لرسوله
محمد ﷺ ، على الوفد الذين حاجوه من أهل نجران ، بإخبار الله عز وجل عن أن
عيسى كان بريئاً مما نسبته إليه من نسبه إلى غير الذي وصف به نفسه ، من أنه لله عبد
كسائر عبيده من أهل الأرض ، إلا ما كان الله جل ثناؤه [٤١٢/١] ظ خصه به من النبوة
والحجج التي آتاه دليلاً على صدقه - كما أتى ^(١) سائر المرسلين غيره من الأعلام
والأدلة على صدقهم - ^(٢) وحجة على نبوته ^(٣) .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴾ (٥٢) .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ ﴾ : فلما وجد
عيسى منهم الكفر .

و « الإحساس » هو الوجود ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مَنْ
أَحَدٍ ﴾ [مرم : ٩٨] .

فأما « الحش » بغير ألف ، فهو : الإفناء والقتل ، ومنه قوله : ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ
بِإِذْنِهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] . و « الحش » أيضاً : العطف والروقة . ومنه قول

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « أن » .

(٢ - ٢) في م : « الحجة على نبوتهم » .

الْكُمَيْتِ^(١) :

هل مَن بَكَى الدَّارَ رَاجٍ أَنْ تَحْسَ لَهُ أَوْ يُثَكِّي الدَّارَ مَاءَ الْعَبْرَةِ الْخَضِلِ^(٢)
يعنى بقوله : أَنْ تَحْسَ لَهُ : أَنْ تَرَقَّ لَهُ .

فتأويل الكلام : فلَمَّا وجد عيسى مَن بنى إسرائيل الذين أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ،
جحدوا لنبوتِهِ ، وتكذبوا / لقوله ، وصداً عما دعاهم إليه مَن أمرِ الله ، قال : ﴿ مَن
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ يعنى بذلك : قال عيسى : مَن أَغْوَانِي عَلَى الْمَكْذِبِينَ بِحُجَّةِ اللَّهِ ،
وَالْمُؤَلِّينَ عَنْ دِينِهِ ، وَالْجَاهِدِينَ نُبُوَّةَ نَبِيِّهِ ، إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟
ويعنى بقوله : ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾ : مع الله .

وإنما حَسُنَ أَنْ يُقَالَ : ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾ . بمعنى : مع الله ؛ لَأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ إِذَا
ضَمُّوا الشَّيْءَ إِلَى غَيْرِهِ ، ثُمَّ أَرَادُوا الْخَبَرَ عَنْهُمَا بَضْمٌ أَحَدُهُمَا مَعَ الْآخِرِ إِذَا ضُمَّ إِلَيْهِ ،
جَعَلُوا مَكَانَ « مَعَ » « إِلَى » أحياناً ، وأحياناً تُخْبِرُ عَنْهُمَا بـ « مَعَ » ، فتقول : الذُّودُ^(٣)
إِلَى الذُّودِ إِبْلٌ . بمعنى : إِذَا ضَمَمْتَ الذُّودَ إِلَى الذُّودِ صَارَتْ إِبْلًا . فأما إِذَا كَانَ
الشَّيْءُ مَعَ الشَّيْءِ لَمْ يَقُولُوهُ بـ « إِلَى » ، وَلَمْ يَجْعَلُوا مَكَانَ « مَعَ » « إِلَى » ، غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ
يُقَالَ : قَدِيمٌ فَلَانٌ وَإِلَيْهِ مَالٌ . بمعنى : ومعه مَالٌ .

وبمثل ما قلنا فى تأويل قوله : ﴿ مَن أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ قال جماعة

(١) شعر الكميت بن زيد الأسدي ١٢/٢ .

(٢) الخضل : كل شئ نَدِ يَتَرَشَّشُ مِنْ نِدَاهِ فَهُوَ خَضِلٌ ، وَقَدْ خَضِلَ الثَّوبُ دَمْعُهُ : بَلَّه . اللسان (خ ض ل) .

(٣) الذُّودُ : ثلاثة أبعدة إلى التسعة . وقيل : إلى العشرة . وقيل : من ثلاث إلى خمس عشرة . وقيل : من ثلاث إلى العشرين وفوق ذلك . وقيل : ما بين الثلاث إلى الثلاثين أو ما بين الثلاثين إلى التسع . تاج العروس (ذ و د) .

من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي قوله : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ يقول : مع الله ^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ يقول : مع الله ^(١) .

وأما سبب استنصار عيسى عليه السلام من استنصر من الحواريين ، فإن بين أهل العلم فيه اختلافاً ؛ فقال بعضهم : كان سبب ذلك ما حدثني به موسى ابن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي : لما بعث الله عيسى ، فأمره بالدعوة ، نفته بنو إسرائيل وأخرجوه ، فخرج هو وأمه يسبحون في الأرض ، فنزل في قرية على رجل ، فضافهم وأحسن إليهم ، وكان لتلك المدينة ملك جبار معتد ، فجاء ذلك الرجل يوماً وقد وقع عليه همٌّ وحزنٌ ، فدخل منزله ومريم عند امرأته ، فقالت مريم لها : ما شأن زوجك ؟ أراه حزينا ! قالت : لا تسألي . قالت : أخبريني لعل الله يفرج كربته . قالت : فإن لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوماً يطعمه هو وجنوده ، ويشقيهم من الخمر ، فإن لم تفعل عاقبه ، وإنه قد بلغت نوبته اليوم الذي يريد أن يصنع له فيه ، وليس لذلك عندنا سعة . قالت : فقولى له : لا يهتم ، فإنني أمرت ابني فيدعو له فيكفي ذلك . قالت مريم لعيسى في ذلك ، قال عيسى : يا أمّة ، إنني إن فعلتُ كان في ذلك شرٌّ . قالت : فلا تُبال ، فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا . قال عيسى : فقولى له : إذا اقترب ذلك ،

فَأَمَّا قُدُورُكَ وَخَوَابِيكَ^(١) ماءً، ثُمَّ أَغْلِفْنِي^(٢). فَلَمَّا مَلَأْهُنَّ أَغْلَمَهُ، فَدَعَا اللَّهَ، فَتَحَوَّلَ مَا فِي الْقُدُورِ لَحْمًا وَمَرَقًا وَخَبْرًا، وَمَا فِي الْخَوَابِي^(٣) خَمْرًا، لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَآتَاهُ طَعَامًا^(٤)، فَلَمَّا جَاءَ الْمَلِكُ أَكَلَ، فَلَمَّا شَرِبَ الْخَمْرَ سَأَلَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا الْخَمْرُ؟ قَالَ لَهُ: هِيَ مِنْ أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا. قَالَ الْمَلِكُ: فَإِنْ خَمَرِي أُوتِيَتْ بِهَا مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ، فَلَيْسَ هِيَ مِثْلُ هَذِهِ. قَالَ: هِيَ مِنْ أَرْضٍ أُخْرَى. فَلَمَّا خَلَطَ عَلَى الْمَلِكِ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَنَا أُخْبِرُكَ، عِنْدِي غَلَامٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَإِنَّهُ دَعَا اللَّهَ، فَجَعَلَ الْمَاءَ خَمْرًا. قَالَ الْمَلِكُ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَخْلِفَهُ، فَمَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ، وَكَانَ أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنْ رَجُلًا دَعَا اللَّهَ حَتَّى / جَعَلَ الْمَاءَ خَمْرًا، لَيْسَتْ جَابَتْنِ لَهُ حَتَّى يُخَيِّئَ ابْنِي. فَدَعَا عِيسَى فَكَلَّمَهُ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ فَيُخَيِّئَ ابْنَهُ، فَقَالَ عِيسَى: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّهُ إِنْ عَاشَ كَانَ شَرًّا. فَقَالَ الْمَلِكُ: لَا أَبَالِي أَلَيْسَ أَرَاهُ؟ فَلَا أَبَالِي مَا كَانَ. فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِنْ أَحْبَبْتَهُ تَتَرَكُونِي أَنَا وَأُمِّي نَذْهَبُ أَيْنَمَا شِئْنَا؟ قَالَ الْمَلِكُ: نَعَمْ. فَدَعَا اللَّهَ، فَعَاشَ الْغَلَامُ. فَلَمَّا رَأَاهُ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ قَدْ عَاشَ، تَنَادَوْا بِالسَّلَاحِ. وَقَالُوا: أَكَلْنَا هَذَا، حَتَّى إِذَا دَنَا مَوْتُهُ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ ابْنَهُ، فَيَأْكُلْنَا كَمَا أَكَلْنَا أَبُوهُ! فَاقْتَتَلُوا. وَذَهَبَ عِيسَى وَأُمَّهُ، وَصَحْبُهُمَا يَهُودِيٌّ، وَكَانَ مَعَ الْيَهُودِيِّ رَغِيفَانِ، وَمَعَ عِيسَى رَغِيفٌ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: شَارِكْنِي. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَعَمْ. فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ

٢٨٥/٣

(١) الْخَوَابِي، جَمْعُ خَايَةٍ، وَهِيَ الْجُزْءُ الْكَبِيرَةُ، تَرَكَوْا هَمْزَتَهَا كَمَا تَرَكَوْا هَمْزَةَ الْبَرِّيَّةِ، وَالذَّرِّيَّةُ تَخْفِيفُ الْكَثْرَةِ الْاسْتِعْمَالِ. تَاجُ الْعُرُوسِ (خ ب أ).

(٢) بَعْدَهُ فِي ص، م، ت ١، س: «قَالَ».

(٣ - ٤) سَقَطَ مِنْ: ت ١، س.

ليس مع عيسى إلا رغيْفٌ نَدِيمٌ . فلَمَّا نَامَا جَعَلَ الْيَهُودِيُّ يَرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ الرِّغِيْفَ ، فلَمَّا أَكَلَ لُقْمَةً قَالَ لَهُ عَيْسَى : مَا تَصْنَعُ ؟ فَيَقُولُ : لَا شَيْءَ . فَيَطْرَحُهَا ، حَتَّى فَرَّغَ مِنَ الرِّغِيْفِ كُلِّهِ . فلَمَّا أَصْبَحَا قَالَ لَهُ عَيْسَى : هَلُمَّ طَعَامَكَ . فَجَاءَ بِرَغِيْفٍ ، فَقَالَ لَهُ عَيْسَى : أَيْنَ الرِّغِيْفُ الْآخَرُ ؟ قَالَ : مَا كَانَ مَعِيَ إِلَّا وَاحِدٌ . فَسَكَتَ عَنْهُ عَيْسَى . فَانْطَلَقُوا ، فَمَرُّوا بِرَاعِي غَنَمٍ ، فَنَادَى عَيْسَى : يَا صَاحِبَ الْغَنَمِ ، [١٣/١] أَجْزَرْنَا شَاةَ مِنْ غَنَمِكَ . قَالَ : نَعَمْ ، أُرْسِلْ صَاحِبَكَ يَأْخُذْهَا . فَأَرْسَلَ عَيْسَى الْيَهُودِيَّ ، فَجَاءَ بِالشَّاةِ ، فَذَبَحَهَا وَشَوَّوْهَا ، ثُمَّ قَالَ لِلْيَهُودِيَّ : كُلْ وَلَا تَكْسِرْ عَظْمًا . فَأَكَلَا ، فلَمَّا شَبِعُوا قَذَفَ عَيْسَى الْعِظَامَ فِي الْجَلْدِ ، ثُمَّ ضَرَبَهَا بِعَصَاهُ ، وَقَالَ : قَوْمِي بِإِذْنِ اللَّهِ . فَقَامَتِ الشَّاةُ تَنْغُو^(١) ، فَقَالَ : يَا صَاحِبَ الْغَنَمِ ، خُذْ شَاتَكَ . فَقَالَ لَهُ الرَّاعِي : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ . قَالَ : أَنْتَ السَّاحِرُ ! وَفَرَّ مِنْهُ . قَالَ عَيْسَى لِلْيَهُودِيَّ : بِالَّذِي أَحْيَا هَذِهِ الشَّاةَ بَعْدَ مَا أَكَلْنَاهَا ، كَمْ كَانَ مَعَكَ رَغِيْفًا ؟ فَحَلَفَ مَا كَانَ مَعَهُ إِلَّا رَغِيْفٌ وَاحِدٌ . فَمَرُّوا بِصَاحِبِ بَقَرٍ ، فَنَادَى عَيْسَى ، فَقَالَ : يَا صَاحِبَ الْبَقَرِ ، أَجْزَرْنَا مِنْ بَقَرِكَ هَذِهِ عِجْلًا . قَالَ : ابْعَثْ صَاحِبَكَ يَأْخُذْهُ . قَالَ : انْطَلِقْ يَا يَهُودِيَّ فَيَجِيءُ بِهِ . فَانْطَلَقَ فَجَاءَ بِهِ . فَذَبَحَهُ وَشَوَّاهُ ، وَصَاحِبُ الْبَقَرِ يَنْظُرُ ، فَقَالَ لَهُ عَيْسَى : كُلْ وَلَا تَكْسِرْ عَظْمًا . فلَمَّا فَرَّغُوا قَذَفَ الْعِظَامَ فِي الْجَلْدِ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِعَصَاهُ ، وَقَالَ : قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ . فَقَامَ وَلَهُ خُورًا . قَالَ : خُذْ عَجَلَكَ . قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَيْسَى . قَالَ : أَنْتَ السَّحَّارُ ! ثُمَّ فَرَّ مِنْهُ . قَالَ الْيَهُودِيَّ : يَا عَيْسَى أَخِيَّتَيْتَهُ بَعْدَ مَا أَكَلْنَاهُ ! قَالَ عَيْسَى : فَبِالَّذِي أَحْيَا الشَّاةَ بَعْدَ مَا أَكَلْنَاهَا ، وَالْعَجَلَ بَعْدَ مَا أَكَلْنَاهُ ، كَمْ كَانَ مَعَكَ رَغِيْفًا ؟ فَحَلَفَ

(١) التَّغَاءُ : صَوْتُ الشَّاةِ وَالْمَعَزِ وَمَا شَاكَلَهَا ، وَقَدْ تَغَا يَتَغَوُ وَتَغَتْ تَتَغَوُ تَغَاءُ : أَيْ صَاحَتِ . اللَّسَانُ (ث غ و) .

بِاللَّهِ مَا كَانَ مَعَهُ إِلَّا رَغِيفٌ وَاحِدٌ. فَانْطَلَقَا حَتَّى نَزَلَا قَرْيَةً، فَنَزَلَ الْيَهُودِيُّ
أَعْلَاهَا، وَعِيسَى فِي أَسْفَلِهَا، وَأَخَذَ الْيَهُودِيُّ عَصَا مِثْلَ عَصَا عِيسَى ^(١)، وَقَالَ:
أَنَا الْآنَ أَحْيَى الْمَوْتَى. وَكَانَ مَلِكُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ مَرِيضًا شَدِيدَ الْمَرَضِ، فَانْطَلَقَ
الْيَهُودِيُّ يُنَادِي: مَنْ يَتَّبِعْنِي طَبِيبًا. حَتَّى أَتَى مَلِكَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ، فَأُخْبِرَ بِوَجْعِهِ،
فَقَالَ: أَدْخِلُونِي عَلَيْهِ، فَأَنَا أُبْرِئُهُ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُ قَدْ مَاتَ فَأَنَا أُحْيِيهِ. فَقِيلَ لَهُ: إِنْ
وَجَعَ الْمَلِكُ قَدْ أَغْمَا الْأَطِبَاءَ قَبْلَكَ، لَيْسَ مِنْ طَبِيبٍ يُدَاوِيهِ وَلَا يُفِيءُ ^(٢) دَوَائِهِ شَيْئًا
إِلَّا أُبْرِئَ بِهِ فَصُلِبَ. قَالَ: أَدْخِلُونِي عَلَيْهِ، فَإِنِّي سَأُبْرِئُهُ. فَأَدْخِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ
بِرِجْلِ الْمَلِكِ، فَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ حَتَّى مَاتَ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِعَصَاهُ وَهُوَ مَيِّتٌ،
وَيَقُولُ: قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ. فَأَخَذَ لِيُصْلَبَ، فَبَلَغَ عِيسَى، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، وَقَدْ رُفِعَ عَلَى
الْحَشَبَةِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَيْتُمْ لَكُمْ صَاحِبَكُمْ أَتَتَرَكُونَنِي صَاحِبِي؟ قَالُوا:
نَعَمْ. فَأَخْبَا اللَّهُ الْمَلِكَ لِعِيسَى، فَقَامَ وَأُنْزِلَ الْيَهُودِيُّ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ ^(٣):
يَا عِيسَى، أَنْتَ أَغْظَمُ النَّاسِ عَلَيَّ مِثَّةً، وَاللَّهِ لَا أَفَارِقُكَ أَبَدًا ^(٤).

قال عيسى - فيما حدثنا / به محمد بن الحسين بن موسى، قال: ثنا أحمد بن
المفضل قال: ثنا أسباط، عن السدي - لليهودي: أنشدك بالذي أخيا الشاة
والعجل بعد ما أكلناهما، وأخيا هذا بعد ما مات، وأنزلك من الجذع بعد ما
رُفِعْتَ ^(٥) عليه لتُصْلَبَ، كم كان معك رغيفا؟ قال: فحلف بهذا كله، ما كان معه

٢٨٦/٣

(١) في س: «موسى».

(٢) في مصدر التخريج: «يغني». وأصل الفئ: الرجوع، وقيد بعضهم بالرجوع إلى حالة حسنة. تاج
العروس (ف ي أ).

(٣) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٣، س.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٩٦/٤٧، ٣٩٧ من طريق عمرو بن حماد، عن أسباط، عن السدي،
عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٥) في ص، ت ٢: «رفعك».

إلا رَغِيفٌ واحدٌ . قال : لا بأس . فأنطلقا حتى مرّا على كَنْزٍ قد حَفَرْتُهُ السَّبَاعُ والدُّوَابُّ ، فقال اليهوديُّ : يا عيسى ، لِمَنْ ^(١) هذا المَالُ ؟ قال عيسى : دَعُهُ ، فإن له أَهْلًا يَهْلِكُونَ عليه . فجَعَلَتْ نَفْسُ الْيَهُودِيِّ تَطْلُعُ إِلَى الْمَالِ ، وَيَكْرَهُ أَنْ يَعْصِيَ عيسى ، فأنطلق مع عيسى ، ومَرَّ بِالْمَالِ أَرْبَعَةً نَفَرٍ . فَلَمَّا رَأَوْهُ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فقال اثنان لصاحِبَيْهِمَا : انطلقا فائتاعا لنا طعامًا وشرابًا ودوابَّ نَحْمِلُ عَلَيْهَا هَذَا الْمَالَ . فأنطلق الرجلان فائتاعا دوابَّ وطعامًا وشرابًا ، وقال أحدهما لصاحِبِهِ : هل لك أَنْ نَجْعَلَ لصاحِبَيْنَا فِي طَعَامِهِمَا سُمْيًا ، فَإِذَا أَكَلَا مَاتَا ، فَكَانَ الْمَالُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؟ فقال الْآخَرُ : نعم . ففَعَلَا ، وقال الْآخَرَانِ : إِذَا مَا أَتَيْنَا بِالطَّعَامِ ، فَلْيَقُمْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى صَاحِبِهِ فَيَقْتُلْهُ ، فَيَكُونَ الطَّعَامُ وَالِدُّوَابُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . فلما جَاءَا بِطَعَامِهِمَا قَامَا فَقَتَلَاهُمَا ، ثُمَّ قَعَدَا عَلَى الطَّعَامِ ، فَأَكَلَا مِنْهُ فَمَاتَا ، وَأُعْلِمَ ذَلِكَ عيسى ، فقال لليهوديِّ : أَخْرِجْهُ حَتَّى نَقْتَسِمَهُ . فَأَخْرَجْهُ ، فَقَسَمَهُ عيسى بَيْنَ ثَلَاثَةٍ ، فقال اليهوديُّ : يا عيسى ، اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي ، فَإِنَّمَا هُوَ أَنَا وَأَنْتَ ، مَا هَذِهِ الثَّلَاثَةُ ؟ قال له عيسى : هَذَا لِي ، وَهَذَا لَكَ ، وَهَذَا الثُّلُثُ لَصَاحِبِ الرَغِيفِ . قال اليهوديُّ : فَإِنْ أَخْبَرْتُكَ بِصَاحِبِ الرَغِيفِ تُعْطِينِي هَذَا الْمَالَ ؟ فقال عيسى : نعم . قال : أَنَا هُوَ . قال عيسى : خُذْ حَظِّي وَحَظُّكَ وَحَظُّ صَاحِبِ الرَغِيفِ ، فَهُوَ حَظُّكَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَلَمَّا حَمَلَهُ مَشَى بِهِ شَيْئًا ، فَخَسِيفَ بِهِ ، وَأَنْطَلَقَ عيسى ابْنُ مَرْيَمَ ، فَمَرَّ بِالْحَوَارِيِّينَ وَهُمْ يَضْطَادُونَ السَّمَكَ ، فقال : مَا تَصْنَعُونَ ؟ فقالوا : نَضْطَادُ السَّمَكِ . فقال : أَفَلَا تَمْتَشُونَ حَتَّى نَضْطَادَ النَّاسَ ؟ قالوا : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قال : أَنَا عيسى ابْنُ مَرْيَمَ . فَأَمَنُوا بِهِ ، وَأَنْطَلَقُوا مَعَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عِبَادِ بْنِ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية . قَالَ : اسْتَنْصَرَ فَنَصَرَهُ الْحَوَارِيُّونَ ، وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : كَانَ سَبَبَ اسْتِنْصَارِ عِيسَى مَنْ اسْتَنْصَرَ ؛ لِأَنَّهُ مَنْ اسْتَنْصَرَ الْحَوَارِيْنَ عَلَيْهِ كَانُوا أَرَادُوا قَتْلَهُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ ﴾ قَالَ : كَفَرُوا وَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَذَلِكَ حِينَ اسْتَنْصَرَ قَوْمَهُ ، قَالَ : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ ^(٢) .
وَالْأَنْصَارُ جَمْعُ نَصِيرٍ ، كَمَا الْأَشْرَافُ جَمْعُ شَرِيفٍ ، وَالْأَشْهَادُ جَمْعُ شَهِيدٍ .

/ وَأَمَّا « الْخَوَارِيُّونَ » ، فَإِنَّ أَهْلَ [٤١٣/١ ظ] التَّوَابِلِ اخْتَلَفُوا فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ سُمُّوا خَوَارِيِّينَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : سُمُّوا بِذَلِكَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ .

٢٨٧/٣

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمُحَارِبِيُّ ، قَالَ : مِمَّا رَوَى أَبِي ، قَالَ : ثنا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ ، عَنْ مَيْسِرَةَ ، عَنْ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : إِنَّمَا سُمُّوا الْخَوَارِيِّينَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ ^(٣) .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٥٩/٢ (٣٥٦٧) مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ الْحَنْفِيِّ بِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٥٩/٢ (٣٥٦٤) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ ثَوْرٍ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ أَيْضًا فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٣٥/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٥٩/٢ (٣٥٦٨) مِنْ طَرِيقِ مَيْسِرَةَ بِهِ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وقال آخرون : سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا قَصَّارِينَ يُبَيِّضُونَ الثِّيَابَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ أَبِي أَرْطَاةَ ، قَالَ : الْحَوَارِيُّونَ الْغَسَّالُونَ الَّذِينَ يَحْوِزُونَ الثِّيَابَ ؛ يَغْسِلُونَهَا ^(١) .

وقال آخرون : هم خاصةُ الأنبياءِ وصَفَوْهُمْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْمٍ ، عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، أَنَّ قَتَادَةَ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : كَانَ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ . فَقِيلَ لَهُ : مَنْ الْحَوَارِيُّونَ ؟ قَالَ : الَّذِينَ تَصْلُحُ لَهُمُ الْخِلَافَةُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي عَنْ الْمُتَنَجِّبِ ^(٣) بْنِ الْحَارِثِ ^(٤) قَالَ : ثنا يَشْرُبُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ﴾ [المائدة : ١١٢] . قَالَ : أَصْفِيَاءُ الْأَنْبِيَاءِ ^(٥) .

وَأَشْبَهُ الْأَقْوَالَ الَّتِي ذَكَرْنَا فِي مَعْنَى الْحَوَارِيِّينَ قَوْلُ مَنْ قَالَ : سُمُّوا بِذَلِكَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ ، وَلأنَّهُمْ كَانُوا غَسَّالِينَ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْحَوَارِ عِنْدَ الْعَرَبِ شِدَّةُ الْبَيَاضِ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْحَوَارِيُّ مِنْ

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٣ من طريق ورقاء ، عن ابن أبي أَرْطَاةَ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٩/٢ (٣٥٧٠) من طريق ابن علية به مختصراً .

(٣ - ٣) في النسخ : « قال ثنا الحسين » . وهو إسناد دائر لا ذكر للحسين فيه .

(٤) في م ، ت ١ ، س : « عن » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٠/٢ (٣٥٧٢) من طريق المنجاب به .

الطعام : حُوَارَى ؛ لشدة بياضه ، ومنه قيل للرجل الشديد البياض مُقْلَةُ العَيْنَيْنِ :
أحور . وللمرأة : حوراء .

وقد يجوزُ أن يكونَ حوارِيُّ عيسى كانوا سُئِمُوا بالذى ذَكَرْنَا مِنْ تَبْيِضِهِمْ
الثياب ، وأنهم كانوا قَصَّارِينَ ، فَعَرَفُوا بصحبة عيسى ، واختياره إِيَّاهُمْ لنفسه
أصحابًا وأنصارًا ، فَجَرَى ذلك الاسمُ لَهُمْ ، واسْتُعْمِلَ حتى صارَ كُلُّ خاصيةٍ للرجلِ
مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَنْصَارِهِ حَوَارِيَّةً ، ولذلك قالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ ،
وحَوَارِيُّ الزَّبِيرِ »^(٢) . يعنى خاصته ، وقد تُسَمَّى العربُ النساءَ اللواتى مَسَاكُنُهُنَّ
القرى والأمصَارُ « حَوَارِيَّاتٍ » ، وإنما سُمِّينَ بذلكَ لغلبةِ البياضِ عليهن ، ومن ذلك
قولُ أَبِي جَلْدَةَ اليَشْكُرِيُّ^(٣) :

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ^(٤) يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا تَبْكِينَا إِلَّا الْكَلَابُ النَّوَابِغُ
ويغنى بقوله : ﴿ قَالَكُ الْخَوَارِثُونَ ﴾ : قال هؤلاء الذين صفتهم ما ذكرنا مِنْ
تَبْيِضِهِمُ الثِّيَابِ : ﴿ أَمَّا بِاللَّهِ ﴾ : / صدَّقنا بالله ، واشْهَدْ أَنْتَ يَا عيسى بأننا
مسلّمون . ٢٨٨/٣

وهذا خبرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الإسلامَ دينُهُ الذى ابْتَعَثَ بِهِ عيسى والأنبياءُ
قَبْلَهُ ، لا النصرانيةَ ولا اليهوديةَ ، وَتَبَرُّثُهُ مِنَ اللَّهِ لعيسى مِمَّنْ انْتَحَلَ النصرانيةَ ، ودانَ
بِهَا ، كما بَرَأَ إبراهيمُ مِنَ سَائِرِ الأديانِ غَيْرِ الإسلامِ ، وذلكَ احتِجَاجٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَى وَفْدِ نَجْرَانَ .

(١) فى ص ، ت ٢ ، س : « إن لكل » وهو لفظ بعض الروايات .

(٢) أخرجه أحمد ٢٠٠/٢٢ ، ٢٠١ (١٤٢٩٧) ، والبخارى (٢٨٤٧ ، ٣٧١٩ ، ٤١١٣ ، ٧٢٦١) ،
ومسلم (٢٤١٥) من حديث جابر .

(٣) البيت فى الوحشيات ص ٢٩ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ص ١٠٧ ، ولسان العرب (ح و ر) .

(٤) فى الوحشيات ، والمؤتلف والمختلف : « لنساء المصر » .

كما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْبِرِ : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ وَالْعُدْوَانَ ﴿ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ وهذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم ، ﴿ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ لا كما يقول هؤلاء الذين يُحاجُّونك فيه - يعنى وفد نصارى نَجْرَانَ ^(١) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٥٢) .

وهذا خبرٌ من الله عزَّ وجلَّ عن الخواريين أنهم قالوا : ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا ﴾ أى : صدَّقنا ﴿ بِمَا أُنزِلَتْ ﴾ يعنى : بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك ، ﴿ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ يعنى بذلك : صرنا أتباع عيسى ، على دينك الذى ابتعنته به ، وأعوانه على الحق الذى أرسلته به إلى عبادك .

وقوله : ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ يقول : فأثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق ، وأقرؤوا لك بالتوحيد ، وصدقوا رؤسك ، واتبعوا أمرك ونهيك ، فاجعلنا فى عدادهم ومعهم ، فيما تُكرِّمهم به من كرامتك ، وأجلنا محلهم ، ولا تجعلنا ممن كفر بك ، وصدَّ عن سبيلك ، وخالف أمرك ونهيك .

يُعرَفُ خلقه جلُّ ثناؤه بذلك سبيلَ الذين رضى أقوالهم وأفعالهم ، ليُحتذوا طريقهم ، ويتَّبِعُوا مِنْهَا جَهْمَ ، فيصِلوا إلى مثل الذى وصلوا إليه من درجاتِ كرامته ، ويُكذِّبُ بذلك الذين انتحلوا من المِلَلِ غيرِ الحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ ، فى دَعَوَاهُمْ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ ، أنهم كانوا على غيرِها ، وَيُحْتَجُّ بِهِ عَلَى الْوَفْدِ الَّذِينَ حَاجُّوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ

(١) سيرة ابن هشام ٥٨٢/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٨/٢ ، ٦٦٠ (٣٥٦٣ ، ٣٥٧٤ ، ٣٥٧٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

أَهْلٍ نَجْرَانَ ، بَأَنَّ قَيْلَ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَتْبَاعِ عِيسَى ، كَانَ خِلَافَ قَيْلِهِمْ ، وَمِنْهَا جَهْمٌ غَيْرُ مِنْهَا جَهْمٌ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْبَرِ : ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ . أَى : هَكَذَا كَانَ قَوْلُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ ^(١) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ ^(٥٤) .
يَعْنَى بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَمَكَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّ عِيسَى أَحْسَنَ مِنْهُمْ الْكَفَرِ .

وَكَانَ مَكْرُهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ مُوَاطَاةَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا عَلَى الْفِتَنِ بِعِيسَى وَقَتْلِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بَعْدَ إِخْرَاجِ قَوْمِهِ إِلَيْهِ وَأُمُّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ ، عَادَ إِلَيْهِمْ ، فِيمَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ : ثُمَّ إِنَّ عِيسَى [١٤٤/١] سَارَ بِهِمْ ، يَعْنَى بِالْحَوَارِيِّينَ / الَّذِينَ كَانُوا يَصْطَادُونَ السَّمَكَ ، فَأَمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ إِذْ دَعَاهُمْ ، حَتَّى أَتَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا فَصَاحَ فِيهِمْ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَتَأَمَّنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ﴾
الآيَةُ [الصَّف : ١٤] .

وَأَمَّا مَكْرُؤُ اللَّهِ بِهِمْ ، فَإِنَّهُ - فِيمَا ذَكَرَ الشُّدِّيُّ - إِلْقَاؤُهُ شَبَّةَ عِيسَى عَلَى بَعْضِ أَتْبَاعِهِ ، حَتَّى قَتَلَهُ الْمَآكِرُونَ بِعِيسَى ، وَهُمْ يَحْسَبُونَهُ عِيسَى ، وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ عِزَّهُ وَجَلَّ عِيسَى قَبْلَ ذَلِكَ .

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٠/ ٢ (٣٥٧٦) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

كما حدثني محمد بن الحسين، قال : ثنا أحمد بن المفضل، قال : ثنا أشباط، عن الشَّذِيِّ : ثم إن بنى إسرائيل حَصَرُوا عيسى وتسعةَ عشرَ رجلاً من الحَوَارِيِّينَ في بيتٍ ، فقال عيسى لأصحابه : مَنْ يَأْخُذُ صُورَتِي فَيُقْتَلْ وله الجنة ؟ فَأَخَذَهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ ، وَصُعِدَ بِعِيسَى إِلَى السَّمَاءِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ . فَلَمَّا خَرَجَ الْحَوَارِيُّونَ أَبْصَرُوهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّ عِيسَى قَدْ صُعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَجَعَلُوا يَعْذُونَ الْقَوْمَ ، فَيَجِدُونَهُمْ يَنْقُصُونَ رَجُلًا مِنَ الْعِدَّةِ ، وَيَرَوْنَ صُورَةَ عِيسَى فِيهِمْ ، فَشَكُّوا فِيهِ ، وَعَلَى ذَلِكَ قَتَلُوا الرَّجُلَ ، وَهُمْ يُرَوْنَ أَنَّهُ عِيسَى ، وَصَلَبُوهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧] .

وقد يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى مَكَرِ اللَّهِ بِهِمْ اسْتِدْرَاجَهُ إِيَّاهُمْ ؛ لِيُبْلَغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ ، كَمَا قَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ^(١) [البقرة : ١٥] .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله ، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم ، إذ قال الله جل ثناؤه : إني مُتَوَفِّيكَ . ف ﴿ إِذْ ﴾ صلة من قوله : ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ يعنى : ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى : إني مُتَوَفِّيكَ ورافعك إلى فتوفاه ورفعاه إليه .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى « الوفاة » التى ذكرها الله عز وجل في هذه الآية ؛ فقال بعضهم : هى وفاة نوم . وكان معنى الكلام على مذهبهم : إني مُنِيْمُكَ

ورافعك في نومك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِى الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبْعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّ مُتَوَفِّيكَ ﴾ . قَالَ : يَعْنِي وَفَاةَ الْمَنَامِ ؛ رَفَعَهُ اللَّهُ فِي مَنَامِهِ . قَالَ الْحَسَنُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْيَهُودِ : « إِنْ عَيْسَى لَمْ يَمُتْ ، وَإِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَيْكُمْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : إِنِّ قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ فَرَاغُكَ إِلَيَّ . قَالُوا : وَمَعْنَى الْوَفَاةِ الْقَبْضُ . / كَمَا يُقَالُ : تَوَفَّيْتُ مِنْ فُلَانٍ مَا لِيَ عَلَيْهِ . بِمَعْنَى : قَبَضْتُهُ وَاسْتَوْفَيْتُهُ . ٢٩٠/٣
قَالُوا : فَمَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ . أَى : قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى إِلَى جَوَارِي ، وَآخِذُكَ إِلَى مَا عِنْدِي بِغَيْرِ مَوْتٍ ، وَرَافِعُكَ مِنْ بَيْنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : ثنا ضَمْرَةُ بْنُ رَيْعَةَ ، عَنْ ابْنِ شَوْذَبٍ ، عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ إِنِّ مُتَوَفِّيكَ ﴾ . قَالَ : مُتَوَفِّيكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَيْسَ بِوَفَاةٍ مَوْتٍ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (بتحقيق حكمت بشير ياسين) ٢٩٦/٢ (٦٤٢) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به ، عن الحسن قوله . وينظر تفسير ابن كثير ٣٨/٢ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (بتحقيق حكمت بشير ياسين) ٢٩٦/٢ (٦٤١) ، وأبو نعيم في الحلية ١٣٠/٦ من طريق ضمرة به .

الحسن في قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ . قال : مُتَوَفِّيكَ مِنَ الْأَرْضِ ^(١) .

حدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : فَرَفَعَهُ إِلَيْهِ تَوَفَّيَهُ إِلَيْهِ ، وَطَهَّرَهُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ^(٢) .

حدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، أن كعب الأخبار قال : ما كان الله عز وجل ليُمَيِّتَ عيسى ابن مريم ، إنما بعثه الله داعياً ومُبَشِّراً يَدْعُو إِلَيْهِ وَحْدَهُ ، فلما رأى عيسى قَلَّةَ مَنْ اتَّبَعَهُ ، وكَثَرَةَ مَنْ كَذَّبَهُ ، شكَا ذلك إلى الله عز وجل ، فأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ . وليس من رَفَعْتُهُ عِنْدِي مَيِّتًا ، وإِنِّي سَأَبْعُثُكَ عَلَى الْأَعْوَرِ الدَّجَالِ ، فَتَقْتُلُهُ ، ثُمَّ تَعِيشُ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْبَعًا وَعَشْرِينَ سَنَةً ، ثُمَّ أَمَيِّتُكَ مَيِّتَةَ الْحَيِّ . قال كعب الأخبار : وذلك يُصَدِّقُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ : « كَيْفَ تَهْلِكُ أُمَّةٌ أَنَا فِي أَوَّلِهَا ، وَعِيسَى فِي آخِرِهَا ؟ » ^(٣) .

حدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ يَلْعِيسُ إِلَيَّ مُتَوَفِّيكَ ﴾ . أُنَى : قَابَضُكَ .

حدَّثَنِي يُونُسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ إِنِّي

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦١/ ٢ (٣٥٨٢) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٢/ ٢ (٣٥٨٦) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج ببعضه .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦/ ٢ إلى المصنف ، والمرفوع أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ٣٩٤ ،

٣٩٥ من حديث ابن عباس .

(تفسير الطبري ٥/ ٢٩)

﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى﴾ . قال : ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضُكَ . قال : و ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ و ﴿وَرَافِعُكَ﴾ واحدٌ . قال : ولم يَمُتْ بعدُ حتى يَقْتُلَ الدِّجَالُ ، وسيَمُوتُ . وقَرَأَ قولَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ . قال : رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كَهْلًا . قال : وَيَنْزِلُ كَهْلًا ^(١) .

حدَّثنا محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحَنَفِيُّ ، عن عبادٍ ، عن الحسنِ ، في قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ نَحْنُ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى﴾ الآية كُلِّهَا . قال : رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، فهو عندهُ في السَّمَاءِ ^(٢) .

وقال آخرون : معنى ذلك : إني مُتَوَفِّيكَ وفاةً موبِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ . يقولُ : إني مُمِيتُكَ ^(٣) .

/ حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عَمَّنْ لَا يَتَّبِعُهُمْ ، عن وهبِ ابنِ مُنَبِّهِ الْيَمَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ : تَوَفَّى اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ [٤١٤/١] مِنْ النَّهَارِ ، حَتَّى رَفَعَهُ إِلَيْهِ ^(٤) .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، قال : والنصارى يَزْعُمُونَ

(١) ذكره الطوسي في التبيان ٤٧٨/٢ ، والقرطبي في تفسيره ١٠٠/٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦١/٢ (٣٥٨٤) من طريق أبي بكر الحنفى به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦١/٢ (٣٥٨٠) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦١/٢ (٣٥٨١) من طريق سلمة به .

أنه تَوَفَّاهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ ، ثُمَّ أَحْيَاهُ اللَّهُ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : معنى ذلك : إِذْ قَالَ اللَّهُ : يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ إِلَىٰ مُطَهَّرٍ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَتُتَوَفَّيْكَ بَعْدَ إِنْزَالِي إِيَّاكَ إِلَى الدُّنْيَا . وقالوا ^(٢) : هَذَا مِنَ الْمُقَدَّمِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّأَخِيرُ ، وَالْمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول مَنْ قال : معنى ذلك : إِنِّي قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ . لتَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ ، ثُمَّ يَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ - مَدَّةَ ذِكْرَهَا ، ^(٣) اِخْتَلَفَ الرَّوَاةُ ^(٤) فِي مَبْلَغِهَا - ثُمَّ يَمُوتُ ، فَيُصَلَّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ » .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزَّهْرِيِّ ، عن حَنْظَلَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَسْلَمِيِّ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَيُهْبِطَنَّ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا ، وَإِمَامًا مُقْسِطًا ، يَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخَنَزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجُزْيَةَ ، وَيُفِيضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَجِدَ مَنْ يَأْخُذُهُ ، وَلَيْشَلُكَنَّ الرُّوحَاءُ حَاجًّا أَوْ مَعْتَمِرًا ، أَوْ لَيْتِنَيَّيْنِ ^(٥) بِهِمَا جَمِيعًا » ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ ، عن

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٨ / ٢ .

(٢) فى م : « قال » .

(٣ - ٣) فى م : « اختلفت الرواية » .

(٤) فى م : « يدين » . وينظر مصادر التخرىج الآتية .

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٤٢) ، والحميدى (١٠٠٥) ، وأحمد ٢١٧ / ١٢ ، ١٠٩ / ١٣ ، ٢٨٠ ،

٢٨١ ، ٣٨٧ / ١٦ ، ٥٧١ ، ٧٢٧٣ ، ٧٩٠٣ ، ٧٦٨١ ، ١٠٦٦١ ، ١٠٩٧٤ ، ١٢٥٢) ، وابن

حبان (٦٨٢٠) ، والبيهقى ٢ / ٥ ، والبقوى (٤٢٧٨) من طريق الزهري به ..

قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ :
 « الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينتهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى
 ابن مريم؛ لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه خلقتني على أمتي، وإنه نازل، فإذا
 رأيتموه فاغرفوه، فإنه رجل مزبورع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الشعر كأن
 شعره يقطر، وإن لم يصبه بلل، بين مُصْرَتَيْن^(١)، يدق الصليب، ويقتل الخنزير،
 ويفيض المال، ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها،
 ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال، وتقع في الأرض الأمانة،
 حتى تزفع الأسود مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئب مع الغنم، وتلقب الغلمان
 بالحيات، لا يضرب بعضهم بعضاً، فيثبت في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلى
 المسلمون عليه ويدفنونه^(٢) » .

قال أبو جعفر : ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل لم يكن بالذي يميتُه ميتة
 أخرى، فيجمع عليه ميتتين؛ لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم،
 ثم يحييهم، كما قال جل ثناؤه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ
 يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ شَيْئًا ﴾ [الروم : ٤٠] .

٢٩٢/٣ / فتأويل الآية إذن : قال الله لعيسى : يا عيسى إني قابضك من الأرض،
 ورافئك إلى، ومطهرتك من الذين كفروا فجحداوا نبوتك .

وهذا الخبر وإن كان مخرجه مخرج خبر، فإن فيه من الله عز وجل احتجاجاً
 على الذين حاجوا رسول الله ﷺ في عيسى من وفد نجران، بأن عيسى لم يقتل ولم

(١) المصرة من الثياب : التي فيها صفرة خفيفة . النهاية ٣٣٦/٤ .

(٢) أخرجه أحمد ١٥٣/١٥ ، ١٥٤ (٩٢٧٠) ، وأبو داود (٤٣٢٤) ، وابن حبان (٦٨٢١) ، والحاكم

٥٩٥/٢ من طريق قتادة به، وسيأتي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به في ٦٧٤/٧ .

يُضْلَبْ ، كما زعموا ، وأنهم واليهود - الذين أقروا بذلك ، وادَّعَوْا على عيسى - كَذِبَةً فِي دَعْوَاهُمْ وَزَعِيمَهُمْ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ الزَّيْبِرِ : ثم أَخْبَرَهُمْ - يعنى الوفدَ مِنْ نَجْرَانَ - وَرَدُّ عَلَيْهِمْ فِيمَا أَخْبَرُوا هُمْ ^(١) واليهودُ ^(٢) بِصَلْبِهِ ، كَيْفَ رَفَعَهُ وَطَهَّرَهُ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ^(٣) .

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . فإنه يعنى : مُنْظَفُكَ فَمُخْلَصُكَ مِمَّنْ كَفَرَ بِكَ وَجَحَّدَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ ، مِنَ الْيَهُودِ وَسَائِرِ الْمِلَلِ غَيْرِهَا .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ الزَّيْبِرِ : ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قَالَ : إِذْ هُمُّوا مِنْكَ بِمَا هُمُّوا ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، عن عبادٍ ، عن الحسنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قَالَ : طَهَّرَهُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ ، وَمِنْ كَفَّارِ قَوْمِهِ ^(٥) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَيَّ

(١) سقط من : ص ، ت ، ٢ ، س .

(٢) فِي ص ، ت ، ٢ : « لليهود » .

(٣) سيرة ابن هشام فِي ١ / ٥٨٢ .

(٤) سيرة ابن هشام ١ / ٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فِي تفسيره ٢ / ٦٦٢ (٣٥٨٥) من طريق سلمة ، عن ابن إِسْحَاقَ قَوْلَهُ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم فِي تفسيره ٢ / ٦٦٢ (٣٥٨٧) من طريق أبي بكر الحنفى بِهِ .

يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿٥٥﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : وجاعلُ الذين اتَّبَعوكَ على مِنْهاجِكَ ومِلَّتِكَ مِنَ الإسلامِ وفِطْرَتِهِ ، فوقَ الذين جحدوا نبوتَكَ ، وخالفوا بسبيلهم جميعَ أهلِ المللِ ، فكذبوا بما جئتَ به ، وصدّوا عن الإقرارِ به ، فمُصَيِّرُهُم فوقَهُم ظاهرينَ عليهم .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ فى قوله : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ : هم أهلُ الإسلامِ الذين اتَّبَعوه على فِطْرَتِهِ ومِلَّتِهِ وسُنَّتِهِ ، فلا يزالون ظاهرينَ على مَنْ ناولَهُم إلى يومِ القيامةِ ^(١) .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قوله : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ . ثم ذكرَ نحوه ^(٢) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ ، ثم ذكرَ نحوه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ ، قال : ناصِرُ مَنْ اتَّبَعَكَ على الإسلامِ ، على الذين كفروا إلى يومِ القيامةِ ^(٣) .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٢/٢ ، ٦٦٣ (٣٥٨٩ ، ٣٥٩٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٢/٢ (٣٥٨٨) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج بنحوه .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ^(١) ، قَالَ : ثنا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، عَنْ
السَّيِّدِ : ﴿ وَجَاعِلُ / الَّذِينَ [١٠٥/١] اتَّبَعُواكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ : ٢٩٣/٣
أما ﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُواكَ ﴾ ، فيقال : هم المؤمنون . ^(٢) ويقال : بل ^(٣) هم الرؤم .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عُبَادٍ ، عَنْ الْحُسَيْنِ :
﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُواكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ قَالَ : جعل الذين اتَّبَعُوهُ
فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ . قال : المسلمون من فوقهم ، وجعلهم أعلى ممن
ترك الإسلام إلى يوم القيامة ^(٤) .

وقال آخرون : معنى ذلك : وجاعل الذين اتَّبَعُواكَ من النصارى فوق اليهود .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قال ابنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ :
﴿ وَمَطْهَرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : الذين كفروا من بنى إسرائيل ،
﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُواكَ ﴾ قال : الذين آمنوا به من بنى إسرائيل وغيرهم ﴿ فَوْقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا ﴾ النصارى فوق اليهود إلى يوم القيامة . قال : فليس بلد فيه أحد من النصارى
إلا وهم فوق يهود في شرق ولا غرب ، هم في البلدان كلها مُسْتَدْلُونَ ^(٥) .

القول في تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَيْكَ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ

(١) في ص : « الفضل » .

(٢ - ٣) في م : « وليس » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٢/٢ (٣٥٩٠) من طريق أحمد بن الفضل به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٣/٢ (٣٥٩٣) من طريق آخر عن الحسن بنحوه .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

تَخْلِفُونَ ﴿٥٥﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ ﴾ : ثم إلى الله أيها المختلفون في عيسى ﴿ مَرْجِعُكُمْ ﴾ . يعنى : مصيركم يوم القيامة . ﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ . يقول : فأقضى حيثئذ بين جميعكم في أمر عيسى بالحق ﴿ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴾ من أمره .

وهذا من الكلام الذى صُرف من الخبر عن الغائب إلى مخاطبة ، وذلك أن قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ . إنما قصد به الخبر عن مُتَّبِعِي عيسى والكافرين به . وتأويل الكلام : وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إلى مَرْجِعِ الفريقين ؛ الذين اتبعوك والذين كفروا بك ، فأحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون . ولكن رد الكلام إلى الخطاب لسبق ^(١) القول ، على سبيل ما ذكرنا من الكلام الذى يخرُج على وجه الحكاية ، كما قال : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَاحِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَئَةٍ ﴾ [يونس : ٢٢] .

القول فى تأويل قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ : فأما الذين جحدوا نبوتك يا عيسى ، وخالفوا ملئت ، وكذبوا بما جئتهم به من الحق ، وقالوا فيك الباطل ، وأضافوك إلى غير الذى ينبغي أن يُضيفوك إليه ، من اليهود والنصارى ، وسائر أصناف الأديان ، فإنى أعذبهم عذابًا شديدًا ، أمّا فى الدنيا فبالقتل والسبأ والذلة

وَالْمَسْكِينَةَ ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَبِنَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا . ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ
تَنْصِيرِينَ ﴾ . يقول : وما لهم من عذابِ اللَّهِ مانعٌ ، ولا عن أليمِ عقابه لهم دافعٌ ، بقوةٍ
ولا شفاعَةٍ ؛ لأنه العزيزُ ذو الانتقامِ .

/ وأما قوله : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ . فإنه يغنى تعالى ٢٩٤/٣
ذكره : وأما الذين آمنوا بك يا عيسى - يقول : صدقوك - فأقرؤا نبؤتك وبما جئتهم
به من الحقِّ من عندي ، ودأبوا بالإسلام الذي بعثتك به ، وعملوا بما فرضت من
فرائضي على لسانك ، وشرعت من شرائعي ، وسنتت من سنني .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةٌ ، عن عليٍّ ،
عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ . يقول : أدؤوا فرائضي ^(١) .

﴿ فَيُؤْفِقُهُمْ أَجُورَهُمْ ﴾ يقول : فيُعْطِيهِمْ جزاءَ أعمالِهِم الصالحةِ كاملاً ، لا
يُخَسِّنُونَ منه شيئاً ولا يُنْقِصُونَهُ .

وأما قوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ . فإنه يغنى : واللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ ظَلَمَ غَيْرَهُ
حقاً له ، أو وَضَعَ شيئاً في غيرِ موضِعِهِ .

فنَقَى جُلَّ ثَنَائِهِ عن نفسه بذلك أن يُظْلِمَ عباده ، فيُجَازِي المَسِيءَ مَنْ كَفَرَ جزاءَ
المُحْسِنِينَ مَنْ آمَنَ به ، أو يُجَازِي المُحْسِنَ مَنْ آمَنَ به وَاتَّبَعَ أمره ، وانتهى عما نهاه عنه
فأطاعه ، جزاءَ المُسِيئِينَ مَنْ كَفَرَ به ، وكذَّبَ رسله ، وخالفَ أمره ونهيَه ، فقال : إني
لَأُحِبُّ الظَّالِمِينَ ، فكيف أَظْلِمُ خَلْقِي ؟

وهذا القولُ مِنَ اللَّهِ تعالى ذكره وإن كان خَرَجَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ ، فإنه ^(٢) وعيدٌ منه

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

(٢) في م : « كأنه » .

للكافرين به وبرسله ، ووعدُ منه للمؤمنين به وبرسله ؛ لأنه أعلم الفريقين جميعاً أنه لا يَحْسُنُ هذا المؤمنُ حقُّه ولا يَظْلُمُ كرامته فيَضَعُها في من كَفَر به وخالف أمره ونهيّه ، فيكونَ لها بوضعها في غير أهلها ظالماً .

القول في تأويل قوله : ﴿ ذَلِكْ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ ذَلِكْ ﴾ : هذه الأنباء التي أنبأ بها نبيّه عن عيسى وأمّه مريم ، وأمّها حنّة ، وزكريا وابنه يحيى ، وما قصّ من أمرِ الحواريّين واليهود من بنى إسرائيل - نتلوها عليك يا محمد . يقول : نَقْرُؤُها عليك يا محمد ، على لسانِ جبريلَ بوخيناها إليك . ﴿ مِنَ الْآيَاتِ ﴾ . يقول : مِنَ الْعِبَرِ وَالْحُجَجِ عَلَى مَنْ حَاجَّكَ مِنْ وَفِدِ نَصَارَى نَجْرَانَ ويهود بنى إسرائيل ، الذين كَذَّبوك وكَذَّبُوا ما جئتُهم به مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِي . ﴿ وَالذِّكْرِ ﴾ . يعنى : وَالْقُرْآنِ ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ . [١٥/١٥٤] يعنى ذا الْحِكْمَةِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وبينك وبينَ نَاسِيِ الْمَسِيحِ إِلَى غيرِ نَسْبِهِ .

كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمد بنِ جعفر بنِ الزبير : ﴿ ذَلِكْ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ : الْقَاطِعِ الْفَاصِلِ الْحَقِّ ، الَّذِى لَمْ يَخْلُطْهُ الْبَاطِلُ ، مِنَ الْخَبَرِ عَنْ عِيسَى ، وَعَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِهِ ، فَلَا تَقْبَلَنَّ خَبْرًا غَيْرَهُ ^(١) .

حدّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زُهَيْرٍ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاك : ﴿ ذَلِكْ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ قال : الْقُرْآنُ ^(٢) .

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٦٥ (٣٦٠٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٧ إلى المصنف .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَالذِّكْرُ ﴾ . يَقُولُ : الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي حِكْمَتِهِ ^(١) .

/ الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ : إِنَّ شَبَهَ عِيسَى فِي خَلْقِي إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ فَحَلٍ - فَأَخْبِرْ بِهِ يَا مُحَمَّدُ الْوَفْدَ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ - عِنْدِي كَشَبَهِ آدَمَ ، الَّذِي خَلَقْتُهُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : كُنْ . فَكَانَ ، مِنْ غَيْرِ فَحَلٍ ، وَلَا ذَكْرٍ ، وَلَا أُنْثَى . يَقُولُ : فَلَيْسَ خَلَقِي عِيسَى مِنْ أُمِّهِ ، مِنْ غَيْرِ فَحَلٍ ، بِأَعْجَبَ مِنْ خَلْقِي آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكْرٍ وَلَا أُنْثَى ، فَكَانَ لَحْمًا ، يَقُولُ : وَأَمْرِي إِذْ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكُونَ فَكَانَ ، فَكَذَلِكَ خَلَقِي عِيسَى ، أَمَرْتُهُ أَنْ يَكُونَ فَكَانَ .

وَذَكَرَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ اخْتِجَاجًا لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَى الْوَفْدِ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ الَّذِينَ حَاجُّوهُ فِي عِيسَى .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ^(٢) ، عَنْ مُغِيرَةَ ، عَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : كَانَ أَهْلُ نَجْرَانَ أَعْظَمَ قَوْمٍ مِنَ النَّصَارَى فِي عِيسَى قَوْلًا ، فَكَانُوا يُجَادِلُونَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَتَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٤٧/٢ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٤٧٦/٢ .

(٢) في س : « جوير » . وينظر تهذيب الكمال ٥٤٠/٤ .

الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾ .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عَمِي ، قال : ثنا أَبِي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . وذلك أن رَهْطًا مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ ، قَدِمُوا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وكان فيهم السيد والعاقب ، فقالوا لمحمد : ما شأنك تذكّر صاحبنا ؟ فقال : « من هو ؟ » . قالوا : عيسى ، تزعم أنه عبد الله . فقال محمد : « أجل ، إنه عبد الله » . قالوا له : فهل رأيت مثل عيسى ، أو أنبئت به ؟ ثم خرجوا من عنده ، فجاءه جبريل عليه السلام بأمر ربنا السميع العليم ، فقال : قل لهم إذا أتوك : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ إلى آخر الآية ^(١) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ : ذكر لنا أن سيدي أهل نجران وأسقفهم السيد والعاقب ، لقيا نبي الله ﷺ فسألاه عن عيسى ؟ فقالا : كل آدمي له أب ، فما شأن عيسى لا أب له ؟ فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(٢) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٨/١٢ ، ٥٤٩/١٤ من طريق جرير به مختصراً ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٠ - تفسير) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٧/٢ (٣٦١٦) من طريق مغيرة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٢ إلى عبد بن حميد وأبي نعيم .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٥/٢ (٣٦٠٦) عن محمد بن سعد به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

السُّدِّيُّ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ : لما بُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وسمع به أهلُ نَجْرَانَ ، أتاه منهم أربعة نفرٍ من خيارِهِم ؛ منهم العاقبُ ، والسيدُ ، وماسِرَجِسُّ ، وماريَحُزُّ^(١) ، فسألوه ما يقولُ / في عيسى ؟ فقال : ٢٩٦/٣ « هو عبدُ اللَّهِ وروحُه وكلمته » . قالوا هم : لا ، ولكنه هو اللَّهُ ، نزلَ مِنْ مُلْكِهِ ، فدخلَ في جوفِ مَرْيَمَ ، ثم خرجَ منها ، فأرانا قدرته وأمره ، فهل رأيتَ قطُّ إنسانًا خُلِقَ مِنْ غيرِ أبٍ ؟ فأنزلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٢) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عكرمةَ قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . قال : نزلتْ في العاقبِ والسيدِ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ ، وهما نَصْرَانِيَّانِ^(٣) .

قال ابنُ جُرَيْجٍ : بلغنا أن نصارى أَهْلِ نَجْرَانَ قَدِيمٌ وفدُهم على النبي ﷺ ، فيهم السيدُ والعاقبُ ، وهما يومئذٍ سيدا أَهْلِ نَجْرَانَ ، فقالوا : يا محمدُ ، فيم تشتمُ صاحبنا ؟ قال : « مَنْ صاحبُكما ؟ » . قالا : عيسى ابنُ مريمَ ، تزعمُ أنه عبدٌ . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَجَلُ ، إنه عبدُ اللَّهِ وكلمته ألقاها إلى مريمَ^(٤) وروحُ منه^(٥) » . فغضبوا وقالوا : إن كنتَ صادقًا ، فأرنا عبدًا يُحْيِي الموتى ، ويُرِي الأَكْمَةَ ، ويَخْلُقُ

(١) في ت ١ ، س : « مار بحر » ، وفي م : « ماريحز » .

(٢) عراه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

(٣) عراه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

(٤ - ٥) سقط من : ص ، ت ٢ .

مِن الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ - الْآيَةُ - لَكِنَّهُ اللَّهُ . فَسَكَتَ حَتَّى أَتَاهُ جَبْرِيلُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ١٧ ، ٧٢] الْآيَةُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا جَبْرِيلُ ، إِنَّهُمْ سَأَلُونِي أَنْ أُخْبِرَهُمْ بِمَثَلِ عِيسَى » . قَالَ جَبْرِيلُ : مَثَلُ عِيسَى كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ، [١/٤١٦] ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُنْ . فَيَكُونُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا عَادُوا ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْآيَاتِ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْبِرِ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ ﴾ فَاسْمَعْ ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٥٩] أَلَحَقُ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ . فَإِنْ قَالُوا : خَلَقَ عِيسَى مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ . فَقَدْ خَلَقْتُ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ بِتِلْكَ الْقُدْرَةِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْشَى وَلَا ذَكَرٍ ، فَكَانَ كَمَا كَانَ عِيسَى لَحْمًا وَدَمًا وَشَعْرًا وَبَشَرًا ، فَلَيْسَ خَلْقُ عِيسَى مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ﴾ . قَالَ : أَتَى نَجْرَانِيَّانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَا لَهُ : هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدًا وُلِدَ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ فَيَكُونُ عِيسَى كَذَلِكَ ؟ قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، أَكَانَ لآدَمَ أَبٌ أَوْ أُمٌّ ! كَمَا خَلَقْتُ هَذَا فِي

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ ، ٣٨ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٨٢ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٦٥ (٣٦٠٧) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

بطن هذه .

فإن قال قائل : فكيف قال : ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْتُمْ ﴾ . و « آدَمَ » معرفة ، والمعارف لا تُوصَلُ ؟

قيل : إن قوله : ﴿ خَلَقْتُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ . غير صلة لآدم ، وإنما هو بيان عن أمره ، على وجه التفسير عن المثل الذي ضربه ، وكيف كان .

وأما قوله : ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . فإِنما قال : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ . وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم ، وذلك خبر عن أمر قد تقضى ، وقد أخرج الخبر عنه مخرج الخبر عما قد مضى ، فقال جل ثناؤه : ﴿ خَلَقْتُمْ / مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . لأنه ٢٩٧/٣ بمعنى الإعلام من الله نبيه أن تكوينه الأشياء بقوله : ﴿ كُنْ ﴾ . ثم قال : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ . خبراً مُبتدأً ، وقد تنهى الخبر عن أمر آدم عند قوله : ﴿ كُنْ ﴾ .

فتأويل الكلام إذن : إن مثل عيسى عند الله كمثلي آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن . واعلم يا محمد أن ما قال له ربك : كن . فهو كائن .

فلما كان في قوله : ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْتُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ ﴾ . دلالة على أن الكلام يُراد به إعلام نبي الله ﷺ وسائر خلقه أنه كائن ما كونه ابتداءً من غير أصلي ولا أول ولا غنضير ، استغنى بدلالة الكلام على المعنى ، وقيل : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ . فعطف بالمستقبل على الماضي ، على ذلك المعنى .

وقد قال بعض أهل العربية : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ رُفِعَ على الابتداء ، ومعناه : كُنْ فكان . فكأنه قال : فإذا هو كائن .

القول في تأويل قوله : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : الذى أنبأك به من خبر عيسى ، وأن مثله كمثلي آدم خلقه من تراب ، ثم قال له ربّه : ﴿ كُنْ ﴾ . هو ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ يقول : هو الخبر الذى هو من عند ربك ، ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَرَيِّنَ ﴾ يعنى : فلا تكن من الشاكين فى أن ذلك كذلك .

كما حدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَرَيِّنَ ﴾ يعنى : فلا تكن فى شك من عيسى أنه كمثلي آدم عبد الله ورسوله ، وكلمة الله وروحه ^(١) .

حدّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَرَيِّنَ ﴾ . يقول : فلا تكن فى شك مما قصصنا عليك أن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمة منه وروح ، وأن مثله عند الله كمثلي آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : ﴿ كُنْ ﴾ فيكون .

حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ : ما جاءك من الخبر عن عيسى . ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَرَيِّنَ ﴾ ، أى : قد جاءك الحق من ربك فلا تترّ فيه ^(٢) .

حدّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَرَيِّنَ ﴾ . قال : والمترون الشاكون .

والبرية والشك والرئب واحد سواء ، كهية ما تقول : أعطينى ، وناولنى ،

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/٢ إلى المصنف .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٨٢/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٦/٢ (٣٦١٠ ، ٣٦١٢) من طريق عبد الله بن إدريس وسلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

وَهَلُمَّ . فهذا مختلفٌ في الكلام ، وهو واحدٌ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْنِدْعُ ابْنَآءَنَا وَابْنَآءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (١) .

يعنى بقوله جلّ ثناؤه : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ ﴾ : فمن جادلَكَ يا محمدُ في المسيحِ عيسى ابنِ مريمَ .

والهاءُ / في قوله : ﴿ فِيهِ ﴾ عائدةٌ على ذكرِ « عيسى » ، وجائزٌ أن تكونَ عائدةٌ على « الحقِّ » الذى قال تعالى ذكره : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ .

ويعنى بقوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ : من بعدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ الذى قد بينَّته لك فى عيسى أنه عبدُ اللَّهِ ، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا ﴾ : هَلُمُّوا ، فلندعُ ﴿ ابْنَآءَنَا وَابْنَآءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾ يقولُ : ثم نلتعن .

يقالُ فى الكلام : ما له ؟ بهلهُ اللَّهُ ! أى : لعنهُ اللَّهُ . وما له ؟ عليه بُهْلَةُ اللَّهِ ! يُرِيدُ اللعنَ . وقال ليبيدٌ ، وذكر قومًا هلكوا ، فقال (١) :

* نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَابْتَهِلَ *

يعنى : دعا عليهم بالهلاكِ .

﴿ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ منا ومنكم فى أنه (٢) عيسى .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ فَمَنْ

(١) شرح ديوان ليبيد ص ١٩٧ ، وعجز البيت : فى قروم سادة من قومه

(٢) فى م : « آية » .

حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴿١﴾ : أى فى عيسى [١/٤١٦ظ] أنه عبدُ الله ورسوله ، من كلمة الله وزوجه ، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةٌ ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمدِ بنِ جعفرِ ابنِ الزبيرِ : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ : أى : من بعد ما قَصَصْتُ عليك من خبره ، وكيف كان أمره ، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ الآية ^(٢) .

حَدَّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ . يقولُ : مَنْ حَاجَّكَ فى عيسى من بعد ما جاءك فيه من العلم ^(٣) .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ ثُمَّ نَبْتَلِ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ . قال : منا ومنكم .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : وثنى ابنُ لهيعةً ، عن سليمانَ بنِ زيادٍ الحَضْرَمِيِّ ، عن عبدِ الله بنِ الحارثِ بنِ جَزْءِ الرُّيْدِيِّ ، أنه سمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يقولُ : « ليت بينى وبين أهل نجران حجاباً ، فلا أراهم ولا يَرَوْنى » . من شدة ما كانوا يُمازُونَ النَّبِيَّ ﷺ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٦٦/٢ (٣٦١٣) من طريق شيبان عن قتادة نحوه .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٦٦/٢ (٣٦١٤) من طريق ابن إدريس عن ابن إسحاق قوله .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٦٦/٢ عقب الأثر (٣٦١٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) أخرجه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ص ٣٠١ والبخار (٣٧٨٦) من طريق ابن لهيعة به .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٦٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن هذا الذى أنبأتك به يا محمد من أمر عيسى ، فقصصته عليك من أنبائه ، وأنه عبدى ورشولى ، وكلمتى ألقىتها إلى مريم ، وروح منى ، لهو القصص والنبا الحق ، فأعلم ذلك ، وأعلم أنه ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه إياهم ، إلا معبودك الذى تعبد ، وهو الله العزيز الحكيم .

ويعنى بقوله : ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ : العزيز فى انتقامه ممن عصاه ، وخالف أمره ، وادعى معه إلها غيره ، أو عبد رباً سواه ، ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ فى تدبيره ، لا يدخل ما دبره وهن ، ولا يلحقه خلل .

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ . يعنى : فإن أذبر / هؤلاء الذين حاجوك فى عيسى عما جاءك ٢٩٩/٣ من الحق من عند ربك ، فى عيسى وغيره من سائر ما أتاك الله من الهدى والبيان ، فأعرضوا عنه ، ولم يقبلوه ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ . يقول : فإن الله ذو علم بالذين يغضون ربهم ، ويعملون فى أرضه وبلايه بما نهاهم عنه ، وذلك هو إفسادهم . يقول تعالى ذكره : فهو عالم بهم وبأعمالهم ، يخصيها عليهم ويحفظها ، حتى يجازيهم عليها جزاءهم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ : أى : إن هذا الذى جئت به من الخبر عن

عيسى ، ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ مِنْ أَمْرِهِ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جريج : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ : إن هذا الذى قلنا فى عيسى ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قوله : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ . قال : إن هذا القصصَ الحقَّ فى عيسى ، ما يَنْبَغِي لعيسى أن يَتَعَدَّى هذا ولا يُجَاوِزَهُ ^(٣) ؛ أن يَتَعَدَّى أن يكونَ كلمةَ اللَّهِ ألقاها إلى مريمَ ، ورُوحًا منه ، وعبدَ اللَّهِ ورسولَهُ ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ : إن هذا الذى قلنا فى عيسى هو الحقُّ ، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ الآية ^(٥) .

فلَمَّا فَصَلَ جَلِ ثَنَاؤُهُ بَيْنَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبَيْنَ الْوَفْدِ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ بِالْقَضَاءِ الْفَاصِلِ وَالْحُكْمِ الْعَادِلِ ، ^(٦) وَأَمْرِهِ ^(٦) - إن هم تَوَلَّوْا عما دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِوُحْدَانِيَةِ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا صَاحِبَةَ ، وَأَن عِيسَى عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَبُوهُ إِلَّا الْجَدَلَ ^(٧) وَالْخُصُومَةَ - أَن يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُلَاعَنَةِ ، ففَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٣ .

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٤٥٣ بنحوه .

(٣) فى ت ٢ ، ت ٣ : « يتجاوز » .

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٤٥٣ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٦٨ (٣٦٢٤) عن محمد بن سعد .

(٦ - ٦) كذا فى النسخ ، والصواب : أمره . بحذف الواو .

(٧) فى س : « الجدال » .

فَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْخَزَلُوا^(١) فَاثْتَنَعُوا مِنَ الْمُلَاعَنَةِ، وَدَعَوْا إِلَى الْمَصَالِحَةِ.

كالذى حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ :
فَأَمِرٌ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - بِمُلَاعَنَتِهِمْ - يَعْنِي بِمُلَاعَنَةِ أَهْلِ نَجْرَانَ - بِقَوْلِهِ : ﴿فَمَنْ
حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الْآيَةِ . فَتَوَاعَدُوا أَنْ يُلَاعِنُوهُ، وَوَاعَدُوهُ
الْغَدَ، فَاثْتَنَعُوا إِلَى السَّيِّدِ وَالْعَاقِبِ، وَ^(٢) «كَانَا أَعْقَلَهُمْ» فَتَابَعَاهُمْ، فَاثْتَنَعُوا إِلَى رَجُلٍ
مِنْهُمْ عَاقِلٍ، فَذَكَرُوا لَهُ مَا فَارَقُوا عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : مَا صَنَعْتُمْ ! وَنَدَّاهُمْ،
وَقَالَ لَهُمْ : إِنْ كَانَ نَبِيًّا، ثُمَّ دَعَا عَلَيْكُمْ، لَا يُغْضِبُهُ اللَّهُ فِيكُمْ أَبَدًا، وَلَوْ كَانَ مَلِكًا،
فَطَهَّرَ عَلَيْكُمْ لَا يَسْتَبْتِقِيكُمْ^(٣) أَبَدًا . قَالُوا : فَكَيْفَ لَنَا وَقَدْ وَاْعَدْنَا ؟ فَقَالَ لَهُمْ : إِذَا
غَدَوْتُمْ إِلَيْهِ، فَعَرَّضَ عَلَيْكُمْ الَّذِي فَارَقْتُمُوهُ عَلَيْهِ، فَقُولُوا : نَعُودُ بِاللَّهِ . فَإِنْ دَعَاكُمْ
أَيْضًا، فَقُولُوا^(٤) : نَعُودُ بِاللَّهِ . وَلَعَلَّهُ أَنْ يُعْفِيَكُمْ مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا غَدَوْا، غَدَا النَّبِيُّ ﷺ
مُحْتَضِنًا حَسَنًا، أَخِذًا بِيَدِ الْحُسَيْنِ، وَفَاطِمَةَ تَمْشِي خَلْفَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الَّذِي فَارَقُوهُ
عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ، [١٧/١٤٠] فَقَالُوا : نَعُودُ بِاللَّهِ . ثُمَّ دَعَاهُمْ، فَقَالُوا : نَعُودُ بِاللَّهِ . مِرَارًا،
قَالَ : «إِنْ أُيِّتُمْ فَأَسْلِمُوا، وَلَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ» كَمَا قَالَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، «إِنْ أُيِّتُمْ فَأَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ» كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ / ٣٠٠/٣
وَجَلَّ . قَالُوا : مَا نَمْلِكُ إِلَّا أَنْفُسَنَا . قَالَ : «إِنْ أُيِّتُمْ فَإِنِّي أَنْبِذُ إِلَيْكُمْ عَلَى سِوَاءِ كَمَا
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» . قَالُوا : مَا لَنَا طَاقَةٌ بِحَرْبِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ تُؤَدِّي الْجِزْيَةَ . قَالَ :
فَجَعَلَ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفِي^(٥) حُلَّةً ؛ أَلْفًا فِي رَجَبٍ، وَأَلْفًا فِي صَفَرٍ . فَقَالَ

(١) فِي س : «الْمُجَذَّبُوا» .

(٢ - ٣) فِي ص، ت ١، ت ٢، ت ٣ : «كَانَ أَعْقَلَهُمَا»، وَفِي س : «كَانَا أَعْقَلَهُمَا» .

(٣) فِي ص، ت ١، س : «يَسْبِقُنْكُمْ» .

(٤) بَعْدَهُ فِي م : «لَهُ» .

(٥) فِي س : «أَلْفُ أَلْفٍ» .

النبي ﷺ : « لَقَدْ أَتَانِي الْبَشِيرُ بِهَلَكَةِ أَهْلِ نَجْرَانَ ، حَتَّى الطَّيْرُ عَلَى الشَّجَرِ - أَوْ الْعَصَافِيرُ عَلَى الشَّجَرِ - لَوْ تَمَّتُوا عَلَى الْمَلَاعِنَةِ »^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، قَالَ : فَقُلْتُ لِلْمَغِيرَةِ : إِنْ النَّاسُ يَزُؤُونَ فِي حَدِيثِ أَهْلِ نَجْرَانَ أَنْ عَلِيًّا كَانَ مَعَهُمْ^(٢) . فَقَالَ : أَمَا الشَّعْبِيُّ فَلَمْ يَذْكُرْهُ ، فَلَا أَذْرَى لَشُؤِهِ رَأَى بَنِي أُمَيَّةَ فِي عَلِيٍّ ، أَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَدِيثِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ الزَّيْبِرِ : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ : فَدَعَاهُمْ إِلَى التَّصَفِّ^(٣) ، وَقَطَعَ عَنْهُمْ الْحُجَّةَ ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْخَبْرُ مِنَ اللَّهِ عَنْهُ ، وَالْفَصْلُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَأَمَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ مَلَاعِنَتِهِمْ ،^(٤) « إِنْ رَدُّوا » عَلَيْهِ ، دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، دَعْنَا نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ، ثُمَّ نَأْتِيكَ بِمَا^(٥) نُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ فِيمَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ . فَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ ، ثُمَّ خَلَوْا بِالْعَاقِبِ ، وَكَانَ ذَا رَأْيِهِمْ ، فَقَالُوا : يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ ، مَا تَرَى ؟ قَالَ : وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى ، لَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا لَتَنَبَّى مُرْسَلٌ ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَصْلِ مِنْ خَيْرِ صَاحِبِكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَا عَن قَوْمٍ نَبِيًّا قَطُّ ، فَبَقِيَ كِبِيرُهُمْ ، وَلَا نَبَتْ صَغِيرُهُمْ ، وَإِنَّهُ لَلِاسْتِثْصَالُ مِنْكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ أُيِّسْتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينِكُمْ ، وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ فِي صَاحِبِكُمْ ، فَوَادِعُوا الرَّجُلَ ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا إِلَى بِلَادِكُمْ حَتَّى يُرِيَكُمْ زَمَنٌ رَأَيْتَهُ . فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، قَدْ رَأَيْنَا أَلَّا تُلَاعِنَكَ ، وَأَنْ تَتْرَكَكَ عَلَى

(١) تقدم تخريجه في ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(٢) أى : كان مع النبي ﷺ وفاطمة والحسن والحسين ، كما سيأتى .

(٣) النصف ، الاسم من الإنصاف ، وهو أن تعطيه من الحق كالذى تستحقه لنفسك . التاج (ن ص ف) .

(٤ - ٤) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « أوردوا » ، وفي ت ١ ، س : « إذ ردوا » .

(٥) في ص ، ت ٢ : « فما » .

دينك ، ونزج على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا في أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضى^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عيسى بن فرقيد ، عن أبي الجارود ، عن زيد بن علي في قوله : ﴿ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ الآية . قال : كان النبي ﷺ وعلي فاطمة والحسن والحسين .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ فَمَنْ حَاكَمَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْإِلَهِ ﴾ الآية ، فأخذ - يعني النبي ﷺ - بيد الحسن والحسين وفاطمة ، وقال لعلي : « اتبعنا » . فخرج معهم ، فلم يخرج يومئذ النصارى ، وقالوا : إنا نخاف أن يكون هذا هو النبي^(٢) ، وليس دعوة النبي كغيرها . فتخلفوا عنه يومئذ ، فقال النبي ﷺ : « لو خرجوا لاحترقوا » . فصالحوه على صلح ، على أن له عليهم ثمانين ألفاً ، فما عجزت الدراهم ففي الغروض ؛ الجلة بأربعين ، وعلى أن له عليهم ثلاثاً وثلاثين درعاً ، وثلاثاً وثلاثين بغيراً ، وأربعة وثلاثين فرساً غازية كل سنة ، وأن رسول الله ﷺ ضامن لها حتى تؤدبها إليهم^(٣) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبى الله ﷺ دعا وفدًا من وفد نجران من النصارى ، وهم الذين حاسوه في عيسى ، فنكصوا عن ذلك ، وخافوا . / وذكر لنا أن نبى الله ﷺ كان يقول : « والذى نفسى ٣٠١/٣ محمد بيده ، إن كان العذاب لقد تدلى على أهل نجران ، ولو فعلوا لاستؤصلوا عن

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٣ ، ٥٨٤ .

(٢) بعده في النسخ : « صلى الله عليه وسلم » ، وليس في تفسير ابن أبي حاتم ، والنصارى أيضا لا تقوله .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٧/٢ (٣٦١٨) من طريق أحمد بن المفضل به مختصراً .

جديد^(١) الأرض^(٢) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ . قال : بلغنا أن النبي ﷺ خرج ليداعى^(٣) أهل نجران ، فلما رأوه خرج ، هابوا وفرقوا ، فرجعوا . قال معمر : قال قتادة : لما أراد النبي ﷺ أن يباهل^(٤) أهل نجران أخذ بيد حسن وحسين ، وقال لفاطمة : « اتبعينا » . فلما رأى ذلك أعداء الله رجعوا^(٥) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لو خرج الذين يباهلون النبي ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً^(٦) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا زكريا بن عدي ، قال : ثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثله^(٧) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسى بيده ، لو لا عثوني ما حال الحول ويحضرتهم منهم أحد إلا أهلك الله [١٧/١٤٧] الكاذبين » .

(١) جديد الأرض : وجهها . اللسان (ج د) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٢ إلى المصنف .

(٣) في م : « ليلاعن » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من تفسير عبد الرزاق .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١٢٢/١ .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١٢٣/١ ، ومن طريقه البخاري (٤٩٥٨) مختصراً ، والترمذي (٣٣٤٨) ، والنسائي في الكبرى (١١٦٨٥) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٨/٢ (٣٦٢٠) من طريق الحسن بن يحيى به .

(٧) في النسخ : « عن » ، وسيأتي على الصواب في ٥٩١/١٠ ، ٥٦١/١١ .

(٨) أخرجه البزار (٢١٨٩ - كشف) من طريق زكريا بن عدي به ، وأخرجه أحمد ٩٩/٤ (٢٢٢٦) ، =

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ زَيْدٍ ، قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : لَوْلَا عَنَتَ الْقَوْمُ ، بِمَنْ كُنْتَ تَأْتِي حِينَ قُلْتَ : ﴿ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ ؟ قَالَ : « حَسَنٌ وَحَسِينٌ » .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا « أَبُو بَكْرِ » الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا الْمُنْذِرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ، قَالَ : ثنا عَلْبَاءُ بْنُ أَحْمَرَ الشُّكْرِيُّ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴾ الْآيَةَ . قَالَ ^(١) : أُرْسِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى ^(٢) عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَابْنَيْهِمَا ^(٣) الْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ ، وَدَعَا الْيَهُودَ لِثَلَاثَةِ أَهْلِهِمْ ، فَقَالَ شَابٌّ مِنَ الْيَهُودِ : وَيَحْكُمُ ، أَلَيْسَ عَهْدُكُمْ بِالْأَمْسِ ^(٤) إِخْوَانَكُمْ الَّذِينَ مُسِيخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ ! لَا تُلَاعِنُوا . فَانْتَهَوْا ^(٥) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ يٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لأهل الكتاب ، وهم أهل التوراة والإنجيل : ﴿ تَعَالَوْا ﴾ : هَلُمُّوا ﴿ إِلَى / كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ . يعنى : إلى كلمة عدل ٣٠٢/٣

= والنسائي (١١٠٦١ - كبرى) ، وأبو يعلى (٢٦٠٤) من طريق عبيد الله به ، وأخرجه أحمد ٩٨/٤ (٢٢٢٥) من طريق عبد الكريم به .

(١ - ١) فى ص ، ت ١ : « أبو كريب » .

(٢) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣ - ٣) فى س : « فاطمة وابنها » .

(٤) بعده فى س : « من » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٩ ، ٤٠ إلى المصنف .

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَالْكَلِمَةُ الْعَدْلُ هِيَ أَنْ تُؤْخَذَ ^(١) اللَّهُ فَلَا تَعْبُدَ ^(٢) غَيْرَهُ ، وَتَبْرَأَ ^(٣) مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ ، فَلَا تُشْرِكْ ^(٤) بِهِ شَيْئًا .

وقوله : ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ . يقول : وَلَا يَدِينُ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ بِالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، وَيُعَظِّمُهُ بِالسُّجُودِ لَهُ ، كَمَا يَسْجُدُ لِرَبِّهِ ، ﴿ فَإِنْ قَوْلُوا ﴾ . يقول : فَإِنْ أَعْرَضُوا عَمَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْكَلِمَةِ السَّوَاءِ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِدَعَائِهِمْ إِلَيْهَا ، فَلَمْ يُجِيبُوكَ إِلَيْهَا ، ﴿ فَقُولُوا ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ^(٥) لِلْمُتَوَلِّينَ عَنْ ذَلِكَ : ﴿ أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَنْ نَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَزَلَتْ فِي يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَى مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ دَعَا يَهُودَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْكَلِمَةِ السَّوَاءِ ، وَهُمْ الَّذِينَ حَاجُّوا فِي إِبْرَاهِيمَ ^(٦) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ دَعَا الْيَهُودَ إِلَى الْكَلِمَةِ ^(٧) السَّوَاءِ .

(١) فِي ص ، ت ١ : « يُوحَد » ، وَفِي س : « تُوْحَد » .

(٢) فِي ص ، ت ١ : « يَعْبُد » .

(٣) فِي ص : « تَتَبَرَأ » ، وَفِي ت ١ : « يَبْرَأ » . وَفِي س : « تَبْرَأ » .

(٤) فِي ت ١ : « يَشْرِك » ، وَفِي س : « تُشْرِك » .

(٥) بَعْدَهُ فِي س : « فَقُولُوا » .

(٦) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمَشْهُور ٤٠/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

(٧) فِي ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ : « كَلِمَةٌ » .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ :
 بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا يَهُودَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى ذَلِكَ ، فَأَتَوْا عَلَيْهِ ، فَجَاهَدَهُمْ . قَالَ :
 دَعَاهُمْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ ﴾ الآية ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ نَزَلَتْ فِي الْوَفْدِ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ
 الزبير : ﴿ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الآية إلى قوله :
 ﴿ فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . قَالَ : فدعاهم إلى النَّصَفِ ، وقَطَعَ عنهم
 الْحُجَّةَ . يعني وفدَ نَجْرَانَ ^(٢) .

حَدَّثَنَا موسى ، قَالَ : ثنا عمرو ، قَالَ : ثنا أسباط ، عن السدي ، قَالَ : ثم دعاهم
 رسولُ اللَّهِ ﷺ - يعني الوفدَ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ - فقال : ﴿ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا
 إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الآية ^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ زَيْدٍ ، قَالَ : قال - يعني
 جَلَّ ثَنَاؤُهُ - : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصَصُ الْحَقُّ ﴾ في عيسى - على ما قد بيناه فيما
 مضى ^(٤) - قَالَ : فَأَتَوْا - يعني الوفدَ مِنْ نَجْرَانَ - فقال : ادْعُهُمْ إِلَى أَيْسَرِ مِنْ هَذَا ، قُلْ :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٩/٢ (٣٦٢٨) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج بنحوه .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٨٣/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٠/٢ (٣٦٣١) من طريق سلمة عن ابن إسحاق قوله .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٠/٢ إلى المصنف .

(٤) ينظر الأثر المتقدم في ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

﴿يَتَّاهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَوُ﴾ . فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ ﴿أَرْيَا بَا
مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، فَأَبْثُوا أَنْ يَقْبَلُوا هَذَا وَلَا الْآخَرَ .

وإنما قلنا : عَنَى بقوله : ﴿يَتَّاهَلُ الْكِتَابُ﴾ أهل الكتابين ؛ لأنهما جميعاً من
أهل الكتاب ، ولم يَخْصُصْ جُلُّ ثَنَاؤُهُ بقوله : ﴿يَتَّاهَلُ الْكِتَابُ﴾ بعضاً دونَ
بعض ، فليس بأن يَكُونُ مُوجَّهًا ذَلِكَ إلى أنه / مقصودٌ به أهل التوراة بأولى منه بأن
يَكُونُ مُوجَّهًا إلى أنه مقصودٌ به أهل الإنجيل ، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا
مَقْصُودِينَ به دونَ غيرهم من أهل التوراة . وإذ لم يَكُنْ أَحَدُ الفريقين بذلك بأولى من
الآخر ؛ لأنه لا دَلَالَةٌ على أنه المَخْصُوصُ بذلك من الآخر ، ولا أثرٌ صحيحٌ ، فالواجبُ
أن يَكُونَ كُلُّ كتابيٍّ معنيًا به ؛ لأن إفْرَادَ العبادةِ لِلَّهِ وحده ، وإخلاصَ التوحيدِ له ،
واجبٌ على كُلِّ مأمورٍ مِنْهُيٍّ ^(١) مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، واسمُ ^(٢) أهلِ الكتابِ يلزَمُ ^(٣) أهلَ
التوراةِ وأهلَ الإنجيل ، فكان معلومًا بذلك أنه غُنيى به الفريقان جميعًا .

وأما تأويلُ قوله : ﴿تَعَالَوْا﴾ . فإنه : أَقْبِلُوا وَهَلُّمُوا . وإنما هو «تَفَاعَلُوا» ، من
الْعَلُو ، فكان القائلُ لصاحبه : تعالَ إليَّ . قائلٌ ^(٤) : تَفَاعَلَ . مِنَ الْعَلُو ، كما يقالُ :
تَدَانَى مِنَى . مِنَ الدُّنُو ، وَتَفَارَبَ مِنَى . مِنَ الْقَرَبِ .

وقوله : ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ﴾ فإنها الكلمةُ العَدْلُ . والسواءُ مِنْ نَعْتِ
«الكلمة» .

وقد اِخْتَلَفَ أهلُ العربيةِ في وجهِ إِتْبَاعِ ﴿سَوَامٍ﴾ فِي الإِعْرَابِ «الكلمة» ،

(١) بعده في س : «عنه» .

(٢) سقط من : م ، وفي ص ، ت ١ ، ت ٣ ، س : «أنتم» ، وهو غير واضح في ت ٢ والصواب ما أثبتنا .

(٣) في م : «يعم» .

(٤) في م : «فلانه» ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «فلانك» .

وهو اسم لا صفة ؛ فقال بعض نحوي البصرة : ﴿سَوَاءٌ﴾ ؛ لأنها من صفة الكلمة ، وهى العدل ، وأراد مُستَوِيَّةً . قال : ولو أراد اشتواءً كان النصب ، وإن شاء أن يجعلها على الاستواءِ وَيَجُزُّ جاز ، ويجعله من صفة الكلمة ، مثل الخلق ؛ لأن الخلق هو المخلوق ، والخلق قد يكون صفةً واسماً ، ويجعل الاستواء مثل المُستَوِي ، قال عز وجل : [٤١٨/١] ﴿الَّذِي جَعَلَنَهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَلَفِ فِيهِ وَالْبَإِ﴾ [الحج : ٢٥] . لأن السواء للآخر ، وهو اسم ليس بصفة ، فيجوز على الأول ، وذلك إذا أراد به الاشتواء ، فإن أراد به مُستَوِيًّا جاز أن يُجْزَى على الأول . والرفع فى ذا المعنى جيد ؛ لأنها لا تُغَيَّرُ عن حالها ، ولا تُثَنَّى ، ولا تُجْمَع ، ولا تُؤَنَّثُ ، فأشبهت الأسماء التى هى مثل عدلٍ ورضى وجنب ، وما أشبه . ذلك ، وقالوا - (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم)^(١) - : فالسواء للمخيا ، والممات بهذا^(٢) المبتدأ .

وإن شئت أجزئته على الأول ، وجعلته صفةً مُقَدِّمَةً ، كأنها من سبب الأول ، فجزت عليه ، وذلك إذا جعلته فى معنى مُستَوِي . والرفع وجه الكلام كما فسرت لك .

وقال بعض نحوي الكوفة : ﴿سَوَاءٌ﴾ : مصدرٌ وُضِعَ مَوْضِعَ الفعل^(٣) ، يعنى موضعٌ مُتَسَاوِيَةٌ ومتساو ؛ فمرة يأتى على الفعل ، ومرة على المصدر ، وقد يقال فى ﴿سَوَاءٌ﴾ بمعنى عدلٍ : سَوَى وسَوَى . كما قال جل ثناؤه : ﴿مَكَانًا سَوَى﴾ [طه : ٥٨] . وسوى يُراد به عدلٌ ونصفٌ بيننا وبينك . وقد روى عن ابن مسعود أنه كان

(١) تأتى هذه القراءة عند تفسير الآية ٢١ من سورة الجاثية .

(٢) فى س : «فهذا» .

(٣) يعنى بالفعل هنا الوصف المشتق مثل فاعل ومفعول . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص ٥٢ .

يَقْرَأُ ذَلِكَ : (إِلَى كَلِمَةٍ عَدَلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) ^(١) .

وبمثل الذى قلنا فى تأويل قوله : ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ ^(٢) "وَأَنَّ السَّوَاءَ هُوَ الْعَدْلُ" ، قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿يَتَّاهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ : عَدْلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ الآية ^(٣) .

حدثنى المثنى : قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : ﴿قُلْ / يَتَّاهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ . بمثله ^(٤) . ٣٠٤/٣

وقال آخرون : هو قول لا إله إلا الله .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : قال أبو العالية : كلمة السواء لا إله إلا الله ^(٥) .

(١) هذا قول الفراء فى معانى القرآن ٢٢٠/١ ونسب هذه القراءة إلى ابن مسعود . وينظر المحرر الوجيز ٤٥٤/٢ .

(٢ - ٢) فى م : «بأن» ، وفى ت ١ ، س : «فإن» .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٠/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) فى ص ، ت ١ : «الآية» .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٠/٢ (٣٦٣٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٩/٢ (٣٦٢٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

وأما قوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾ . فإن «أن» في موضع خفضٍ ، على معنى : تعالوا إلى ألا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ .

وقد بيّنا معنى «العبادة» في كلام العرب فيما مضى ، ودلّلنا على الصحيح من معانيه بما أغنى عن إعادته ^(١) .

وأما قوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ . فإن اتخاذ بعضهم بعضاً ^(٢) ما كان بطاعة الأتباع الرؤساء فيما أمروهم به من معاصي الله ، وتزكيتهم ما نهوهم عنه من طاعة الله ، كما قال جل ثناؤه: ﴿اتَّخِذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرَبَّهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة : ٣١] .

كما حدّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، يقول : لا يطع بعضهم بعضاً في معصية الله ، ويقال : إنّ تلك الربوبية أن يطيع الناس سادتهم وقادتهم في غير عبادة ، وإن لم يصلّوا لهم ^(٣) .

وقال آخرون : اتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً سجود بعضهم لبعض .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا حفص بن عمر ^(٤) ، عن الحكم بن

(١) ينظر ما تقدم في ١/١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) بعده في م : «هو» .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤٠ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٧٠ (٣٦٣٤) من طريق ابن ثور عن ابن جريج مقتصرًا على آخره .

(٤) في س : «عمرو» .

أباي ، عن عكرمة في قوله : ﴿ وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . قال : سجود بعضهم لبعض^(١) .

وأما قوله : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . فإنه يعنى : فإن تولَّى الذين تدعونهم إلى الكلمة السواء عنها وكفروا ، فقولوا أنتم أيها المؤمنون لهم : اشهدوا علينا بأننا بما توليتم عنه ؛ من توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وأنه الإله الذى لا شريك له ، ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾ ، يعنى : خاضعون لله به ، مُتَذَلِّلُونَ له بالإقرار بذلك ، بقلوبنا وألسنتنا .

وقد بينا معنى « الإسلام » فيما مضى ، ودلّلنا عليه بما أغنى عن إعادته^(٢) .
القول فى تأويل قوله : ﴿ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٣) .

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ يَأْهَلُ الْكِتَابِ ﴾ : يا أهل التوراة والإنجيل . ﴿ لِمَ تُحَاجُّونَ ﴾ : لم تُجادِلون ﴿ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، وتخاصمون فيه ؟ يعنى : فى إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه .

وكان / حجاجهم فيه ادّعاء كل فريق من أهل هذين الكتائب أنه كان منهم ، وأنه كان يدين دين أهل نخلته^(٤) ، فعابهم الله عز وجل بادّعائهم ذلك ، ودل على مناقضتهم ودعواهم ، فقال : وكيف تدعون أنه كان على ملتكم ودينكم ، و^(٤) دينكم إما يهودية [١/٤١٨ ظ] أو نصرانية ، واليهودى منكم يزعم أن دينه إقامة

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٠/٢ (٣٦٣٥) من طريق حفص بن عمر به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٤٣٢/٢ .

(٣) فى س : « ملته » .

(٤) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أما » ، وبعده فى س : « ما » .

التوراة والعمل بما فيها ، والنصراني منكم يزعم أن دينه إقامة الإنجيل وما فيه ،
وهذان ^(١) كتابان لم ينزلا إلا بعد حين من مهلك إبراهيم ووفاته ، فكيف يكون
منكم ^(٢) ؟ فما ^(٣) وجه اختصاصكم فيه ، وادّعاءكم أنه منكم ، والأمر فيه على ما قد
علّمتم ؟

وقيل : نزلت هذه الآية في اختصاص اليهود والنصارى في إبراهيم ، وادّعاء كل
فريقي منهم أنه كان منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ،
وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن
أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة ، أو عكرمة ، عن ابن
عباس ، قال : اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله ﷺ ، فتنازعوا
عنده ، فقالت الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديًا . وقالت النصارى : ما كان
إبراهيم إلا نصرانيًا . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِيهِ
إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . قالت
النصارى : كان نصرانيًا . وقالت اليهود : كان يهوديًا . فأخبرهم الله أن التوراة
والإنجيل ^(٤) إنما أنزلا من بعده ، وبعده كانت اليهودية والنصرانية ^(٥) .

(١) في ص ، ت ١ : « هذا » .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « منهم » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أما » .

(٤ - ٤) في م : « ما أنزلا إلا » .

(٥) سيرة ابن هشام ٥٥٣/١ ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣٨٤/٥ من طريق يونس بن بكير به بأطول مما هنا .

(تفسير الطبري ٣١/٥)

حدثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادة قوله : ﴿يَتَأْهَلُ
الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ . يقول : لم تُحَاجُّوْنَ في إبراهيم وتزعمون أنه
كان يهوديًا أو نصرانيًا ، ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ -
فكانت اليهودية بعد التوراة ، وكانت النصرانية بعد الإنجيل - ﴿أَفَلَا
تَعْقِلُونَ﴾^(١) ؟

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في دَعْوَى اليهود إبراهيم أنه منهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادة ، قال : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ
اللَّهِ ﷺ دَعَا يَهُودَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى كَلِمَةِ السَّوَاءِ ، وَهُمْ الَّذِينَ حَاجُّوا فِي
إِبْرَاهِيمَ ، 'وَزَعَمُوا أَنَّهُ مَاتَ' يَهُودِيًّا ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَنَفَاهُمْ مِنْهُ ،
فَقَالَ : ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ
إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ
الرَّبِيعِ مِثْلَهُ^(٤) .

حدثني محمدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّوْنَ فِي

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤٥٦/٢ ، والبحر المحيط ٤٨٢/٢ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

إِبْرَاهِيمَ ﴿١﴾ . قال : اليهودُ ^(١) ، برآه ^(٢) الله عز وجل منهم ^(٣) حين ادعى كل أمة أنه منهم ، وألحق به المؤمنين من كان من أهل الحنيفية ^(٤) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

وأما قوله : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . فإنه يعنى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ : أفلا ^(٥) تفقهون ^(٦) خطأ قيلكم : إن إبراهيم كان يهوديًا أو نصرانيًا ، وقد علمتم أن اليهودية والنصرانية حدثت من بعد مهلكه بحين ؟

القول فى تأويل قوله : ﴿ هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجَجَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : هاأنتم ^(٧) القوم الذين خاصمتم وجادلتم ﴿ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ من أمر دينكم الذى وجدتموه فى كتبكم ، وأتاكم به رسل الله من عنده ، ومن غير ذلك مما أوتيتموه وثبتت عندكم صحته ، ﴿ فَلِمَ تُحَاجُّونَ ﴾ يقول : فلم تجادلون وتخاصمون ﴿ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ، يعنى : فى ^(٨) الذى لا علم

(١) بعده فى م ، ومصدرى التخريج : « والنصارى » . والمصنف إنما ذكر هذا الأثر والأثر قبله فى ذكر من قال : إن الآية نزلت فى اليهود ، وعلى إثباتها لا يكون فرق بين هذا القول والقول قبله .

(٢) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « برأهم » .

(٣) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « منه » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧١/٢ (٣٦٣٨) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، س .

(٦) سقط من : س ، وفى ص : « تفقهون » .

(٧) بعده فى م : « هؤلاء » .

(٨) سقط من : م .

لكم به من أمر إبراهيم ودينه ، ولم تجدوه في كتب الله ، ولا أتاكم به أنبياءكم ، ولا شاهدتموه فتعلموه .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ هَكَانَتْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجُّوا فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ : أمّا الذي لهم به علم ، فما حُرِّمَ عليهم وما أمروا به ، وأمّا الذي ليس لهم به علم ، فشان إبراهيم ^(١) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ هَكَانَتْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ . يقول : فيما شهدتم ، ورأيتم ، وعانيتم ، ﴿ فَلَمْ تُحَاجُّوا فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ، فيما لم تشهدوا ، ولم تروا ، ولم تعانوا ، ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يقول : والله يعلم ما غاب عنكم فلم تشهدوه ولم تروه ، ولم تأتكم به رسله ، من أمر إبراهيم وغيره من الأمور وما تجادلون فيه ؛ لأنه لا يغيب عنه شيء ، ولا يعزب عنه علم شيء في السماوات ولا في الأرض ، وأنتم لا تعلمون من ذلك إلا ما عاينتم فشهدتم ، أو أذركم علمه بالإخبار والسماع .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٢/٢ (٣٦٤٣، ٣٦٤٦) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٢/٢ (٣٦٤٢) من طريق ابن أبي جعفر به من قول أبي العالية .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦٧).

وهذا تكذيبٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ [١٩/١] دَعَاىَ الَّذِينَ جَادَلُوا فِي إِبْرَاهِيمَ وَمِلَّتِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَادَّعَوْا أَنَّهُ كَانَ عَلَى مِلَّتِهِمْ، وَتَبَرُّتُهُ^(١) لَهُمْ مِنْهُ، وَأَنَّهُمْ لَدِينِهِ مُخَالِفُونَ، وَقَضَاءُ مِنْهُ^(٢) عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَلِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ دِينِهِ، وَعَلَى مِثْهَاجِهِ وَشَرَائِعِهِ، دُونَ سَائِرِ أَهْلِ الْمَلَلِ وَالْأَدْيَانِ غَيْرِهِمْ.

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَا^(٣) كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، أَوْ^(٤) مَخْلُوقًا دُونَ خَالِقِهِ الَّذِي هُوَ إِلَهُ الْخَلْقِ / وَبَارئُهُمْ، ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾. يَعْنِي: مُتَّبِعًا أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ، مُسْتَقِيمًا ٣٠٧/٣ عَلَى مَحَبَّةِ الْهُدَى الَّتِي أُمِرَ^(٥) بِلِزْوِمِهَا، ﴿مُسْلِمًا﴾. يَعْنِي: خَاشِعًا لِلَّهِ بِقَلْبِهِ، مُتَذَلِّلًا لَهُ بِجَوَارِحِهِ، مُذْعِنًا لِمَا فَرَضَ عَلَيْهِ وَأَلْزَمَهُ مِنْ أَحْكَامِهِ.

وَقَدْ بَيَّنَّا اخْتِلَافَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْحَنِيفِ فِيمَا مَضَى، وَدَلَّلْنَا عَلَى الْقَوْلِ الَّذِي هُوَ أَوْلَى بِالصَّحَّةِ مِنْ أَقْوَالِهِمْ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ^(٦) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ^(٧).

وَبَنَحُو مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّأْوِيلِ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

(١) فِي ص، ت ١، س: «تَبَرُّتُهُ». وَكَتَبَ فَوْقَهَا فِي ص: «ط».

(٢) فِي س: «لِلَّهِ».

(٣) فِي م، ت ١، س: «لَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا».

(٤) فِي ص، ت ٢، ت ٣، س: «أَنْ».

(٥) بَعْدَهُ فِي ت ٢، ت ٣: «اللَّهُ».

(٦ - ٦) سَقَطَ مِنْ: ص، م، ت ١، س. وَيَنْظُرُ مَا تَقْدِمُ فِي ٥٩١/٢ - ٥٩٤.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ شَاهِينَ الْوَاسِطِيُّ ، قَالَ : ثنا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ دَاوُدَ ، عَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ : إِبْرَاهِيمُ عَلَى دِينِنَا . وَقَالَتِ النَّصَارَى : هُوَ عَلَى دِينِنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ الْآيَةُ . فَأُكْذِبَهُمُ اللَّهُ ، وَأَذْخَصَ حُجَّتَهُمْ . يَعْنِي الْيَهُودَ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ مَاتَ يَهُودِيًّا ^(١) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبْعِ مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يَعْقُوبُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّهْرِيُّ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - لَا أُرَاهُ إِلَّا يُحَدِّثُهُ عَنْ أَبِيهِ - أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ وَيَتَّبِعُهُ ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ الْيَهُودِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ ، وَقَالَ : إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أُدِينَ دِينَكُمْ ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ دِينِكُمْ . فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ : إِنَّكَ لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِييِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ . قَالَ زَيْدٌ : مَا أَفْوَرُ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ ، وَلَا أُحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا ، وَأَنَا ^(٣) أَسْتَطِيعُ ، فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى دِينٍ لَيْسَ فِيهِ هَذَا ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ^(٤) حَنِيفًا . قَالَ : وَمَا الْحَنِيفُ ؟ قَالَ : دِينُ إِبْرَاهِيمَ ، لَمْ يَكُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ، وَكَانَ لَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ . فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى ، فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ ،

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٣/٢ (٣٦٤٩) من طريق ابن أبي جعفر به من قول أبي العالية .

(٣) بعده في م ، ت ١ ، س : « لا » .

(٤) في م ، ت ١ : « تكون » ..

فقال : إني لعلّي أن أدين دينكم ، فأخبرني عن دينكم . قال : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . قال : لا أحتمل من لعنة الله شيئاً ، ولا من غضب الله شيئاً أبداً ، وأنا^(١) أستطيع ، فهل تدلّني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له^(٢) نحو ما^(٣) قاله اليهودي : لا أعلمه إلا أن يكون^(٤) حنيفاً . فخرج من عندهم^(٥) وقد رضى الذي أخبراه والذي اتفقا عليه من شأن إبراهيم ، فلم يزل رافعاً يديه إلى الله^(٦) ، وقال : اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم^(٧) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ﴾ : إن أحق الناس بإبراهيم ونصرتيه وولايته ، ﴿ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ ، يعنى : الذين سلكوا طريقه ومنهاجه ، فوحدوا الله مخلصين له الدين ، وسنوا سنته^(٧) ، وشرعوا شرائعه ، وكانوا لله خنفاء

(١) بعده فى م ، ت ١ ، س : « لا » .

(٢ - ٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « نحو ما » ، وفى م : « نحو ما » .

(٣) فى م ، ت ١ : « تكون » .

(٤) فى م : « عنده » .

(٥ - ٥) فى صحيح البخارى : « فلما برز رفع يديه » . وفى تاريخ دمشق : « فلما توفى رفع يديه » .

(٦) أخرجه البخارى (٣٨٢٧) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٠٣/١٩ من طريق موسى بن عقبة به .

وبعده فى ص : « يتلو القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . والحمد لله على (!؟) محمد وآله وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسر ، أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان ، قال : حدثنا محمد بن

جرير الطبرى » .

وبعده فى ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان ، قال :

حدثنا محمد بن جرير الطبرى » ويظهر من هذا أن الراوى للقسم المقبل من التفسير رجل آخر غير أبى محمد

الفرغانى وينظر ترجمتهما فى ٣٧/١ ، ٣٩ من المقدمة .

(٧) فى م : « سنته » .

مسلمين ، غير مشركين به ، ﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ يعنى محمداً ﷺ ، ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ ٣٠٨/٣
 ءَامَنُوا ﴾ ، / يعنى : والذين صدّقوا محمداً وبما جاءهم به من عند الله ، ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ ﴾
 الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، يقول : واللّه ناصر المؤمنين بمحمّد ، المصدّقين له فى نبوّته وفيما
 جاءهم ^(١) به من عنده ، على من خالفهم من أهل الملل والأديان .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا بشرّ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ إِنِّ أَوَّلَى ﴾
 النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ . يقول : الذين اتّبعوه على ملّته وسنته ومنهاجه
 وفطرته ، ﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ وهو نبيّ الله محمّد ، ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ معه ، وهم
 المؤمنون الذين صدّقوا نبيّ الله واتّبعوه . كان محمّد رسول الله ﷺ والذين معه من
 المؤمنين أولى الناس بإبراهيم ^(٢) .

حدّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
 الربيع مثله ^(٣) .

حدّثنا محمّد بنُ المثنى وجابر بنُ الكُردى والحسن بنُ أبى يحيى المقدسى ،
 قالوا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن أبى الضّحى ، عن مشروق ، عن
 عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكلّ نبيّ ولاةً من التّبيين ، وإن

(١) فى س : « جاء » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٤/٢ ، ٦٧٥ (٣٦٥٨ ، ٣٦٥٩ ، ٣٦٦١) من طريق ابن أبى جعفر

وَلْيَتْلِ [٤١٩/١] مِنْهُمْ أُمِّي وَخَلِيلُ رَبِّي . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِذْرِهِمْ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي الضُّحَى ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، أَرَاهُ قَالَ : عَنْ النَّبِيِّ ﷺ . فَذَكَرَ نَحْوَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِذْرِهِمْ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ^(٣) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ^(٤) .

يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿وَدَّتْ﴾ : تَمَنَّتْ ، ﴿طَّائِفَةٌ﴾ : يَعْنِي : جَمَاعَةٌ ، ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ، وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ مِنَ الْيَهُودِ ، وَأَهْلُ الْإِنْجِيلِ مِنَ النَّصَارَى ، ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ ، يَقُولُ : لَوْ يَضُدُّوكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَيَزِدُّوكُمْ عَنْهُ إِلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ ، فَيُهْلِكُونَكُمْ بِذَلِكَ .

وَالْإِضْلَالُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْإِهْلَاكُ ، مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَقَالُوا آءِذَا

(١) بَعْدَهُ فِي س : «بَكَر» .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ فِي مُسْنَدِهِ (١٩٧٣) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٩٩٥) ، وَالطَّحَاوِيُّ فِي مُشْكَلِ الْأَثَارِ (١٠٠٩) ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (تَحْقِيقُ حِكْمَتِ بَشِيرِ يَاسِينَ) ٣٢٦/٢ ، ٣٢٧ (٧٣١) ٣٢٦/٢ ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٢١/٦ مِنْ طَرِيقِ أَبِي أَحْمَدَ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ ٢٩٢/٢ ، ٥٥٣ مِنْ طَرِيقِ سَفْيَانَ بِهِ .

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَقِبَ (٢٩٩٥) مِنْ طَرِيقِ أَبِي نُعَيْمٍ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٣٤٨/٦ (٣٨٠٠) ، ١٦٧/٧ (٤٠٨٨) ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٧٤/٢ (٣٦٥٦) ، وَالْوَاهِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ ص ٧٩ ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٢١/٦ مِنْ طَرِيقِ سَفْيَانَ بِهِ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٧٤/٢ (٣٦٥٧) ، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ بِهِ .

صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَعْنَاءَ لِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿[السجدة : ١٠]﴾ . يعنى : إذا هلكنا . ومنه قول الأخطل في هجاء جرير ^(١) :

كُنْتُ الْقَدَى فِي مَوْجٍ أَكْدَرَ مُزِيدٍ قَذَفَ الْإِيَّ بِهَ فَضْلٌ ضَلَالًا
يعنى : هلك هلاكًا . وقول نابغة بنى دُيَّان ^(٢) :

٣٠٩/٣ / فَآبَ مُضِلُّوهُ بَعَيْنٍ جَلِيَّةٍ ^(٣) وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ ^(٤) حَزْمٌ وَنَائِلٌ
يعنى : مُهْلِكُوهُ .

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ : وما يُهْلِكُونَ - بما يَفْعَلُونَ مِنْ مُحَاوَلَتِهِمْ صَدَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ - أَحَدًا غَيْرَ أَنْفُسِهِمْ . يعنى بـ ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ تَبَاعُهُمْ ^(٥) وَأَشْيَاعُهُمْ عَلَى مِلَّتِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ . وَإِنَّمَا أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَاعَهُمْ ^(٥) بما حَاوَلُوا مِنْ ذَلِكَ ؛ لَاسْتِجَابَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ بِفَعْلِهِمْ ذَلِكَ سَخَطَهُ ، وَاسْتِحْقَاقِهِمْ بِهِ غَضَبَهُ وَلَعْنَتَهُ ؛ لِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ ، وَنَقْضِهِمِ الْمِيثَاقَ الَّذِى أَخَذَ اللَّهُ ^(٦) عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ ، فِى اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقِهِ ، وَالْإِقْرَارِ بِنَبَوِيَّتِهِ . ثُمَّ أَخْبَرَ جَلُّ ثَنَائِهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ ، مِنْ مُحَاوَلَةٍ صَدَّ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ وَالرَّدَى ، عَلَى جَهْلِ مَنْهُمْ بِمَا اللَّهُ بِهِمْ مُجِلٌّ مِنْ عَقُوبَتِهِ ، وَمُدْخِرٌ لَهُمْ مِنَ أَلِيمٍ عَذَابِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أَنَّهُمْ لَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ، ^(٧) فِى مُحَاوَلَتِهِمْ ^(٧) إِضْلَالَكُمْ أَتْيَاهَا الْمُؤْمِنُونَ .

(١) تقدم تخريجه فى ٤١٦/٢ .

(٢) ديوانه ص ١١٩ .

(٣) جليلة الأمر : حقيقته . اللسان (ج ل ي) والبيت فيه .

(٤) الجولان : جبل من نواحي دمشق ، من عمل حوران . معجم البلدان ١٥٩ / ٢ .

(٥) فى م : « أتباعهم » .

(٦) سقط من : ص ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧ - ٧) فى م : « بمحاولتهم » .

ومعنى قوله : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ : وما يذرون ولا يعلمون .

وقد بيّنا تأويل ذلك بشواهد في غير^(١) هذا الموضع ، فأغنى ذلك عن إعادته^(٢) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ إِذْ يَأْتِيَنَّكُمْ الْقَوْلُ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾^(٣) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكِتَابَ ﴾ ، من اليهود والنصارى ، ﴿ لِمَ تَكْفُرُونَ ﴾ . يقول : لم تجحدون ، ﴿ إِذْ يَأْتِيَنَّكُمْ الْقَوْلُ ﴾ . يعنى : بما فى كتاب الله الذى أنزله إليكم على ألسن أنبيائكم من آيه وأدلته . ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ أنه حق من عند ربكم !

وإنما هذا من الله عز وجل توبيخ لأهل الكتابين على كفرهم بمحمد ﷺ ومجحدوهم نبوته ، وهم يجدونه فى كتبهم ، مع شهادتهم أن ما فى كتبهم حق ، وأنه من عند الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ إِذْ يَأْتِيَنَّكُمْ الْقَوْلُ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ . يقول : تشهدون أن نعت محمد نبي الله ﷺ فى كتابكم ، ثم تكفرون به وتذكرونه ولا تؤمنون به ، وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته^(٣) .

(١) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ =

حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ . يقول : تَشْهَدُونَ أن نعت محمد في كتابكم ، ثم تكفرون به ولا تؤمنون به ، وأنتم تجدونه عندكم في التوراة والإنجيل ؛ النبي الأمي^(١) .

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ : آيات الله : محمد ، وأما تَشْهَدُونَ : فيشهدون^(٢) أنه الحق يجدونه^(٣) مكتوباً عندهم^(٤) .

/ (حدثنا القاسم ، قال^(٥) : حدثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ أن الدين عند الله الإسلام ، ليس لله دين غيره^(٦) .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أهل التوراة والإنجيل ، ﴿ لِمَ تَلْسُوتُ ﴾ . يقول : لِمَ تَخْلُطُونَ ﴿ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ . وكان خلطهم الحق بالباطل إظهارهم بالستهم من

= والإنجيل الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

والأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٦/٢ ، ٦٧٧ (٣٦٦٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) في ت ١ ، س ، وتفسير ابن أبي حاتم : « فتشهدون » .

(٣) في ت ١ ، س : « تجدونه » .

(٤) في س : « عندهم » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٦/٢ (٣٦٦٦ ، ٣٦٦٨) من طريق أحمد به .

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، وتقدم هذا الإسناد كثيراً ، وسيأتي على الصواب بعد قليل .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٧/٢ (٣٦٧٢) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريح .

التصديق بمحمد ﷺ وما جاء به من عند الله ، غير الذي في قلوبهم من اليهودية والنصرانية .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال عبد الله بن الصييف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالوا [٤٢٠/١] نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غُدوةً ، ونكفُر به عشيّةً ، حتى نلبس عليهم دينهم ، لعلهم يصنعون كما نصنع ، فيزجّعوا عن دينهم . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ يَأْهَلْ أَلِكْتَبِ لِمَ تَلْسُونُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمُهُ ﴾ ^(١) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ يَأْهَلْ أَلِكْتَبِ لِمَ تَلْسُونُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ . يقول : لِمَ تَلْسُونُ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ بِالْإِسْلَامِ ، وقد علمتم أن دين الله الذي لا يقبل غيره الإسلام ، ولا يجزى إلا به ^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله ، إلا أنه قال : الذي لا يقبل من أحد غيره الإسلام . ولم يقل ^(٣) : ولا يجزى ^(٤) إلا به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله :

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٥٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٧٧ ، ٦٧٨ (٣٦٧٥) من طريق سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد قوله . وعزاه السيوطي أيضا في الدر المنثور ٢/ ٤٢ إلى ابن إسحاق وابن المنذر ، وفيه : عبد الله بن الصييف . بالضاد المعجمة ، وهو رواية في اسمه .

(٢) في ص ، ت ١ : « للذي » ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٤٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يقبل » .

(٤ - ٤) في ص : « الآية » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٧٧ (٣٦٧٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

﴿يَأْهَلْ أَلْكِتَابِ لِمَ تَلِسُوكَ أَلْحَقَّ بِأَلْبَطِلٍ﴾ : الإسلام باليهودية والنصرانية^(١).

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيد فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿لِمَ تَلِسُوكَ أَلْحَقَّ بِأَلْبَطِلٍ﴾ . قال : الحقُّ : التوراة التى أنزلَ اللَّهُ على موسى ، والباطلُ : الذى كتبوه بأيديهم^(٢).

قال أبو جعفر : وقد بيَّنا معنى « اللَّبْسِ » فيما مضى بما أغنى عن إعادته^(٣).

القول فى تأويلِ قوله : ﴿وَتَكْفُمُونَ أَلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : وَلَمْ تَكْفُمُوا يا أَهْلَ الْكِتَابِ الْحَقَّ ؟ والحقُّ الذى كتبوه : ما فى كتبهم من نعتِ محمدٍ ﷺ ومبعثِهِ ونبوَّتِهِ .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿وَتَكْفُمُونَ أَلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ : كَتَمُوا شَأْنَ مُحَمَّدٍ وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فى التوراة والإنجيل ، يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ^(٥).

٣١١/٣ / حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقٌ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿وَتَكْفُمُونَ أَلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . يقولُ : يَكْفُمُونَ شَأْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فى التوراة والإنجيل ، يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ^(٥).

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤٦٣/٢ .

(٢) المصدر السابق ٣٦٢/٢ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٦٠٥/١ - ٦٠٧ .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٨/٢ عقب الأثر (٣٦٧٦) معلقا .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٨/٢ عقب الأثر (٣٦٧٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج : ﴿وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ﴾ : الإسلام ، وأمر محمد ﷺ ، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن محمداً رسول الله ﷺ ، وأن الدين الإسلام^(١) .

وأما قوله : ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . فإنه يعنى به : وأنتم تعلمون أن الذى تكفّمونه من الحقّ حقّ ، وأنه من عند الله .

وهذا القول من الله عزّ وجلّ خبرٌ عن تعمّد أهل الكتاب الكفر به ، وكتمانهم ما قد علموا من نبوة محمد ﷺ ووجدوه فى كتبهم ، وجاءتهم به أنبياءهم .

القول فى تأويل قوله : ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧١) .

اختلف أهل التأويل فى صفة المعنى الذى أمرت به هذه الطائفة من أمرت به ، من الإيمان وجه النهار وكفر^(٢) آخره ؛ فقال بعضهم : كان ذلك أمراً منهم إياهم بتصديق النبى ﷺ فى نبوته ، وما جاء به من عند الله ، وأنه حقّ فى الظاهر ، من غير تصديقه فى ذلك بالعزم واعتقاد القلوب على ذلك ، وبالكفر به ، ومجحود ذلك كلّ فى آخره .

ذكر من قال ذلك

حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرُهُ﴾ . فقال بعضهم لبعض : أعطوهم الرضا بدينهم أول النهار ، واكفّروا آخره ، فإنه أجدد

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/٤٦٣ .

(٢) فى م : « الكفر » .

أَنْ يُصَدِّقُواكُمْ ، وَيَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمْ فِيهِمْ مَا تَكْرَهُونَ ، وَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ يَزْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ ، قَالَ : ثنا خَالِدٌ ، عَنْ حُصَيْنٍ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا ءَاخِرَهُ ﴾ .
قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ : ءَامِنُوا مَعَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ ، وَآكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ مَعَكُمْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : كَانَ أَحْبَابُ قُرَى عَرَبِيَّةٍ ^(٣) اثْنَيْ عَشَرَ حَبْرًا ، فَقَالُوا لِبَعْضِهِمْ : ادْخُلُوا فِي دِينِ مُحَمَّدٍ أَوَّلَ النَّهَارِ وَقُولُوا : نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا حَقٌّ صَادِقٌ . فَإِذَا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ فَآكُفُّوا وَقُولُوا : إِنَّا رَجَعْنَا إِلَىٰ عِلْمَانَا وَأَحْبَابِنَا فَسَأَلْنَاهُمْ ، فَحَدَّثُونَا أَنَّ مُحَمَّدًا كَاذِبٌ ، وَأَنْكُمْ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ، وَقَدْ رَجَعْنَا إِلَىٰ دِينِنَا فَهُوَ أَعْجَبُ إِلَيْنَا مِنْ / دِينِكُمْ . لَعَلَّهُمْ يَشْكُونَ ؛ يَقُولُونَ : هَؤُلَاءِ كَانُوا مَعَنَا أَوَّلَ النَّهَارِ ، فَمَا بِالْهَمْ ؟ فَأَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ بِذَلِكَ ^(٤) .

٣١٢/٣

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حُصَيْنٍ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْغِفَارِيِّ ، قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَشْلِمُوا أَوَّلَ النَّهَارِ وَازْتَدُوا آخِرَهُ

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٣ ، بأطول منه ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٩/٢ (٣٦٨٢) عن الحسن به ببعضه .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٢ - تفسير) عن خالد به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٩/٢ (٣٦٨١) من طريق السدي ، عن أبي مالك نحوه .

(٣) قرى عربية : قرى بالحجاز معروفة . معجم ما استعجم ٣/ ٩٢٩ ، ٩٣٠ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٤٢ ، ٤٣ إلى المصنف . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق حكمت بشير ياسين) ٢/ ٣٣٧ (٧٦٤) من طريق أحمد بن الفضل به . قال : كَانَ أَحْبَابُ قُرَى عَرَبِيَّةٍ اثْنَى عَشَرَ حَبْرًا .

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . فَأُطْلِعَ اللَّهُ [١/٢٠٤ط] عَلَى سِرِّهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .
وقال آخرون : بل الذي أَمَرْتُ ^(١) به مِنَ الْإِيمَانِ الصَّلَاةُ ، وَحُضُورُهَا مَعَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ ، وَبَتَرُكَ ^(٢) ذَلِكَ آخِرَهُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ : يَهُودُ تَقُولُهُ ، صَلَّتْ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَاةَ الصُّبْحِ ، وَكَفَرُوا آخِرَ النَّهَارِ ؛ مَكْرًا مِنْهُمْ ، لِيُزُوا النَّاسَ أَنْ قَدْ بَدَتْ لَهُمْ مِنْهُ الضَّلَالَةُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا اتَّبَعُوهُ ^(٣) .
حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِمِثْلِهِ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ الْآيَةِ : وَذَلِكَ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا : إِذَا لَقِيتُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوَّلَ النَّهَارِ فَاْمِنُوا ، وَإِذَا كَانَ آخِرُهُ فَصَلُّوا صَلَاتَكُمْ ، لَعَلَّهُمْ يَقُولُونَ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْكِتَابِ ، وَهُمْ أَعْلَمُ مِنَّا . لَعَلَّهُمْ يَنْقَلِبُونَ عَنْ دِينِهِمْ ، وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ^(٤) .

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «أَمَرْتُهُ» .

(٢) فِي م ، س : «تَرَكَ» ، وَفِي ت ٢ : «نَتَرَكَ» .

(٣) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ ص ٢٥٣ ، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٧٩/٢ (٣٦٨٤) .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٨٠/٢ (٣٦٨٦ ، ٣٦٨٩) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ بِهِ دُونَ قَوْلِهِ : =

(تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٣٢/٥)

فتأويل الكلام إذن : ﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ . يعنى : من اليهود الذين يقرءون التوراة : ﴿ ءَامِنُوا ﴾ : صدقوا ، ﴿ بِالَّذِى أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ، وذلك ما جاءهم به محمد ﷺ من الدين الحق وشرائعه وسننه ، ﴿ وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ . يعنى : أول النهار .

وسمى أوله وجهاله ؛ لأنه أحسنه ، وأول ما يواجه الناظر فيراه منه ، كما يقال لأول الثوب : وجهه . وكما قال ربيع بن زياد^(١) :

مَنْ كَانَ مَشْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نِسَوَاتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

٣١٣/٣ /حدثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادة قوله : ﴿ وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ : أول النهار^(٢) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ : أول النهار ، ﴿ وَاكْفُرُوا ءَاخِرُ ﴾ . يقول : آخر النهار^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جريج ، عن

= ﴿ وَلَا تَوَدُّوا إِلَّا لِمَنِ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ .

(١) البيت فى مجاز القرآن ٩٧/١ ، وحماسة أبى تمام ٤٩٤/١ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٩/٢ عقب الأثر (٣٦٨٣) من طريق ابن أبى جعفر به بنحو مقتصرًا

على الجزء الأول ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٢ إلى المصنف .

مُجَاهِدٍ : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجِهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا ءَاخِرُهُ ﴾ .
قال : قالوا^(١) : صَلُّوا معهم الصَّبْحَ ، وَلَا تُصَلُّوا معهم آخِرَ النَّهَارِ ، لَعَلَّكُمْ تَسْتَرْلُونَهُمْ
بذلك .

وأما قوله : ﴿ وَآكُفُّوا ءَاخِرُهُ ﴾ . فإنه يعنى به أنهم قالوا : واجحدوا ما صدقتم
به من دينهم فى وجهِ النهار ، فى آخرِ النهار ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . يعنى بذلك :
لعلهم يرجعون عن دينهم معكم ويدعونهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴾ . يقول : لعلهم يدعون دينهم ، ويرجعون إلى الذى أنتم عليه^(٢) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع
مثله^(٣) .

حدثنا محمد بنُ سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن
أبيه ، عن ابنِ عباس : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : لعلهم ينقلبون عن دينهم^(٤) .

حدثنى محمد بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمد بنُ المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
الشَّدى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : لعلهم يشكون^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جريج ، عن

(١) فى النسخ ، « قال » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ عقب الأثر (٣٦٨٩) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ عقب الأثر (٣٦٩٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ (٣٦٨٩) عن محمد بن سعد به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ عقب الأثر (٣٦٨٩) من طريق عمرو بن حماد ، عن
أسباط به .

مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ : ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ . قال : يرجعون عن دينهم .

القول في تأويل قوله : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ولا تُصدّقوا إلا من تبع دينكم فكان يهوديًا .

وهذا خبرٌ من الله عن قول الطائفة الذين قالوا لإخوانهم من اليهود : ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ﴾ .

واللام التي في قوله : ﴿لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ . نظيرة اللام التي في قوله : ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ [النمل : ٧٢] . بمعنى : ردّكم^(١) .

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ : هذا قول بعضهم لبعض^(٢) .

٣١٤/٣ / حدّثنى الثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع مثله^(٣) .

حدّثنا محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضّل ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديّ : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ . قال : لا تؤمنوا إلا لمن تبع اليهودية^(٣) .

(١) بعده في م : « بعض الذى تستعجلون » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨١/٢ (٣٦٩٢) من طريق أحمد بن مفضل به .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ . قَالَ : لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ آمَنَ بِدِينِكُمْ ^(١) ؛ مَنْ خَالَفَهُ ، فَلَا تُؤْمِنُوا بِهِ .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ أَنْ يُؤَفَّقَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : قوله : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ ﴾ . اعتراض ^(٢) به في وسط الكلام ، خبراً ^(٣) من الله عن أن البيان بيانه ، والهدى هداة . قالوا : وسائر الكلام بعد ذلك [٢١١/١] متّصل بالكلام الأول ، خبراً ^(٣) عن قيل اليهود بعضها لبعض . فمعنى الكلام عندهم : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، ولا تؤمنوا أن يؤتَى أحدٌ مثل ما أُوتِيتُمْ ، أو أن يُحَاجُّوكُم عند ربكم . أي : ولا تؤمنوا أن يُحَاجَّكُم أحدٌ عند ربكم . ثم قال الله عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ : قل يا محمد : إن الفضل بيد الله يؤتیه مَنْ يَشَاءُ ، وإن الهدى هدى الله .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَنْ يُؤَفَّقَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ : حسداً من يهود أن تكون

(١) بعده في م : « لا » .

(٢) في م : « اعتراض » .

(٣) في م : « خبر » .

النبوة في غيرهم، وإرادة أن يُتَّبَعُوا^(١) على دينهم^(٢).

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

وقال آخرون: تأويل ذلك: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾: إن البيان بياض الله. ﴿أَنْ يُؤَقَّ أَحَدٌ﴾، قالوا: ومعناه: لا يؤتى أحد من الأمم ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾، كما قال: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]. بمعنى: لا تضلُّوا. وكقوله: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الشعراء: ٢٠٠، ٢٠١]. بمعنى: ألا يؤمنوا. ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ يقول: مثل ما أُوتيت أنت يا محمد وأُمَّتُكَ مِنَ الْإِسْلَامِ والهدى، ﴿أَوْ^(٣) يُعَاجِزُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾. قالوا: ومعنى ﴿أَوْ﴾: إلا. أى: إلا أن يُعَاجِزُوكُمْ. يعنى: إلا أن يُجَادِلُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، عِنْدَ^(٤) ما فعل بهم ربكم^(٥).

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: قال الله عز وجل لحمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤَقَّ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾. يقول: مثل ما أُوتِيتُم يا أمة محمد. ﴿أَوْ يُعَاجِزُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾،

(١) فى س: «ينقلبوا».

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٤، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨١/٢ (٣٦٩٧).

(٣) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «أن».

(٤) سقط من: ت ٢، وفى س: «بمعنى».

(٥) فى س: «وبكم».

يقول^(١) اليهود: فعل الله بنا^(٢) كذا وكذا من الكرامة، حتى أنزل علينا المن والسلوى. فإن الذي أعطيتكم^(٣) أفضل، فقولوا: ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ الآية^(٤).

فعلى هذا التأويل جميع هذا الكلام من الله^(٥) نبيه محمداً^(٥) أن يقوله لليهود، وهو متلاصق^(٦) بعضه ببعض لا اعتراض فيه. والهدى الثاني رد على ٣١٥/٣ الهدى الأول، و﴿أن﴾ فى موضع رفع على أنه خبر عن الهدى.

وقال آخرون: بل هذا أمر من الله نبيه أن يقول لليهود. وقالوا: تأويله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ﴾ من الناس ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾. يقول: مثل الذى أوتيتهموه أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله، ومثل نبيكم، لا تحسدوا المؤمنين على ما أعطيتهم مثل الذى أعطيتكم من فضلى، فإن الفضل بيدي أوتيته من أشاء.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾. يقول: لما أنزل الله كتاباً مثل كتابكم، وبعث نبياً مثل نبيكم، حسدتموهم على ذلك، ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ الآية^(٧).

(١) فى م، س: « تقول ».

(٢) فى س: « بكم ».

(٣) فى س: « أعطيتكم ».

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم مرفقاً فى تفسيره ٦٨١/٢ (٣٦٩٦)، ٦٨٢/٢ (٣٦٩٨) من طريق أحمد بن المفضل به.

(٥ - ٥) فى م: « لنبيه محمد ».

(٦) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: « مثل ».

(٧) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٢/٢ عقب الأثر (٣٧٠٠) معلقاً، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٢ إلى المصنف.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ ^(٢) تَأْوِيلُ ذَلِكَ : ﴿ قُلْ ﴾ يَا مُحَمَّدُ : ﴿ إِنَّ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ . قَالُوا : وَهَذَا آخِرُ الْقَوْلِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقُولَهُ لِلْيَهُودِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ . قَالُوا : وَقَوْلُهُ : ﴿ أَوْ يُعَاجِزُكُمْ ﴾ . مَرْدُودٌ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ .

وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِ أَهْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ : وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ فَتَتَرَكُوا الْحَقَّ ، أَنْ يُعَاجِزَكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ مَنْ اتَّبَعْتُمْ دِينَهُ ، فَأُخْبِرْتُمُوهُ ^(٣) أَنَّهُ مُحِقٌّ ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَ نَعْتَهُ فِي ^(٤) كِتَابِكُمْ . فَيَكُونُ حِينَئِذٍ قَوْلُهُ : ﴿ أَوْ يُعَاجِزُكُمْ ﴾ ^(٥) . مَرْدُودًا عَلَى جَوَابِ نَهْيِ ^(٦) مَتْرُوكٍ عَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ . يَقُولُ : هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، ﴿ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُعَاجِزُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ . قَالَ : قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَا تُخْبِرُوهُمْ بِمَا بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ فِي كِتَابِهِ لِيُعَاجِزَكُمْ . قَالَ : لِيُخَاصِمُوَكُمْ بِهِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٢/٢ (٣٧٠٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فاخترتموه » .

(٤) في س : « من » .

(٥) في ص ، ت ١ : « أن » .

(٦) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « النهي » .

عند ربكم ، ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ .

^(١) قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون قوله : ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ ^(٢) معترضاً به ، وسائر الكلام مُتَّبِعاً ^(٣) على سياق واحد .

فيكون تأويله حيثئذ : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع ^(٤) دينكم ، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم . بمعنى : لا يؤتى أحد مثل ^(٥) ما أوتيتم ، ﴿أَوْ^(٦) يُعَاجِزُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ بمعنى : أو أن يُعَاجِزَكُمْ ^(٧) عند ربكم أحد بإيمانكم ؛ لأنكم أكرمتم على الله منهم ، بما فضلكم به عليهم .

فيكون الكلام كله خبراً عن قول الطائفة التي قال الله عز وجل : ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ﴾ . سوى قوله : ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ . ثم يكون الكلام ^(٨) مُبْتَدَأً بتكذيبهم في قولهم ^(٩) : ﴿قُلْ﴾ يا محمد للقائلين ما قالوا ، من الطائفة التي وصفت لك قولها لتباعها من اليهود : ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ . إن التوفيق توفيق الله ، / والبيان ٣١٦/٣ بيانه ، وإن الفضل بيده يؤتیه مَنْ يَشَاءُ ، لا ما تَمَنِّيْتُمُوهُ أنتم يا معشر اليهود .

(١ - ١) سقط من النسخ ، واستظهرناه من عادة المصنف في تفسيره ، ويؤيده ما سيأتي .

(٢) في م : « معترض » .

(٣) في م : « متسق » .

(٤) في م : « اتبع » .

(٥) في م : « بمثل » .

(٦) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « أن » .

(٧) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يحاجوكم » .

(٨) بعده في س : « مثنه » .

(٩) في س : « قوله » .

وإنما اخْتَرْنَا ذلك من سائر الأقوال التي ذَكَرْنَاها ؛ لأنه أَصَحُّها [٤٢١/١ ط]
معنى ، وأَحْسَنُها استقامةً على معنى كلام العرب ، وأَشَدُّها اتساقاً على نَظْمِ الكلامِ
وسياقه ، وماعدا ذلك من القولِ فانتزاعٌ يَتَعَدُّ من الصحة ، على استِكرَاهِ شديدٍ
للكلام .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧٣) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وَصَفْتُ^(١)
قولهم لأوليائهم : ﴿ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾ . إن^(٢) التوفيق للإيمان والهداية للإسلام
بيد الله ، وإليه دونكم ودون سائر خلقه ، ﴿ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، من خلقه ، يعنى :
يُعْطِيهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ . تَكْذِيبًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لهم فى قولهم لثبائعهم : لا يُؤْتَى
أحدٌ^(٣) مثل ما أُوتِيتُمْ . فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ : قل لهم : ليس ذلك إليكم ، إنما
هو إلى الله الذى بيده الأشياء كلها ، وإليه الفضلُ وبيده ، يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ . ﴿ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ . يعنى : واللَّهُ ذو سَعَةٍ بفضله على مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عليه .
﴿ عَلِيمٌ ﴾ : ذو علم بمن هو منهم للفضلِ أهلٌ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك قراءةً ، عن
ابن جريج فى قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . قال :
الإسلام^(٤) .

(١) بعده فى س : « لك » .

(٢) فى س : « أى » .

(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٢ إلى المصنف .

القول في تأويل قوله: ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ .

يعنى بقوله: ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ : «يفتعل» ، من قول القائل : خَصَصْتُ فلانًا بكذا ، أخصه به .

وأما «رحمته» فى هذا الموضع ، فالإسلام والقرآن ، مع النبوة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ . قال : النبوة ، يختص^(١) بها من يشاء^(٢) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ . قال : يختص بالنبوة من يشاء^(٣) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك قراءة ، عن ابن جريج : ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ . قال : القرآن والإسلام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج مثله .

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ . يقول : ذو فضل يتفضل به على من أحبّ وشاء من خلقه . ثم وصف فضله بالعظيم^(٤) ، فقال : فضله عظيم ؛ لأنه غير

(١) فى م : «يخص» .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٢/٢ (٣٧٠٢) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٢/٢ عقب الأثر (٣٧٠٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) فى ت ١ ، س : «بالعظيم» .

مُشَبِّهه^(١) فى عِظَمِ موقعِهِ - مَن أَفْضَلُهُ^(٢) عليه^(٣) - إِفْضَالُ خَلْقِهِ ، ولا يُقَارِبُهُ فى جَلَالَةِ خَطَرِهِ ولا يُدَانِيهِ .

٣١٧/٣

/القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنَ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۖ ﴾ .
وهذا خبرٌ من الله عز وجل أن من أهل الكتاب - وهم اليهود من بنى إسرائيل - أهل أمانة يؤدونها ولا يخونونها ، ومنهم الخائن أمانته ، الفاجر فى يمينه ، المُسْتَحِلُّ .
فإن قال قائل : وما وجه إخبار الله عز وجل بذلك نبيه ﷺ ، وقد علمت أن الناس لم يَرَالُوا كذلك ، منهم المؤدّى أمانته والخائنها ؟

قيل : إنما أراد جلّ وعزّ بإخباره المؤمنين خبرهم - على ما بيّنه فى كتابه بهذه الآيات - تحذيرهم أن يَأْتَمِنُوهم على أموالهم ، وَتَخْوِفَهُمُ الاغْتِرَارَ بِهِمْ ؛ لاسْتِحْلَالِ كثير منهم أموال المؤمنين .

فتأويل الكلام : ومن أهل الكتاب الذى إن تَأْمَنَهُ يا محمدُ على عظيم من المال كثير يُؤَدُّهُ إليك ، ولا يَخُنْكَ فيه ، ومنهم الذى إن تَأْمَنَهُ على دينارٍ يَخُنْكَ فيه ، فلا يُؤَدُّهُ إليك إلا أن تُلَجَّ عليه بالتقاضى والمطالبة .

والباء فى قوله : ﴿ بِدِينَارٍ ۖ ﴾ . و« على » يتعاقبان فى هذا الموضع ، هذا كما يقال : مرزئت به ، ومرزئت عليه .

واختَلَفَ أهل التأويل فى تأويل قوله : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۖ ﴾ ؛ فقال بعضهم : إلا ما دُمْتَ له مُتَقاضِيًا .

(١) فى م : « مشبه » .

(٢) فى ت : ١ : « فضله » .

(٣) بعده فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « من » .

ذَكُرْ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ : إِلَّا مَا طَلَبْتَهُ وَاتَّبَعْتَهُ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ . قَالَ : تَقْتَضِيهِ إِيَّاهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عِيسَى، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ . قَالَ : مُوَاطَّ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : إِلَّا مَا دُمَّتْ ^(٤) قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ .

ذَكُرْ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ، عَنْ

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٣/٢ عقب الأثر (٣٧٠٨) معلقاً .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مواكصا » ، وفي م ، وتفسير مجاهد ، ومطبوعة الدر المنثور : « مواطبا » ، والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم ، ونسخة مخطوطة من الدر المنثور ، وهو صواب ما في النسخ الأولى عندنا ، وواكظ وواظب بمعنى ، ينظر النهاية ٢٢٠/٥ ، والتاج (و ك ظ) ، ونص أن قول مجاهد : مواكظا .

والأثر في تفسير مجاهد ص ٢٥٤ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق حكمت بشير ياسين) ٣٤٧/٢ (٨٠٤) ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « عليه » .

السدي قوله : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ . يقول : يَعْتَرِفُ بِأَمَانَتِهِ مَا دُمْتَ قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ ، فَإِذَا قُمْتَ ثُمَّ جِئْتَ تَطْلُبُهُ ، كَافَرَكَ ^(١) الَّذِي يُؤَدِّي وَالَّذِي يَجْحَدُ ^(٢) .

وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال : معنى ذلك : إلا ما دُمْتَ عليه قائمًا بالمطالبة والافتضاء . من / قولهم : قام فلانٌ بحقي على فلان ^(٣) حتى استخرجه لي .

٣١٨/٣

أنى : عَمِلَ فِي تَخْلِيصِهِ ، وَسَعَى فِي اسْتِخْرَاجِهِ مِنْهُ حَتَّى اسْتِخْرَجَهُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِاسْتِحْلَالِهِمْ أَمْوَالَ الْأُمِّيِّينَ ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَقْضِي مَا عَلَيْهِ إِلَّا بِالْاِقْتِضَاءِ الشَّدِيدِ وَالْمُطَالَبَةِ ، وَلَيْسَ الْقِيَامُ عَلَى رَأْسِ الَّذِي عَلَيْهِ الدَّيْنُ بِمُوجِبٍ لَهُ الثَّقَلَةُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ اسْتِحْلَالٍ مَا هُوَ لَهُ مُسْتَحِلٌّ ، وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ - مَعَ اسْتِحْلَالِهِ الذَّهَابُ بِمَا عَلَيْهِ لِرَبِّ الْحَقِّ - إِلَى اسْتِخْرَاجِهِ السَّبِيلُ بِالْاِقْتِضَاءِ وَالْمَحَاكِمَةِ وَالْمُخَاصَمَةِ ، فَذَلِكَ الْاِقْتِضَاءُ هُوَ قِيَامُ رَبِّ الْمَالِ بِاسْتِخْرَاجِ حَقِّهِ مِمَّنْ هُوَ عَلَيْهِ .

القول في تأويل قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُورِ سَبِيلٌ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه أن من استحلَّ الخيانة من اليهود ، وجحودَ حقوقِ العربي التي هي له عليه ، فلم يؤدِّ ما ائتمنه العربي عليه إليه إلا ما دام له مُتَقَاضِيًا مُطَالِبًا ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَقُولُ : لَا حَرَجَ عَلَيْنَا فِيمَا أَصَبْنَا مِنْ أَمْوَالِ الْعَرَبِ وَلَا إِثْمٌ ؛ لِأَنَّهُمْ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ نَحْوَ قَوْلِنَا فِيهِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا

(١) كافرهُ حَقُّهُ : جحدهُ . اللسان (ك . ف . ر) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٣/٢ (٣٧٠٩) من طريق أحمد بن الفضل به .

(٣) بعده في س : « إلى سنة » .

لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴿١﴾ الآية . قالت اليهود : ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴾ . قال : ليس علينا في المشركين سبيل . يَغْنُون مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ^(٢) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴾ . قال : يُقَالُ لَهُ : مَا بِأَنَّكَ لَا تُؤَدِّي أَمَانَتَكَ ؟ فيقول : ليس علينا حرج في أموال العرب ، قد أحلها الله لنا^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة : لما نزلت : ﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِيمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴾ . قال : قال النبي ﷺ : « كَذَبَ أَعْدَاءُ اللَّهِ ، مَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي ، إِلَّا الْأَمَانَةُ ، فَإِنَّهَا مُؤَدَّاةٌ إِلَى الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ »^(٤) .

حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام بن عبيد الله ، عن يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : لما قالت اليهود : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٥/٢ (٣٧١٥) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٤/٢ (٣٧١٣) من طريق أحمد بن الفضل به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٤/٢ (٣٧١٢) من طريق يعقوب القمي به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

الْأُمِّيَّتَيْنِ سَكِيلٌ ﴿١﴾ : يَعْنُونَ أَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ ،
إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، إِلَّا الْأَمَانَةُ ، فَإِنَّهَا مُؤَدَّاةٌ » . وَلَمْ يَرِدْ عَلَى
ذَلِكَ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : / ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَكِيلٌ ﴾ : وَذَلِكَ أَنَّ
أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا يَقُولُونَ : لَيْسَ عَلَيْنَا جُنَاحٌ فِيمَا أَصَبْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ ؛ لِأَنَّهُمْ أُمِّيُّونَ .
فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَكِيلٌ ﴾ . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . ٣١٩/٣

وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى
حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَكِيلٌ ﴾ . قَالَ :
بَايَعَ الْيَهُودَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا تَقَاضَوْهُمْ ثَمَنَ ثِيْوَعِهِمْ ،
فَقَالُوا : لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْنَا أَمَانَةٌ ، وَلَا قِضَاءٌ لَكُمْ عِنْدَنَا ؛ لِأَنكُمْ تَرَكْتُمْ دِينَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ
عَلَيْهِ . قَالَ : وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ وَجَدُوا ذَلِكَ فِي كِتَابِهِمْ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَيَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، قَالَ : ثَنَا سَفْيَانُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ
صَعْصَعَةَ ، قَالَ : قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ : ^(٢) « إِنَّا نَغْزُو^(٢) أَهْلَ الْكِتَابِ ، فَتُصِيبُ مِنْ ثَمَارِهِمْ ؟

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٨٤/٢ (٣٧١٤) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ ثَوْرٍ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، وَعَزَاهُ السَّيْوَتِيُّ
فِي الدَّر الْمَشْهُورِ ٤٤/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٢ - ٢) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أَنْتُمْ » ، وَفِي س : « إِنَّا قَدْ » ، وَفِي الْأَمْوَالِ وَتَفْسِيرِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ :
« إِنَّا نَسِيرُ فِي أَرْضِ » . وَصَوَابٌ مَا فِي النُّسخِ الْآخَرَى : « إِنَّا نَمْرُ بِأَهْلِ الْكِتَابِ » . لَمَّا أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْأَمْوَالِ
(٤١٤) مِنْ طَرِيقِ آخَرَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : « إِنَّا نَمْرُ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ ... »

قال : وتقولون كما قال أهل الكتاب : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتَيْنِ سَبِيلٌ ﴾^(١) !
 حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ أَبِي
 إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ صَعْصَعَةَ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : إِنَّا نُصِيبُ فِي
 الْعُرْفِ^(٢) أَوِ الْعَذْقِ - الشُّكُّ مِنَ الْحَسَنِ - مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الذِّمَّةِ الدَّجَاجَةَ وَالشَّاةَ .
 فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَتَقُولُونَ مَاذَا ؟ قَالَ : نَقُولُ : لَيْسَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ بَأْسٌ . قَالَ : هَذَا كَمَا
 قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتَيْنِ سَبِيلٌ ﴾ . إِنَّهُمْ إِذَا أَدَّوْا الْجَزِيَّةَ لَمْ تَحِلَّ لَكُمْ
 أَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِطَيْبِ أَنْفُسِهِمْ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٧٥) .
 يعنى بذلك جل ثناؤه أن القائلين منهم : ليس علينا فى أموال الأُمِّيَّين من العرب
 حَرَجٌ أَنْ نَخْتَانَهُمْ إِيَّاهُ . يقولون - بَقِيلِهِمْ : إِنْ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحَلَّ لَنَا ذَلِكَ ، فَلَا حَرَجَ
 عَلَيْنَا فِي خِيَانَتِهِمْ إِيَّاهُ ، وَتَرَكْ قَضَائِهِمْ - الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ ، عَامِدِينَ الْإِثْمَ بِقِيلِ
 الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ ، أَنَّهُ أَحَلَّ ذَلِكَ لَهُمْ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .
 كَمَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : فيقول
 عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يَعْلَمُ - يعنى الذى يقول منهم - إذا قيل له : مَا لَكَ لَا تُؤَدِّي

(١) أخرجه أبو عبيد فى الأموال ص ١٩٧ (٤١٥) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٤/٢ (٣٧١١) من طريق
 سفيان الثورى به .

(٢) فى ت ٣ : « العرب » ، وفى تفسير عبد الرزاق ، والدر المنثور : « الغزو » . والعُرفُ : ضرب من النخل فى
 كلام أهل البحرين ، تسمى البُرْشُوم . التاج (ع ر ف) . ويدل على صواب ما فى النسخ أنه قال : أو العذق .
 والعذق النخلة ، وقيل : النخلة بحملها .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ ، وأخرجه ابن زنجويه فى الأموال (٦٢٤) ، والبيهقى ١٩٨/٩ من طريق أبى
 إسحاق به . ووقع عند البيهقى زيد بن صعصعة . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٤/٢ إلى ابن المنذر .

أمانتك ؟ - : ليس علينا حرج في أموال العرب ، قد أحلها الله لنا ^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : يعنى ادعاءهم أنهم وجدوا فى كتبهم قولهم : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُورِ سَبِيلٌ ﴾ ^(٢) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٣) .

وهذا إخبار من الله عز وجل ^(٤) عما لمن ^(٥) أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها ؛ اتقاء الله ومراقبته ، عنده ^(٦) ، فقال / جل ثناؤه : ليس الأمر كما يقول هؤلاء الكاذبون ٣٢٠/٣ على الله من اليهود ، من أنه ليس عليهم فى أموال الأميين حرج ولا إثم . ثم قال : ﴿ بَلَى ﴾ . ولكن ﴿ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى ﴾ يعنى : ولكن الذى أوفى بعهده . وذلك وصيته إياهم التى أوصاهم بها فى التوراة ، من الإيمان بمحمد ﷺ وما جاءهم به . والهاء فى قوله : ﴿ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ ﴾ . عائدة على اسم « الله » فى قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ . يقول : بلى من أوفى بعهد الله الذى عاهدته فى كتابه ، فآمن بمحمد ﷺ وصدق به وبما جاء به من الله ، من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها ، وغير ذلك من أمر الله ونهيه ، ﴿ وَاتَّقَى ﴾ . يقول : واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به ، وسائر معاصيه التى حرّمها عليه ، فاجتنب ذلك ؛ مراقبة

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٥/٢ (٣٧١٦) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٥١٢ .

(٣ - ٣) فى م : « عمن » .

(٤) فى م : « وعيده » . وسياق الكلام : « وهذا إخبار من الله عز وجل عما عنده لمن أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها ؛ اتقاء الله ومراقبته » .

وعيد الله ، وخوف عقابه ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ . يعنى : فإن الله يحب الذين يتقونه ، فيخافون عقابه ، ويحذرون عذابه ، فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرّمه عليهم ، ويطيعونه فيما أمرهم به .

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول : هو اتقاء الشرك .

حدثني المشي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى ﴾ . يقول : اتقى الشرك ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ . يقول : الذين يتقون الشرك ^(١) .

وقد بيّنا اختلاف أهل التأويل فى ذلك ، والصواب من القول فيه بالأدلة الدالة عليه فيما مضى من كتابنا ، بما فيه الكفاية عن إعادته ^(٢) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَيَتَمَنَّهُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الذين يشتربون بتزكيتهم عهد الله الذى عهد إليهم ، ووصيته التى أوصاهم بها فى الكتب التى أنزلها الله إلى أنبيائه ، باتباع محمد وتصديقه ، والإقرار به ، وما جاء به من عند الله ، وبأيمانهم الكاذبة التى يشتجلون بها ما حرّم الله عليهم من أموال الناس التى ائتمنوا عليها ، ﴿ ثَمَنًا ﴾ . يعنى : عوضاً وبدلاً ، ^(٣) ﴿ قَلِيلًا ﴾ . يقول ^(٤) : خسيساً من عرض الدنيا وخطاياها ، ﴿ أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ . يقول : فإن الذين يفعلون ذلك لا حظّ لهم فى خيرات

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٤٤ ، إلى المصنف .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣٨٦ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

الآخرة ، ولا نَصِيبَ لَهُمْ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ ، وما أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا دُونَ غَيْرِهَا .
وقد بَيَّنَّا اختلافَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فيما مَضَى فى معنى « الْخَلَاقِ » ، ودَلَّلْنَا على
أَوَّلَى أَقْوَالِهِمْ فى ذلك بالصَّوابِ بما فيه الكفاية^(١) .

وأما قولُهُ : ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ . فإنه يعنى : وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ بما يَسْرُهُمْ ،
﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ يقولُ : وَلَا يَعْطِفُ عَلَيْهِمْ بخيرٍ ؛ مَقْتًا مِنَ اللَّهِ لَهُمْ^(٢) . كقولِ
القائلِ لآخرَ : انْظُرْ إِلَى نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْكَ . بمعنى : تَعَطَّفْ عَلَى تَعَطَّفِ اللَّهِ عَلَيْكَ بخيرِ
ورحمةٍ . وكما يقالُ للرجلِ : لَا سَمِيعَ لِلَّهِ لَكَ دَعَاكَ . يُرَادُ : لَا اسْتِجَابَ لِلَّهِ لَكَ .
واللهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، وكما قال الشاعرُ^(٣) :

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ أَلَّا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ ٣٢١/٣
وقولُهُ : ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ . يعنى : وَلَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ،
﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . يعنى : وَلَهُمْ عَذَابٌ مُوجِعٌ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فى السَّبَبِ الَّذِى مِنْ أَجْلِهِ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَمَنْ غُنِيَ
بِهَا ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَزَلَتْ فى أَخْبَارٍ مِنْ أَخْبَارِ الْيَهُودِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن
عكرمةَ ، قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا
قَلِيلًا ﴾ فى أبى رافعٍ ، وكنانة بنِ أبى الحُقَيْقِ ، وكعبِ بنِ الأشرفِ ، وحُجَيِّ

(١) ينظر ما تقدم فى ٣٦٥/٢ - ٣٦٧ .

(٢) أى لا ينظر إليهم نظر رحمة . فالنظر هنا على حقيقته ، صفة لله جل وعز كما يليق به سبحانه .

(٣) هو شمير - ويقال : سمير - بن الحارث الضبى ، والبيت فى النوادر ص ١٢٤ ، والأضداد ص ١٣٧ .

ابن أخطب^(١) .

وقال آخرون : بل نزلت في الأشعث بن قيس وخضم له .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ، لقي الله وهو عليه غضبان » . فقال الأشعث بن قيس : في والله كان ذلك ، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض ، فجحدني ، فقدمته إلى النبي ﷺ ، فقال لي رسول الله ﷺ : « ألك بينة ؟ » قلت : لا . فقال لليهودي : « اخلف » . قلت : يا رسول الله ، إذن يخلف فيذهب مالي . فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية^(٢) .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا جريز بن حازم ، عن عدى بن عدى ، عن رجاء بن حيوة والغزس^(٣) ، أنهما حدثاه ، عن أبيه عدى بن عميرة^(٤) ، قال : كان بين امرئ القيس^(٥) ورجل من حضرموت خصومة ، فارتقعا إلى النبي ﷺ ، فقال للحضرمي : « بينك والأيمنية » . قال :

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/٢ إلى المصنف ، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٨٢ .
(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥٠٣) ، وأحمد ٨١/٦ (٣٥٩٧) ، ١٤٠/٧ (٤٠٤٩) ، والبخارى (٢٤١٦ ، ٢٤١٧ ، ٢٦٦٦ ، ٢٦٦٧) ، ومسلم (١٣٨) ، وأبو داود (٣٢٤٣) ، والترمذى (١٢٦٩) ، وابن ماجه (٢٣٢٣) ، وأبو يعلى (٥١٩٧) ، وابن منده (٥٦٦) من طريق أبى معاوية به .
(٣) هو الغزس بن عميرة أخو عدى بن عميرة . وينظر الإصابة ٢٦٩/٥ ، ٢٧١ .
(٤) فى ص ، س ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عمير » .
(٥) هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر ، كان على كردوس يوم اليرموك . ينظر الإصابة ١١٢/١ ، ١١٣ .

يا رسولَ اللَّهِ ، إن حَلَفَ ذَهَبَ بأرضي . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ على يمينٍ كاذبةٍ لَيَقْتَطِعَ بها حقَّ أخيه ، لَيَقِيَّ اللَّهَ وهو عليه غَضَبَانُ » . فقال امرؤُ القيسِ : يا رسولَ اللَّهِ ، فما لِي تَرَكَّها وهو يَعْلَمُ أنها حقٌّ ؟ قال : « الجنةُ » . قال : فإنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي قد تَرَكْتُها . قال جريرٌ : فكنْتُ مع أيوبَ السَّخْتِيَّانِي حينَ سَمِعْنَا هذا الحديثَ مِن عدِيٍّ ، فقال أيوبُ : إن عدِيًّا قال في حديثِ العُرْسِ بنِ عَمِيرَةَ : فنَزَلَتْ هذه الآيةُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إلى آخرِ الآية . قال جريرٌ : ولم أَخْفِظْ يومئذٍ من عدِيٍّ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال آخرونَ : إن الأشعثَ بنَ قيسٍ اخْتَصَمَ هو ورجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ في أرضٍ كانت في يده لذلك الرجلِ ، أَخَذَهَا لَتَعَزُّزِهِ في الجاهليةِ ، فقال النبيُّ ﷺ : « أَقِمِ بَيْنَتَكَ » . قال الرجلُ : ليس يَشْهَدُ لِي أحدٌ على الأشعثِ . قال : « فلكَ يَمِينُهُ » . ^(٢) « فقام الأشعثُ لِيُخْلِفَ » ^(٣) ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل هذه الآيةَ ، فنَكَلَ الأشعثُ ، وقال : إني أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُكُمْ أن خَصَمِي صادقٌ . فردَّ إليه أرضه ، وزاده مِن أرضِ نفسِهِ زيادةً كثيرةً ؛ مَخَافَةً أن يَنْقُصَ في يده شيءٌ مِن حقِّه ، فهي لَعَقِبَ ذلكَ الرجلِ بعده ^(٣) .

(١) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٦٥٧) ، وأحمد ٢٥٧/٢٩ (١٧٧١٨) ، والنسائي في الكبرى (٥٩٩٦) ، من طريق يزيد بن هارون به . وأخرجه أحمد ٢٥٤/٢٩ (١٧٧١٦) ، والطبراني في الكبير ١٠٨/١٧ (٢٦٥) ، والبيهقي ٢٥٤/١٠ ، وفي الشعب (٤٨٤٠) من طريق جرير بن حازم به .
(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فقام الأشعثُ فحلف » ، وفي الدر : « فقال الأشعثُ : نحلف » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى المصنف ، إلى قوله : زيادة كثيرة .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ شَقِيقٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا ، هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لَقِيَ اللَّهَ ، وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ . ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية ، ثُمَّ إِنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ خَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ : مَا حَدَّثَكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا قَالَ : فَقَالَ : صَدَقَ ، لَقِيَ أَنْزِلَتْ ؛ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خُصُومَةٌ فِي بئرٍ ، فَاخْتَصَمْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ » . فَقُلْتُ : إِذَنْ يَحْلِفُ وَلَا يُبَالِي . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ » . ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَصْدِيقَ ذَلِكَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثْنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي دَاوُدُ بْنُ أَبِي هَنِيْدٍ ، عَنْ عَامِرٍ ، أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَتَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُهُ جَاءَ رَجُلٌ يُسَاوِمُهُ ، فَحَلَفَ لَقَدْ مَنَعَهَا أَوَّلَ النَّهَارِ مِنْ كَذَا ^(٢) ، وَلَوْ لَا الْمَسَاءُ مَا بَاعَهَا بِهِ . فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا دَاوُدُ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ

(١) أخرجه البخارى (٢٥١٥ ، ٢٦٦٩) ، ومسلم (١٣٨ / ٢٢١) ، والنسائى فى الكبرى (٥٩٩٣) من طريق جرير به ، كما أخرجه أحمد ٢١١ / ٥ (الميمنية) ، والبخارى (٦٦٥٩ ، ٧١٨٣) من طريق منصور به .

(٢) بعده فى م ، ت ١ : « وكذا » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢ / ٤٤ ، ٤٥ إلى المصنف .

مجاهد نحوه ^(١) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية إلى ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : أنزلهم الله بمنزلة السحرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن عمران بن حصين كان يقول : من حلف على يمين فاجرة يقطع بها مال أخيه ، فليتبوأ مقعده من النار . فقال له قائل : شيء سيغته من رسول الله ﷺ ؟ قال لهم : إنكم لتجدون ذلك . ثم قرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المشروقي ، قال : ثنا حسين بن علي ، عن زائدة ، عن هشام ، قال : قال محمد ، عن ^(٢) عمران بن حصين : من حلف على يمين مضبورة ^(٣) ، فليتبوأ بوجهه مقعده من النار . ثم قرأ هذه الآية كلها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : /إن اليمين الفاجرة من الكبائر . ثم تلا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/٢ إلى المصنف .

(٢) في النسخ : « بن » .

(٣) اليمين المضبورة ، أو يمين الصبر : هي التي يلزم بها صاحبها ويحبس عليها ، وكانت لازمة له من جهة الحكم . ينظر النهاية ٨/٣ .

(٤) أخرجه أحمد ٤/٤٣٦ ، ٤٤١ (الميمية) ، وأبو داود (٣٢٤٢) ، والبخاري (٣٦١١) ، والطبراني ١٨/١٨٨ (٤٤٦) ، والحاكم ٤/٢٩٤ من طريق هشام به مرفوعاً . وأخرجه الطبراني ١٨/١٨٧ (٤٤٥) من طريق محمد ابن سيرين به .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٤ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، أن عبد الله بن مسعود كان يقول : كنا نرى ونحن مع رسول الله ﷺ أن من الذنب الذي لا يُغفرُ يمين الصبر ، إذا فُجر فيها صاحبها^(١) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٨) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن من أهل الكتاب ، وهم اليهود الذين كانوا حواري مدينة رسول الله ﷺ على عهده ، من بنى إسرائيل .

والهاء والميم في قوله : ﴿ مِنْهُمْ ﴾ . عائدة على « أهل الكتاب » الذين ذكرهم في قوله : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ .

وقوله : ﴿ لَفَرِيقًا ﴾ . يعنى : جماعة ، ﴿ يَلْوُنَ ﴾ . يعنى : يُحَرِّفُونَ ﴿ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ . يعنى : لِتُظَنُّوا أن الذى يُحَرِّفُونَهُ بكلامهم من كتاب الله وتنزيله . يقول الله عز وجل : وما ذلك الذى لووا به ألسنتهم فحرفوه وأحدثوه من كتاب الله ، ويرغمون أن ما لووا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل ، فألحقوه فى كتاب الله ، ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . يقول : مما أنزله الله على أنبيائه ، ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . يقول : وما ذلك الذى لووا به ألسنتهم فأحدثوه ، مما أنزله الله إلى أحد من أنبيائه ، ولكنه مما أحدثوه من قِبَلِ أنفسهم ، افتراء على الله . يقول عز وجل : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . يعنى بذلك أنهم يتعمدون قِيلَ الكذب على الله ، والشهادة عليه بالباطل ، والإلحاق

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/٢ إلى المصنف .

بكتابِ اللَّهِ ما ليس منه ، طلبًا للرياسةِ والحسبيسِ من حُطامِ الدنيا .

وينحو ما قلنا في معنى : ﴿ يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ . قال أهل التأويل .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ . قال : يُحَرِّفُونَهُ ^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ حتى بلغ : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : هم أعداء الله اليهود ، حرّفوا كتاب الله ، وابتدعوا فيه ، وزعموا أنه من عند الله ^(٢) .

٣٢٤/٣ / حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله ^(٣) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ ﴾ : وهم اليهود ، كانوا يريدون في كتاب الله ما لم يُنزل الله ^(٤) .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ (٣٧٣٤) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٦/٢ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ عقب الأثر (٣٧٣٤) معلقًا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ (٣٧٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ (٣٧٣٣) عن محمد بن سعد به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ . قال : فريقٌ من أهل الكتاب يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ ، وذلك تحريفهم إياه عن موضعه ^(١) .

وأصل اللَّيِّ الفتلُ والقلبُ ، من قولِ القائل : لَوَى فلانٌ يدَ فلانٍ . إذا فتلها وقلبها . ومنه قولُ الشاعر ^(٢) :

* لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ *

يقالُ منه : لَوَى يَدَهُ ولسانه ، يَلْوِي لِيًا ، و ما لَوَى ظهرَ فلانٍ أحدٌ ، إذا لم يضرَّعه أحدٌ ، ولم يفتلْ ظهره إنسانٌ . وإنه لَأَلْوَى بَعِيدُ المستمرِّ ، إذا كان شديدَ الخصومةِ ، صابرًا عليها ، لا يُغَلَبُ فيها . قال الشاعر ^(٣) :

فلو كان في لَيْلَى شَدًا ^(٤) من خُصُومَةٍ لِلوَيْثِ أَعْنَاقَ الخُصُومِ ^(٥) المَلَاوِيَا
القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما ينبغي لأحدٍ من البشرِ . والبشرُ جمعُ بنى آدمَ ، لا

(١) ذكره الطوسي في التبيان ٥٠٨/٢ .

(٢) هو فرعان بن الأعرف أبو منازل ، والبيت في عيون الأخبار ٨٧/٣ ، ومعجم الشعراء ص ١٨٩ ، وشرح ديوان الحماسة ١٤٤٥/٣ .

(٣) هو قيس بن الملوح (مجنون ليلى) ، والبيت في الأغاني ٣٨/٢ ، واللسان (ش دى ، ش ذى ، ل وى) .

(٤) هذا الحرف يروى بالبدال المهملة ، وبالذال المعجمة ، والشدا البقية ، والشذا من الأذى . وأكثر الناس على أنه بالذال . اللسان (ش دى ، ش ذى) .

(٥) في اللسان : «المطى» . وكانت في أصول الأغاني : «الخصوم» . وغيرها ناشروه كرواية اللسان .

واحد له من لفظه ، مثل القوم والخلق ، وقد يكون اسمًا لواحد . ﴿ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ ﴾ . يقول : أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ عليه كتابه ، ﴿ وَالْحُكْمَ ﴾ . يعنى : وَيُعَلِّمَهُ فضل الحكمة ، ﴿ وَالنَّبُوءَ ﴾ . يقول : وَيُعْطِيهِ النبوة ، ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . يعنى : ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله ، وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة ، ولكنه إذا آتاه الله ذلك ، فإنما يدعُوهم إلى العلم بالله ، ويحدوهم على معرفة شرائع دينه ، وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه ، وأئمة في طاعته وعبادته ، بكونهم مُعلِّمى الناس الكتاب ، وبكونهم دارسيه .

/وقيل : إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَتَدْعُونَا إِلَى عِبَادَتِكَ ؟

٣٢٥/٣

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، قال : ثنا ابنُ إِسْحَاقَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عن عِكْرَمَةَ ، أو سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ ، قال : قال أَبُو رَافِعٍ الْقُرْظِيُّ حِينَ اجْتَمَعَتِ الْأَخْبَارُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ ، عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ : أَتُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ نَعْبُدَكَ كَمَا تَعْبُدُ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ نَصْرَانِي ، يُقَالُ لَهُ الرَّئِيسُ ^(١) : أَوْ ذَاكَ تَرِيدُ مِنَّا يَا مُحَمَّدُ ، وَإِلَيْهِ تَدْعُونَا ؟ أَوْ كَمَا قَالَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ ، أَوْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي ، وَلَا بِذَلِكَ أُمِرُنِي » . أَوْ كَمَا قَالَ .

(١) في م ، وتفسير ابن أبي حاتم : « الرئيس » ، وفي س : « الرئيس » ، وبعده في سيرة ابن هشام : « ويروى : الرئيس ، والرئيس » .

والرئيس : رئيس السامرة ، خذلهم الله تعالى ، وهو كبيرهم ، تبصير المنتبه ٦١٧/٢ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ الآية ، إلى قوله : ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال ^(٢) أبو رافع ^(٣) القرظي . فذكر نحوه ^(٤) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . يقول : ما كان ينبغي لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة يأمر عباده أن يتخذوه رباً من دون الله .

حدثني المشني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله ^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كان ناس من يهود يتعبدون الناس من دون ربهم ، بتحريفهم كتاب الله عن موضعه ، فقال الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . ثم يأمر الناس بغير ما

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٥٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٣/٢ (٣٧٥٦) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال محمد بن أبي محمد : وقال أبو نافع فذكره .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم - كما مر - : « أبو نافع » .

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣٨٤/٥ من طريق يونس بن بكير به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩١/٢ (٣٧٤٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ^(١) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بذلك : ولكن يقول لهم : كونوا ربّائين . فترك القول استغناءً بدلالة الكلام عليه .

وأما قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : معناه : كونوا حُكَمَاءَ عُلَمَاءَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ أَبِي رَزِينَ : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قَالَ : حُكَمَاءَ عُلَمَاءَ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ يَمَانَ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ أَبِي رَزِينَ : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قَالَ : حُكَمَاءَ عُلَمَاءَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، عَنْ عَمْرِو ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ أَبِي رَزِينَ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ أَبِي رَزِينَ : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ : حُكَمَاءَ عُلَمَاءَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، عَنْ عَوْفٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩١/٢ (٣٧٤٥) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

(٢) تفسير سفيان ص ٧٨ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٤ - تفسير) عن جرير به بلفظ : فقهاء علماء .

﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . قال : كونوا فقهاء علماء^(١) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . قال : فقهاء^(٢) .

حدثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني القاسم ، عن مجاهد قوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ قال : فقهاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . قال : كونوا فقهاء علماء^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن منصور بن المعتمر ، عن أبي رزين في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . قال : علماء حكماء^(٣) . قال معمر : وقال قتادة^(٤) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ،

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٢/٢ عقب الأثر (٣٧٤٩) معلقا .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١٢٥/١ بلفظ : علماء علماء . وقال ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩١/٢ عقب الأثر (٣٧٤٧) : وروى عن أبي رزين : علماء علماء .

(٤) كذا في النسخ ، وينظر المحرر الوجيز ٤٨٤/٢ ، وفي البحر المحيط ٥٠٦/٢ : والرباني : الحكيم العالم ، قاله قتادة وأبو رزين ... أو العالم الحليم ، قاله قتادة وغيره .

عن السُّدِّيِّ في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ : أما الرِّبَانِيُّونَ فالحُكَمَاءُ
الْفُقَهَاءُ^(١) .

حدثني يونس^(٢) ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ^(٣) ، قال : أخبرنا سفيانُ ، عن ابنِ أبي
نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : الرِّبَانِيُّونَ الْفُقَهَاءُ الْعُلَمَاءُ ، وَهُمْ فَوْقَ الْأَخْبَارِ^(٤) .

حدثني مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قال : ثنى أَبِي ، قال : ثنى عَمِي ، قال : ثنى أَبِي ،
عن أَبِيهِ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ قوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . يقولُ : كونوا
حُكَمَاءَ فُقَهَاءَ .

حدثتُ عن المِنْجَابِ ، قال : ثنا بِشْرُ بْنُ عَمَارَةَ ، عن أَبِي حمزة الثَّمَالِيِّ ، عن
يحيى بنِ عَقِيلٍ في قوله : ﴿ الرِّبَانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ ﴾ [المائدة : ٤٤ ، ٦٣] . قال : الْفُقَهَاءُ
الْعُلَمَاءُ .

حدثتُ عن المِنْجَابِ ، قال : ثنا بِشْرُ ، عن أَبِي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ
عَبَّاسٍ مثله^(٥) .

حدثني ابنُ سنانٍ القَزَّازُ ، قال : ثنا الحُسَيْنُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَشْقَرُ ، قال : ثنا أَبُو
كَذَيْبَةَ ، عن عطاءِ بنِ السَّائِبِ ، عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ في قوله :
﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قال : كونوا حُكَمَاءَ فُقَهَاءَ^(٥) .

(١) في ت ٢ : « والفقهاء » .

(٢) (٢ - ٢) سقط من ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٢/٢ (٣٧٤٩) من طريق المنجاب به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩١/٢ (٣٧٤٦) من طريق عطاء به ، بلفظ : هم الفقهاء المعلومون .

حَدَّثَ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . يَقُولُ : كُونُوا فُقَهَاءَ عُلَمَاءَ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ هُمُ الْحُكَمَاءُ الْأَتْقِيَاءُ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ طَلْحَةَ الْيَزْبُعِيُّ ، قَالَ : ثنا فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قَالَ : حُكَمَاءُ أَتْقِيَاءَ^(٢) .
وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ هُمُ وَلَاةُ النَّاسِ وَقَادَتُهُمْ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ زَيْدٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قَالَ : الرِّبَانِيُّونَ الَّذِينَ يَرْبُّونَ النَّاسَ ، وَلَاةُ هَذَا الْأَمْرِ ، يَرْبُّونَهُمْ : يُلُونَهُمْ . وَقَرَأَ : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ ﴾ [المائدة : ٦٣]
قَالَ : الرِّبَانِيُّونَ الْوَلَاةُ ، وَالْأَنْبِيَاءُ الْعُلَمَاءُ^(٣) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ فِي الرِّبَانِيِّينَ ، أَنَّهُمْ جَمْعُ رَبَّانِيٍّ ، وَأَنَّ الرِّبَّانِيَّ الْمُنْسُوبَ إِلَى الرِّبَّانِ ، الَّذِي يَرْبُّ النَّاسَ ، وَهُوَ الَّذِي يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ ، وَيُرْثِيهَا ، وَيَقُومُ بِهَا ، وَمِنْهُ قَوْلُ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ^(٤) :

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى ابن أبي حاتم وعبد بن حميد .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٢/٢ عقب الأثر (٣٧٤٩) معلقا .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

(٤) تقدم تخريجه في ١٤٣/١ .

وَكُنْتَ أَهْرَآءً أَفْضَتْ إِلَيْكَ رَبَّابَتِي . وَقَبْلَكَ رَبَّتُنِي - فَضِيعْتُ - رُبُوبُ
يعنى بقوله : ربتنى : ولّى أمرى والقيام به قبلك من يرثه و يُصليحه ، فلم
يُصليحوه ، ولكنهم أضاعونى فَضِيعْتُ .

يقال منه : ربّ أمرى فلان ، فهو يرثه ربّا ، وهو رآه . فإذا أريد به المبالغة فى
مدحه قيل : هو ربّان . كما يقال : هو نَعْسَانُ . من قولهم : نَعَسَ يَنْعَسُ . وأكثر ما
يجىء من الأسماء على « فَعْلان » ما كان من الأفعال ماضيه على « فَعِلَ » مثل
قولهم : هو سكران وعطشان وربّان ، من : سَكَرَ يَسْكُرُ ، وَعَطِشَ يَعْطِشُ ، وَرَوَى
يَرْوَى . وقد يجىء مما ^(١) كان ماضيه على « فَعَلَ يَقْعُلُ » ، نحو ما قلنا من : نَعَسَ
يَنْعَسُ ، و : ربّ يربّ .

فإذ كان الأمر فى ذلك على ما وصفنا ، وكان الرّبّانُ ما ذكرنا ، والرّبّانِي هو
المنسوب إلى مَنْ كان بالصفة التى وصفتُ ، وكان العالم بالفقه ^(٢) والحكمة من
المُصلحين ^(٣) أمور الناس بتعليمه إياهم الخير ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم ، وكان
كذلك الحكيمُ التقى لله ، والوالى الذى يلى أمور الناس ، على المنهاج الذى وليّه
المُقسِطون من المُصلحين أمور الخلق بالقيام فيهم ، بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم ،
وعائدة النفع عليهم فى دينهم ودنياهم ، كانوا جميعاً ^(٤) مُستحقين أنَّهُم ^(٥) يَدْخُلَ
فى قوله عز وجل : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ ﴾ .

(١) فى ص ، ت ١ : « ما » .

(٢) فى ص ، س : « دون الفقه » .

(٣) بعده فى م : « يرب » .

(٤ - ٥) فى ص ، ت ١ ، س : « مستحقون أن » .

فالرَّبَّانِيُونَ إِذْ هُمْ عِمَادُ النَّاسِ فِي الْفَقْهِ وَالْعِلْمِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ : وَهُمْ فَوْقَ الْأَخْبَارِ . لِأَنَّ الْأَحْبَارَ هُمُ الْعُلَمَاءُ ، وَالرَّبَّانِيُّ الْجَامِعُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ الْبَصِيرَ بِالسِّيَاسَةِ وَالتَّذْيِيرَ ، وَالْقِيَامَ بِأُمُورِ الرِّعْيَةِ ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ .

اِخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَهُ عَامَّةُ قُرَاءَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَبَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ : (بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ) . بِفَتْحِ التَّاءِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ ^(١) ، بِمَعْنَى : بِعَلْمِكُمُ الْكِتَابَ ، وَدِرَاسَتِكُمْ إِيَّاهُ وَقِرَاءَتِكُمْ . وَاعْتَلُّوا لِاخْتِيَارِهِمْ قِرَاءَةَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، بِأَنَّ الصَّوَابَ لَوْ كَانَ التَّشْدِيدُ فِي اللَّامِ وَضَمُّ التَّاءِ ، لَكَانَ الصَّوَابُ فِي : ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ . بِضَمِّ التَّاءِ / وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ .

وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَاءَةِ الْكُوفِيِّينَ : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ ﴾ . بِضَمِّ التَّاءِ مِنْ : ﴿ تُعَلِّمُونَ ﴾ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ ^(٢) ، بِمَعْنَى : بِتَعْلِيمِكُمُ النَّاسَ الْكِتَابَ ، وَدِرَاسَتِكُمْ إِيَّاهُ . وَاعْتَلُّوا لِاخْتِيَارِهِمْ ذَلِكَ بِأَنَّ مَنْ وَصَفَهُمُ بِالْتَّعْلِيمِ فَقَدْ وَصَفَهُمُ بِالْعِلْمِ ، إِذْ لَا يُعَلِّمُونَ إِلَّا بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِمَا يُعَلِّمُونَ .

قَالُوا : وَلَا مَوْصُوفَ بِأَنَّهُ يُعَلِّمُ إِلَّا وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ عَالِمٌ . قَالُوا : فَأَمَّا الْمَوْصُوفُ بِأَنَّهُ عَالِمٌ ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ بِأَنَّهُ مُعَلِّمٌ غَيْرِهِ . قَالُوا : فَأُولَى الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ أَبْلَغُهُمَا فِي مَدْحِ الْقَوْمِ ، وَذَلِكَ وَصَفُهُمُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْكِتَابَ .

(١) وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَنَافِعٍ وَأَبِي عَمْرٍو . السَّبْعَةُ لِابْنِ مُجَاهِدٍ ص ٢١٣ .

(٢) وَهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ وَابْنِ عَامِرٍ وَحُمَزةَ وَالْكَسَائِي . الْمَصْدَرُ السَّابِقُ .

كما حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا يَحْيَى بْنُ آدَمَ ، عن ابنِ عُيَيْنَةَ ، عن حُمَيْدِ الْأَعْرَجِ ، عن مجاهدٍ أَنَّهُ قَرَأَ : (بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) . مُخَفَّفَةً بِنَصْبِ التَّاءِ ^(١) ، وقال ابنُ عُيَيْنَةَ : ما عَلَّمُوهُ حَتَّى عَلَّمُوهُ ^(٢) .
 وَأَوَّلَى الْقُرْآنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ ^(٣) قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهُ بِضَمِّ التَّاءِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَ الْقَوْمَ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ عَمَادٍ لِلنَّاسِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَأَهْلُ إِصْلَاحٍ لَهُمْ وَلِأُمُورِهِمْ ، وَتَرْبِيَةٍ ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّينَ عَلَیْكُمْ ﴾ . على ما بَيَّنَّا قَبْلُ مِنْ مَعْنَى الرِّبَانِيِّ ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ صَارُوا أَهْلَ إِصْلَاحٍ لِلنَّاسِ وَتَرْبِيَةٍ لَهُمْ ، بِتَعْلِيمِهِمْ إِيَّاهُمْ كِتَابَ رَبِّهِمْ .
 وَدِرَاسَتُهُمْ إِيَّاهُ تِلَاوَتُهُ . وقد قِيلَ : دِرَاسَتُهُمُ الْفَقْهُ .

وَأَشْبَهُ التَّأْوِيلَيْنِ بِالْدِّرَاسَةِ مَا قُلْنَا مِنْ تِلَاوَةِ الْكِتَابِ ؛ لِأَنَّهُ عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ تَعْلَمُونَ أَلْكِتَابَ ﴾ . وَالْكِتَابُ هُوَ الْقُرْآنُ ، فَلِأَنَّ تَكُونَ الدِّرَاسَةَ مَعْنِيًّا بِهَا دِرَاسَةُ الْقُرْآنِ ، أَوَّلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهَا دِرَاسَةُ الْفَقْهِ الَّذِي لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ .

(١) كَذَا قَالَ الْمُصَنِّفُ ، وَقَدْ نَصَّ فِي الْحَرَّرِ الرَّجِيزِ ٤٨٦/٢ ، وَالْبَحْرِ الْخَاطِطِ ٥٠٦/٢ ، أَنَّ قِرَاءَتَهُ بَفَتْحِ التَّاءِ وَالْعَيْنِ وَاللَّامِ الْمَشْدُودَةِ ، أَى : تَتَعْلَمُونَ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٩٢/٢ (٣٧٥١) مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ آدَمَ بِهِ ، قَالَ : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ : حَقِيقَةً مَا عَلَّمُوهُ حَتَّى عَلَّمُوا .

ثُمَّ أُورِدَ فِي الْأَثَرِ (٣٧٥٣) بِسَنَدٍ آخِرٍ إِلَى سَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، قَالَ : مَنْ قَرَأَهَا ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قَالَ : يَقُولُ : عَلِّمُوا وَعَمِلُوا ثُمَّ عَلَّمُوا .

وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٤٧/٢ كَالَّذِي عِنْدَنَا أَيْضًا سِوَاءَ ، وَعَزَاهُ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٣) قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي الْبَحْرِ الْخَاطِطِ ٥٠٦/٢ : وَتَكَلَّمُوا فِي تَرْجِيحِ إِحْدَى الْقُرْآنَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنِّي لَا أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ التَّرَاجِيحِ ؛ لِأَنَّهَا كُلُّهَا مَنَقُولَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ قُرْآنًا ، فَلَا تَرْجِيحَ فِي إِحْدَى الْقُرْآنَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : قال يحيى بن آدم : قال أبو بكر^(١) :
كان عاصم يقرأها : ﴿ يَمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ ﴾ . قال : القرآن ، ﴿ وَيَمَّا
كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ . قال : الفقه^(٢) .

فمعنى الآية : ولكن يقول لهم : كونوا أيها الناس سادة الناس وقادتهم ، في أمر
دينهم ودنياهم ، ربانيين بتعليمكم إياهم كتاب الله ، وما فيه من حلال وحرام ،
وفرض وندب ، وسائر ما خواه من معاني أمور دينهم ، وبتلاوتكم إياه ،
ودراستكموه .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ
أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

اختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ ؛ فقرأته عامة قراء الحجاز
والمدينة : (ولا يأمركم)^(٣) . على / وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبي ﷺ أنه لا
يأمركم أيها الناس أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا .

واستشهد قارئو ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود^(٤) أنه كان
يقرأها^(٥) : (وَلَنْ يَأْمُرَكُمْ) . فاستدلوا بدخول « لن » على انقطاع الكلام عما قبله ،

(١) في النسخ : « زكريا » . وتقدم على الصواب في ٦٢٠/٢ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢١٣ .

(٤) في س : « عباس » . وينظر قراءة ابن مسعود في الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٣٥٠ ، ٣٥١ ،
والحرر الوجيز ٤٨٦/٢ ، والبحر المحيط ٥٠٧/٢ .

(٥) بعده في ص ، ت ، ٣ : « وهو » ، وبعده في م ، ت ، ١ : « وهي » .

وابتداء خبر مستأنف . قالوا : فلما صير مكان « لَنْ » فى قراءتنا : ﴿ لَا ﴾ وجبت قراءته بالرفع .

وقرأه بعض الكوفيين والبصريين ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ بنصب الراء^(١) ، عطفاً على قوله : ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ ﴾ . وكان تأويله عندهم : ما كان لبشر أن يؤتية الله الكتاب ثم يقول للناس ، ولا أن يأمركم ، بمعنى : ولا كان له أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً .

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ . بالنصب على الاتصال بالذى قبله ، بتأويل : ما كان لبشر أن يؤتية الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دُونِ الله ، ولا أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً . لأن الآية نزلت فى سبب^(٢) القوم الذين قالوا لرسول الله ﷺ : أتريد أن نعبدك ؟ فأخبرهم الله جل ثناؤه أنه ليس لنبيه ﷺ أن يدعوا الناس إلى عبادة نفسه ، ولا إلى اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً ، ولكن الذى له أن يدعوهم إلى أن يكونوا ربانين .

فأما الذى ادعى من قرأ ذلك رفعاً أنه فى قراءة عبد الله : (ولن يأمركم) . استشهاده لصحة قراءته بالرفع ، فذلك خبر غير صحيح سنده ، وإنما هو خبر رواه حجاج ، عن هارون الأعور^(٣) أن ذلك فى قراءة عبد الله كذلك ، ولو كان ذلك خبراً صحيحاً سنده ، لم يكن فيه محتج حجة ؛ لأن ما كان على صحته من القراءة من

(١) وهى قراءة عاصم وابن عامر وحمة . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٣ .

(٢) فى م : « سب » .

(٣) فى م : « لا يجوز » . ورسمه فى باقى النسخ أقرب إلى المثبت . ينظر غاية النهاية ٣٤٨/٢ ، وتهذيب الكمال ١١٥/٣٠ .

الكتاب الذي قد جاء به المسلمون وراثته عن نبيهم ﷺ لا يجوز تركه ، لتأويل على^(١) قراءة أضيفت إلى بعض الصحابة ، ينقل من يجوز في نقله الخطأ والسهو .

فتأويل الآية إذن : وما كان للنبي أن يأمر^(٢) الناس أن يتخذوا الملائكة والنبیین أرباباً - يعنى بذلك : آلهة يُعبدون من دون الله - كما ليس له أن يقول لهم : كونوا عباداً لى من دون الله . ثم قال جل ثناؤه نافيًا عن نبيه ﷺ أن يأمر عباده بذلك : ﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ ﴾ أيها الناس ، نبيكم ، بـجُحودٍ وخدانية الله ، ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . يعنى : بعد إذ أنتم له مُنقادون بالطاعة ، مُتذللون له بالعبودية . أى : إن ذلك غير كائن منه أبداً .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ولا يأمركم النبي ﷺ أن تتخذوا الملائكة والنبیین أرباباً^(٣) .

القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ .

/يعنى بذلك جل ثناؤه : واذكروا يا أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبیین . ٣٣٠/٣
يعنى : حين أخذ الله ميثاق النبیین . وميثاقهم : ما وثقوا به على أنفسهم طاعة الله فيما أمرهم ونهاهم .

وقد بيّنا أصل الميثاق باختلاف أهل التأويل فيه بما فيه الكفاية^(٤) .

(١) فى م : « نحو » .

(٢) بعده فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « كما نهى » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٤٣٩/١ ، ٤٦/٢ .

﴿لَمَّا آتَيْنَكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ . فاختلفتِ القراءةُ في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامةُ قراءة الحجاز والعراق : ﴿لَمَّا آتَيْنَكُمْ﴾ . بفتح اللامِ من : ﴿لَمَّا﴾ . إلا أنهم اختلفوا في قراءة : ﴿آتَيْنَكُمْ﴾ ؛ فقرأه بعضهم : ﴿آتَيْنَكُمْ﴾ . على التوحيد ، وقرأه آخرون : (آتَيْنَاكُمْ) . على الجمع ^(١) .

ثم اختلف أهل العربية إذا قرئ ذلك كذلك ؛ فقال بعض نحويي البصرة : اللام التي مع «ما» في أول الكلام لأم الابتداء ، نحو قول القائل : لزيد أفضل منك . لأن «ما» ^(٢) اسم ، والذي بعدها صلة لها ، واللام التي في : ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ . لأم القسم ، كأنه قال : والله لتؤمننَّ به . يؤكِّد في أول الكلام وفي آخره ، كما يقال : أما ^(٣) والله أن لو جئتني لكان كذا وكذا . وقد يُستغنى عنها ، فوكِّد في : ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ . باللام في آخر الكلام ، وقد يُستغنى عنها ، ويُجعل خبر : ﴿لَمَّا آتَيْنَكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ مثل : لعبد الله والله لتأتيته . قال : وإن شئت جعلت خبر «ما» ﴿مِّن كِتَابٍ﴾ . يريد : لما آتيتكم كتاباً وحكمة . وتكون ﴿مِّن﴾ زائدة .

وخطأ بعض نحويي الكوفيين ذلك كله ، وقال : اللام التي تدخل في أوائل الجزاء ^(٤) تجاب بجوابات الأيمان ، يقال : لمن قام لآتيته . و : لمن قام ما أحسن . فإذا وقع في جوابها «ما» ، و «لا» ، علم أن اللام ليست بتوكيد للأولى ؛ لأنه يُوضع موضعها «ما» و «لا» ، فتكون كالأولى ، وهي جواب للأولى . قال : وأما قوله :

(١) قرأ حمزة وحده بكسر اللام من (لما) . وقرأ الباقون بالفتح ، وقرأ نافع وحده : (آتيناكم) . وقرأ الباقون :

﴿آتيتكم﴾ . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٤ .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «لما» .

(٣) في س : «لما» .

(٤ - ٤) في م : «لا تجاب بما ولا لا ، فلا يقال : لمن قام لا تتبعه ، ولا» .

﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ . بمعنى إسقاط ﴿مِّن﴾ غلط ؛ لأن «مِن» التى تدخل وتخرج لا تقع مواقع الأسماء . قال : ولا تقع فى الخبر أيضاً ، إنما تقع فى الجحد والاستفهام والجزاء .

وأولى الأقوال فى تأويل هذه الآية - على قراءة من قرأ ذلك بفتح اللام - بالصواب : أن يكون قوله : ﴿لَمَّا﴾ بمعنى : لهما . وأن تكون «ما» حرف جزاء أدخلت عليها اللام ، وصيّر الفعل معها على «فَعَلَ» ، ثم أُجيب بما تجاب به الأيمان ، فصارت اللام الأولى يميناً ، إذ تُلقِيت بجواب اليمين .

وقرأ ذلك آخرون : (لَمَّا آتَيْنَاكُمْ) . بكسر اللام من «لما» ، وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة .

ثم اختلف قارئو ذلك كذلك فى تأويله ؛ فقال بعضهم : معناه إذا قرئ كذلك : وإذا أخذ الله ميثاق النبيين للذى آتيتكم . ف «ما» على هذه القراءة بمعنى «الذى» عندهم . وكان تأويل الكلام : وإذا أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذى آتاهم من كتاب وحكمة ، ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ . يعنى : ثم إن جاءكم رسول ، يعنى ذكر محمد فى التوراة - ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ . أى : ليكون إيمانكم به للذى عندكم فى التوراة من ذكره .

وقال آخرون منهم : تأويل ذلك إذا قرئ بكسر اللام من (لما) : وإذا أخذ الله ميثاق النبيين للذى آتاهم من الحكمة . ثم جعل قوله : ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ . من الأخذ ، أخذ الميثاق ، كما يقال فى الكلام : أخذت ميثاقك لتفعلن . لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف . فكان تأويل الكلام عند قائل هذا القول : وإذا استحلف الله النبيين للذى آتاهم من كتاب وحكمة ، متى جاءهم رسول مُصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه .

وَأُولَى الْقَرَاءَتِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قِرَاءَةٌ مِّن قَرَأَ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْنَاكُمْ﴾ . / بفتح اللام ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخَذَ مِيثَاقَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بِتَصْدِيقِ كُلِّ رَسُولٍ لَهُ ابْتَعَثَهُ إِلَى خَلْقِهِ ، فِيمَا ابْتَعَثَهُ بِهِ إِلَيْهِمْ ، كَانَ مِنْ آتَاهُ كِتَابًا ، أَوْ مِنْ لَمْ يُؤْتِهِ كِتَابًا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ وَصَفُ أَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرُسُلِهِ ، بِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أُبَيِّحٍ لَهُ التَّكْذِيبُ بِأَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، كَانَ بَيِّنًا أَنَّ قِرَاءَةَ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ : (لَمَآ آتَيْنَاكُمْ) . بكسر اللام ، بمعنى : من أجل الذي آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ . لَا وَجْهَ لَهُ مَفْهُومٌ إِلَّا عَلَى تَأْوِيلٍ بَعِيدٍ ، وَانْتِزَاعٍ عَمِيقٍ .

ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَنْ أَخَذَ مِيثَاقَهُ بِالْإِيمَانِ بِمَنْ جَاءَهُ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا أَخَذَ اللَّهُ بِذَلِكَ مِيثَاقَ أَهْلِ الْكِتَابِ دُونَ أَنْبِيَائِهِمْ . وَاسْتَشْهَدُوا لَصَحَّةِ قَوْلِهِمْ بِذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ . قَالُوا : فَإِنَّمَا أَمْرُ الَّذِينَ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ مِنَ الْأُمَمِ بِالْإِيمَانِ بِرُسُلِ اللَّهِ ، وَنُصْرَتِهَا عَلَى مَنْ خَالَفَهَا ، وَأَمَّا الرُّسُلُ ، فَإِنَّهُ لَا وَجْهَ لِأَمْرِهَا بِنُصْرَةِ أَحَدٍ ؛ لِأَنَّهَا الْمَحْتَاجَةُ إِلَى الْمَعُونَةِ عَلَى مَنْ خَالَفَهَا مِنْ كُفْرَةِ بَنِي آدَمَ ، فَأَمَّا هِيَ ، فَإِنَّهَا لَا تُعَيَّنُ الْكُفْرَةَ عَلَى كُفْرِهَا وَلَا تُنْصَرُّهَا . قَالُوا : وَإِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُهَا وَغَيْرُ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ ، فَمَنْ الَّذِي يُنْصَرُّ النَّبِيُّ فَيُؤْخَذُ مِيثَاقُهُ بِنُصْرَتِهِ ؟

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْنَاكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ . قَالَ : هِيَ خَطَأٌ مِنَ الْكَاتِبِ ^(١) ، وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ : (وَإِذَا أَخَذَ

(١) فِي تَفْسِيرِ مُجَاهِدٍ وَالدَّرِمَشَوْر : « الْكِتَابُ » . قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيط ٢ / ٥٠٨ : وَهَذَا لَا يَصِحُّ عَنْهُ ؛ =

اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ . يقول : وإذ أخذ الله ميثاق الذين أُوتُوا الكتاب . وكذلك كان يقرؤها الربيع : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) . إنما هي أهل الكتاب . قال : وكذلك كان يقرؤها أبي بن كعب . قال الربيع : ألا ترى أنه يقول : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ . يقول : لتؤمننَّ بمحمد ﷺ ولتنصرنه . قال : هم أهل الكتاب^(٢) .

وقال آخرون : بل الذين أخذ ميثاقهم بذلك الأنبياء دون أممها .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المثنى وأحمد بن حازم ، قالا : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم^(٣) .

= لأن الرواة الثقات نقلوا عنه أنه قرأ النبيين كعبد الله بن كثير وغيره ، وإن صح ذلك عن غيره فهو خطأ مردود بإجماع الصحابة على مصحف عثمان .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى عبد بن حميد والفرابي وابن المنذر .

(٢) عزه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٣/٢ (٣٧٥٧) ، من طريق أبي نعيم به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى ابن المنذر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طائوس ، عن أبيه في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ : أَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن طائوس ، عن أبيه / في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ الآية . قال : أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخر منهم ^(٢) .

٣٣٢/٣

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف بن عمر ^(٣) ، عن أبي رزق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لم ينعث الله عز وجل نبيا ؛ آدم فمن بعده ، إلا أخذ عليه العهد في محمد ، لئن بُعث وهو حي ، ليؤمنن به ولينصرنّه ، ويأمره فيأخذ العهد على قومه ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ الآية ^(٤) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ ﴾ الآية : هذا ميثاق أخذ الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضا ، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته ، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم ، وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ،

(١) سيأتي تخريجه بتمامه في ص ٥٤٣ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) في م : « عمرو » . وينظر تهذيب الكمال ٣٢٤ / ١٢ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

وَيُصَدِّقُوهُ وَيَنْصُرُوهُ ^(١) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ الآية . قال : لم يَتَّعِثِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا قَطُّ مِنْ لَدُنْ نوحٍ إِلَّا أَخَذَ مِيثَاقَهُ لِيُؤْمِنَنَّ بِمحمدٍ وَلِيَنْصُرُنَّهُ إِنْ خَرَجَ وَهُوَ حَيٌّ ، وَإِلَّا أَخَذَ عَلَى قَوْمِهِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ ، وَلِيَنْصُرُنَّهُ إِنْ خَرَجَ وَهُمْ أَحْيَاءُ ^(٢) .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا عبد الكبير ^(٣) بن عبد المجيد أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عباد بن منصور ، قال : سألت الحسن عن قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ الآية كلها . قال : أخذ الله ميثاق النبیین لِيَلْبِغَنَّ آخَرَكُمْ أَوْلَكُمْ وَلَا تَخْتَلِفُوا ^(٤) .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه أخذ ميثاق النبیین وأُممهم ، فاجتزأ بذكر الأنبياء عن ذكر أُممها ؛ لأنَّ في ذكر أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذِهِ على التَّبَاع ؛ لأنَّ الأُمَّمَ تَبَاعُ الأنبياء .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : ثم ذكر ما أُخِذَ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٤/٢ (٣٧٦١) ، من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) فى س : « الكرم » . وينظر تهذيب الكمال ٢٤٣/١٨ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

عليهم - يعنى : على أهل الكتاب - وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه - يعنى : بتصديق محمد ﷺ - إذا جاءهم ، وإقرارهم به على أنفسهم ، فقال : ﴿ وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ إلى آخر الآية ^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس مثله ^(٢) .

وأولى هذه الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك الخبر عن أخذ الله الميثاق من أنبيائه ، بتصديق بعضهم بعضاً ، وأخذ الأنبياء على أممها وتبائعها الميثاق بنحو الذى أخذ عليها ربها ، من تصديق / أنبياء الله ورسوله بما جاءتها به ؛ لأن الأنبياء عليهم السلام بذلك أرسلت إلى أممها ، ولم يدع أحد من صدق المرسلين أن نبياً أرسل إلى أمة بتكذيب أحد من أنبياء الله عز وجل ومحججه فى عبادته ، بل كلها - وإن كذب بعض الأمم بعض أنبياء الله ببحورها نبوته - مقيمة بأن من ثبتت صحته نبوته ، فعليها الدثينة بتصديقه ، فذلك ميثاق مقرر به جميعهم . ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق إنما أخذ على الأمم دون الأنبياء ؛ لأن الله عز وجل قد أخبر أنه أخذ ذلك من النبیین ، فسواء قال قائل : لم يأخذ ذلك منها ربها . أو قال : لم يأمرها ببلاغ ما أرسلت . وقد نص الله عز وجل أنه أمرها بتبليغه ؛ لأنهما جميعاً خبران من الله عنها ؛ أحدهما أنه أخذ منها ، والآخر منهما أنه أمرها ، فإن جاز الشك فى أحدهما جاز فى الآخر . وأما ما استشهد به الربيع بن أنس ، على أن المعنى بذلك أهل

٣٣٣/٣

(١) سيرة ابن هشام ٥٥٥/١ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٤/٢ ، ٦٩٥ (٣٧٦٤) من طريق سلمة ، عن محمد بن إسحاق قوله . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى ابن المنذر .
(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٨٤/٥ من طريق يونس بن بكير به .

الكتاب ، من قوله : ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ . فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ شَاهِدٍ عَلَى صَحَّةِ مَا قَالَ ؛ لَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَدْ أُمِرَ بَعْضُهَا بِتَصْدِيقِ بَعْضٍ ، وَتَصْدِيقُ بَعْضِهَا بَعْضًا نُصْرَةً مِنْ بَعْضِهَا بَعْضًا .

ثم اختلفوا فى الذين غنوا بقوله : ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ ؛ فقال بعضهم : الذين غنوا بذلك هم الأنبياء ، أخذت مواثيقهم أن يُصَدِّقَ بعضهم بعضًا ، وأن ينصروه . وقد ذكرنا الرواية بذلك عمن قاله .

وقال آخرون : هم أهل الكتاب ، أمروا بتصديق محمد ﷺ إذا بعثه الله ، وبُنصرتِه ، وأُخذ ميثاقهم فى كتبهم بذلك . وقد ذكرنا الرواية بذلك أيضًا عمن قاله .

وقال آخرون - بمن قال : الذين غنوا بأخذ الله ميثاقهم منهم فى هذه الآية هم الأنبياء - : قوله : ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ مَعْنَى به أهل الكتاب .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرنا ابن طاووس ، عن أبيه فى قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ . قال : أخذ الله ميثاق النبیین أن يُصَدِّقَ بعضهم بعضًا ، ثم قال : ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ . قال : فهذه الآية لأهل الكتاب ، أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا بمحمد ويصدّقوه ^(١) .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٤ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٩٣ ، ٦٩٤ (٣٧٥٨ ، ٣٧٦٢) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٤٧ إلى ابن المنذر مختصراً .

حدثني المشني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنى ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، قال : قال قتادة : أخذ الله على النبيين ميثاقهم أن يُصدّق بعضهم بعضًا ، وأن يُبلغوا كتاب الله ورسالته إلى عبادِهِ ، فبلغت الأنبياءُ كتاب الله ورسالاتِهِ إلى قومِهِمْ ، وأخذوا موثيقَ أهل الكتابِ في كتابِهِمْ فيما بلغَ عنهم رسولُهُمْ أن يؤمنوا بمحمدٍ ﷺ ويُصدّقوه وَيُصْطُرُّوه ^(١) .

وأولى الأقوال بالصوابِ عندنا في تأويل هذه الآية أن جميع ذلك خبرٌ من الله عز وجل عن أنبيائه ، أنه أخذ ميثاقَهُمْ به ، وألزمَهُمْ دعاءَ أممِها إليه ، والإقرارَ به ؛ لأنَّ ابتداء الآية خبرٌ من الله عز وجل عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقَهُمْ ، ثم وصف الذي أخذ به ميثاقَهُمْ ، فقال : هو كذا ، وهو كذا .

وإنما قلنا : إن ما أخبر الله أنه أخذ به موثيقَ أنبيائه من ذلك ، قد أخذت الأنبياءُ موثيقَ أممِها به ؛ لأنها / أُرسلت لِتدعوَ عبادَ الله إلى الدِّينِ بآمرٍ بالدِّينِ به في أنفسِها من تصديقِ رُسلِ الله ، على ما قدّمنا البيانَ قَبْلُ .

٣٣٤/٣

فتأويل الآية : واذكروا يا معشرَ أهل الكتابِ إذ أخذ الله ميثاقَ النبيينَ ، لَمَهْمَا آتَيْتُكُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّونَ من كتابٍ وحكمةٍ ، ثم جاءكم رسولٌ من عندِي مُصدِّقٌ لما معكم ، ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ به - يقول : لَتُصَدِّقُنَّه - ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ .

وقد قال السُّدِّيُّ في ذلك بما حدثنا به محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ قولَهُ : ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ﴾ . يقول لليهود : أخذت ميثاقَ النَّبِيِّينَ بمحمدٍ ﷺ ، وهو الذي ذَكَرَ في الكتابِ عندكم ^(٢) .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٣/٢ ، ٦٩٤ (٣٧٥٩) من طريق أحمد بن المفضل به . وفيه : أخذت ميثاق الناس لمحمد .

فتأويل ذلك على قول الشدئ الذى ذكرناه : وأذكروا يا معشر أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين ، لما آتيتكم أيها اليهود من كتاب وحكمة . وهذا الذى قاله الشدئ ، كان تأويلاً لا وجه غيره^(١) لو كان التنزيل : (بما آتيتكم) . ولكن التنزيل باللام ﴿ لَمَّا آتَيْتُكُمْ ﴾ . وغير جائز فى لغة أحد من العرب أن يقال : أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم . بمعنى : بما آتيتكم .

القول فى تأويل قوله : ﴿ قَالَ أَقَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقَرَرْنَا ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وإذا أخذ الله ميثاق النبيين بما ذكر ، فقال لهم تعالى ذكره : أقَرَرْتُمْ بالميثاق الذى واثقتمونى عليه ، من أنكم مهما أتاكم رسول من عندى مُصَدِّقٌ لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرُنَّه ؟ ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ يقول : وأخذتم على ما واثقتمونى عليه من الإيمان بالرسول التى تأتيتكم بتصديق ما معكم من عندى ، والقيام بنصرتهم - ﴿ إِصْرِي ﴾ . يعنى : عهدى ووصيتى ، وقبلتم فى ذلك مِنِّي وَرَضِيْتُمُوهُ .

والأخذ هو القبول فى هذا الموضع والرضا ، من قولهم : أخذ الوالى عليه البيعة . بمعنى : بايعه ، وقبل ولايته ، ورضى بها .

وقد بينا معنى « الإصر » باختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول فى ذلك ، فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع^(٢) .

وخذفت الفاء من قوله : ﴿ قَالَ أَقَرَرْتُمْ ﴾ . لأنه ابتداء كلام ، على نحو ما قد بينا فى نظائره فيما مضى^(٣) .

(١) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « له » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ١٥٨ - ١٦٣ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٧٦/٢ .

وأما قوله : ﴿ قَالُوا أَفَرَرْنَا ﴾ . فإنه يعنى به : قال النبيون الذين أخذ الله ميثاقهم بما ذُكر فى هذه الآية : أفررنا بما ألزمتنا من الإيمان برسليك الذين ترسلهم مُصدقين لما معنا من كُتُبِك ونُصرتهم .

القول فى تأويل قوله : ﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : قال الله : فاشهدوا أيها النبيون بما أخذت به ميثاقكم - من الإيمان بتصديق رُسلى التى تأتاكم بتصديق ما معكم من الكتاب والحكمة ، ونُصرتهم - على أنفسكم ، وعلى أتباعكم من الأمم ، إذ أنتم أخذتم ميثاقهم على ذلك ، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم بذلك .

كما حدثنا المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف بن عمر^(١) ، عن أبي رزق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب فى قوله : ﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا ﴾ . يقول : فاشهدوا على أُممكم بذلك ، ﴿ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ عليكم وعليهم^(٢) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : فمن أعرض عن الإيمان برُسلى الذين أرسلتهم بتصديق ما كان مع أنبيائى من الكتب والحكمة ، وعن نُصرتهم ، فأذبر^(٣) ولم يؤمن بذلك ، ولم يُنصِرْ ، ونكث عهده وميثاقه ، ﴿ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ . يعنى : بعد العهد والميثاق الذى أخذه الله عليه^(٤) ، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ . يعنى بذلك أن

٣٣٥/٣

(١) فى م : « عمرو » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف .

(٣) فى ص ، ت ١ : « فأذبروا » .

(٤) بعده فى ص ، ت ١ : « به » .

المتوّلين عن الإيمان بالرسول الذين وصف الله^(١) أمرهم ونصرتهم ، بعد العهد والميثاق اللذين أخذوا عليهم بذلك ، ﴿ هُمْ الْفَلْسِفُونَ ﴾ ، يعنى بذلك : الخارجون من دين الله وطاعة ربهم .

كما حدثنا المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف بن عمر ، عن أبي رزق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب : ﴿ فمن تولّى ﴾ عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الأمم ، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَلْسِفُونَ ﴾ : هم العاصون فى الكفر^(٢) .

حدثنى المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه - قال أبو جعفر : يعنى الرازى - : ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ . يقول : بعد العهد والميثاق الذى أخذ عليهم ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَلْسِفُونَ ﴾ .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ،^(٣) عن أبيه^(٣) ، عن الربيع مثله .

وهاتان الآيتان وإن كان مخرج الخبر فيهما من الله عز وجل بما أخبر أنه أشهد وأخذ به ميثاق من أخذ ميثاقه به عن أنبيائه ورسله ؛ فإنه مقصود به إخبار من كان حوالى مهاجر رسول الله ﷺ من يهود بنى إسرائيل أيام حياته ﷺ ، عمّا لله عليهم من العهد فى الإيمان بنبوّة محمد ﷺ - ومعنى تذكيرهم ما كان الله أخذًا على آبائهم وأسلافهم من الموائيق والعهود ، وما كانت أنبياء الله عزّفتهم ، وتقدّمت إليهم فى تصديقه واتباعه ونصرتة على من خالفه وكذّبه - وتعريفهم ما فى كتب الله التى أنزلها إلى أنبيائه ، التى ابتعثهم إليهم ، من صفته وعلامته .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف .

(٣ - ٣) سقط من النسخ .

القول في تأويل قوله : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (١٣) .

اختلفت القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة قُرَاءَةَ الْحِجَازِ مِنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَقُرَاءَةَ الْكُوفَةِ : (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) عَلَى وَجْهِ الْخَطَابِ ^(١) . وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ، بِالْيَاءِ كِلْتَايَهُمَا عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ عَنِ الْغَائِبِ ^(٢) . وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ) عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ عَنِ الْغَائِبِ ، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بِالتَّاءِ عَلَى وَجْهِ الْمُخَاطَبَةِ ^(٣) .

وَأَوْلَى ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ : (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُونَ) عَلَى وَجْهِ الْخَطَابِ ، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بِالتَّاءِ ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ الَّتِي قَبْلَهَا خُطَابٌ لَهُمْ ، فِاتِبَاعُ الْخُطَابِ نَظِيرُهُ أَوْلَى مِنْ صَرْفِ الْكَلَامِ إِلَى غَيْرِ نَظِيرِهِ ، وَإِنْ كَانَ الْوَجْهُ الْآخَرُ جَائِزًا ؛ لِمَا قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا مَضَى قَبْلُ ، مِنْ أَنَّ الْحِكَايَةَ يَخْرُجُ الْكَلَامُ مَعَهَا أحيانًا / عَلَى الْخُطَابِ كُلِّهِ ، وَأحيانًا عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ عَنِ الْغَائِبِ ، وَأحيانًا بَعْضُهُ عَلَى الْخُطَابِ ، وَبَعْضُهُ عَلَى الْغَيْبَةِ ، فَقَوْلُهُ : (تَبْغُونَ) ^(٤) ، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ ذَلِكَ .

وتأويلُ الكلام ^(٥) : يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْكِتَابِ : (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُونَ) يَقُولُ : أَفَغَيْرَ

(١) هذه قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي بكر عن عاصم وحزمة والكسائي . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢١٤ .

(٢) هذه قراءة حفص عن عاصم . المصدر السابق .

(٣) هذه قراءة أبي عمرو وحده . المصدر السابق .

(٤) في ص : « ييغون » .

(٥) بعده في ص ، س ، ت ١ : « أفغير الله » .

طاعةِ اللَّهِ تلتَمِسُونَ وتريدُونَ . ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ،
يقولُ : وله خَشَع مَنْ فِي السماواتِ والأرضِ ، فخضع له بالعبودية ، وأقرَّ له بإفرادِ
الرُّبوبيَّةِ ، وانقاد له بإخلاصِ التوحيدِ والألوهةِ . ﴿ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ . يقولُ :
أَسْلَمَ لِلَّهِ طَائِعًا ، مَنْ كَانَ إِسلامُهُ مِنْهُمْ لَهُ طَائِعًا ، وذلك كالملائكةِ والأنبياءِ
والمُرسلين ، فَإِنَّهُمْ أَسْلَمُوا لِلَّهِ طَائِعِينَ ، ﴿ وَكَرْهًا ﴾ : مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَارِهًا .
واختلفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي معنى إِسلامِ الكارهِ الإسلامَ وَصِفَتِهِ ؛ فقال بعضهم :
إِسلامُهُ إِقرارُهُ بَأَنَّ اللَّهَ خالِقُهُ وَرَبُّهُ ، وإنَّ أَشْرَكَ مَعَهُ فِي العبادَةِ غَيْرُهُ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد^(١) :
﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ . قال : هو كقوله :
﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٢) [الزمر : ٣٨] .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن
مجاهدٍ مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ،
عن أبي العالية في قوله : (وله أَسْلَمَ مَنْ فِي السماواتِ والأرضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) وإليه
تُرْجَعُونَ . قال : كُلُّ أَدَمِيٍّ قَدْ^(٣) أَقَرَّ عَلَى نَفْسِهِ بَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُهُ ، فَمَنْ أَشْرَكَ
فِي عِبَادَتِهِ ، فهذا الذي أَسْلَمَ كَرْهًا ، وَمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ^(٤) الْعِبَادَةَ ، فهو الذي أَسْلَمَ

(١) بعده في ت ٢ : « عن ابن عباس » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) سقط من : ت ١ ، س .

(٤) في ص ، م : « له » .

طَوْعًا^(١) .

وقال آخرون : بل إسلام الكاره منهم كان حين أُخِذَ منه^(٢) الميثاق فأقرَّ به .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ قال : حين أُخِذَ الميثاق^(٣) .

وقال آخرون : عني بإسلام الكاره منهم سجود ظله .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا سَوَّازُ^(٤) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن ليث ، عن مجاهد في قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ . قال : الطائِعُ : المؤمنُ ، وَكَرْهًا : ظِلُّ الكافرِ^(٥) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ . قال : سجودُ المؤمنِ طائِعًا ، وسجودُ الكافرِ وهو كَارَةٌ^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٦/٢ ، ٦٩٧ (٣٧٧٦) من طريق أبي جعفر به .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، س .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف .

(٤) في ت : ٢ « سويد » . وينظر تهذيب الكمال ٢٣٨/١٢ ، ٢٣٩ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٤/٢ إلى أبي الشيخ .

(٦) تفسير مجاهد ص ٢٥٥ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٧/٢ (٣٧٧٧) .

/حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن ٣٣٧/٣ مجاهد : ﴿ وَكَرَهَا ﴾ . قال : سجود المؤمن طائعا ، وسجود ظل الكافر وهو كارهة^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : سجود وجهه وظله طائعا .
وقال آخرون : بل إسلامه بقلبه فى مشيئة الله واستقاده لأمره ، وإن أنكر ألوهته بلسانه .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن^(٢) عامر : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال : استقاد كلهم له^(٣) .
وقال آخرون : عنى بذلك : إسلام من أسلم من الناس كرها ، حذر السيف على نفسه .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرَهَا ﴾ الآية [٤٢٧/١] ظ كلها . فقال : أكره أقوام على الإسلام ، وجاء أقوام

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٥ ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/٤ إلى ابن المنذر .

(٢) فى النسخ : « بن » . وجابر هو الجعفى ، وتقدم فى ٢٦٦/٤ ، ٢٧٥ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٦/٢ (٣٧٧٢) من طريق وكيع به .

طائعين^(١) .

حدثني الحسن بن قزعة الباهلي ، قال : ثنا روح بن عطاء ، عن مطير الرزاق في قول الله عز وجل : (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون) . قال : الملائكة طوعا ، والأنصار طوعا ، وبنو سليم وعبد القيس طوعا ، والناس كلهم كرها^(٢) .

وقال آخرون : معنى ذلك أن أهل الإيمان أسلموا طوعا ، وأن الكافر أسلم في حال المعاناة حين لا ينفعه^(٣) إسلام كرها^(٤) .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : (أفغير دين الله تبغون) الآية : فأما المؤمن فأسلم طائعا ، فنفعه ذلك وقيل منه ، وأما الكافر فأسلم كارهًا ، حين لا ينفعه ذلك ، ولا يقبل منه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ . قال : أما المؤمن فأسلم طائعا ، وأما الكافر فأسلم حين رأى بأس الله : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا ﴾^(٥) [غافر : ٨٥] .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ : « الإسلام » ، وفي ت ٢ : « إسلام » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٥ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٩٧ (٣٧٧٨) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى عبد بن حميد .

وقال آخرون : معنى ذلك أن^(١) عبادة الخلق لله عز وجل .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المشني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : / (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ نَبُغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) . قال : عبادتهم لى أجمعين طوعًا وكرهًا ، وهو قوله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾^(٢) [الرعد : ١٥] .

وأما قوله : (وإليه تُرجعون) . فإنه يعنى : وإليه يا معشر من يتبعني غير الإسلام دينًا من اليهود والنصارى وسائر الناس (تُرجعون)^(٣) . يقول : إليه تصيرون بعد مماتكم ، فمجازيكم بأعمالكم ؛ المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

وهذا من الله عز وجل تحذير خلقه أن يرجع إليه أحد منهم ، فيصير إليه بعد وفاته على غير ملة الإسلام .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾^(٨٤) .

(١) فى م : « فى » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٦/٢ (٣٧٧٥) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ ، س : « يرجعون » .

يعنى بذلك جلُّ ثناؤه : أفعير دين الله تبغون يا معشر اليهود ، وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعاً وكرهاً ، وإليه ترجعون ، فإن ابتغوا غير دين الله يا محمد ، فقل لهم : آمناً بالله . فترك ذكر قوله : فإن قالوا : نعم . و^(١) ذكر قوله : فإن ابتغوا غير دين الله . لدلالة ما ظهر من الكلام عليه .

وقوله : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ ﴾ . يعنى به : قل لهم يا محمد : صدقنا بالله أنه ربنا وإلهنا ، لا إله غيره ، ولا نعبد أحداً سواه . ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ . يقول : وقل : وصدقنا أيضاً بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله ، فأقرزنا به . ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . يقول : وصدقنا أيضاً بما أنزل على إبراهيم خليل الله ، وعلى ابنيه إسماعيل وإسحاق ، وابن ابنه يعقوب ، وبما أنزل على الأسباط ، وهم ولد يعقوب الاثنا عشر . وقد بينا أسماءهم بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع^(٢) . ﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ . يقول : وصدقنا أيضاً مع ذلك بالذى أنزل الله على موسى وعيسى من الكتب والوحي ، وبما أنزل على النبيين من عنده .

والذى آتى الله موسى وعيسى - مما أمر الله عز وجل محمداً بتصديقهما فيه والإيمان به - التوراة^(٣) التى آتاها موسى ، والإنجيل الذى آتاه عيسى .

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ . يقول : لا نصدق بعضهم ونكذب بعضهم ، ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم ، كما كفرت اليهود والنصارى ببعض أنبياء الله ،

(١) فى ت ١ : «أو» .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٥٩٧/٢ - ٥٩٩ .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « والتوراة » .

وَصَدَّقَتْ بَعْضًا ، وَلَكِنَّا نُؤْمِنُ بِجَمِيعِهِمْ وَنُصَدِّقُهُمْ .

﴿ وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ : يعنى : ونحن ندينُ لله^(١) بالإسلام ، لا ندينُ غيره ، بل نَتَّبِعُ إِيَّاهُ مِنْ كُلِّ دِينٍ سِوَاهُ ، وَمِنْ كُلِّ مِلَّةٍ غَيْرِهِ .

ويعنى بقوله : ﴿ وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ : ونحن له مُتَقَادُونَ بِالطَّاعَةِ ، مُتَذَلِّلُونَ بِالْعُبُودَةِ ، مُقَرَّرُونَ لَهُ بِالْأُلُوهَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ .

وقد ذكرنا الرواية بمعنى ما قلنا فى ذلك فيما مضى^(٢) ، وكَرِهْنَا إِعَادَتَهُ .

/القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثَنَاؤُهُ : وَمَنْ يَطْلُبْ دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ لِيَدِينَهُ بِهِ ، فَلَنْ يُقْبَلَ اللَّهُ مِنْهُ ، ﴿ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . يقول : من البَاخِسِينَ أَنْفُسَهُمْ حَظُوظَهَا^(٣) مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ .

وَذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ كُلِّ مِلَّةٍ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُسْلِمُونَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالْحَجِّ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ؛ لِأَنَّ مِنْ سُنَّةِ الْإِسْلَامِ الْحَجَّ ، فَامْتَنَعُوا ، فَأَذْحَضَ اللَّهُ بِذَلِكَ مُحْجَجَتَهُمْ .

ذَكَرُ الْخَبَرِ بِذَلِكَ

حَدَّثَنِى الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو حَذَيْفَةَ ، قَالَ : ثَنَا شَيْبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، قَالَ : زَعَمَ عِكْرَمَةُ : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ . فَقَالَتِ الْمَلَلُ : نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ .

(١) سقط من : ت ١ ، س .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٥٩٦/٢ ، ٥٩٧ .

(٣) فى ت ١ ، س : « حظوظهم » .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] . فَحَجَّ المسلمون وقعد^(١) الكفار^(٢) .

[٤٢٨/١] حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا القَعْنَبِيُّ ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة ، قال : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ : قالت اليهود : فنحن مسلمون^(٣) . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ يَحْجُّهُمْ^(٤) أَنْ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٥) .

حَدَّثَنِي يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة ، قال : لما نزلت : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ . إلى آخر الآية ، قالت اليهود : فنحن مسلمون . قال الله عز وجل لِنَبِيِّهِ ﷺ : قل لهم : إِنَّ ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾ من أهل الملل ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٦) .

وقال آخرون في هذه الآية بما حَدَّثَنَا به المثنى ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا

(١) في ت ١ ، ت ٢ : « فقد » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٩/٢ (٣٧٨٨) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) في م ، ت ١ : « المسلمون » .

(٤) في ص ، ت ١ ، س : « فحجهم » .

(٥) أخرجه الشافعي في الأم ٩٣/٢ ، وسعيد بن منصور في سننه (٥٠٦ - تفسير) ، والبيهقي ٣٢٤/٤ عن سفيان به بنحوه .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٦/٣ (٣٨٧٥) عن يونس وابن المقرئ به .

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١٥﴾ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢] . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ هَذَا : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ عِدَّ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ^(١) .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاطِلِينَ ﴾ (٨٦) أَوَّلَيْكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩) .

اختلف أهل التأويل في من غنى بهذه الآية ، وفي من نزلت ؛ فقال بعضهم : نزلت في الحارث بن شُوَيْد الأنصاري ، وكان مسلماً فارتدَّ بعد إسلامه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن بَرِيع البَصْرِيُّ ، قال : ثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رجلاً من الأنصار أسلم ، ثم ارتدَّ ولحق بالشرك ، ثم ندم ، فأرسل إلى قومه : أرسلوا إلى رسول الله ﷺ ، هل لي من توبة ؟ قال : فنزلت : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاطِلِينَ ﴾ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) . فأرسل إليه قومه فأسلم .

(١) تقدم تخريجه في ٤٦/٢ .

(٢) أخرجه النسائي (٤٠٧٩) ، وفي الكبرى (١١٠٦٥) عن محمد بن عبد الله به ، وأخرجه ابن حبان

(٤٤٧٧) من طريق يزيد بن زريع .

حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَى عَبْدُ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا دَاوُدُ ، عَنْ عِكْرَمَةَ بِنَحْوِهِ ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : فَكُتِبَ إِلَيْهِ قَوْمُهُ ، فَقَالَ : مَا كَذَبَنِي قَوْمِي . فَرَجَعَ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثَنَا حَكِيمُ بْنُ جَمْعٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُسْهِرٍ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : ارْتَدَّ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ . فَذَكَرَ ^(٢) نَحْوَهُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ الْأَعْرَجُ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : جَاءَ الْحَارِثُ بْنُ سُوَيْدٍ ، فَأَسْلَمَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ كَفَرَ الْحَارِثُ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ الْقُرْآنَ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ . إِلَى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . قَالَ : فَحَمَلَهَا إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ لَصَدُوقٍ ، وَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَأَصْدَقُ مِنْكَ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَأَصْدَقُ الثَّلَاثَةِ . قَالَ : فَرَجَعَ الْحَارِثُ فَأَسْلَمَ ، فَحَسَّنَ إِسْلَامَهُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدْيِ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴾ . قَالَ :

(١) سقط من : ت ١ ، س . وينظر الإصابة ١/ ٥٧٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٠/ ٢ (٣٧٩٥) من طريق علي بن مسهر به ، وأخرجه أحمد بن منيع - كما في الإتحاف بذييل المطالب ٥٤٣/ ٨ - والحاكم ١٤٢/ ٢ ، ٣٦٦/ ٤ ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٨٣ من طريق داود به ، وأخرجه الواحدى ص ٨٣ من طريق عكرمة به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١٢٥/ ١ ، وأخرجه مسدد ، كما فى المطالب العالیه (٣٩٢٨) - ومن طريقه الواحدى فى أسباب النزول ص ٨٣ - عن جعفر به .

أُنزِلَتْ فِي الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ
الْآيَاتِ ^(١) ، ثُمَّ تَابَ وَأَسْلَمَ ، فَتَسَخَّهَا اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ، قَالَ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ
كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ ، مِثْلَهُ .

/ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، عَنْ ٣٤١/٣
مُجَاهِدٍ ، قَالَ : هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ^(٤) .

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : لَحِقَ بِأَرْضِ
الرُّومِ فَتَنَصَّرَ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى قَوْمِهِ : أَرْسِلُوا ، هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : فَحَسِبْتُ أَنَّهُ آمَنَ
ثُمَّ رَجَعَ ^(٥) .

(١) بعده في ص ، ت ٢ : ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ، وبعده في م ، ت ١ ، ت ٣ ، س :
﴿ إلى أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ .

ولعله أراد : « إلى قوله : ﴿ أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدون فيها لا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ » . والله أعلم .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) عزاه الحافظ في الإصابة ٥٧٧/١ إلى عبد بن حميد والفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال عِكْرَمَةُ : نَزَلَتْ فِي أَبِي عَامِرٍ الرَّاهِبِ ، وَالْحَارِثِ بْنِ شُوَيْدِ بْنِ [٤٢٨/١] الصَّامِتِ ، وَوَحْوَحِ بْنِ الْأُسْلَتِ ^(١) ، فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا رَجَعُوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَلَحِقُوا بِقُرَيْشٍ ، ثُمَّ كَتَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ : هَلْ لَنَا مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَنَزَلَتْ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ الْآيَاتِ ^(٢) .

وقال آخرون : غُني بهذه الآية أهل الكتاب ، وفيهم نزلت .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ : فَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ، عَزَفُوا مُحَمَّدًا ﷺ ، ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : ثَنَا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الْآيَةَ كُلَّهَا . قَالَ : الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ^(٤) .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الْآيَةَ : هُمْ أَهْلُ

(١) فِي ت ١ ، س : « الْأُسْلَب » . وَهُوَ وَحْوَح (عَامِر) بْنِ الْأُسْلَتِ بْنِ جِشْمِ بْنِ وَائِلٍ ، أَخُو أَبِي قَيْسٍ . يَنْظُرُ الْإِصَابَةُ ٦ / ٦٠١ ، وَجُمُحَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ ص ٦٤٥ .

(٢) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٤٩ / ٢ إِلَى الْمَصْنَفِ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٩٩ / ٢ (٣٧٩٠) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ بِهِ .

(٤) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٤٩ / ٢ إِلَى الْمَصْنَفِ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

الكتاب من اليهود والنصارى ، رَأَوْا نَعْتَ^(١) مُحَمَّدٍ ﷺ فِي كِتَابِهِمْ ، وَأَقْرَأُوا^(٢) بِهِ ،
وَشَهِدُوا أَنَّهُ حَقٌّ ، فَلَمَّا بُعِثَ مِنْ غَيْرِهِمْ حَسَدُوا الْعَرَبَ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَنْكَرُوهُ وَكَفَرُوا
بَعْدَ إِقْرَارِهِمْ ، حَسَدًا لِلْعَرَبِ ، حِينَ بُعِثَ مِنْ غَيْرِهِمْ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ الْحَسَنِ
فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَيْفَ يَهْدَى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ . قَالَ : هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ،
كَانُوا يَجِدُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فِي كِتَابِهِمْ ، وَيَسْتَفْتِحُونَ بِهِ ، فَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ^(٤) .

قال أبو جعفر : وأشبهُ القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن ، من أن هذه الآية
مَعْنَى بِهَا أَهْلُ الْكِتَابِ ، عَلَى مَا قَالَهُ ، غَيْرَ أَنَّ الْأَخْبَارَ بِالْقَوْلِ الْآخِرِ أَكْثَرُ ، وَالْقَائِلِينَ بِهِ
أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ . وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ بِسَبَبِ الْقَوْمِ
الَّذِينَ ذُكِرَ أَنَّهُمْ كَانُوا ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَجَمَعَ قِصَّتَهُمْ وَقِصَّةَ مَنْ كَانَ سَبِيلُهُ
سَبِيلَهُمْ فِي ارْتِدَادِهِ عَنِ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ . ثُمَّ عَرَّفَ عِبَادَهُ سُنتَهُ
فِيهِمْ ، فَيَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَلِكَ كُلِّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، ثُمَّ كَفَرَ
بِهِ بَعْدَ أَنْ بُعِثَ ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ كَافِرًا ثُمَّ أَسْلَمَ عَلَى عَهْدِهِ ﷺ ، ثُمَّ ارْتَدَّ وَهُوَ حَيٌّ عَنِ
إِسْلَامِهِ . فَيَكُونُ مَعْنًى بِالْآيَةِ جَمِيعُ هَذَيْنِ الصَّنِفَيْنِ وَغَيْرُهُمَا ،^(٥) مَنْ كَانَ بِمِثْلِ
مَعْنَاهُمَا^(٥) ، بَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فتأويل الآية إذن : ﴿ كَيْفَ يَهْدَى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ . يعنى :
كيف يُرْشِدُ اللَّهُ لِلصَّوَابِ ، وَيُوفِّقُ لِلْإِيمَانِ ، قَوْمًا جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ﴿ بَعْدَ

(١) فى ص : « بعث » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « أقرأ » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١٢٥/١ ، وفيه : « ويستخفون به » .

(٥ - ٥) فى ت ١ : « من كان بمعناهما » .

إِيْمَانِهِمْ ﴿١٦﴾ . أى : بعدَ تَصْدِيقِهِمْ إِيَّاهُ ، وإِقْرَارِهِمْ بِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ . يقولُ : وبعدَ أن أَقْرَأُوا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى خَلْقِهِ حَقًّا . ﴿وَجَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ . يعنى : وجاءَهُمُ الْحُجُجُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، والدلائلُ بَصِيحَةٌ ذَلِكَ . ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ . يقولُ : واللَّهُ لَا يُوفِّقُ ^(١) لِلْحَقِّ والصوابِ الجماعةَ الظَّالِمَةَ ، وهم الذين بَدَّلُوا الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ ، فاختاروا الكفرَ على الإِيْمَانِ .

وقد دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَى قَبْلُ عَلَى مَعْنَى «الظُّلْمِ» ، وأنه وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ ^(٢) .

﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ﴾ . يعنى : هؤلاء الذين كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ، وبعدَ أن شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ . ﴿جَزَاءُهُمْ﴾ : ثَوَابُهُمْ مِنْ عَمَلِهِمُ الَّذِى عَمِلُوهُ . ﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ﴾ . يعنى : أَنَّ يَحِلَّ ^(٣) بِهِمْ مِنَ اللَّهِ الْإِقْصَاءُ وَالْبُعْدُ ، وَمِنْ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ مَا ^(٤) يَسُوؤُهُمْ مِنَ الْعِقَابِ . ﴿أَجْمَعِينَ﴾ . يعنى : مِنْ جَمِيعِهِمْ ، لَا مِنْ ^(٥) بَعْضٍ مِنْ سَمَاءٍ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ ، وَلَكِنْ مِنْ جَمِيعِهِمْ . وَإِنَّمَا جَعَلَ ذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ثَوَابَ عَمَلِهِمْ ؛ لِأَنَّ عَمَلَهُمْ كَانَ بِاللَّهِ كُفْرًا .

وقد بَيَّنَّا صِفَةَ لَعْنَةِ النَّاسِ الْكَافِرِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ ^(٦) .

(١) فى ت ١ : « يوقف » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٥٥٩ ، ٥٦٠ .

(٣) فى ص ، م : « حل » .

(٤ - ٤) فى ص ، م : « إلا ما » ، وفى ت ١ ، ت ٣ ، س : « إلا ما » ، وفى ت ٢ : « ما » . والمثبت ما يستقيم به السياق .

(٥) سقط من : م .

(٦) ينظر ما تقدم فى ٢/٢٣٢ ، ٧٣٣ .

﴿ خَلِدِينَ فِيهَا ﴾ . يعنى : مَا كَثِيرٍ . ﴿ فِيهَا ﴾ . يعنى : فى عقوبة الله . ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ﴾ : لَا يُنْقَصُونَ مِنَ الْعَذَابِ شَيْئًا فى حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَلَا يُنْقَسُونَ فِيهِ . ﴿ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ . يعنى : وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ لِمَعْذِرَةٍ يَعْتَذِرُونَ . وذلك كُلُّهُ أَعْنَى ^(١) الْخُلُودِ فى الْعُقُوبَةِ فى الْآخِرَةِ .

ثم اسْتَشْنَى جُلَّ ثَنَاؤِهِ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ، فقال تعالى ذكره : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ﴾ . يعنى : إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ارْتِدَادِهِمْ عَنْ إِيْمَانِهِمْ ، فَرَجَعُوا الْإِيْمَانَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَصَدَّقُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ . ﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ . يعنى : وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ . ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . يعنى : فَإِنَّ اللَّهَ لَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ كَفَرِهِ ﴿ عَفُورٌ ﴾ . يعنى : سَاتَرَ عَلَيْهِ ذَنْبَهُ الَّذِى كَانَ مِنْهُ مِنَ الرَّدَّةِ ، فَتَارَكَ عُقُوبَتَهُ عَلَيْهِ ، وَفَضِيحَتَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، غَيْرَ مُوَاجِهِهِ بِهِ إِذَا مَاتَ عَلَى التَّوْبَةِ مِنْهُ . ﴿ رَحِيمٌ ﴾ : مُتَعَطِّفٌ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ببعض أنبيائه الذين يُعْثُوا قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ، ﴿ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ بكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ عند حُضُورِ الْمَوْتِ ، وَحَشَرَجَتِهِ بِنَفْسِهِ .

(١) أعنى الخلود : أشده نصبا وتعبا . وينظر اللسان (ع ن ي) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ ،
 ٣٤٣/٣ عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ ، قَالَ : الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ عِنْدَ
 الْمَوْتِ ^(١) .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ : أُولَئِكَ أَعْدَاءُ اللَّهِ الْيَهُودُ ، كَفَرُوا بِالْإِنْجِيلِ
 وَبِعِيسَى ، ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْفُرْقَانِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
 قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ . قَالَ : أَزْدَادُوا كُفْرًا حَتَّى حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ ،
 فَلَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُمْ حِينَ حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ . قَالَ مَعْمَرٌ : وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ عَطَاءُ
 الْحَرَّاسَانِيِّ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ
 قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ . وَقَالَ : هُمُ الْيَهُودُ ، كَفَرُوا بِالْإِنْجِيلِ ، ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا
 حِينَ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ ، فَأَنكَرُوهُ وَكَذَّبُوا بِهِ ^(٤) .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٢/٢ عقب الأثر (٣٨٠٤) معلقاً .

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٨٤ ، والبغوي في تفسيره ٦٤/٢ ، ٦٥ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٥ ، ١٢٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٤) عن الحسن بن

يحيى به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠١/٢ (٣٨٠١) من طريق شيبان ، عن قتادة . وعزاه السيوطي في =

وقال آخرون : معنى ذلك : إن الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمدٍ بعدَ إيمانهم بأنبيائهم ، ﴿ ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا ﴾ . يعنى : ذُنُوبًا ، ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ : من ذنوبهم ، وهم على الكفرِ مُقيمون .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْمُتَنَّى ، قال : ثنا عبدُ الوهَّابِ ، قال : ثنا داودُ ، عن رُفِيعٍ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا ﴾ : ازدادوا ذُنُوبًا وهم كفارٌ ، ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . من تلك الذنوبِ ما كانوا على كفرِهِم وضلاليتِهِم ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قال : ثنا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عن داودَ ، قال : سألتُ أبا العالِيَةِ ، قال : قلتُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . قال : إنما هم هؤلاء النصارى واليهودُ الذين كفروا ، ثم ازدادوا كفراً بذنوبِ أصابوها ، فهم يتوبون منها فى كفرِهِم ^(٢) .

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَانَ الشُّكْرِيُّ ^(٣) ، قال : أخبرنا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عن داودَ ، قال : سألتُ أبا العالِيَةِ عن الذين آمنوا ثم كفروا ، فذكرَ نحوًا منه .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، قال : سألتُ أبا العالِيَةِ عن هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ . قال : هم اليهودُ والنصارى والمجوسُ ، أصابوا ذُنُوبًا فى

= الدر المنثور ٤٩/٢ إلى عبد بن حميد .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٥) من طريق داود به بمعناه .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠١/٢ (٣٧٩٩) من طريق داود بن أبى هند به بمعناه . وعزاه السيوطى

فى الدر المنثور ٤٩/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) فى م : « البشكرى » . وينظر تهذيب الكمال ٤١٣/١٦ .

كُفِّرِهِمْ ، فَأَرَادُوا أَنْ يَتُوبُوا مِنْهَا ، وَلَنْ يَتُوبُوا مِنَ الْكُفْرِ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ ؟

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانٌ ، عَنْ دَاوُدَ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . قَالَ : تَابُوا مِنْ بَعْضٍ وَلَمْ يَتُوبُوا مِنَ الْأَصْلِ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ . قَالَ : هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، يُصِيبُونَ الذُّنُوبَ ، فَيَقُولُونَ : نَتُوبُ . وَهُمْ مُشْرِكُونَ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : لَنْ تُقْبَلَ التَّوْبَةُ فِي الضَّلَالَةِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِأَنْبِيَائِهِمْ ^(٢) ، ﴿ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ . يَعْنِي بزيادتهم الكُفْرَ تَمَامَهُمْ ^(٣) عَلَيْهِ حَتَّى هَلَكُوا وَهُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ . ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ : لَنْ تَنْفَعَهُمْ تَوْبَتُهُمُ الْأُولَى وَإِيمَانُهُمْ ، لَكُفْرِهِمُ الْآخِرِ وَمَوْتِهِمْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ^(٤) قَوْلَهُ : ﴿ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ . قَالَ : نَمَوْا ^(٥) عَلَى كُفْرِهِمْ . قَالَ ابْنُ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٠٢/٢ (٣٨٠٣) مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَاصِمٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٥٠/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٢) فِي ص : « بِأَنْبِيَائِهِمْ » .

(٣) فِي م ، س : « بِمَا هُمْ » . وَتَمَّ عَلَى الشَّيْءِ أَقَامَ عَلَيْهِ وَاسْتَمَرَ . التَّاجُ (ت م م) .

(٤) فِي م ، ت ١ : « عَكْرَمَةٌ » .

(٥) فِي ص ، م : « نَمَوْا » .

جَزِيحٌ : ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ . يقول : إيمانهم أول مرة لن يَنْفَعَهُمْ ^(١) .

وقال آخرون : معنى قوله : ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ : ماتوا كفارًا ، فكان ذلك هو زيادتهم من كُفْرِهِمْ . وقالوا : معنى : ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ : لن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ عِنْدَ موتِهِمْ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ : أما : ﴿أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ ؛ فماتوا وهم كفار ، وأما : ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ ؛ فعند موته إذا تاب لم تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ ^(٢) .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل هذه الآية قول مَنْ قال : عَنِهَا الْيَهُودَ . وَأَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهُ : إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْيَهُودِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ عِنْدَ مَبْعَثِهِ ، بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ ، ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا بِمَا أَصَابُوا مِنَ الذُّنُوبِ فِي كُفْرِهِمْ وَمُقَامِهِمْ عَلَى ضَلَالَتِهِمْ ، لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي أَصَابُوهَا فِي كُفْرِهِمْ ، حَتَّى يَتُوبُوا مِنْ كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَيُرَاجِعُوا التَّوْبَةَ مِنْهُ ، بِتَّصَدِيقٍ ^(٣) مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال في هذه الآية بالصواب ؛ لأن الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت ، فأولى أن تكون هي في معنى ما [٢٩/١] ظ قبلها

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠١/٢ (٣٨٠٠) من طريق أحمد بن مفضل به بشرطه الأول .

(٣) في ص ، ت ٢ : « بتصديقه » .

وما بعدها إذ^(١) كانت في سياقٍ واحدٍ .

وإنما قلنا : معنى ازديادهم الكفر ما أصابوا في كفرهم من المعاصي ؛ لأنه جلّ ثناؤه قال : ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ . فكان معلوماً أن معنى قوله : ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ . إنما هو معنيّ به : لن يُقْبَلَ توبتهم مما ازدادوا^(٢) من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم ، لا من كفرهم ؛ لأن الله تعالى ذكره وعد أن يُقْبَلَ التوبة من عباده ، فقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى : ٢٥] . فمُحالٌّ أن يقول عزّ وجلّ : أقبّل ، ولا أقبّل . في شيء واحد . وإذا كان ذلك كذلك - وكان من حُكم الله في عباده أنه قابلٌ توبة كلّ تائب من كلّ ذنب ، وكان الكفر بعد الإيمان أحد تلك الذنوب التي وعد قبول التوبة منها بقوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ - عُلم أن المعنى / الذي لا يُقْبَلُ التوبة منه غير المعنى الذي يُقْبَلُ التوبة منه . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذى لا يُقْبَلُ منه التوبة هو الازدياد على الكفر بعد الكفر ، لا يُقْبَلُ الله^(٣) توبة صاحبه ما أقام على كفره ؛ لأن الله لا يُقْبَلُ من مُشْرِكٍ عملاً ما أقام على شُرْكِه وضلاله ، فأما إن تاب من شُرْكِه وكفره وأصلح ، فإن الله - كما وصف به نفسه - غفورٌ رحيمٌ .

فإن قال قائلٌ : وما يُنكر أن يكون معنى ذلك كما قال من قال : فلن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ من كفرهم عند حضور^(٤) أجله ، و^(٥) تَوْبَتُهُ الأولى ؟

(١) في ص ، ت ٢ : « إذا » .

(٢) في ص : « أرادوا » .

(٣) بعده في ص ، ت ٢ ، س : « منه » .

(٤ - ٥) لعل صواب السياق : « أجلهم وتوبتهم الأولى » .

(٥) في ص ، س : « أو » .

قيل : أنكرنا ذلك لأن التوبة من العبد غير كائنة إلا في حال حياته ، فأما بعد مماته فلا توبة ، وقد وعد الله عز وجل عباده قبول التوبة منهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، ولا خلاف بين جميع الحجة في أن كافراً لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين ، أن حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه والمواريثة ، وسائر الأحكام غيرهما^(١) . فكان معلوماً بذلك أن توبته في تلك الحال لو كانت غير مقبولة ، لم يثقل حكمه من حكم الكفار إلى حكم أهل الإسلام ، ولا منزلة بين الموت والحياة يجوز أن يقال : لا يقبل الله فيها توبة الكافر . فإذا صح أنها في حال حياته مقبولة ، ولا سبيل بعد الممات إليها ، بطل قول الذي زعم أنها غير مقبولة عند حضور الأجل .

وأما قول من زعم أن معنى ذلك : التوبة التي كانت قبل الكفر . فقول لا معنى له ؛ لأن الله عز وجل لم يصف القوم بإيمان كان منهم بعد كفر ، ثم كفر بعد إيمان ، بل إنما وصفهم بكفر بعد إيمان ، فلم يتقدم ذلك الإيمان كفر كان للإيمان لهم توبة منه ، فيكون تأويل ذلك على ما تأوله قائل ذلك . وتأويل القرآن على ما كان موجوداً في ظاهر التلاوة - إذا لم تكن حجة تدل على باطن خاص - أولى من غيره وإن أمكن توجيهه إلى غيره .

وأما قوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ . فإنه يعني بذلك : وهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً ، هم الذين^(٢) ضلوا^(٣) سبيل الحق ، فأخطأوا منهجه ، وتركوا نصف^(٤) السبيل وهدى الله^(٥) ،^(٦) خيرة منهم ، وعمى عنه^(٦) .

(١) في ص ، ت ١ ، س : « غيرها » .

(٢) بعده في ت ٢ : « كفروا » .

(٣) في ص ، ت ١ ، س : « أضلوا » .

(٤) في م : « منصف » . ونصف السبيل عدله وجادته .

(٥) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س ، وبعده في م : « الذي » .

(٦ - ٦) في ص : « خبرهم منهم » ، وفي م : « أخبرهم عنه فعموا عنه » .

وقد بيّنا فيما مضى معنى « الضلال » بما فيه الكفاية^(١).

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ اقْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٩١) .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى : جحدوا نبوة محمد ﷺ ولم يُصدّقوا به وبما جاء به من عند الله من أهل كلّ ملة ؛ يهودها ونصاراها ومجوسها وغيرهم ، ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ . يعنى : وماتوا على ذلك من جحود نبوته وجحود ما جاء به ، ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ اقْتَدَى بِهِ ﴾ . يقول : فلن يُقبلَ ممن كان بهذه الصفة فى الآخرة جزاءً

ولا رشوة على ترك عقوبته / على كفره ، ولا جعل على العفو عنه ، ولو كان له ٣٤٦/٣ من الذهب قدر ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها ، فرشا وجزى^(٢) على ترك عقوبته ، وفى العفو عنه على كفره ، عوضاً مما اللّه مُجِلٌّ به من عذابه^(٣) ؛ لأن الرشا إنما يُقبلُها مَنْ كان ذا حاجة إلى ما رُشِيَ^(٤) ، فأما مَنْ له الدنيا والآخرة ، فكيف يُقبلُ الفدية وهو خلاق كلّ فدية افتدى بها مُفتدى من^(٥) نفسه أو غيره ؟

وقد بيّنا أن معنى « الفدية » : العوض والجزاء من المُفتدى منه ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع^(٦) .

ثم أخبر عز وجلّ عما لهم عنده ، فقال : ﴿ وَأُولَئِكَ ﴾ . يعنى : هؤلاء الذين

(١) ينظر ما تقدم فى ١٩٧/١ - ١٩٩ .

(٢) فى ص ، ت ١ : « جزاء » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « عباد » ، وفى س : « عقابه » .

(٤) فى ت ١ ، س : « رشا » .

(٥) فى م : « عن » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ٣ / ١٨٠ .

كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . يقول : لهم عند الله في الآخرة عذابٌ مُوجِعٌ ، ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾ . يعنى : وما لهم من قريب ولا حميم ولا صديقٍ يَنْصُرُهُ فَيَسْتَنْقِذَهُ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَذَابِهِ ، كما كانوا يَنْصُرُونَهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنْ حَاوَلَ أَذَاهُ وَمَكْرُوهُهُ .

وقد حَدَّثَنَا يَشْرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قال : ثنا أنسٌ بنُ مالكٍ ، أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ كان يقول : « يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ ؟ فيقول : نعم . قال فيقال : لقد سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ » . فذلك قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ [٤٣٠/١] أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفى ، قال : ثنا عبادٌ ، عن الحسن ، قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ . قال : هو كل كافر ^(٢) .

وُنُصِبَ قَوْلُهُ : ﴿ذَهَبًا﴾ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْمَقْدَارِ الَّذِى قَبْلَهُ وَالتَّفْسِيرِ ^(٣) مِنْهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿مِلْءُ الْأَرْضِ﴾ . كقول القائل : عندى قَدْرُ زِقٍّ سَمْنًا ، وَقَدْرُ رَطْلٍ عَسَلًا . فَالْعَسَلُ ^(٤) مُبَيَّنٌ ^(٥) بِهِ مَا ^(٦) ذُكِرَ مِنَ الْمَقْدَارِ ، وَهُوَ نَكْرَةٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى التَّفْسِيرِ

(١) أخرجه أحمد ١٧/٢١ ، ٤٧١ (١٣٢٨٨) ، ١٤١٠٧ ، وعبد بن حميد (١١٧٩) ، والبخارى (٦٥٣٨) ، ومسلم (٢٨٠٥) ، وأبو يعلى (٢٩٢٦) ، ٢٩٧٦ ، (٣٠٢١) ، وابن حبان (٧٣٥١) ، والبيهقى فى البعث (٩١) ، ٩٢ من طريق سعيد بن أبى عروبة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٦) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٣) التفسير : التمييز . وينظر ما تقدم فى ٢٤٣/٢ .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « بالعسل » .

(٥) فى ت ١ ، س : « بين » . والمبين : المميز . ينظر شرح التسهيل ٣٧٩/١ .

(٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « عما » .

للمقدار ، والخروج منه .

وأما نحويو البصرة ، فإنهم زعموا أنه نَصَب الذهب لاشتغال^(١) الملء^(٢) بالأرض ، ومجىء الذهب بعدهما ، فصار نصبها نظير نصب الحال ، وذلك أن الحال يَجِئُ بعد فعلٍ قد شُغِلَ بفاعله فيُنصَب ، كما يُنصَب المفعول الذي يأتي بعد الفعل الذي قد شُغِلَ بفاعله . قالوا : ونظير قوله : ﴿ قُلْ أَلَأَرْضُ ذَهَبًا ﴾ . في نَصَب الذهب في الكلام : لى مثلك رجلاً . بمعنى : لى مثلك من الرجال . وزعموا أن نَصَب الرجل لاشتغال الإضافة بالاسم ، فنُصِب كما يُنصَب المفعول به ؛ لاشتغال^(٣) الفعل بالفاعل .

وأدخلت الواو في قوله : ﴿ وَلَوْ أَفْتَدَى بِهٖ ﴾ . لمحدوف من الكلام بعده ، دل عليه دخول الواو ،^(٤) كالواو في قوله : ﴿ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾^(٥) [الأنعام : ٧٥] . وتأويل الكلام : وليكون من الموقنين^(٥) أرئناه ملكوت السماوات والأرض . فكذاك ذلك في قوله : ﴿ وَلَوْ أَفْتَدَى بِهٖ ﴾ . ولو لم يكن في الكلام واو لكان الكلام صحيحاً ، ولم يكن هناك متروك ، وكان : فلن يُقبلَ من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو افتدى به .

القول في تأويل قوله : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ

(١) في ت ١ ، س : « لاستعمال » .

(٢) في ت ٢ : « الملل » .

(٣) في ت ١ ، س : « لاشتغال » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ .

(٥) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ : « لمتروك من الكلام دل عليه دخول الواو وتأويل الكلام وليكون من الموقنين » .

فَاتَّكَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ ٩٢ .

/يعنى بذلك جل ثناؤه : لن تُدْرِكُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْبِرَّ ، وهو الْبِرُّ من اللَّهِ الذى ٣٤٧/٣
يَطْلُبُونَهُ مِنْهُ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ ، وِعِبَادَتِهِمْ لَهُ ، وَيَرْجُونَهُ مِنْهُ ، وَذَلِكَ تَفَضُّلُهُ عَلَيْهِمْ
بِإِدْخَالِهِمْ جَنَّتَهُ ، وَصَرَفِ عِزِّهِ عَنْهُمْ . وَلِذَلِكَ قَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ : الْبِرُّ
الْجَنَّةُ ؛ لِأَنَّ بِرَّ الرَّبِّ بَعْدَهُ فِي الْآخِرَةِ إِكْرَامُهُ ^(١) إِيَّاهُ بِإِدْخَالِهِ الْجَنَّةَ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا وَكِيعٌ ، عَنْ شَرِيكَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ
مَيْمُونٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ . قَالَ : الْجَنَّةُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحِمَّانِيُّ ، قَالَ : ثنا شَرِيكَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ
عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ . قَالَ : الْبِرُّ الْجَنَّةُ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ
السُّدِّيِّ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ : أَمَا الْبِرُّ فَالْجَنَّةُ ^(٣) .

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ : لَنْ نَنَالُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ جَنَّةَ رَبِّكُمْ ﴿ حَتَّى تَنْفِقُوا مِمَّا
تُحِبُّونَ ﴾ . يَقُولُ : حَتَّى تَتَصَدَّقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ^(٤) وَتَهْوُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنْ نَفْسِ
أَمْوَالِكُمْ .

كَمَا حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا

(١) فِي م : « وَإِكْرَامُهُ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٤٢٤/١٣ عَنْ شَرِيكَ بِهِ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٠٣/٣ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٨٠٩) مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو ، عَنْ أَسْبَاطُ بِهِ .

(٤ - ٤) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ : « وَتَهْوُونَ » .

الْبَرِّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿١﴾ . يَقُولُ : لَنْ تَنَالُوا^(١) بِرَّ رَبِّكُمْ^(٢) حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُعْجِبُكُمْ ، وَمِمَّا تَهْوُونَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ ، عَنْ عُبَادٍ ، عَنْ الْحَسَنِ قَوْلَهُ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبَرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا نُحِبُّونَ ﴾ . قَالَ : مِنَ الْمَالِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ : وَمِمَّا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَتَتَصَدَّقُوا بِهِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِمَا يَتَصَدَّقُ بِهِ الْمُتَصَدِّقُ مِنْكُمْ ، فَيُنْفِقُهُ مِمَّا يُحِبُّ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿ عَلِيمٌ ﴾ . يَقُولُ : هُوَ ذُو عِلْمٍ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، لَا يَغْرُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ ، حَتَّى يُجَازِيَ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ جَزَاءَهُ فِي الْآخِرَةِ .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ . يَقُولُ : مُحْفُوظٌ لَكُمْ ذَلِكَ ، اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ، شَاكِرٌ لَهُ^(٤) . وَبِنَحْوِ التَّأْوِيلِ الَّذِي قُلْنَا تَأْوِيلَ هَذِهِ الْآيَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . قَالَ : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنْ يَتَتَعَ لَهُ جَارِيَةً مِنْ

(١ - ١) فِي ص : « بِرِّكُمْ » ، وَفِي ت ٢ : « بِرِّكُمْ » ، وَفِي ت ١ ، س : « بِرِّكُمْ » .

(٢) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرَالْمَنْثُورِ ٥/١٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٠٤/٣ (٣٨١٥) مِنْ طَرِيقِ شَيْبَانَ ، عَنْ قَتَادَةَ .

جُلُولاً^(١) يَوْمَ فَتَحَتْ مَدَائِنُ كَسْرَى ، فِي قِتَالِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَدَعَا بِهَا
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا
تُحِبُّونَ ﴾ . فَأَعْتَقَهَا عُمَرُ . وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى
حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] . ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ ﴾^(٢) [الحشر : ٩] .

/ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ ٣٤٨/٣
مَجَاهِدٍ مِثْلَهُ سِوَاءً .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي عَدَى ، عَنْ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ،
قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . أَوْ هَذِهِ الْآيَةُ :
﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة : ٢٤٥ / الحديد : ١١] . قَالَ أَبُو طَلْحَةَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَائِطِي الَّذِي بَكَذَا وَكَذَا صَدَقَةٌ ، وَلَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ سِرًّا لَمْ
أَجْعَلْهُ عَلَانِيَةً . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اجْعَلْهَا فِي قُرَاءِ أَهْلِكَ »^(٣) .

[٣٠/١ هـ] حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ ، قَالَ : ثنا حَمَّادٌ ، عَنْ
ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا
مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . قَالَ أَبُو طَلْحَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ اللَّهَ يَسْأَلُنَا مِنْ أَمْوَالِنَا ، أَشْهَدُ أَنَّي قَدْ

(١) أى من سبى جلولاء . وجلولاء اسم للوقعة التي كانت بين المسلمين والفرس في صفر من سنة ست عشرة ، وفيها انتصر المسلمون بعد قتال لم يسمع بمثله ، وقتل من الفرس يومئذ مائة ألف ، حتى جلولوا وجه الأرض بالقتلى ، فلذلك سميت جلولاء . ينظر تاريخ المصنف ٢٤/٤ - ٣٤ ، والبداءة والنهاية ١٠/٢٠ - ٢٤ .
(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .
(٣) أخرجه أحمد ١٩/١٩١ ، ٢٠/١٧٩ ، ٢١/٢٩٥ (١٢١٤٤ ، ١٢٧٨١ ، ١٣٧٦٧) ، وعبد بن حميد (١٤١٣) ، والترمذي (٢٩٩٧) ، وأبو يعلى (٣٨٦٥) ، وابن خزيمة (٢٤٥٨ ، ٢٤٥٩) ، والطحاوي ٣/٢٨٩ ، ٤/٣٨٦ ، والدارقطني ٤/١٩١ من طريق حميد به .

جَعَلْتُ أَرْضِي بِأَرْيَحَا^(١) لِلَّهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اجْعَلْهَا فِي قَرَابَتِكَ » . فَجَعَلَهَا بَيْنَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَأَبِي بَكْرٍ كَعْبٍ^(٢) .

حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَارِثِ ، قَالَ : ثنا لَيْثٌ ، عَنْ مِيمُونِ بْنِ مِهْرَانَ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ أَبَا ذَرٍّ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ عِمَادُ الْإِسْلَامِ ، وَالْجِهَادُ سَنَامُ الْعَمَلِ ، وَالصَّدَقَةُ شَيْءٌ عَجَبٌ^(٣) . فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ ، لَقَدْ تَرَكْتَ شَيْئًا هُوَ أَوْثَقُ عَمَلِي فِي نَفْسِي لَا أُرَاكَ ذَكَرْتَهُ . قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : الصِّيَامُ . فَقَالَ : قُرْبَةٌ ، وَلَيْسَ هُنَا^(٤) . وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ ﴾^(٥) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَكِّيُّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حَسِينٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ ﴾ . جَاءَ زَيْدٌ بِفَرَسٍ لَهُ ، يُقَالُ لَهَا : سَبَلٌ^(٦) . إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : تَصَدَّقْ بِهَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَأَعْطَاهَا

(١) كَذَا فِي النسخ ، وسنن أبي داود . ويقال أيضًا : بِيَرَحَاء . بالمد والقصر ، بفتح الراء وضمها ، مصروف وممنوع . قال الزمخشري : هو بوزن « فَيْعَلَى » من البراح ، وهي الأرض الظاهرة ، وهو اسم مال وموضع بالمدنية . ينظر الفائق ٩٣/١ ، ومشارك الأنوار ١١٥/١ ، ١١٦ ، والنهاية ١١٤/١ ، وعون المعبود ٥٨/٢ .
(٢) أخرجه أحمد ٤٣١/٢١ (١٤٠٣٦) ، ومسلم ٤٣/٩٩٨ ، وأبو داود (١٦٨٩) ، والنسائي (٣٦٠٤) ، وابن خزيمة (٢٤٦٠) ، وابن حبان (٧١٨٣) ، والدارقطني ١٩١/٤ ، والبيهقي ١٦٥/٦ ، ٢٨٥ ، وفي الشعب (٣٤٢٣) ، وابن عبد البر في التمهيد ٢١٦/١ من طريق حماد بن سلمة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٢ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

(٣) في م : « عَجِيب » .

(٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٣ : « هُنَاكَ » . والمثبت موافق لما في الدر المنثور .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٢ إلى المصنف .

(٦) في م : « سِلٌّ » . والمثبت موافق لما في كتاب الخيل لأبي عبيدة ص ١٧٩ . وينظر تاج العروس (س ب ل) .

رسول الله ﷺ ابنته أسامة بن زيد بن حارثة ، فقال : يا رسول الله ، إنما أردت أن أتصدق به . فقال رسول الله ﷺ : « قد قبلت صدقتك » ^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب وغيره أنها حين نزلت : ﴿ لَنْ نَأْخُذَ بِكُمُ الْعَهْدَ حَتَّى تَفِئُوا مِمَّا تَحِبُّونَ ﴾ . جاء زيد بن حارثة بفريسه له كان يحبها ، فقال : يا رسول الله ، هذه في سبيل الله . فحمل رسول الله ﷺ عليها أسامة بن زيد ، فكان زيداً وجد في نفسه ، فلما رأى ذلك منه النبي ﷺ ، قال : « أما إن الله قد قبلها » ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٩٣) .

يعنى بذلك جل ثناؤه أنه لم يكن حرم على بنى إسرائيل - وهم ولد يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن - شيئاً من الأطعمة من قبل أن تنزل التوراة ، بل كان ذلك كله لهم حلالاً ، إلا ما كان يعقوب حرمه على نفسه ، فإن ولده حرموه استينافاً بأبيهم يعقوب ، من غير تحريم الله ذلك عليهم فى وحي ، ولا تنزيل ، ولا على لسان رسول له إليهم ، من قبل نزول التوراة .

ثم اختلف أهل التأويل فى تحريم ذلك عليهم : هل نزل فى التوراة أم لا ؟ فقال بعضهم : لما أنزل الله عز وجل التوراة حرم عليهم من ذلك ما كانوا يحرمونه قبل نزولها .

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٦٧/١٩ من طريق ابن وهب به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٢٦٦ .

(تفسير الطبرى ٣٧/٥)

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ . قالت اليهود : إنما نحرم ما حرم إسرائيل على نفسه ، وإنما حرم إسرائيل الغروق ، كان يأخذه عرق النساء ^(١) ، كان يأخذه بالليل ، ويتزكّه بالنهار ، فحلف لئن الله عافاه منه لا يأكل عرقاً أبداً . فحرّمه الله عليهم . ثم قال : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . ما حرم هذا عليكم غيري ؛ ببيعكم ، فذلك قوله : ﴿ فَيُظْلَمُونَ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ ^(٢) [النساء : ١٦٠] .

فتأويل الآية على هذا القول : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل ، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنزل التوراة ، فإن الله حرم عليهم من ذلك ما كان إسرائيل حرمه على نفسه في التوراة ؛ ببيعهم على أنفسهم وظلمهم لها . قل يا محمد : فأتوا أيها اليهود - إن أنكرتم ذلك - بالتوراة ، فاتلوها إن كنتم صادقين أن الله لم يحرم ذلك عليكم في التوراة ، وأنكم إنما تحرّمونه لتحريم

٢/٤

(١) عرق النساء : وجع يتدنى من الورك من خلف ، وينزل إلى الركبة ، وربما بلغ الكعب ، وكلما طال زمانه زاد نزوله ، فرما امتد إلى الأصابع بحسب كثرة مادته وقتلها ، وتهزل معه الرجل ، والفخذ ، ويصعب الانكباب وتسوية القامة ، وربما انخلع بسببه طرف الفخذ . ينظر الموجز في الطب لابن النفيس ص ٢٦٧ .
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٢/٢ عن المصنف . وينظر تفسير البغوي ٦٨/٢ ، وتفسير القرطبي ١٣٤/٤ ،

إسرائيلَ إِيَّاهُ عَلَى نَفْسِهِ .

وقال آخرون : ما كان شيءٌ من ذلك عليهم حرامًا ، ولا حرَّمه الله عليهم في التوراة ، وإنما هو شيءٌ حرَّموه على أنفسهم ، اتَّباعًا لأبيهم ، ثم أضافوا تحريمه إلى الله ، فكذبهم الله عزَّ وجلَّ في إضافتهم ذلك إليه ، فقال الله عزَّ وجلَّ لنبيه محمدٍ ﷺ : قل لهم يا محمدُ : إن كنتم صادقين ، فأتوا بالتوراة فاتلوها حتى ننظر هل ذلك فيها أم لا ؟ فَيَتَبَيَّنُ ^(١) كَذِبُهُمْ لِمَنْ يَجْهَلُ أَمْرَهُمْ .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثَ عن الحسين بن الفرج ، قال : سَمِعْتُ أبا معاذٍ ، قال : أَخْبَرَنَا غُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ : إِسْرَءِيلُ هُوَ يَعْقُوبُ ، أَخَذَهُ عِزْقُ النِّسَاءِ ، فَكَانَ لَا يَبِيتُ ^(٢) اللَّيْلَ مِنْ وَجْعِهِ ، وَكَانَ لَا يُؤْذِيهِ بِالنَّهَارِ ، فَحَلَفَ لَنْ شَفَاهُ اللَّهُ لَا يَأْكُلُ عِرْقًا أَبَدًا . وَذَلِكَ قَبْلَ نَزُولِ التَّوْرَةِ عَلَى مُوسَى ، فَسَأَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ الْيَهُودَ : مَا هَذَا الَّذِي حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ؟ فَقَالُوا : نَزَلَتِ التَّوْرَةُ بِتَحْرِيمِ الَّذِي حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ . فَقَالَ اللَّهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ : [١/٤٣١و] ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَأَوَّلَ لَيْكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ . وَكَذَّبُوا وَافْتَرَوْا ؛ لَمْ تُنَزَّلِ التَّوْرَةُ بِذَلِكَ ^(٣) .

وتأويل الآية على هذا القول : كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ قَبْلِ أَنْ

(١) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « لَيَتَبَيَّنُ » .

(٢) فِي ص ، م : « يَبِيتُ » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣/ ٧٠٦ ، ٧٠٧ (٣٨٢٥) مِنْ طَرِيقِ أَبِي مُعَاذٍ بِهِ مُقْتَصِرًا عَلَى آخِرِهِ .

تُنَزَّلُ التَّوْرَةُ وَبَعْدَ نَزُولِهَا ، إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ .
 بمعنى : لكنَّ إِسْرَائِيلَ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ بَعْضَ ذَلِكَ . وَكَأَنَّ
 الضَّحَّاكَ وَجَّهَ قَوْلَهُ : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . إِلَى الْإِسْتِثْنَاءِ الَّذِي
 يُسَمِّيهِ النُّحَوِيُّونَ الْإِسْتِثْنَاءَ الْمُنْقَطِعَ .

وَقَالَ آخَرُونَ : تَأْوِيلُ ذَلِكَ : كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
 إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ عَلَى وَلَدِهِ ، بِتَحْرِيمِ
 إِسْرَائِيلَ إِيَّاهُ عَلَى وَلَدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ حَرَّمَهُ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَلَا عَلَى وَلَدِهِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى
 أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي
 إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ : فَإِنَّهُ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْعُرُوقَ ،
 وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النِّسَاءِ ، فَكَانَ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَعَنَ عَافَانِي اللَّهُ
 مِنْهُ لَا يَأْكُلُهُ لِي وَلَدٌ ، وَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي التَّوْرَةِ . وَسَأَلَ مُحَمَّدٌ ﷺ نَفَرًا مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ ، فَقَالَ : « مَا شَأْنُ هَذَا حَرَامًا ؟ » فَقَالُوا : هُوَ حَرَامٌ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِ الْكِتَابِ .
 فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ إِلَى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قَالَ
 ابْنُ عَبَّاسٍ : أَخَذَهُ - يَعْنِي إِسْرَائِيلَ - عِرْقُ النِّسَاءِ ، فَكَانَ لَا يَنِيْتُ ^(٢) بِاللَّيْلِ مِنْ شِدَّةِ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٠٦/٣ (٣٧٢٢) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ بِهِ ، مِنْ قَوْلِهِ : سَأَلَ مُحَمَّدٌ

ﷺ ...

(٢) فِي م ، ت ٢ : « يَنِيْتُ » .

الوجع ، وكان لا يؤذيه بالنهار ، فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً . وذلك قبل أن تُنزل التوراة ، فقال اليهود للنبي ﷺ : نَزَلَتْ / التوراة بتحريم الذي حرّم إسرائيل ٤/، على نفسه . قال الله لمحمد ﷺ : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . وكذبوا ، ليس في التوراة ^(١) .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ^(٢) : قول من قال : معنى ذلك : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل من قبل أن تُنزل التوراة ، إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه ، من غير تحريم الله ذلك عليه ، فإنه كان حراماً عليهم بتحريم أبيهم إسرائيل ذلك عليهم ، من غير أن يُحرّمه الله عليهم في تنزيل ، ولا بوحى قبل التوراة ، حتى نَزَلَتْ التوراة ، فحرّم الله عليهم فيها ما شاء ، وأحلّ لهم فيها ما أحبّ . وهذا قول قالته جماعة من أهل التأويل ، وهو معنى قول ابن عباس الذي ذكرناه قبل .

ذكر بعض من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالاً لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ : وإسرائيل هو يعقوب ، ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . يقول : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل من قبل أن تُنزل التوراة ، إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه ، فلما أنزل الله التوراة حرّم عليهم فيها ^(٣) ما شاء ^(٣) ، وأحلّ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٦/٣ (٣٨٢٣) من طريق ابن جريج عن ابن عباس ببعضه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٢/٢ إلى ابن المنذر ، مطولاً .

(٢) بعده في ص ، ت ١ ، س : « أن » .

(٣ - ٣) في ص ، ت ١ ، س : « أشياء » .

لهم ما شاء^(١) .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة بنحوه .
واختلف أهل التأويل في الذي كان إسرائيل حرمه على نفسه ؛ فقال بعضهم :
كان الذي حرمه إسرائيل على نفسه العروق .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن يوسف
ابن ماهك ، قال : جاء أعرابي إلى ابن عباس ، فقال : إنه جعل امرأته عليه حراماً .
قال : ليست عليك بحرام . قال : فقال الأعرابي : ولم ؟ والله يقول في كتابه :
﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ .
قال : فضحك ابن عباس وقال : وما يُدريك ما كان إسرائيل حرم على نفسه ؟ قال :
ثم أقبل على القوم يُحدثهم ، فقال : إسرائيل عَرَضَتْ لَهُ الْأُنْثَاءُ^(٢) فَأَضْنَتْهُ ، فجعل
لله عليه ، إن شفاه الله منها لا يَطْعَمَ عِزًّا . قال : فلذلك اليهود تَنْرِغُ العروق من
اللحم^(٣) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبه ، عن أبي بشر ،
قال : سمعتُ يوسف بن ماهك ، يُحدثُ أن أعرابياً أتى ابن عباس ، فذكر رجلاً حرم
امرأته ، فقال : إنها ليست بحرام . فقال الأعرابي : أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُلُّ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٦/٣ (٣٨٢١) من طريق شيخان عن قتادة دون أوله .

(٢) الْأُنْثَاءُ : جمع نَسَاء . وتقدم تعريف عرق النساء في ص ٥٧٨ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٨ - تفسير) من طريق أبي بشر به نحوه ، وعزاه السيوطي في الدر
المشثور ٥١/٢ إلى عبد بن حميد .

الطَّعَامِ كَانَ حَلَالٌ لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴿١﴾ . فقال : إن إسرائيل كان به عِرْقُ النَّسَا ، فحلف لئن عافاه الله ألا يأكل العروق من اللحم . وإنها ليست عليك بحرام .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُليَّة ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز في قوله : ﴿ كُلُّ / الطَّعَامِ كَانَ حَلَالٌ لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قال : إن يعقوب أخذه وجع عِرْقِ النَّسَا ، فجعل لله عليه ، أو ^(١) أقسم ، أو قال : لا يأكله من الدواب . قال : والعروق كلها تتبع لذلك العرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن الذي حرّم إسرائيل على نفسه ، أن الأنساء أخذته ذات ليلة ، فأشهرته ، فتألى ^(٢) ، إن الله شفاه لا يطعم نساً أبداً . فتتبع بنوه العروق بعد ذلك ، يُخرجونها [٣١/١ ظ] من اللحم .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة بنحوه . وزاد فيه : قال : فتألى ؛ لئن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً . فجعل بنوه بعد ذلك يتبعون العروق فيخرجونها من اللحم ، وكان الذي حرّم على نفسه من قبل أن تُنزل التوراة ، العروق .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قال : اشتكى إسرائيل عِرْقَ النَّسَا ، فقال : إن الله شفاني لأحرّم العروق . فحرّمها ^(٣) .

(١) في ١ ، ت ٢ ، س : « أن » .

(٢) أى : حلف .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٦ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ ،
عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَانَ إِسْرَائِيلُ
أَخَذَهُ عِرْقُ النَّسَا ، فَكَانَ يَبِيتُ لَهُ زُقَاءً ، فَجَعَلَ لِلَّهِ عَلَيْهِ إِنْ شَفَاهُ إِلَّا يَأْكُلُ الْعُرُوقَ ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُلُّ الْأَطْعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ
عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قَالَ سَفِيَانُ : لَهُ زُقَاءً ، يَعْنِي : صِيَاخٌ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قَالَ : كَانَ يَشْتَكِي
عِرْقَ النَّسَا ، فَحَرَّمَ الْعُرُوقَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا شَيْبَةُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُلُّ الْأَطْعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ . قَالَ : كَانَ إِسْرَائِيلُ يَأْخُذُهُ عِرْقُ
النَّسَا ، فَكَانَ يَبِيتُ وَلَهُ زُقَاءً ، فَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَأْكُلَ عِرْقًا .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ الَّذِي كَانَ إِسْرَائِيلُ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ لَحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ ، قَالَ : سَمِعْنَا أَنَّهُ اشْتَكَى شَكْوَى ، فَقَالُوا : إِنَّهُ عِرْقُ النَّسَا . فَقَالَ :

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٦ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٦ .

رَبِّ ، إِنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيَّ لَحْمُ الْإِبِلِ وَأَلْبَانُهَا ، فَإِنْ شَفَيْتَنِي فَإِنِّي أُحَرِّمُهَا عَلَيَّ ^(١) .
قال ابن جريج : وقال عطاء بن أبي رباح : لحوم الإبل وألبانها حَرَّمَ إسرائيل ^(٢) .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عبَّاد ، عن الحسن
فى قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ ﴾ . قال : كان إسرائيل حَرَّمَ
على نفسه لحوم الإبل ، وكانوا يزعمون أنهم يجدون فى التوراة تحريم إسرائيل على
نفسه لحوم الإبل ، وإنما كان حَرَّمَ إسرائيل على نفسه لحوم الإبل / قبل أن تُنَزَّلَ
التوراة ، فقال الله : ﴿ فَاتَّوَأُ بِالْتَّوْرَةِ فَاتَّلَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . فقال : لا
تجدون فى التوراة تحريم إسرائيل على نفسه ، أى ^(٣) لحم الإبل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا
حبيب بن أبى ثابت ، قال : ثنا سعيد . عن ابن عباس ، أن إسرائيل أخذ عِرْقُ
النَّسَا ، فكان يبيث بالليل له زُقَاءً . يعنى : صياخ . قال : فجعل على نفسه لثن شَفَاهُ
الله منه لا يأكله ، يعنى لحوم الإبل . قال : فحرَّمه اليهود . وتلا هذه الآية : ﴿ كُلُّ
الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ
التَّوْرَةُ قُلْ فَاتَّوَأُ بِالْتَّوْرَةِ فَاتَّلَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . أى : إن هذا قبل
التوراة ^(٤) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب ، عن

(١) ذكره أبو حيان فى البحر المحيط ٣/٣ عن عبد الله بن كثير .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٢/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء .

(٣) فى النسخ : «إلا» . وهو ما لا يستقيم مع السياق المذكور فى بقية الأثر قبل هذه اللفظة ، والمثبت ما
يستقيم به السياق . وهو صنيع الشيخ شاكر رحمه الله .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٥/٣ (٣٨١٨) ، والحاكم ٢/٢٩٢ ، والبيهقى ٨/١٠ من طريق

يحيى بن سعيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥١/٢ إلى عبد بن حميد والفريانى وابن المنذر .

سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قال : حَرَّمَ العروقَ ولحومَ الإبلِ . قال : كان به عِرْقُ النَّسَا ، فأَكَلَ مِنْ لَحْمِهَا ، فَبَاتَ بَلِيلَةً يَزُقُّو ، فَحَلَفَ أَلَّا يَأْكُلَهُ أَبَدًا ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن إسرائيلَ ، عن جابرٍ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قال : حَرَّمَ لَحْمَ ^(٢) الْأَنْعَامِ ^(٣) .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوال بالصواب قولُ ابنِ عباسٍ الذي رواه الأعمشُ ، عن حبيبٍ ، عن سعيدٍ عنه ، أن ذلك العروقُ ولحومُ الإبلِ ؛ لأنَّ اليهودَ مُجْمَعَةً إلى اليومِ على ذلك من تحريمِهما ، كما كان عليه من ذلك أوائلُها .

وقد رَوَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بنحو ذلك خبرٌ ، وهو ما حَدَّثَنَا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن عبد الحميدِ بنِ يَهْرَامَ ، عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن عِصَابَةَ من اليهودِ حَضَرَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسمِ ، أَخْبَرْنَا أَنَّ الطَّعَامَ حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتَشُدُّكُمْ بِالَّذِي أُنْزِلَ التَّوْرَةُ عَلَى مُوسَى ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَءِيلَ يَعْقُوبَ مَرِيضًا شَدِيدًا ، فَطَالَ سُقْمُهُ مِنْهُ ، فَتَذَرُ لِلَّهِ نَذْرًا ؛ لَمَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ سُقْمِهِ ، لِيَحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لَحْمَانُ الْإِبِلِ ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا » ؟ فقالوا : اللَّهُمَّ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٥/٣ (٣٨١٨) من طريق الأعمش به .

(٢) في ص : « لحم » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٥/٣ (٣٨٢٠) من طريق وكيع به .

(١) نعم .

وأما قوله : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . فإن معناه : قل يا محمد للزاعمين من اليهود أن الله حرم عليهم في التوراة العروق ولحوم الإبل وألبانها ﴿ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا ﴾ . [١/٤٣٢ و] يقول : قل لهم : جيئوا بالتوراة فاتلوها ، حتى يتبين لمن خفى عليه كذبهم ، وقيلهم الباطل على الله من أمرهم ، أن ذلك ليس مما أنزلته في التوراة ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . يقول : إن كنتم محققين في دعواكم أن الله أنزل تحريم ذلك في التوراة ، فأثونا بها ، فاتلوا تحريم ذلك علينا منها .

وإنما ذلك خبر من الله عن كذبهم ؛ لأنهم لا يجيئون بذلك أبداً على صحته ، فأعلم الله بكذبهم عليه نبيه ﷺ ، وجعل إعلانه ذلك حجة له عليهم ؛ لأن ذلك إذا كان يخفى على كثير من أهل ملتهم ، فمحمد ﷺ - وهو أمي من غير ملتهم ، لولا أن الله أعلمه ذلك بوحي من عنده - كان أخرى ألا يعلمه ، فكان في ذلك له ﷺ من أعظم الحجج عليهم بأنه نبي لله إليهم ؛ لأن ذلك من أخبار أوائلهم ، كان من خفي علومهم الذي لا يعلمه غير خاصية منهم ، إلا من أعلمه الذي لا يخفى عليه خافية ؛ من نبي أو رسول ، أو من أطلع الله على علمه ممن شاء من خلقه .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَمَنْ أَفَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ٩٤ ﴿ ٩٤ ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٠٤ ، ٧٠٥ (٣٨١٦) ، والطبراني في الكبير (١٣٠١٢) من طريق عبد الحميد بن بهرام به .

يعنى جلّ ثناؤه بذلك : فَمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ مَثًّا وَمِنْكُمْ ، مِنْ بَعْدِ مَجِيئِكُمْ
 بالتوراة ، وتلاوتكم إِيَّاهَا ، وَعَدَمِكُمْ مَا ادَّعَيْتُمْ مِنْ تَحْرِيمِ اللَّهِ الْعُرُوقَ وَلَحُومَ الْإِبِلِ
 وَأَلْبَانَهَا فِيهَا ، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . يعنى : فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ﴿ فَأُولَئِكَ ﴾ .
 يعنى : فهؤلاء الذين يفعلون ذلك ﴿ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . يعنى : فهم الكافرون القائلون
 على الله الباطل .

كما حَدَّثَنَا الْمُشَنَّى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، عَنْ زَكْرِيَا ،
 عَنِ الشَّعْبِيِّ : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . قَالَ : نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ .

القولُ فى تأويلِ قوله جلّ ثناؤه : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا
 كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٩٥) .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : قل يا محمدُ : صَدَقَ اللَّهُ فيما أَخْبَرْنَا بِهِ مِنْ قَوْلِهِ :
 ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ ﴾ . وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ عَلَى إِسْرَءِيلَ وَلَا
 عَلَى وَلَدِهِ الْعُرُوقَ وَلَا لَحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ شَيْئًا حَرَّمَهُ
 إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ بِغَيْرِ تَحْرِيمِ اللَّهِ إِيَّاهُ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ ، وَفِي كُلِّ مَا
 أَخْبَرَ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ خَيْرٍ ، دُونَكُمْ أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ الْكَذْبَةُ فِي إِضَافَتِكُمْ تَحْرِيمَ
 ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِي التَّوْرَةِ ، الْمُفْتَرِيَةَ عَلَى اللَّهِ الْبَاطِلَ فِي دَعْوَاكُمْ عَلَيْهِ غَيْرِ
 الْحَقِّ . ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ . يَقُولُ : فَإِنْ كُنْتُمْ أَتِيهَا الْيَهُودُ مُحَقِّقِينَ فِي
 دَعْوَاكُمْ أَنْكُمْ عَلَى الدِّينِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لَأَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ ، فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ
 اللَّهِ ، فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ دِينًا ، وَابْتَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ ،
 وَذَلِكَ الْحَنِيفِيَّةُ ، يَعْنِي : الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ ، دُونَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ
 وَالْمُشْرِكَةِ .

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول : لم يكن يُشْرِكُ في عبادته أحدًا من خلقه ، فكذلك أنتم أيضًا أيها اليهود ، فلا تتخذ بعضكم بعضًا أربابًا من دون الله ، تُطيعونهم كطاعة إبراهيم ربّه . وأنتم يا معشر عبدة الأوثان ، فلا تتخذوا الأوثان والأصنام أربابًا ، ولا تعبدوا شيئًا من دون الله ؛ فإن إبراهيم خليل الرحمن كان دينه إخلاص العباد لربّه وحده ، من غير إشراك أحدٍ معه فيه ، فكذلك أنتم أيضًا ، فأخلصوا له العبادّة ، ولا تشركوا معه في العبادّة أحدًا ، فإن جميعكم مُقرّون بأن إبراهيم كان على حقٍّ وهُدًى مستقيم ، فاتَّبِعُوا ما قد أَجْمَعَ جميعكم على تَصْويهِ / من ملّته الحنيفيّة ، ودَعُوا ما اختلفتم فيه من سائر المللِ غيرها ، أيها ٧/٤ الأحزاب ، فإنها يدّعِ ابْتِدَعْتُمُوهَا ، إلى ما قد أَجْمَعْتُمْ عليه أنه حقٌّ ، فإن الذي أَجْمَعْتُمْ عليه أنه صوابٌ وحقٌّ من ملة إبراهيم ، هو الحقُّ الذي ارْتَضَيْتُهُ ، وابتعثتُ به أنبيائي ورسلي ، وسائر ذلك هو الباطل الذي لا أقبله من أحدٍ من خلقي جاءني به يوم القيامة .

وإنما قال جلّ ثناؤه : ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ . يعنى به : وما كان من عدّدهم وأوليائهم . وذلك أن المشركين بعضهم من بعضٍ في التّظاهر على كفرهم ، ونُصرة بعضهم بعضًا ، فبرأ الله إبراهيم خليله أن يكون منهم ، أو من ^(١) نصرائهم وأهل ولايتهم . وإنما عنى جلّ ثناؤه بالمشركين : اليهود والنصارى وسائر الأديان غير الحنيفيّة . قال : لم يكن إبراهيم من أهل هذه الأديان المشركّة ، ولكنه كان حنيفًا مسلمًا .

القول في تأويل قوله : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩٦) .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : تأويله : إن أول بيت وضع للناس يُعبد الله فيه مباركاً وهدي للعالمين الذي ببكة . قالوا : وليس هو أول بيت وضع في الأرض ؛ لأنه قد كانت قبله بيوت كثيرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سيماء ، عن خالد بن غزوة ، قال : قام رجل إلى علي ، فقال : ألا تخبرني عن البيت ، أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع [٤٣٢/١ ظ] فيه ^(١) البركة ، مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ^(٢) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سيماء ، قال : سمعت خالد بن غزوة ، قال : سمعت علياً وقيل له : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ : هو أول بيت كان في الأرض ؟ قال : لا . قال : فأين كان قوم نوح ، وأين كان قوم هود ؟ قال : ولكنه أول بيت وضع للناس مباركاً وهدي ^(٣) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سأل حفص الحسن وأنا أسمع ، عن قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ . قال : هو أول مسجد عبد الله فيه في الأرض .

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرَّمْلِيُّ ، قال : ثنا ضمرة ، عن ابن شاذب ، عن مطر

(١) في النسخ : « في » . والمثبت مما تقدم في ٥٦١ / ٢ .

(٢) تقدم تخريجه في ٥٦٢ / ٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٠ / ٣ (٣٨٣٩) من طريق سيماء به .

فى قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ . قال : قد كانت قبله بيوت ، ولكنه أول بيت وُضِعَ للعبادة ^(١) .

حدَّثنى محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عبَّاد ، عن الحسن قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ : يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ ﴿ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ ^(١) .

حدَّثنى المُشَنَّى ، قال : ثنا الحِمْيَانِى ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ قال : وُضِعَ للعبادة .

٨/٤

/وقال آخرون : بل هو أول بيت وُضِعَ للناس . ثم اختلفوا قائلو ذلك فى صفة وضعه أول ؛ فقال بعضهم : خُلِقَ قَبْلَ جَمِيعِ الْأَرْضِينَ ، ثم دُحِيتِ الْأَرْضُونَ مِنْ تَحْتِهِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى محمد بن عُمارة الأَسَدِى ، قال : ثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، قال : أَخْبَرَنَا شَيْبَانُ ، عن الأَعْمَشِ ، عن بُكَيْرِ بنِ الْأَخْنَسِ ، عن مجاهد ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرو ، قال : خَلَقَ اللَّهُ الْبَيْتَ قَبْلَ الْأَرْضِ بِأَلْفِ سَنَةٍ ، وَكَانَ - إِذْ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ - رَبْدَةً بَيْضَاءَ ، فَدُحِيتِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ ^(٢) .

حدَّثنى محمد بن عبد الملك بن أبى الشَّوَارِبِ ، قال : ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زياد ، قال : ثنا خُصَيْفٌ ، قال : سَمِعْتُ مُجَاهِدًا يَقُولُ : إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ ، ثُمَّ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٢/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه الحاكم ٥١٨/٢ ، والبيهقى فى دلائل النبوة ٤٤/٢ ، وفى الشعب (٣٩٨٣) من طريق مجاهد به

نحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٢/٢ إلى ابن المنذر والطبرانى .

دحا الأرض من تحتها^(١) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ : كقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(٢) [آل عمران : ١١٠] .

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدي : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيَّكَ مَبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ : أمّا ﴿ أَوَّلَ بَيْتٍ ﴾ فإنه يوم كانت الأرض ماء ، كان زبدة على الأرض ، فلما خلق الله الأرض خلق البيت معها ، فهو أول بيت وُضِعَ في الأرض^(٣) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيَّكَ مَبَارَكًا ﴾ . قال : أول بيت وضعه الله عز وجل فطاف به آدم ومن بعده^(٤) .

وقال آخرون : موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن البيت هبط

(١) ذكره البغوي في تفسيره بنحوه ٧٠ / ٢ .

(٢) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة ٤٠ / ١ من طريق آخر ، عن مجاهد ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٢ / ٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٧ / ٣ (٣٨٢٨) من طريق أحمد بن المفضل به نحوه ، وعنده : على البحر . بدل : على الأرض .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١٢٦ / ١ ، ١٢٧ .

مع آدمَ حينَ هبطَ . قال : أَهْبِطْ مَعَكَ يَبْنَى يُطَافُ حَوْلَهُ ، كما يطَافُ حَوْلَ عَرْشِي .
 فطافَ حَوْلَهُ آدمُ ، ومن كانَ بَعْدَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، حتَّى إِذَا^(١) كانَ زَمَنُ الطُّوفَانِ - زَمَنَ
 أَغْرَقَ اللَّهُ قَوْمَ نُوحٍ - رَفَعَهُ اللَّهُ وَطَهَّرَهُ مِنْ أَنْ يُصِيبَهُ عَقُوبَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فصارَ
 مَعْمُورًا فِي السَّمَاءِ ، ثمَّ إنَّ إِبْرَاهِيمَ تَتَبَعَ مِنْهُ أَثَرًا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَبَنَاهُ عَلَى أَسَاسٍ قَدِيمٍ كَانَ
 قَبْلَهُ^(٢) .

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ مَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِ : إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ مَبَارَكٍ وَهُدًى
 وَضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيَّكَّةً . ومعنى ذلك : إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ ؛ أَى لِعِبَادَةِ اللَّهِ
 فِيهِ ، ﴿ مُبَارَكًا وَهُدًى ﴾ ، يعنى بذلك : وَمَا بَأْسُكَ النَّاسِكِينَ ، وَطَوَافِ الطَّائِفِينَ ،
 تَعْظِيمًا لِلَّهِ ، وَإِجْلَالًا لَهُ ، لِلَّذِي بَيَّكَّةً ؛ لَصَحَّةِ الْخَبَرِ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وذلك ما حَدَّثَنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قال : ثنا ابنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عن شُعْبَةَ ، عن
 سُلَيْمَانَ ، عن إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ، عن أَبِيهِ ، عن أَبِي ذَرٍّ ، قال : قلتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَى
 مَسْجِدٍ وَضِعَ أَوَّلُ ؟ قال : « الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ » . قال : ثمَّ أَى ؟ قال : « الْمَسْجِدُ
 الْأَقْصَى » . قال : كمَ بَيْنَهُمَا ؟ قال : « أَرْبَعُونَ سَنَةً »^(٣) .

٩/٤

فَقَدْ يَبَيَّنَ هَذَا الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ هُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ وَضَعَهُ
 اللَّهُ فِي الْأَرْضِ ، عَلَى مَا قُلْنَا . فَأَمَّا فِي مَوْضِعِهِ^(٤) بَيْتًا بَغِيرَ مَعْنَى بَيْتٍ لِلْعِبَادَةِ وَالْهُدَى
 وَالْبَرَكَةِ ، فَفِيهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ مَا قَدْ ذَكَرْتُ بَعْضَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَبَعْضَهُ فِي سُورَةِ

(١) فِي م : « إِذ » .

(٢) أَخْرَجَهُ الْأَزْرَقِيُّ فِي أَحْكَامِ مَكَّةَ ١٢/١ مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ بِنَحْوِهِ مُخْتَصَرًا .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَانَ (١٥٩٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي عَدَى بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ (٤٦٤) ، وَأَحْمَدُ ١٦٠/٥ ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ (الْمِمْنِيَّةُ) ، وَأَبُو عَوَانَةَ ٣٩٢/١ مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ بِهِ .

(٤) فِي م ، ت ٢ : « وَضَعَهُ » . وَالثَّبُوتُ هُوَ لَفْظُ الْمُصَنِّفِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي ٥٥٢/٢ .

(تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٣٨/٥)

« البقرة »^(١) وغيرها من سُورِ الْقُرْآنِ ، وَيَتَنَتُّ الصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ لِلَّذِي بَكَّةٌ مُبَارَكًا ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : لِلْبَيْتِ الَّذِي بُمَزِدَحِمِ النَّاسِ ؛ لَطَوَافِهِمْ فِي حَجِّهِمْ وَعُمْرِهِمْ .

وَأَصْلُ الْبَكَّةِ الزَّحْمُ . يُقَالُ مِنْهُ : بَكََّ فُلَانٌ فَلَانًا . إِذَا زَحِمَهُ^(٢) وَصَدَمَهُ^(٣) . فَهُوَ يَبْكُهُ بَكًّا . وَهُمْ يَتَبَاكُونَ فِيهِ . يَعْنِي بِهِ : يَتَزَاكِمُونَ وَيَتَصَادَمُونَ فِيهِ . فَكَأَنَّ « بَكَّةً » فَعْلَةٌ ، مِنْ : بَكََّ فُلَانٌ فَلَانًا : زَحِمَهُ^(٣) . سُمِّيَتِ الْبَقْعَةُ بِفَعْلِ الْمُرْدَحِمِينَ بِهَا .

فَإِذَا كَانَتْ بَكَّةً مَا وَصَفْنَا ، وَكَانَ مَوْضِعُ ارْزِخَامِ النَّاسِ حَوْلَ الْبَيْتِ ، وَكَانَ لَا طَوَافَ يَجُوزُ خَارِجَ الْمَسْجِدِ ، كَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ يَكُونُ مَا حَوْلَ الْكَعْبَةِ مِنْ [١/٣٣ ر] دَاخِلِ الْمَسْجِدِ ، وَأَنَّ مَا كَانَ خَارِجَ الْمَسْجِدِ فَ « مَكَّةً » لَا « بَكَّةً » ؛ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى خَارِجَهُ يُوجِبُ عَلَى النَّاسِ التَّبَاكُّ فِيهِ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، كَانَ يَبِينُ بِذَلِكَ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ : بَكَّةُ اسْمٌ لِبَطْنِ مَكَّةَ . وَمَكَّةُ اسْمٌ لِلْحَرَمِ^(٤) .

(١) ينظر ما تقدم في ٥٤٩/٢ - ٥٥٦ .

(٢ - ٣) في ص ، س : « صدمة أو زحمة » .

(٣) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « من زحمة » .

(٤) بعده في ص : « يتلوه ذكر من قال في ذلك ما قلنا ، من أن بكعة موضع مزدحم للناس للطواف . والحمد لله على عونه وإحسانه - وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم تسليما . بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر . أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان البغدادي قال : حدثنا محمد بن جرير . وبعده في ت ١ ، س : « أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان البغدادي ، قال : حدثنا محمد بن جرير رحمه الله » .

ذَكُرْ مَنْ قَالَ فِي ذَلِكَ مَا قُلْنَا ؛

مِنْ أَنْ بَكَّةَ مَوْضِعُ مُزْدَحِمِ النَّاسِ لِلطَّوَافِ

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، عَنْ حُصَيْنٍ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْغِفَارِيِّ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ . قَالَ : بَكَّةُ مَوْضِعُ الْبَيْتِ ، وَمَكَّةُ مَا سِوَى ذَلِكَ ^(١) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَغِيرَةُ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ مِثْلَهُ ^(٢) .
حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، عَنْ عَمْرِو ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، قَالَ : مَرَّتْ امْرَأَةٌ بَيْنَ يَدَيِ رَجُلٍ وَهُوَ يَصَلِّي وَهِيَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَدَفَعَهَا . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : إِنَّهَا بَكَّةُ ، يَكُفُّ بَعْضُهَا بَعْضًا ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الصَّمَدِ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : إِنَّمَا سُمِّيَتْ بَكَّةُ لِأَنَّ النَّاسَ يَتَّبَاكُونَ فِيهَا ؛ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ حَمَادٍ ، عَنْ سَعِيدٍ ، قَالَ : قُلْتُ : لِأَيِّ شَيْءٍ سُمِّيَتْ بَكَّةُ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ يَتَّبَاكُونَ فِيهَا . قَالَ : يَعْنِي :

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩٠ (القسم الأول من الجزء الرابع) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٩/٣ (٣٨٣٦) ، من طريق حصين به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد .
(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٩ - تفسير) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٩/٣ (٣٨٣٨) من طريق مغيرة به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٨/٣ (٣٨٣٢) من طريق عمرو به ، وفيه : بعضهم بعضا .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٤ - تفسير) ، والبيهقي في الشعب (٤٠١٦) من طريق شعبة به بلفظ آخر ، وأخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩٠ ، ٢٩١ (القسم الأول من الجزء الرابع) من طريق الحكم عن مجاهد .

يَزِدِّحْمُونَ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ أَخِيهِ ، عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : إِنَّمَا سُمِّيتَ بَكَّةَ لِأَنَّهُمْ يَأْتُونَهَا حُجَّاجًا^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ : فَإِنَّ اللَّهَ بَكَ بِه النَّاسَ جَمِيعًا ، فَيَصَلِّي النِّسَاءُ قُدَّامَ الرِّجَالِ ، وَلَا يَصْلُحُ بَيْلِدٌ غَيْرِهِ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : « بَكَّةُ » ؛ بَكَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَصَلُّي بَعْضُهُمْ بَيْنَ يَدَيِ بَعْضٍ ، لَا يَصْلُحُ ذَلِكَ إِلَّا بِبَكَّةَ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ فَضِيلِ بْنِ مَرْزُوقٍ ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ ، قَالَ : بَكَّةُ مَوْضِعُ الْبَيْتِ ، وَمَكَّةُ مَا حَوْلَهَا^(٥) .

/ حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ أَزْهَرَ ، عَنْ غَالِبِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ شِهَابٍ عَنْ بَكَّةَ ، قَالَ : بَكَّةُ الْبَيْتُ وَالْمَسْجِدُ . وَسَأَلَهُ

١٠/٤

(١) فِي م : « يَتَزَاحِمُونَ » .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ص ٢٩٠ (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْجُزْءِ الرَّابِعِ) عَنْ وَكَيْعٍ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ (٥١١ - تَفْسِير) مِنْ طَرِيقِ سَفْيَانَ بِهِ ، دُونَ آخِرِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ص ٢٩٠ (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْجُزْءِ الرَّابِعِ) ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٠٨/٣ (٣٨٣٠) مِنْ طَرِيقِ وَكَيْعٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر المنثور ٥٣/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٠٩/٣ (٣٨٣٣) ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي الشَّعْبِ (٤٠١٥) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر المنثور ٥٣/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٤) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ١٢٦/١ ، ١٢٧ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ص ٢٩١ (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْجُزْءِ الرَّابِعِ) عَنْ وَكَيْعٍ بِهِ .

عن مَكَّةَ ، فقال ابنُ شِهَابٍ : مَكَّةُ الْحَرَمُ كُلُّهُ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا حَجَّاجٌ ، عن عطاءٍ ومجاهدٍ ،
قالا : بَكَّةُ بَكٌّ فِيهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ يَحْيَى الرَّمْلِيُّ ، قال : قال ضَمْرَةُ بْنُ رَبِيعَةَ : بَكَّةُ الْمَسْجِدُ ،
وَمَكَّةُ الْبَيْتُ ^(٣) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قال : أَخْبَرَنَا يَزِيدٌ ، قال :
أَخْبَرَنَا جُوَيْرٌ ، عن الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ .
قال : هِيَ مَكَّةُ ^(٤) .

وقيل : ﴿ مُبَارَكًا ﴾ ؛ لأن الطَّوْفَ بِهِ مَغْفِرَةٌ لِلذَّنُوبِ .

فَأَمَّا نَصَبُ قَوْلِهِ : ﴿ مُبَارَكًا ﴾ . فإنه على الخُرُوجِ ^(٥) من قَوْلِهِ : ﴿ وَضَعَ ﴾ ؛
لأن فِي ﴿ وَضَعَ ﴾ ذِكْرًا مِنَ « الْبَيْتِ » هو به مشغولٌ ، وهو معرفةٌ ، و « مُبَارَكٌ »
نَكْرَةٌ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَتَّبَعَهُ فِي الْإِعْرَابِ ^(٦) .

وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ : هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ - عَلَى مَا ذَكَرْنَا فِي
ذَلِكَ قَوْلَ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ - فإنه نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ من قَوْلِهِ : ﴿ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ ﴾ ؛ لأن معنى الكلام على قولهم : إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ الْبَيْتُ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٩/٣ عقب الأثر (٣٨٣٣) عن مجاهد معلقا .

(٣) ذكره الطوسي في التبيان ٥٣٥/٢ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى المصنف .

(٥) الخروج : النصب على الحال . مصطلحات النحو الكوفي ص ٥٩ .

(٦) ينظر ما تقدم في ص ٥٧٢ .

الذى ^(١) بَيَّكَةً مَبَارَكًا . فـ « البَيْتُ » عندهم من صفته ^(٢) « الذى بَيَّكَةً » ، و « الذى » بصِلته معرفة ، و « المَبَارَكُ » نكرة ، فنُصِبَ على القطع منه فى قول بعضهم ، وعلى الحال فى قول بعضهم ، ﴿ وَهَدَى ﴾ فى موضع نصبٍ على العطفِ على قوله : ﴿ مُبَارَكًا ﴾ .
القول فى تأويل قوله : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ .

اِخْتَلَفَتِ الْقِرَاءَةُ فى قراءة ذلك ؛ فقرأه قراءة المصارع : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ على جماع « آية » ، بمعنى : فيه علاماتٌ بَيِّنَاتٌ .

وقرأ ذلك ابنُ عباسٍ : (فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ) . يعنى بها : مقام إبراهيم . يُرادُ بها علامةٌ واحدةٌ ^(٣) .

ثم اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فى تأويلِ قوله : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ . وما تلك الآياتُ ؟ فقال بعضهم : مقام إبراهيم والمشعر ^(٤) ، ونحو ذلك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ : مقام إبراهيم والمشعر ^(٥) .

حدَّثنا الحسنُ ^(٦) بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة ومجاهدٍ : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ قالوا : مقام إبراهيم من الآياتِ

(١) زيادة لا بد منها ليستقيم السياق .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « صفة » .

(٣) ينظر تفسير ابن أبى حاتم ٧١١/٣ (٣٨٤٧) ، والتبيان ٥٣٧/٢ .

(٤) بعده فى م ، ت ٢ : « الحرام » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٠/٣ (٣٨٤٤) عن محمد بن سعد به .

(٦) فى النسخ : « إسحاق » . وهو خطأ ، وتقدم مراوًا .

البينات^(١) .

وقال آخرون : الآيات البينات مقام إبراهيم ، ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .

ذكر من قال ذلك

١١/٤

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عبادة ، عن الحسن فى قوله : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ . قال : مقام إبراهيم ، ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾^(٢) .

وقال آخرون : الآيات البينات هو مقام إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى قوله : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ : أما « الآيات البينات » فمقام إبراهيم .

وأما الذين قرءوا ذلك : (فيه آية بيّنة)^(٣) على التوحيد ، فإنهم عَنُوا بِالْآيَةِ الْبَيِّنَةِ مقام إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد [٤٣٣/١ ظ] بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن

(١) تفسير عبد الرزاق ١٢٧/١ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٤/٢ إلى عبد بن حميد .

وقال الرمخشى : ويجوز أن تذكر فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله ؛ لأن الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والأربعة ، ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات ، كأنه قيل : فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله وكثير سواهما . الكشف ٤٤٧/١ .

(٣) وهى قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة .

أبى نُجَيْجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فِيهِ ءَايَتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ . قال : قَدَمَاهُ فِي الْمَقَامِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ .
يقولُ : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾ . قال : هَذَا شَيْءٌ آخَرُ^(١) .

حُدِّثَتْ عَنْ عَمَارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ :
(فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ) قال : أثَرُ قَدَمَيْهِ فِي الْمَقَامِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ .

وأولى الأقوالِ فى تأويلِ ذلك بالصوابِ قولُ مَنْ قال : الآياتُ البَيِّنَاتُ منهن
مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ . وهو قولُ قتادةٍ ومجاهدٍ ، الذى رواه معمرٌ عنهما ، فيكونُ الكلامُ
مرادًا فيه^(٢) « منهن » ، فترك ذكره اكتفاءً بدلالةِ الكلامِ عليها .

فإن قال قائلٌ : فهذا المقامُ من الآياتِ البَيِّنَاتِ ، فما سائرُ الآياتِ التى من أجلِها
قيل : ﴿ ءَايَتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ ؟

قيل : منهن المقامُ ، ومنهن الحجرُ ، ومنهن الحَطِيمُ .

وأصحُّ القراءتين فى ذلك قراءةٌ من قرأ : ﴿ فِيهِ ءَايَتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ . على
الجماع ؛ لإجماعِ قرأةِ أمصارِ المسلمين على أن ذلك هو القراءةُ الصحيحةُ دونَ
غيرِها .

وأما اختلافُ أهلِ التأويلِ فى تأويلِ : ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . فقد ذكرناه فى
سورةِ « البقرة » ، ويبيِّنُ أولى الأقوالِ بالصوابِ فيه هنالك ، وأنه عندنا المقامُ المعروفُ^(٣)
به .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٦ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١١/٣ (٣٨٤٥) ، وعزاه السيوطى فى
الدر المنثور ٥٤/٢ إلى عبد بن حميد والأزرقي وابن المنذر .

(٢) فى م : « فيهن » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٥٢٥/٢ - ٥٢٩ .

فتأويل الآية إذن : إن أول بيت وُضِعَ للناسِ مباركاً وهدى للعالمين ، للذى ببكة ، فيه علامات بينات من قدرة الله ، وآثار خليله إبراهيم ، منهن أثر قدم خليله إبراهيم عليه السلام فى الحجر الذى قام عليه .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : تأويله الخبر عن أن كل من جرّ فى الجاهلية جريرة ، ثم عاذ بالبيت ، لم يكن بها مأخوذاً .

/ ذكر من قال ذلك

١٢/٤

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ : وهذا كان فى الجاهلية ؛ كان الرجل لو جرّ كل جريرة على نفسه ، ثم لجأ إلى حرم الله ، لم يتناول ولم يطلب ، فأما فى الإسلام ، فإنه لا يمنع من حدود الله ؛ من سرق فيه قطع ، ومن زنى فيه أقيم عليه الحد ، ومن قتل فيه قتل .

وعن قتادة أن الحسن كان يقول : إن الحرم لا يمنع من حد^(١) الله ؛ لو أصاب حدًا فى غير الحرم ، فلجأ إلى الحرم ، لم يمنعه ذلك أن يُقام عليه الحد . ورأى قتادة ما قاله الحسن^(٢) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ . قال : كان ذلك فى الجاهلية ، فأما اليوم

(١) فى م ، س : « حدود » .

(٢) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٣٦٨/١ من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٤/٢ إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

فَإِنْ سَرَقَ فِيهِ أَحَدٌ قُطِعَ ، وَإِنْ قَتَلَ فِيهِ قُتِلَ ، وَلَوْ قُدِرَ فِيهِ عَلَى الْمَشْرِكِينَ قُتِلُوا^(١) .

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : ثنا خُصَيْفٌ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي الرَّجُلِ يَقْتُلُ ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْحَرَمَ ، قَالَ : يُؤْخَذُ فَيُخْرِجُ مِنَ الْحَرَمِ ، ثُمَّ يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ . يَقُولُ : الْقَتْلُ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ حَمَادٍ مِثْلَ قَوْلِ مُجَاهِدٍ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هِشَامٌ ، عَنْ الْحَسَنِ وَعَطَاءٍ ، فِي الرَّجُلِ يُصِيبُ الْحَدَّ ، وَيَلْجَأُ إِلَى الْحَرَمِ : يُخْرِجُ مِنَ الْحَرَمِ فَيُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ .

فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ عَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ : فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ، وَالَّذِي دَخَلَهُ مِنَ النَّاسِ كَانَ آمِنًا بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : وَمَنْ يَدْخُلُهُ يَكُنْ آمِنًا بِهَا . بِمَعْنَى الْجَزَاءِ . كَنَحْوِ قَوْلِ الْقَائِلِ : مَنْ قَامَ لِي أَكْرَمْتُهُ . بِمَعْنَى : مَنْ يَقُمْ لِي أَكْرَمْتُهُ . وَقَالُوا : هَذَا أَمْرٌ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، كَانَ الْحَرَمُ مَفْرَعٌ كُلِّ خَائِفٍ ، وَمَلْجَأٌ كُلِّ جَانٍ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُهَاجَرُ بِهِ ذُو جَرِيرَةٍ ، وَلَا يَفْرِضُ الرَّجُلُ فِيهِ لِقَاتِلِ أَبِيهِ وَابْنِهِ بِسُوءٍ . قَالُوا : وَكَذَلِكَ هُوَ فِي الْإِسْلَامِ ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ زَادَهُ تَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧١٢ (٣٨٥١) عن الحسن بن يحيى به . وأخرجه الأزرقى في أخبار مكة ١/٣٦٨ من طريق معمر ، عن قتادة ومجاهد .

ذكر من قال ذلك

حدَّثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد، قال : ثنا خُصيف، قال : ثنا مجاهد، قال : قال ابن عباس : إذا أصاب الرجل الحد ؛ قتل أو سرق ، فدخل الحرم ، لم يُبايَع ولم يُؤو ، حتى يَبرَأ فيُخرج من الحرم ، فيقام عليه الحد . قال : فقلت لابن عباس : ولكني لا أرى ذلك ، أرى أن يُؤخذ برؤيته^(١) ، ثم يُخرج من الحرم ، فيقام عليه الحد ، فإن الحرم لا يزيده إلا شدة^(٢) .

حدَّثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا عبد الملك ، عن عطاء ، قال : أخذ ابن الزبير سعدًا مولى معاوية - وكان في قلعة بالطائف - فأرسل إلى ابن عباس^(٣) من يُشاوره فيهم : إنهم لنا عدو^(٤) . فأرسل إليه ابن عباس : لو وجدت قاتل أبي لم أعرض له . قال : فأرسل إليه ابن الزبير^(٥) : ألا نُخرجهم من الحرم ؟ قال : فأرسل إليه ابن عباس : أفلا قبل أن تدخلهم الحرم ؟ زاد أبو السائب في حديثه : فأخرجهم فصلبهم ، ولم يُضغ^(٦) إلى قول ابن عباس .

(١) الرُّمَّة : قطعة جبل يُشدُّ بها الأسير أو القاتل الذي يُقاد إلى القصاص . ينظر اللسان (ر م) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٤/٢ دون آخره إلى عبد بن حميد ، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٧٣٠٦ ، ١٧٣٠٧) ، والأزرقي في أخبار مكة ٣٦٧/١ من طريق طاوس ، عن ابن عباس بنحوه .

(٣ - ٣) سقط من : ت ٢ .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عرق » وفي م : « عين » ، وفي س : « عون » .

(٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ : « تنطق » ، وفي س : « يحق » .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٢٢٥) عن عبد الملك بن جريح به . وعنده : سعدًا مولى عتبة . =

/ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا حَجَّاجٌ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَنْ أَخَذَ حَدَّثًا فِي غَيْرِ الْحَرَمِ ثُمَّ لَجَأَ إِلَى الْحَرَمِ ، لَمْ يُعْرَضْ لَهُ ، وَلَمْ يُبَايَعْ ، وَلَمْ يُكَلَّمْ ، وَلَمْ يُؤَوْ ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ ، فَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أُخِذَ فَأُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ . قَالَ : وَمَنْ أَخَذَ فِي الْحَرَمِ حَدَّثًا أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ [٤٣٤/١ و] بِنِ نَصْرِ السَّلْمِيِّ ، عَنْ ابْنِ أَبِي حَبِيبَةَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ حُصَيْنٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ أَخَذَ حَدَّثًا ثُمَّ اسْتَجَارَ بِالْبَيْتِ ، فَهُوَ آمِنٌ ، وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعَاقِبُوهُ عَلَى شَيْءٍ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ ، فَإِذَا خَرَجَ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ^(٢) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، قَالَ : لَوْ وَجَدْتُ قَاتِلَ عَمْرِ فِي الْحَرَمِ مَا هَجَّئْتُهُ^(٣) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : ثنا لَيْثٌ ، عَنْ عَطَاءٍ ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُثْبَةَ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ الْحَدَّ فِي الْحَرَمِ ، فَقَالَ لَهُ عُثْبَةُ بْنُ عُمَيْرٍ : لَا تُقِمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فِي الْحَرَمِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَصَابَهُ فِيهِ^(٤) .

= وأصله عند الأزرقى فى أخبار مكة ٣٦٨/١ من طريق ابن جريج به . وعنده : سعدًا مولى عقبة .

(١) سقط من : ص .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٥/٢ ، إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٥/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٩٢٢٩) ، والأزرقى فى أخبار مكة ٣٦٩/١ من طريق أبى الزبير

عن ابن عمر ، عندهما : « ندهته » ، بدل « هجته » .

(٤) ينظر البحر المحيط ١٠/٣ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : أَخْبَرَنَا مُطَرِّفٌ ، عن عامِرٍ ، قال : إِذَا أَصَابَ الْحَدُّ ثُمَّ هَرَبَ إِلَى الْحَرَمِ فَقَدْ أَمِنَ ، فَإِذَا أَصَابَهُ فِي الْحَرَمِ ، أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فِي الْحَرَمِ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن فِرَاسٍ ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : مَنْ أَصَابَ حَدًّا فِي الْحَرَمِ أُقِيمَ عَلَيْهِ فِي الْحَرَمِ ، وَمَنْ أَصَابَهُ خَارِجًا مِنَ الْحَرَمِ ثُمَّ دَخَلَ الْحَرَمَ ، لَمْ يُكَلَّمْ ، وَلَمْ يُبَايَعْ ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ فَيُقَامَ عَلَيْهِ .

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأَمْوِيُّ ، قال : ثنا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ ، قال : ثنا عطاءُ ابنِ السَّائِبِ ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، وعن عبدِ المَلِكِ ، عن عطاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ ، فِي الرَّجُلِ يَقْتُلُ ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْحَرَمَ ، قال : لَا يَبِيعُهُ أَهْلُ مَكَّةَ ، وَلَا يَشْتَرُونَ مِنْهُ ، وَلَا يَسْقُونَهُ وَلَا يُطْعَمُونَهُ ، وَلَا يُؤْوَوْنَ - عَدَّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً - حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ فَيُؤْخَذَ بِذَنْبِهِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا عَنْ عَمَارٍ ، قال : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَصَابَ حَدًّا ثُمَّ دَخَلَ الْحَرَمَ ، أَنَّهُ لَا يُطْعَمُ ، وَلَا يُسْقَى ، وَلَا يُؤْوَى ، وَلَا يُكَلَّمُ ، وَلَا يُنَكَّحُ ، وَلَا يُبَايَعُ ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْهُ أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثَنَى حَجَّاجٌ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٧٣٠٨) من طريق مطرف ، بنحوه مطولاً .

(٢) ينظر البحر المحيط ١٠ / ٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١١ / ٣ (٣٨٥٠) من طريق عطاء بن السائب به نحوه .

ابن عباس، قال : إذا أخذت الرجل حدثاً ، ثم دخل الحرم ، لم يؤوّ ، ولم يُجالس ، ولم يُيافع ، ولم يُطعم ، ولا يُسقى ، حتى يخرج من الحرم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أمّا قوله : ﴿ وَمَنْ / دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ . فلو أن رجلاً قتل رجلاً ، ثم أتى الكعبة ، فعاذ بها ، ثم لقيه أخو المقتول ، لم يحل له أبداً أن يقتله ^(١) .

١٤/٤

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن دخله يكن آمناً من النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن مسلم ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ^(٢) زريق ^(٣) بن مسلم الخزمي ، قال : ثنا زياد بن أبي عياش ^(٤) ، عن يحيى بن جعدة في قوله : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ . قال : آمناً من النار ^(٥) .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول ابن الزبير ومجاهد والحسين ومن قال : معنى ذلك : ومن دخله من غيره ممن لجأ إليه عائداً به ، كان آمناً ما كان فيه ،

(١) ينظر البحر المحيط ١٠ / ٣ .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « هذا أخبرناه » .

(٣) في ص : « رريق » ، وفي م : « رزيق » .

(٤) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « عياس » ، وفي م ، ت ١ ، س : « عياض » . والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم وتفسير ابن كثير .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٢/٣ (٣٨٥٦) من طريق أبي عاصم به ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٦٦/٢ عن ابن أبي حاتم ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٥٥/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ولكنه يُخْرِجُ منه ، فيَقَامُ عليه الحدُّ إن كان أصاب ما يَسْتَوْجِبُهُ في غيره ثم لَجَأَ إليه ، وإن كان أصابه فيه أُقِيمَ عليه فيه .

فتأويلُ الآيةِ إذن : فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إبراهيمَ ، وَمَنْ يَدْخُلُهُ مِنَ النَّاسِ مستَجِيرًا به ، يَكُنْ آمِنًا مما استجار منه ما كان فيه ، حتى يُخْرِجَ منه .

فإن قال قائلٌ : وما مَنَعَكَ من إقامة الحدِّ عليه فيه ؟

قيل : لاتفاقِ جميعِ السَّلَفِ على أن مَنْ كانت جريئته في غيره ثم عاذ به فإنه لا يُؤْخَذُ بجريئته فيه . وإنما اختلفوا في صفةِ إخراجِه منه لأخذه بها ؛ فقال بعضهم : صفةُ ذلك منعه المعاني التي يُضْطَرُّ مع منعه وفَقْدِه إلى الخروجِ منه .

وقال آخرون : لا صفةَ لذلك غيرُ إخراجِه منه بما أُمِّكِنَ إخراجُه من المعاني التي تُوصِلُ إلى إقامة حدِّ الله عليه معها . فلذلك قلنا : غيرُ جائزٍ إقامةُ الحدِّ عليه فيه إلا بعدَ إخراجِه منه . فأما مَنْ أصاب الحدَّ فيه ، فإنه لا خلافَ بينَ الجميعِ في أنه يُقَامُ عليه فيه الحدُّ ، فكلتا المسألتينِ أصلٌ مُجْمَعٌ على حكمِهما على ما وَصَفْنَا .

فإن قال لنا قائلٌ : وما دَلَالَتُكَ على أن إخراجَ العائذِ بالبيتِ إذا أتاه مستَجِيرًا به من جريئةِ جَرَّها ، أو من حدِّ أصابه ، من الحرمِ جائزٌ لإقامة الحدِّ عليه ، وأخذه بالجريرة ، وقد أَقَرَّتْ بَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قد جعلَ مَنْ دَخَلَهُ آمِنًا ، ومعنى الآمنِ غيرُ معنى الخائفِ ، فيما ^(١) هما فيه مُخْتَلِفَانِ ؟

(١) في م : « فيما » .

قيل : قلنا ذلك لإجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن إخراج العائذ به من جريرة أصابها أو فاحشة أتاها ، وَجَبَتْ عليه بها عقوبة ، منه ببعض معاني الإخراج ؛ لأخذه بما لزمه ، واجب على إمام المسلمين وأهل الإسلام معه .

وإنما اختلفوا في السبب الذي يُخرج به منه ؛ فقال بعضهم : السبب الذي يجوز إخراج به منه ترك جميع المسلمين مبايعته وإطاعته وسقيته وإيواءه وكلامه ، وما أشبه ذلك من المعاني التي لا قرار للعائذ به فيه مع بعضها ، فكيف مع جميعها !

وقال آخرون منهم : بل إخراج لإقامة من لزمه [١/٤٣٤ ظ] من العقوبة واجب ، بكل معاني الإخراج .

فلما كان إجماعاً من الجميع ، على أن حكم الله في من عاذ بالبيت ، من حد أصابه ، أو جريرة جرّها - إخراج به منه ؛ لإقامة ما فرض الله على المؤمنين إقامته عليه ، / ثم اختلفوا في السبب الذي يجوز إخراج به منه - ١٥/٤ كان اللازم لهم وإلزامهم إخراج به بأي معنى أمكنهم إخراج به منه ، حتى يُقيموا عليه الحد الذي لزمه خارجاً منه إذا كان لجأ إليه من خارج ، على ما قد بيّنا قبل .

وبعد ، فإن الله عز وجل لم يضع حداً من حدوده عن أحد من خلقه ، من أجل بقعة وموضع صار إليها من لزمه ذلك ، وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إني حرمت المدينة كما حرمت إبراهيم مكة » ^(١) . ولا خلاف بين جميع الأمة ،

(١) أخرجه أحمد ٣٧٤/٢٦ (١٦٤٤٦) ، والبخاري (٢١٢٩) ، ومسلم (١٣٦٠) من حديث =

أن عائداً لو عاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي ﷺ ، يُؤَاخِذُ بالعقوبة فيه . ولولا ما ذُكِرَتْ من إجماع السلف على أن حرم إبراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه ^(١) ، لكان أحقّ البقاع أن تُؤدَّى فيه فرائض الله التي ألزمها عباده - من قتل أو غيره - أعظم البقاع إلى الله ؛ كحرم الله ، وحرم رسوله ﷺ ، وليكنّا أمونا بإخراج من أمرنا بإخراجه من حرم الله لإقامة الحد ؛ لما ذكرنا من فعل الأمة ذلك وراثته .

فمعنى الكلام إذ كان الأمر على ما وصّفنا : ومن دخله كان آمناً ما كان فيه . فإذا كان ذلك كذلك ، فمن لجأ إليه من عقوبة لزمته عائداً به ، فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه ، وإنما يصير إلى الخوف بعد الخروج أو الإخراج منه ، فحينئذ هو غير داخله ، ولا هو فيه .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : وفرض واجب لله على من استطاع من أهل التكليف السبيل إلى حجّ بيته الحرام ، الحجّ إليه .

وقد بيّنا فيما مضى معنى الحجّ ، ودلّلنا على صحّة ما قلنا من معناه ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ^(٢) .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، وما

= عبد الله بن زيد بن عاصم .

(١) ما لزمه : يعنى ما بقى فيه .

(٢) ينظر ما تقدم في ٢ / ٧١١ ، ٧١٢ .

السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج ؟ فقال بعضهم : هي الزاد والراحلة .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ﴿ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، قال : الزاد والراحلة^(١) .

حدَّثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عمرو بن دينار : الزاد والراحلة^(٢) .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي جَنَابٍ^(٣) ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ قال : الزاد والبعر^(٤) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ : والسبيل أن يصحح بدن العبد ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٠/٤ من طريق ابن جريج ، عن عطاء ، عن عمر .

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٦١/١٢ .

(٣) في م ، ت ١ : « خباب » ، وفي ت ٢ : « حيان » ، وفي س : « حباب » ، وغير منقوطة في ص . وهو أبو جَنَاب الكلي . ينظر تهذيب الكمال ٢٨٤/٣١ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٠/٤ عن وكيع به ، وأخرجه الترمذی (٣٣١٦) من طريق أبي جَنَاب به مطولاً ، وأخرجه البيهقي ٣٣١/٤ من طريق عكرمة ، عن ابن عباس .

(٥) أخرجه البيهقي ٣٣١/٤ من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٢ إلى ابن المنذر .

١٦/٤ / حَدَّثَنَا خَلَّادُ بْنُ أَسْلَمَ ، قَالَ : ثنا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ ، قَالَ : سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مِنْ مَلَكٍ ثَلَاثُمِائَةِ دِرْهَمٍ ، فَهُوَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَثْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَطَاءً يَقُولُ : السَّبِيلُ الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيدِ : أَمَّا ﴿ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ : السَّبِيلُ : رَاحِلَةٌ وَزَادَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى وَأَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَا : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوْقَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : ﴿ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قَالَ : الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ بْنُ صَبِيحٍ ، عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ : الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ : قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩١/٤ من طريق التزالي عن عمار ، عن ابن عباس .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٩١/٤ من طريق داود عن عطاء .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٨٩/٤ من طريق محمد بن سوقة به نحوه .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٠/٤ من طريق يونس وهشام ، عن الحسن .

فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ، ما السبيلُ ؟ قال : « الزَّادُ والراحلةُ » ^(١) .

واعْتَلَّ قائلو هذه المقالةُ بأخبارِ رُوِيَتْ عن رسولِ الله ﷺ بنحوِ ما قالوا في ذلك .

ذكرُ الروايةِ بذلك عن رسولِ الله ﷺ

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا إبراهيمُ ابنُ يزيدَ الحوزيُّ ، قال : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبَّادٍ بنِ جعفرٍ ، يحدثُ عن ابنِ عمرَ ، قال : قام رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال : ما السبيلُ ؟ قال : « الزَّادُ والراحلةُ » ^(٢) .

حدَّثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن إبراهيمَ الحوزيِّ ، عن محمدِ بنِ عَبَّادٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن النبيَّ ﷺ قال في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَن أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : « السبيلُ إلى الحجِّ الزَّادُ والراحلةُ » ^(٣) .

حدَّثنا حميدُ بنُ مَسْعَدَةَ ، قال : ثنا بشرُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا يونسُ ، وحدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا [٤٣٥/١و] ابنُ عُليَّةَ ، عن يونسَ ، عن

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه - كما في نصب الراية ٨/٣ - من طريق منصور به .

(٢) أخرجه الترمذی (٢٩٩٨) عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق به .

(٣) أخرجه البيهقي ٣٢٧/٤ ، وفي الشعب (٣٩٧٤) من طريق أبي حذيفة به ، وأخرجه الدارقطني ٢١٧/٢

(١٠) من طريق سفيان به ، وأخرجه الشافعي ٢٨٣/١ ، ٢٨٤ وابن أبي شيبة ٩٠/٤ ، وابن ماجه (٢٨٩٦) ،

والترمذی (٨١٣) ، وابن عدی ٢٢٨/١ ، والبيهقي ٣٣٠/٤ ، والبغوي (١٨٤٧) من طريق إبراهيم بن يزيد

به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٣/٣ (٣٨٦٠) ، والدارقطني ٢١٧/٢ ، ٢١٨ (١١) ، ١٢ من طريق

محمد بن عباد به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٥٥/٢ ، ٥٦ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

الحسن، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ أَلْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. قالوا: يا رسول الله، ما السبيل؟ قال: «الزاد والراحلة»^(١).

حدثنا أبو عثمان المقدمي والثني بن إبراهيم، قالوا: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا هلال بن^(٢) عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي، قال: ثنا أبو إسحاق، عن الحارث، عن علي، عن النبي ﷺ، قال: «مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، فَلَمْ يَحْجَّ، فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ أَلْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾»^(٣) الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ قال له قائل، أو رجل: يا رسول الله، ما السبيل إليه؟ قال: «مَنْ وَجَدَ زَادًا وَرَاحِلَةً»^(٤).

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي، قال: ثنا شاذ بن قياض البصري، قال: ثنا هلال^(٥) أبو هاشم، عن أبي إسحاق الهمداني، عن الحارث، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً فَلَمْ

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٨ - تفسير)، وابن أبي شيبة ٩٠/٤، والدارقطني ٢/٢١٨، والبيهقي ٣٢٧/٤ من طريق يونس به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر. (٢ - ٢) في ص، م، ت ١: «عبد الله». وينظر تهذيب الكمال ٣٠/٣٤٢.

(٣) أخرجه الترمذي (٨١٢)، والبيهقي في الشعب (٣٩٧٨) من طريق مسلم بن إبراهيم به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٢ إلى ابن مردويه.

(٤) أخرجه البيهقي ٣٣٠/٤ من طريق سعيد به.

(٥ - ٥) في ص، م، ت ١، س: «بن هشام»، وفي ت ٢: «بن إسحاق بن هشام».

يُحْيِجُ ، مات يهوديًا أو نصرانيًا ، وذلك أن الله يقول في كتابه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ « الآية ^(١) .

حدثني أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة وحميد ، عن الحسن ، أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما السبيل إليه ؟ قال : « الزاؤ والراحلة » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن النبي ﷺ مثله .

وقال آخرون : السبيل التي إذا استطاعها المرء كان عليه الحج ، الطاقة للوصول إليه .

قال : وذلك قد يكون بالمشي وبالركوب ، وقد يكون مع وجودهما العجز عن الوصول إليه ، بامتناع الطريق من العدو الحائل ، وبقلة الماء ، وما أشبه ذلك .

قالوا : فلا بيان في ذلك أيمن مما بينه الله عز وجل ، بأن يكون مستطيعاً إليه السبيل ؛ وذلك الوصول إليه بغير مانع ولا حائل بينه وبينه ، وذلك قد يكون بالمشي وحده ، وإن أعوزه المركب ، وقد يكون بالمركب وغير ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٣/٣ (٣٨٥٩) ، وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير ٧٠/٢ - من طريق هلال أبي هاشم به .

خالد بن أبي كريمة ، عن رجل ، عن ابن الزبير قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : على قدر القوة ^(١) .

حدثنا يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : الزاد والراحلة ، فإن كان شابا صحيحا ليس له مال ، فعليه أن يُؤاجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضى حَجَّتَه . فقال له قائل : كلَّف الله الناس أن يمشوا إلى البيت ؟ فقال : لو أن لبعضهم ميراثا بمكة ، أكان تاركه ؟ والله لا نطلق إليه ولو حبوا ، كذلك يجب عليه الحج ^(٢) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عطاء : من وجد شيئا يُبلغه فقد وجد سبيلا ، كما قال الله عز وجل : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا أبو هانئ ، قال : سئل ^(٣) عامر عن هذه الآية : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : السبيل ما يسره الله .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٠/٤ عن ابن مهدي به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٤/٣ (٣٨٦٣) من طريق جوير عن الضحاك قال : إن كان فقيرا وهو صحيح شاب ، فليؤاجر نفسه بالأكلة والعقبة حتى يحج .

وقوله : بأكله وعقبه : يعني أن يجعل القاصد للحج - وليس معه نفقة وظهر يبلغه - نفسه أجيرا عند غيره ، مقابل أن يطعمه ويحمله حتى يبلغ حجته ويقضيه .

(٣) في النسخ : « ثنا سهل بن » . وسيأتي على الصواب في ص ٦٢٢ .

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْخَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبَّادٌ ، عَنْ الْحَسَنِ : مَنْ وَجَدَ شَيْئًا يَبْلُغُهُ فَقَدْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ^(١) .

وقال آخرون : السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ الصَّحَّةُ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ وَالْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِي ، قَالَ : ثنا حَيْوَةُ بْنُ شَرِيحٍ وَابْنُ لَهْيَعَةَ ، قَالَا : أَخْبَرَنَا شُرَحْبِيلُ بْنُ شَرِيكٍ الْمَعَاوِرِيُّ ، أَنَّهُ سَمِعَ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قَالَ : السَّبِيلُ الصَّحَّةُ ^(٢) .

وقال آخرون بما حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، قَالَ : مَنْ وَجَدَ قُوَّةً فِي النِّفْقَةِ وَالْجَسَدِ وَالْحُمْلَانِ . قَالَ : وَإِنْ كَانَ فِي جَسَدِهِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ الْحِجُّ ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ الْحِجُّ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ قُوَّةٌ فِي مَالٍ ، كَمَا إِذَا كَانَ صَحِيحَ الْجَسَدِ وَلَا يَجِدُ مَالًا وَلَا قُوَّةً ، يَقُولُونَ : لَا يُكَلِّفُ أَنْ يَمْشِيَ .

وأولى الأقوالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ بِقَوْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَعَطَاءٍ : إِنْ ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ ؛ لِأَنَّ السَّبِيلَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الطَّرِيقُ . فَمَنْ كَانَ وَاجِدًا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٣/٣ (٣٨٥٨) من طريق أبي بكر الخنفى به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٤/٣ (٣٨٦١) من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ به .

طريقاً إلى الحج لا مانع له منه ؛ مِنْ زَمَانَةٍ ، أو عجزٍ ، أو عدوٍّ ، أو قِلَّةِ ماءٍ في طريقه ، أو زائدٍ ، وضعفٍ عن المشي ، فعليه فرض الحج ، لا يُجْزئُهُ إِلَّا أدَاؤُهُ . فإن لم يكن واجداً سبيلاً - أعنى بذلك : فإن لم يكن مُطيقاً الحج بتَعَذُّرِ بعض هذه المعاني التي وَصَفْنَاهَا عليه - فهو ممن لا يجدُ إليه طريقاً ولا يستطيعه ؛ لأن الاستطاعة إلى ذلك هو القدرة عليه . ومن كان عاجزاً عنه ببعض الأسباب التي ذَكَرْنَا أو بغير ذلك ، فهو غيرُ مطيق ولا مُسْتَطِيع إليه السبيل .

وإنما قلنا : هذه المقالة أولى بالصحة مما خالفها ؛ لأن الله عزَّ وجلَّ لم يَخْصُصْ - [١/٣٥٤ ط] إذ أُلْزِمَ النَّاسَ فرضَ الحج - بعضَ مستطيعي السبيل إليه ، بسقوطِ فَرْضِ ذلك عنه . فذلك على كلِّ مستطيعٍ إليه سبيلاً بعموم الآية .
فأما الأخبارُ التي رُوِيَتْ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ في ذلك بأنه الزائدُ والراحلةُ ، فإنها أخبارٌ في أسانيدِها نظَرٌ ، لا يجوزُ الاحتجاجُ بمثلها في الدين .

واختلف القراءَةُ في قراءة « الحج » ، فقرأ ذلك جماعةٌ من قراءِ أهلِ المدينة والعراقِ بالكسرِ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ ^(١) .

وقرأ ذلك جماعةٌ أخرى منهم بالفتح : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) ^(٢) .
وهما لغتان معروفتان للعربِ ، فالكسرُ لغةُ أهلِ نجدٍ ، والفتحُ لغةُ أهلِ العاليةِ ، ولم نَرَ أحداً من أهلِ العربيةِ ادَّعى فرقاً بينهما في معنى ولا غيره ، غيرَ ما ذَكَرْنَا مِنْ اختلافِ اللغتين ، إِلَّا ما حَدَّثَنَا به أبو هشام الرِّفَاعِيُّ ، قال : قال

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٤ .

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وأبي بكر عن عاصم ، وابن عامر . المصدر السابق .

حَسْبُنَا^(١) الْجُفْعِيُّ : الْحَجُّ مَفْتُوحٌ : اسْمٌ ، وَالْحَجُّ مَكْسُورٌ : عَمَلٌ .

وهذا قول لم أرَ أهلَ المعرفةِ بلغاتِ العربِ ومعاني كلامِهِمْ يَعْرِفُونَهُ ، بل رأيتُهُمْ مُجْمِعِينَ عَلَى مَا وَصَفْتُ مِنْ أَنَّهُمَا لَفَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

والذى نقولُ به فى قراءةِ ذلك : إن القراءتين إذ كانتا مستفيضتين فى قراءةِ أهلِ الإسلامِ ، ولا اختلافٍ / بينهما فى معنى ولا غيره ، فهما قراءتان قد جاءتا مجيءَ الْحُجَّةِ ، فبأى القراءتين - أعنى بكسرِ الحاءِ من الْحَجِّ أو فتحها - قرأ القارئُ ، فمصيبُ الصوابِ فى قراءته .

١٩/٤

وأما ﴿ مِنْ ﴾ التى مع قوله : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ ﴾ . فإنه فى موضعٍ خفيضٍ على الإبدالِ مِنْ ﴿ النَّاسِ ﴾ . لأن معنى الكلامِ : وَلِلَّهِ عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ مِنَ النَّاسِ سَبِيلًا إِلَى حَجِّ الْبَيْتِ ، حُجَّةٌ . فلما تقدّم ذكرُ ﴿ النَّاسِ ﴾ قَبْلَ ﴿ مِنْ ﴾ ، يَبَيِّنُ بقوله : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، الذى عليه فرضُ ذلك منهم ؛ لأنَّ فَوْضَ ذلك على بعضِ الناسِ دونَ جميعِهِمْ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧) .

يعنى بذلك جُلَّ ثَنائِهِ : وَمَنْ جَحَدَ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ فَرْضِ حَجِّ بَيْتِهِ ، فَأَتَّكَرَهُ وَكَفَرَ بِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْهُ وَعَنْ حُجَّتِهِ وَعَمَلِهِ ، وَعَنْ سَائِرِ خَلْقِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ .

كما حدّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ ، عن الحجاجِ بنِ أَرْطَاةَ ، عن محمدِ بنِ أبى المجالدِ ، قال : سَمِعْتُ

(١) فى النسخ : « حسن » . وتقدم فى ١٧٢/١ .

مُقَسَّمًا، عن ابن عباسٍ في قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾. قال: مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ ليس بفرضٍ عليه^(١).

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، قال: ثنا هُشَيْمٌ، قال: أَخْبَرَنَا الْحَجَّاجُ، عن عطاءٍ، وجويئِرَ، عن الضَّحَّاكِ، في قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. قالوا: من جحد الحجَّ وكفر به^(٢).

حدَّثنا ابنُ بشارٍ، قال: ثنا عبدُ الرحمنِ، قال: ثنا هُشَيْمٌ، عن الْحَجَّاجِ بنِ أُرْطَاةَ، عن عطاءٍ، قال: مَنْ جحد به.

حدَّثنا ابنُ بشارٍ، قال: ثنا عبدُ الرحمنِ، قال: ثنا عِمْرَانُ الْقُطَّانُ، يقولُ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْحَجَّ ليس عليه^(٣).

حدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ سِنَانٍ، قال: ثنا أبو بكرٍ، عن عُبَادٍ، عن الْحَسَنِ في قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، قال: مَنْ أَنْكَرَهُ، ولا يرى أَنَّ ذلك عليه حقًا، فذلك كفرٌ^(٤).

حدَّثني مُحَمَّدُ بنُ عمرو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، عن عيسى، عن ابنِ أَبِي نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قال: من كفر بالحجَّ.

حدَّثنا عبدُ الحميدِ بنُ بيانٍ، قال: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بنُ يَوْسُفَ، عن أَبِي بَشِيرٍ، عن ابنِ أَبِي نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ في قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. قال: مَنْ كَفَرَ بِالْحَجِّ كَفَرَ بِاللَّهِ^(٥).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٥/٣ (٣٨٧١) من طريق عاصم بن أبي النجود عن ابن عباس بنحوه.

(٢) ينظر البحر المحيط ١٢/٣.

(٣) ينظر تفسير البغوي ٧٤/٢، والبحر المحيط ١٢/٣.

(٤) ينظر تفسير البغوي ٧٤/٢.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا يَعْلَى بْنُ أَسَدٍ ، قَالَ : ثنا خَالِدٌ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . قَالَ : مَنْ لَمْ يَزِهِ عَلَيْهِ وَاجِبًا ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حَظِيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شُبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ قَالَ : بِالْحِجِّ .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ أَلَّا يَكُونَ مَعْتَقَدًا فِي ^(٢) حِجِّهِ أَنْ لَهُ الْأَجْرُ عَلَيْهِ ، وَلَا أَنْ عَلَيْهِ بِتَرْكِهِ إِيَّاهُ ، وَلَا عَقُوبَةً .

/ ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

٢٠/٤

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ : هُوَ مَا إِنْ حِجَّ لَمْ يَزِهِ بِرًّا ، وَإِنْ قَعَدَ لَمْ يَزِهِ مَأْتَمًا .

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بِيَّانٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُونُسَ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : هُوَ مَا إِنْ حِجَّ لَمْ يَزِهِ بِرًّا ، وَإِنْ قَعَدَ لَمْ يَزِهِ مَأْتَمًا ^(٣) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا فِطْرٌ ^(٤) ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ نُفَيْعٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٧- تفسير) من طريق هشام بن حسان به .

(٢) بعده في ص : « عمله و » ، وبعده في ت ٢ : « عمله » .

(٣) أخرجه الشافعي ٩٣/٢ ، والبيهقي في معرفة السنن والآثار ٤٦٩/٣ من طريق ابن جريج به ، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٢٨/١ ، وسعيد بن منصور في سننه (٥١٦- تفسير) ، والبيهقي ٣٢٤/٤ من طريق

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

(٤) في م : « مطر » .

سَيِّلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ . فقام رجلٌ من هُذَيْلٍ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، من تركه كفر؟ قال : « من تركه ولا يخافُ عقوبته ، ومن حجَّ ولا يرجو ثوابه ، فهو ذاك » ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةٌ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . يقولُ : مَنْ كَفَرَ بالحجِّ ، فلم يرَ حجَّه بَرًّا ، ولا تركه مأثمًا ^(٢) .

وقال آخرون : معنى ذلك : وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ واليومِ الآخرِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : سأله عن قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ [١/٣٦٦ و] فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ . ما هذا الكفر؟ قال : مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ واليومِ الآخرِ ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمن بنُ مهديٍّ ، قال : ثنا سفيانٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . قال : من كفرَ بِاللَّهِ واليومِ الآخرِ ^(٤) .

حدَّثنا يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخبرنا يزيدٌ ، قال : أخبرنا جويبرٌ ، عن

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٥/٣ (٣٨٧٢) ، والبيهقي ٤/٣٢٤ ، من طريق أبي صالح به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٥/٣ (٣٨٦٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدي به .

الضَحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ . قَالَ :
لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجِّ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْأَدْيَانِ كُلَّهُمْ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا
النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحِجَّ فَحُجُّوا » . فَأَمَنْتَ بِهِ مِلَّةً وَاحِدَةً ، وَهِيَ
مَنْ صَدَّقَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَمَنَ بِهِ ، وَكَفَرْتَ بِهِ خَمْسٌ مِائِلٍ ، قَالُوا : لَا نُؤْمِنُ بِهِ ، وَلَا
نُصَلِّي إِلَيْهِ ، وَلَا نَسْتَقْبِلُهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو هَانِئٍ ، قَالَ :
سُئِلَ عَامِرٌ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ . قَالَ : مَنْ كَفَرَ مِنَ الْخَلْقِ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
عَنْهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثنا أَبُو حَذِيفَةَ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانُ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ،
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ ، عَنْ ابْنِ عَمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ .
قَالَ : « مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي
نُجَيْجٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى / ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا﴾ [آل عمران : ٨٥] . فَقَالَتِ الْمَلَلُ : نَحْنُ مُسْلِمُونَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلِلَّهِ
عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ

(١) أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سَنَنِهِ (٥١٥- تَفْسِير) مِنْ طَرِيقِ جَوَيْرِ بِهِ نَحْوِهِ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ
الْمُنْتَوَرِ ٥٧/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٢) يَنْظُرُ تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ١٤٨/٤ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٤/٣ (٣٨٦٧) ، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي الشَّعْبِ (٣٩٧٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي
حَذِيفَةَ بِهِ .

الْعَلَمِينَ ﴿٩٧﴾ . فَحَجَّ الْمُؤْمِنُونَ وَقَعَدَ الْكُفَّارُ ^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن كفر بهذه الآيات التي في مقام إبراهيم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . فقراً : ﴿ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ [آل عمران : ٩٦] . فقراً حتى بلغ : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . قال : مَنْ كَفَرَ بهذه الآيات : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . ليس كما يقولون : إذا لم يَحُجَّ ، وكان غنياً ، وكانت له قوة ، فقد كفر بها . وقال قوم من المشركين : فإننا نكفرُ بها ولا نفعلُ . فقال الله عز وجل : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) .

وقال آخرون بما حدثني إبراهيم بن عبد الله بن مسلم ، قال : أخبرنا أبو عمر الضري ، قال : ثنا حماد ، عن حبيب بن أبي بقية ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . قال : مَنْ كَفَرَ بالبيت ^(٣) .

وقال آخرون : كفره به تركه إيَّاه حتى يموت .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن

(١) أخرجه البيهقي ٣٢٤ / ٤ ، ومعرفة السنن والآثار ٤٦٨ / ٣ ، ٤٦٩ (٢٦٥٢) من طريق ابن أبي نجيح به

بنحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧ / ٢ إلى المصنف ، وعبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧ / ٢ إلى المصنف مختصراً .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧ / ٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

السُّدَى : أما ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ فَمَنْ وَجَدَ مَا يَحُجُّ بِهِ ، ثُمَّ لَا يَحُجُّ ، فهو كَافِرٌ ^(١) .
وأولى التَّأْوِيلَاتِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ : معنى ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ :
وَمَنْ جَحَدَ فَرَضَ ذَلِكَ وَأَنْكَرَ وَجُوبَهُ فَإِنَّ اللَّهَ غَنَى عَنْهُ وَعَنْ حُجَّهِ ، وَعَنِ الْعَالَمِينَ
جَمِيعًا .

وإنما قلنا ذلك أولى به ؛ لأنَّ قَوْلَهُ : ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ . بِعَقَبِ قَوْلِهِ : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى
النَّاسِ حُجٌّ أَلْبَيْتٍ مِّنْ أَسْطَاطٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ . بَأَن يَكُونَ خَبْرًا عَنِ الْكَافِرِ بِالْحُجِّ ،
أَحَقُّ مِنْهُ بِأَن يَكُونَ خَبْرًا عَنْ غَيْرِهِ ، مَعَ أَنَّ الْكَافِرَ بِفَرَضِ الْحُجِّ عَلَى مَنْ فَرَضَهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ ، بِاللَّهِ كَافِرٌ ، وَأَنَّ الْكَفَرَ أَصْلُهُ الْجُحُودُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ جَاحِدًا ، وَلِفَرَضِهِ مُنْكَرًا ،
فَلَا شَكَّ إِنْ حُجَّ لَمْ يَرْجُ بِحُجَّتِهِ بَرًّا ، وَإِنْ تَرَكَه فَلَمْ يَحُجَّ لَمْ يَرَهُ مَأْثَمًا .
فهذه التَّأْوِيلَاتُ ، وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَاتُ بِهَا ، فَمُتَقَارِبَاتُ الْمَعَانِي .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى
مَا تَعْمَلُونَ﴾ ^(٩٨) .

يعنى بذلك : يَا مَعْشَرَ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ مَنْ يَنْتَحِلُ الدِّيَانَةَ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كِتَابِهِ ، مَنْ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَجَحَدَ نُبُوَّتَهُ : لِمَ تَجْحَدُونَ
﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ؟ يَقُولُ : لِمَ تَجْحَدُونَ / حُجَجَ اللَّهِ الَّتِي آتَاهَا مُحَمَّدًا ﷺ فِي
٢٢/٤ كِتَابِكُمْ وَغَيْرِهَا ، الَّتِي قَدْ ثَبَّتَتْ عَلَيْكُمْ بِصَدَقِهِ وَنُبُوَّتِهِ حُجَّتُهُ . وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ^(٢) .
يَقُولُ : لِمَ تَجْحَدُونَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ صَدَقَهُ ؟ فَأَخْبِرْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٧٤/٢ بنحوه ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ١٢/٣ وفيه ، فهذا كفر
معصية .

(٢) ليس هذا من الآية ، فتمام الآية : ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ . ويمكن أن يكون المصنف أورد هذه
العبارة من عنده ، أو اقتباسًا من الآيات الأخرى ؛ لاعتباره ذلك متسقًا مع علم اليهود بصدق النبي ﷺ .

متعمدون الكفر بالله وبرسوله ، على علم منهم ومعرفة من كفرهم .

وقد حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ : أما آيات الله فمحمد ﷺ .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن في قوله : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ . قال : هم اليهود والنصارى ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٩) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : يا معشر يهود بنى إسرائيل وغيرهم من يتنحل التصديق بكتب الله ، ﴿ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يقول : لم تضلون عن طريق الله ومحججه التي شرعها لأبيائه [٤٣٦/١ ظ] وأوليائه وأهل الإيمان ﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ يقول : من صدق بالله ورسوله وما جاء به من عند الله ، ﴿ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ يعنى : تبغون لها عوجًا .

والهاء والألف اللتان في قوله : ﴿ تَبْغُونَهَا ﴾ عائدتان على ﴿ سَبِيلِ ﴾ ، وأنشأ لتأنيث السبيل .

ومعنى قوله : ﴿ تَبْغُونَ لَهَا عِوَجًا ﴾ ^(٢) . من قول الشاعر ، وهو سحيم عبد بنى الحشاحس ^(٣) :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٦/٣ (٣٨٨٠) من طريق أبى بكر به .

(٢ - ٣) كذا في النسخ ، ولعل الصواب : تبغونها عوجا : تطلبون لها عوجا .

(٣) تقدم تخريجه في ٥٠٢/٣ . (تفسير الطبرى ٤٠/٥)

بِعَاكَ وَمَا تَبَغَّيْهِ حَتَّى وَجَدْتُهُ كَأَنَّكَ قَدْ وَاعَدْتَهُ أَمْسٍ مَوْعِدًا
يعنى : طَلَبْتُكَ وَمَا تَطَلَّبْتُهُ .

يَقَالُ : ابْتَغْنِي كَذَا . يُرَادُ : ابْتَغِهِ لِي . فَإِذَا أَرَادُوا : أَعْنَى عَلَى طَلَبِهِ وَابْتَغِهِ مَعِيَ .
قَالُوا : أَبْغِنِي . بَفَتْحِ الْأَلْفِ . وَكَذَلِكَ يَقَالُ : اخْلِصْنِي . بِمَعْنَى : اكْفِنِي الْحَلَبَ .
وَأَخْلِصْنِي : أَعْنَى عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَا وَرَدَ مِنْ هَذَا النُّوعِ فَعَلَى هَذَا .

وَأَمَّا الْعَوُجُ فَهُوَ الْأَوْدُ وَالْمَيْلُ . وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ الضَّلَالَةَ عَنْ الْهَدْيِ . يَقُولُ جُلٌّ
ثَنَاؤُهُ : لَمْ تَصُدُّونَ عَنِ دِينِ اللَّهِ مَنْ صَدَّقَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، تَبْغُونَ دِينَ اللَّهِ أَعْوَجَاجًا عَنْ
سَنَنِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ .

وَخَرَجَ الْكَلَامُ عَلَى « السَّبِيلِ » وَالْمَعْنَى لِأَهْلِهِ . كَأَنَّ الْمَعْنَى : تَبْغُونَ لِأَهْلِ دِينِ
اللَّهِ وَلَنْ هُوَ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ ، ﴿ عَوَجًا ﴾ . يَقُولُ : ضَلَالًا عَنِ الْحَقِّ ، وَزَيْغًا عَنِ
الْإِسْتِقَامَةِ عَلَى الْهَدْيِ وَالْحُجَّةِ .

وَالْعَوُجُ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ : الْأَوْدُ فِي الدِّينِ وَالْكَلَامِ . وَالْعَوُجُ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ : الْمَيْلُ فِي
الْحَائِطِ وَالْقَنَاةِ وَكُلُّ شَيْءٍ مُنْتَصِبٍ قَائِمٍ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : شُهَدَاءَ عَلَى أَنْ الَّذِي تَصُدُّونَ
عَنْهُ مِنَ السَّبِيلِ حَقٌّ ، تَعْلَمُونَهُ وَتَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ . ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .
يَقُولُ : لَيْسَ اللَّهُ بِغَافِلٍ عَنِ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا / مِمَّا لَا يَرْضَاهُ لِعِبَادِهِ ، وَغَيْرِ^(١)
ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، حَتَّى يُعَاجِلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا مُعَجَّلَةً ، أَوْ يُؤَخِّرَ ذَلِكَ لَكُمْ حَتَّى
تَلْقَوْهُ فَيُعَاجِلَكُمْ عَلَيْهَا .

وَقَدْ ذَكَرَ أَنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكَتَّابُ لِمَنْ تَكْفُرُونَ بِمَا كُنْتُمْ

(١) فِي ص ، ت ١ : « عَنْ » .

اللَّهُ ﴿ وَالْآيَاتِ بَعْدَهُمَا ^(١) ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأُولَئِكَ ^(٢) لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ . نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ ، حَاوَلَ الْإِغْرَاءَ بَيْنَ الْحَيَّتَيْنِ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ ، لِيُرَاجِعُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ، فَعَنَّفَهُ اللَّهُ بِفَعْلِهِ ذَلِكَ ، وَقَبَّحَ لَهُ مَا فَعَلَ ، وَوَبَّخَهُ عَلَيْهِ ، وَوَعَّظَ أَيْضًا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَنَهَاغَهُمْ عَنِ الْإِفْتِرَاقِ وَالْإِخْتِلَافِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْإِجْتِمَاعِ وَالْإِثْلَافِ .

ذكر الرواية بذلك

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثَنَى الثَّقَةُ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، قَالَ : مَرَّ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ - وَكَانَ شَيْخًا قَدِ عَسَا ^(٣) فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، عَظِيمَ الْكُفْرِ ، شَدِيدَ الضُّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ - عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ ، فَغَاضَهُ مَا رَأَى مِنْ جَمَاعَتِهِمْ وَأَلْفَتِهِمْ ، وَصَلَّاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ : قَدْ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ ^(٤) بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، لَا ^(٥) وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَأُؤُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ . فَأَمَرَفَتْنِي شَابًّا مِنْ يَهُودَ ، وَكَانَ مَعَهُ ^(٦) ، فَقَالَ : اْعِمِدْ إِلَيْهِمْ ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ ، وَذَكِّرْهُمْ يَوْمَ بُعَاثٍ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ . وَكَانَ يَوْمٌ بُعَاثٍ يَوْمًا اقْتَتَلَتْ

(١) فِي ت ١ : « بَعْدَهُمَا » .

(٢ - ٢) فِي النُّسخِ : « فَأُولَئِكَ » . وَالمُثْبِتِ قِرَاءَةَ الْآيَةِ .

(٣) فِي ص ، ت ١ : « عَتَا » . وَعَسَا وَعَتَا : أَسْنَى وَكَبَّرَ وَوَلَّى . اللِّسَانُ (ع ت و ، ع س و) .

(٤) بَنُو قَيْلَةَ : الْأَنْصَارُ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، وَقَيْلَةُ اسْمُ أُمِّ لَهُمْ قَدِيمَةٌ ، وَهِيَ قَيْلَةُ بِنْتُ كَاهِلٍ ، قَضَاعِيَّةٌ ، وَيُقَالُ :

بِنْتُ جَفْنَةَ . غَسَانِيَّةٌ . يَنْظُرُ اللِّسَانُ وَالتَّاجُ (ق ي ل) ، وَجُمْهُرَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ لِابْنِ حَزْمٍ ص ٣٣٢ .

(٥) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٦) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « مَعَهُمْ » .

فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ، ففعل . فتكلم القوم عند ذلك ، فتنازعوا وتفاخروا ، حتى تَوَاتَبَ رجلان من الحَيِّين على الرِّكَب ؛ أوس بن قَيْظِي ، أحد بني حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجَبَّارُ بن صخر ، أحد بني سلمة من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رَدَدْنَاهَا الْآنَ جَذَعَةً^(١) . وغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاح السلاح ، موعدكم الظاهرة . والظاهرة الحرة . فخرجوا إليها ، وتَحَاوَزَ^(٢) الناس ، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض ، والخزرج بعضها إلى بعض ، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج إليهم في مَنْ معه من المهاجرين من أصحابه ، حتى جاءهم ، فقال : « يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبعدوا الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا ؟ فعرف القوم أنها نَزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وكيد من عدوهم ، فَأَلْقَوْا السِّلَاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَبَكَوْا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضًا ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيدَ عدو الله شأس بن قيس وما صنع ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَأْسِ بْنِ قَيْسٍ وَمَا صَنَعَ : ﴿ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾^(٣) قُلْ / يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ۖ الْآيَةُ . وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَوْسِ بْنِ قَيْظِي وَجَبَّارِ بْنِ

٢٤/٤

(١) أعدت الأمر جذعًا : جديدًا كما بدأ . التاج (ج ذع) .

(٢) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «تحاور» ، وقد سقط هذا الحديث بطوله وبقرة بعده من «س» . وتحاوروا : تراجعوا الكلام بينهم ، وتجادلوا . وتَحَاوَزَ الفريقان في الحرب : انحاز كل واحد منهما عن الآخر . وواضح من هنا بُعْدُ معنى التحاور - بالراء - عن السياق وغرابته ، لذا أثبتناها بالزاي . وينظر التاج (ح و ر ، ح و ز) .

صخِرَ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا، الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا عَمَّا^(١) أَذْخَلَ عَلَيْهِم
شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ﴾^(٢) .

وَقِيلَ : إِنَّهُ عَنِ بَقْوَلِهِ : ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ﴾ [٤٣٧/١] لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ ﴿جَمَاعَةُ يَهُودَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ أَظْهَرِ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَيَّامَ
نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ ، وَالنَّصَارَى ، وَأَنْ صَدَّاهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ بِإِخْبَارِهِمْ مَنْ
سَأَلَهُمْ عَنْ أَمْرِ نَبِيِّ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : هَلْ يَجِدُونَ ذِكْرَهُ فِي كِتَابِهِمْ ؟ أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ
نَعْتَهُ فِي كِتَابِهِمْ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ
السُّدِّيِّ : ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَغُّوْنَهَا عِوَجًا﴾ :
كَانُوا إِذَا سَأَلَهُمْ أَحَدٌ : هَلْ تَجِدُونَ مُحَمَّدًا ؟ قَالُوا : لَا . فَصَدُّوا عَنْهُ النَّاسَ . وَبَغَّوْا
مُحَمَّدًا عِوَجًا : هَلَاكًا^(٣) .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿يَتَأْهَلُ

(١) فِي م : «مما» .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٥٥/١ - ٥٥٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٦/٣ ، ٧١٨ (٣٨٧٨) ،
٣٨٩٣ من طريق سلمة به مختصراً جداً ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ ، ٥٨ إلى ابن المنذر وأبي
الشيخ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٧/٣ (٣٨٨٤) من طريق أحمد بن الفضل به .

أَلِكْتَبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١﴾ . يقول : لَمْ تَصُدُّونَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَنِ نَبِيِّ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ فِيمَا تَقْرَعُونَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنْ الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ غَيْرَهُ ، وَلَا يَجْزِي إِلَّا بِهِ ، تَجِدُونَهُ ^(١) مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ ^(٢) فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ^(٣) ؟

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ نَحْوَهُ ^(٤) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو بَكْرِ ، قَالَ : ثَنَا عَبَّادٌ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ يَتَاهِلُ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . قَالَ : هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، نَهَاہُمْ أَنْ يَصُدُّوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَغْدِلُوا النَّاسَ إِلَى الضَّلَالَةِ ^(٥) .

فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ عَلَى مَا قَالَه ^(٦) الشَّيْخُ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، لَمْ تَصُدُّونَ عَنْ مُحَمَّدٍ ، وَتَمْنَعُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ؛ بِكُتْمَانِكُمْ صِفَتَهُ الَّتِي تَجِدُونَهَا فِي كِتَابِكُمْ . وَمُحَمَّدٌ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ هُوَ السَّبِيلُ . ﴿ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ : تَبْغُونَ مُحَمَّدًا هَلَاكًا .

وَأَمَّا سَائِرُ الرِّوَايَاتِ غَيْرِهِ ، وَالْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ نَحْوُ التَّأْوِيلِ الَّذِي بَيَّنَّاهُ

(١) فِي ت ٢ ، وَالدر المَشُور : « يَجِدُونَهُ » .

(٢) فِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وَالدر المَشُور : « عِنْدَهُمْ » .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٧/٣ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٨٨٣) مُعْلَقًا مُخْتَصِرًا ، وَعَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمَشُورِ ٥٨/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٧/٣ (٣٨٨٣) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ نَحْوَهُ مُخْتَصِرًا .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٧/٣ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ الْخَنَفِيِّ بِهِ مُخْتَصِرًا .

(٦) فِي ص ، ت ٢ : « قَالَ » .

قُبْلُ ، مِنْ أَنَّ مَعْنَى السَّبِيلِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْإِسْلَامُ ، وَمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (١٠٠) .

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَنْ عَنَى بِذَلِكَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : عَنَى بِقَوْلِهِ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ ، وَبِـ ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ : شَأْسَ بْنِ قَيْسٍ الْيَهُودِيَّ . عَلَى مَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلُ مِنْ خَبَرِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ^(١) .

/ وَقَالَ آخَرُونَ فِي مَنْ عَنَى بِـ ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ مِثْلَ قَوْلِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، غَيْرَ ٢٥/٤ أَنَّهُمْ قَالُوا : الَّذِي جَرَى الْكَلَامُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى هَمُّوا بِالْقِتَالِ ، وَوَجَدَ الْيَهُودِيُّ بِهِ مَغْمَزًا فِيهِمْ ، ثَلَعَبُ بْنُ عَنَمَةَ^(٢) الْأَنْصَارِيُّ .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ . قَالَ : نَزَلَتْ فِي ثَلَعَبِ بْنِ عَنَمَةَ^(٣) الْأَنْصَارِيِّ ؛ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنَاسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ كَلَامٌ ، فَمَشَى بَيْنَهُمْ يَهُودِيٌّ مِنْ قَيْنُقَاعَ ، فَحَمَلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ^(٤) ، حَتَّى هَمَّتِ الطَّائِفَتَانِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ أَنْ يَحْمِلُوا السَّلَاحَ فَيُقَاتِلُوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنْ تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

(١) هُوَ الْأَثَرُ الْمُتَقَدِّمُ فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ .

(٢) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « غَنَمَةٌ » . بِالغَيْنِ . وَيَنْظُرُ أَسَدُ الْغَابَةِ ٢٩١ / ١ ، وَالْإِصَابَةُ ٤٠٦ / ١ .

(٣) حَمَلَتْ عَلَى بَنَى فُلَانٍ : إِذَا أَرَشَتْ بَيْنَهُمْ . التَّاجُ (ح م ل) . وَالْمَعْنَى هُنَا : الْإِيقَاعُ وَالْإِنْسَادُ بَيْنَهُمْ .

كَفَرِينَ ﴿١﴾ . يَقُولُ : إِنْ حَمَلْتُمْ السِّلَاحَ فَاقْتَتِلُوا كَفَرْتُمْ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ ^(٢) بْنُ سَلِيمَانَ ، عَنْ حُمَيْدِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ قَالَ : كَانَ جَمَاعُ قَبَائِلِ الْأَنْصَارِ بَطْنَيْنِ ؛ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَرْبٌ وَدِمَاءٌ وَشَنَاءٌ ، حَتَّى مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم بِالْإِسْلَامِ وَالنَّبِيُّ ﷺ ، فَأَطَفَأَ اللَّهُ الْحَرْبَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ ، وَأَلْفَ بَيْنَهُمْ بِالْإِسْلَامِ . قَالَ : فَبَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْأَوْسِ وَرَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ قَاعِدَانِ يَتَحَدَّثَانِ ، وَمَعَهُمَا يَهُودِيٌّ جَالِسٌ ، فَلَمْ يَزَلْ يُذَكِّرُهُمَا أَيَّامَهُمَا ، وَالْعَدَاوَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ ، حَتَّى اسْتَبَّأَ ، ثُمَّ اقْتَتَلَا . قَالَ : فَنَادَى هَذَا قَوْمُهُ ، وَهَذَا قَوْمُهُ ، فَخَرَجُوا بِالسِّلَاحِ ، وَصَفَّ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ . قَالَ : وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَاهِدٌ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمْ يَزَلْ يَمْشِي بَيْنَهُمْ إِلَى هَؤُلَاءِ وَإِلَى هَؤُلَاءِ ؛ لِيَسْكُنَهُمْ ^(٣) ، حَتَّى رَجَعُوا وَوَضَعُوا السِّلَاحَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٤) .

فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَأَقْرَبُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنْ تُطِيعُوا جَمَاعَةً مِّنْ يَّتَحَلَّلُ الْكِتَابَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، فَتَقْبَلُوا

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٨/٣ ، ٧١٩ ، ٧١٩ (٣٨٩٢ ، ٣٨٩٧) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُفَضَّلِ بِهِ مَخْتَصَرًا .

(٢) فِي تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ : « مَعْمَرٌ » خَطَأً . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٤٣/٥ .

(٣) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « فَيَسْكُنُهُمْ » ، وَفِي تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ : « يَسْكُنُهُمْ » . وَالْمَثْبُوتُ مُوَافِقٌ لِّمَا فِي تَفْسِيرِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ .

(٤) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ١٢٨/١ ، ١٢٩ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٩/٣ (٣٨٩٤) عَنْ الْحَسَنِ

منهم ما يأثرونكم به ، يُضِلُّوكُمْ فَيُرُدُّوكُمْ بَعْدَ تَصْدِيقِكُمْ رَسُولَ رَبِّكُمْ ، وَبَعْدَ إِقْرَارِكُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ ﴿ كَافِرِينَ ﴾ . يَقُولُ : جَا حِدِينَ لِمَا قَدْ آمَنْتُمْ بِهِ وَصَدَّقْتُمُوهُ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ . فَهَاهُمْ جُلٌّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَنْتَصِحُوهُمْ وَيَقْبَلُوا مِنْهُمْ رَأْيًا أَوْ مَشُورَةً ، وَيُعْلَمُهُمْ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَنَّهُمْ لَهُمْ مُنْطَوُونَ عَلَى غِلٍّ وَغَشٍّ وَحَسَدٍ وَبَغْضَاءٍ ^(١) .

[٤٣٧/١ ظ] كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يُرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ : قَدْ تَقَدَّمَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ فِيهِمْ كَمَا تَسْمَعُونَ ، وَحَذَّرَكُمْ وَأَنْبَأَكُمْ بِضَلَالَتِهِمْ ، فَلَا تَأْمَنُوهُمْ عَلَى دِينِكُمْ ، وَلَا تَنْتَصِحُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ الْأَعْدَاءُ الْحَسَدَةُ الضَّلَالُ ، كَيْفَ تَأْتِمِنُونَ قَوْمًا كَفَرُوا بِكِتَابِهِمْ ، وَقَتَلُوا رُسُلَهُمْ ، وَتَحَيَّرُوا فِي دِينِهِمْ ، وَعَجَزُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ أَوْلَيْكَ وَاللَّهُ هُمْ أَهْلُ التُّهْمَةِ وَالْعَدَاوَةِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ ^(٣) .

/ الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١١١) .

يعنى بذلك جُلٌّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، فَتَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ، ﴿ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ ﴾ . يعنى : حُجِّجَ

(١) فى م : « بغض » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٨/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٩/٣ (٣٨٩٥) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به .

اللَّهُ عَلَيْكُمْ الَّتِي أَنْزَلَهَا فِي كِتَابِهِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ حُجَّةٌ أُخْرَى عَلَيْكُمْ لِلَّهِ ، مع أي كتابه ، يدعوكم جميعاً ذلك إلى الحقِّ ، ويُصِرُّكم الهدى والرشادَ ، ويُنْهاكم عن الغيِّ والضلالِ . يقولُ لهم تعالى ذكره : فما وجهُ عذركم^(١) عند ربِّكم في جحودكم نبوةَ نبيِّكم ، وارتدادكم على أعقابكم ، ورجوعكم إلى أمرِ جاهليَّتكم ، إن أنتم راجعتم ذلك وكفَرْتُمْ ، وفيه هذه الحجج الواضحة ، والآياتُ^(٢) البينةُ على خطأ فعلكم ذلك إن فعَلْتُموه .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ الآية : علَّمان بينان ؛ وجدانُ نبيِّ اللَّهِ ﷺ ، وكتابُ اللَّهِ ؛ فأما نبيُّ اللَّهِ فَمَضَى ﷺ ، وأما كتابُ اللَّهِ فأبقاه اللَّهُ بينَ أظهركم رحمةً من اللَّهِ ونعمةً ، فيه حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته^(٣) .

وأما قوله : ﴿ وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . فإنه يعني : وَمَنْ يَتَعَلَّقْ بِأَسْبَابِ اللَّهِ ، وَيَتَمَسَّكْ بِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ ، ﴿ فَقَدْ هُدِيَ ﴾ . يقولُ : فقد وُفِّقَ لطريقٍ واضحٍ ، ومحجةٍ مستقيمةٍ غيرِ مُعَوَّجَةٍ ، فيستقيمُ به إلى رضا اللَّهِ ، وإلى النجاة من عذابِ اللَّهِ ، والفوزِ بجنَّته .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ قوله : ﴿ وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ ﴾ . قال : يؤمن بالله^(٤) .

(١ - ١) في ص : « وحد عدوكم » ، وفي ت ١ : « وجد عدوكم » .

(٢) في ص ، ت ١ : « الأيام » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٠/٣ (٣٨٩٩) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٨/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٠/٣ (٣٩٠١) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٨/٢ إلى ابن المنذر .

وأصل العَصَمِ المنع . فكلُّ مانعٍ شيئاً فهو عاصِمُهُ ، والمُنتَعِجُ به مُعْتَصِمٌ به . ومنه قولُ الفرَزْدَقِ ^(١) :

أنا ابنُ العاصِمِينَ بنى تَمِيمٍ إذا ما أعْظَمُ الحَدَثَانِ نَابَا
ولذلك قيل للجليل : عِصَامٌ . وللسببِ الذي يَنْسَبُ به الرجلُ إلى حاجته :
عِصَامٌ . ومنه قولُ الأعشى ^(٢) :

إلى المَرْءِ قَيْسٍ أَطِيلُ الشَّرَى ^(٣) وآخِذُ من كُلِّ حَيٍّ عُصْمٍ

يعنى بالعُصْمِ الأسبابُ ؛ أسبابُ الذِّمَّةِ والأمانِ . يقالُ منه : اعتَصَمْتُ بِحَبْلِ
مِنْ فلانٍ ، واعتَصَمْتُ حَبْلاً مِنْهُ ، واعتَصَمْتُ بِهِ ، واعتَصَمْتُهُ . وأفصحُ اللغتين
إدخالُ الباءِ ، كما قال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . وقد جاء :
اعتَصَمْتُهُ . كما قال الشاعر ^(٤) :

/ إذا أَنْتَ جازَيْتَ الإِخَاءَ بِمِثْلِهِ وآسَيْتَنِي ثُمَّ اعتَصَمْتَ حِبَالِيَا ٢٧/٤
فقال : اعتَصَمْتَ حِبَالِيَا . ولم يُدْخِلِ الباءَ . وذلك نظيرُ قولهم : تناولْتُ
الْخِطَامَ ، وتناولْتُ بِالْخِطَامِ ، وتعلَّقْتُ بِهِ ، وتعلَّقْتُهُ . كما قال الشاعر ^(٥) :
تَعَلَّقْتُ ههنا نَاشِئًا ^(٦) ذاتِ مِثْرٍ وَأَنْتَ وَقَدْ قَارَفْتَ ^(٧) لَمْ تَذَرِ ما الحِلْمِ

(١) ديوانه ص ١١٥ .

(٢) ديوانه ص ٣٧ .

(٣) الشَّرَى : سيرُ الليلِ عامته ، وقيل : سيرُ الليلِ كله . يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ . اللسان (س ر ي) .

(٤) معاني القرآن للقرءاء ١/ ٢٢٨ .

(٥) معاني القرآن للقرءاء ١/ ٢٢٨ .

(٦) الناشئُ : فوقِ المحتلم ، وقيل : هو الغلامُ والجارية وقد جاوزا حدَ الصغر ، وكذلك الأُنثى ناشئٌ .
التاج (ن ش أ) .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فارقت » . وقارفت : قاربت . التاج (ق ر ف) .

وقد بيّنا^(١) معنى « الهدى » و« الصراط » ، وأنه معنيّ به الإسلام ، فيما مضى قبل بشواهد ، فكّرْهُنا إعادته في هذا الموضع^(٢) .

وقد ذُكر أن الذي نزل في سبب تحاؤز^(٣) القبيلين^(٤) ؛ الأوس والخزرج ، كان من^(٥) قوله : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ ﴾ .

ذكر من قال ذلك

حدّثنا أبو كريب ، قال : ثنا حسن بن عطية ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن الأغرّ ابن الصّبّاح ، عن خليفة بن حصين ، عن أبي نصر ، عن ابن عباس ، قال : كانت الأوس والخزرج بينهم حرب في الجاهلية^(٦) « كل شهر » ، فبينما هم جلوس إذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا ، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ إلى آخر الآيتين ، ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ إلى آخر الآية^(٧) .

القول في تأويل قوله : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بينت » .

(٢) ينظر ما تقدم في ١٦٥/١ وما بعدها .

(٣) في النسخ : « تحاور » . وينظر ما تقدم في ص ٦٢٨ .

(٤) في م : « القبيلتين » . والقبيل : كالقبيلة . ينظر اللسان (ق ب ل) .

(٥) في م : « منه » .

(٦ - ٦) كذا في النسخ ، وفي تفسير ابن أبي حاتم : « كل شيء » ، وفي تفسير القرطبي : « قتال وشر » ، وفي

الدر المنثور : « بينهم شر » .

(٧) أخرجه الفريابي ومن طريقه الطبراني (١٢٦٦٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٠/٣ (٣٨٩٨) من =

يعنى بذلك جل ثناؤه : يا معشر من صدق الله ورسوله ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ : خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه ، ﴿ حَقَّ ثِقَائِهِ ﴾ : حق خوفه ، وهو أن يطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويُذكر فلا يُنسى ، ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ ﴾ أيها المؤمنون بالله ورسوله ﴿ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ لرؤسكم ، مُذْعِنُونَ له بالطاعة ، مخلصون له الألوهة^(١) والعبادة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد [٤٣٨/١ و] الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : / أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ٢٨/٤ زبيد ، عن مرة ، عن عبد الله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ ثِقَائِهِ ﴾ . قال : أن يطاع فلا يُعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يُكفر^(٢) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن زبيد ، عن مرة ، عن عبد الله مثله^(٣) .

= طريق قيس بن الربيع به نحوه ، وأخرجه البخارى فى الكبير ٧٦/٩ ، والطبرانى (١٢٦٦٧) من طريق الأغر ابن الصباح به بلفظ : كان بين الأوس والخزرج . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٨/٢ إلى ابن المنذر . وينظر تفسير القرطبى ١٥٦/٥ .

(١) فى م : « الألوهية » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٩ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ (٣٩٠٨) من طريق عبد الرحمن به ، وأخرجه الطبرانى (٨٥٠٢) ، وابن مردويه فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير ٧٢/٢ من طريق الفريايى وابن وهب عن الثوري ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٩/٢ إلى عبد بن حميد والفريايى وابن المنذر . (٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ (٣٩٠٨) من طريق عبد الرحمن به ، وابن المبارك فى الزهد (٢٢) عن شعبة به .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، عَنْ زُبَيْدٍ ، عَنْ مَرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : سَمِعْتُ لَيْثًا ، عَنْ زُبَيْدٍ ، عَنْ مَرَّةَ بْنِ شَرَّاحِيلَ الْبَكِيلِيِّ ^(١) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمِنْهَالِ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ زُبَيْدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا مِشْعَرٌ ، عَنْ زُبَيْدٍ ، عَنْ مَرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ الْمَسْعُودِيِّ ، عَنْ زُبَيْدٍ الْإِيَامِيِّ ^(٤) ، عَنْ مَرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ زُبَيْدٍ ، عَنْ مَرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى ، عَنْ ^(٦) سَفْيَانَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ : ﴿ اَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ . قَالَ : أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى ، وَيُشْكَرَ

(١) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الهمداني » . وكتاهما صواب ، ينظر تهذيب الكمال ٢٧ / ٣٧٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ عن ابن إدريس به .

(٣) أخرجه الطبراني (٨٥٠١) ، والحاكم ٢ / ٢٩٤ من طريق أبي نعيم به .

(٤) في ت ٢ : « اليامي » . وكتاهما صواب . ينظر تهذيب الكمال ٩ / ٢٨٩ .

(٥) أخرجه النحاس في ناسخه ص ٢٨١ من طريق المسعودي به .

(٦) في النسخ : « بن » . وينظر تهذيب الكمال ٢٥ / ٣٢٣ ، ٣١ / ٢٤٥ .

فلا يُكْفَرْ، ويُذَكَّر فلا يُنْسَى^(١).

حدثنا ابن وكيع، قال : ثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون نحوه.

حدثنا ابن المنثى، قال : ثنا يحيى بن سعيد، قال : ثنا شعبة، قال : ثنا عمرو بن مرة،^(٢) عن مرة^(٣)، عن الربيع بن خثيم^(٤) قال : أن يطاع فلا يُعصى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُذَكَّر فلا يُنسى^(٥).

حدثنا المنثى، قال : ثنا أبو داود، قال : ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، قال : سمعتُ مرة الهمداني يحدث عن الربيع بن خثيم في قول الله عز وجل : ﴿ أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ . فذكر نحوه.

حدثني المنثى، قال : ثنا أبو حذيفة، قال : ثنا شبل، عن قيس بن سعيد، عن طاوس : ﴿ يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ : أن يطاع فلا يُعصى^(٥).

حدثني محمد بن سنان، قال : ثنا أبو بكر الحنفى، قال : ثنا عباد، عن الحسن في قوله : ﴿ يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ . قال : حق تقاته أن يطاع

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) معلقاً، وينظر تفسير ابن كثير ٧٢/٢.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) في م : « خيثم » .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) معلقاً .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٣/٣ (٣٩١٣) من طريق أبي حذيفة به .

فلا يُعْصَى^(١) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ثم تقدم إليهم - يعني إلى المؤمنين من الأنصار - فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ : أما حقُّ تقاته ؛ يُطَاعُ فلا يُعصى ، ويُذَكَّرُ فلا يُنسى ، ويُشكَّرُ فلا يُكْفَرُ^(٢) .

حدثني المشي ، قال : ثنا حجاج بن المنهال ، قال : ثنا همام ، عن قتادة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ : أن يُطَاعَ فلا يُعصى . قال : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٣) .

وقال آخرون : بل تأويل ذلك كما حدثني به المشي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ،/ عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ . قال : حقُّ تقاته أن يجاهد^(٤) في^(٥) الله حقَّ جهاده ، ولا يأخذهم^(٦) في الله لومة لائم ، ويقوموا^(٧) لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم^(٨) .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٣) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ من طريق شيبان عن قتادة به .

(٤) في م ، والدر المنثور : « يجاهدوا » ، وفي ت ١ : « تجاهدوا » ، والمثبت موافق لما في تفسير ابن أبي حاتم والناسخ والمنسوخ ، وينظر الأثر الآتي فهو نفسه .

(٥) بعده في م ، وتفسير ابن أبي حاتم : « سبيل » .

(٦) في الناسخ والمنسوخ : « تأخذكم » ، وفي الدر المنثور : « تأخذهم » .

(٧) في الناسخ والمنسوخ : « وتقوموا » .

(٨ - ٨) في الناسخ والمنسوخ : « آبائكم وأبنائكم » ، وفي الدر المنثور : « أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم » . =

ثم اختلف أهل التأويل في هذه الآية ؛ هل هي منسوخة أم لا ؟ فقال بعضهم : هي مُحْكَمَةٌ غير منسوخة .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ : إنها لم تُنسخ ، ولكن حقَّ تقاتِهِ أن يُجاهدَ ^(١) في اللَّهِ حقَّ جهادِهِ . ثم ذكر تأويله الذي ذكرناه عنه آنفاً .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن قيس بنِ سعيد ، عن طاوسٍ : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ : فإن لم تفعلوا ولم تستطيعوا فلا تموتنَّ إلَّا وأنتم مسلمون ^(٢) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريج ، قال : قال طاوسٌ : قوله : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . يقول : إن لم تتَّقوه ، فلا تموتنَّ إلَّا وأنتم مسلمون .

وقال آخرون : هي منسوخة ، نسخها قوله : ﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

[التغابن : ١٦] .

= والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ (٣٩١٠) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢٨٣ ، وابن الجوزي في نواسخه ص ٢٤٤ من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٩/٢ إلى ابن المنذر . (١) في م : « تجاهد » .

(٢) تمة الأثر المتقدم في ص ٦٣٩ ، وليس في الإسناد ذكر ابن أبي نجيح ، وكذا فيما سيأتي في ص ٦٤٣ ، وهو الموافق لما في تفسير ابن أبي حاتم . (تفسير الطبري ٤١/٥)

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ : ثُمَّ أُنْزِلَ التَّخْفِيفُ وَالْيُسْرُ، وَعَادَ بِعَائِدَتِهِ وَرَحْمَتِهِ عَلَى مَا يَعْلَمُ مِنْ ضَعْفِ خَلْقِهِ، فَقَالَ : ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ . فَجَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا تَخْفِيفٌ وَعَافِيَةٌ وَيُسْرٌ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ : ثنا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ الْأَنْمَاطِيُّ، قَالَ : ثنا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ . قَالَ : نَسَخْتُهَا هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي «التَّغَايِينِ» : ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ . وَعَلَيْهَا بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِيمَا اسْتَطَاعُوا .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَهَا : ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ . فَنَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ [٣٨/١] ظ [٣٨/١] الَّتِي فِي «آلِ عِمْرَانَ» ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ، عَنْ الشَّدَدِيِّ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ : فَلَمْ يُطَقِ النَّاسُ هَذَا،

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٩٥ عن معمر ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٥٩ إلى عبد بن حميد وأبي داود في ناسخه والمصنف .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٢٢ عقب الأثر (٣٩١١) من طريق ابن أبي جعفر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٥٩ إلى المصنف .

فَنَسَخَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فقال : ﴿ فَأَنْفِقُوا لِلَّهِ مَا أَسْطَقْتُمْ ﴾ ^(١) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا / أَنْفِقُوا لِلَّهِ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ . قال : جاء أمرٌ شديدٌ ، قالوا ^(٢) : وَمَنْ يَعْرِفُ قَدْرَ هَذَا أَوْ يَتْلُغُهُ ؟ فلما عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، نَسَخَهَا عَنْهُمْ ، وجاء بهذه الأخرى ، فقال : ﴿ فَأَنْفِقُوا لِلَّهِ مَا أَسْطَقْتُمْ ﴾ فنسخها .

وأما قوله : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . فإن تأويله كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن قيس بن سعيد ، عن طاووس : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . قال : على الإسلام وعلى حرمة الإسلام ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وتعلّقوا بأسبابِ الله جميعًا . يريدُ بذلك تعالى ذكره : وتمسّكوا بدينِ الله الذى أمرَكم به ، وعهده الذى عهده إليكم فى كتابه إليكم ، من الألفة والاجتماعِ على كلمة الحق ، والتسليم لأمرِ الله .

وقد دلّلنا فيما مضى قبل على معنى الاعتصام .

وأما الحبل ؛ فإنه السبب الذى يوصلُ به إلى البُعْية والحاجة . ولذلك سُمّي الأمانُ حبلًا ؛ لأنه سببٌ يوصلُ به إلى زوالِ الخوفِ ، والنجاة من الجَزَعِ والذعرِ . ومنه قولُ أعشى بنى ثعلبة ^(٤) :

(١) أخرجه ابن الجوزى فى نواسخه ص ٢٤٣ من طريق أحمد بن المفضل به ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩١١) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال » ، وفى س : « فقال » .

(٣) تنمة الأثر المتقدم فى ص ٦٣٩ ، وينظر ص ٦٤١ .

(٤) ديوانه ص ٢٩ .

وَإِذَا تَجُوزُهَا حِبَالُ قَبِيلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الْأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا^(١)
ومنه قول الله عز وجل : ﴿إِلَّا يَجْعَلِ مِنَ اللَّهِ وَجَعِلَ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران :

١١٢].

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ،
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ . قَالَ :
الْجَمَاعَةُ^(٢) .

٣١/٤

/ حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، عَنْ الْعَوَّامِ ، عَنْ
الشَّعْبِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ . قَالَ : حَبْلُ اللَّهِ
الْجَمَاعَةُ .

وقال آخرون : عَنِ بَذَلِكَ الْقُرْآنَ وَالْعَهْدَ الَّذِي عَهِدَ فِيهِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ :
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ : حَبْلُ اللَّهِ الْمُتَيْنِ الَّذِي أَمَرَ أَنْ يُعْتَصَمَ بِهِ هَذَا

(١) كان من عادة العرب أن يُخيف بعضها بعضًا في الجاهلية ، فكان الرجل إذا أراد سفراً أخذ عهدًا من سيد كل قبيلة ، فيأمن به ما دام في تلك القبيلة حتى ينتهي إلى الأخرى ، فيأخذ مثل ذلك أيضًا ، يريد به الأمان .
اللسان (ح ب ل) والبيت فيه .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٢٠ - تفسير) ، والطبراني (٩٠٣٣) من طريق هشيم به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٠/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

القرآن^(١) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ . قال : بعهد الله وأمره^(٢) .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا جريز ، عن منصور ، عن شقيق ، عن عبد الله ، قال : إن الصراط مُحتَضَرٌ ، تحضره الشياطين ، ينادون : يا عبد الله ، هلم ، هذا الطريق ؛ ليضدوا عن سبيل الله ، فاعتصموا بحبل الله ، فإن حبل الله هو كتاب الله^(٣) .

حدَّثنا محمد ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عن الشدي : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ : أمّا حبل الله ، فكتاب الله^(٤) .

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ : بعهد الله^(٥) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء : ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ . قال : العهد^(٦) .

(١) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق شيان ومعمر عن قتادة به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٩ ، وأخرجه ابن حاتم فى تفسيره ٧٢٤/٣ (٣٩١٩) عن الحسن به .

(٣) أخرجه الطبرانى (٩٠٣١) من طريق سفيان عن منصور به ، وأخرجه الدارمى ٤٣٢/٢ ، وابن الضريس فى فضائله ص ٥٠ (٧٤) ، والبيهقى فى الشعب (٢٠٢٥) من طرق عن الأعمش عن شقيق به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٠/٢ إلى الفريانى ، وعبد بن حميد ، وابن الأبارى فى المصاحف وابن مردويه .

(٤) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٥) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق مسلم بن خالد الزنجى عن ابن أبى نجيح به .

(٦) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق ابن جريج به .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا وَكِيعٌ ، عن الْأَعْمَشِ ، عن أَبِي وائِلٍ ، عن عَبْدِ اللَّهِ : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ . قَالَ : حَبْلُ اللَّهِ الْقُرْآنُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا أَبُو زُهَيْرٍ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ . قَالَ : الْقُرْآنُ .

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْعَزْزَمِيُّ ، ^(٢) «عَنْ عَطِيَّةٍ» ، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كِتَابُ اللَّهِ ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ » ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ ذَلِكَ هُوَ إِخْلَاصُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أَبِيهِ ، عن الرَّبِيعِ ، عن أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ . يَقُولُ : اغْتَصِمُوا بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ ^(٤) .

٣٢/٤ / حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ . قَالَ : الْحَبْلُ الْإِسْلَامُ . وَقَرَأَ : ﴿وَلَا

(١) أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سَنَنِهِ (٥١٩ - تَفْسِيرٍ) ، وَالطَّبْرَانِيُّ (٩٠٣٢) مِنْ طَرِيقِ أَبِي وَائِلٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٦٠/٢ إِلَى ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٢) (٢ - ٢) سَقَطَ مِنَ النُّسخِ ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ ٧٣/٢ وَمَصَادِرُ التَّخْرِيجِ .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ ٧٣/٢ عَنِ الْمُصَنِّفِ ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٣٠٨/١٧ (١١٢١١) ، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي السَّنَةِ (١٥٥٣) ، وَأَبُو يَعْلَى (١١٤٠) ، وَالطَّبْرَانِيُّ (٢٦٧٨) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ

أَبِي شَيْبَةَ ٥٠٦/١٠ - وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي السَّنَةِ (١٥٥٤) مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةٍ بِهِ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٢٤/٣ (٣٩١٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

تَفَرَّقُوا ﴿١﴾ .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ : ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذى عهد إليكم فى كتابه ، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، والانتهاى إلى أمره .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ [٤٣٩/١] عَلَيْكُمْ ﴿ ﴾ : إن الله عز وجل قد كره لكم الفرقة ، وقدم إليكم فيها ، وحذركموها ، ونهاكم عنها ، ورضى لكم السمع والطاعة ، والألفة والجماعة ، فازموا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استطعتم ، ولا قوة إلا بالله ^(٢) .
حدثنى المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ : لا تعادوا عليه . يقول : على الإخلاص لله ، وكونوا ^(٣) عليه إخواناً ^(٤) .

حدثنى المشنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، أن الأوزاعى حدثه ، أن يزيد الرقاشى حدثه ، أنه سمع أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بنى إسرائيل أفرقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتى ستفرق على اثنتين وسبعين فرقة ، كلهم فى النار إلا واحدة » . قال : فقيل : يا رسول الله ،

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦١/٢ إلى المصنف .

(٢) ينظر التبيان ٥٤٦/٢ .

(٣) فى ص ، ت ١ : « تكونوا » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٤/٣ (٣٩٢١) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به .

وما هذه الواحدة؟ قال : فقبض يده وقال : « الجماعة » ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ^(١) .

حدثني عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سمعت الأوزاعي يحدث عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ نحوه ^(٢) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي ، عن ابن أبي خاليد ، عن الشعبي ، عن ثابت بن قطة ^(٣) المزني ، عن عبد الله ، أنه قال : يا أيها الناس ، عليكم بالطاعة والجماعة ، فإنها ^(٤) حبل الله الذي أمر به ، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة ، هو خير مما تشعجبون في الفرقة ^(٥) .

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري ^(٦) ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل بن أبي خاليد ، عن الشعبي ، عن ثابت بن قطة ^(٣) ، قال : سمعت ابن مسعود وهو يخطب ، وهو يقول : يا أيها الناس . ثم ذكر نحوه ^(٨) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٣/٣ (٣٩١٥) من طريق أبي صالح عبد الله بن صالح به .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) من طريق الوليد بن مسلم عن أبي عمرو الأوزاعي عن قتادة عن أنس به .

(٣) في م ، س : « قطة » . وينظر التاريخ الكبير ١٦٨/٢ .

(٤) في ص : « المرني » ، وفي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المرى » . والمثبت موافق لما في طبقات ابن سعد

١٩٧/٦ ، وثقات ابن حبان ٩٢/٤ ، ونسبه في التاريخ الكبير : « المدني » .

(٥) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم : « فإنهما » . وينظر الأثر بعد الآتي .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٣/٣ (٣٩١٦) من طريق إسماعيل - وهو ابن أبي خالد - به .

(٧) في م : « اليشكري » .

(٨) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٠٨/١ من طريق محمد بن يزيد به .

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَفْصِ الْأُبُلِيِّ ^(١) ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثُمَيْرٍ أَبُو هِشَامٍ ، قَالَ : ثنا مجالدُ بْنُ سَعِيدٍ ، عن عامرٍ ، عن ثابتِ بْنِ قُطَيْبَةَ ^(٢) الْمُرْنِيِّ ^(٣) ، قَالَ : قال عَبْدُ اللَّهِ : عليكم بالطاعة والجماعة ، فإنها جبلُ اللَّهِ الذي أُمِرَ به . ثم ذَكَرَ نحوه ^(٤) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ .

/ يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ : واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام .

واختلف أهلُ العربية في قوله : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويي البصرة في ذلك : انقطع الكلام عند قوله : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ . ثم فُسر بقوله : ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . وأخبرَ بالذي كانوا فيه قبل التأليف ، كما تقول : أمسك الحائط ^(٥) أن يميل .

وقال بعضُ نحويي الكوفة : قوله : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . تابعُ قوله : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ . غيرُ مُنْقَطِعَةٍ منها .

والصوابُ من القولِ في ذلك عندى أن قوله : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . متصلٌ بقوله : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ . غيرُ منقطعٍ عنه .

وتأويلُ ذلك : واذكروا أيها المؤمنون نعمةَ اللَّهِ عليكم التي أنعم بها عليكم حينَ

(١) في م : « الآملي » ، وفي س : « الaily » . وينظر تهذيب الكمال ٦٢ / ٣ .

(٢) في م ، س : « قطنة » .

(٣) في ص : « المرني » ، وفي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المرى » .

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (١٧) من طريق مجالد به ، وأخرجه الحاكم ٥٥٥ / ٤ من طريق أبي حصين عن عامر .

(٥) بعدها في ت ١ : « قبل » .

كُنْتُمْ أَعْدَاءُ ، أَى بَشَرِكُمْ ^(١) ، يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَصِيَّةً ، فِى غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ وَلَا طَاعَةِ رَسُولِهِ ، فَأَلَفَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَجَعَلَ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ إِخْوَانًا - بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً - تَتَوَاصِلُونَ بِالْأَلْفَةِ الْإِسْلَامِ ، وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِكُمْ عَلَيْهِ .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ : كُنْتُمْ تَذَابِحُونَ فِيهَا ، يَأْكُلُ شَدِيدُكُمْ ضَعِيفَكُمْ ، حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ ، فَأَخَى بِهِ بَيْنَكُمْ وَأَلَفَ بِهِ بَيْنَكُمْ ، أَمَا وَاللَّهِ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِنَّ الْأَلْفَةَ لَرَحْمَةٌ ، وَإِنَّ الْفُرْقَةَ لَعَذَابٌ ^(٢) .

حَدَّثَنِى الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِى قَوْلِهِ : ﴿ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ : يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَيَأْكُلُ شَدِيدُكُمْ ضَعِيفَكُمْ ، حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ ، فَأَلَفَ بِهِ بَيْنَكُمْ ، وَجَمَعَ جَمْعَكُمْ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَكُمْ عَلَيْهِ إِخْوَانًا ^(٣) .

فَالنِّعْمَةُ الَّتِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْأَنْصَارِ ، الَّتِى أَمَرَهُمُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِى هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَذْكُرُوهَا ، هِىَ أَلْفَةُ الْإِسْلَامِ ، وَاجْتِمَاعُ كَلِمَتِهِمْ عَلَيْهَا ، وَالْعَدَاوَةُ الَّتِى كَانَتْ بَيْنَهُمْ ، الَّتِى قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ . فَإِنَّهَا عَدَاوَةُ الْحُرُوبِ الَّتِى كَانَتْ بَيْنَ الْحَيِّينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِى الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، يَزْعُمُ الْعُلَمَاءُ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ أَنَّهَا تَطَاوَلَتْ بَيْنَهُمْ عَشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ .

(١) فِى ص : « شَرِكْكُمْ » .

(٢) فِى م : « إِذْ » .

(٣) عَزَاهُ السَّيُوطِى فِى الدَّر الْمُنْتَوَر ٦١/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ وَفِيهِ زِيَادَةٌ مَرْسَلَةٌ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِى تَفْسِيرِهِ ٧٢٥/٣ (٣٩٢٥) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ مَخْتَصَرًا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة سنة ، حتى قام الإسلام وهم على ذلك ، فكانت حربهم بينهم وهم أخوان لأب وأم ، فلم يُسمع بقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم ، ثم إن الله عز وجل أطفأ ذلك بالإسلام ، وألف بينهم برسوله محمد ﷺ .^(١)

فذكرهم جل ثناؤه إذ وعظهم ، عظيم ما كانوا فيه في جاهليتهم من البلاء والشقاء ، بمعادة بعضهم بعضا ، وقتل بعضهم بعضا ، وخوف بعضهم [١/٣٩٤ ط] من بعض ، وما صاروا / إليه بالإسلام ، واتباع الرسول ﷺ والإيمان به ، وبما جاء به من الائتلاف والاجتماع ، وأمن بعضهم من بعض ، ومصير بعضهم لبعض إخوانا . ٣٤/٤

وكان سبب ذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : ثنا عاصم بن عمر بن قتادة المدني^(٢) ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قديم سويد بن صامت ، أخو بني عمرو بن عوف ، مكة حاججا أو معتمرا . قال : وكان سويد إنما يُسميه قومه فيهم الكامل ؛ لجلده وشعره ونسبه وشرفه . قال : فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به ، فدعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام ، قال : فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي . قال : فقال له رسول الله ﷺ : « وما الذي معك ؟ » قال : مَجَلَّةٌ لُقْمَان - يعنى حكمة لقمان - فقال له رسول الله ﷺ : « اغرضها علي » . فعرضا عليها ، فقال : « إن هذا الكلام^(٣) حسن ، معي أفضل من

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦١/٢ إلى المصنف مختصرا .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٣ ، س : « الكفرى » ، وفي ت ٢ : « الكفرى » .

(٣) في م : « الكلام » .

هذا ، قرآن أنزله الله على ، هدى ونور . قال : فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يعتد^(١) منه ، وقال : إن هذا القول حسن ، ثم انصرف عنه ، وقدم المدينة ، فلم يلبث أن قتله الخزرج ، فإن كان قومه ليَقُولون : قد قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل يوم بُعاث^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى الحُصَيْن^(٣) بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذٍ ، أحد بني عبد الأشهل ، أن محمود بن لبيد^(٤) ، أحد بني عبد الأشهل ، قال : لما قدم أبو الحيسر^(٥) أنس بن رافع مكة ، ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم^(٦) إياس بن مُعَاذٍ ، يلتبسون الحلف من قريش على قوم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم ، فجلس إليهم ، فقال : « هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ » قالوا : وما ذاك ؟ قال : « أنا رسول الله ، بعثني إلى العباد ، أذعوهم إلى الله ، أن يعبدوا^(٧) الله ولا يُشركوا^(٨) به شيئا ، وأنزل عليّ الكتاب » . ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فقال إياس بن مُعَاذٍ ، وكان غلاما حدثا : أي قوم ، هذا والله خير مما جئتم له . قال : فأخذ^(٩) أبو الحيسر^(١٠)

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يبعده » ، وفي س : « يتعده » .

(٢) سيرة ابن هشام ٤٢٥/٢ - ٤٢٧ ، وأخرجه المصنف في تاريخه ٣٥١/٢ ، ٣٥٢ .

(٣) في م ، ت ١ ، س : « الحسين » . وينظر تهذيب الكمال ٥١٧/٦ .

(٤) في م : « أسد » .

(٥) في ص ، م ، ت ١ : « أبو الجيش » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ : « الحسين » ، والمثبت من تاريخ المصنف ، وسيرة ابن هشام .

(٦) في س : « منهم » .

(٧) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يعبدون » .

(٨) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يشركون » .

(٩) في تاريخ المصنف ، وسيرة ابن هشام : « فآخذ » .

(١٠) في ص ، م ، س : « الجيش » ، وفي ت ١ : « الحسن » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ : « الحسين » .

أَنسُ بْنُ رَافِعٍ حَفَنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ فَضْرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَقَالَ : دَعْنَا مِنْكَ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لَغَيْرِ هَذَا ، قَالَ : فَصَمَتَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ ، وَانصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ وَقَعَةُ بُعَاثِ بْنِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ . قَالَ : ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ . قَالَ : فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِظْهَارَ دِينِهِ ، وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ ﷺ ، وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ^(١) الْمَوْسِمِ الَّذِي لَقِيَ فِيهِ النَّفَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَعَرَضَ ^(٢) نَفْسَهُ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ ، فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الْخَزْرَجِ أَرَادَ اللَّهُ لَهُمْ ^(٣) خَيْرًا ، قَالَ ابْنُ حَمِيدٍ : قَالَ سَلْمَةُ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ قَوْمِهِ ، قَالُوا : لَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ : « مَنْ أَنْتُمْ ؟ » قَالُوا : نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ . قَالَ : « أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : « أَفَلَا تَجْلِسُونَ حَتَّى أَكَلِّمَكُمْ ؟ » قَالُوا : بَلَى . قَالَ : فَجَلَسُوا مَعَهُ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ . قَالَ : وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُمْ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ ، أَنْ يَهُودَ كَانُوا / مَعَهُمْ بِيْلَادِهِمْ ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعَلِيمٍ ، وَكَانُوا أَهْلَ شَرِكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ ، وَكَانُوا قَدْ عَزُّوهُمْ ^(٤) بِيْلَادِهِمْ ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ : إِنَّ نَبِيًّا الْآنَ مَبْعُوثٌ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ ، نَتَّبِعْهُ وَنَقْتُلْكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِزْمَ ، فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُولَئِكَ النَّفَرَ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : يَا قَوْمُ ،

٣٥/٤

(١) سقط من النسخ ، والمثبت من تاريخ المصنف وسيرة ابن هشام .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يعرض » . وهو صحيح أيضا ، والمثبت موافق لما في مصدرى التخريج .

(٣) في تاريخ المصنف ، وسيرة ابن هشام : « بهم » .

(٤) في م ، وسيرة ابن هشام : « غزوهم » . وغزوهم : غلبوهم . اللسان (ع ز ن) .

تعلمون^(١) واللّه إنه للنبيّ الذي توعدّكم به يهودُ ، فلا^(٢) يَسْبِقُكُمْ إليه . فأجابوه فيما^(٣) دعاهم إليه بأن صدّقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قومَ بينهم من العداوةِ والشرِّ ما بينهم ، وعسى^(٤) اللّه أن يَجْمَعَهُمْ^(٥) بك ، وستقدّم^(٦) عليهم فتدعوهم^(٧) إلى أمرِك ، ونعرض^(٨) عليهم^(٩) الذي أجبناك إليه^(١٠) من هذا الدين ، فإن يَجْمَعَهُم اللّه عليه فلا رجلَ أعزُّ منك . ثم انصرفوا عن رسول اللّه ﷺ راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا وصدّقوا ، وهم فيما ذكر لي ستة نفرٍ . قال : فلما قدّموا المدينة على قومهم ، ذكروا لهم رسول اللّه ﷺ ، ودعّوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبقَ دأْرٌ من دورِ الأنصارِ إلا وفيها ذكرٌ من رسول اللّه ﷺ ، حتى إذا كان العامُ المقبلُ ، وافى^(١١) الموسمَ من الأنصارِ اثنا عشرَ رجلاً ، فلقّوه بالعقبة ، وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسولَ اللّه ﷺ على بيعَةِ النساءِ ، وذلك قبلَ أن يُفْتَرَضَ عليهم الحربُ^(١٢) .

(١) في م ، وسيرة ابن هشام : « تعلموا » ، وفي تاريخ المصنف : « تعلمن » .

(٢) في النسخ : « ولا » . والمثبت من تاريخ المصنف وسيرة ابن هشام .

(٣) في س : « إلى ما » .

(٤ - ٥) في م : « أن يجمعهم اللّه » .

(٥) في ص ، ت ١ : « ستقدم » .

(٦) في ت ١ : « فتدعوهم » .

(٧) في ص ، ت ١ ، وسيرة ابن هشام : « تعرض » .

(٨) بعده في ت ٢ : « الإسلام » .

(٩) في س : « عليه » .

(١٠) في ص ، ت ١ : « واتي » .

(١١) سيرة ابن هشام ٤٢٧/١ - ٤٣١ ، وأخرجه المصنف في تاريخه ٣٥٢/٢ - ٣٥٥ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَنَّهُ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَمَّنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ ، [١/٤٤٠] فَأَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُمْ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ بَيْنَ قَوْمِنَا حَرْبًا ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ جِئْتَ عَلَى حَالِكَ هَذِهِ أَلَّا يَتِهَيَّا الَّذِي تُرِيدُ . فَوَاعَدُوهُ ^(١) الْعَامَ الْمَقْبِلَ ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَذْهَبُ ، فَلَعَلَّ ^(٢) اللَّهُ أَنْ يُصْلِحَ تِلْكَ الْحَرْبَ . قَالَ : فَذَهَبُوا ففَعَلُوا ، فَأَصْلَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تِلْكَ الْحَرْبَ ، وَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ ، وَهُوَ يَوْمُ بُعَاثٍ ، فَلَقُوهُ مِنَ الْعَامِ الْمَقْبِلِ سَبْعِينَ رَجُلًا قَدْ آمَنُوا ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ ^(٣) النَّقْبَاءُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ^(٤) نَقِيبًا ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ ^(٥) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : أَمَّا ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ : فَفِي حَرْبٍ سُمِّيَتْ ^(٦) ، ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . بِالْإِسْلَامِ ^(٧) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا أَبُو سَفْيَانَ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ بِنَحْوِهِ ، وَزَادَ فِيهِ : فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ عَائِشَةَ مَا كَانَ ، فَتَشَاوَرَ ^(٨) الْحَيَّانُ ،

(١) فِي م : « فَوَاعَدُوهُ » .

(٢) فِي س ، وَتَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ : « لَعَلَّ » .

(٣) فِي تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَاقِ ، وَالْدُرُ الْمُنْشُورِ : « مِنْهُمْ » .

(٤) سَقَطَ مِنْ : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ١/ ١٢٩ . وَعِزَّاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِ الْمُنْشُورِ ٦١/ ٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذِرِ .

(٦) سَقَطَ مِنَ النُّسخِ ، وَالْمُثَبَّتُ مِمَّا سَيَأْتِي فِي الصَّفْحَةِ التَّالِيَةِ . وَيَنْظُرُ مَا تَقْدَمُ فِي ٢/ ٢٠٨ .

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣/ ٧٢٥ (٣٩٢٧) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُفَضَّلِ بِهِ مُقْتَصِرًا عَلَى آخِرِهِ .

(٨) تَشَاوَرَا : تَوَاتَبَا . يَنْظُرُ التَّاجُ (ث و ر) .

فقال بعضهم لبعض : موعدكم الحرّة . فخرجوا إليها ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ الآية . فأتاهم رسول الله ﷺ ، فلم يزل يثلوها عليهم حتى اعتنق بعضهم بعضاً ، وحتى إن لهم لحنيئاً^(١) ، يعنى البكاء^(٢) .

وسُميَ الذي زعم السدي أن قوله : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ ﴾ . عنى به حربته ، هو سُمير بن زيد^(٣) بن مالك ، أحد بنى عمرو بن عوف ، الذي ذكره مالك بن العجلان فى قوله^(٤) :

٣٦/٤ / إِنَّ سُمِيرًا أَرَى عَشِيرَتَهُ قد حذبوا^(٥) دونه وقد أنفوا^(٦)

إِنْ يَكُنِ الظَّنُّ صَادِقِي بِنِي النِّجَارِ لَمْ يَطْعَمُوا الَّذِي غُلِفُوا^(٧)

وقد ذكر علماء الأنصار أن مبدأ العداوة التى هيّجت^(٨) الحروب التى كانت بين قبيلتيها الأوس والخزرج وأولها ، كان بسبب قتل^(٩) مولى لمالك بن العجلان الخزرجي ، يقال له : الحرث^(١٠) بن سُمير . من مُزينة ، وكان حليفاً لمالك بن

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لحنيئاً » ، وفى س : « لنحييا » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦١/٢ إلى المصنف .

(٣) ذكره أبو الفرج فى الأغاني ٤٠/٣ : « يزيد » ، وكذا ذكر أخاه درهم بن يزيد ، وفى نسخ منه فى اسم أخيه « زيد » .

(٤) جمهرة أشعار العرب ٦٣٧/٢ ، والأغاني ٢٠/٣ ، والخزانة ٢٧٩/٤ .

(٥) حذب : تعطف وحنا . ينظر التاج (ح د ب) .

(٦) فى م : « أبقوا » .

(٧) فى ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « علقوا » . وقال أبو الفرج فى الأغاني : يقال : غلّفوا الضيم : إذا أفرأ به . أى : ظنى أنهم لا يقبلون الضيم .

(٨) فى ص ، ت ١ ، س : « هاجت » .

(٩) فى ص ، ت ١ : « قتلة » ، وفى س : « قبيلة » .

(١٠) كذا فى النسخ ، وفى خزانة الأدب : « بجير » ، وفى شرح ديوان حسان ص ٨١ نقلا عن ابن الكلبي وغيره : « أبجر » .

العجلان ، ثم اتصلت تلك العداوة بينهم ، إلى أن أطفأها الله بنبيه محمد ﷺ .
فذلك معنى قول السدي : حربٌ شُميرٌ ^(١) .

وأما قوله : ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ . فإنه يعنى : فأصبحتم بتأليف الله عزَّ وجلَّ بينكم بالإسلام وكلمة الحق ، والتعاون على نصرته أهل الإيمان ، والتأزير على من خالفكم من أهل الكفر ، إخوانًا متصادقين ، لا ضغائنَ بينكم ولا تحاسد .
كما حدثني بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ : ^(٢) ذكر لنا أن رجلاً قال لابن مسعود : كيف أصبحتم ؟ قال : أصبحنا بنعمة الله إخوانًا .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ .
يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ : وكنتم يا معشر المؤمنين من الأوس والخزرج ، على حرف حفرة من النار . وإنما ذلك مثلٌ لكفرهم الذى كانوا عليه قبل أن يهديهم الله للإسلام ، يقول تعالى ذكره : وكنتم على طرف جهنم بكفركم الذى كنتم عليه قبل أن يُنعم الله عليكم بالإسلام ، فتصيروا بائئلافكم عليه إخوانًا ، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على ذلك من كفركم ، فتكونوا من الخالدين فيها ، فأنقذكم الله منها بالإيمان الذى هداكم له .
وشفا الحفرة طرفُها وحرفُها ، مثلُ شفا الرِّكِيَّةِ والبئرِ ، ومنه قول الراجز :

نحن حفرنا للحجيج سَجَلَةً

نابتةٌ فوق شفاها بَقْلَةً ^(٣)

(١) فى م : « ابن سمير » .

(٢) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « وذكر » .

(٣) لم نجد هذا الرجز ، وأقرب ما ورد إليه ما ذكره أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم ٣ / ٧٢٤ . تعريف =

(تفسیر الطبرى ٤٢ / ٥)

يعنى : فوق حرفها . يقال : هذا شفا هذه الرَكِيَّة ، مَقْصُورٌ ، وهما شَفَوَاهَا .

٣٧/٤ / وقال : ﴿ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ . يعنى ^(١) : فَأَنْقَذَكُمْ مِنَ الْحَفْرَةِ . فردَّ الخبر إلى الحفرة ، وقد ابتدأ الخبر عن الشِّفَا ؛ لأن الشِّفَا مِنَ الْحَفْرَةِ ، فجاز ذلك ، إذ كان الخبر عن الشفا على السبيل التي ذكرها في هذه الآية خبراً عن الحفرة ، كما قال جرير بن عطية ^(٢) :

رَأَتْ مَرَّ السَّيْنِ أَخَذَنْ مِنْى كما أَخَذَ السَّرَّاءُ ^(٣) مِنَ الْهَلَالِ
فذكر « مَرَّ السَّيْنِ » ، ثم رجع إلى الخبر عن السَّيْنِ ، وكما قال العجاج ^(٤) :

طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي

طَوَيْنَ طُولِي وَطَوَيْنَ عَرْضِي

وقد بَيَّنَّتْ الْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِيمَا مَضَى قَبْلُ ^(٥) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك من التأويل قال أهل التأويل .

= سجلة فقال : بئر احتفرها قصى بمكة ، وقال :

أَنَا قَصَى وَحَفَرْتُ سَجَلَةَ

تُرْوَى الْحَجِيجَ رُغْلَةً فُرْغْلَةً

وقيل : بل حفرها هاشم ، ووهبها أسد بن هاشم لعدى بن نوفل ، وفى ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نَحْنُ وَهَبْنَا لَعْدَى سَجَلَةَ

تُرْوَى الْحَجِيجَ رُغْلَةً فُرْغْلَةً

(١) بعده فى ص : « فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا » .

(٢) شرح ديوان جرير ص ٥٤٦ . وتفسير الآية ٣٣ من سورة الرعد .

(٣) السرار بكسر السين وفتحها : آخر ليلة من الشهر ، يستمر الهلال بنور الشمس . وينظر التاج (س ر ر) والمراد فى البيت نقصان القمر حتى يبلغ أن يكون هلالاً .

(٤) وكذا نسبه إليه سيويه فى الكتاب ٥٣/١ ، ونسبه أبو حاتم فى المعمرين ص ١٠٨ ، وأبو الفرج فى الأغاني

٢٨/٢١ إلى الأغلب العجلي ، وفى روايته اختلاف ، وينظر الخزانة ٢٢٤/٤ - ٢٢٦ .

(٥) ينظر ما تقدم فى ٢٤٧/٤ ، ٢٤٨ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ﴾ : كان هذا الحثي من العرب أذل الناس ذلاً ، وأشقاه عيشاً ، وأبينه ضلالةً ، وأغراه جلوداً ، وأجوعه بطوناً ، مكغومين^(١) على رأس حجر بين الأسدين فارس والروم ، لا والله ، ما في بلادهم يومئذ من شيء يُحسدون عليه ، من عاش منهم عاش شقيئاً ، ومن مات رُدِّي في النار ، يُؤكلون ولا يأكلون ، والله ما نعلم قبلاً يومئذ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظاً وأدق فيها شأنًا منهم ، حتى جاء الله عز وجل بالإسلام ، فوزَّثكم فيها أصغر حظاً وأدق فيها شأنًا منهم ، وأحلَّ لكم به دار الجهاد ، ووضع لكم به من الرزق ، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس ، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا نعمة^(٢) ، فإن ربكم مُنعمٌ يُحبُّ الشاكرين ، وإن أهل الشكر في مزيد الله ، فتعالى ربنا وتبارك^(٣) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ . يقول : كنتم على الكفر بالله ، ﴿ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ : من ذلك وهداكم إلى الإسلام .

/ حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن ٣٨/٤ السدي : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ : بمحمد ﷺ . يقول :

(١) في م : « معكومين » ، وكعم البعير : شدَّ فاه في هياجه لئلا يعض أو يأكل ، وكعمه الخوف : أمسك فاه .
اللسان (ك ع م) .

(٢) في س : « نعمة الله » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٥٨١/٣ عن قتادة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٧٧/٣ إلى المصنف وابن المنذر وأبي الشيخ .

كُنْتُمْ عَلَى طَرَفِ النَّارِ ، مِنْ مَاتَ مِنْكُمْ أُوبِقَ ^(١) فِي النَّارِ ، فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْحُفْرَةِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا حَسَنُ بْنُ حَيٍّ ^(٣) : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ . قَالَ : عَصِيَّةٌ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ^(١٠٣) .

يَعْنِي جَلَّ ثَنَاهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ : كَمَا يَبَيِّنُ لَكُمْ رَبُّكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرِجِ ، مِنْ غِلٍّ ^(٤) الْيَهُودِ الَّذِي يُضْمِرُونَهُ لَكُمْ ، وَغُشُّهُمْ لَكُمْ ، وَأَمْرِهِ ^(٥) إِيَّاكُمْ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ فِيهَا ، وَنَهْيِهِ لَكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَالْحَالِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ وَالَّتِي صِرْتُمْ إِلَيْهَا فِي إِسْلَامِكُمْ ، مُعْرِفَكُمْ ^(٦) فِي كُلِّ ذَلِكَ مَوَاقِعَ نِعْمِهِ قَبْلَكُمْ وَصَنَائِعِهِ لَدَيْكُمْ - فَكَذَلِكَ يَبَيِّنُ ^(٧) سَائِرَ حُجَجِهِ لَكُمْ فِي تَنْزِيلِهِ ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ يَعْنِي : لَتَهْتَدُوا إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ وَتَسْلُكُوهَا فَلَا تَضِلُّوا عَنْهَا .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١٠٤) .

يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ ﴾ أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿ أُمَّةٌ ﴾ . يَقُولُ :

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وَبَقِيَ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٢٦/٣ (٣٩٣٠ ، ٣٩٣١) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُفْضِلِ بِهِ .

(٣) فِي م : « يَحْيَى » . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ١٧٧/٦ .

(٤) فِي م : « عِلْمَاءٌ » .

(٥) فِي ص ، ت ١ ، س : « أَمْرُهُمْ » .

(٦) فِي م : « يَعْرِفُكُمْ » .

(٧) بَعْدَهُ فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « لَكُمْ » .

جماعة ﴿يَدْعُونَ﴾ النَّاسَ ﴿إِلَى الْخَيْرِ﴾ يَغْنَى : إِلَى الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ الَّتِي
شَرَعَهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ ، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يَقُولُ : يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِ
مُحَمَّدٍ (رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) ، وَدِينِهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ﴾ يَغْنَى : وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ ، وَالتَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ ، بِجَهَادِهِمْ بِالْأَيْدِي وَالْجَوَارِحِ حَتَّى يَتَّقَادُوا لَكُمْ بِالطَّاعَةِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . يَغْنَى : الْمُتَجِدِّحُونَ عِنْدَ اللَّهِ ، الْبَاقُونَ فِي
جَنَانِهِ ^(٢) وَنَعِيمِهِ .

وَقَدْ دَلَّلْنَا ^(٣) عَلَى مَعْنَى الْإِفْلَاحِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ
هَاهُنَا ^(٤) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نَعِيمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى بْنُ عَمْرِو الْقَارِي ، عَنْ أَبِي
عَوْنٍ الثَّقَفِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ صُبَيْحًا ، قَالَ : سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَقْرَأُ : (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى
الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ اللَّهَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ) ^(٥) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نَعِيمٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عَيْنَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ
دِينَارٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقْرَأُ ^(٦) . فَذَكَرَ مِثْلَ قِرَاءَةِ عُثْمَانَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا قَبْلُ

(١ - ١) سقط من : م ، س ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) في م : « جَنَانُهُ » .

(٣) بعده في م : « فِيمَا مَضَى » .

(٤) ينظر ما تقدم في ٢٥٦/١ - ٢٥٨ .

(٥) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص ٣٩ من طريق عيسى بن عمر ، به . وذكره ابن أبي حاتم في الجرح
والتعديل ٤٤٩/٤ في ترجمة صبيح ، وفيه : يهدون . بدلا من : يدعون . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٢/٢
إلى عبد بن حميد وابن الأثير ، وهذه القراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة ، وهي مخالفة لرسم
المصحف .

(٦) في ت ١ : « يَقُولُ » .

سواء^(١) .

حدَّثنا يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . قال : هم خاصة أصحاب رسول الله^(٢) ، وهم خاصة الرواة^(٣) .

٣٩/٤ / القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(١٠٥) .

يَعْنِي بِذَلِكَ عَزَّ وَجَلَّ : وَلَا تَكُونُوا يَا مَعْشَرَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴿ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، ﴿ وَاخْتَلَفُوا ﴾ فِي دِينِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ ، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَعَلِمُوا الْحَقَّ فِيهِ فَتَعَمَّدُوا خِلَافَهُ ، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ وَنَقَضُوا عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ جَرَاءَةً عَلَى اللَّهِ ، ﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴾ يَعْنِي : وَلِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ ﴿ عَذَابٌ ﴾^(٤) عِنْدَ اللَّهِ ﴿ عَظِيمٌ ﴾ .

يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ : فَلَا تَتَفَرَّقُوا^(٥) يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي دِينِكُمْ تَفَرُّقٌ هَؤُلَاءِ فِي دِينِهِمْ ، وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَهُمْ ، وَتَشْتَبِهُوا فِي دِينِكُمْ بِسِتِّهِمْ ، فَيَكُونَ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الْعَظِيمِ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ .

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٢١ - تفسير) ، وابن أبي داود في المصاحف ص ٨٢ ، ٨٣ من طريق ابن عيينة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦١ / ٢ ، ٦٢ إلى عبد بن حميد وابن الأنباري .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الرسول » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٢ / ٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) بعده في م ، س : « من » .

(٥) في م : « تفرقوا » .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ . قال : هم أهل الكتاب ، نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا ويختلفوا كما تفرقوا واختلف أهل الكتاب ، قال الله عز وجل : ﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(١) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ . ونحو هذا في القرآن : أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالراء والخصومات في [١/٤١١] دين الله ^(٢) .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . قال : هم اليهود والنصارى ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ^(١٧) وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ^(١٨) ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه وتسود وجوه .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٢/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٨/٣ (٣٩٤٥) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٨/٣ (٣٩٤٦) من طريق أبى بكر الحنفى به .

وأما قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ . فإن
 ٤٠/٤ معناه : فأما الذين اسودَّت / وجوههم فيقال لهم : أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا
 العذاب بما كنتم تكفرون .

ولابدَّ لـ « أمّا » من جوابٍ بالفاء ، فلما أسقط الجواب سقطت الفاء معه ، وإنما
 جاز ترك ذكر « فيقال » ، لدلالة ما ذكر من الكلام عليه .

وأما معنى قوله جلَّ ثناءه : ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ . فإنَّ أهل التأويل
 اختلفوا في مَنْ غنى به ؛ فقال بعضهم : غنى به أهل قبلتنا من المسلمين .

ذكر مَنْ قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ
 وُجُوهٌُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌُ ﴾ الآية : لقد كفر أقوامٌ بعد إيمانهم كما تسمعون ، ولقد ذكر لنا
 أن نبيَّ الله ﷺ كان يقول : « والذي نفس محمد بيده ، ليردَّنَّ على الحوضِ ممن
 صحبني أقوامٌ ، حتى إذا رُفِعوا إليَّ ورأيتهُم ، اختلجوا^(١) دُونِي ، فَلَأَقُولَنَّ : رَبِّ ،
 أصحابي ، أصحابي . فليقالنَّ : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » . وقوله : ﴿ وَأَمَّا
 الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ : هؤلاء أهلُ^(٢) طاعةِ الله^(٣) والوفاءِ بعهدِ
 الله ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٤) .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
 السدي : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌُ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ

(١) اختلجوا : اجتذبوا واقتطعوا . التاج (خ ل ج) .

(٢ - ٣) في س : « الطاعة » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٠/٣ (٣٩٦٠) من طريق يزيد به ، مقتصرًا على آخره . وعزاه
 السيوطي في الدر المنثور ٦٣/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد . دون المرفوع . والمرفوع أخرجه البخاري
 (٦٥٧٦) ، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود .

إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١﴾ : فهذا مَنْ كَفَرَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ حِينَ اقْتَتَلُوا ^(١).

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ وَالرَّيْعِ بْنِ صَبِيحٍ ، عَنْ أَبِي غَالِبٍ ^(٢) ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ ﴾ .
قال : هم الخوارج ^(٣) .

وقال آخرون : غُنِيَ بِذَلِكَ كُلُّ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ بَعْدَ الْإِيْمَانِ الَّذِي آمَنَ ، حِينَ أَخَذَ اللَّهُ مِنْ صُلْبِ آدَمَ ذَرْيَتَهُ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ^(٤) بِمَا يَبَيِّنُ فِي كِتَابِهِ ^(٥) .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ،
عَنِ الرَّيْعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌُ ﴾ . قال : صاروا يومَ الْقِيَامَةِ فَرِيقَيْنِ ؛ فَقَالَ لِمَنْ أَسْوَدَّ وَجْهُهُ وَعَيَّرَهُمْ :
﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ . قال : هو الْإِيْمَانُ
الَّذِي كَانَ قَبْلَ الْاِخْتِلَافِ فِي زَمَانِ آدَمَ ، حِينَ أَخَذَ مِنْهُمْ عَهْدَهُمْ وَمِيثَاقَهُمْ ، وَأَقْرَأُوا

(١) في س : « اختلفوا » . والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٠/٣ (٣٩٥٨) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) في النسخ : « مجالد » . والمثبت من مصادر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ١٧٠/٣٤ .

(٣) أخرجه الطبراني (٨٠٣٤ ، ٨٠٣٧) من طريق حماد والريعي به مرفوعا .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٩/٣ (٣٩٥٥) من طريق أبي غالب به مرفوعاً أيضاً . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « نفسه » .

(٥) يشير المصنف إلى قوله جل وعز : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ . الآية ١٧٢ من سورة الأعراف .

كلّهم بالعبودية ، وفطرهم على الإسلام ، فكانوا أمةً واحدةً مسلمين ، يقول : ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ . يقول : بعد ذلك الذى كان فى زمانِ آدم . وقال فى الآخرين : الذين استقاموا على إيمانهم ذلك ، فأخلصوا^(١) له الدين والعمل ، فبيّض الله وجوههم ، وأدخلهم فى رضوانه وجنته^(٢) .

وقال آخرون : بل الذين عُنوا بقوله : ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ . المنافقون .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنى محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عبّاد ، عن الحسن : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ / وَسَوْدُ وُجُوهٌ ﴾ الآية . قال : هم المنافقون ، كانوا أعطوا كلمة الإيمان بالسنتهم وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم^(٣) .

٤١/٤

وأولى الأقوال التى ذكرناها فى ذلك بالصواب القول الذى ذكرناه عن أبى بن كعب ، أنه غنى بذلك جميع الكفار ، وأن الإيمان الذى يُؤبّخون على ارتدادهم عنه هو الإيمان الذى أَقَرُّوا به يوم قيل لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴿ [الأعراف : ١٧٢] . وذلك أن الله جلّ ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين ؛ أحدهما سوداً^(٤) وجوهه ، والآخَرُ بيضاً^(٥) وجوهه ، فمعلومٌ إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان ، أن جميع الكفار داخلون فى فريقٍ من سُود وجّهه ، وأن جميع المؤمنين داخلون فى فريقٍ من بِيض وجّهه ، فلا وجهَ إذنَ لقولِ قائلٍ : غنى بقوله : ﴿ أَكْفَرْتُمْ

(١) فى ص ، ت ، ١ ، س : « وأخلصوا » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٠/٣ (٣٩٥٦ ، ٣٩٥٩) من طريق أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٩/٣ (٣٩٥٣) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٤) فى م : « سوداء » .

(٥) فى م : « بيضاء » .

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿١٠٦﴾ بَعْضُ الْكَافِرِ دُونَ بَعْضٍ . وَقَدْ عَمَّ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْخَبَرَ عَنْهُمْ جَمِيعِهِمْ ، وَإِذَا دَخَلَ جَمِيعُهُمْ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لْجَمِيعِهِمْ حَالَةٌ آمَنُوا فِيهَا ثُمَّ ارْتَدَّوْا كَافِرِينَ بَعْدَ إِلَّا حَالَةً وَاحِدَةً ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهَا الْمَرَادُ بِذَلِكَ .

فتأويل الآية إذن : أولئك لهم عذابٌ عظيمٌ في يومٍ تَبْيِضُ وجوهُ قومٍ ^(١) ، وتسودُّ وجوهُ آخرين ؛ فأما الذين اسودَّت وجوهُهُم فيقال : أجمدتم توحيدَ اللَّهِ وعهده وميثاقه الذي واثقتموه عليه ، بالألّا تشركوا به شيئًا ، وتخلصوا له العبادة ﴿١٠٧﴾ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿١٠٨﴾ . يعنى : بعد تصديقكم به ، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ . يقول : بما كنتم تجحدون فى الدنيا ما كان الله قد أخذ ميثاقكم بالإقرار به والتصديق . ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اتَّيَسَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ من ثبت على [١/٤٤٤ظ] عهدِ اللَّهِ وميثاقه ، فلم يُبَدِّلْ دينه ، ولم يُنْقَلِبْ على عَقِبَيْهِ بعدَ الإقرار بالتوحيد ، والشهادة لربِّه بالآلوهية ، وأنه لا إله غيره ، ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ . يقول : فهم فى رحمةِ اللَّهِ . يعنى : فى جنته ونعيمها ، وما أعدَّ اللَّهُ لأهلها فيها ، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ . أى : باقون فيها أبدًا بغير نهاية ولا غاية .

القول فى تأويل قوله : ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ .

يَعْنَى بِقَوْلِهِ ^(٢) جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ : هذه آياتُ اللَّهِ .

وقد بيَّنا كيف وضعت العربُ « تلك » و « ذلك » مكانَ « هذا » و « هذه » فى غير هذا الموضع فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته ^(٣) .

(١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، س .

(٢) فى ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بذلك » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/٢٢٨ - ٢٣١ .

وقوله : ﴿ ءَايَاتُ اللَّهِ ﴾ . يعنى مواعظَ اللَّهِ وعبره وحججه ، ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴾ : نَقْرُؤُهَا عَلَيْكَ وَنَقُصُّهَا ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ . يعنى بالصدق واليقين .

وإنما يعنى بقوله : ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ ﴾ : هذه الآيات التى ذكر فيها أمور المؤمنين من أنصارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأُمُورَ يهودِ بنى إسرائيلَ وأهلِ الكتابِ ، وما هو فاعلٌ بأهلِ الوفاءِ بعهدِهِ ، وبالمبدلين دينَهُ ، والناقضين عهدَهُ بعدَ الإقرارِ به . ثم أخبر عزَّ وجلَّ نبيَّهُ محمدًا ﷺ أَنَّهُ يَتْلُو ذَلِكَ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مَنْ عَاقَبَ ^(١) مِنْ خَلْقِهِ بما أخبر أَنَّهُ معاقِبُهُ ؛ مِنْ تَسْوِيدِ وَجْهِهِ ، وَتَخْلِيدِهِ فِي أَلِيمِ عَذَابِهِ ، وَعَظِيمِ عِقَابِهِ ، وَمَنْ جَازَاهُ مِنْهُمْ بما جَازَاهُ ؛ مِنْ تَبْيِيضِ وَجْهِهِ ، وَتَكْرِيمِهِ ، وَتَشْرِيفِ مَنْزِلَتِهِ ^(٢) لَدَيْهِ ، بِتَخْلِيدِهِ فِي دَائِمِ نَعِيمِهِ ، بِغَيْرِ ظَلَمٍ مِنْهُ لِفَرِيقٍ مِنْهُمْ ، بَلْ بِحَقِّ ^(٣) اسْتَوْجَابِهِ ، وَأَعْمَالِ لَهُمْ سَلَفَتْ ، جَازَاهُمْ / عَلَيْهَا ، فَقَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ .
 يعنى بذلك : وَلَيْسَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ بِتَسْوِيدِ وَجْهِهِ هَؤُلَاءِ ، وَإِذَا قَتَلَهُمُ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ ، وَتَبْيِيضِهِ ^(٤) وَجْهَهُ هَؤُلَاءِ ، وَتَنْعِيمِهِ إِيَّاهُمْ فِي جَنَّتِهِ ، طَالِبًا وَضَعَ شَيْءٌ مِمَّا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي ^(٥) غَيْرِ مَوْضِعِهِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُهُ . إِعْلَامًا بِذَلِكَ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَنْ يَضْلَحَ فِي حُكْمَتِهِ بِخَلْقِهِ غَيْرُ مَا وَعَدَ أَهْلَ طَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ ، وَغَيْرُ مَا أَوْعَدَ ^(٦) أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ وَالْكَفْرِ بِهِ ، وَإِنذَارًا مِنْهُ هَؤُلَاءِ ، وَتَبَشِيرًا مِنْهُ هَؤُلَاءِ .

(١) فى م : « عاقبه » .

(٢) فى ص ، ت : « متوليه » .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الحق » .

(٤) فى م : « تبيض » .

(٥) زيادة من : م .

(٦) فى ص : « وعد » .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (١٠٩) .

يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاهُ أَنَّهُ يُعَاقِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، بِمَا ذَكَرَ أَنَّهُ مَعَاقِبُهُمْ بِهِ ، مِنَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ وَتَسْوِيدِ الْوُجُوهِ ، وَتُثْبِتُ^(١) أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَى التَّصَدِيقِ وَالْوَفَاءِ بِعُهُودِهِمُ الَّتِي عَاهَدُوا عَلَيْهَا ، بِمَا وَصَفَ أَنَّهُ مُثَبِّتُهُمْ بِهِ ، مِنَ الْخُلُودِ فِي جَنَّتِهِ^(٢) ، مِنْ غَيْرِ ظَلَمٍ مِنْهُ لِأَحَدٍ الْفَرِيقَيْنِ فِيمَا فَعَلَ ؛ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى الظَّلْمِ ، وَذَلِكَ أَنَّ^(٣) الظَّالِمَ إِنَّمَا يَظْلِمُ غَيْرَهُ لِيَزْدَادَ إِلَى عِزِّهِ^(٤) عِزَّةً بِظُلْمِهِ إِيَّاهُ ، وَإِلَى سُلْطَانِهِ سُلْطَانًا ، أَوْ^(٥) إِلَى مُلْكِهِ مُلْكًا ؛^(٦) أَوْ إِلَى نَقْصَانٍ^(٧) فِي بَعْضِ أَسْبَابِهِ ، يُتِمُّ بِهَا^(٨) ظَلَمَ غَيْرِهِ فِيهِ مَا كَانَ نَاقِصًا مِنْ أَسْبَابِهِ عَنِ التَّمَامِ ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ جَمِيعُ مَا بَيْنَ أَقْطَارِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، وَمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَا مَعْنَى لظُلْمِهِ أَحَدًا ، فَيَجُوزُ^(٩) أَنْ يَظْلِمَ شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَسْبَابِهِ شَيْءٌ نَاقِصٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَمَامٍ ، فَيَتِمُّ ذَلِكَ بِظُلْمِ غَيْرِهِ ، تَعَالَى اللَّهُ عُلُومًا كَبِيرًا . وَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاهُ عَقِيبَ قَوْلِهِ : ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ (١١٠) . وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ .

(١) فِي ص : « ثَبَّتَ » ، وَفِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ثَبَّتَ » ، وَفِي س : « تَثْبِيتَ » .

(٢) فِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جَنَّتِهِ » .

(٣) سَقَطَ مِنْ : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤) فِي م : « عِزَّتِهِ » .

(٥) فِي م : « وَ » .

(٦ - ٦) فِي م : « لِنَقْصَانٍ » .

(٧) فِي م : « بِمَا » .

(٨) فِي س : « فَلَا يَجُوزُ » .

واختَلَفَ أهلُ العَرَبِيَّةِ في وَجِهٍ تَكَرَّرَ اللهُ تَعَالَى ذَكَرُهُ اسْمُهُ مَعَ قَوْلِهِ : ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ . ظَاهِرًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ اسْمُهُ ظَاهِرًا مَعَ قَوْلِهِ : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ الْعَرَبِ : أَمَّا زَيْدٌ فَذَهَبَ زَيْدٌ . وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ ^(١) :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَمْسِكُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَغَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا
فَإُظْهِرَ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ .

وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفَةِ : لَيْسَ ذَلِكَ نَظِيرَ هَذَا الْبَيْتِ ؛ لِأَن مَوْضِعَ الْمَوْتِ الثَّانِي فِي الْبَيْتِ مَوْضِعُ كِنَايَةٍ ؛ لِأَنَّهُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي الْآيَةِ ؛ لِأَن قَوْلَهُ : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ . خَبَرٌ لَيْسَ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فِي شَيْءٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ ^(٢) مِنَ الْقَصَتَيْنِ مَفَارِقٌ مَعْنَاهَا مَعْنَى الْأُخْرَى ، مَكْتَفِيَةٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِنَفْسِهَا ، غَيْرُ مُحْتَاجَةٍ إِلَى الْأُخْرَى ، كَمَا ^(٣) قَالَ الشَّاعِرُ : لَا أَرَى الْمَوْتَ . مُحْتَاجٌ إِلَى تَمَامِ الْخَبَرِ عَنْهُ .

وَهَذَا الْقَوْلُ الثَّانِي عِنْدَنَا أَوَّلِي بِالصَّوَابِ ؛ لِأَن كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا تُوجَّهُ ^(٤) مَعَانِيهِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ إِلَى الشَّوَاذِّ مِنَ الْكَلَامِ وَالْمَعَانِي ، وَلَهُ فِي الْفَصِيحِ مِنَ الْمُنْطَقِ وَالظَّاهِرِ مِنَ الْمَعَانِي الْمَفْهُومِ وَجْهٌ صَحِيحٌ مُوجُودٌ .

(١) الْبَيْتُ لَعْدَى بْنِ زَيْدٍ ، كَمَا فِي أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١/ ٢٤٣ ، وَالْخَزَائِنَةِ ١/ ٣٨١ . وَنَسَبَهُ فِي الْكِتَابِ ١/ ٦٢ ، وَاللِّسَانِ (ن غ ص) إِلَى ابْنِهِ سَوَادَةَ . وَفِي نَسْخَةٍ مِنَ الْكِتَابِ : سَوَاد . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَعْدَى بْنُ زَيْدٍ ، فَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ص ٦٥ ، كَمَا فِي حَاشِيَةِ النُّكْتِ لِلْأَعْلَمِ ١/ ١٩٨ .

(٢) فِي ص ، ت ١ ، س : « وَاحِدٌ » .

(٣) كَذَا فِي النُّسَخِ ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ : « وَمَا » .

(٤) فِي م ، ت ٢ ، ت ٣ : « تَوَخَّذْ » ، وَفِي ت ١ ، س : « يُوْجَدْ » ، وَغَيْرُ مَنْقُوطَةٍ فِي ص . وَالْمُثَبَّتُ مَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

وأما قوله: ﴿وَلِإِيَّ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ . فإنه يعني تعالى ذكره : إلى الله مصيرُ أمرٍ جميع خلقه ؛ الصالح منهم والطالح ، والحسن والمسيء ، فيجازى كلّاً على قدرٍ استحقاقهم منه الجزاء ، بغير ظلم منه أحداً منهم .

القولُ في تأويلِ قوله جلّ ثناؤه : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويلِ قوله : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ؛ فقال بعضهم : هم الذين هاجروا مع رسول [٤٤٢/١] الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، وخاصة من أصحاب رسول الله ﷺ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن سيماء ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال في : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ . قال : هم الذين خرجوا معه من مكة^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابنُ عليّ^(٢) ، عن قيس ، عن سيماء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ . قال : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٥٥/١٢ ، وأحمد ٢٧٢/٤ (٢٤٦٣) ، والنسائي في الكبرى (١١٠٧٢) ، والطبراني (١٢٣٠٣) ، والحاكم ٢٩٤/٢ من طريق إسرائيل ، عن سيماء به .

(٢) في النسخ : « عطية » . وقد تقدم مراوًا .

قال عمرُ بنُ الخطابِ : لو شاءَ اللهُ لقال : أنتم . فكنا^(١) كلُّنا ، ولكن قال^(٢) : ﴿ كُنْتُمْ ﴾ . في خاصيةٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ومن صنعَ مثلَ صنيعِهِمْ^(٣) ، كانوا خيرَ أمةٍ أُخْرِجَت للناسِ ، يأْمُرُونَ بالمعروفِ وَيَنْهَوْنَ عن المنكرِ^(٤) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال عكرمةُ : نَزَلَتْ في ابنِ مسعودٍ وسالمٍ مولى أبي حذيفةَ وأبي بن كعبٍ ومعاذِ بنِ جبلٍ^(٥) .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا مصعبُ بنُ المقدم ، عن إسرائيلَ ، عن السديِّ ، عن حدَّثه ، قال عمرُ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت لِلنَّاسِ ﴾ . قال : تَكُونُ لأولنا ولا تَكُونُ لآخرنا^(٦) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ ، عن سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ ، عن سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت لِلنَّاسِ ﴾ . قال : هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة^(٧) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ ، قال : ذَكَرْنَا أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ قالَ في حَجَّةٍ حَجَّهَا ورَأَى مِنَ النَّاسِ رِعَةً سَيِّئَةً^(٨) ، فَقَرَأَ هَذِهِ : ﴿ كُنْتُمْ

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وكنا » .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ما صنعتم » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٧٠) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٣/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٦٩) من طريق إسرائيل به .

(٧) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٦٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٨) الرعة ههنا : الاحتشام والكف عن سوء الأدب ، أى : لم يحسنوا ذلك . النهاية ١٧٥ / ٥ .

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿١﴾ الآية . ثم قال : يا أيها الناس ، مَنْ سرّه أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَمُ^(١) الْأُمَّةِ ، فليؤدِّ شرطَ اللَّهِ مِنْهَا^(٢) .

٤٤/٤ / حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرُّ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قَالَ : هُمْ^(٣) أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً . يَعْنِي : وَكَانُوا هُمُ الرُّوَاةُ الدَّعَاةُ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِطَاعَتِهِمْ^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، إِذَا^(٥) كُنْتُمْ بِهَذِهِ الشُّرُوطِ الَّتِي وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهَا . فَكَانَ تَأْوِيلُ ذَلِكَ عَنْدَهُمْ : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، أُخْرِجُوا لِلنَّاسِ فِي زَمَانِكُمْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . يَقُولُ : عَلَى هَذَا الشَّرْطِ ؛ أَنْ تَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ . يَقُولُ : لِمَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^(٦) [الدخان : ٣٢] .

(١) فِي م : « تِلْكَ » ، وَفِي س : « هَذِهِ » .

(٢) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٦٣/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

(٣) سَقَطَ مِنْ : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤) تَقْدِمُ فِي ص ٦٦٢ .

(٥) فِي م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « إِذْ » .

(٦) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٦٤/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

(تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٤٣/٥)

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابنِ جريج ، عن مجاهدٍ قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قَالَ : يقول : كنتم خير الناس للناس ، على هذا الشرط ؛ أن تأمروا بالمعروفِ وتنهوا عن المنكرِ وتؤمنوا بالله . يقول : لمن بينَ ظَهْرِيه ، كقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ [الدخان : ٣٢] .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن سفيان ، عن ميسرة ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قَالَ : كنتم خير الناس للناس ، يجيئون بهم في السلاسلِ تُدْخِلُونَهُمْ ^(١) في الإسلام ^(٢) .

حَدَّثَنَا عُيَيْدُ بْنُ أَسْبَاطٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية في قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قَالَ : خيرُ الناس للناس ^(٣) .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ؛ لأنهم أكثر الأمم استجابةً للإسلام .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حُدِّثَ عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . قَالَ : لم تكن أمة أكثر استجابةً في الإسلام من هذه الأمة ، فمن ثم

(١) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فدخلوا بهم » ، وفي صحيح البخاري : « حتى يدخلوا » .
(٢) أخرجه البخاري (٤٥٥٧) ، والنسائي في الكبرى (١١٠٧١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٧١) ، والحاكم ٨٤/٤ من طريق سفيان به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٣/٣ (٣٩٧٥) من طريق عيسى بن موسى عن عطية به ، وعقب الأثر (٣٩٧٢) معلقاً . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى عبد بن حميد .

قال : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١) .

وقال بعضهم : عنى بذلك أنهم كانوا خير أمة أُخْرِجَتْ للناس .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عُبَادٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . قَالَ : قد كان ما تَسْمَعُ مِنَ الْخَيْرِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ . ٤٥/٤

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : كان الحسن يقول : نحن آخِزُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن ؛ وذلك أن يعقوب ابن إبراهيم حَدَّثَنِي قَالَ : ثنا ابنُ عليّ ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « أَلَا إِنَّكُمْ وَفَيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً ، أَنْتُمْ خَيْرُهَا ^(٢) » وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ ^(٣) » .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، [٤٢/١] ظ قَالَ : أَخْبَرَنَا

(١) بعدها في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وَاللَّهُ أَعْلَمُ » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٣/٣ (٣٩٧٣) من طريق ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب .

(٢) في ص ، م ، والمسند ، والمنتخب ، والموضع الثاني من سنن ابن ماجه : « آخرها » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الناس » .

والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٢٨٨) من طريق ابن عليّ به .

وأخرجه أحمد ٥/٣ ، ٥ (الميمية) ، والدارمي ٣١٣/٢ ، وعبد بن حميد (٤٠٩ - منتخب) ، وابن ماجه (٤٢٨٧) ، والطبراني ٤٢٢/١٩ (١٠٢٣) من طرق عن بهز به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

معمرٌ ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، أنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قَالَ : « أَنْتُمْ تُثَمِّنُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً ، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ » ^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ مُسِنِّدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ : « نَحْنُ نُكْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أُمَّةً ، نَحْنُ آخِرُهَا وَخَيْرُهَا » ^(٢) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : تَأْمُرُونَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْعَمَلِ بِشَرَائِعِهِ ، ﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . يَعْنِي : وَتَنْهَوْنَ عَنِ الشَّرِكِ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِ رَسُولِهِ ، وَعَنِ الْعَمَلِ بِمَا نَهَى عَنْهُ .

كَمَا حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . يَقُولُ : تَأْمُرُونَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ؛ أَنْ يَشْهَدُوا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَالْإِقْرَارُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَتُقَاتِلُونَهُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ أَعْظَمُ الْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالْمُنْكَرُ هُوَ التَّكْذِيبُ ، وَهُوَ أَنْكَرُ الْمُنْكَرِ ^(٣) .

وَأَصْلُ الْمَعْرُوفِ كُلُّ مَا كَانَ مَعْرُوفًا ^(٤) فَعَلُهُ ، جَمِيلًا مُسْتَحْسَنًا ^(٥) ، غَيْرَ مُسْتَقْبَحٍ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ طَاعَةُ اللَّهِ مَعْرُوفًا ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ وَلَا

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣٠ ، ومن طريقه الترمذی (٣٠٠١) ، والحاكم ٤/ ٨٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٣١ (٣٩٦٧) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٦٤ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٣٣ ، ٧٣٤ (٣٩٧٧ ، ٣٩٧٨) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦) ، من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٦٤ إلى ابن المنذر .

(٤ - ٥) في م : « فَعَلُهُ جَمِيلٌ مُسْتَحْسَنٌ » .

يَسْتَنْكِرُونَ فعلَهُ . وأصل المنكر ما أنكره الله ، ورأوه قبيحاً فعلهُ ، ولذلك سُمِّيَتْ معصيةُ الله منكرًا ؛ لأن أهل الإيمان بالله يَسْتَنْكِرُونَ فعلَهَا ، وَيَسْتَعْظِمُونَ رُكُوبَهَا . وقوله : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ . يعنى : وتُصَدِّقُونَ بالله ، فتُخْلِصُونَ له التوحيد والعبادة .

فإن سأل سائلُ فقال : وكيف قيل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ . وقد زعمت أن تأويل الآية أن هذه الأمة خيرُ الأمم التي مضت ، وإنما يقال : كنتم خير أمة . لقوم كانوا خيارًا فتغيروا عما كانوا عليه ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت إليه ، وإنما معناه : أنتم خير أمة . كما قيل : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾ [الأنفال : ٢٦] . وقد قال فى موضع آخر : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ ﴾ [الأعراف : ٨٦] ، فإدخال « كان » فى مثل هذا وإسقاطها بمعنى واحد ؛ لأن الكلام معروف معناه .

ولو قال أيضًا فى ذلك قائلٌ : ﴿ كُنْتُمْ ﴾ بمعنى التمام . كان تأويله : خُلِقْتُمْ خير أمة ، أو : وُجِدْتُمْ خير أمة ، كان معنى صحيحًا .

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى / ذلك : كنتم خير أمة عند الله فى اللوح المحفوظ ، أُخْرِجَتْ للناس .

والقولان الأولان اللذان قلنا أشبهُ بمعنى الخير الذى رَوَيْنَاهُ قَبْلُ .

وقال آخرون : معنى ذلك : كنتم خير أهل طريقة . وقال : الأئمة الطريقة .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : ولو صدق أهل التوراة والإنجيل ، من اليهود

والنصارى ، بمحمد ﷺ وما جاءهم به من عند الله ، ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ عند الله في عاجل دنياهم وأجل آخرتهم ، ﴿ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . يعنى : من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، المؤمنون المصدقون رسول الله ﷺ فيما جاءهم به من عند الله ، وهم عبد الله بن سلام وأخوه ، وثعلبة بن سعية^(١) وأخوه ، وأشباههم ممن آمنوا^(٢) بالله ، وصدقوا^(٣) برسوله محمد ﷺ ، واتبعوا ما جاءهم به من عند الله ، ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ يعنى : الخارجون عن دينهم ؛ وذلك أن من دين اليهود اتباع ما فى التوراة والتصديق بمحمد ﷺ ، ومن دين النصارى اتباع ما فى الإنجيل والتصديق به وبما فى التوراة ، وفى^(٤) الكتابين صفة محمد ﷺ ونعته ومبعثه ، وأنه نبي الله . وكلتا الفرقتين - أعنى اليهود والنصارى - مكذبة ، فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذى يدعون أنهم يدينون به ، الذى قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

وقال قتادة بما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ : ذم الله أكثر الناس^(٥) .

[١١/ظ] القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ .

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : لن يضركم^(٦) يا أهل الإيمان بالله

(١) فى م : « سعيد » . وينظر سيرة ابن هشام ٢/٢٣٨ ، ٢٤٥ .

(٢) فى ص ، ت ١ ، س : « آمن » .

(٣ - ٣) فى ص : « رسوله محمداً » .

(٤) بعده فى ص ، م : « كل » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٣٤ (٣٩٨٢) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦٤ إلى عبد بن حميد .

« من هنا تبدأ قطعة من مخطوط جامعة القرويين ولعلها الجزء الحادى عشر ، وسيجد القارئ أرقام صفحاتها بين معقوفين .

(٦) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يضرركم » .

ورسوله ، هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب شيئا ، بكفرهم وتكذيبهم نبيكم محمدا ﷺ ، ﴿إِلَّا أَذَىٰ﴾ . يعنى بذلك : ولكنهم يؤذونكم بشركهم وإسماعكم كفرهم ، وقولهم فى عيسى وأمه وعزير ، ودعائهم إياكم إلى الضلالة ، ولا يضروكم ^(١) بذلك .

وهذا من الاستثناء المنقطع الذى هو مخالف معنى ما قبله ، كما قيل : ما أشكى شيئا إلا خيرا . وهذه كلمة محكية عن العرب سماعا .
وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَىٰ﴾ . يقول : لن يضروكم إلا أذى تسمعونهم ^(٢) .

/حدَّثنا عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَىٰ﴾ . قال : أذى تسمعونهم ^(٣) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَىٰ﴾ . قال : إشارتهم فى عزير وعيسى والصلب ^(٤) .

حدَّثنى محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «يضروكم» .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٦٤ ، إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٣٤ عقب الأثر (٣٩٨٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٣٥ (٣٩٨٥) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

قوله : ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ الآية . قال : تَسْمَعُونَ مِنْهُمْ كَذِبًا عَلَى اللَّهِ ، يَدْعُونَكُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ^(١) .

القول فى تأويل قوله : ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ أَلَاذِبَارٌ ثُمَّ لَا يُضَرُّوكُمْ﴾ .

يَعْنَى بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاهُ^(٢) : وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يُهْزَمُوا عَنْكُمْ ، فَيُؤْلُوكُمْ أَدْبَارَهُمْ انْهَازًا .

فَقَوْلُهُ^(٣) : ﴿يُؤْلُوكُمُ الْأَذِبَارُ﴾ . كِنَايَةٌ عَنْ انْهَازِهِمْ ؛ لِأَنَّ الْمُنْهَزِمَ يُحَوَّلُ ظَهْرُهُ إِلَى قِرْنِهِ^(٤) الطَّالِبِ هَرَبًا إِلَى مَلْجَأٍ وَمَوْتِلٍ يَحِلُّ إِلَيْهِ مِنْهُ ، خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ ، وَالطَّالِبُ فِي أَثَرِهِ . فَذُبُرُ الْمَطْلُوبِ حِينَئِذٍ يَكُونُ مُحَاذَى وَجْهِ الطَّالِبِ الْهَازِمِ .

﴿ثُمَّ لَا يُضَرُّوكُمْ﴾ . يَعْنَى : ثُمَّ لَا يُنْصِرُهُمُ اللَّهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْكُمْ ؛ لِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِيمَانِكُمْ بِمَا آتَاكُمْ نَبِيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَلْقَى الرِّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ^(٥) ، فَأَيْدِكُمْ^(٦) أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِكُمْ . وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ نَبِيُّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ نَصْرَهُمْ عَلَى مَنْ كَفَرَبِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .

وَإِنَّمَا رَفَعَ قَوْلَهُ : ﴿ثُمَّ لَا يُضَرُّوكُمْ﴾ . وَقَدْ جَزَمَ قَوْلَهُ : [٢/١١] ﴿يُؤْلُوكُمُ الْأَذِبَارُ﴾ . عَلَى جَوَابِ الْجَزَاءِ ، ائْتِنَاكَمُ لِلْكَلامِ ؛ لِأَنَّ رُءُوسَ الْآيَاتِ قَبْلُهَا بِالنُّونِ ، فَأُلْحَقَ هَذِهِ بِهَا ، كَمَا قَالَ : ﴿وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات : ٣٦] . رَفَعًا ، وَقَدْ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٤/٣ (٣٩٨٤) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٢) بعده فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وَأَمَّا قَوْلُهُ » .

(٤) فى م : « جَهَةٌ » . وَالْقِرْنُ : الْكَفَّءُ وَالنَّظِيرُ فى الشَّجَاعَةِ وَالْحَرْبِ . اللَّسَانُ (ق ر ن) .

(٥) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قُلُوبِ » .

(٦) فى م : « كَائِدِكُمْ » .

قال فى موضع آخر^(١) : ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَؤُنْهُمْ﴾ [فاطر : ٣٦] . إذ لم يَكُنْ رَأْسَ آية .

القول فى تأويل قوله : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقَفُوا إِلَّا يُحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ .

يَعْنَى بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ : أُلْزِمُوا الذِّلَّةَ . والذِّلَّةُ الْفِعْلَةُ مِنَ الذَّلِّ .

وقد يَبَيِّنُ ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع^(٢) .

﴿أَيْنَ مَا تُثْقَفُوا﴾ . يعنى : حيثما لُفُّوا . يقولُ جَلَّ ثَنَاهُ : أُلْزِمَ الْيَهُودُ الْمَكْذُوبُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ الذِّلَّةَ أَيْنَمَا^(٣) كانوا مِنَ الْأَرْضِ ، وبأىِّ مكانٍ كانوا مِنْ بَقَاعِهَا ، مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ ، ﴿إِلَّا يُحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ .

كما حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا هُوذَةُ ، قال : ثنا عَوْفٌ ، عن الحسنِ فى قوله : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقَفُوا إِلَّا يُحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ . قال : أدركتهم هذه الأمة وإن المجوسَ لَتَجْبِيَهُمُ الْجَزِيَّةُ^(٤) .

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفى ، قال : ثنا عبادٌ ، عن ٤٨/٤ الحسنِ فى قوله : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقَفُوا إِلَّا يُحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ

(١) بعدها فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وقد قال » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٢٦/٢ .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أين » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٥/٣ (٣٩٨٧) من طريق هودة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

النَّاسِ ﴿١﴾ . قال : أذلَّهم الله ، فلا منعة لهم ، وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين ^(١) .

وأما الحبل الذي ذكره الله في هذا الموضع ، فإنه السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين ، وعلى أموالهم وذراريهم ، من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يثقنوا في بلاد الإسلام .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله جل وعز : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ ﴾ . قال : بعهد ، ﴿ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قال : بعهدهم ^(٢) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . يقول : إلا بعهد من الله وعهد من الناس .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله ^(٣) .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد ، عن عثمان بن غياث ^(٤) ، قال عكرمة : يقول : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قال : بعهد من الله وعهد من الناس ^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ (٣٩٨٨) من طريق أبي بكر الحنفي به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٧ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣٠ .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « عتاب » .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) معلقاً .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ ﴾ . يَقُولُ : إِلَّا بَعْهَدِ مِنَ اللَّهِ وَعْهَدِ مِنَ النَّاسِ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ ﴾ . يَقُولُ : إِلَّا بَعْهَدِ مِنَ اللَّهِ وَعْهَدِ مِنَ النَّاسِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا [٢/١١] أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ أَيْنَ مَا تُقْفَوُا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ ﴾ : فَهُوَ عَهْدٌ مِنَ اللَّهِ وَعْهَدٌ مِنَ النَّاسِ ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ : ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ﷺ . فَهُوَ الْمِيثَاقُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيْجٍ ، قَالَ : قَالَ مُجَاهِدٌ : ﴿ أَيْنَ مَا تُقْفَوُا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ ﴾ . قَالَ : بَعْهَدِ مِنَ اللَّهِ وَعْهَدِ مِنَ النَّاسِ لَهُمْ ^(٤) . قَالَ ابْنُ جَرِيْجٍ : وَقَالَ عَطَاءٌ : الْعَهْدُ حَبْلُ اللَّهِ ^(٥) .

حَدَّثَنِي يُونُسٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَيْنَ مَا تُقْفَوُا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ ﴾ . قَالَ : إِلَّا بَعْهَدِ ، وَهُمْ يَهُودٌ . قَالَ : وَالْحَبْلُ الْعَهْدُ . قَالَ : وَذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَتَتْهُ الْأَنْصَارُ فِي الْعَقَبَةِ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، إِنَّا قَاطِعُونَ فِيكَ حَبَالًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ . يَقُولُ : عَهْدًا . قَالَ : وَالْيَهُودُ لَا يَأْتُمُونَ فِي أَرْضٍ مِّنْ أَرْضِ اللَّهِ إِلَّا بِهَذَا الْحَبْلِ الَّذِي قَالَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ (٣٩٩٠ ، ٣٩٩١) من طريق هارون بن عترة عن أبيه عن ابن عباس ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٥٧ .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) معلقاً .

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وقرأ: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران : ٥٥]. قال : فليس بلدٌ فيه أحدٌ من النصارى إلا وهم فوق
يهودٍ في "شَرْقٍ ولا غَرْبٍ" ، هم في البلدانِ كُلِّها مُسْتَدْلُونَ ، قال الله :
﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف : ١٦٨]. قال : يهودٌ^(١).

٤٩/٤ /حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قال : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قال : ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال :
سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ . يقول : بعهدِ
مِنَ اللَّهِ وعهدِ مِنَ النَّاسِ^(٢).

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قال : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ، قال : أَخْبَرَنَا جَوَيْرُ ، عن
الضَّحَّاكِ مِثْلَهُ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَعْنَى الَّتِي جَلَبَ الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ
اللَّهِ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفَةِ : الَّتِي جَلَبَ الْبَاءُ فِي ذَلِكَ^(٣) فَعَلَّ مُضْمَرٌ قَدْ تَرِكَ
ذِكْرَهُ . قال : وَمَعْنَى الْكَلَامِ : ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا تُتَفَقَّهُوا إِلَّا أَنْ يَتَغَصِّمُوا بِحَبْلِ
مِنَ اللَّهِ . فَأُضْمِرَ ذَلِكَ . وَاسْتَشْهَدَ لِقَوْلِهِ ذَلِكَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ^(٤) :

رَأَيْتُنِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفَوَادِ^(٥) فَرُوقُ

(١ - ١) في ص ، ت ١ ، ت ٣ ، س : « فسوق ولا غيرهم » ، وفي ت ٢ : « فوق ولا غيرهم » .

(٢) ينظر ما تقدم في ص ٤٥٥ .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩١) معلقاً .

(٤) في ص : « بحبل فقال بعضهم ذلك » ، وفي م : « قوله بحبل » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قوله
بحبل فقال بعضهم في ذلك » .

(٥) هو حميد بن ثور الهلالي ، والبيت في ديوانه ص ٣٥ . ورواية البيت فيه هكذا :

فجئت بحبليها فردت مخافة إلى النفس روعاء الجنان فروق

(٦) روعاء الفؤاد : ذكية الفؤاد . ينظر اللسان (ر و ع) .

وقال : أراد : أَقْبَلْتُ بِحَبْلَيْهَا^(١) . وبقول الآخر^(٢) :

حَنَنْتِي حَايَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَائِلٌ^(٣) أَذْنُو^(٤) لَصِيدٍ
 قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مِنْ رَأْنِي - وَلَسْتُ مُقَيَّدًا - أَنِي بِقَيْدٍ^(٥)
 يريدُ : مقيدًا بَقَيْدٍ^(٦) .

فأوجب إعمالَ فعلٍ محذوفٍ وإظهارَ صليته^(٧) وهو متروكٌ .

وذلك في مذاهبِ العربيةِ ضعيفٌ ، ومن كلامِ العربِ بعيدٌ . وأما ما استشهدَ به لقوله من الأبياتِ ، فغيرُ دالٍّ على صحةِ دعواه ؛ لأن في قولِ الشاعرِ : رَأْتَنِي بِحَبْلَيْهَا . دلالةٌ بينةٌ في أنها رَأَتْهُ بالحبلِ مُمَسِّكًا . [٣ / ١١] ففي إخباره عنها أنها رَأَتْهُ بِحَبْلَيْهَا ، إخبارٌ منه أنها رَأَتْهُ مُمَسِّكًا بالحبلينِ ، فكان فيما ظهر من الكلامِ مُسْتَعْنَى عن ذكرِ الإمساكِ ، وكانت الباءُ صلةً^(٨) لقوله : رَأْتَنِي . كما^(٩) قولُ القائلِ : أَنَا بِاللَّهِ . مكتفٍ بنفسه ومعرفةُ السامعِ معناه ، أن تكونَ الباءُ محتاجةً إلى كلامٍ يكونُ لها جالباً غيرَ الذي ظهر ، وأن^(١٠) المعنى : أَنَا بِاللَّهِ مستعينٌ .

وقال بعضُ نحوِيّ البصرة : قوله : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ أَلَلَةٍ ﴾ . استثناءٌ

(١) في ص ، س : « بحبلها » .

(٢) هو أبو الطمحان القيني حنظلة بن الشرقى ، كما في المعمرين ص ٧٢ ، والمعاني الكبير ٣ / ١٢١٤ ، وقال أبو الفرج في الأغاني ٢ / ٣٥٧ : يقال : إنه لعدى بن زيد .

(٣) الخاتلة : مشى الصياد قليلا قليلا في خفية لئلا يسمع الصيد حسه . اللسان (خ ت ل) والبيت فيه .

(٤) في النسخ : « أحنو » . والمثبت من معاني القرآن للفراء ١ / ٢٣٠ ، فهذه مقاله ، وفي مصادر التخریج الأخرى : « يدنو » .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من معاني القرآن .

(٧) الصلة هنا : الجار والمجرور .

(٨) في م : « وصلة » .

(٩) بعده في م : « في » .

(١٠) بعده في الأصل ، ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كان » .

خارج من أول الكلام . قال : وليس ذلك بأشد من قوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ [مریم : ٦٢] .

٥٠/٤

/وقال آخرون من نحوئى الكوفة : هو استثناء متصل . والمعنى : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا . أى : بكل مكان ، إلا بموضع حبلى من الله . كما تقول : ضربت عليهم الذلة فى الأمكنة إلا فى هذا المكان .

وهذا أيضًا طلب الجز^(١) ، فأخطأ المفسر ، وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل ، ولو كان متصلًا كما زعم ، لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بحبلى من الله وحبلى من الناس غير مضروبة عليهم الذلة^(٢) . وليس ذلك صفة اليهود ؛ لأنهم أينما ثقفوا بحبلى من الله وحبلى من الناس ، أو بغير حبلى من الله وغير حبلى من الناس ، فالذلة مضروبة عليهم ، على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل^(٣) . فلو كان قوله : ﴿ إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحْبَلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾ . استثناء متصلًا ، لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بعهد وذمة ، ألا تكون الذلة مضروبة عليهم ، وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم ، وخلاف ما هم به من الصفة ، فقد تبين أيضًا بذلك فساد قول هذا القائل أيضًا .

ولكن القول عندنا أن الباء فى قوله : ﴿ إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ ﴾ . أذخلت لأن الكلام الذى قبل الاستثناء مقتضى فى المعنى الباء . وذلك أن^(٤) معنى قوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا ﴾ : ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا . ثم قال : ﴿ إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحْبَلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾ . على غير وجه الاتصال بالأول ، ولكنه على

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س : « الحق » . وهو من قولهم : إنك لتكثر الجز وتخطئ المفسر . مثل يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد . ينظر نهاية الأرب ١١ / ٣ ، ومجمع الأمثال ٩٦ / ١ .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المسكنة » .

(٣) فى ص ، ت ، ١ : « قبل » .

(٤) فى ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « هو » .

الانقطاع عنه ، ومعناه : ولكن قد ^(١) يُثَقَّفُونَ بحبلٍ مِنَ اللَّهِ وحبلٍ مِنَ النَّاسِ ، كما قيل : ﴿ وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً ﴾ [النساء : ٩٢] . فالخطأ وإن كان منصوباً بما عمل فيما قبل الاستثناء ، فليس قوله باستثناء متصل بالأول بمعنى : إلا خطأ فإن له قتله كذلك . ولكن معناه : ولكن قد يقتله خطأ . فكذلك قوله : ﴿ آيِنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ ﴾ . وإن كان الذى جلب الباء التى بعد ﴿ إِلَّا ﴾ الفعل الذى يَفْتَضِيها قبل ﴿ إِلَّا ﴾ ، فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذى قبله ، بمعنى أن القوم إذا لقوا فالذلة زائلة عنهم ، بل الذلة ثابتة لهم ^(١) بكل حال ، ولكن معناه ما بينا آنفاً .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَبَاءُ وَبِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا ﴾ [٣/١١] يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَبَاءُ وَبِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : وَتَحَمَّلُوا غَضَبَ اللَّهِ فانصرفوا به مستحقين . وقد بينا أصل ذلك بشواهده ، ومعنى المسكنة ، وأنها ذلُّ الفاقة والفقر وخشوعهما ، ومعنى الغضبِ مِنَ اللَّهِ ، فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ^(٢) .

وقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ . يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ ذَلِكَ ﴾ أى : بؤءهم الذى باءوا به من غضبِ اللَّهِ ، وضربِ الذلة عليهم ، بدل مما كانوا يكفرون بآياتِ اللَّهِ . يقول : مما كانوا يجحدون أعلامِ اللَّهِ وأدلته على صدقِ أنبيائه ، وما فرض عليهم من فرائضه ، ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢/٢٦ ، ٢٧ .

حَقٍّ ﴿١﴾ . يقول : وبما كانوا يَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَهُمْ وَرُسُلَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ ، اعتداءً على اللَّهِ ، وجراءةً عليه بالباطل ، وبغير حقٍّ استحقُّوا منهم القتل .

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ : أَلْزِمُوا الذِّلَّةَ بِأَيِّ مَكَانٍ لُقُّوا ، إِلَّا بِذِمَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَذِمَّةٍ مِنَ النَّاسِ ، وانصرفوا بغضبٍ مِنْ / اللَّهِ مُتَحَكِّمِيهِ ^(١) ، وَأَلْزِمُوا ذُلَّ الْفَاقَةِ وَخَشَوْعِ الْفَقْرِ ، بدلًا مما كانوا يَجْحَدُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَأَدْلِيَّتِهِ وَحُجَّتِهِ ، وَيَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ ظُلْمًا واعتداءً . ٥١/٤

القول في تأويل قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ ﴿١١٢﴾ .

يعنى ^(٢) تعالى ذكره : فعلنا بهم ذلك بكفرهم وقتلهم الأنبياء ومعصيتهم ربهم واعتدائهم أمره .

وقد بيَّنا معنى « الاعتداء » في غير موضع فيما مضى من كتابنا بما ^(٣) فيه الكفاية عن إعادته ^(٤) .

فَاعْلَمْ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ مَا فَعَلَ بِهِؤَلَاءِ الْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ؛ مِنْ إِحْلَالِ الذِّلَّةِ وَالْخِزْيِ بِهِمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا ، مَعَ مَا ذَخَّرَ لَهُمْ فِي الْآجِلِ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ وَأَلِيمِ الْعَذَابِ ، إِذْ تَعَدَّوْا حَدُّوَدَهُ وَاسْتَحْلَوْا مُحَارَمَهُ ؛ تَذَكُّرًا مِنْهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لَهُمْ ، وَتَنْبِيْهًا عَلَى مَوْضِعِ الْبَلَاءِ الَّذِي مِنْ قَبْلِهِ أُتُوا ، لِيُنَبِّهُوا وَيَذْكُرُوا ، وَعِظَةً مِنْهُ لَأُمَّتِنَا أَلَّا يَسْتَشْتُوا بِسُنَّتِهِمْ وَيَرْكَبُوا مِنْهَجَهُمْ ^(٥) ، فَيَسْلُكَ بِهِمْ مَسَالِكَهُمْ ، وَيُحِلَّ بِهِمْ مِنْ نَقَمِ اللَّهِ وَمِثْلَاتِهِ ^(٦) مَا أَحَلَّ بِهِمْ .

(١) في الأصل : « محتلميه » .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يقول » .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بما » .

(٤) ينظر ما تقدم في ٣٢/٢ .

(٥) في ص : « مناهجهم » ، وفي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « منهاجهم » .

(٦) في س : « بلائته » .

كما حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ : اجْتَنِبُوا الْمَعْصِيَةَ وَالْعُدْوَانَ ، فَإِنَّ بِهِمَا أَهْلِكَ مِنْ أَهْلِكَ مِنْ^(١) قَبْلِكُمْ مِنَ النَّاسِ^(٢) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (١١٣) .

[٤/١١] يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ : ليس فريقاً أهل الكتاب ؛ أهل الإيمان منهم والكفر ، سواء . يعنى بذلك أنهم غير متساوين^(٣) . يقول : ليسوا متعادلين ، ولكنهم متفاوتون فى الصلاح والفساد ، والخير والشر .

وإنما قيل : ﴿ لَيْسُوا^(٤) ﴾ ؛ لأن فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله فى قوله : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الفريقين عنده ؛ المؤمنة منهما والكافرة ، فقال : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ . أى : ليس هؤلاء سواء ؛ المؤمنون منهم والكافرون . ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل الكتاب ، ومدحهم وأثنى عليهم ، بعد ما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به ؛ من الهلع ونخب الجنان ، ومحالفة الذل والصغار ، وملازمة الفاقة والمسكنة ، وتحمل خزي الدنيا وفضيحة الآخرة ، فقال : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ . الآيات الثلاث إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) فى ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « المسلمين » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٣٣٧ (٣٩٩٩) من طريق يزيد به .

(٣) فى ت ، ٢ ، س : « متساوين » .

(٤) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « سواء » .

فَقَوْلُهُ ^(١) : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . مرفوعة بقوله : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ .

وقد توهم جماعة من نحوِّي الكوفة والبصرة والمتقدمين منهم في صناعتهم ^(٢) ، أن ما بعد ﴿ سَوَاءٌ ﴾ في هذا الموضع من قوله : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . ترجمة عن ﴿ سَوَاءٌ ﴾ وتفسير عنه ، بمعنى : لا يستوى من أهل الكتاب أمة قائمة يثلون آيات الله آناء الليل ، وأخرى كافرة . وزعموا أن ذكر الفرقة الأخرى ترك اكتفاءً بذكر إحدى الفرقتين ، وهي الأمة القائمة ، ومثله بقول أبي ذؤيب ^(٣) :

٥٢/٤ /عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لَأَمْرِهَا سَمِيعٌ فَمَا أَدْرَى أُرْشِدُ طِلَابُهَا
ولم يُقَلْ : أم غيرُ رشيدٍ . اكتفاءً بقوله : أُرْشِدُ . من ذكرٍ : أم غيرُ رشيدٍ . وبقول الآخر ^(٤) :

أَرَاكَ ^(٥) فَلَا أَدْرِي أَهَمَّ هَمَمْتُهُ وَذُو الْهَمِّ قَدَمًا خَاشِعٌ مُتَضَائِلٌ
وهو مع ذلك خطأ عندهم قول القائل المريد أن يقول : سواء أقممت أم قعدت : سواء أقممت أم قعدت :
سواء أقممت . حتى يقول : أم قعدت . وإنما يُجِيزُونَ حذفَ الثاني فيما كان من الكلام مكتفياً بواحد ، دون ما كان ناقصاً عن ذلك ، وذلك نحو : ما أبالي . أو : ما أدري . فأجازوا في ذلك : ما أبالي أقممت . وهم يريدون : ما أبالي أقممت أم قعدت . لا اكتفاءً : ما أبالي . بواحد ، وكذلك في ^(٦) : ما ^(٧) أدري . وأبوا الإجازة في

(١) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قوله » .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٣) تقدم تخريج البيت في ١/ ٣٤٤ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١/ ٢٣١ .

(٥) في م : « أزال » .

(٦) بعده في ت ٢ : « ما أبالي أو » .

(٧) بعده في الأصل : « لا » .

« سواء » ، مِنْ أَجْلِ نَقْصَانِهِ ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مَكْتَفٍ بِوَاحِدٍ . فَأَغْفَلُوا فِي تَوْجِيهِهِمْ قَوْلَهُ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . عَلَى مَا حَكَيْنَا عَنْهُمْ إِلَى مَا وَجَّهَهُ [٤/١١] إِلَيْهِ - مَذَاهِبُهُمْ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، إِذْ أَجَازُوا فِيهِ مِنَ الْحَذَفِ مَا هُوَ غَيْرُ جَائِزٍ عِنْدَهُمْ فِي الْكَلَامِ مَعَ « سواء » . وَأَخْطَأُوا تَأْوِيلَ الْآيَةِ ، فَ﴿ سَوَاءً ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَى التَّمَامِ وَالْإِكْتِفَاءِ ، لَا بِالْمَعْنَى الَّتِي تَأْوَلَهُ مَنْ حَكَيْنَا قَوْلَهُ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . الْآيَاتُ الثَّلَاثُ نَزَلَتْ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْيَهُودِ أَسْلَمُوا فَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ^(١) ، وَأُسَيْدُ بْنُ سَعْيَةَ ، وَأُسْدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودٍ مَعَهُمْ ، فَأَمَنُوا وَصَدَّقُوا ، وَرَغِبُوا فِي الْإِسْلَامِ ، وَتَنَحَّوْا^(٢) فِيهِ ، قَالَتْ أَجْبَارُ يَهُودَ وَأَهْلُ الْكُفْرِ مِنْهُمْ : مَا آمَنَ بِمُحَمَّدٍ وَلَا اتَّبَعَهُ إِلَّا أَسْرَارُنَا ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ خِيَارِنَا مَا تَزَكَّوْا / دِينَ آبَائِهِمْ وَذَهَبُوا إِلَى غَيْرِهِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ ٥٣/٤ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأُولَئِكَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾^(٣) .

(١) فِي ص ، ت ٢ ، س : « سَعِيد » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَنَحَّوْا » ، وَبَدَلُوا نَقَطَ فِي ص ، وَفِي ت ١ ، ت ٣ : « نَجَّوْا » ، وَفِي ت ٢ : « مَحَرَّوْا » ، وَفِي م ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ : « مَنَحُوا » ، وَفِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « رَسَخُوا » . وَتَنَحَّوْا فِيهِ : تَوَجَّهُوا لَهُ ، وَصَارُوا فِي نَاحِيَتِهِ ، وَقَصَدُوهُ . يَنْظُرُ النِّهَايَةُ ٣٠/٥ ، وَالتَّاجُ (ن ح و) .

(٣) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٥٥٧/١ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٣٧/٣ (٤٠٠٣) مِنْ طَرِيقِ سَلْمَةَ بِهِ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٦٤/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثنا يونسُ بْنُ^(١) بكيرٍ ، عن محمدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ :
ثَنَى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : ثَنَى سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، أَوْ عَكْرَمَةُ ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِنَحْوِهِ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ الآية . يَقُولُ : لَيْسَ كُلُّ الْقَوْمِ هَلَكٌ ، قَدْ كَانَ لِلَّهِ فِيهِمْ
بَقِيَّةٌ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ :
﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ سَلَامٍ أَخُوهُ ، وَسَعِيَةُ وَمُبَشَّرٌ ، وَأُسَيْدٌ
وَأَسَدٌ ابْنَا كَعْبٍ^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : لَيْسَ أَهْلُ الْكِتَابِ وَأُمَّةٌ مُحَمَّدٍ الْقَائِمَةُ بِحَقِّ اللَّهِ
سَوَاءً عِنْدَ اللَّهِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي
نجيحٍ ، عن الحسنِ بْنِ يَزِيدَ^(٥) الْعَجَلِيِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي
قَوْلِهِ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . قَالَ : لَا يَسْتَوِي أَهْلُ الْكِتَابِ

(١) فِي النسخ : « عَنْ » .

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ (١٣٨٨) مِنْ طَرِيقِ أَبِي كَرِيبٍ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ ٥٣٣/٢ - وَمِنْ طَرِيقِهِ
ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِهِ ١١٥/٢٩ - مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ بِهِ .

(٣) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٦٤/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ .

(٤) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٦٥/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

(٥) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أَبِي يَزِيدَ » ، وَفِي س : « أَبِي زَيْدٍ » . وَيَنْظُرُ التَّارِخُ الْكَبِيرُ ٣٠٨/٢ ،
وَالْمَرْجُحُ ٤٢/٣ .

وأمة محمد ﷺ^(١) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ الآية . يقول : ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الأمة التي هي قائمة^(٢) .

وقد بينا أن أولى [٥٠/١١] القولين بالصواب في ذلك قول من قال : قد تمت القصة عند قوله : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ . عن إخبار الله بأمر مؤمنى أهل الكتاب وأهل الكفر منهم ، وأن قوله : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . خبر مبتدأ عن مدح مؤمنهم ، ووصفهم بصفاتهم ، على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج . ويعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ : جماعة ثابتة على الحق . وقد دللنا على معنى « الأمة » فيما مضى ، بما أغتنى عن إعادته^(٣) .

وأما « القائمة » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ؛ فقال بعضهم : معناها العادلة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن منجابه : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . قال : عادلة^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٧/٣ (٤٠٠٠) من طريق ابن أبي نجيح به ، وستأتي بقيته في ص ٦٩٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٧/٣ (٤٠٠١) من طريق أحمد بن المفضل به ، وفيه : قاتنة لله .

(٣) ينظر ما تقدم في ٢٢٤/١ .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٥٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨٦/٢ (١٢٢٣) تحقيق حكمت

بشير ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى عبد بن حميد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنها قائمة على كتاب الله وما أمر به فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . يقول : قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . يقول : قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه ^(١) .

/حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ مَنِ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . يقول : أمة مهتدية ، قائمة على أمر الله ، لم تنزع عنه وتتركه ، كما تركه الآخرون وضيعوه ^(٢) .

٥٤/٤

وقال آخرون : بل معنى ﴿ قَائِمَةٌ ﴾ : مطيعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ الآية . يقول : ليس هؤلاء اليهود كمثلي هذه الأمة التي هي قائمة ^(٣) لله ، والقائمة ^(٤) المطيعة ^(٥) .

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس وقتادة ومن قال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٨/٣ (٤٠٠٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٨/٣ (٤٠٠٤ ، ٤٠٠٥) عن محمد بن سعد به .

(٣) في م ، وتفسير ابن أبي حاتم : « قائمة » .

(٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « القائمة » .

(٥) تقدم في الصفحة السابقة ، إلى قوله : قائمة .

بقولهما ، على ما روينا عنهم ، وإن كان سائر الأقوال الأخر متقاربة المعنى من معنى ما قاله ابن عباس وقادة في ذلك ، وذلك أن معنى قوله : ﴿ قَائِمَةٌ ﴾ : مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشرائع دينه ، بالعدل والطاعة ، وغير ذلك من أسباب الخير من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . ونظير ذلك الخبر الذي رواه النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم ركبوا سفينة » ^(١) . [١١ / ٥٥] ثم ضرب لهم مثلاً ، فالتائم على حدود الله هو الثابت على التمسك بما أمره الله به واجتناب ما نهاه الله عنه . فتأويل الكلام : من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله متمسكة به ، ثابتة على العمل بما فيه وبما ^(٢) سن لهم ^(٣) رسوله ﷺ .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ .

يعنى بقوله : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ : يقرءون كتاب الله آناء الليل . ويعنى بقوله : ﴿ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ : ما أنزل الله في كتابه من العبر والمواعظ . يقول : يَتْلُونَ ذلك آناء الليل ^(٤) فيتدبرونه ويتفكرون فيه .

وأما ﴿ آيَاتِ اللَّيْلِ ﴾ . فساعات الليل ، واحداً إنى ، كما قال الشاعر ^(٥) :

حُلُوٌّ وَمُرٌّ كَعَطْفِ الْقَدَحِ مِرَّتُهُ فى كُلِّ إِنْيِ حَدَاهُ ^(٦) اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ ^(٧)

(١) أخرجه الحميدى (٩١٩) ، وأحمد ٣١ / ٣٠ (١٨٣٦١) ، والبخارى (٢٤٩٣ ، ٢٦٨٦) ، والترمذى (٢١٧٣) .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وفى م : « ما » .

(٣) فى النسخ : « له » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

(٤) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يقول فى ساعات الليل » .

(٥) هو المنتخل الهذلى ، والبيت فى ديوان الهذليين ٣٥ / ٢ .

(٦) فى الأصل ، ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « من » .

(٧) فى م : « قضاة » .

(٨) كعطف القدح : يريد : طوى كما يطوى القدح . ومرثته : قتلته . يسرى فى كل ساحة من الليل =

وقد قيل إن واحد الآناء : إننى مقصورٌ ، كما واحد الأمعاء معى .
واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : تأويله : ساعات الليل .
كما قلنا .

ذكر من قال ذلك

٥٥/٤

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آَنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ : أى ساعات الليل^(١) .

حدثت عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : آناء الليل ساعاتُ الليل^(٢) .

حدثنا القاسمٌ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريج : قال عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ : سمعنا العرب تقولُ : آناء الليل ساعاتُ الليل .
وقال آخرون : آناء الليل جوفُ الليل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلٍ ، قال : ثنا أسباطٌ ، عن السدى : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آَنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ : أمّا ﴿ آَنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ : فجوفُ الليل^(٣) .
وقال آخرون : بل غنى بذلك قومٌ كانوا يُصلُّون العشاء الآخرة^(٤) .

= من هدايته . ينظر شرح أشعار الهذليين ١٢٨٣/٣ .

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٩/٣ عقب الأثر (٤٠١٣) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٩/٣ عقب الأثر (٤٠١٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٨/٣ عقب الأثر (٤٠١٠) من طريق عمرو ، عن أسباط به .

(٤) فى م : « الأخيرة » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ ^(١) الْعَجَلِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ ﴾ : صَلَاةُ الْعَتَمَةِ هُمْ يُصَلُّونَهَا ، وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا يُصَلِّيَهَا ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : ثَنَى يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زَخْرٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ ، عَنْ زُرَّارِ بْنِ حُبَيْشٍ ، [٦/١١] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : احْتَبَسَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، كَانَ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِهِ أَوْ نِسَائِهِ ، فَلَمْ يَأْتِنَا لَصَلَاةِ الْعِشَاءِ حَتَّى ذَهَبَ لَيْلٌ ، فَجَاءَ وَمَنَا الْمُصَلِّي وَمَنَا الْمُضْطَجِعُ ، فَبَشَّرْنَا وَقَالَ : « إِنَّهُ لَا يُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : ثنا عَلِيُّ بْنُ مَعْبُدٍ ، عَنْ أَبِي يَحْيَى الْخُرَاسَانِيُّ ، عَنْ نَصْرِ بْنِ طَرِيفٍ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ زُرَّارِ بْنِ حُبَيْشٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الْعِشَاءَ - يُرِيدُ الْعَتَمَةَ - فَقَالَ لَنَا : « مَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ يَنْتَظِرُ هَذِهِ الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْوَقْتِ غَيْرُكُمْ » . قَالَ :

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أَبِي يَزِيدَ » .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ ٣٠٨/٢ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٣٩/٣ (٤٠١٤) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٦٥/٢ إِلَى الْفَرَايِصِيِّ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذِرِ . وَتَقَدَّمَ أَوَّلُهُ فِي ص ٦٩٢ ، ٦٩٣ .

(٣) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وَ » .

(٤) أَخْرَجَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ ص ٨٨ مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (١٠٢٠٩) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيقَةِ ١٨٧/٤ مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ بِهِ .

(٥ - ٥) فِي س : « ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ » .

فَنَزَلَتْ : ﴿لَيْسُوا سَوَاءٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾^(١) .

وقال آخرون : بل غنى بذلك قوم كانوا يُصَلُّون فيما بين المغرب والعشاء .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، قال : / بلغني أنها نزلت - : ﴿لَيْسُوا سَوَاءٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾^(٢) - فيما بين المغرب والعشاء^(٣) .

٥٦/٤

وهذه الأقوال التي ذكرتها على اختلافها متقاربة المعاني ، وذلك أن الله تعالى ذكره وصف هؤلاء القوم بأنهم يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ في ساعات الليل ، وهي آناؤه ، وقد يكون تأليها في صلاة العشاء تألياً لها آناء الليل ، وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ، ومن تلاها جوف الليل ، فكلُّ تالٍ لها^(٤) ساعات الليل . غير أن أولى الأقوال بتأويل الآية قول من قال : غنى بذلك تلاوته^(٥) القرآن في صلاة العشاء ؛ لأنها صلاة لا يُصَلِّيها أحد من أهل الكتاب ، فوصف الله جل ثناؤه أمة محمد ﷺ بأنهم يُصَلُّونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله .

وأما قوله : ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ . فإن بعض أهل العربية^(٥) زعم أن معنى

(١) أخرجه أحمد ٣٠٤/٦ (٣٧٦٠) ، والنسائي في الكبرى (١١٠٧٣) ، والبخاري (٣٧٥) ، وأبو يعلى (٥٣٠٦) ، وابن أبي حاتم ٧٣٨/٣ (٤٠٠٨ ، ٤٠٠٩) ، وابن حبان (١٥٣٠) ، والواحدى في أسباب النزول ص ٨٧ ، ٨٨ من طريق عاصم به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٩/٣ (٤٠١٢) من طريق الثوري به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « له » .

(٤) في م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « تلاوة » .

(٥) هو الفراء في معاني القرآن ١/ ٢٣١ .

السجود في هذا الموضع اسم للصلاة لا للسجود ؛ لأن التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع ، فكأن معنى الكلام كان^(١) عنده : يتلون آيات الله آناء الليل وهم يُصلُّون .

وليس المعنى على ما ذهب إليه ، وإنما معنى الكلام : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم ، وهم مع ذلك يسجدون فيها . فالسجود هو السجود المعروف في الصلاة .

القول في تأويل قوله : ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ [١١/٦٦] وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ .

يعنى بقوله : ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ : يُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ وبالبعث بعد الممات ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ مُجَازِيهِمْ بأعمالهم ، وليسوا كالمشركين الذين يَجْحَدُونَ وحدانية الله ، وَيَعْبُدُونَ معه غيره ، وَيُكَذِّبُونَ بالبعث بعد الممات ، وَيُنْكِرُونَ المجازاة على الأعمال ، والثواب والعقاب .

وقوله : ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ . يقول : وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ورسوله وتصديق محمد^(٢) وما^(٣) جاءهم به . ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ . يَقُولُ : وَيَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وتكذيب محمد وما جاءهم به مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . يعنى بذلك أنهم ليسوا كاليهود والنصارى الذين يأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْكَفْرِ بِاللَّهِ وتكذيب محمد فيما جاءهم به ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وهو تصديق محمد فيما أتاهم به مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، ﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ . يقول : وَيَسْتَدِرُّونَ فَعَلَ الْخَيْرَاتِ ؛ خَشْيَةً أَنْ يَفُوتَهُمْ ذَلِكَ قَبْلَ مُعَاجَلَتِهِمْ مَنَآيَاهُمْ .

(١) سقط من : م ، ت ، ٢ ، ت ٣ .

(٢ - ٢) في الأصل : « بما » .

ثم أخبر جل ثناؤه أنَّ هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب ، هم من عداد الصالحين ؛ لأن من كان منهم فاسقاً قد باء بغضبٍ من الله ؛ لكفره بالله وآياته ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وعصيانه ربّه ، واعتدائه في حدوده .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفْتِكِ ﴾ (١١٥) .

٥٧/٤ / اختلفت القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة قراءة الكوفة : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ . بالياء ^(١) جميعاً ، ردّاً على صفة القوم الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم يأثرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

وقرأته عامة قراءة المدينة والحجاز وبعض قراءة الكوفة ، بالتاء في الحرفين جميعاً : (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ) ^(٢) . بمعنى : وما تفعلوا أنتم أيها المؤمنون من خير فلن يكفركموه ربكم .

وكان بعض قراءة أهل البصرة يري القراءتين في ذلك جائزاً بالياء والتاء في الحرفين . والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ . بالياء في الحرفين كليهما ، يعنى بذلك الخبر عن الأمة القائمة ، التالية آيات الله . وإنما اخترنا ذلك لأن ما قبل هذه الآية من الآيات خبر عنهم ، فالحاق هذه الآية - إذ كان لا دلالة فيها تدل على الانصراف عن صفيتهم - بمعاني الآيات

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص .

ينظر حجة القراءات ص ١٧٠ .

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو البصري وعاصم في رواية أبي بكر عنه . ينظر السبعة لابن

مجاهد ص ٢١٥ .

قَبْلَهَا أُولَى مِنْ صَرَفِهَا عَنْ مَعَانِي مَا قَبْلَهَا .

وبالذی اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ .

[٧/١١] حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ التَّغْلِبِيُّ ، قَالَ ثنا الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ ، قَالَ : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : بلغني عن ابن عباس أنه كان يقرؤهما جميعاً بالياء^(١) .

فتأويل الآية إذن على ما اخترنا من القراءة : وما تَفْعَلْ هذه الأمة من خير ، وتعمل من عملٍ لله فيه رضا ، فلن يكفّرهم الله ذلك . يعنى بذلك : فلن يُبْطِلَ اللهُ ثواب عملهم ذلك ، ولا يدعهم بغير جزاء منه لهم عليه ، ولكنه يُجْزِلُ لهم الثواب عليه ، ويُسْنِي^(٢) لهم الكرامة والجزاء .

وقد دللنا على معنى « الكفر » فيما مضى قبل بشواهد ، وأن أصله تغطية الشيء^(٣) . فكذا ذلك في قوله : ﴿ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ : فلن يُعْطَى على ما فعلوا من خير ، فيتركوا بغير مجازاة ، ولكنهم يُشْكِرُونَ على ما فعلوا من ذلك ، فيُجْزَلُ لهم الثواب منه .

وبنحو ما قلنا^(٤) من التأويل تأوّل مَنْ تأوّل ذلك من أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثنا يزيد بن زريع ، قال ثنا سعيد ، عن قتادة : (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ) . يقول : لن يُضَلَّ عنكم^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى المصنف .

(٢) يعنى : يزيد .

(٣) ينظر ما تقدم في ٢٦٢/١ .

(٤) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « في ذلك » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر ٦٥/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

حدثت عن عمار، قال : ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله^(١).

وأما قوله : ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْفِقِينَ﴾ . فإنه يقول تعالى ذكره : واللَّهُ ذو علمٍ بمن اتَّفاه بطاعته واجتنابِ معاصيه ، وحافظُ أعمالهم الصالحة حتى يُثيبهم عليها ، ويجازيهم بها ؛ تبشيراً منه لهم جلُّ ذكره في عاجلِ الدنيا ، وحضاً لهم على التمسكِ بالذي هم عليه من صالحِ الأخلاقِ التي ارتضاها لهم .

القول في تأويل قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١٦) .

/وهذا وعيدٌ من الله جل ثناؤه للأمة الأخرى الفاسقة من أهل الكتاب ، الذين أخبر عنهم بأنهم فاسقون ، وأنهم قد باءوا بغضبٍ منه ، ولمن كان من نُظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله ، وما جاء به محمد ﷺ من عند الله . يقول تعالى ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . يعنى : الذين جحدوا بُوءَ محمد ﷺ ، وكذبوا به ، وبما جاءهم به من عند الله ، ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ ، يعنى : لن تدفع أمواله التي جمعتها في الدنيا ، وأولاده الذين ربَّاهم فيها ، شيئاً من عقوبة الله يوم القيامة ، إن أخرها لهم إلى يوم القيامة ، ولا في الدنيا إن عجلها لهم فيها .

وإنما خصَّ أمواله وأولاده ؛ [٧/١١] لأن أولاد الرجل أقربُ أنسبائه إليه ، وهو على ماله أقدر^(٢) منه على مالٍ غيره ، وأمره فيه أجوزُ من أمره في مالٍ غيره ، فإذا لم يُغن عنه ولده لصليبه ، وماله الذى هو نافذُ الأمر فيه ، فغير ذلك من أقربائه وسائر

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٤٠/٣ (٤٠٢٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أقرب » .

أَنْسِبَائِهِ وَأَمْوَالِهِمْ ، أَبْعُدْ مِنْ أَنْ تُغْنِيَ عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .

ثم أخبر جلّ ذكره أنهم هم أهل النار الذين هم أهلها بقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ . وإنما جعلهم أصحابها ؛ لأنهم أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها ، كصاحب الرجل الذي لا يفارقه ، وقرينه الذي لا يُزايِلُه ، ثم وكّد ذلك بإخباره عنهم أنهم فيها خالدون : إِنَّ^(١) صُحْبَتَهُمْ إِيَّاهَا صَحْبَةٌ لَا انْقِطَاعَ لَهَا ، إِذْ كَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا يُفَارِقُ صَاحِبَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ ، وَيُزَايِلُهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ صَحْبَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ النَّارَ الَّتِي أَصْلُوهَا ، وَلَكِنَّهَا صَحْبَةٌ دَائِمَةٌ لَا نَهَايَةَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهَا ، وَمِمَّا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ .

القول في تأويل قوله : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : شَبَهُ مَا يُنْفِقُ الَّذِينَ كَفَرُوا - أَيْ : شَبَهُ مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ الْكَافِرُ مِنْ مَالِهِ ، فَيُعْطِيهِ مَنْ يُعْطِيهِ عَلَى وَجْهِ الْقُرْبَةِ إِلَى رَبِّهِ ، وَهُوَ لَوْحْدَانِيَّةُ اللَّهِ جَا حِدٌ ، وَلِحَمْدِ نَبِيِّهِ ﷺ مُكَذِّبٌ ، فِي أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ نَافِعِهِ مَعَ كُفْرِهِ ، وَأَنَّهُ مُضْمَحِلٌّ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ، ذَاهِبٌ بَعْدَ الَّذِي كَانَ يَرْجُو مِنْ عَائِدَةٍ نَفْعِهِ عَلَيْهِ - كَشَبِهِ ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ يعنى : فِيهَا^٢ بَرْدٌ شَدِيدٌ ، ﴿ أَصَابَتْ ﴾ هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا الْبَرْدُ الشَّدِيدُ : ﴿ حَرْثَ قَوْمٍ ﴾ . يعنى : زَرْعَ قَوْمٍ ، قَدْ أَمَلُوا إِدْرَاكَهُ ، وَرَجَّوْا رَيْعَهُ ، وَعَائِدَةَ نَفْعِهِ ، ﴿ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . يعنى : أَصْحَابَ الزَّرْعِ ، عَصَوْا اللَّهَ وَتَعَدَّوْا حَدُودَهُ ؛ ﴿ فَأَهْلَكَتْ ﴾ ، يَقُولُ : فَأَهْلَكَتِ الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا الصَّرُّ زَرْعَهُمْ ذَلِكَ ، بَعْدَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمَلِ ، وَرَجَاءِ عَائِدَةِ نَفْعِهِ عَلَيْهِمْ .

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢ - ٢) سقط من : م .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : فَكَذَلِكَ فَعَلَ اللَّهُ بِنَفْقَةِ الْكَافِرِ وَصِدْقَتِهِ فِي حَيَاتِهِ حِينَ يَلْقَاهُ ، يُنْطَلِ ثَوَابَهَا ، وَيُخَيِّبُ رَجَاءَهُ مِنْهَا .

وَخَرَجَ الْمَثَلُ لِلنَّفَقَةِ ، وَالْمَرَادُ بِالْمَثَلِ صَنِيعُ اللَّهِ بِالنَّفَقَةِ ، يُبَيِّنُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . فَهُوَ كَمَا قَدْ بَيَّنَّا فِي مَثَلِهِ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾ [البقرة : ١٧] . وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ : مَثَلُ إِطْطَالِ اللَّهِ أَجَرَ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ . وَإِنَّمَا جَازَا/ تَزَكُّ ذِكْرُ إِطْطَالِ اللَّهِ أَجَرَ ذَلِكَ لِدَلَالَةِ آخِرِ الْكَلَامِ ٥٩/٤ عَلَيْهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . وَلِمَعْرِفَةِ السَّامِعِ [٨/١١] ذَلِكَ مَعْنَاهُ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى « النَّفَقَةِ » الَّتِي ذَكَرَهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ النَّفَقَةُ الْمَعْرُوفَةُ فِي النَّاسِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . قَالَ : نَفَقَةُ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ^(٢) الَّذِي يَقُولُهُ بِلْسَانِهِ مِمَّا لَا يُصَدِّقُهُ قَلْبُهُ^(٣) .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣/ ٧٤١ (٤٠٢٤) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ بِهِ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر المنثور ٦٥/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٢) بَعْدَهُ فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « ذَلِكَ قَوْلُهُ » .

(٣) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٢ ، س : « بِقَلْبِهِ » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَى أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدْيِ : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ ﴾ . يَقُولُ : مَثَلُ مَا يُنْفِقُ ^(١) فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ كَمَثَلِ هَذَا الزَّرْعِ إِذَا زَرَعَهُ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ، فَأَصَابَتْهُ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ، أَصَابَتْهُ فَأَهْلَكَتَهُ . فَكَذَلِكَ أَنْفَقُوا ، فَأَهْلَكَهُمْ شِرْكُهُمْ ^(٢) .

وَقَدْ بَيَّنَّا أَوَّلَى ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَبْلُ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُنَا تَأْوِيلَ : ﴿ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . بِمَا فِيهِ الْكَفَايَةُ مِنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ^(٣) .

وَأَمَّا الصِّرُّ فَإِنَّهُ شِدَّةُ الْبَرْدِ ، وَذَلِكَ بِغُصُوفٍ مِنَ الشَّمَالِ فِي إِعْصَارِ الطَّلِّ وَالْأَنْدَاءِ ، فِي صَبِيحَةٍ مُغِيْمَةٍ ^(٤) بِعَقَبِ لَيْلَةٍ مُضْحِيَّةٍ .

كَمَا حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ غِيَاثٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ يَقُولُ : ﴿ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قَالَ : بَرْدٌ شَدِيدٌ ^(٥) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ جُرَيْجٍ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قَالَ : بَرْدٌ شَدِيدٌ وَزَمْهَرِيرٌ .

(١) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يَقُولُ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٤١/٣ (٤٠٢٨) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ مُفَضَّلٍ بِهِ .

(٣) يَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ٢١٦/٢ ، ٦٠٥/٣ .

(٤) فِي م : « مُعْتَمَةٌ » . وَمَعْنَى الْكَلَامِ فِي صَبِيحَةٍ لَا يَرَى فِيهَا شَمْسٍ مِنْ شِدَّةِ الدُّخَانِ ، تَعْقِبُ لَيْلَةَ انْقِشَاعِ عَنْهَا الْغَيْمِ . اللَّسَانُ (غ ي م ، ص ح و) .

(٥) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٤١/٣ عَقِبَ الْأَثَرِ (٤٠٢٥) مُعْلَقًا . (تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٤٥/٥)

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . يقولُ : بَرْدٌ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن سفيانَ ، عن هارونَ بنِ عنترةَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : الصَّرُّ البَرْدُ^(١) .

حَدَّثَنَا يَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . أى بَرْدٌ شديدٌ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبِيعِ مِثْلَهُ^(٣) .
حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن الشَّدْيِ : « الصَّرُّ » : البردُ^(٤) .

٦٠/٤ / حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنى أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . يقولُ : رِيحٌ فِيهَا بَرْدٌ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قَالَ : صِرٌّ بَارِدَةٌ أَهْلَكَتْ حَرَّهُمْ . قَالَ : وَالْعَرَبُ تَدْعُوهَا الضَّرِيبَ . تَأْتِي الرِّيحُ بَارِدَةً ، فَتُصْبِحُ ضَرِيبًا قَدْ اخْتَرَقَ الزَّرْعُ . تَقُولُ : ضُرِبَ اللَّيْلَةُ . أَصَابَهُ ضَرِيبٌ ، تِلْكَ الضَّرُّ الَّتِي أَصَابَتْهُ .

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٢٢ - تفسير) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ (٤٠٢٥) من طريق عنترة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الشديد » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا جُوزَيْعٌ ، عَنْ الضَّحَّاكِ : ﴿ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قَالَ : رِيحٌ فِيهَا بَرْدٌ ^(١) .

[٨/١١] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١١٧) .

يعنى بذلك جلّ ثناءه : وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم ، من إحباطه ثواب أعمالهم وإبطاله أجورها ؛ ظلماً منه لهم ، يعنى : وضْعاً منه لما فعل بهم من ذلك فى غير موضعه ، وعند غير أهله ، بل وضْع فعله ذلك فى موضعه ، وفعل بهم ما هم أهله ؛ لأن عملهم الذى عملوه لم يكن لله وهم له بالوحدانية دائنون ، ولأمره متبعون ، ولرسله مصدقون ، بل كان ذلك منهم وهم به مشركون ، ولأمره مخالفون ، ولرسله مكذبون ، بعد تقدّم منه إليهم أنه لا يقبل عملاً من عامل ، إلا مع إخلاص التوحيد له ، والإقرار بنبوة أنبيائه ، وتصديق ما جاءهم به ، وتوكيده الحُجَجَ بذلك عليهم ، فلم يكن بفعله ما فعل بمن كفر به ، وخالف أمره فى ذلك ، بعد الإعذار إليه ، من إحباط أجر ^(٢) عمله ، له ظالماً ، بل الكافر ^(٣) هو الظالم نفسه ، لإكسابها من معصية الله ، وخلاف أمره ، ما أوردها به نار جهنم ، وأصلها به سعي سقر .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ .

يعنى بذلك جل ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم ، ﴿ لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً ﴾ . يقول : لا تتخذوا أولياء وأصدقاء

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) معلقاً .

(٢) فى ص : « وفر » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وافر » .

(٣) بعده فى الأصل : « و » .

لأنفسِكُمْ ﴿مَنْ دُونِكُمْ﴾ . يقول : من دون أهل دينكم ومِلَّتِكُمْ . يعنى : من غير المؤمنين . وإنما جعل البطانةَ مَثَلًا لخليل الرجل ، فَشَبَّهَهُ بما ولى بطنه من ثيابه ؛ لحلوله ^(١) منه فى اطلاعِهِ على أسرارِهِ وما يَطْوِيهِ عن أبعادِهِ وكثيرٍ من أقارِبِهِ ، مَحِلٌّ ما ولى جَسَدَهُ من ثيابه .

فَنَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ به أن يتخذوا من الكفارِ به أَحِلَّاءَ وَأَصْفِيَاءَ ، ثم عَرَفَهُمْ ما هم عليه لهم مُنْطَبُونَ ، من الغشِّ والخيانةِ ، وَبُعَيْتَهُمْ ^(٢) إِيَّاهُم الْغَوَائِلَ ، مُحَذَّرَهُمْ بذلك منهم ومن ^(٣) مُخَالَتِهِمْ ، فقال تعالى ذكره : ﴿ لَا يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالًا ﴾ . يعنى : لا يستطيعونكم شَرًّا . من : أَلَوْتُ أَلُوْا . يقال : ما أَلَا فلانٌ كذا . أى : ما استطاع ، كما قال الشاعر ^(٤) :

٦١/٤ / جَهْرَاءُ لَا تَأْلُو إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ بَصَرًا وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِينِي
[٩/١١] يعنى : لا تستطيع عند الظهر إِبْصَارًا .

وإنما يعنى جلّ ذكره بقوله : ﴿ لَا يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالًا ﴾ . البطانة التى نهى المؤمنين عن اتخاذها من دونهم ، فقال : إن هذه البطانة لا تترككم طاقتها خَبَالًا . أى : لا تَدْعُ جهدها فيما أورتكم الخبال .

وأصلُ الخَبَلِ والخَبَالِ الفسادُ ، ثم يُسْتَعْمَلُ فى معانٍ كثيرة ، يَدُلُّ على ذلك الخبرُ عن النبىِّ ﷺ : « مَنْ أُصِيبَ بِخَبَلٍ أَوْ جِرَاحٍ » ^(٥) .

(١) فى الأصل : « لِحلوله » .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بغيهم » .

(٣) فى الأصل : « عن » .

(٤) هو أبو العيال الهذلى ، والبيت فى ديوان الهذليين ٢/٢٦٣ .

(٥) أخرجه أحمد ٢٦٦/٢٦٩٦ ، ٢٩٧ (١٦٣٧٥) ، والدارمى ١٨٨/٢ ، وأبو داود (٤٤٩٦) ، وابن ماجه

(٢٦٢٣) من حديث أبى شريح الخزاعى .

وأما قوله: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ . فإنه يعنى : ودُّوا عَنَتَكُمْ . يقول : يَتَمَنُّونَ لكم الغَتَّ والشرَّ فى دينكم ، وما يسوءكم ولا يشترُّكم .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين كانوا يُخالِطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم ، ويُصافونهم المودَّة ، بالأسباب التى كانت بينهم فى جاهليتهم قبل الإسلام ، فنَّهاهم الله عن ذلك ، وأن يَشْتَنِّصِحُوهم فى شىء من أمورهم .

ذكر "الخبر بذلك"

حدثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن محمد بنِ إسحاق ، قال : قال محمدُ ابنُ أبى محمدٍ ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بنِ جبَّير ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان رجالٌ من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود ؛ لما كان بينهم من الجوارِ والحلفِ فى الجاهلية ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ، يَنْهاهم عن مُباطَنتِهِمْ ؛ تَخَوُّفَ الفتنةِ عليهم منهم : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ . إلى قوله : ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ ^(١) .

حدثنى محمد بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجِيجٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ الله تبارك وتعالى : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ : فى المنافقين من أهلِ المدينة ، نهى الله جل ثناؤه المؤمنين أن يَتَوَلَّوهم ^(٢) .

(١ - ١) فى ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « من قال ذلك » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٥٨/١ ، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٨٨ عن ابن عباس معلقاً ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٣/٣ (٤٠٣٧) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد قوله . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٨ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٢/٣ (٤٠٣٤) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ : نَهَى اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَدْخِلُوا الْمُنَافِقِينَ أَوْ يُؤَاخَوْهُمْ ، أَوْ ^(١) يَتَوَلَّوْهُمْ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ لَا تَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّنْ دُونِكُمْ ﴾ : هُمُ الْمُنَافِقُونَ ^(٣) .

٦٢/٤ / حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ . يَقُولُ : لَا تَسْتَدْخِلُوا الْمُنَافِقِينَ ، فَتَوَلَّوْهُمْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٤) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَيَعْقُوبُ بْنُ إِسْرَاهِيمَ ، قَالَا : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشِبٍ ، عَنْ الْأَزْهَرِ بْنِ رَاشِدٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَسْتَضِيئُوا بِنَارِ أَهْلِ الشُّرْكِ ، وَلَا تَنْتَقِسُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ عَرِيئًا » . [٩/١١] ظ قَالَ : فَلَمْ يَذَرُوا مَا ذَلِكَ حَتَّى أَتَوْا الْحَسَنَ فَسَأَلُوهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، أَمَا قَوْلُهُ : « لَا تَنْتَقِسُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ عَرِيئًا » . فَإِنَّهُ يَقُولُ : لَا تَنْتَقِسُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ مُحَمَّدًا . وَأَمَا قَوْلُهُ : « وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِنَارِ أَهْلِ الشُّرْكِ » . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ الْمَشْرُكِينَ ، يَقُولُ لَا تَسْتَشِيرُوهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِكُمْ . قَالَ : وَقَالَ الْحَسَنُ : وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ . ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّنْ دُونِكُمْ ﴾ ^(٥) .

(١) فِي ص ، ت ٢ : « أَنْ » ، وَفِي م ، ت ١ ، س : « أَيْ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٤٣/٣ (٤٠٣٥) مِنْ طَرِيقِ شَيْبَانَ ، عَنْ قَتَادَةَ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٤٢/٣ (٤٠٣٣) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ بِهِ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٤٣/٣ عَقِبَ الْأَثَرِ (٤٠٣٥) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ ،

(٥) أَخْرَجَهُ بِتَمَامِهِ أَبُو يَعْلَى - كَمَا فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ ٨٩/٢ ، وَمُسَدَّدٌ - كَمَا فِي الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ

(٢٤٧٩) - وَابِیْهَقَى ١٢٧/١٠ ، وَفِي الشَّعْبِ (٩٣٧٥) مِنْ طَرِيقِ هُشَيْمٍ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ =

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا [٤٤٧/١] أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أسباط ، عن الشَّدِّيِّ : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ : أما البِطَانَةُ ، فهم المنافقون ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قوله : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ الآية . قال : لَا يَسْتَدْخِلُ الْمُؤْمِنُ الْمُنَافِقَ دُونَ أَخِيهِ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ الآية . قال : هؤلاء المنافقون ، وقرأ قوله : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ الآية .

واختلفوا في تأويلِ قوله : ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معناه : ودُّوا ما ضَلَلْتُمْ عن دينكم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أسباط ، عن الشَّدِّيِّ : ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . يقول : ما ضَلَلْتُمْ ^(٢) .

وقال آخرون بما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . يقول : في دينكم ، يعني أنهم يودُّون أن تَغْتَوُوا في دينكم .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . فجاء بالخبرِ عن البِطَانَةِ

= ١٨/١٩ (١١٩٥٤) ، والنسائي (٥٢٢٤) وغيرهما من طريق هشيم به - بدون ذكر تفسير الحسن

- وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٣/٣ عقب الأثر (٤٠٣٥) من طريق عمرو بن حماد ، أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٣/٣ (٤٠٤٠) من طريق أسباط به .

بلفظ الماضي في محل الحال والقطع ، بعد تمام الخبر ، والحالات لا تكون إلا بصور الأسماء أو الأفعال المستقبلية ، دون الماضية منها ؟

قيل : ليس الأمر في ذلك على ما ظننت من أن قوله : ﴿ وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ ﴾ حال للبطانة^(١) ، وإنما هو خبر عنهم ثانٍ ، منقطع عن الأول ، غير متصّل به .

ولما تأويل الكلام : يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً صفتهم كذا ، صفتهم كذا . فالخبر عن الصفة الثانية غير متصّل بالصفة الأولى ، وإن كانتا جميعاً من صفة شخص واحد .

٦٣/٤ /وقد زعم بعض أهل العربية أن قوله : ﴿ وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . من صلة البطانة ،^(٢) وأن معنى ذلك : لا تتخذوا بطانةً ودُّوا - أى : أحبُّوا - ما عنيتهم .

وليس لهذا القول الذي قاله صاحب هذه المقالة وجه معروف ؛ وذلك أن البطانة^(٣) قد وصلت بقوله : ﴿ لَا يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالًا ﴾ . فلا وجه لصلة أخرى بعد تمام البطانة بصلته ، ولكن القول في ذلك كما بيّنا قبل من أن قوله : ﴿ وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . خبر مبتدأ عن البطانة غير الخبر الأول ، وغير حالٍ من البطانة ولا قطع منها .

القول في تأويل قوله : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : قد بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيّها المؤمنون أن تتخذوهم [١٠/١١] بطانةً من دونكم ، لكم بأفواههم ، يعنى : بالسنتهم ، والذي بدا لهم منهم بالسنتهم ، إقامتهم على كفرهم ، وعداوتهم من خالف ما هم عليه مقيمون من الضلالة ، فذلك من أوكيد الأسباب في معاداتهم أهل الإيمان ؛ لأن ذلك

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « من البطانة » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، وفي م : « و » .

عداوة على الدين ، والعداوة على الدين العداوة التي لا زوال لها إلا بانتقال أحد المتعاديين إلى ملة الآخر منهما ، وذلك انتقال من هدى إلى ضلالة ، كانت عند المنتقل إليها ضلالة قبل ذلك ، فكان في إبدائهم ذلك للمؤمنين ومقامهم عليه ، أثبت الدلالة لأهل الإيمان على ما هم عليه لهم ^(١) من البغضاء والعداوة .

وقد قال بعضهم : معنى قوله : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ : قد بدت بغضاؤهم لأهل الإيمان إلى أوليائهم من المنافقين وأهل الكفر ، بإطلاع بعضهم بعضا على ذلك .

وزعم قائلو هذه المقالة أن الذين غنوا بهذه الآية أهل النفاق ، دون من كان مضربا بالكفر من اليهود وأهل الشرك .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ . يقول : قد بدت البغضاء من أفواه المنافقين إلى إخوانهم من الكفار ، من غشهم للإسلام وأهله ، وبغضهم إياهم ^(٢) .

حدثنا عن عمارة ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ . يقول : من أفواه المنافقين ^(٣) .

وهذا القول الذي ذكرناه عن قتادة قول لا معنى له ، وذلك أن الله تعالى ذكره إنما نهى المؤمنين أن يتخذوا بطانة من قد عرفوه بالغش للإسلام وأهله والبغضاء ؛ إما

(١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٤/٣ (٤٠٤٢) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٤/٣ عقب الأثر (٤٠٤٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

بأدلة ظاهرة دالة على أن ذلك من صفتهم ، وإما بإظهار الموصوفين بذلك العداوة والشئان وبالمناصبية لهم ، فأما من لم يُثبتوه ^(١) معرفة أنه الذي نهاهم الله عز وجل عن مخالته ومباطنته ، فغير جائز أن يكونوا نُهوا عن مخالته ومصادقته ، إلا بعد تعريفهم إياهم ، إما بأعيانهم وأسمائهم ، وإما بصفات قد عرفوهم بها .

وإذ كان ذلك كذلك ، وكان إبداء المنافقين بالسنتهم ما فى قلوبهم من بغضاء المؤمنين إلى إخوانهم من الكفار ، غير مُدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم ، مع إظهارهم الإيمان بالسنتهم لهم ، والتؤدد إليهم ، كان بيّنا أن الذى نهى الله المؤمنين عن اتّخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم ، هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بالسنتهم ، على ما وصفهم الله تبارك وتعالى به ، فعرفهم المؤمنون بالصفة التى نعتهم الله بها ، وأنهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ، ممن كان له ذمّة وعهد من رسول الله ﷺ وأصحابه ، من أهل الكتاب ؛ لأنهم لو كانوا المنافقين ، لكان الأمر فيهم على ما قد بيّنا ، ولو كانوا الكفار [١١/١٠] ممن قد ناصب المؤمنين الحرب ، لم يكن المؤمنون مُتّخذينهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم ، وافتراق أمصارهم ، ولكنهم الذين كانوا يبين أظهُر دُور ^(٢) المؤمنين من أهل الكتاب ، أيام رسول الله ﷺ ، ممن كان له من رسول الله ﷺ عهد وعقد ، من يهود بنى إسرائيل .

٦٤/٤

والبغضاء مصدر ، وقد ذكر أنها فى قراءة ابن مسعود ^(٣) : (قَدْ بَدَأَ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهِهِمْ) . على وجه التذكير ، وإنما جاز ذلك بالتذكير وَلَفْظُهُ لَفْظُ الْمُؤْنِثِ ؛ لأن المصادر تأنثها ليس بالتأنيث اللازم ، فيجوزُ تذكير ما خرج منها على لفظ

(١) لم يثبتوه : لم يعرفوه حق المعرفة .

(٢) سقط من : م .

(٣) معانى القرآن للقرآن ١ / ٢٣١ ، البحر المحيط ٣ / ٣٨ .

المؤث وتأنيثه ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ [هود : ٦٧] . وكما قال : ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥٧] .
وفى موضع آخر : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ [هود : ٩٤] ، و ﴿ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٧٣ ، ٨٥] .

وقال : ﴿ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ وإنما بدا ما بدا من البغضاء منهم ^(١) بالسنتهم ؛ لأن المعنى به الكلام الذى ظهر للمؤمنين منهم من أفواههم ، فقال : قد بدت البغضاء بالسنتهم من أفواههم .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بذلك : والذى تُخْفِي ﴿ صُدُورُهُمْ ﴾ . يعنى : صدور هؤلاء الذين نهاهم عن اتخاذهم بطانة ، فتخفيهم ^(١) عنكم أيها المؤمنون ، ﴿ أَكْبَرُ ﴾ . يقول : أكبر مما قد بدا لكم بالسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ . يقول : وما تخفى صدورهم أكبر مما قد أبدوا بالسنتهم ^(٢) .

حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ . يقول : ما تكفى صدورهم أكبر مما قد أبدوا بالسنتهم ^(٣) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : قد بينا لكم أيها المؤمنون ﴿ الْآيَاتِ ﴾ . يعنى بالآيات

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) فى م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فتخفيه » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٤/٣ (٤٠٤٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

العَبْرَ . يَقُولُ : قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ نَهَيْناكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ بِطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا تَغْتَابُونَ وَتَتَعَظُونَ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿١١٨﴾ إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ ﴿١١٩﴾ . يَعْنِي : إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَنِ اللَّهِ مَوَاعِظَهُ ، وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ، وَتَعْرِفُونَ مَوَاقِعَ نَفْعِ ذَلِكَ مِنْكُمْ ، وَمَبْلَغَ عَائِدَتِهِ عَلَيْكُمْ .

[١١/١١] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ هَآأَنْتُمْ أَوْلَآءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ .

يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : هَآ أَنْتُمْ أَهْلُهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ﴿ يُحِبُّونَهُمْ ﴾ . يَقُولُ : تُحِبُّونَ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارَ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ / عَنْ اتِّخَاذِهِمْ بِطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَتَوَدُّونَهُمْ وَتُؤَاصِلُونَهُمْ ، وَهُمْ لَا يُحِبُّونَكُمْ ، بَلْ يَنْطَلِقُونَ ^(١) لَكُمْ عَلَى ^(٢) الْعَدَاوَةِ وَالْغِشِّ ، ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ . ٦٥/٤

وَمَعْنَى الْكِتَابِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنَى الْجَمْعِ ، كَمَا يَقَالُ : كَثُرَ الدُّرَاهِمُ فِي أَيْدِي النَّاسِ . بِمَعْنَى : الدُّرَاهِمُ . فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ « إِنَّمَا مَعْنَاهُ : بِالْكِتَابِ كُلِّهَا ؛ كِتَابِكُمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْكُمْ ، وَكِتَابِهِمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ عَلَى عِبَادِهِ .

يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : فَأَنْتُمْ - إِذْ كُنْتُمْ أَهْلُهَا الْمُؤْمِنُونَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهَا ، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ عَنْ أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ، كَفَّارٌ بِذَلِكَ كُلُّهُ ؛ بِجُحُودِهِمْ ^(٣) مَا فِي ^(٣) ذَلِكَ كُلُّهُ ، مِنْ عَهْدِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ ، وَتَبْدِيلِهِمْ مَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ - أَوْلَى بِعَدَاوَتِكُمْ إِيَّاهُمْ ، وَبِغَضَائِهِمْ وَغِشِّهِمْ ، مِنْهُمْ بِعَدَاوَتِكُمْ وَبِغَضَائِكُمْ ، مَعَ جُحُودِهِمْ بَعْضَ الْكِتَابِ ، وَتَكْذِيبِهِمْ بَعْضَهَا .

(١) فِي م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يَنْتَظِرُونَ » ، وَفِي ت ١ : « يَنْظُرُونَ » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ م ، س ، وَفِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فِي » .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، عن محمدِ بنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثنى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عن عِكْرَمَةَ ، أو عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ . أى : بكتَابِكُمْ وكتَابِهِمْ ، وبما مَضَى من الكتبِ قبلَ ذلك ، وهم يكفرون بكتَابِكُمْ ، فأنتم أحقُّ بالبغضاءِ لهم ، منهم لكم ^(١) .

وقال : ﴿ هَآتَيْتُمْ أَولَاءَ ﴾ . ولم يَقُلْ : هؤلاء ^(٢) أنتم . فَفَرَّقَ بَيْنَ « هَا » و « أولاءِ » ، بكتاية اسمِ المخاطَبين ؛ لأنَّ العربَ كذلك تفعلُ فى « هَذَا » ، إذا أرادت به التَّقْرِيبَ ومَذْهَبَ التَّقْصَانِ الذى يَحْتَاجُ إلى تَمَامِ الخبرِ ، وذلك مثلُ أن يَقَالَ لبعضِهِمْ : أين أنت ؟ فيجيبُ المَقُولُ ذلك له : هَا أَنَا ذَا . فَتَفَرَّقَ بَيْنَ التَّنْبِيهِ ، و « ذَا » ^(٣) بِمَكْنَى اسمِ نَفْسِهِ ، ولا يكادون يقولون : هَذَا أَنَا . ثم يُثْنَى وَيُجْمَعُ على ذلك ، وربما أعادوا حرفَ التَّنْبِيهِ مع « ذَا » ، فقالوا : هَا أَنَا هَذَا . ولا يفعلون ذلك إلا فيما كان تقريبًا ، فأما إذا كان على غيرِ التَّقْرِيبِ والنَّقْصَانِ ، قالوا : هَذَا هُوَ ، وهذا أنت . وكذلك يفعلون مع الأسماءِ الظَّاهِرَةِ ، يقولون : هَذَا عَمْرُو قَائِمًا وَإِنْ كَانَ « هَذَا » تَقْرِيبًا . وإنما فعلوا ذلك فى المَكْنَى مع التَّقْرِيبِ ؛ تَفَرُّقًا بَيْنَ « هَذَا » إذا كان بمعنى الناقصِ الذى يَحْتَاجُ إلى تَمَامٍ ، وبَيْنَهُ إذا كان بمعنى الاسمِ الصَّحِيحِ .

وقوله : ﴿ تُحِبُّونَهُمْ ﴾ خبرٌ للتَّقْرِيبِ .

وفى هذه الآيةِ إِبَانَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ عن حالِ الْفَرِيقَيْنِ - أعنى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ - وَرَحْمَةٌ أَهْلِ [١١/١١] الْإِيمَانِ وَرَأْفَتُهُمْ بِأَهْلِ الْخِلَافِ لَهُمْ ، وَقِسَاوَةِ قُلُوبِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَغِلْظَتِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ .

(١) سيرة ابن هشام ٥٥٨/١ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) فى الأصل ، ص ، ت ، ١ : « هَذَا » .

(٣) فى الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أولاءِ » .

كما حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ هَآأَنَآمُ أَوْلَآءَ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَآكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِآلِآَنَآبِ كُلِّهِ ﴾ : فوالله ، إن المؤمنَ لَيَحِبُّ الْمُنَآفِقَ ، وَيَأْوِيْ لَهُ وَيَرْحَمُهُ ، ولو أن المنافقَ يَقْدِرُ على ما يَقْدِرُ عليه المؤمنُ منه ، لأَبَادَ خَضِرَاءَهُ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : المؤمنُ خَيْرٌ لِلْمُنَآفِقِ مِنَ الْمُنَآفِقِ لِلْمُؤْمِنِ ، يَرْحَمُهُ ، ولو يَقْدِرُ الْمُنَآفِقُ مِنَ الْمُؤْمِنِ على مثلِ ما يَقْدِرُ الْمُؤْمِنُ عليه منه ، لأَبَادَ خَضِرَاءَهُ ^(٢) .

وكان مجاهدٌ يقولُ : نزلت هذه الآيةُ فى المنافقين .

٦٦/٤ / حَدَّثَنِي بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ ^(٣) .

الْقَوْلُ فى تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه أن هؤلاء الذين نهى الله تبارك وتعالى المؤمنين أن يتخذوهم بطانةً من دونهم ، ووصفهم بصفيتهم ، إذا لقوا المؤمنين من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، أعطوهم بألسنتهم تَقِيَّةً ؛ حذراً على أنفسهم منهم ، فقالوا لهم : قد آمناً وصدّقنا بما جاء به محمدٌ . وإذا هم خَلَوْا فَصَارُوا فى خلَاءٍ حيث لا يَراهم المؤمنون ، عَضُّوا - على ما يَرون من ائتلافِ المؤمنين واجتماعِ كلميتهم وصلاحِ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٥/٣ (٤٠٤٧) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٨ .

ذات بينهم - أناملهم ، وهى أطراف أصابعهم ؛ تَعَيُّظًا مما بهم من المَوْجِدَةِ عليهم ،
وأسى على ظَهِرٍ يستندون إليه ؛ لمُكَاشَفَتِهِم العداوة ، ومُناجَزَتِهِم المُحاربة .
وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا
ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ ﴾ : إِذَا لَقُوا الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا : آمَنَّا . لَيْسَ
بِهِمْ إِلَّا مَخَافَةٌ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَصَانَعُوهُمْ بِذَلِكَ ، ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ
الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ . يَقُولُ : مِمَّا يَجِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغَيْظِ وَالْكَرَاهِيَةِ لِلَّذِي هُمْ
عَلَيْهِ ، لَوْ يَجِدُونَ رِيحًا ^(١) لَكَانُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، فَهُمْ كَمَا نَعَتَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبْعِ بِمَثَلِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ
قَالَ : مِنَ الْغَيْظِ لِكَرَاهِيَةِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَقُلْ : لَوْ يَجِدُونَ رِيحًا . وَمَا بَعْدَهُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : ثنا مُسْلِمٌ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ عَمْرِو
ابْنِ مَالِكٍ التُّكْرِيُّ ^(٤) ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : كَانَ أَبُو الْجَوَازِ إِذَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَإِذَا
لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ ﴾ : إِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ . قَالَ : هُمْ
الْإِبَاضِيَُّّةُ ^(٥) [١٢/١١] .

(١) الريح هنا بمعنى الغلبة والقوة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٤٦/٣ (٤٠٥٦) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٤٥/٣ عقب الأثر (٤٠٥٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « البكرى » . وينظر الأنساب ٥٢٢/٥ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٤٥/٣ ، ٧٤٦ (٤٠٥١ ، ٤٠٥٥) من طريق يحيى بن عمرو بن مالك به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

القول في تأويل قوله: ﴿الْأَنَامِلُ﴾

والأنامل جمع أَمْلَةٍ، ويقال: أَمْلَةٌ. وربما جُمِعَت أَمَلًا، قال الشاعر^(١):

أَوْفِيكَمَا^(٢) مَا بَلَّ خَلْقِي رِيقَتِي وَمَا حَمَلَتْ كَفَّائِي أَمْلِي الْعَشْرَا
وهي أطراف الأصابع.

كما حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: الأنامل أطراف الأصابع^(٣).

٦٧/٤ / حَدَّثَنَا عَنْ عَمَّارٍ،^(٤) عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ^(٥).

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قال: ثنا أحمدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قال: ثنا أسباط، عن الشَّدِيِّ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾: الأصابع^(٦).

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل،^(٧) عن أبي إسحاق^(٨)، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قوله: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْفَيْطِ﴾. قال: عَضُّوا

= والإباضية: فرقة من الخوارج، وهم أصحاب عبد الله بن إباض التميمي، الذي خرج في أيام مروان بن محمد، ومن معتقداتهم أن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناحتهم جائزة، وموارثهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، ودار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان، فإنه دار بغى، ومرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون. ينظر الملل والنحل ١/ ٢٤٤.

(١) البيت في اللسان والتاج (ك ف ف).

(٢) في الأصل: «أودبكما»، وفي ص: «أودكها»، وفي م: «أودكما»، وفي ت ١: «أودسكها»، وفي ت ٢: «أودفكما»، وفي س: «أوذيلها». والمثبت موافق لما في اللسان والتاج، وما في هذه النسخ تحريف عنه.

(٣) ذكره ابن كثير ٩٠/٢.

(٤ - ٥) في الأصل: «قال: ثنا أبو».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٦/٣ عقب الأثر (٤٠٥٤) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٦/٣ عقب الأثر (٤٠٥٤) من طريق عمرو عن أسباط به.

(٧ - ٨) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س. وينظر تهذيب الكمال ١٠٢/٢٢.

على أصابعهم^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ مَوْتُوُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١١٩) .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت لك صفتهم ، وأخبرتكم أنهم إذا لقوا أصحابك قالوا : آمناً . وإذا خلوا عَصُوا عليكم الأنامل من الغيظ - ﴿ مَوْتُوُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ .^(٢) أى : موتوا بالغَيْظ^(٣) الذى بكم على المؤمنين ؛ لاجتماع كلمتهم ، واثناف جماعتهم .

وخرج هذا الكلام مخرج الأمر ، وهو دعاء من الله تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ بأن يدعوا عليهم بأن يهلكهم الله عز وجل كمدًا مما بهم من الغيظ على المؤمنين ، قبل أن يزوا فيهم ما يتمنون لهم من العنت في دينهم ، والضلالة بعد هداهم ، فقال لنبيه ﷺ : قل يا محمد : اهلكوا بغَيْظِكُمْ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ . يعنى بذلك : إن الله ذو علم بالذى فى صدور هؤلاء الذين إذا لقوا المؤمنين قالوا : آمناً . وما يُنْطَوون عليه لهم من الغل والغمر^(٣) ، ويعتقدون لهم من العداوة والبغضاء ، وبما فى صدور جميع خلقه ، حافظ على جميعهم ما هو عليه مُنْطَوٍ من خيرٍ وشرٍّ ، حتى يُجازى جميعهم على ما قدّم من خيرٍ وشرٍّ ، واعتقد من إيمانٍ وكفرٍ ، وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين من نصيحة أو غلٍّ وغمرٍ .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهَمُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (١٢٠) .

يعنى بقوله جل ثناؤه [١١/١٢٠ظ] : ﴿ إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهَمُمْ ﴾ : إن تنالوا أيها

(١) أخرجه ابن أبى حاتم ٧٤٦/٣ (٤٠٥٤) من طريق أبى إسحاق به ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) تفسير الطبرى ٤٦/٥ ()

(٣) الغمر ، بكسر الغين : الحقد . النهاية ٣/٣٨٤ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ سِرُّوْا بظُهُورِكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَتَتَابَعِ النَّاسِ فِي الدُّخُولِ فِي دِينِكُمْ وَتَصَدِّقِ نَبِيِّكُمْ ، وَمُعَاوَنَتِكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ ، يَسُوْهُمْ ^(١) ^(٢) فَيَخْرُتُوا لَدَيْكَ ، وَيَكْتَسِبُوا لَهُ ، ﴿ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ . يَقُولُ ^(٣) . وَإِنْ تَنَلَّكُمْ مَسَاءَةٌ بِإِخْفَاقِ سَرِيَّةٍ لَكُمْ ، أَوْ بِإِصَابَةِ عَدُوِّكُمْ مِنْكُمْ ، أَوْ اخْتِلَافٍ يَكُونُ بَيْنَ جَمَاعَتِكُمْ ، يَفْرَحُوا بِهَا .

كما حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِنْ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ سَوَّاهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ : فَإِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَلْفَةً وَجَمَاعَةً وَظُهُورًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، غَاطَّاهُمْ ذَلِكَ وَسَاءَهُمْ ، وَإِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فُرْقَةً وَاخْتِلَافًا ، أَوْ أُصِيبَ طَرَفٌ مِنْ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ ، سَرَّاهُمْ ذَلِكَ وَأَعْجَبُوا بِهِ وَابْتَهَجُوا بِهِ ^(٤) فَهُوَ ذَابُهُمْ ^(٥) ، كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ فِرْقٌ ^(٦) أَكْذَبَ اللَّهُ أُخْدُوثَتَهُ ، وَأَوْطَأَ مَجْلَتَهُ ، وَأَبْطَلَ حُجَّتَهُ ، وَأَظْهَرَ غَوْرَتَهُ ، فَذَاكَ قَضَاءُ اللَّهِ فِي مَنْ مَضَى مِنْهُمْ ، وَفِي مَنْ بَقِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(٧) .

٦٨/٤ / حَدَّثَنَا عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِنْ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ سَوَّاهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ . قَالَ : هُمُ الْمُنَافِقُونَ ، إِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ جَمَاعَةً وَظُهُورًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، غَاطَّاهُمْ ذَلِكَ غَيْظًا شَدِيدًا وَسَاءَهُمْ ، وَإِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فُرْقَةً وَاخْتِلَافًا ، أَوْ أُصِيبَ طَرَفٌ مِنْ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ ، سَرَّاهُمْ ذَلِكَ وَأَعْجَبُوا بِهِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا

(١) سقط من : ص ، ت ٢ ، س .

(٢ - ٢) سقط من ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣ - ٣) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فهم » .

(٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قرن » .

والفرق : الطائفة من الناس . اللسان (ف ر ق) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٧/٣ (٤٠٦٠ ، ٤٠٦٢) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطي أيضا

في الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهُمْ﴾ . قال : إذا رأوا من المؤمنين جماعة وألفه ساءهم ذلك ، وإذا رأوا منهم فُرقة واختلافاً فرحوا ^(١) .

وأما قوله : ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ . فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن تصبروا أيها المؤمنون على طاعة الله وأتباع أمره فيما أمركم به ، واجتناب ما نهاكم عنه ، من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله جل ثناؤه صفتهم من دون المؤمنين ، وغير ذلك من سائر ما نهاكم ، وتتقوا ربكم ، فتخافوا التقدّم بين يديه فيما ألزمكم وأوجب عليكم من حقه وحقّ رسوله ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ . أى : كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم .

ويعنى بـ ﴿كَيْدُهُمْ﴾ عوائلهم التى ^(٢) يبتغونها للمسلمين ^(٣) ، ومكرهم بهم ؛ ليضدّوهم عن الهدى وسبيل الحق .

واختلفت القراءة فى قراءة قوله : ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ ؛ فقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز وبعض البصريين [١٣/١١] : (لَا يَضُرُّكُمْ) . مخففة بكسر الضاد ^(٤) ، من قول القائل : ضارنى فلان ، فهو يضيرنى ضييراً . وقد حكى سماعاً من العرب : ما يتفقنى ذاك ^(٥) . ولا يضيرنى . فلو كانت قرئت على هذه اللغة لقليل : لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا . ولكنى لا أعلم أحداً قرأ به .

(١) ينظر البحر المحيط ٤٣/٣ .

(٢ - ٣) فى ص : « تعويها للمسلمين » .

(٣) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٥ .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ٣ س .

وقرأ ذلك جماعةً من أهل المدينة وعامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ كَيْدُهُمْ شَيْئًا . بَضَمُ الضَّادِ وتشديد الراء^(١) ، من قول القائل : ضَرَّنِي فلانٌ فهو يَضُرُّنِي ضَرًّا .

وأما الرفع في قوله : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ . فمن وجهين ؛ أحدهما على إتياع الراء في حركتها - إذ كان الأصل فيها الجزم ، ولم يُمكن جزمها ؛ لتشديدها - أقرب حركات الحروف التي قبلها ، وذلك حركة الضَّادِ وهي الضمة ، فَأُلْحِقَتْ بها حركة الراء لقرَّبها منها ، كما قالوا : مُدَّ ياهذا . والوجه الآخر من وجهي الرفع في ذلك ، أن تكون مرفوعةً على صحة ، وتكون « لا » بمعنى « ليس » ، وتكون الفاء التي هي جوابُ الجزاءِ متروكةً ؛ لعلم السامع بموضعها .

وإذا كان ذلك معناه ، كان تأويلُ الكلام : وإن تَضَيَّرُوا وتَفَقَّوْا فليس يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا . ثم تُرِكَتْ الفاء من قوله : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ ﴾ . وَوُجِّهَتْ « لا » إلى معنى « ليس » ، كما قال الشاعر^(٢) :

فإن كان لا يُزْضِيكَ حتى تَرُدَّنِي إلى قَطْرِي لا إخالكَ راضياً
ولو كانت الراء مُحَرَّكَةً إلى الخفض والنصب كان جائزاً ، كما قيل : مُدَّ ياهذا ، ومُدَّ .

/وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ . يقول جل ثناؤه : إن الله تبارك وتعالى بما يعمل هؤلاء الكفار في عبادته وبلاديه من الفساد ، والصَّدِّ عن سبيله ،

٦٩/٤

(١) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٥ .

(٢) في الأصل : « فلا » .

(٣) هو سوار بن المضرب السعدي ، والبيت في النوادر لأبي زيد ص ٤٥ ، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٣٣٢ ، والكامل للمبرد ١٠٢/٢ .

والعداوة لأهل دينه ، وغير ذلك من معاصي الله جلّ وعزّ ، مُحِيطٌ بجميعه ، حافظٌ له ، لا يَعْزُبُ عنه شيءٌ منه ، حتى يُؤَفِّيَهُمْ جزاءهم على ذلك كلّهُ ، ويُذِيقَهُمْ عقوبته عليه .

فهرس الجزء الخامس

تابع تفسير سورة البقرة

الصفحة

الموضوع

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ... ﴾ ٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ والله واسع عليم ﴾ ٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ... ﴾ ٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما يذكر إلا أولو الأبواب ﴾ ١٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما أنفقتم من نفقة ... ﴾ ١٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعماً هي ... ﴾ ١٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ويكفر عنكم من سيئاتكم ﴾ ١٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ ١٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ليس عليك هداهم ... ﴾ ١٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله ﴾ ٢٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الذين أحصروا فى سبيل الله ﴾ ٢٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لا يستطيعون ضرباً فى الأرض ﴾ ٢٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء ... ﴾ ٢٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾ ٢٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ ٢٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ﴾ ٣٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار ﴾ ٣٣

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون...﴾ ٣٧ ..
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا﴾ ٤٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وأحلّ الله البيع وحرم الربا...﴾ ٤٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿يحقّ الله الربا ويرى الصدقات...﴾ ٤٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾ ٤٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا
- ما بقى من الربا...﴾ ٤٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب...﴾ ٥١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وإن تبتم فلکم رءوس أموالکم﴾ ٥٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿لا تظلمون ولا تظلمون﴾ ٥٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة...﴾ ٥٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم
- تعلمون﴾ ٦٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله...﴾ ٦٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم
- بدين...﴾ ٦٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فاكتبوه﴾ ٧٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل...﴾ ٧٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فليكتب وليملل الذى عليه
- الحق...﴾ ٨١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فإن كان الذى عليه الحق سفيها
- أو ضعيفاً﴾ ٨٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ ٨٦

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ... ﴾ ٨٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ ٨٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ ٩٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا تَسْأَلُوهُنَّ أَنْ تَكْتُبَوهنَّ صَغِيرًا ... ﴾ ١٠٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ذَلِكَ أَمْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ١٠٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَقُومُوا لِلشَّهَادَةِ ﴾ ١٠٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾ ١٠٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً ... ﴾ ١٠٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ ١٠٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا يَضَارُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ ١١١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ ١١٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ ... ﴾ ١٢٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ ... ﴾ ١٢٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ... ﴾ ١٢٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ... ﴾ ١٢٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ١٢٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١٤٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ ... ﴾ ١٤٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لَا نَفْرَقَ بَيْنَ رَسُولٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ ١٥٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ ... ١٥٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ ١٥٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ ١٥٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ ١٥٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ﴾ .. ١٦١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ واعف عنا واغفر لنا ﴾ ١٦٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وارحمنا ﴾ ١٦٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ ١٦٥
- تفسير سورة آل عمران ١٧٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ اَلَمْ . الله لا إله إلا هو ﴾ ١٧٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ الحى القيوم ﴾ ١٧٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ الحى ﴾ ١٧٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ القيوم ﴾ ١٧٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق ... ﴾ ١٨٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وأنزل التوراة والإنجيل . من قبل هدى للناس ﴾ ١٨١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وأنزل الفرقان ﴾ ١٨٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إن الذين كفروا بآيات الله ... ﴾ ١٨٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إن الله لا يخفى عليه شىء ... ﴾ ١٨٥

- القول فى تأويل قوله : ﴿ هو الذى يصوركم فى الأرحام ... ﴾ ١٨٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ١٨٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب ... ﴾ ١٨٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ هن أم الكتاب ... ﴾ ٢٠١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فأما الذين فى قلوبهم زيغ ﴾ ٢٠٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ ٢٠٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ ٢١٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ ٢١٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ... ﴾ ٢١٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ﴾ ٢٢٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ كل من عند ربنا ﴾ ٢٢٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ ٢٢٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ... ﴾ ٢٢٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ... ﴾ ٢٣٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ... ﴾ ٢٣٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ... ﴾ ٢٣٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم ... ﴾ ٢٣٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قد كان لكم آية فى فتنتى الثقتا ... ﴾ ٢٤١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ يرونهم مثليهم رأى العين ﴾ ٢٤٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ والله يؤيد بنصره من يشاء ... ﴾ ٢٥٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ زين للناس حب الشهوات ... ﴾ ٢٥٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ والخليل المسومة ﴾ ٢٦١

- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَالْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ ﴾ ٢٦٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ ﴾ ٢٦٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قُلْ أُوذِبْتُكُمْ بَخِيرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ ... ﴾ ٢٦٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ... ﴾ ٢٧١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ ﴾ ... ٢٧٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ ٢٧٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... ﴾ ٢٧٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنْ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ٢٨٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ... ﴾ ٢٨٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .. ٢٨٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ ٢٨٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ ... ﴾ ٢٨٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ٢٨٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ٢٨٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ .. ٢٨٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ... ﴾ ٢٩٢

- القول فى تأويل قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ ... ﴾ ٢٩٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمْسِنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ ٢٩٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْنَا لَهُم لَيُّومٌ لَا رَيْبَ فِيهِ ... ﴾ ٢٩٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ ﴾ ٢٩٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ مَا لَكَ الْمَلِكُ تُؤْتَى الْمَلِكُ مِّنْ تَشَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ ٣٠٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَتَعَزَّزْنَا بِتَشَاءٍ وَتَذَلُّ مِّنْ تَشَاءٍ ... ﴾ ٣٠٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ تَوَلَّجَ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّجَ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ ﴾ ٣٠٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَتَخْرُجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتَخْرُجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ٣٠٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَتَرْزُقُ مِّنْ تَشَاءٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ٣١٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِّنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ ٣١٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ ٣٢٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ... ﴾ ٣٢٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ... ﴾ ٣٢٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ٣٢٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ... ﴾ ٣٢٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ... ﴾ ٣٢٧

- القول فى تأويل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ...﴾ .. ٣٢٨
- القول فى تأويل قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ...﴾ ٣٢٩
- القول فى تأويل قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا...﴾ ٣٣٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ...﴾ ٣٣٦
- القول فى تأويل قوله: ﴿وَإِنِّى أَعِيزُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ٣٣٩
- القول فى تأويل قوله: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ ٣٤٤
- القول فى تأويل قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ٣٤٥
- القول فى تأويل قوله: ﴿كَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ ٣٥٣
- القول فى تأويل قوله: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّى لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ...﴾ ٣٥٨
- القول فى تأويل قوله: ﴿هَئِلكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبِّهِ...﴾ ٣٦٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ٣٦٣
- القول فى تأويل قوله: ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى﴾ ٣٦٦
- القول فى تأويل قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ ٣٧٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿وَسَيِّدًا﴾ ٣٧٤
- القول فى تأويل قوله: ﴿وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٣٧٦
- القول فى تأويل قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَنِّى يَكُونُ لِّى غُلَامٌ...﴾ ٣٨١

- القول فى تأويل قوله : ﴿ قال كذلك الله يفعل ما يشاء ﴾ ٣٨٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قال رب اجعل لى آية ﴾ ٣٨٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ﴾ ٣٨٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ واذا ذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار ﴾ ٣٩٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ واذا قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك ... ﴾ ٣٩٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ﴾ ٣٩٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ﴾ ٤٠٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾ ٤٠٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ ٤٠٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ واذا قالت الملائكة يا مريم إن الله يشرك بكلمة منه ... ﴾ ٤٠٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وجهها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ ٤١٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين ﴾ ٤١١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قالت رب أنى يكون لى ولد ... ﴾ ٤١٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ ٤١٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم ... ﴾ ٤١٨

- القول فى تأويل قوله : ﴿أنى أخلق لكم من الطين
كهية الطير...﴾ ٤١٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص﴾ ٤٢٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم
بما تأكلون...﴾ ٤٢٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ ٤٣٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ومصدقا لما بين يدي من التوراة...﴾ ٤٣٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ ٤٣٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربي
وربكم...﴾ ٤٣٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه﴾ ٤٣٤
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿فلما أحس عيسى منهم
الكفر...﴾ ٤٣٥
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا
الرسول...﴾ ٤٤٥
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ومكروا ومكر الله والله خير
الماكرين﴾ ٤٤٦
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿إذ قال الله يا عيسى إني
متوفيك...﴾ ٤٤٧
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين
كفروا...﴾ ٤٥٣
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ثم إلى مرجعكم فأحكم
بينكم...﴾ ٤٥٥

- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا... ﴾ ٤٥٦
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ ٤٥٨
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ... ﴾ ٤٥٩
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ... ٤٦٣
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ... ﴾ ٤٦٥
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ... ﴾ ... ٤٦٧
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ... ﴾ ٤٧٣
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ... ﴾ ٤٨٠
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ... ﴾ ٤٨٣
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا... ﴾ ٤٨٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ... ﴾ ... ٤٨٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ... ﴾ ٤٨٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ ٤٩١

- القول فى تأويل قوله : ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ﴾ ... ٤٩٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾ ٤٩٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا ﴾ ... ٤٩٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ ٥٠٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل إن الهدى هدى الله أن يوتى أحد مثل ما أوتيتم ﴾ ٥٠١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء ﴾ .. ٥٠٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ ٥٠٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ﴾ ٥٠٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إلا ما دمت عليه قائما ﴾ ٥٠٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ﴾ ٥١٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ ٥١٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين ﴾ ٥١٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ﴾ ٥١٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب ﴾ .. ٥٢١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتیه الله الكتاب والحكم والنبوة ﴾ ... ٥٢٣

- القول فى تأويل قوله : ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾ ٥٢٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم
- تدرسون﴾ ٥٣١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة
- والنبيين أرباباً﴾ ٥٣٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
- من كتاب﴾ ٥٣٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى
- قالوا أقرنا﴾ ٥٤٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ ٥٤٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ .. ٥٤٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم
- من فى السماوات والأرض﴾ ٥٤٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا
- وما أنزل على إبراهيم﴾ ٥٥٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل
- منه﴾ ٥٥٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿كيف يهدى الله قوما كفروا بعد
- إيمانهم﴾ ٥٥٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا
- كفراً﴾ ٥٦٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن
- يقبل من أحدهم﴾ ٥٧٠

- القول فى تأويل قوله : ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون...﴾ ٥٧٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل...﴾ ٥٧٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك...﴾ ٥٨٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً...﴾ ٥٨٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿إن أول بيت وضع للناس...﴾ ٥٨٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿فيه آيات بينات...﴾ ٥٩٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ ٦٠١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ولله على الناس حج البيت...﴾ ٦٠٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ ٦١٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله...﴾ ٦٢٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله...﴾ ٦٢٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً...﴾ ٦٣١
- القول فى تأويل قوله : ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله...﴾ ٦٣٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته...﴾ ٦٣٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ ٦٤٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ولا تفرقوا﴾ ٦٤٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء...﴾ ٦٤٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ ٦٥٧

- القول فى تأويل قوله: ﴿كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ ... ٦٦٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ ... ٦٦٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات﴾ ... ٦٦٢
- القول فى تأويل قوله: ﴿يوم تبيضّ وجوه وتسود وجوه﴾ ... ٦٦٣
- القول فى تأويل قوله: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق﴾ ... ٦٦٧
- القول فى تأويل قوله: ﴿ولله ما فى السماوات وما فى الأرض﴾ ... ٦٦٩
- القول فى تأويل قوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ ... ٦٧١
- القول فى تأويل قوله: ﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم﴾ ... ٦٧٧
- القول فى تأويل قوله: ﴿لن يضروكم إلا أذى﴾ ... ٦٧٨
- القول فى تأويل قوله: ﴿وإن يقاتلونكم يولوكم الأديار ثم لا ينصرون﴾ ... ٦٨٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا﴾ ... ٦٨١
- القول فى تأويل قوله: ﴿وباءوا بغضبٍ من الله وضربت عليهم المسكنة﴾ ... ٦٨٧
- القول فى تأويل قوله: ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ ... ٦٨٨
- القول فى تأويل قوله: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ ... ٦٨٩
- القول فى تأويل قوله: ﴿يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ ... ٦٩٥
- القول فى تأويل قوله: ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف﴾ ... ٦٩٩
- القول فى تأويل قوله: ﴿وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾ ... ٧٠٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم﴾ ... ٧٠٢

- القول فى تأويل قوله : ﴿ مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا ﴾
 ٧٠٣ كمثل ربح ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ ... ٧٠٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة ... ﴾ ... ٧٠٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم ﴾ ٧١٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما تخفى صدورهم أكبر ﴾ ٧١٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ ٧١٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ها أنتم هؤلاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾ ... ٧١٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وإذا لقوكم قالوا آمنا ﴾ ٧١٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم ﴾
- بذات الصدور ﴿ ٧٢١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إن تمسكم حسنة تسؤهم ﴾ ... ٧٢١

تم بحمد الله ومنه

الجزء الخامس ، ويليه الجزء السادس

وأوله : القول فى تأويل قوله :

﴿ وإذا غدوت من أهلك ... ﴾